# تفسير القرآن

للإمام العلامة شيخ الإسلام حجة أهل السنة والجماعة

## أبي المظفر السمعاني

منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي الشافعي السلفي

(٤٢٦ - ٤٨٩)

المجلد الأول

من الفاتحة إلى النساء

تحقيق

أبي تميم ياسر بن إبراهيم

دار الوطن
الرياض - شارع المعذر - ص.ب: ٣٣١٠
☎ ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس: ٤٧٦٤٦٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع حقوق الطبع محفوظة
لدار الوطن للنشر

تنبيه : يحظر نسخ أو استعمال أي جزء من أجزاء هذا الكتاب بأي وسيلة من الوسائل ـ سواء التصويرية أم الإلكترونية أم الميكانيكية ، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي أو التسجيل على أشرطة أو سواها ، وكذلك حفظ المعلومات واسترجاعها ـ دون إذن خطي من الناشر .

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

دار الوطن للنشر ـ الرياض
هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ ـ فاكس : ٤٧٦٤٦٥٩ ـ ص.ب : ٣٣١٠ الرمز البريدي : ١١٤٧١

**قال ابن السمعاني :**

هو إمام عصره بلا مدافعة ، وعديم النظير فى فنه ، ولا أقدر على أن أصف بعض مناقبه ، وصنف التفسير الحسن المليح الذى استحسنه كل من طالعه .

**وقال الذهبي:**

الإمام العلامة مفتى خراسان شيخ الشافعية ، تعصب لأهل الحديث والسنة والجماعة ، وكان شوكًا فى أعين المخالفين ، وحجة لأهل السنة .

**وقال السبكي:**

الإمام الجليل ، العلم الزاهد الورع ، أحد أئمة الدنيا، الرفيع القدر، العظيم المحل، المشهور الذكر، أحدُ من طبق الأرض ذكرهُ، وعبق الكون نشرهُ .

**وقال عبد الغافر:**

هو وحيد عصرهِ فى وقتهِ فضلا ، وطريقةً ، وزهدًا ، وورعًا .

**وقال ابن العماد:**

وله تفسير جيد حسن

# مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد.....

فإن أعظم ما تصرف فيه الأوقات، وينشغل به أهل الهمم العاليات هو القرآن العظيم؛ لأنه كلام الله الدال عليه لمن أراد معرفته، وطريقه الموصلة لسالكها إليه، ونوره المبين الذى أشرقت له الظلمات، ورحمته المهداة التى بها صلاح المخلوقات، وهو الصراط المستقيم الذى لا تميل به الأراء، والذكر الحكيم الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء.

وقد تجلى الله تعالى فيه لعباده بصفات الكمال، ونعوت الجلال، فعرفوا أنه منزه عن المثال، وبرىء من النقائص والعيوب، له كل اسم حسن وكل صفة كمال، وعرفوا أنه أرحم الراحمين، وأقدر القادرين، وأحكم الحاكمين، وأنه الرزاق ذو القوة المتين. وأن له العزة جميعًا والقوة جميعًا، والجود كله، والإحسان كله، والعلم كله، وأنه فعّال لما يريد وقد أنزل الله كتابه ليعرِّف عباده به، وبصراطه الموصل إليه، وبحال السالكين بعد الوصول إليه. وأنزله لنقرأه تدبراً، ونتأمله تبصراً، وليس ذلك إلا بالإقبال عليه وتفهمه، وتدبر آياته واستخراج كنوزه وإثارة دفائنه، وصرف العناية إليه، والعكوف بالهمة عليه.

ولما كان ذلك لا يتحصل إلا بفهم معنيه ومعرفة غوامض كلماته، وأسباب نزول آياته، والمحكم من الآيات والمتشابه، والإحاطة بالمشهور والشاذ من قراءاته. والسبيل إلى ذلك إنما يكون بالعناية بالكتب التى صنفت فى علم التفسير، ومطالعتها ودراستها.

فظهرت أهمية نشر المؤلفات التى عنيت بهذا الفن، وإخراج ما اندثر من كتب التراث التى صنفت فى هذا العلم.

وانطلاقاً من هذه المعانى، وتحملاً لجزء يسير من هذه الأمانة نقوم بنشر هذا السفر العظيم النفع، والنفيس فى هذا الفن، ألا وهو كتاب « تفسير القرآن » لأبى المظفر بن السمعانى، رحمه الله. والذى يتميز بسلاسته، وصفاء عقيدته، مما يجعله سهل التناول للطالب المبتدىء، والعالم المنتهى، فنسأل الله – تبارك وتعالى – أن يوفقنا فى إخراجه فى أحسن صورة فهو ولى ذلك والقادر عليه.

# ترجمة المصنف(١)

## نسبه ومولده:

هو الإمام الجليل العلامة، وحيد عصره، ومفتى خراسان، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد بن جعفر بن أحمد بن عبد الجبار بن الفضل بن الربيع بن مسلم التميمى المروزى السمعانى.

ولد فى مدينة مرو الشاهجان، وأعظم مدن خراسان فى ذى الحجة سنة ست وعشرين وأربعمائة هجريًا.

## شيوخه وتلامذته:

سمع أباه أبا منصور محمد بن عبد الجبار، وأبا غانم أحمد بن على الكراعى، وأبا بكر بن عبد الصمد الترابى، وعبد الصمد بن المأمون، وأبا صالح المؤذن، وأبا على الشافعى، وأبا القاسم الزنجانى، وغيرهم.

وروى عنه أبو بكر محمد، وأبو محمد الحسن، وأبو القاسم أحمد - أولاده، وعمر بن محمد السرخسى، وأبو نصر محمد بن محمد الفاشانى، ومحمد بن أبى بكير السنجى، وإسماعيل بن محمد التيمى، وأبو نصر الغازى، وخلق كثير.

## مصنفاته:

له مصنفات كثيرة حسان منها:

١- الأحاديث الألف الحسان

قال عنه أبو سعد بن السمعانى: جمع «الأحاديث الألف الحسان» من مسموعاته عن مائة شيخ، عن كل شيخ عشرة أحاديث.

---

(١) انظر ترجمته فى:
الأنساب (٣/٢٩٩)، المنتظم (٩/١٠٢)، واللباب (٢/١٣٨ - ١٣٩)، ووفيات الأعيان (٣/٢١١)، وسير أعلام النبلاء (١٩/١١٤ - ١١٩)، والعبر (٣/٣٢٦)، وطبقات السبكى (٥/٣٣٥ - ٣٤٦)، والبداية (١٢/١٥٣)، وطبقات المفسرين (٢/٣٣٩ - ٣٤٠)، والرسالة المستطرفة (ص٤٣)، وشذرات الذهب (٣/٣٩٣ - ٣٩٤)، وهداية العارفين (٢/٤٧٣)، كشف الظنون (١/٤٤٩).

٢- الاصطلام

قال عنه أبو سعد بن السمعانى: المختصر الذى سار فى الأفاق والأقطار الملقب بـ «الإصطلام» ورد فيه على أبى زيد الدبوسى، وأجاب على الأسرار التى جمعها.

٣- الأمالى فى الحديث.

قال الذهبى: وله الأمالى فى الحديث.

قال أبو سعد السمعانى: وأملى المجالس فى الحديث، وتكلم على كل حديث بكلام مفيد.

٤- الإنتصار بالأثر.

٥- الأوسط فى الخلاف.

٦- البرهان:

قال أبو سعد بن السمعانى عنه: وهو قريب من ألف مسألة خلافية.

٧- كتاب التفسير؛ وهو كتابنا هذا:

قال عنه حفيده الحافظ أبو سعد بن السمعانى: صنف التفسير الحسن المليح الذى استحسنه كل من طالعه.

وقال ابن العماد؛ وله تفسير جيد حسن.

٨- الرد على القدرية.

٩- الطبقات.

قال ابن العماد: وله الطبقات أجاد فيه وأحسن.

١٠- القواطع فى أصول الفقه.

قال عنه أبو سعد بن السمعانى: وهو يغنى عما صنف فى ذلك الفن.

وقال السبكى: ولا أعرف فى أصول الفقه أحسن من كتاب «القواطع» ولا أجمع، كما لا أعرف فيه أجلّ ولا أفحل من «برهان» إمام الحرمين، فبينهما عموم، وخصوص.

١١- منهاج أهل السنة.

## ثناء العلماء عليه:

قال حفيده أبو سعد بن السمعانى: «إمام عصره بلا مدافعه، وعديم النظير فى فنه، ولا أقدر على أن أصف بعض مناقبه، ومن طالع تصانيفه، وأنصف؛ عرف محله من العلم».

وقال عبد الغافر فى تاريخه: «هو وحيد عصره فى وقته، فضلاً وطريقةً، وزهداً وورعًا، من بيت العلم والزهد، تفقه بأبيه، وصار من فحول أهل النظر، وأخذ يطالع كتب الحديث، وحج ورجع وترك طريقته التى ناظر عليها ثلاثين سنة، وتحول شافعيًا».

وقال إمام الحرمين: «لو كان الفقه ثوبًا طاويًا؛ لكان أبو المظفر السمعانى طرَّازه».

وقال أبو على الصفار: «إذا ناظرت أبا المظفر، فكأنى أناظر رجلاً من أئمة التابعين؛ مما أرى عليه من أثار الصالحين».

وقال الذهبى فى السير: «الإمام العلامة، مفتى خراسان شيخ الشافعية، تعصب لأهل الحديث والسنة والجماعة، وكان شوكًا فى أعين المخالفين، وحجة لأهل السنة».

وقال السبكى: «هو الإمام الجليل، العلم الزاهد الورع، أحد ائمة الدنيا، أبو المظفر ابن الإمام أبى منصور بن السمعانى، الرفيع القدر، العظيم المحل، المشهور الذكر، أحد من طبق الأرض ذكره، وعبق الكون نشره».

## وفاته

وكانت وفاته فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة تسع وثمانين وأربعمائة، وعاش ثلاثاً وستين سنة؛ رحمه الله.

## عقيدته:

وإذا تكلمنا عن عقيدة أبى المظفر السمعانى – رحمة الله – فيجب أن ننوه؛ إلى أن عقيدته، ومباحثه العقائدية؛ هى أهم ما تميز به هذا التفسير، وهو من التفاسير القليلة التى اهتمت ببيان عقيدة أهل السنة والجماعة، والرد على أهل البدع والأهواء، ودحض شبهاتهم، وأباطيلهم.

والمطلع فى هذا الكتاب يتجلى له هذا الأمر جيداً، فما من آية من القرآن اتخذها أهل البدع والأهواء دليلاً لنصرة مذهبهم، أو صرفوها عن ظاهرها وأولوها، إلا رأيته متصدياً لهم مبطلا لبدعهم، ومنتصراً لمذهب أهل السنة والجماعة، ومبيناً الحق فى المسألة، وقد أكثر من ذلك على مدار تفسيره كله.

فنجده حين تكلم عن ماهية الإيمان وحقيقته قال:

والإيمان فى الشريعة يشمل على الإعتقاد بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان – ( ١ / ٤٣ ).

وهذا هو تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة.

ورد على من يخرج الإعتقاد من جملة الإيمان؛ حيث قالوا: أنه يكفى فى الحكم بالإيمان لمن نطق وأقر باللسان، كما فى ( ١ / ٤٧ ) فقال عند قول الله تعالى: ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ – سورة البقرة – نفى الإيمان عنهم؛ حيث أظهروا الإسلام باللسان، ولم يعتقدوا بالجنان.

وهذا دليل على من يخرج الاعتقاد من جملة الإيمان.

ورد على المرجئة حيث أخرجوا العمل من مسمى الإيمان كما فى ( ١ / ١٥٠ ) حيث قال عند قول الله تعالى: ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ أى: صلاتكم، فجعل الصلاة إيماناً، وهذا دليل على المرجئة، حيث لم يجعلوا الصلاة من الإيمان، وإنما سموا مرجئة لأنهم أخرجوا العمل عن الإيمان.

وكما أنه أحكم تعريف الإيمان، والكلام على أقسامه، ورد على المخالفين لمذهب أهل السنة؛ فقد تكلم عن الكفر، وتعريفه، وبيان أنواعه كما فى ( ١ / ٤٥ – ٤٦ ).

هذا فى بيان مجمل الإيمان، والكفر، ثم فصل ذلك على مدار كتابه وفصل الكلام عن أنواع التوحيد، وأقسامه، كما فى ( ١ / ٥٦ ، ٥٧ ) وبين أن الإتيان بتوحيد الربوبية وحده لا يكفى للحكم على الإيمان كما فى ( ٣ / ٧١ ) ، ( ٣ / ٨٦ ).

ولما كانت مسائل الأسماء والصفات هى أكثر مسائل الخلاف فى الاعتقاد بين أهل السنة، وأهل الفرق نجد أن المصنف قد عنى بتفصيل هذه المسائل جيداً.

فتراه حين يرد اسم لله – عز وجل – فى أول موضع يتكلم عن معنى هذا الاسم

كما فى ( ١ / ٣٣ - ٣٤ ) فتكلم عن اسم « الرحمن، والرحيم »، و ( ١ / ٢٥٧ ، ٢٩١ ) عن معنى الحى القيوم، و( ١ / ٣٦ - ٣٧ ) حيث تكلم عن اسم « مالك، ملك »، و( ١ / ١٦١ ) عن معنى « الواحد »، و( ١ / ١٤١ ) عن معنى العزيز، و( ٢ / ٤٥١ ) حيث تكلم عن معنى « الودود »، و( ٣ / ٤٧ ) عن معنى « الوكيل »، و( ٣ / ٦٨ ) عن معنى « اللطيف »، و( ٣ / ٨٧ ) عن معنى « الواحد القهار »، وأفرد فى ( ١ / ١٦١ ) مسألة فيما جاء فى اسم الله الأعظم، وعندما يتكلم عن صفاته - سبحانه وتعالى - نجد أنه قد اهتم ببيان مذهب أهل السنة فى إثباتها، وإمرارها كما جاءت فى القرآن دون تأويل أو تشبيه أو تعطيل، ورد على من فعل ذلك، وخص من بين ذلك مسائل كثر الجدل فيها، وزلت فيها الأقدام مثل:

**مسألة الاستواء**: فقال فى ( ٢ / ٨٦ ) عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ ثم استوى على العرش ﴾: أوَّل المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، وأنشدوا فيه:

قد استوى بشر على العراق  من غير سيف ودم مهراق

وأما أهل السنة فيتبرءون من هذا التأويل، ويقولون: إن الاستواء على العرش صفة لله - تعالى - بلا كيف، والإيمان به واجب، كذلك يحكى عن مالك بن أنس، وغيره من السلف أنهم قالوا فى هذه الآية:

الإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

ولما تكلم عن قوله تعالى: ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ من سورة « يونس » ( ٢ / ٣٦٤ ) قال: قد بينا مذهب أهل السنة فى الاستواء، وهو أنه، نؤمن به، ونكل علمه إلى الله - تعالى - من غير تأويل ولا تفسير.

وأما المعتزلة فإنهم أولوا الاستواء بالاستيلاء، وهو باطل عند أهل العربية.

وكذا قال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ من سورة « طهَ » ( ٣ / ٣٢٠ ): المذهب عند أهل السنة أنه يؤمن به، ولا يُكيِّف... الخ.

وقال عن إثبات صفة الاستعلاء: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ من سورة النحل: قال بعضهم معناه: يخافون عذاب ربهم من فوقهم، والقول الثانى - وهو الأصح - أن هذه صفة العلو التى تفرد الله بها، وهو كما وصف به

نفسه من غير تكييف.

**وعند تفسيره لقوله تعالى**: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ من سورة الأنعام (٢/ ٩٣) قال: هو صفة الاستعلاء الذى لله – تعالى – الذى يعرفه أهل السنة.

وعن صفة العلم لله – تعالى – قال: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه﴾ من سورة النساء (١/ ٥٤) أى: مع علمه، كما يقال: جاءنى فلان بسيفه، أى: مع سيفه، وفيه دليل على أن لله علمًا، وهو صفته، خلاف قول المعتزلة خذلهم الله.

**وعن صفة الكلام**: قال عند تفسيره لقوله – تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ من سورة النساء (١/ ٥٠٢ – ٥٠٣): إنما كلمه بنفسه، من غير واسطة، ولا وحى، وفيه دليل على من قال: إن الله خلق كلامًا فى الشجرة فسمعه.... إلى أن قال:

وهذا مذهب أهل السنة أنه سمع كلام الله حقيقة، بلا كيف.

وقال وائل بن داود: معنى قوله: ﴿وكلم الله موسى تكليمًا﴾ أى: مرارًا، وكلامًا بعد كلام.

**وعن صفة الإتيان والمجيء لله – تعالى** –: فعند تفسيره لقول الله – تعالى – ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة﴾ من سورة البقرة (١/ ٢١٠ – ٢١١) قال: والأولى فى هذه الآية، وما يشاكلها أن نؤمن بظاهره، ونكل علمه إلى الله – تعالى – وننزه الله سبحانه وتعالى – عن سمات الحدث والنقص.

**وعن إثبات صفة اليد لله تعالى**: قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ من سورة المائدة (٢/ ٥١ – ٥٢) قال أهل العلم: ليس فى هذا رد على اليهود فى إثباتهم اليد لله – تعالى – وإنما الرد عليهم فى نسبته إلى البخل، وأما اليد فصفة لله – تعالى بلا كيف، وله يدان، وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال: كلتا يديه يمين. والله أعلم بكيفية المراد.

وعن إثباته لصفة الوجه لله – تعالى –: قال عند تفسير قوله – تعالى – ﴿فثم وجه الله﴾ من سورة البقرة (١/ ١٢٩): وقد ذكر الله – تعالى – الوجه فى كتابه فى أحد عشر موضعًا، وهو صفة لله – تعالى – وتفسيره قراءته والإيمان به.

وعند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه﴾ من سورة الأنعام (٢/ ١٠٨).

قال ابن عباس: أى يريدون إياه بالطاعة، ويريدون خالص وجهه، والوجه صفة لله – تعالى – بلا كيف؛ وجه لا كالوجوه.

وعند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿كل شىء هالك إلا وجهه﴾ من سورة القصص (٤/ ١٤٦) أى: إلا هو، وعن سفيان بن عيينه قال: كل ما وصف الله به نفسه فى الكتاب، فتفسيره قراءته، لا تفسير له غيره.

وقد ذكر الله – تعالى – الوجه فى أحد عشر موضعًا من القرآن، وقد بينا أنه صفه من صفات الله يؤمن به على ما ذكره الله – تعالى –.

وعن إثبات الرؤية لله تعالى فى الآخرة: قال عند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾. (٢/ ١٣٢ – ١٣٣): استدل بهذه الآية من يعتقد نفى الرؤية، قالوا: لما مُدِحَ بأنه لا تدركه الأبصار فمدحه على الأبد فى الدنيا، والآخرة، واعلم أن الرؤية حق على مذهب أهل السنة وقد ورد به القرآن والسنة... الخ.

وعند تفسيره لقوله: ﴿كلا إنهم عن ربهم يؤمئذ لمحجوبون﴾ من سورة المطففين، قال: وفى الآية دليل على أن المؤمنين يرون الله تعالى، وقد نقل هذا الدليل عن مالك والشافعى، رحمة الله عليهما.

وهكذا لا يمر المصنف، رحمه الله – على آية أو قول لله تعالى يجد فيه مجالاً للرد على أهل البدع، وإبطال قول الملحدين فى أسماء الله، وصفاته إلا انتصر لمذهب أهل السنة من سلف هذه الأمة وبين زيغ المبطلين.

وكان كما قال الإمام الذهبى – رحمه الله –: متعصبًا لأهل الحديث والسنة والجماعة، وكان شوكًا فى أعين المخالفين، وحجة لأهل السنة. وانظر رده على الفرق

الضالة والمخالفة لأهل السنة فى هذا التفسير، وقد أكثر من الرد على القدرية كما فى (١/٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٤٢١ ، ٤٥١)، (٢/١٥٢ - ١٥٣، ١٩٦) و(٣/٨٣، ٩١، ٩٩ - ١٠٠، ١٣١، ١٧١، ٢٣١) وغير ذلك كثير، وقد صنف فى الرد على القدرية كتابًا منفصلاً يزيد على عشرين جزءاً.

وأكثر أيضًا من الرد على المعتزلة، والجهمية، والخوارج، والكرامية، والشيعة، والروافض، ومن قال بتناسخ الأرواح.

كما تجد هذا مبسوطًا فى تفسيره، والمقام لا يسمح بالتفصيل أكثر من هذا.

ونختم الكلام على عقيدته - رحمه الله - بذكر ما نقله عنه تلميذه النجيب النابغ، والإمام الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهانى صاحب كتاب «الترغيب والترهيب»، وكتاب «سير السلف الصالح»، والذى جعل كلام المصنف أصلاً من أصوله فى إثبات عقيدة أهل السنة، والرد على المبتدعة، وذلك فى كتابه «الحجة فى بيان المحجة فى شرح عقيدة أهل السنة».

والذى أكثر فيه من النقل عن أبى المظفر السمعانى فى العقيدة، والحديث.

فقد نقل عنه فى كتابه (١/٣٢٠ - ٣٢٢) ما نصه:

«واعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع، والمأثور تبعًا للمعقول، وأما أهل السنة قالوا: الأصل فى الدين الاتباع؛ والمعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحى، وعن الأنبياء، ولبطل معنى الأمر والنهى، ولقال من شاء ما شاء، ولو كان الدين بنى على المعقول لجاز للمؤمنين ألا يقبلوا شيئًا حتى يعقلوا! ونحن إذا تدبرنا عامة ما جاء فى أمر الدين من ذكر صفات الله وما تعبد الناس به من اعتقاده، وكذلك ما ظهر بين المسلمين، وتداولوه بينهم، ونقلوه عن سلفهم، إلى أن أسندوه إلى رسول الله ﷺ من ذكر عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، والحوض، والميزان، والصراط، وصفات الجنة، وصفات النار، وتخليد الفريقين فيهما؛ أمور لا ندرك حقائقها بعقولنا، وإنما وَرَدَ الأمر بقبولها، والإيمان بها، فإذا سمعنا شيئًا من أمور الدين، وعقلناه، وفهمناه، فلله الحمد فى ذلك والشكر، ومنه التوفيق، ومالم يمكننا إدراكه

وفهمه، ولم تبلغه عقولنا؛ آمنا به، وصدقنا، واعتقدنا أن هذا من قبل ربوبيته، وقدرته، واكتفينا فى ذلك بعلمه ومشيئته، قال الله – تعالى –: ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ [ البقرة: ٢٥٥ ].

ثم نقول لهذا القائل الذى يقول بُنَى ديننا على العقل وأمرنا باتباعه: أخبرنا إذا أتاك أمر من الله يخالف عقلك، فبأيهما تأخذ؟ بالذى تعقل أو بالذى تؤمر؟ فإن قال: بالذى أعقل؛ فقد أخطأ، وترك سبيل الإسلام، وإن قال: آخذ بالذى جاء من عند الله فقد ترك قوله.

وإنما علينا أن نقبل ما عقلناه إيمانًا وتصديقًا، ومالم نعقله، قبلناه استسلامًا وتسليمًا، وهذا معنى قول القائل من أهل السنة: إن الإسلام قنطرة لا تعبر إلا بالتسليم!

فنسأل الله التوفيق فيه، والثبات عليه، وأن يتوفانا على ملة رسول الله ﷺ، بمنه وفضله ».

ونقل عنه أيضا فى الحجة ( ٢ / ٣٠ – ٣١ ) فى باب القدر:

قد ذكرنا أن سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من قبل الكتاب والسنة، دون محض القياس ومجرد المعقول فمن عدل عن التوقيف فى هذا الباب ضل وتاه فى بحار الحيرة ولم يبلغ شفاء النفس، ولا وصل إلى ما يطمئن به القلب، وذلك لأن القدر سر من سر الله وعلم من علمه، ضربت دونه الأستار وكفت عليه الأزرار، واختص الله به علام الغيوب، حجبه عن عقول البشر ومعارفهم لما علم من الحكمة، وسبيلنا أن ننتهى إلى ما حدّ لنا فيه، وألا نتجاوز إلى ما وراءه، فالبحث عنه تكلف، والاقتحام فيه تعمق وتهور.

قال: وجماع هذا الباب أن يعلم أن الله تعالى طوى عن العالم علم ما قضاه وقدره على عباده فلم يطلع عليه نبيا مرسلا، ولا ملكا مقربا؛ لأنه خلقهم ليتعبدهم ويمتحنهم قال الله – تعالى – ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾[1]، وقد نقلنا عن على رضى الله عنه: أنه خلقهم ليأمرهم بالعبادة.

---

( ١ ) الذاريات: ٥٦.

فلو كشف لهم عن سر ما قضى وقدر لهم وعليهم فى عواقب أمورهم لا فتتنوا، وفتروا عن العمل، واتكلوا على مصير الأمر فى العاقبة فيكون قصاراهم عند ذلك أمن أو قنوط، وفى ذلك بطلان العبادة وسقوط الخوف والرجاء، فلطف الله سبحانه بعباده وحجب عنهم علم القضاء والقدر، وعلقهم بين الخوف، والرجاء، والطمع، والوجل، ليبلو سعيهم واجتهادهم، وليميز الله الخبيث من الطيب، ولله الحجة البالغة. اهـ.

ونقل الأصبهانى أيضا عنه فى الحجة ( ٢ / ٥١ - ٥٢ ).

فقد دعا الله الخلق إلى الوحدانية والأقدار معًا: فالتوحيد لوحدانيته، والتقدير لربوبيته، والإذن قدرته. فكما لا يجوز إبطال وحدانيته، كذلك إبطال ربوبيته وقدرته. وهو التقدير والإذن، وكذلك قالوا: كما لا يجوز الركون إلى الدنيا، كذلك لا يجوز ابطالها حتى يكتسب بها النظر إلى التقدير والإذن.

فالأبدان كلها مضطرة إلى الأسباب أبدًا، وذلك فى أهل السموات والأرض اضطرهم الله جميعًا إلى الأسباب وإن تفاوتت وجوهها فى قلتها وكثرتها، وزيادتها ونقصانها.

وأما القلوب فإنها مضطرة إلى مسبب الأسباب وحده، أما ترى أن أهل الدنيا اضطروا إلى الأسباب من الأمكنة، والأغذية، واللباس وسائر ما يرجع إلى معاشهم، فهذا لأبدانهم، واضطرت القلوب إلى أن الله تعالى وحده خالق الدنيا ومالكها، وإن الأسباب عاملة بإذن الله، فما أذن الله - تعالى - لشىء كان من غير سبب، وإذا لم يأذن للسبب لم يعمل.

فالنار بإذنه تُحرق، فإذا أذن لها أن تمتنع من الإحراق امتنعت، كما أذن لنار إبراهيم عليه السلام.

والماء بإذنه يُغرق، فإذا أذن له أن يمتنع من الإغراق امتنع، كما أذن له فى إغراق فرعون وقومه، ومنعه من إغراق موسى وقومه... الخ.

ونقل الأصبهانى عنه أيضا فى الحجة ( ٢ / ٢١٥ - ٢١٦ ) قوله فى أخبار الآحاد:

إن الخبر إذا صح عن رسول الله ﷺ ورواه الثقات والأئمة، وأسندوه: خلفهم عن

سلفهم إلى رسول الله ﷺ وتلقته الأمة بالقبول؛ فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم هذا قول عامة أهل الحديث والمتقنين من القائمين على السنة، وإنما هذا القول الذى يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال، ولابد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به شيء اخترعته القدرية والمعتزلة، وكان قصدهم منه رد الأخبار، وتلقفها منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم علم فى العلم وقدم ثابت، ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول، ولو أنصفت الفرق من الأمة لأقروا بأنّ خبر الواحد يوجب العلم، فإنهم تراهم مع اختلافهم فى طرائقهم وعقائدهم يستدل كل فريق منهم على صحة ما يذهب إليه بالخبر الواحد.... الخ.

هذا كان مجمل اعتقاده – رحمه الله – وهو اعتقاد أهل السنة والجماعة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – «إن سلف الأمة، وأئمتها كانوا على الإيمان الذى بعث الله به نبيه ﷺ، يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ويقولون: إن القرآن كلام الله تعالى، ويصفون الله بما وصف به نفسه من التكليم، والمناجاة، والمناداة، وما جاءت به السنن، والآثار موافقة لكتاب الله – تعالى –» انظر مجموع الفتاوى (٦/٥١٨).

## التوصيف العلمى للنسختين الخطيتين

اعتمدنا فى تحقيقنا لتفسير أبى المظفر السمعانى على نسختين خطيتين، وهما كالآتى:

أولا: النسخة الأزهرية، وهى نسخة مصورة عن النسخة المحفوظة بالمكتبة الأزهرية تحت رقم (٢٠٩٥) تفسير، وهى تقع فى مجلدين كبيرين.

فأما المجلد الأول فيقع فى (٢٢٨) ورقة، ويبدأ من تفسير سورة الفاتحة، وينتهى عند تفسير قوله تعالى من سورة الإسراء ﴿ ... وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾[1].

والمجلد الثانى يقع فى (٣٢٩) ورقة، يبدأ من تفسير سورة مريم إلى آخر القرآن الكريم.

والنسخة كتبت بخط نسخ معتاد، ولا يعرف تاريخ نسخها، ولا اسم ناسخها.

والورقة من وجهين، وعدد أسطر الوجه (٢٥) سطراً، ومتوسط عدد الكلمات فى السطر الواحد (١٦) كلمة.

وقد سقط من النسخة أواخر تفسير سورة الإسراء من قوله: ﴿ ... وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ إلى آخر السورة، وتفسير سورة الكهف كاملة.

وقد ضبط ناسخها بعض الكلمات بالشكل، وكان إذا أخطأ أو سقط منه شىء يستدركه فى الهامش، ويضع فى آخر علامة «صح». ويضع خطًا فوق الآيات التى يفسرها المصنف، وذلك فى الأغلب من التفسير.

ولكن الناسخ – عفا الله عنه – لم يكن من الحاذقين فى هذا الفن؛ فلقد تحرفت وتصحفت عليه كثير من الكلمات، وقد نبهنا عليها فى الهامش.

كما توجد فى حواشى النسخة تعليقات لبعض المتأخرين، وهى بثلاثة خطوط مختلفة، ولم يذكروا أسماءهم، ولا تاريخ كتابتها.

---

(١) الاسراء: ٨٥.

ولقد اعتمدنا عليها فى عملنا كأصل، لقدم نسخها وقلة أخطائها بالمقارنة بالنسخة الأخرى.

ثانيا: نسخة دار الكتب، وهى نسخة مصورة عن النسخة المحفوظة بخزانة دار الكتب المصرية، تحت رقم ١٣٦ تفسير، وهى تقع فى ثلاثة مجلدات.

المجلد الأول ويبدأ من تفسير فاتحة الكتاب وينتهى بنهاية تفسير سورة التوبة، ويقع هذا المجلد فى ( ٢٥٩ ) ورقة.

والمجلد الثانى: يبدأ بتفسير سورة يونس وينتهى بنهاية تفسير سورة القصص ويقع فى ( ٢٦٢ ) ورقة.

والمجلد الثالث: يبدأ بتفسير سورة العنكبوت إلى نهاية التفسير ويقع فى ( ٣٣٠ ) ورقة.

ومقاس الورقة ٢٠ X ٣٠سم، والورقة من وجهين، وعدد الأسطر فى الوجه الواحد ٢٧ سطرا، ومتوسط عدد الكلمات فى السطر الواحد ( ١٢ ) كلمة.

وقد نسخت سنة ( ١٢٧١هـ)، ولم يذكر اسم الناسخ.

وكتبت الآيات بالمداد الأحمر؛ ليميزها عن كلام المصنف، ووضع فى بداية كل مجلد فهرس فى جدول وضع فيه أسماء السور وأرقامها وقد سقط من النسخة أيضا نفس السقط من النسخة الأولى.

ولم يكن ناسخ هذه النسخة من الحاذقين فى هذا الفن، فلقد تحرفت وتصحفت عليه الكثير من الكلمات وسقطت منه الأسطر والكلمات وكثر ذلك منه فى كتابته.

وقد نبهنا على بعض ذلك فى عملنا، وأعرضنا عن أكثره خشية الإطالة، ولعدم جدواها.

وهذه النسخة غير مأخوذة عن النسخة السالفة يقينا، فلقد جبرنا منها بعض السقط، منها ثلاث ورقات كاملة فى تفسير سورة آل عمران، وقد سقطن من النسخة السابقة، وغير ذلك من الأمثلة التى يحدها القارىء بطول الكتاب والله أعلم.

وقد رمزنا لها فى عملنا بالرمز « ك ».

## توثيق نسبة الكتاب لمصنفه

( ١ ) ذكر العلماء أن للسمعانى كتاب التفسير منهم :

حفيده أبو سعد بن السمعانى فذكر أن جده : صنف التفسير .

الذهبى، وقد نقل ذلك عن حفيده أيضًا : وأن تفسيره ثلاث مجلدات .

ابن كثير قال : وصنف التفسير .

السبكى، نقل أيضًا عن حفيده : صنف التفسير .

الداودى قال : أن للسمعانى كتاب التفسير، نقلا عن حفيده .

ابن العماد قال عنه : وله تفسير جيد حسن .

وغيرهم، فلا يكاد يترجم أحد له إلا ويذكر أن له كتاب التفسير .

( ٢ ) كتب على غلاف النسختين؛ تفسير الإمام العلامة السمعانى . وكتب فى أول الكتاب بعد الحمد لله . . . قال الشيخ الإمام الأجل الزاهد جمال الأئمة أبو المظفر منصور بن محمد السمعانى . . وكذلك كان كثيرا ما يذكر : قال أبو المظفر السمعانى فى طيات الكتاب .

كما أن الأسانيد التى يوردها فى الكتاب هى عن شيوخه وبعض الأحاديث التى يوردها فى التفسير هى بأسانيدها ومتونها فى كتاب الحجة فى بيان المحجة، كما سيأتى .

( ٣ ) وقفنا على كثير من الأحاديث والآثار والأراء لأبى المظفر السمعانى فى كتاب الحجة فى بيان المحجة وهى لتلميذه أبى القاسم الأصبهانى – كما سبق بيان ذلك – يرويها عن شيخه أبى المظفر هى نفسها فى تفسيره وبأسانيده .

ومما سبق يتبين لنا يقينًا أن هذا الكتاب هو لأبى المظفر السمعانى، والله أعلم .

## منهجنا فى التحقيق:-

١- اعتمدنا فى تحقيق الكتاب على نسختين: النسخة الأزهرية، ونسخة دار الكتب المصرية.

٢- اتخذنا من نسخة المكتبة الأزهرية أصلاً فى ضبط النص، فقمنا بقراءتها قراءة متفحصة، ثم قمنا بنسخها.

٣- قمنا بتنظيم النص بما هو متعارف عليه فى عصرنا، من صورة الإملاء، ورسم الكلمات، وغيرنا ما اصطلح عليه النساخ فى رسم بعض الكلمات، مثل تسهيل الهمزات، وكحذف الألف الوسطية فى كثير من الأسماء مثل «سفين = سفيان»، و«الحرث = الحارث»، وغير ذلك.

ومثل حذف الهمزة المتطرفة من بعض الكلمات، مثل «السما = السماء»، «وجا = جاء».

٤- قمنا بضبط النص ضبطًا صحيحًا، وتقسيم الفقرات، ووضع علامات الترقيم، ولم نتوسع فى إيراد الشروح، والتعليقات، واكتفينا بشرح الكلمات الغريبة، وذلك فيما احتجنا إليه فى ضبط النص.

٥- ومما تجدر الإشارة إليه أن أسلوب المصنف كان يتسم ببعض العجمة، وعدم إحسان الربط بين الجمل، وذلك مثل تذكير المؤنث، أو تأنيث المذكر، أو إهمال الفاء السببية، ورواية الشعر بالمعنى أو ما شابه ذلك.

ولعل ذلك وقع من قِبَلْ النساخ، فإن هناك أخطاء؛ لا نظن أنها وقعت من قبل المصنف - رحمه الله -، بل يغلب على الظن أنها من تصرف النساخ، فقمنا بتغيير مالا تحتمله العربية، ونبهنا على ذلك فى الهامش، - هذا فى أول عملنا فى الكتاب - فلما رأينا أن ذلك كثر جداً؛ تركنا التنبيه عليه حتى لا نثقل الحواشى، ولا يُملَّ القارئ، مكتفين بالتنبيه على ذلك فى المقدمة.

٦- قمنا بتخريج الأحاديث المرفوعة مع نقل أقوال أهل العلم فيها ممن أخرجها دون توسع؛ مثل نقل كلام الترمذى، والحاكم، وغيرهما إذا عزونا الحديث إليهم، وما كان من الحديث متفق عليه اكتفينا بالعزو إليهما دون غيرهما.

٧- لم نتعمد تخريج الموقوفات، والآثار، حيث إن هذا كثير جدا لأن جُلَّ التفسير

يعتمد على نقل أقوال الصحابة، والتابعين فى تفسير الآيات، أو ذكر أسباب النزول، أو ما شابه، ولكن ما احتجنا إلى تخريجه، أثناء ضبط المتن، ونحوه ذكرناه.

٨ قمنا بعمل فهارس للأحاديث، والأشعار، والمباحث الفقهية، والعقائدية، حتى يسهل الرجوع إلى موضعها من الكتاب، واستغنينا عن عمل فهارس للموضوعات، لأننا قمنا بوضع آيات المصحف بأرقامها، وأسماء السور فى أعلى الصفحات، مما يستغنى به عن وضع فهرس للموضوعات فى آخر كل مجلد.

٩- قمنا بعمل مقدمة للكتاب اشتملت على ترجمة للمصنف وبيان عقيدته واشتملت أيضًا على وصف المخطوطات، وصور بعض الورقات، منها، وتوثيق نسبة الكتاب للمصنف، وذكر منهجنا فى التحقيق.

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نشكر كل من أسهم فى إخراج هذا السفر العظيم من إخواننا الباحثين فى دارنا؛ دار المشكاة، ونخص بالذكر منهم الأخ الفاضل أبا عبد الله حسين بن عكاشة، والأخ الفاضل الدكتور أشرف بن سعيد، والأخ الفاضل الأستاذ عبد القوى زيد، ونسأل الله العظيم أن يجعل ذلك فى ميزان حسناتنا، وأن يجعله خالصًا لوجهه العظيم.

هذا، وما كان من عيب أو خلل فمن أنفسنا والشيطان، وما كان من توفيق فمن الله وحده فله الحمد والشكر.

*وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين*

**شوال ١٤١٧ من هجرة المصطفى ﷺ**

**دار المشكاة**

**للبحث العلمى**

# صور للنسختين الخطيتين
# اللتين اعتمدنا عليهما
# فى
# إخراج هذا السفر العظيم

الورقة الأولى من النسخة الأزهرية

الورقة الأخيرة من النسخة الأزهرية

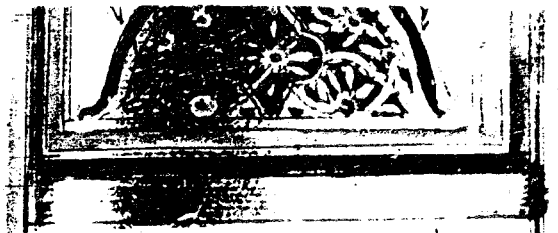

بسم الله الرحمن الرحيم

قدمه بالحامدين والعاقبة للمتقين والصلاة على رسوله محمد واله اجمعين
وبعد وبالله التوفيق انه

قول في تفسير فاتحة الكتاب

ما روى رجل لزاهد جار الله ابو القاسم محمود بن محمد الخوارزمي
رحمه الله قدم له لهذه السورة اربعة اسامي فاتحة الكتاب
وام القرآن وسبع مثاني والسبع من المثاني بروايته عبد حدي عن
علي عن ابيه عنه انه فاتحة كتاب فلان بها افتتح الكتاب وهو
العرب وام مرتجل وبها اصل القرآن منها يبدي القرآن وام الشيء
اصله ومنه يقال لمكة ام القرى لانها اصل البلاد وام السبع المثاني لانها
سبع ايات باتفاق الآيه الا في رواية شاذة انها ثمان ان سميت
مثاني لانها تثنى في الصلاة فمن قرأ في كل ركعة وقال مجاهد انما سميت
مثاني لان الله تعالى استثناها لهذه الامة كما اوعاها لهم ولم
يعطها احدا من الامم واما السبع من المثاني ففيه قولان احدهما
انها سبع ايات مخصوصة من المثاني وهو القرآن قال الله تعالى
كتابا متشابها مثاني والثاني سميت القرآن مثاني لاشتماله على
علوم رشاة من الوعد والوعيد والامر والنهي وغيرها والمثاني
والثاني في بيان السبع من المثاني هو السبع المثاني ومن فتح الصلة
واما شاهد الخلاف من قوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من
المثاني ثم اعلم ان هذه السورة يكنيه على قول ابن عباس
جواز صلاته في صلاته وقال ابن [illegible]

قوله بسم الله الرحمن الرحيم [illegible] العلماء وهو مروي عن ابن عباس وعرمة ومن تابعه ومنها على قول
البعض وهذا مذكور ليله في الفقه له علم ان الباء في قوله بسم الله
اداة محذوف لخفض ما بعدها والكلام متصل من وجه وفي وعلى
واما الها والمعنى المتلفظ بالسادة الله مستعين وبه ابدا بسم
الله اوبدا ان بسم الله وقوله بسم الله اصله باسم الله كقوله قرأ
باسم ربك والف في الكتب زائدة في الخط وقيل ما حذفت
لكثرة الاستعمال فخففوا ولانه كثر سقوطها فاستغنوا عنها بخلاف
قوله اقرأ باسم ربك وتقاربه ربك ذاكر تكثر اسم ربك فتطولوا
في استعمال الاسم قال المبرد وجماعة البصريين اسم مشتق من
السمو وهو العلو والظهور وكانه ظهر على مسماه وعلى عليه وعلا عليه
عنه وقال قطرب من الوسم وهو السمة وسمي بذلك لانه
علامة لمسماه والاول اولى لان اسم صغر على السمي ولو كان
مشتقا من السمة لكان تصغيره على الوسم كما قالوا في وصل وصيل وفي
موعد الوعد وعد واما قول الله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في
كيانك هو اسم علم خاص لله تعالى وهو اشتقاق له وهو كما سماه علم من
العباد مثل زيد وعمرو ونحوه وهو اختيار القفال الشاشي وجماعة من اهل
العلم وقال الباقون هو اسم مشتق في موضع الاشتقاق ثم اختلفوا فيه
انه مشتق من قولهم اله الفتى اذا عبد عباده وقرأ ابن عباس ويذرك
الهتك اي عبادتك وقال ابن كيسان هو المقدم على ما تقدم ومنه قول القائل
سبق واستوجب من بالله اي تقدم فيكون معناه المستحق لعباده
اليه توجه كل العباد في حوائجهم وضروراتهم وقيل هو من كون
خالقا لجميع الخلق ارزاقهم مدبرا لامورهم فمعناه راعلم ومن قال ان اصله
اله على فعال واصل الاله ولاه لان الواو انقلبت بالهمز كوشاح واشاح
واشتقاقه من قوله وكان العباد يوالهون الله ويتعبدون اليه ويتضرعون
ويفزعون اليه في الشدائد واما قوله الرحمن الرحيم فقال ابن عباس
هما اسمان رقيقان احدهما ارق من الاخر ومعنى عنه ايضا انه قال

الورقة الأخيرة من نسخة دار الكتب المصرية

# نص الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة على رسوله محمد وآله أجمعين، ولا عدوان إلا على الظالمين، اللهم بارِكْ وَوَفِّقْ.

## القول فى تفسير فاتحة الكتاب

قال الشيخ الإمام الأجل الزاهد جمال الأئمة، أبو المظفر منصور بن محمد السمعانى – رحمه الله تعالى –: اعلم أن لهذه السورة أربعة أسامى: فاتحة الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثانى، والسبع من المثانى، برواية عبد خير، عن على – رضى الله عنه –.

أما فاتحة الكتاب فلأن بها افتتح الكتاب وهو القرآن.

وأما أم القرآن لأنها أصل القرآن، منها بدئ القرآن. وأم الشىء: أصله، ومنه يقال لمكة: أم القرى؛ لأنها أصل البلاد.

وأما السبع المثانى لأنها سبع آيات باتفاق الأئمة؛ إلا فى رواية شاذة أنها ثمان آيات.

وسميت مثانى لأنها تُثنى فى الصلاة فتقرأ فى كل ركعة.

وقال مجاهد: إنما سميت مثانى؛ لأن الله – تعالى – استثناها لهذه الأمة، كأنه أوحى بها لهم، ولم يعطها أحداً من الأمم.

وأما السبع من المثانى ففيه قولان: **أحدهما**: أنها سبع آيات مخصوصة من المثانى وهو القرآن، قال الله – تعالى –: ﴿كتابا متشابها مثانى﴾(١).

وإنما سمى القرآن مثانى؛ لاشتماله على علوم مثناة من الوعد والوعيد، والأمر والنهى، ونحوها.

**والثانى**: أن السبع من المثانى هو السبع المثانى؛ و«مِنْ» فيه للصلة، وإنما نشأ هذا الخلاف من قوله – تعالى –: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثانى﴾(٢).

ثم اعلم أن هذه السورة مكية على قول ابن عباس، وقال مجاهد: هى مدنية.

وقيل: نزلت مرتين مرة بمكة، ومرة بالمدينة؛ ولذلك سميت مثانى؛ لأنها ثنيت فى التنزيل، وهذه رواية غريبة.

(١) الزمر: ٢٣.

(٢) الحجر ٨٧.

## بِسْمِ اللَّهِ

قوله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ آية من الفاتحة على قول بعض العلماء، وهو مروى عن ابن عباس وأم سلمة.

وليس بآية منها على قول البعض. وهذا مذكور بدليله فى الفقه. ثم اعلم أن الباء فى قوله: ﴿بسم الله﴾ أداة يخفض مابعدها من الكلام، مثل: من، وعن، وفى، وعلى، وأمثالها.

والمعنى المتعلق بالباء لدلالة الكلام عليه، وتقديره: «أبدأ بسم الله»، أو: «بدأت بسم الله».

وقوله: ﴿بسم الله﴾ أصله باسم الله، كقوله: ﴿اقرأ باسم ربك﴾[1]، وإنما حذف الألف فى الكتابة؛ لأنه (لا يظهر)[2] فى اللفظ.

وقيل: إنما حذفت لكثرة الاستعمال تخفيفًا؛ ولأنه كثر استعمالها؛ فاستخفوا حذفها، بخلاف قوله: ﴿اقرأ باسم ربك﴾[1]، ونظائره لأن هناك لم يكثر الاستعمال.

ثم اختلفوا فى اشتقاق الاسم. قال المبرد وجماعة البصريين: الاسم مشتق من السمو، وهو العلو والظهور، فكأنه ظهر على معناه وعلا عليه، وصار معناه تحته.

وقال ثعلب من الكوفيين: هو مشتق من الوسم والسمة، فكأنه علامة لمعناه. والأول أولى؛ لأن الاسم يصغر على المسمى. ولو كان مشتقًا من السمة، لكان يصغر على الوسم، كما يقال فى الوصل: وُصَيْل، وفى الوعد: وُعَيْد.

وأما قوله[3]: ﴿الله﴾ - تعالى- فقد اختلفوا فيه، فقال الخليل، وابن كيسان: هو اسم علم خاص لله - تعالى - لا اشتقاق له، وهو كأسماء الأعلام للعباد، مثل:

(١) العلق: ١.

(٢) في النسخة «ك»: لا تظهر.

(٣) فى «ك»: قول.

## الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

زيد، وعمرو، ونحوه. وهو اختيار القفال الشاشى، وجماعة من أهل العلم.

وقال الباقون: هو اسم مشتق، [و][1] فى موضع الاشتقاق قولان: أحدهما: أنه مشتق من قولهم: أَلِهَ إلاهَةً، أى: عَبَدَ عبادة. وقرأ ابن عباس: «ويذرك وإلاهتك»[2] أى: عبادتك.

ويقال للناسك المتعبد مُتَأَلِّه، ومنه قول القائل:

**سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِ**[3]

أى: تَعَبُّد، فيكون معناه أنه المستحق للعبادة، إليه توجه كل العبادات، وأنه المعبود فلا يعبد غيره.

وقيل: الإله من يكون خالقًا للخلق، رازقًا لهم، مدبرًا لأمورهم، مقتدرًا عليهم.

**والثانى**: أن «الله» أصله إله، وأصل الإله: وِلاه؛ إلاَّ أن الواو أبدلت بالهمزة. كقولهم: وشاح وإشاح.

واشتقاقه من الوَلَه، وكأن العباد يولهون الله، ويفزعون إليه ويتضرعون ويلجأون إليه فى الشدائد.

وأما قوله: ﴿الرحمن الرحيم﴾ قال ابن عباس: هما اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر.

وحكى عنه أيضاً أنه قال: «الرحمن»: الرفيق بالعباد، و«الرحيم» العاطف عليهم.

ثم اختلفوا فيه، فقال بعضهم: «الرحمن» غير «الرحيم» ولكل واحد منهما معنى

---

(١) ليست فى الأصل، وك.

(٢) الأعراف: ١٢٧.

(٣) كتب فى حاشية الأصل بخط مغاير لخط الناسخ: وأوله: لله دَرُّ الْغَانِيَاتِ الْمُدَّهِى.

غير معنى صاحبه. وقال بعضهم: هما واحد.

فأما من قال: «الرحمن» غير «الرحيم»، قال: للرحمن معنى العموم، وللرحيم معنى الخصوص، فعلى هذا «الرحمن» بمعنى الرازق فى الدنيا، والرزق على العموم للكافر والمؤمن، و«الرحيم» بمعنى العافى فى الآخرة، والعفو فى الآخرة على الخصوص للمؤمنين دون الكافرين. ولذلك قيل فى الدعاء: «يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة»(١). «فالرحمن» من تصل رحمته(٢) إلى الخلق على العموم، و«الرحيم» من تصل رحمته إلى الخلق على الخصوص؛ ولذلك يُدْعَى غير الله رحيمًا، ولا يدعى رحماناً؛ لأن الله - تعالى - هو الذى تصل رحمته إلى الخلق، كأنه كما قال تعالى: ﴿ورحمتى وسعت كُلَّ شىء﴾(٣). وأما غير الله قد يخص شيئًا بالرحمة؛ فيكون بذلك رحيمًا.

وأما من قال: إن معناهما واحد؛ فقد قال قطرب: هما اسمان، ذكر أحدهما

(١) روى عن ابن مسعود وأبى سعيد الخدرى مرفوعاً: «أن عيسى ابن مريم قال: الرحمن، رحمن الآخرة والدنيا، والرحيم رحيم الآخرة. رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره ه(١/ ٤٣).

وروى أيضا من حديث عبد الرحمن بن سابط مرفوعًا ولكن لفظه: «... ورحمن الدنيا والآخرة ورحيمها». أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (١٠/ ٤٤١).

وأخرجه الحاكم فى المستدرك (١/ ٥١٥)، والبيهقى فى الدلائل (٦/ ١٧١ - ١٧٢) عن أبى بكر الصديق مرفوعًا. وفيه «... رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها»..

وقال الحاكم: صحيح وتعقبه الذهبى بأن فى إسناده الحكم بن عبد الله الأيلى ليس بثقة.

وأورده السيوطى فى الدر المنثور (١ / ١٥) وعزاه للبزار والبيهقى فى الدلائل وقال: إسناده ضعيف.

وأورده الهيثمى فى المجمع (١٠ / ١٨٩) وقال: رواه البزار، وفيه الحكم بن عبد الله الأيلى، وهو متروك.

وفى الباب عن معاذ بن جبل، وأنس بن مالك وغيرهم. انظر الدر المنثور (٣ / ١٦ - ١٧).

(٢) زاد فى «الأصل»، و«ك»: «إليه» قبل كلمة: «رحمته». وهى زيادة مقحمة.

(٣) الأعراف: ١٥٦.

## الْحَمْدُ للَّه

تأكيداً للآخر، مثل: لهفان، ولهيف، وندمان، ونديم.

وقال المبرد: (هذا تمام بعد إتمام)[1]، وتفضل بعد تفضل، وتطميع لقلوب الراغبين، ووعد لا يخيب آمله، ومعناه: ذو الرحمة، والرحمة [هى][2] الإنعام والتفضل.

قوله: ﴿الحمد لله﴾ اعلم أن الحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة، ويكون بمعنى التحميد والثناء على الأوصاف المحمودة. يقال: حمدت فلانًا على ما أسدى إلىَّ من النعمة. ويقال: حمدت فلانًا على شجاعته وعلمه. وأما الشكر لا يكون إلاَّ على النعمة؛ فللْحمدِ معنىً عامٌّ، وللشكر معنى خاصٌّ. فكل حامد شاكر، وليس كل شاكر حامداً.

يقال: حمدت فلانًا على شجاعته. ولا يقال: شكرت فلانًا على شجاعته.

ثم اعلم أن حمد الله - تعالى - لنفسه حسن لا كحمد المخلوقين لأنفسهم؛ لأن [[حمد][3] المخلوقين لا يخلو عن نقص؛ فلا يخلو مدحه نفسه عن كذب؛ فيقبح منه أن يمدح نفسه. وأما الله - جل جلاله - برىء عن النقص والعيب؛ فكان مدحه نفسَه حسنًا.

وقوله: ﴿الحمد لله﴾ هاهنا يحتمل معنيين: الإخبار، والتعليم. أما الإخبار كأنه يخبر أن المستوجب للحمد هو الله، وأن المحامد كلها لله - تعالى -.

وأما التعليم كأنه حمد نفسه وعلَّم العباد حَمْدَه، وتقديره: «قولوا: الحمد لله».

وقوله: ﴿لله﴾ فاللام تكون للإضافة، وتكون للاستحقاق، يقال: أكل للدابة،

(١) كذا فى «ك» ووقع فى «الأصل»: هذا نعام بعد إنعام.

(٢) فى «الأصل، و ك»: هو.

(٣) ليست فى «الأصل»، والسياق يقتضيها.

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾

والدار لزيد، فاللام هاهنا بمعنى الاستحقاق، كأنه يقول: المستحق للحمد هو الله - تعالى -، وقد فرغنا عن تفسير قوله: ﴿لله﴾.

﴿رب العالمين﴾ وأما الرب يكون بمعنى التربية والإصلاح، ويكون بمعنى المالك. يقال: رب الضيعة يربيها، أى: أتمها وأصلحها. ويقال: رب الدار لمالك الدار. فالرب هاهنا يحمل كلا المعنيين؛ لأن الله - تعالى - مربى العالمين، ومالك العالمين.

وأما ﴿العالمون﴾ قال ابن عباس: هم الجن والإنس. وقال الحسن وقتادة، وأبو عبيدة: هم جميع المخلوقين. وقيل: الأول أولى؛ لأن الخطاب مع المكلفين الذين هم المقصودون بالخليقة وهم الجن والإنس. وقيل: الإنس عالم، والجن عالم. والله تعالى - وراءه أربع زوايا، فى كل زاوية ألف وخمسمائة عالم(١).

وقد فرغنا عن تفسير ﴿الرحمن الرحيم﴾ وإنما ذكره ثانياً لفائدة التوكيد.

قوله: ﴿مالك يوم الدين﴾ يقرأ بقراءتين: «مَالك، وملك». قال أبو حاتم السجستانى: «مالك» بالألف أولى؛ لأنه أوسع وأجمع، يقال: مالك الدار، ومالك الطير، ومالك العبد، ولا يستعمل منها اسم الملك.

وقال أبو عبيد، والمبرد: «ومَلك» أولى؛ لأنه أتم، فإن «الملك»(٢) يجمع معنى «المالك»، والمالك لا يجمع معنى الملك، فإن كل ملك مالك، وليس كل مالك ملكًا، ولأنه أوفق لألفاظ القرآن، مثل قوله - تعالى -: ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾(٣)، وقوله: ﴿لمن الملك اليوم﴾(٤) ونحو ذلك فمالك: من الملْك والملكة، ومَلك من المُلك

(١) هذا مروى عن أبى العالية من قوله، من طريق أبى جعفر الرازى: عن الربيع بن أنس عنه كما فى تفسير الطبرى (١/ ٤٩). قال ابن حبان فى ترجمة الربيع بن أنس من الثقات (٤/ ٢٢٨): الناس يتقون من حديثه ما كان من رواية أبى جعفر عنه. قلت: ومثل هذا لايثبت إلا بما صح عن النبى ﷺ مرفوعًا.

(٢) تكررت من الناسخ فى «الأصل، و ك».

(٣) المؤمنون: ١١٦.

(٤) غافر: ١٦.

## إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

والملكة، والله – تعالى – مالك، وملك.

وأما ﴿اليوم﴾ اسم لزمان معلوم، والمراد بيوم الدين: يوم القيامة، ومعناه: يوم الحساب، ويوم الجزاء. وقد يكون الدين بمعنى الطاعة وبمعانٍ شتى، ولكنه ها هنا على أحد المعنيين. فإن قال قائل: لِمَ خص يوم الدين بالذكر، والله – تعالى – مالك الأيام كلها؟ يقال: إنما خصه لأن الأمر في القيامة يخلص له، كما قال: ﴿والأمر يومئذ لله﴾. وأما في الدنيا للملوك أمر، وللمسلمين أمر، وللأنبياء أمر.

قوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعينُ﴾، أما قوله: ﴿إياك نعبد﴾ بمعنى نحن نعبدك، والعبادة: هي الطاعة مع التذلل والخضوع، يقال: طريق مُعَبَّد: أي مذلَّل، ومعناه: نعبدك خاضعين.

﴿وإياك نستعين﴾ أي: نطلب منك المعونة، فإن قيل: لِمَ قدم ذكر العبادة على الاستعانة؛ والاستعانة تكون قبل العبادة؟ ولِمَ ذكر قوله: إياك مرتين، وكان يكفي أن يقول: إياك نعبد ونستعين؛ فإنه أوجز وألخص؟ يقال: أما الأول فإنما يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل، ونحن بحمد الله نجعل الاستعانة والتوفيق مع الفعل، سواء قرنه به أم أخَّره جاز.

أو يقال: لأن الاستعانة نوع تَعَبُّدٍ، فكأنه ذكر جملة العبادة، ثم ذكر ماهو من تفاصيلها.

وأما قوله: ﴿وإياك نستعين﴾ إنما كرره لأنه لو اقتصر على قوله: إياك نعبد ونستعين؛ ليعلم أنه المعبود، وأنه المستعان، وعلى أن العرب قد تتكلم بمثل هذا، قد يدخل الكلام تجريداً أو تفخيماً وتعظيماً. ولا يعد ذلك عيباً، كما تقول العرب: «هذا المال بين زيد، وبين عمرو»، وإن كان يفيد قولهم: «المال بين زيد، وعمرو». مايفيد الأول، ولا يعد ذلك عيباً في الكلام؛ بل عد تفخيماً وتجزيلا في الكلام.

## اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾

قوله: ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ يعنى: أَرْشِدْنا، وثَبِّتْنَا.

والهداية فى القرآن على معان، فتكون الهداية بمعنى الإلهام، وتكون بمعنى الإرشاد، وتكون بمعنى البيان، وتكون بمعنى الدعاء.

أما الإلهام، قال الله - تعالى -: ﴿ ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ﴾[1] أى: ألهم.

وأما الإرشاد، قوله - تعالى -: ﴿ واهدنا إلى سواء الصراط ﴾[2].

وأما البيان قوله: ﴿ وأما ثمود فهديناهم ﴾[3] أى: بينَّا لهم.

وأما الدعاء، مثل قوله - تعالى -: ﴿ ولكل قوم هاد ﴾[4] أى: داع، فهو بمعنى الاسترشاد ها هنا.

فإن قال قائل: أى معنى للاسترشاد، وكل مؤمن مهتد، فما معنى قوله: ﴿ اهدنا ﴾؟ قلنا: هذا سؤال من يقول بتناهى الألطاف من الله - تعالى -. ومذهب أهل السنة أن الألطاف والهدايات من الله - تعالى - لا تتناهى، فيكون ذلك بمعنى طلب مزيد الهداية، ويكون بمعنى سؤال للتثبيت، اهدنا بمعنى ثبتنا، كما يقال للقائم: «قم حتى أعود إليك». أى: اثبت قائمًا.

وأما ﴿ الصراط المستقيم ﴾ قال على، وابن مسعود: هو الإسلام. وقال جابر: هو القرآن.

وأصله فى اللغة: هو الطريق الواضح، والإسلام طريق واضح، والقرآن طريق واضح.

---

(١) طه: ٥٠.

(٢) ص: ٢٢.

(٣) فصلت: ١٧.

(٤) الرعد: ٧.

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

وقد قال القائل:

أميرُ المؤمنينَ على صـــــراطٍ إذا اعْـــوَجَّ المـواردُ مستقيمُ

قوله: ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾، قد قرأ عمر – رضى االله عنه –: «صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين» ولكنه فى الشواذ، والمعروف هو القراءة المعهودة.

وقيل: «الذين أنعمت عليهم» هم الأنبياء. وقيل: كل من ثبته الله على الإيمان من النبيين والمؤمنين كافة.

وقال أبو العالية الرياحى: هم الرسول، وأبو بكر، وعمر.

وأما قوله: ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾. **آمين** .فالمغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى.

وروى عن عدى بن حاتم أنه جاء إلى النبى ﷺ ليسلم، وقال: «يارسول الله، من المغضوب عليهم؟ فقال: اليهود. وقال: فمن الضالون؟ فقال: النصارى. قال عدى: أشهد أنى حنيف مسلم. قال عدى: فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل، ويبتسم؛ فرحًا بإسلامى»(١).

وأما «آمين» فليس من القرآن. والسنة للقارئ أن يقف وقفة، ثم يقول: آمين.

وفيه لغتان: آمين بالمد، وأمين بالقصر. ومعناه: اللهم استجب. وقيل: إنه طابع الدعاء.

---

(١) أخرجه الترمذى فى السنن بنحوه مطولا (٥ / ١٨٦ – ١٨٧ / رقم ٢٩٥٣، ٢٩٥٤) وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب. وأحمد فى مسنده (٤ / ٣٧٨ – ٣٧٩) وسعيد بن منصور فى سننه (٢ / ٥٣٧ رقم ١٧٩) وابن جرير فى التفسير (١ / ٦١)، وابن أبى حاتم فى التفسير (١ / ٢٣ رقم ٤٠). والطبرانى فى الكبير (١٧ / ٩٩ – ١٠٠ رقم ٢٣٧). وابن حبان فى صحيحه – الإحسان – (١٤ / ١٣٩ – ١٤٠ رقم ٦٢٤٦)، (١٦ / ١٨٣ – ١٨٤ رقم ٧٠٢٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

## القول فى تفسير سورة البقرة

اعلم أن سورة البقرة مدنية باتفاق الأئمة، وحكى عن بعض العلماء أنه قال: يكره تسميتها بسورة البقرة، والأولى أن يقال: السورة التى يذكر فيها البقرة، وكذا فى سائر السور من أمثالها. والأصح أنه يجوز؛ لما روى عن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه رمى جمرة العقبة من بطن الوادى ثم قال: هذا والله مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة.

وروى عبد الله بن بريدة، عن أبيه، عن النبى ﷺ أنه قال: «تعلموا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولايستطيعها البطلة»(١) أى: السحرة. وفى هذا دليل على فضيلة هذه السورة، وعلى جواز تسميتها سورة البقرة، وسمى بعض المتقدمين هذه السورة: فسطاط القرآن؛ لشرفها وفضلها.

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (٥/ ٣٤٨، ٣٦١) والدارمى (٢/ ٥٤٣ رقم ٣٣٩١)، والحاكم فى المستدرك (١/ ٥٦٠) وقال صحيح على شرط مسلم، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٦٢): رجاله رجال الصحيح. والحديث رواه الإمام مسلم فى صحيحه من حديث أبى أمامة (٦/ ١٣٠ رقم ٨٠٤) ولفظه: «اقرءوا ...».

## ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ﴾

قوله – تعالى –: ﴿ الٓمٓ ﴾ قال الشعبى وجماعة من المتقدمين، فى هذا وسائر حروف التهجى فى فواتح السور: والفائدة فى أوائل السور لا (يعلم)[1] معناها، وهى سر القرآن، ولكل كتاب سر، وسر القرآن حروف التهجى من فواتح السور، والفائدة من ذكرها طلب الإيمان بها، وأن يعلم أنها من عند الله – تعالى –.

وقال غيرهم: هى معلومة المعانى. وقال ابن عباس – رضى الله عنهما –: معنى قوله: ﴿آلم﴾ أنا الله أعلم، وكل حرف يدل على معنى، والألف دليل قوله: «أنا»، واللام دليل قوله: «الله»، والميم دليل قوله: «أعلم».

وكذا قال فى أمثاله، فقال فى ﴿آلمص﴾: معناه: أنا الله أعلم وأفصل. وفى ﴿آلمر﴾: أنا «الله» أعلم وأرى. وفى ﴿آلر﴾: أنا الله أرى.

قال الزجاج: هذا حسن، وبمثله قالت العرب فى قولها. فإن العرب قد تأتى فى كلامها بحرف وتريد به معنى، كما قال القائل:

**قُلتُ لَهـا قِفِى فقالتْ قَافْ[2]  لاتَحسَبِى أنَّا نَسِينَا الإيجَافْ**

ومعنى قولها قاف، أى: وقفت. فدل الحرف على معنى، كذا هذا.

وقال قتادة فى حروف التهجى: إنها اسم للقرآن.

وقال مجاهد: إنها أسماء للسور وقال غيرهم: هو قسم، أقسم الله – تعالى – بهذه الحروف؛ لشرفها وفضلها؛ لأنها مبانى كُتُبِه المنزلة.

قوله – عز وجل –: ﴿ ذلك الكتاب لاريب فيه ﴾، أما قوله: ﴿ ذلك الكتاب ﴾ أى: هذا الكتاب، كما قال القائل:

---

(١) فى «ك»: يعرف.

(٢) البيت هكذا مكسور، وفى تفسير الطبرى (١/ ٧٠): قلنا لها قفى لنا قالت قاف... وجاء فى تفسير القرطبى (١/ ١٥١) كما فى الأصل.

ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾

أَقـولُ لَهُ والرّمْحُ يأْطِرُ مَتْنَهُ تَأَمّــلْ خِفَافـًا إِنّنــى أنا ذَلكَا

[أى][1]: أننى أنا هذا. وقيل: هذا مضمر فيه، ومعناه: هذا ذلك الكتاب الذى وعدتك يامحمد أن أنزله عليك على لسان الذين قبلك، و«هذا» للتقريب و«ذلك» للتبعيد.

فأما ﴿الكتاب﴾ هو القرآن، والكتاب بمعنى المكتوب كما يقال: «ضَرْب الأمير» أى: مضروبه.

﴿لاريب فيه﴾ أى: لاشك فيه. فإن قال قائل: كيف أخبر قال: «لاريب فيه» وقد ارتاب فيه كثير من الناس، وخبر الله - تعالى - لايكون بخلاف مخبره؟ يقال: معناه أنه الحق والصدق لاشك فيه.

وقيل: هو خبر بمعنى النهى، أى: لاترتابوا فيه.

قوله تعالى: ﴿هدى للمتقين﴾ والهدى بمعنى الرشد والبيان.

وأما المتقون مأخوذ من الاتقاء و التقوى. وأصله الحجز بين شيئين، ومنه يقال: اتقى بترسه، أى: جعله حاجزًا بين نفسه وبين ما قصد به من المكروه. وفى الخبر «كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله ﷺ»[2]. أى: «اشتدت الحرب» جعلناه حاجزًا بيننا وبين العدو.

فكأن المتقى يجعل امتثال أمر الله والاجتناب عن نهيه حاجزًا بينه وبين العذاب فيتحرز بطاعة الله عن عقوبة الله.

فإن قال قائل: لِمَ خص المتقين بالذكر وهو هدى لجميع المؤمنين؟ قيل: إنما خصهم بالذكر تشريفًا، أو لأنهم هم المنتفعون بالهدى، حيث نزلوا منزل التقوى دون غيرهم،

(١) فى «الأصل»، و«ك»: إلى.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٢/ ١٦٩ - ١٧٠ رقم ١٧٧٦) من حديث البراء بنحوه.

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾

فلهذا خصهم به.

قوله - تعالى - :﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة﴾

قوله: ﴿الذين﴾ نعت المتقين ﴿يؤمنون﴾ من الإيمان. وهو التصديق، قال الله تعالى: ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾[1] أى: بمصدق لنا.

والإيمان فى الشريعة يشتمل على الاعتقاد بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان. وقيل: الإيمان مأخوذ من الأمان، فسمى المؤمن مؤمناً؛ لأنه يؤمِّن نفسَه من عذاب الله. والله مؤمن؛ لأنه يؤمِّن العباد من عذابه.

﴿بالغيب﴾ قال ابن عباس: الغيب كل ما أمرت بالإيمان به مما غاب عن بصرك، وذلك مثل الملائكة، والجنة، والنار، والصراط، والميزان، ونحوها.

وقال غيره: الغيب ها هنا هو الله تعالى.

وقال ابن كيسان: أراد به القدر. ﴿يؤمنون بالغيب﴾،أى: بالقدر.

﴿ويقيمون الصلاة﴾ أى: يديمون الصلاة. وحقيقة إقامة الصلاة المحافظة على أدائها بأركانها وسننها وهيئاتها.

فالصلاة فى اللغة: الدعاء، وقد ورد فى الخبر: «من دُعِىَ إلى الطعام فَلْيُجِبْ، فإن كان مفطراً فليأكل، وإن كان صائماً فليُصَلِّ»[2]. أى: فليدع. وقد قال الشاعر:

تقولُ بِنْتِى وقد[ قَرُبْتُ ][3] مُرْتَحِلاً ... يارَبَّ جَنِّبْ أَبى الأوصابَ والوَجَعَا

(١) يوسف: ١٧.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه (٩/ ٣٣٤ رقم ١٤٣١) وأبو داود (٢/ ٣٣١ رقم ٢٤٦٠)، وأحمد (٢/ ٥٠٧)، والبيهقى فى الكبرى (٧/ ٢٦٣) من حديث أبى هريرة مرفوعا بنحوه.

(٣) كذا فى تفسير القرطبى (١/ ١٦٤)، ووقع فى «الأصل»، و «ك»: عربت، أوله عين.

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾

عَلَيكِ مِثلُ الذى صَلَّيتُ فاغْتَمِضِى عَيْناً فإن بِجَنْبِ المرءِ مُضْطَجَعَا(١)

معنى قوله: صليت أى: مثل الذى دعوت.

وقيل: الصلاة من الله الرحمةُ، ومن الملائكة الاستغفارُ، ومن الناس الدعاءُ، وهى فى الشريعة تشتمل على أفعال مخصوصة وعلى الثناء والدعاء.

قوله: ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ أما الرزق اسم لكل ما ينتفع به الخلق، فيدخل فيه الولد والعبد.

﴿ ينفقون ﴾ من الإنفاق، وأصله الإخراج، ومنه نفاق السوق؛ لأنه تخرج فيه السلعة ويقال: نفقت الدابة إذا خرجت روحها، فهذه الآية فى المؤمنين من مشركى العرب.

قوله – تعالى –: ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ﴾

وهذه الآية فى المؤمنين من أهل الكتاب؛ لأنهم هم الذين آمنوا بالقرآن وسائر الكتب قبله، وقد روى فى حديث صحيح عن النبى ﷺ أنه قال: «من آمن بالكتب المتقدمة وآمن بالقرآن يؤتى أجره مرتين»(٢). وعليه دل نص القرآن ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين ﴾(٣).

وقوله: ﴿ وبالآخرة هم يوقنون ﴾ فالآخرة هى دار الآخرة. وسميت الدنيا دنيا؛ لدنوها من الخلق، وسميت الآخرة آخرة؛ لتأخرها عن الخلق.

---

(١) وقع هذا الشطر من البيت فى تفسير القرطبى كما يأتى: نوماً فإن لجنب المرء مضطجعًا

(٢) هكذا أورده المصنف بالمعنى كشأنه فى كثير من الأحاديث وأصل الحديث فى الصحيحين من حديث أبى موسى: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبى ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه، فله أجران....». رواه البخارى (١/ ٢٢٩ – رقم: ٩٧) وانظر أطرافه فى ٢٥٤٤، ٢٥٤٧، ٢٥٥١، ٣٠١١، ٣٤٤٦، ٥٠٨٣). ومسلم (٢/ ٢٤٥ – ٢٤٦/ رقم ١٥٤).

(٣) القصص: ٥٤.

أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

﴿هم يوقنون﴾ من الإيقان وهو العلم، وقيل: الإيقان واليقين: علم عن استدلال، ولذلك لايسمى الله تعالى موقناً إذ ليس علمه عن استدلال.

قوله – تعالى –: ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾

فقوله: ﴿أولئك﴾ يعنى الذين وصفهم ﴿على هدى﴾ أى: على رشد وبيان من ربهم. فإن قيل: لم ذكر الهدى ثانيا وقد وصفهم بالهدى مرةً؟ قيل: كرره لفائدة التأكيد. أو يقال: الهدى الأول من القرآن، والهدى الثانى من الله، وفيه بيان أن الهداية من الله – تعالى – ومن كلامه كما هو مذهب أهل السنة.

وأما ﴿المفلحون﴾ من الفلاح، والفلاح يكون بمعنى البقاء. يقال: افلح بما شئت. أى: ابق بما شئت. وقد يكون بمعنى الفوز والنجاة. وأصل الفلاح القطع والشق، ومنه سمى [الزارع][1] فلاحا؛ لأنه يشق الأرض. وفى المثل: «الحديد بالحديد يُفْلَح»، أى: يشق. قال الشاعر:

قدَ عِلْمتَ يَابْنَ أم صَحْصَحِ ... أنَّ الحديدَ بالحديدِ يُفْلَحُ

أى: يشق. فمعنى المفلحين أنهم الباقون فى نعيم الأبد، والفائزون به، والمقطوع لهم بالخير فى الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا﴾ فالكفر مأخوذ من الكَفْرِ وهو الستر والتغطية، ومنه يقال لليل: كافر؛ لأنه يستر الأشياء بظلمته، وسمى الزارع[1] كافرا؛ لأنه يستر الحب بالتراب، ويسمى الكافر كافراً؛ لأنه يستر نعم الله – تعالى – بكفره ويصير فى غطاء من دلائل الإسلام وبراهينه.

وقيل: الكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جحد، وكفر عناد، وكفر نفاق.

(١) فى «الأصل» و «ك»: الزراع.

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

فكفر الإنكار هو أن لايعرف الله أصلاً، أو لا يعترف به.

وكفر الجحد: هو أن يعرف الله – تعالى –، ولكن يجحده، ككفر إبليس.

وكفر العناد: هو أن يعرف الله – تعالى – بقلبه، ويعترف بلسانه، ولكن لايتدين به ولايتخذه دينا، ككفر أبى طالب؛ فإنه عرف الله ورسوله بقلبه وأقر بلسانه حتى قال:

ولقدْ علمْتُ بأنَّ دينَ مُحَمَّدٍ ... مِنْ خَيرِ أَدْيَانِ البَريَّةِ دِينَا

لولا المَلامةُ أو حذارُ مَسبَّةٍ ... لَوجَدْتَنِى سَمْحًا بذاكَ مُبِينَا

وأما كفر النفاق: أن يعترف باللسان ولايعتقد بالقلب؛ فهذه أنواع الكفر؛ فمن لقى الله – تعالى – بنوع منها لم يعف(١).

قوله – تعالى –: ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون﴾

﴿سواء عليهم﴾ أى: مستو عليهم. ﴿أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ أى: خَوَّفْتَهُمْ أم لم تخوفهم. والإنذار: تخويف مع الإعلام.

وقيل: هو أشد التخويف. يعنى: سواء خوفتهم أم لم تخوفهم لا يؤمنون. وردت هذه الآية فى قوم بأعيانهم علم الله – تعالى – أنهم لايؤمنون.

قوله – تعالى –: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾

ذكر فى الآية الأولى أنهم لايؤمنون، وذكر فى هذه الآية عِلَّتَهُ، فقال: ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ والختم: هو الطبع، وحقيقته: الاستيثاق من الشىء؛ كيلا يدخله ما هو خارج منه، ولايخرج عنه ما هو داخل فيه، ومنه الختم على الباب.

فقوله: ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ ذكر ابن كيسان أقوالاً فى معناه: أحدها: أى: جازاهم على كفرهم بأن(٢) ختم على قلوبهم.

(١) كذا بالأصل، و«ك»، ولعل الصواب: لم يعف عنه. والله أعلم

(٢) فى «الأصل»، و«ك»: ناراً.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ

والثانى وهو قول أهل السنة أى: ختم على قلبهم بالكفر؛ لما سبق من علمه الأزلى فيهم.

وحُكِىَ قول ثالث: أن معناه: جعل على قلوبهم علامة تعرفهم الملائكة بها، وهذا تأويل أهل الاعتزال، نبرأ إلى الله منه.

وحكى أبو عمر غلام ثعلب، عن ثعلب، عن إبراهيم الأعرابى: أن الختم هو منع القلب من الإيمان، ذكره فى كتاب الياء.

قوله: ﴿وعلى سمعهم﴾ أى: أسماعهم، ذكر الجمع بلفظ (الواحد)[1]، ومثله كثير فى القرآن. معناه: على موضع سمعهم، فختم على قلوبهم؛ كيلا يقبلوا الحق، وعلى سمعهم؛ كيلا يسمعوا الحق.

قوله تعالى: ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾ هذا ابتداء الكلام ومعناه: على أبصارهم غطاء.

﴿ولهم عذاب عظيم﴾ أى: كبير، وصف عذاب الآخرة بالعظم ولاشك أنه عظيم.

قوله - تعالى -: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ قال الكلبى: ورد هذا فى شأن اليهود. وأكثر المفسرين على أنه فى شأن المنافقين. ومعناه: ومن الناس ناس تقول آمنا بالله وباليوم الآخر يعنى: القيامة. ﴿وما هم بمؤمنين﴾ نفى الإيمان عنهم؛ حيث أظهروا الإسلام باللسان ولم يعتقدوا بالجنان. وهذا دليل على من يخرج الاعتقاد من جملة الإيمان.

قوله - تعالى -: ﴿يخادعون الله والذين آمنوا﴾ الآية: المخادعة، والخدع بمعنى واحد وحقيقة المخادعة: أن يظهر شيئًا ويبطن خلافه.

---

(١) فى الأصل: الوحدان.

## ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا

وقال ابن الأعرابى فى كتاب الياء: قوله: المخادعة مَنْعُ القلب من الحق، قاله فى حق المنافقين حيث أظهروا الإسلام باللسان وأبطنوا خلافه.

فإن قال قائل: ما معنى قوله: ﴿ يخادعون الله ﴾ وهذا يوهم الشركة فى المخادعة، وقد جل الله - تعالى - عن المشاركة فى المخادعة؟! الجواب: قال الحسن البصرى: معناه يخادعون نبى الله.

وقال غيره من المفسرين معناه: يعاملون الله معاملة المخادعين.

فأما قوله: ﴿ وما يخادعون إلا أنفسهم ﴾ يقرأ بقراءتين: «يخادعون، ويخدعون». فمن قرأ: «يخادعون»[1] فهو على المشاكلة؛ لأنه ذكر الأول بلفظ المخادعة، وهذا شكله فذكره بلفظه.

ومن قرأ: «يخدعون»[2] فهو على الأصل، وعلى أن لفظ المخادعة لا يقتضى المشاركة، بين اثنين، ومثله: طرقت النعل، وطارقت النعل، ومثله كثير فى ألفاظ المفاعلة.

فمعنى قوله ﴿ وما يخادعون إلا أنفسهم ﴾ أى: وبال خديعتهم راجع إليهم ﴿ وما يشعرون ﴾ أى: لايعلمون ذلك. يقال: شعرت بمعنى علمت، ومنه قولهم: ليت شعرى؛ أى: ليت أعلم.

قوله تعالى: ﴿ فى قلوبهم مرض ﴾ الآية، أراد بالمرض الشك والنفاق، بإجماع المفسرين.

ويوصف القلب والدين بالمرض والصحة كما يوصف البدن به.

﴿ فزادهم الله مرضا ﴾ أى: شكًّا ونفاقا؛ فإنه لما نزلت الآيات آية بعد آية فكلما كفروا بآية ازدادوا كفرا ونفاقاً، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿ وأما الذين فى قلوبهم

(١) هى قراءة نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، انظر النشر فى القراءات العشر (٢/٢٠٧).

(٢) هى قراءة حفص، وحمزة، والكسائى، وابن عامر، انظر المصدر السابق.

**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ**

مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم ﴾(١).

قوله تعالى: ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ أى: مؤلم. فعيل: بمعنى: مُفْعِل؛ كما قال القائل:

**أَمِن رَيحَانةِ الـداعى السـميعِ ... يُؤرِّقُنى وأصحابى هُجُوع خفية**

وأراد بالسميع المسمع.

قوله - تعالى -: ﴿ بما كانوا يكذبون ﴾ قرئ بقراءتين: مخفف(٢) ومعناه: يكذبون بما أظهروا من الإسلام وأبطنوا خلافه، وهو مثل قوله: ﴿ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾(٣).

وقرئ: «يكذِّبون»(٤) مشدداً، ومعناه: يكذِّبون الرسول.

قوله - تعالى -: ﴿ وإذا قيل لهم لاتفسدوا فى الأرض ﴾ معناه: لا تكفروا، والكفر أشد فساداً فى الأرض.

﴿ قالوا إنما نحن مصلحون ﴾ يعنى: أن الذى أظهرنا من الإسلام واستفدنا به من العز والأمان مصلحة لنا ونحن مصلحون به.

﴿ ألا إنهم هم المفسدون ﴾ هذا ابتدأ كلام من الله. وقوله: ( ألا ) للتنبيه؛ قال الشاعر:

**أَلاَ إنَّ هـذا الدَّهْرَ يَـوْمٌ ولَيْلَـةٌ ... وَلَيْسَ عَلَى شَيءٍ قديمٍ بِمُسْتَمِرْ**

يقول الله - تعالى -: ﴿ **ألا إنهم هم المفسدون** ﴾ يعنى: بما أظهروا من الإسلام وأبطنوا خلافه، فهو فساد؛ وإن ظنوه صلاحا، وأظهروا خلاف ما أبطنوا.

﴿ ولكن لايشعرون ﴾ أى: لا يعلمون.

---

( ١ ) التوبة: ١٢٥.

( ٢ ) هى قراءة الكوفيين حفص، وحمزة والكسائى، وخلف. انظر النشر ( ٢ / ٢٠٧ ).

( ٣ ) المنافقون: ١.

( ٤ ) هى قراءة الباقين. انظر النشر ( ٢ / ٢٠٨ ).

وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

فإن قيل: كيف يلزمهم الحجة إذا كانوا لا يعلمون؟

قيل: يلزمهم الحجة بما أوضح من السبيل، ونصب من الدلائل، وجهلهم لا يكون عذرا لهم.

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس...﴾ الآية. كما آمن الناس يعنى: المهاجرين والأنصار.

﴿قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ سموهم سفهاء فأجابهم الله - تعالى - بقوله: ﴿ألا إنهم هم السفهاء﴾

والسفيه خفيف العقل رقيق الحلم؛ من قولهم: ثوب سفيه، أى: رقيق بالٍ

يقول: هم الذين خفت عقولهم، ورقت أحلامهم ﴿ولكن لايعلمون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا...﴾ الآية، معناه: وإذا لقوا المهاجرين والأنصار قالوا: آمنا. أظهروا الإسلام باللسان.

﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ أى: بشياطينهم، يذكر «إلى» بمعنى «الباء» لأن الصلات يقوم بعضها مقام البعض. والشيطان: كلُّ عاتٍ متمرد من الجن والإنس، وأصله: البعد والامتداد. يقال: بئر شطون، أى: بعيد العمق والقعر. ويقال للحبل: شطن؛ لامتداده. وسمى الشيطان شيطانًا؛ لامتداده فى الشر وبعده عن الخير.

فأراد بالشياطين هاهنا عتاتهم ورؤساءهم فى الكفر. يقول: إذا خلوا برءوسهم، قالوا: إنا معكم فى دينكم ﴿إنما نحن مستهزئون﴾ بما أظهرنا من الإسلام مع المهاجرين والأنصار.

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ

وقوله – تعالى –: ﴿ الله يستهزئ بهم... ﴾ الآية. فإن قال قائل: ما معنى الاستهزاء من الله – تعالى –؟ قلنا فيه أقوال: قال بعضهم: معناه يجازيهم على صنيعهم، إلا أنه سماه الله استهزاء؛ لأنه جزاء الاستهزاء؛ كما قال: ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾[1] وإن لم يكن الجزاء سيئة حقيقة.

وقال بعضهم: يستهزئ بهم أى يعيبهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ يكفر بها ويستهزأ بها ﴾[2] أى: يعاب كذلك هذا.

وقال أهل الرواية معناه: الله يستهزئ بهم فى الآخرة، والاستهزاء بهم فى الآخرة يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يضرب للمؤمنين على الصراط نوراً يمشون به، وإذا وصل المنافقون إليه حال بينهم وبين المؤمنين، فذلك الاستهزاء بهم؛ كما قال: ﴿ فضرب بينهم بسورٍ له باب ﴾[3].

والثانى: أنه يقربهم من الجنة، حتى إذا رأو زهرتها وحسنها وبهجتها، واستنشقوا رائحتها صرفهم عنها إلى النار، فذلك الاستهزاء بهم، وقد نطق عنه – عليه الصلاة والسلام بمعناه حديث فى الصحاح.

قوله: ﴿ ويمدهم ﴾ أى، يمهلهم حتى يستدرجهم. ﴿ فى طغيانهم ﴾ أى: ضلالتهم. ﴿ يعمهون ﴾ أى: يتحيرون، قال الشاعر:

ومهمه أطرافها فى مَهْمَهٍ[4] أَعْمى الهُدَى بالجاهلينَ العُمَّهِ

قوله تعالى: ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ لأن معناه: اختاروا الكفر على الإيمان؛ لأنهم لما آثروا أشياء على شىء فكأنهم استبدلوا هذا بذلك ﴿ فما

---

(١) الشورى: ٤٠.

(٢) النساء: ١٤٠.

(٣) الحديد: ١٣.

(٤) والمَهْمَهُ: المفازة البعيدة، أو البلدة المقفرة. انظر لسان العرب مادة (مهه).

يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا

ربحت تجارتهم ﴾ أى: فما ربحوا فى تجارتهم. ﴿ وما كانوا مهتدين ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً ﴾ الآية. المثل: قول سائر فى عرف الناس، يعرف به معنى الشىء من الشىء. وهذا أحد أقسام القرآن؛ فإن القرآن على سبعة أقسام.

وقيل: مثلهم، أى: صفتهم. ﴿ كمثل الذى استوقد ناراً... ﴾ أوقد النار، واستوقد بمعنى واحد، كما يقال: أجاب، واستجاب.

وقيل: أوقد إذا فعل بنفسه، واستوقد إذا طلب الإيقاد من غيره. ﴿ فلما أضاءت ماحوله ﴾ يعنى: أضاءت النار الموقدة حول المستوقد. ضربه مثلا للمنافقين ومعنى هذا المثل– قوله تعالى: ﴿ كمثل الذى استوقد ناراً ﴾ – ضربه مثلا لما أظهروا باللسان من الإسلام.

﴿ فلما أضاءت ما حوله ﴾ يعنى: ما استفادوا بذلك الإسلام الظاهر من التجمل والعز والأمان فى الدنيا.

﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ قيل: فيه معانٍ: أحدها: ذهب الله بما أظهروا من الإسلام بإظهار عقيدتهم على لسان النبى ﷺ.

وقيل: معناه ذهب الله بنورهم، يعنى فى القبر. وقيل: فى القيامة؛ يعنى أن ما استفادوا به فى الدنيا لا ينفعهم فى الآخرة إذا كان مصيرهم إلى النار.

فإن قال قائل: كيف قال: ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ ولا نور لهم، وقال فى موضع آخر: ﴿ يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾[1] ولا نور لهم؟ قيل: أراد به نور ما أظهروا من الإسلام؛ وذلك نوع نور.

وقيل: قد يذكر مثله على معنى الحرمان كما يقال: أخرجتنى من صلتك، وإن لم

(١) البقرة: ٢٥٧.

حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ

يكن داخلاً فى صلته. بمعنى: أنك حرمتنى صلتك، كذلك قوله - تعالى -: ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ أى: حرمهم ذلك النور. ﴿ وتركهم فى ظلمات ﴾ أى: شدائد ﴿ لا يبصرون ﴾الحق.

قوله: ﴿ صم بكم عمى فهم لايرجعون ﴾ فالصُّمُّ: جمع الأَصَمِّ، وهو الذى لا يسمع، والبُكْمُ: جمع الأَبْكَمِ، وهو الذى لا ينطق، وولِدَ على الخرس.

والعُمْىُ: جمع الأَعْمَى، وهو الذى لا يبصر؛ فمعناه أنهم صم لا يبصرون الحق، ولا يعرفونه كأنهم لم يسمعوا؛ وهو مثل قول الشاعر:

* أَصَمُّ عمَّا ساءَهُ سَمِيعُ*

أى: لا يسمع ما ساءه مع كونه سميعا.

﴿ بكم ﴾ يعنى: أنهم لما أبطنوا خلاف ما أظهروا؛ فكأنهم لم ينطقوا بالحق.

﴿ عمى ﴾ أى: لا بصائر لهم، ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له.

﴿ فهم لا يرجعون ﴾ عما هم عليه من الضلالة.

قوله تعالى: ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق... ﴾ الآية. فالصَّيِّب: المطر، وكل مانزل من الأعلى إلى الأسفل فهو صيِّب، من قولهم: صَابَ يَصُوبُ، إذا نزل.

وقيل: الأَهْل مضمر فيه، أى: كأَهْل الصيب؛ كقوله: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾(١) أى: أهل القرية.

﴿ من السماء ﴾ كل ما علا فهو سماء. فالسقف سماء، والسحاب سماء، وما فوقه سماء، وأراد به السحاب ههنا.

﴿ فيه ظلمات ﴾ يعنى: فى السحاب؛ لأنه لا يخلو عن ظلمة، ألا تراه يغشى وجه

(١) يوسف: ٨٢.

وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾

الشمس ﴿ ورعد وبرق ﴾ قال على وابن عباس وأكثر المفسرين: إن الرعد صوت ملك يزجر السحاب، والبرق لمعان سوط فى يد ملك يضرب به السحاب يسوقه إلى حيث قدره الله تعالى .

وفى الخبر أن النبى ﷺ قال: «إذا سمعتم صوت الرعد فاذكروا الله فإنه لايصيب ذاكرا»(١). وكان ﷺ إذا سمع صوت الرعد يقول: «اللهم لاتقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك»(٢).

وقيل: الرعد اسم الملك. وقيل: صوت [اختناق](٣) الريح إلى السحاب. والأول أصح.

﴿ يجعلون أصابعهم فى أذانهم من الصواعق ﴾ يعنى: من صوت العذاب، حذر الموت. وقيل: الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله - تعالى - على من يشاء وعليه دل قوله - تعالى -: ﴿ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ﴾(٤) ﴿ واللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ أى جامعهم. قال مجاهد: يجمعهم فيعذبهم. والإحاطة بالشىء جمعه بحيث لا يشذ منه شىء، والإحاطة من الله - تعالى - تكون بالقهر والاقتدار والعلم.

ومعنى المثل فى هذا: أما قوله: ﴿ أو كصيب من السماء ﴾ يعنى: إن شئت مثلهم بالمستوقد وإن شئت مثلهم بالصيب، أى بأهل الصيب. ضرب الصيب مثلاً لما أظهروا

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ١٦٤ رقم ١١٣٧١) وفى الدعاء (٢/ ١٢٦٠ رقم ٩٨٢)؛ وأبو الشيخ فى العظمة ص٢٦٨ رقم ٧٨٦ من حديث ابن عباس. وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٣٩): فيه يحيى بن كثير أبو النضر، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد (ص٢١٢)، والترمذى (٥/ ٤٦٩ رقم ٣٤٥٠)، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٢٣٠ رقم ١٠٧٦٣، ١٠٧٦٤)، وأحمد فى مسنده (٢/ ١٠٠ - ١٠١)، والحاكم (٤/ ٢٨٦) وصحح إسناده والبيهقى فى الكبرى (٣/ ٣٦٢) وابن السنى فى عمل اليوم والليلة (ص١١٠ رقم ٣٠٤) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما وقال الترمذى: غريب.

(٣) فى «الأصل»، و«ك»: الخناق، وهو تصحيف والصواب ما أثبتناه. انظر تفسير الطبرى (١/ ٣٤١).

(٤) الرعد: ١٣.

يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

باللسان من الإسلام.

﴿ فيه ظلمات ﴾ مثل لما فى الإسلام من البلايا والمحن والشدائد ﴿ ورعد ﴾ مثل لما فيه من المخاوف فى الآخرة.

﴿ وبرق ﴾ لما فيه من الوعد والوعيد.

وقيل: ضرب الصيب مثلا للقرآن الذى كانوا يقرءونه باللسان؛ لأن فى القرآن حياة الباطن كما فى الماء حياة الظاهر. ﴿ فيه ظلمات ﴾ مثل لما ذكرنا فى القرآن من أنواع الكفر والنفاق، ﴿ **ورعد** ﴾ مثل لما ذكرنا فيه من الوعيد ﴿ **وبرق** ﴾ مثل لما فيه من البيان.

﴿ يجعلون أصابعهم فى آذانهم ﴾ يعنى: أن المنافقين إذا رأوا فى الإسلام بلاء وشدة، هربوا وتأخروا؛ حذراً من الهلاك.

﴿ والله محيط بالكافرين ﴾ يعنى: لاينفعهم حذرهم؛ لأن الله - تعالى - من ورائهم يجمعهم فيعذبهم.

قوله تعالى: ﴿ يكاد البرق يخطف أبصارهم... ﴾ الآية ﴿ يكاد ﴾ كلمة القرب، يكاد يفعل، أى: قرب يفعل ﴿ يخطف أبصارهم ﴾ والخطف: استلاب بسرعة. وهذا من تمام المثل، ومعناه على القول الأول: تكاد دلائل الإسلام تزعجهم إلى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة.

ومعناه على القول الآخر: يكاد القرآن يبهر قلوبهم.

﴿ كلما أضاء لهم مشوا فيه ﴾ معناه: كلما نالوا غنيمة وراحةً ثبتوا على الإسلام. ﴿ وإذا أظلم عليهم قاموا ﴾ يعنى: كلما رأوا شدة وبلاء تأخروا. وقاموا، أى: وقفوا.

﴿ ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ﴾ يحتمل معنيين: أحدهما: لو شاء

**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾**

الله لذهب بما استفادوا من العز والأمان الذى لهم بمنزلة السمع والبصر.

والثانى معناه: ولو شاء الله لذهب بأسماعهم وأبصارهم الظاهرة؛ كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة.

﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ يعنى: قادر.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم...﴾ الآية، قال ابن عباس: كل ما ورد فى القرآن من قوله: ﴿يا أيها الناس﴾ فإنما نزل بمكة، وكل ما ورد من قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فإنما نزل بالمدينة.

وقوله: ﴿يا أيها الناس﴾ يعنى: يا هؤلاء الناس. وهذا وإن عمت صيغته ولكن دخله الخصوص؛ فإنه لايتناول الصغار والمجانين. ﴿اعبدوا﴾ أى: وحدوا.

قال ابن عباس: كل ما ورد فى القرآن من العبادة فهو بمعنى التوحيد، وكل ما ورد فى القرآن من التسبيح والسبحة فهو بمعنى الصلاة.

وقوله: ﴿اعبدوا ربكم الذى خلقكم﴾ أى: وحِّدوا الله الذى خلقكم. وإنما خاطبهم به؛ لأن الكفار مُقِرُّونَ أن الله خالقهم، والخَلْقُ: هو اختراع الشيء على غير مثال سبق. ﴿والذين من قبلكم﴾ أى: وخلق الذين من قبلكم. فإن قيل: أى فائدة فى قوله: ﴿والذين من قبلكم﴾ فإن مَنْ عرف أن الله خالقه فقد عرف أنه خالق غيره من قبله؟ قيل: فائدته المبالغة فى البيان، أو يقال: فائدته المبالغة فى الدعوة، يعنى: إذا كان الله خالقكم وخالق من قبلكم فلا تعبدوا إلا إياه. وفيه إشارة لأنه خلق الأولين وأماتهم وابتلاهم فى الدنيا والآخرة؛ فأشار بهذا إلى أنى أفعل بكم ما فعلت بهم.

﴿لعلكم تتقون﴾ قيل معناه: لكى تتقوا، قاله أبو عبيدة، وقيل معناه: كونوا

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

على رجاء التقوى. فإن قال قائل: التقوى [هى][1] العبادة، فأى شيء معنى قوله: اعبدوا لكى تعبدوا؟ قلنا معناه: اعبدوه وكونوا على حذر منه، وهذا دأب العابد أن يعبد الله ويكون على حذر منه. وقيل معناه: اعبدوه وكونوا على رجاء التقوى؛ بأن تصيروا فى ستر ووقاية من عذاب الله تعالى، وحكم الله من ورائكم يفعل بكم ما يشاء؛ وهذا مثل قوله تعالى: ﴿فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾[2] أى: ادعواه إلى الحق وكونا على رجاء التذكر والخشية منه. وحكم الله وراءه يفعل به ما يشاء.

قوله تعالى: ﴿الذى جعل لكم الأرض فراشا﴾ الآية. هذا راجع إلى ما تقدم يعنى: اعبدوا الذى جعل لكم الأرض فراشا، والجعل ها هنا بمعنى: الخلق ﴿فراشا﴾ أى: بساطا، وقيل: وطاء. وقيل: مقاما. يعنى لكم الأرض قرارا لتكونوا عليها ﴿والسماء بناء﴾ أى: سقفا ﴿وأنزل من السماء ماء﴾ إنما أضافه إلى السماء وإن كان ينزل من السحاب؛ لأنه ينزل من جهة السماء.

﴿فأخرج به من الثمرات رزقا لكم﴾ قيل: الرزق هو كل ما يؤكل. وقيل: كل ما ينتفع به. ﴿فلا تجعلوا لله أندادا﴾ قال قتادة: الند: هو المثل. وقال أبو عبيدة: الند هو الضد. وهذا من الأضداد، والله - تعالى - برىء عن المثل والضد. قال حسان بن ثابت فى مدح رسول الله ﷺ:

أتَهْجُوهُ ولَسْتَ لَهُ بِندٍّ ... فَشرُّكُمَا لخيركما الفداءُ

يعنى: ولست له بمثل؛ قال لبيد:

أَحْمَدُ اللهَ فَلاَ نِدَّ لَهْ ... بِيَدَيْهِ الخَيْرُ مَا شاءَ فَعَلْ

(١) في «الأصل»: هو.

(٢) طه: ٤٤.

وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾

أى: لا مثل له. ومعنى قوله: ﴿فلا تجعلوا لله أندادا﴾ أى: لا تتخذوا من دونه أربابا تعبدونهم كعبادة الله، وتطيعونهم كطاعة الله لا أن له مثلا، أو لا مثل لله - تعالى -.

﴿وأنتم تعلمون﴾ أى: فلا تعبدوا غيره وأنتم تعلمون أنه خالقكم وخالق السموات و الأرض. قوله - تعالى -: ﴿وإن كنتم فى ريب﴾ أى: شك. فإن قيل: كيف ذكره على التشكيك وهم فى ريب على التحقيق؟ قيل: مثله جائز فى كلام العرب؛ كما يقول الرجل لغيره: إن كنت رجلا فافعل كذا؛ وإن عرف أنه رجل على التحقيق. قيل: أراد به «وإذ كنتم» فيكون على التحقيق، ﴿مما نزلنا﴾ من القرآن ﴿على عبدنا﴾ يعنى: على الرسول ﷺ.

﴿فأتوا بسورة﴾ السورة: اسم للمنزلة الرفيعة؛ ومنه سورة البناء؛ لارتفاعه. قال الشاعر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أعطاكَ سُورَةً ... تَرَى كُلَّ شيءٍ دونَها يَتَذَبْذَبُ

أى: أعطاك سورة منزلة، أى: منزلة رفيعة. وسميت سورة القرآن سورة؛ لأن القارئ ينال بقراءة كل سورة منزلة؛ حتى يستكمل جميع المنازل باستكمال القرآن، وقيل: السورة اسم لقطعة من القرآن معلوم الأول والآخر، ومنه سؤر الطعام لما بقى منه. وفى الخبر «إذا أكلتم فاسأروا»[1] أى: أبقوا بقية. وإنما نزل القرآن سورة سورة حتى [أن][2] القارئ كلما قرأ سورة وافتتح أخرى ازداد نشاطا، فيكون أنشط فى القراءة، أو لأنه ربما لايمكنه حفظ جميع القرآن فيحفظ بعض السور.

﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ وقوله: ﴿من مثله﴾ فيه معنيان: أحدهما - قاله ابن

(١) ذكره السخاوى فى المقاصد الحسنة (ص٨١ رقم ٥٤) بلفظ: «إذا أكلتم فافضلوا» وبيض له، وقال العجلونى فى كشف الخفا (١/٨٦): قال النجم لم أجده حديثًا، بل فى الحديث ما يعارضه. وفى النهاية لابن الأثير (مادة سأر): «إذا شربتك فاسئروا» أى أبقوا منه بقية.

(٢) ليست فى «الأصل»، و لا «ك».

فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

عباس وجماعة - : أراد به من مثل القرآن. فإن قيل: كيف قال: من مثل القرآن، ولا مثل له؟ قيل: أراد به من مثله على زعمهم.

وفيه قول آخر: أنه أراد به من مثل محمد؛ لأنهم كانوا يقولون: إنه مفترًى فقال: فأتوا بسورة من مفترًى مثله.

﴿ وادعوا شهداءكم من دون الله ﴾ أى: استعينوا بأعوانكم وأربابكم من دون الله ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ فيما تزعمون. وفائدته: أنهم إذا اجتمعوا وأحضروا أربابهم فعجزوا كان أبلغ فى إلزام الحجة. وقوله - تعالى - : ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا... ﴾ الآية يعنى: فإن لم تفعلوا ذلك، ولن تفعلوه أبدا على طريق الإخبار. «وتَمْ» للماضى، «ولن» للمستقبل. وإنما قال هذا لبيان المعجزة؛ لأن القرآن كان معجزة للنبى ﷺ حيث عجز الكل عن الإتيان بمثله.

﴿ فاتقوا النار ﴾ أى: فآمنوا؛ لكى تتقوا النار بالإيمان ﴿ التى وقودها الناس ﴾ الوقود يعنى: الإيقاد، والوَقود بفتح الواو الحطب. ﴿ والناس ﴾ أهل جهنم ﴿ والحجارة ﴾ قال على وابن مسعود: هى حجارة الكبريت؛ لأنها أكثر توقدا والتهابا، وقال الباقون: هى جميع الحجارة. وهذا دليل على عظم تلك النار، و﴿ أعدت للكافرين ﴾ أى: هيئت للكافرين، وهذا دليل على أن النار مخلوقة، لا كما قال أهل البدعة. ودليل على أنها مخلوقة للكافرين، وإن دخلها بعض المؤمنين تأديبا وتعريكًا(١).

قوله تعالى: ﴿ وبشر الذين آمنوا... ﴾ الآية، البشارة: اسم لكل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه ويظهر عليها، وقد تكون فى الخبر السوء. كما قال: ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾(٢) إلا أنه فى الخبر السار أغلب. ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾

(١) (تعريكا): عَرَكه: دلكه وحكه حتى عفاه (القاموس مادة: (ع ر ك) ٣/٢٠٧ ولعل المراد - والله أعلم - : تطهيراً وتنظيفاً.

(٢) آل عمران: ٢١، التوبة: ٣٤، الانشقاق: ٢٤.

**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ**

يعنى: المؤمنين من أهل الطاعة ﴿أن لهم جنات﴾ الجنات: جمع جنة وهو اسم للبستان الذى فيه أشجار مثمرة، فإذا لم تكن الأشجار مثمرة لا تكون جنة. وقيل: الجنة ما فيه النخيل. والفردوس ما فيه الكرم، وإنما سميت جنةً من الاجتنان؛ لأنها تستر الأرض بالتفافها وأوراقها. وقيل: الجنان سبع، وقيل: ثمان، والكل فى القرآن.

﴿تجرى من تحتها الأنهار﴾ أى: من تحت أشجارها تجرى المياه من الأنهار، وفى الحديث: «إن أنهار الجنة تجرى فى غير أخدود»(١) أى: فى غير شق.

﴿كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا﴾ أى: كلما رزقوا شيئا من ثمار الجنة قالوا هذا الذى رزقنا من قبل. وفيه قولان: أحدهما معناه: رزقنا من قبل فى الدنيا، والثانى: أن الثمار فى الجنة متشابهة فى اللون مختلفة فى الطعم، فإذا رزقوا منها ثمرة ثم رزقوا أخرى ظنوا أنها الأولى لاستوائهما فى اللون فـ ﴿قالوا هذا الذى رزقنا من قبل﴾.

﴿وأتوا به متشابها﴾ قال مجاهد: أى متشابها فى اللون. كما ذكرنا، وقال الحسن البصرى: معناه كلها خيار ليس فيها رذال. قال ابن عباس: ليس فى الدنيا من ثمار الجنة إلا الأسامى ﴿ولهم فيها أزواج﴾ قيل: من الحور العين، ويحتمل من أزواج الدنيا: ﴿مطهرة﴾ من الأدناس؛ لا يتمخطن، ولا يتغوطن، ولا يحضن. وقيل: مطهرة الأخلاق، فيكن مطهرات خَلْقًا وخُلُقًا. ﴿وهم فيها خالدون﴾ أى: مقيمون لايظعنون.

قوله تعالى: ﴿إن الله لايستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها﴾ وسبب نزول الآية: أن الله – تعالى – لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت، قال المشركون: إنا

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٦ / ٢٠٥) وفى صفة الجنة له أيضا (٢ / ١٦٨ رقم ٣١٦)، وابن مردويه، والضياء المقدسى – كما فى الدر المنثور (١ / ٤٤) – من حديث أنس مرفوعاً، ولفظه: «لعلكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود فى الأرض، لا والله، إنها لسائحة على وجه الأرض». وأخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (٢ / ١٦٧ رقم ٣١٦) وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة له (رقم ٦٨) عن أنس موقوفا من قوله. وقال المنذرى فى الترغيب (٤ / ٥٥): والموقوف أشبه بالصواب

مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ

لانعبد إلها يذكر الذباب والعنكبوت، فنزل قوله - تعالى - : ﴿إن الله لايستحيى﴾ أى: لايمتنع ولا يترك ﴿أن يضرب مثلا﴾ أى: يذكر مثلا ﴿ما بعوضة﴾ (ما) للصلة هاهنا، أى: مثلا بالبعوضة. قال الشاعر(١):

قَالَتْ ألا لَيْتَمَا هذَا الحَمَامُ لَنَا ... إِلَى حَمَامَتِنَا أو نِصْفُه فَقَدِ

معناه أى: ليت هذا الحمام لنا. والبعوض: صغار البق، سميت بعوضة لأنها بعض البق. ﴿فما فوقها﴾ معناه: فما دونها؛ كما يقال: فلان جاهل، فيقال: وفوق ذلك. يعنى: أجهل من ذلك، فكذلك قوله تعالى: ﴿فما فوقها﴾ يعنى: فى الصغر، وأصغر من ذلك، وقيل: فما فوقها على الحقيقة؛ لأنه ضرب المثل بالذباب، والعنكبوت. قال الربيع بن أنس: مثل البعوضة مثل صاحب الدنيا؛ لأن دأب البعوضة أنها إذا شبعت هلكت، وإذا جاعت عاشت؛ كذلك صاحب الدنيا إذا استكثر من الدنيا هلك، وإذا استقل منها فاز ونجا. وقيل: إن حكم الله - تعالى - فى صغار خلقه أكثر من حكمه فى كبار خلقه. قوله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم﴾ يعنى: أنه الصدق من ربهم.

﴿وأماالذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ أىُّ شىء أراد الله بهذا المثل؟ يقول الله تعالى: ﴿يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا﴾ أى: أراد هذا، والإضلال: هو الصرف عن الحق إلى الباطل. وقيل: الإضلال هو الإهلاك؛ يقال: ضل اللبن فى الماء أى: هلك.

﴿ويهدى به كثيراً﴾ أى: ويُرشد به كثيرا. ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾ يعنى: الكافرين. والفسق: هو الخروج عن طاعة الرب؛ يقال: فسقت (الرطبة)(٢) إذا خرجت

(١) وهي زرقاء اليمامة وهو بيت من كلام النابغة الذبياني من قصيدة مطلعها:

يا دَارَ ميةَ بالعلياءِ فالسَّنَدِ ... أَقْوَتْ وطَالَ عليها سَالفُ الأمدِ

(٢) في «ك»: الوطية وهو تحريف.

**الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنقُضُونَ**

عن قشرها، ومعنى إضلالهم بالمثل أنه لما ضرب المثل فكفروا به ازدادوا ضلالاً.

وقوله تعالى: ﴿ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ﴾ أى: يخالفون أمر الله. والميثاق: مفعال من التوثقة وهو العهد المؤكد. وفى معناه قولان: أحدهما: أنه أراد نقض الميثاق الأول الذى أخذه على آدم وذريته بقوله: ﴿ ألست بربكم قالوا بلى ﴾[1].

وقيل: أراد به نقض الميثاق الذى أخذه على النبيين وسائر الأمم أن [ يؤمنوا ][2] بمحمد ﷺ بقوله: ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين... ﴾[3] الآية.

﴿ ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنهم يقطعون ما أمروا بوصله من الإيمان بمحمد وبسائر الرسل. وقيل: أراد به قطع الرحم. والأول أولى؛ لأنه أعم، وقيل: أراد به قطع العمل عن القبول؛ فإنهم لم يعملوا بما قبلوا.

﴿ ويفسدون فى الأرض ﴾ بالمعاصى ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ المغبونون.

قوله تعالى: ﴿ كيف تكفرون بالله ﴾ قاله تعجبا، كيف تكفرون بالله بعد نصب الدلائل ووضوح البراهين؟!! ثم ذكر الدليل فقال: ﴿ وكنتم أمواتا ﴾ هذا دليل، أى: كنتم نطفا فى أصلاب الآباء.

﴿ فأحياكم ﴾ أى: خلقكم ﴿ ثم يميتكم ﴾ عند انتهاء الأجل. ﴿ ثم يحييكم ﴾ للبعث ﴿ ثم إليه ترجعون ﴾ إلى الله مصيركم. وقيل: أراد بالموت الأول: الموت المعهود ﴿ وكنتم أمواتا ﴾ أى: تصيرون أمواتا. فأحياكم أى: يحييكم فى القبر للسؤال، ثم يميتكم بعده فى القبر ثم يحييكم للبعث. ثم إليه ترجعون.

قوله تعالى: ﴿ هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعًا ﴾ لكى تعتبروا

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) فى «الأصل»، و«ك»: يؤمنون. على جعل «أن» مصدرية غير عاملة.

(٣) آل عمران: ٨١.

عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ

وتستدلوا، وقيل: لكى تنتفعوا.

﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين من السلف: أى ارتفع وعلا إلى السماء.

وقال الفراء وابن كيسان وجماعة من النحويين معناه: أقبل على خلق السماء؛ لأنه خلق الأرض أولا، ثم أقبل على خلق السماء، كما ذكر فى «حم السجدة»(١). ﴿ فسواهن سبع سموات ﴾ أى: خلقهن مستويات؛ لافطر فيها، ولا صدع، ولا شق.

﴿ وهو بكل شىء عليم ﴾ أى: عالم بصغار خلقه وكبارهم.

قوله - تعالى -: ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾ معناه: وقال ربك. «وإذ» زائدة فيه.

وقيل، معناه: واذكر إذ قال ربك. والملائكة: جمع الملك، وأصل الملك مألك، فقلبت الهمزة فصار مَالَك ثم أسقط الهمزة فصار ملك، واشتقاقه من الألوكة، وهى: الرسالة، ومثلها المالكة، والمألكة؛ قال الشاعر:

أَلِكْنِى إِلَيْهَا (وخيرُ)(٢) الرسولِ أَعْلَمُهُم بنواحِى الخَبَرْ

يعنى: أرسلنى إليها.

﴿ إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾ اتفقوا على أن المراد بهذا الخليفة آدم - صلوات الله عليه - والخليفة، والخليف بمعنى واحد، وجمع الخليف خلفاء. وجمع الخليفة خلائف.

واختلفوا فى أنه لِمَ سمى خليفة؟ منهم من قال: لأنه خليفة الجن؛ فإن الله - تعالى - لما خلق الأرض أسكنها الجن، ولما خلق السماء أسكنها الملائكة، ثم لما خلق

(١) سورة فصلت. (٢) كذا فى «الأصل»، و«ك»، وفى لسان العرب، مادة (ألك): بخير.

لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ

آدم أزعج الجن إلى أطراف الأرض؛ فهو خليفة الجن فى الأرض.

وقيل: إنما سماه خليفة؛ لأنه يخلفه غيره. فيكون الخليفة بمعنى أنه يخلف غيره. ويكون الخليفة بمعنى أنه يخلفه غيره.

وقيل: إنما سمى خليفة لأنه خليفة الله فى الأرض؛ لإقامة أحكامه، وتنفيذ قضاياه، وهذا هو الأصح.

قوله تعالى: ﴿ قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها... ﴾ الآية. قالت الملائكة: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟! فإن قيل: من أين علموا ذلك؟ قيل: إن الله تعالى أعلمهم بذلك. وقيل: اطلعوا عليه فى اللوح المحفوظ.

﴿ ونحن نسبح بحمدك ﴾ هو التنزيه عن السوء. ومعناه: ونحن ننزهك عن الأنداد والشركاء.

وقال الحسن: معنى قوله: ﴿ ونحن نسبح بحمدك ﴾ هو قولهم: سبحان الله وبحمده.

﴿ ونقدس لك ﴾ يعنى: نثنى عليك بالقدس والطهارة.

وقيل: معناه نطهر أنفسنا بطاعتك والثناء عليك.

فإن قيل: قولهم ﴿ أتجعل فيها ﴾. يشبه الاعتراض عليه. وقولهم نحن ﴿ نسبح بحمدك ﴾ يشبه التفاخر بالعمل؛ وكلاهما لايجوز على الملائكة. فما معنى هذا الكلام؟

قلنا: أما قولهم: (أتجعل فيها) معناه: أنت جاعل فيها على سبيل التقدير، ومثله قول الشاعر:

أَلَسْتُمْ خيْرَ من ركِبَ الْمَطَايا ... وأَندَى العـالمينَ بطـونَ راحِ

يعنى أنهم بهذه الصفة.

وقالوا: إنما قالوه على سبيل التعجب طلبا لوجه الحكمة فيه.

**خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ**

وأما قوله: ﴿ ونحن نسبح بحمدك ﴾ ليس على سبيل التفاخر بل معناه: أنه إذا أفسدوا وسفكوا الدماء فنحن نبقى على هيئة التسبيح والتقديس أم لا؟ قال: ﴿ إنى أعلم ما لاتعلمون ﴾ له معنيان:

أحدهما: إنى أعلم فيهم من يعبدنى ويطيعنى من الأنبياء والأولياء والصلحاء.

والثانى معناه: إنى أعلم فيكم أيها الملائكة من يعصينى - يعنى إبليس -.

قوله - تعالى -: ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ أما آدم إنما سمى آدم؛ لأنه خلق من أديم الأرض، ولماخلقه الله - تعالى - علمه أسماء الأشياء بأجمعها.

قال ابن عباس: علمه أسماء الأشياء حتى القصعة والقصيعة، والفسوة والفسية.

وإنما علمه ذلك تكريما وتشريفا له. وذلك دليل على أن الأنبياء أفضل من الملائكة وإن كانوا رسلا كما ذهب إليه أهل السنة.

﴿ ثم عرضهم ﴾ قرأ أُبى بن كعب: « ثم عرضها » [ وهى ][1] فى الشواذ. ورجع [ الكناية ][2] إلى المسميات التى لاتعقل. والقراءة المعروفة: « ثم عرضهم » فإن المسميات لما جمعت من يعقل ومن لايعقل؛ كنى بلفظ من يعقل تغليبا له.

وإنما عرضهم على الملائكة لإظهار فضيلته عليهم، فإنهم كانوا قد قالوا: لن يخلق الله خلقا أكرم عليه منا، فقال: ﴿ أنبئونى ﴾ أخبرونى ﴿ بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾ فيما زعمتم.

قوله تعالى: ﴿ قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا ﴾ قد ذكرنا معنى التسبيح. ومعنى الآية: أنك أَجَلُّ من أن نحيط بشىء من علمك؛ إلا الذى علمتنا منه.

﴿ إنك أنت العليم ﴾ أى: العالم ﴿ الحكيم ﴾ له معنيان أحدها: الحاكم، وهو

(١) فى « الأصل »، و « ك »: هو.

(٢) أى: الضمير.

لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا

القاضى بالعدل.

والثانى: معنى الحكيم: المحكم للأمر كيلا يتطرق إليه الفساد، ومنه: أحكمت الدابة لأنها (تمنعها)(١) من الفساد.

قوله تعالى: ﴿قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾ لما عرضهم على الملائكة فعجزوا؛ يقول الله تعالى لآدم: أخبرهم بأسمائهم ﴿فلما أنباهم بأسمائهم﴾ فأخبرهم آدم بأسماء تلك المسميات، والحكمة التى لأجلها خلقوا، فلما أخبرهم بها﴿ قال الله﴾ تعالى للملائكة: ﴿ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض﴾ فإنه قد قال لهم: ﴿إنى أعلم مالا تعلمون﴾ وغيب السموات والأرض كل ما غاب وخفى عن الأبصار.

﴿وأعلم ما تبدون﴾ أى قولكم: أتجعل فيها من يفسد فيها.

﴿وما كنتم تكتمون﴾ فيه قولان: أحدهما: ما كتموا من قولهم: لن يخلق الله خلقا أكرم عليه منا.

والثانى: معناه ما كتمه إبليس فيهم حين خلق آدم؛ فإنه قد قال: إن سلطت عليه لأهلكنه وإن سلط عَلَىَّ لا أطيعه.

قوله - تعالى -: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ اختلفوا فى أن هذا الخطاب مع أىّ الملائكة؟ فقال بعضهم: هو خطاب مع ملائكة الأرض خاصة.

وقيل: هو خطاب لجميع الملائكة. - هو الأصح - لقوله - تعالى - ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾(٢).

والسجود عبادة مع التواضع والخشوع والخضوع، ومنه شجرة ساجدة إذا ماتت من

(١) فى «ك»: تمنعه.

(٢) الحجر: ٣٠، وص: ٧٣.

سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ

كثرة حملها.

وفى قوله: ﴿اسجدوا لآدم﴾ قولان أحدهما: أن معناه اسجدوا إلى آدم، فيكون آدم كالقبلة. والسجود لله - تعالى -.

والأصح: أن السجود كان لآدم على الحقيقة. وتضمن معنى الطاعة لله - تعالى - بامتثال أمره فيه. فعلى هذا يكون السجود لآدم على سبيل التحية له. وهو كسجود إخوة يوسف ليوسف بمعنى التحية له. ثم نقل ذلك إلى السلام بين المسلمين.

﴿فسجدوا إلا إبليس﴾ قال بعضهم: إبليس مشتق من الإبلاس. وهو اليأس من الخير، قال الشاعر:

يَاصاحِ هَلْ تعرفُ( رسما )(١) مكرسا قال: نَعَمْ أَعْرِفُه وأَبْلَسَا(٢)

وقيل: هو اسم أعجمى معرب لا اشتقاق له ولذلك لا ينصرف.

واختلفوا فى إبليس، والذى قاله ابن عباس وأكثر المفسرين: أنه كان من الملائكة.

وقال الحسن: كان من الجن لقوله تعالى: ﴿كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾(٣) ولأنه خلق من النار، والملائكة خلقوا من النور، ولأن له ذرية ولا ذرية للملائكة.

والأصح أنه كان من الملائكة لأن خطاب السجود كان مع الملائكة.

وأما قوله: ﴿كان من الجن﴾ قيل: إن فرقة من الملائكة سموا جنًّا خلقهم الله - تعالى - من النار. وعليه دل قوله تعالى: ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا﴾(٤).

حيث قالوا الملائكة بنات الله. فسماهم جنة. وإنما سموا جنا لاستتارهم عن الأعين.

وإبليس كان من ذلك القبيل. وإنما كان له ذرية؛ لأنه أخرجه من الملائكة ثم جعل

---

(١) فى «ك»: اسما.

(٢) انظر لسان العرب، مادة (بلس).

(٣) الكهف: ٥٠.

(٤) الصافات: ١٥٨.

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ

له ذرية.

وقيل: إن الله - تعالى - لما خلق إبليس أعطاه ملك الأرض، وملك السماء الدنيا، وجعله خازن الجنة.

قوله - تعالى -: ﴿أبى﴾ امتنع ﴿واستكبر﴾ أى: أنف؛ حيث ظن أنه خير من آدم ﴿وكان من الكافرين﴾ فيه قولان: أحدهما: معناه وصار من الكافرين فى علم الله - تعالى -.

قال مجاهد: علم الله فى أزله أنه تكون منه المعصية فخلقه للمعصية.

قوله تعالى: ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ أراد بزوجه حواء، فإن قيل: [لِمَ](١) أمرهما بدخول الجنة، وقد وعد أن من دخلها يكون خالدا فيها فكيف أخرجهما من الجنة؟

قلنا: إنما ذلك الوعد فى حق من يدخلها للثواب والجزاء، وآدم إنما دخل الجنة بالكرامة دون الثواب.

﴿وكلا منها رغدا حيث شئتما﴾ الرغد: الواسع من العيش. وهو أن يأكل ما شاء إذا شاء كيف شاء. ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ يعنى: للأكل.

والشجرة: اسم لما يقوم على الساق، والنجم اسم لما (لا)(٢) يقوم على ساق.

قال الله تعالى: ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾(٣) وفى تلك الشجرة ثلاثة أقوال: قال ابن مسعود: كانت شجرة العنب. وقال ابن عباس: كانت شجرة السنبلة. وقال ابن جريج: كانت شجرة التين. وقيل: إنها شجرة العليم.

﴿فتكونا من الظالمين﴾ الظلم وضع الشىء فى غير موضعه وفيه يقال: «من أشبه

(١) فى «الأصل»، و«ك»: لما.
(٢) ليست فى «ك».
(٣) الرحمن: ٦.

أ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا

باه فما ظلم » أى : فما وضع الشبه فى غير موضعه .

قوله – تعالى – : ﴿ فأزلهما الشيطان عنها ﴾ قرأ حمزة[١] : « فأزالهما » ومعناه : نَحَّاهُمَا وبعدهما عن الجنة .

وقوله : ﴿ فأزلهما ﴾ إلى الزلة ﴿ فأخرجهما مما كانا فيه ﴾ يعنى من نعيم الجنة . وإنما نسب الإخراج إليه ؛ لأنه كان السبب فيه .

﴿ وقلنا اهبطوا ﴾ الهبوط هو النزول من الأعلى إلى الأسفل ، والخطاب مع آدم ، وإبليس ، وحواء ، والحية ، وهى الحية [ التى ][٢] كانت من خزان الجنة فخدعها إبليس حتى أدخلته ( الجنة )[٣] .

﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ العدو : اسم للواحد والجمع ، معناه أعداء .

﴿ ولكم فى الأرض مستقر ﴾ أى : قرار ﴿ ومتاع ﴾ متعة تتغذون بها ﴿ إلى حين ﴾ إلى منتهى الآجال .

قوله تعالى : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ التلقى : هو قبول عن فطنة وفهم دليل . فتلقى هو [ أى : تعلم ][٤] : ﴿ ظلمنا أنفسنا ﴾[٥] إلى آخره .

وقال عبيد بن عمير : هى كلمات قالها آدم حين ابتلاه الله بالمعصية .

﴿ من ربه كلمات ﴾ قال ابن عباس والأكثرون : الكلمات هى قوله : ربنا – أى : تعلم بالمعصية يارب – هذا شىء كتبته علىَّ [ أم ][٦] ابتدعته من تلقاء نفسى ؟ فقال : بل شىء كتبته عليك . فقال آدم : ( فكما )[٧] كتبته على فاغفره .

---

( ١ ) انظر النشر فى القراءات العشر ( ٢ / ٢١١ ) . ( ٢ ) فى الأصل : « الذى » . ( ٣ ) فى « ك » : الحية .

( ٤ ) فى « الأصل » و « ك » : التعلم . ( ٥ ) الأعراف : ٢٣ . ( ٦ ) فى « الأصل » ، و« ك » : ادم . وهو خطأ .

( ٧ ) ليست فى « ك » .

الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا

﴿ فتاب عليه ﴾ فقبل توبته ﴿ إنه هو التواب الرحيم ﴾ هو القابل للتوبة من العباد؛ الرحيم بهم.

قوله تعالى: ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا ﴾ الهبوط الأول كان من الجنة إلى السماء الدنيا، والهبوط الثانى كان من السماء الدنيا إلى الأرض.

﴿ فإما يأتينكم منى هدى ﴾ أى: رشد [ و ][1] بيان شريعة.

﴿ فمن تبع هداى ﴾ أى: ذلك الرشد والشريعة.

﴿ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ﴾ أى: كفروا بالله وبالرسل وكذبوا بآياته ﴿ أولئك أصحاب النار ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ هم فيها خالدون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ يا بنى إسرائيل ﴾ إسرائيل اسم يعقوب. وله فى القرآن اسمان: يعقوب وإسرائيل. ومعنى إسرائيل عبد الله، «إسر» مثل قولنا «عبد»، و«إيل» مثل قولنا «الله» ﴿ اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ﴾ الذكر يكون بالقلب، ويكون باللسان، وهو ضد النسيان. وقوله: ﴿ نعمتى ﴾ أى: نعمى، ذكر الجمع بلفظ الوحدان، ومثله كثير فى القرآن.

واختلفوا فى تلك النعم. قال قتادة: هى النعم التى خصت بها بنو إسرائيل من

(١) من «ك».

يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي

إنجائهم من فرعون بتغريقه، وإرسال موسى إليهم، وإنزال التوراة عليهم، ونحو ذلك.

وقال غيره: هى جميع النعم التى لله على عباده.

فإن قال قائل: لِمَ أمرهم بالذكر وهم كانوا ذاكرين لتلك النعم؟

قلنا: الذكر بمعنى الشكر، ومعناه: اشكروا نعمتى. وإنما ذكر بلفظ الذكر؛ لأن فى الشكر ذكرا، وفى الكفر نسيانا.

﴿ وأوفوا بعهدى ﴾ أوفى يوفى، ووفى يفى، بمعنىً واحد. وقد جمعها الشاعر فى بيت واحد فقال:

أمّا ابنُ عوفٍ فقدْ أَوفَى بذمَّتِهِ ... كَمَا وَفَى بِقِلاَصِ النَّجْمِ حاويها

والعهد: هو الأمر المؤكد. ومعناه: «أوفوا بعهدى» بامتثال أمرى.

﴿ أوف بعهدكم ﴾ بالقبول والثواب. وقال مجاهد: أراد بهذا العهد ما ذكر فى سورة المائدة ﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا ﴾[1] إلى آخر الآية. ﴿ وإياى فارهبون ﴾ فخافونى.

قوله – تعالى –: ﴿ وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ﴾ بما أنزلت فى القرآن مصدقا لما معكم من التوراة. يعنى أن القرآن مصدق لما فى التوراة من التوحيد ونعت محمد ﷺ.

(١) المائدة: ١٢.

أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا

﴿ ولا تكونوا أول كافر به ﴾ يعنى أول من كفر به. وقيل: أول فريق كافر به. وهما فى المعنى سواء. فإن قيل: قد كفر به مشركو العرب قبلهم، فكيف قال: ولا تكونوا أول كافر به؟ قلنا: أراد به من أهل الكتاب؛ لأن الخطاب مع أهل الكتاب.

﴿ ولاتشتروا بآياتى ثمنا قليلا ﴾ ولاتستبدلوا؛ ذلك أن علماءهم وأحبارهم كانت لهم مأكلة على أغنيائهم وجهّالهم؛ فخافوا أن تذهب مأكلتهم إن آمنوا بمحمد ﷺ فغيروا نعته، وكتموا اسمه، فهذا معنى بيع الآيات بالثمن القليل.

﴿ وإياى فاتقون ﴾ فاحذرون.

قوله – تعالى –: ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ﴾ اللبس: هو الخلط والتعمية.

يقال: لَبِسَ يَلْبِسُ لُبْسا، من اللباس. ولَبَس يَلْبِسُ لَبْسا، من التلبيس. قال الله – تعالى – ﴿ وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾[1] أى: خلطنا عليهم كما خلطوا. وقال على – رضى الله عنه – للحارث: لا يكن ملبوسا عليك، الحق لايعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله.

فمعنى قوله: ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ﴾ أى: الإسلام باليهودية والنصرانية، كذا قال الأكثرون. وقيل: هو لبس التوراة بما غيروا من نعت محمد ﷺ.

﴿ وتكتموا الحق ﴾ يعنى نعت محمد. ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ أنه حق. قال محمد ابن سيرين: هذا الخطاب مع قوم من اليهود كانوا بالشام رأوا فى كتبهم اسم محمد ونعته، وأنه يبعث من القرى العربية، فخرجوا فى طلبه ونزلوا بالمدينة فلما بعث محمد حسدوه، وغيروا اسمه ونعته؛ خوفا من ذهاب مأكلتهم.

قوله – تعالى –: ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ أما الصلاة فقد ذكرنا. وأما

(١) الأنعام: ٩.

تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ

الزكاة: فمأخوذ من زكا الزرع، إذا كثر ونما.

وقيل: هى مِنْ تَزَكَّى. أى: تطهر، وكلا المعنيين موجود فى الزكاة المفروضة؛ لأن فيها تنمية المال وتطهيره.

﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾ أى: صلوا مع المصلين. وأصل الركوع: عبادة مع انحناء. يقال: ركعت النخلة إذا انحنت، ومنه قول الشاعر:

أخبر أخبار القرون التى مَضَتْ أَدِبُّ كأنى كُلَّمـا قُمْتُ راكِعُ

وإنما ذكره بلفظ الركوع؛ لأن صلاة اليهود ما كان فيها ركوع؛ فكأنه قال: وصلوا صلاة ذات ركوع.

فإن قيل: قد أمرهم فى أول الآية بإقامة الصلاة، فأى شىء معنى هذا الأمر الثانى: قلنا: الأول مطلق فى حق الكل، وهذا الثانى خطاب لقوم مخصوصين، قال لهم: صلوا مع الذين [ سبقوكم ] (١) بالإيمان والصلاة.

قوله - تعالى -: ﴿ أتأمرون الناس بالبر ﴾ أى: بالطاعة ﴿ وتنسون أنفسكم ﴾ أى: تتركون أنفسكم ﴿ وأنتم تتلون الكتاب ﴾ التوراة.

﴿ أفلا تعقلون ﴾ العقل: مأخوذ من عقال البعير، وهو ما يشد به ركبة البعير، سمى به لأنه يمنعه من الشرود، كذلك العقل يمنع صاحبه من التمرد والخروج عن طاعبه. وفى معنى الآية قولان، أحدهما: أنه خطاب لأحبارهم؛ حيث أمروا أتباعهم بالتمسك بالتوراة، ثم خالفوا وغيروا نعت محمد ﷺ.

والقول الثانى: أن أهل المدينة كانوا يشاورون علماءهم فى اتباع محمد فأشاروا عليهم باتباعه ثم خالفوه وكفروا به.

فى الحديث: ( روى أنس )(٢) عن النبى ﷺ أنه قال: « رأيت ليلة أسرى بى فى السماء أقواما تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فسألت من هؤلاء؟ فقالوا: هؤلاء

(١) فى « الأصل، وك »: سبقكم.

(٢) فى ك: روى عن أنس.

أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم

الخطباء من أمتك كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم»(١).

قوله - تعالى -: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ الاستعانة طلب المعونة. وأما الصبر فالأكثرون على أنه حبس النفس عن المعاصى.

ومنه الدابة المصبورة وهى أن تمسك لترمى كالهدف.

وفى الحديث: «أنه نهى عن الدابة المصبورة»(٢). وقال ﷺ فى الذى يمسك غيره حتى يقتل: «اصبروا الصابر واقتلوا القاتل»(٣) أى: أحبسوا الممسك واقتلوا المباشر.

وقال الحسن البصرى: هو الصوم. ومنه سمى شهر رمضان شهر الصبر. فإن قيل: ما معنى الاستعانة بالصوم والصلاة؟ قيل: لأن الصوم يزهده فى الدنيا. (وكذلك)(٤) فى الصلاة يقرأ ما يحثه على الزهد فى الدنيا. فكأنه قال: استعينوا بهذين على الدين؛ لتقووا على الإقبال على الآخرة والإعراض عن الدنيا.

﴿وإنها لكبيرة﴾ لثقيلة. وفى قوله: ﴿وإنها﴾ قولان: أحدهما: أن (الكناية)(٥)

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (٣/ ١٢٠، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٤٠)، وابن أبى شيبة فى المصنف (١٤/ ٣٠٨)، وابن حبان فى صحيحه (١/ ٢٤٩ رقم ٥٣)، وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ١٧٢)، وغيرهم. وانظر الدر المنثور (١/ ٧٠)، وابن كثير (١/ ٨٦).

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر. البخارى (٩/ ٥٥٨ رقم ٥٥١٤. ٥٥١٤)، ومسلم (١٣/ ١٥٩ - ١٦٠ رقم ١٩٥٨)

(٣) أخرجه الدارقطنى فى سننه (٣/ ١٤٠)، وابن عدى - كما فى الكنز ٣٩٨٣٨ - ومن طريق ابن عدى رواه البيهقى فى السنن الكبرى (٨/ ٥٠) من حديث ابن عمر مرفوعاً بنحوه، قال البيهقى: هذا غير محفوظ، وقد قيل عن إسماعيل بن أمية عن سعيد بن المسيب عن النبى ﷺ، وهو الصواب، ثم ساق الحديث بإسناده عن إسماعيل بن أمية مرسلاً ولفظه: قضى رسول الله ﷺ فى رجل أمسك رجلاً وقتل الآخر.. الحديث. وقد أخرجه الدارقطنى أيضا فى الموضع السابق، و البيهقى (٨/ ٥١) من حديث معمر عن إسماعيل بن أمية يرفعه: «اقتلوا القاتل واصبروا الصابر». قال أبو عبيدة: قوله: «اصبروا الصابر» يعنى احبسوا الذى حبسه.

(٤) فى «ك»: وكذا.

(٥) فى «ك»: الكتابة، وهو تصحيف، ويقصد بالكناية الضمير.

مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ

راجعة إلى الصوم والصلاة جميعا. إلا أنه اكتفى بأحد المذكورين والكناية عنه. وهو كما قال القائل:

وَمَنْ يكُ أمْسَى بالْمدينةِ رحلهُ ... فإنى وقَيَّارٌ بها لغريبُ

أى: لغريبان إلا أنه اكتفى بأحدهما. وأورد الأزهرى فى كتاب التقريب قولا حسنا، فقال: تقديره: واستعينوا بالصبر وإنه لكبير، وبالصلاة وإنها لكبيرة، إلا أنه حذف أحدهما واختصر المعنى اختصارا.

﴿إلا على الخاشعين﴾ الخاشع: هو المطيع المتواضع.

﴿الذين يظنون﴾ يستيقنون. والظن يكون بمعنى الشك، ويكون بمعنى اليقين، قال الله – تعالى –: ﴿إنى ظننت أنى ملاق حسابيه﴾[1] أى: استيقنت، وقال الشاعر:

فقلتُ لهم ظُنُّوا بأَلْفَىْ مُقَنَّعٍ ... سُراتُهمُ فى الفارسىِّ المسردِ

وقوله – تعالى –: ﴿أنهم ملاقوا ربهم﴾ أى صائرون إلى ربهم. وكل ما ورد فى القرآن من اللقاء فهو بمعنى الصيرورة إليه، كذا قال المفسرون.

وقيل: هو اللقاء الموعود، وهو رؤية الله – تعالى –.

وقوله – تعالى –: ﴿وأنهم إليه راجعون﴾ أى: صائرون.

وقوله تعالى: ﴿يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم﴾ معناه ما سبق.

﴿وأنى فضلتكم على العالمين﴾ التفضيل نقيض التسوية. وأراد به التفضيل بتلك النعم التى سبق ذكرها. وذلك التفضيل وإن كان فى حق الآباء ولكن يحصل به الشرف للأبناء، فصح الخطاب معهم.

﴿على العالمين﴾ على عَالَمى زمانهم.

قوله – تعالى – ﴿واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئًا﴾ معناه: واحذروا

(١) الحاقة: ٢٠.

عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ

عذاب يوم القيامة. ﴿لا تجزى نفس عن نفس شيئا﴾ قال الأخفش: معناه لاتقوم نفس مقام نفس. وقال غيره: معناه لاتقضى نفس عن نفس حقا لزمها.

﴿ولايقبل منها شفاعة﴾ يقرأ بقراءتين بالتاء(١) والياء(٢) والكل جائز لأن الشفع والشفاعة بمعنى واحد كالوعظ والموعظة والصوت والصيحة بمعنى واحد. ثم يذكر تارة بالتذكير على المعنى. وتارة بالتأنيث على اللفظ. قال الله تعالى: ﴿قد جاءتكم موعظة من ربكم﴾(٣) وقال فى موضع آخر ﴿فمن جاءه موعظة من ربه﴾(٤) قال ﴿وأخذت الذين ظلموا الصيحة﴾(٥) وقال فى موضع آخر: ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾(٦) كذا هذا.

﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ العَدْلُ والعِدْلُ هو المثل، قال الله - تعالى - ﴿أو عدل ذلك صياما﴾(٧) أى: مثله.

والمراد بالعدل ها هنا الفدية، وسميت عدلا، لأنها مثل المفدي به. وأما قولهم: لايقبل منه صرف ولاعدل قيل: الصرف النافلة، والعدل الفريضة. وقيل: الصرف الحيلة، والعدل الفدية.

﴿ولا هم ينصرون﴾ يمنعون العذاب.

قوله - تعالى -: ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون﴾ الإنجاء والتنجية واحد. هو الإنقاذ من المكروه. وآل فرعون: أتباعه الذين اقتدوا به وبفعله. وكذلك آل النبى ﷺ أتباعه.

---

(١) وهى قراءة ابن كثير، ويعقوب، وأبى عمرو كما فى النشر (٢/٢١٢).

(٢) وهى قراءة الباقين. انظر المصدر السابق.

(٣) يونس: ٥٧.

(٤) البقرة: ٢٧٥.

(٥) هود: ٩٤.

(٦) هود: ٦٧.

(٧) المائدة: ٩٥.

يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا

وروى أنس عن النبى ﷺ أنه قال: «آلى كُلُّ مؤمنٍ تقى»(١)، فأما آل القرابة فهم قوم مخصوصون [لا](٢) تجرى عليهم الصدقة. وقد ذكروا فى الفقه.

﴿يسومونكم سوء العذاب﴾ أى: يجشمونكم ويولونكم. وقيل: يصرفونكم فى العذاب مرة هكذا ومرة هكذا، كالإبل السائمة فى البرية.

﴿سوء العذاب﴾ أشد العذاب ﴿يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم﴾ مذكور على وجه البدل عن قوله ﴿يسومونكم﴾ ومثله قول الشاعر:

مَتَى تَأْتِنَا تُلْمِمْ بِنَا فِى دِيَارِنَا ... تَجِدْ حَطَبًا جَزْلًا وَنَارًا تَأَجَّجَا

وقوله: «تلمم بنا فى ديارنا» بدل عن قوله: «متى تأتنا».

ومعنى قوله: ﴿يذبحون أبناءكم﴾ أى: يقتلون. الذبح والذبيح بمعنى واحد.

وسبب ذلك أن فرعون رأى فى المنام نارا جاءت من نحو بيت المقدس، وأحاطت بمصر، وأحرقت كل قبطى هنالك، ولم تتعرض لبنى إسرائيل، فعلم بذلك أن نبيا يخرج من بنى إسرائيل؛ يكون هلاكهم على يديه، فأمر بقتل الأبناء، وترك البنات، حتى قيل: إنه قتل فى طلب موسى اثنى عشر ألف صبيا.

﴿ويستحيون نساءكم﴾ أى: يتركون ويستبقون، وهو استفعال من الحياة، ومنه

---

(١) أخرجه العقيلى فى الضعفاء (٤/٢٨٧) والبيهقى فى سننه (٢/١٥٢) وابن الجوزى فى العلل المتناهية (١/٢٦٦ رقم ٤٢٩) – من طريق العقيلى – جميعهم من طريق نافع عن أنس مرفوعًا. ونافع هو ابن هرمز. قال البيقهى. وهذا لايحل الاحتجاج بمثله. وقال ابن الجوزى: هذا حديث لايصح عن رسول الله ﷺ.

وأخرجه الطبرانى فى الصغير (١/١٩٩ – ٢٠٠ رقم ٣١٨). وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/١٦٩): فيه نوح بن أبى مريم، وهو ضعيف.

(٢) ليست فى «الأصل» ولا «ك».

آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ

قول النبى ﷺ: «اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم»(١) أى: شبابهم، وأراد به الذرية والنساء.

﴿وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ البلاء: يكون بمعنى النعمة ويكون بالشدة، لأنه من الابتلاء. والله - تعالى - قد يختبر على النعمة بالشكر وقد يختبر على الشدة بالصبر. قال الله - تعالى -: ﴿[ونبلوكم](٢) بالشر والخير فتنة﴾(٣) قال الشاعر:

**جزى الله إحسانًا بما فعلا به ... وأبلاهما خير البلاء الذى يبلو**

وقوله - تعالى -: ﴿وفى ذلكم بلاء﴾ يحتمل هذا المعنيين، أحدهما: فيما لحقكم من فرعون من الأذى والشدة بلاء عظيم.

ويحتمل أنه أراد: فيما حصل لكم من النجاة بغرق فرعون بلاء عظيم، أى: نعمة عظيمة.

قوله - تعالى -: ﴿وإذ فرقنا بكم البحر﴾ قيل: فرقنا لكم البحر. وقيل: الباء فى موضعها، ومعناه: فرقنا البحر بدخولكم إياه فرقا فرقا فوق الرأس وفرقا من تحت القدم أو فرقا من ذلك الجانب، وفرقا من ذلك الجانب، والبحر سمى بحرا، لاتساعه. ومنه يقال للفرس: بحر إذا اتسع فى جريه، وللجواد: بحر إذا اتسع كفه للجود.

وقوله - تعالى -: ﴿فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون﴾ قيل فى القصص: إن عدد المُنْجَيْنَ منهم كانوا ستمائة ألفٍ [وعشرين](٤) ألفًا، لايعد فيهم ابن عشرين لصغره،

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه (٣/٥٤ رقم ٢٦٧٠)، والترمذى (٣/١٢٣ رقم ١٥٨٣) والإمام أحمد في مسنده (٥/١٢، ٢٠)، والطبرانى فى الكبير (٧/٢١٦ - ٢١٧، ٢٢٤، رقم ٦٩٠٠، ٦٩٠١، ٦٩٠٢، ٦٩٣٢)، والبيهقى (٩/٩٢). وقال الترمذى: حسن صحيح غريب. وأعله ابن التركمانى بضعف الحجاج، وأن أكثر الحفاظ لايثبتون سماع الحسن من سمرة؛ سوى حديث العقيقة. ونقل الزيلعى فى نصب الراية (٣/٣٨٦) هذا الإعلال عن البيهقى نفسه. وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع وأبى داود والترمذى.

(٢) فى «الأصل وك»: ولنبلونكم، وهو خطأ.

(٣) الأنبياء: ٣٥.

(٤) فى «الأصل وك»: عشرون، وهو خطأ.

الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ

ولا ابن ستين لكبره. وأما عدد المغرَقين فالله بهم عليم.

وقيل: كان على مقدمته هامان مع ألف ألف وسبعمائة ألف نفر حين غرقوا، والله أعلم بمن كان على المؤخرة.

﴿ وأنتم تنظرون ﴾ إلى غرقهم وهلاكهم. وقيل: تعلمون.

قوله - تعالى -: ﴿ وإذا واعدنا ﴾ وقرأ: «وإذ وعدنا»[1] معناهما واحد، فإن قال قائل: المواعدة على وزن المفاعلة، فتقتضى اثنين يتواعدان، فكيف تكون المواعدة من الله مع موسى؟

قلنا: المواعدة من الله - تعالى - بالأمر، ومن موسى - صلوات الله عليه - بالقبول وكذلك الوعد.

وأما موسى، اسم عبرى، و«مو» بلغة العبرية هو الماء و «شى» هو الشجر، فسمى «موشى» لأنه أخذ من الماء والشجر ثم قلب الشين سينا فى العربية فصار موسى.

وقوله: ﴿ أربعين ليلة ﴾ أى: انقضاء أربعين ليلة. أمره الله - تعالى - أن يصوم أربعين يوما لإعطائه التوراة، وكان قد وعده ثلاثين؛ إلا أن الله - تعالى - كان قد نهاه أن يتناول شيئا فى هذه الثلاثين، فلما أتم الثلاثين مر بشجرة، فتناول من ورقها، أمره الله - تعالى - أن يصوم عشرة أيام بسبب ذلك. وعليه دل قوله - تعالى - فى سورة الأعراف ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر... ﴾[2] الآية.

وقوله - تعالى -: ﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده ﴾ يعنى: إلها، وله قصة معروفة ستأتى فى سورة طه.

---

(١) وهى قراءة أبى جعفر ويعقوب، وأبى عمرو، انظر النشر (٢/٢١٢).

(٢) الأعراف: ١٤٢.

تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ

﴿ وأنتم ظالمون ﴾ باتخاذ العجل إلها.

قوله تعالى: ﴿ ثم عفونا عنكم من بعد ذلك ﴾. العفو: محو الآثار. ويقال: عفت الرياح كذا، إذا محت الآثار. يقول: عفونا عنكم من بعد اتخاذكم العجل إلها. ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ وإذ آتينا موسى الكتاب ﴾ يعنى: التوراة. ﴿ والفرقان ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه أراد به التوراة أيضا. إلا أنه ذكرها باسمين، ومثله قول الشاعر:

**ألا حبذا هند وأرض بها هنـــد وهند أتى من دونها النأى والبعد**

والنأى والبعد اسمان بمعنى واحد.

والقول الثانى: أراد به الفرقان بين الحق والباطل. وقد أعطى الله موسى ذلك. ومنه سمى يوم بدر: يوم الفرقان؛ لأنه فرق فيه بين الحق والباطل.

والقول الثالث: أراد به انفراق البحر كما سبق. ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ بالتوراة.

قوله - تعالى -: ﴿ وإذ قال موسى لقومه ﴾ معناه: اذكره إذ قال موسى لقومه ﴿ يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ﴾ إلهًا. ﴿ فتوبوا إلى بارئكم ﴾ خالقكم. ﴿ فاقتلوا أنفسكم ﴾ ليقتل بعضكم بعضا. وقيل معناه: استسلموا للقتل.

﴿ ذلكم خير لكم عند بارئكم ﴾ خالقكم ﴿ فتاب عليكم ﴾ بالقبول ﴿ إنه هو التواب الرحيم ﴾ القابل للتوبة.

وروى عن على - رضى الله عنه - أنه قال: كان عدد القتلى منهم [سبعين](١) ألفا فلما بلغوا ذلك، أوحى الله - تعالى - إلى موسى: إنى رفعت القتل عنهم،

(١) فى «الأصل وك»: سبعون وهو خطأ.

عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ

ورحمت من مضى منهم، وعفوت عمن بقى، وتبت عليهم .وحكى أن يوشع بن نون خرج عليهم حين تأهبوا للقتل واحتبوا له، فقال: إن الله رحم من حل حبوته. ثم إن الذين لم يعبدوا العجل سلوا سيوفهم، وأقبلوا على قتل الذين عبدوا العجل، حتى كان الابن يقتل أباه والأب يقتل ابنه، حتى أتوا على سبعين ألفا؛ ثم نزل الوحى كما وصفنا.

قوله تعالى: ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾ هو خطاب للسبعين الذين حملهم موسى إلى الطور ليسمعوا كلام الله؛ فإنهم لما سمعوا كلام الله قالوا لموسى: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة. أى: عيانا.

وقيل: فيه تقديم وتأخير يعنى قلتم: يا موسى جهرة لن (نؤمن)[1] (لك)[2] حتى نرى الله (جهرة)[3].

﴿فأخذتكم الصاعقة﴾ قرأ[4] عمرو: «فأخذتكم الصعقة» وهو فى الشواذ: وقد سبق تفسير الصاعقة. والمراد بها الموت هاهنا، أى: أخذكم الموت ﴿وأنتم تنظرون﴾.

فإن قيل: إذا ماتوا كيف نظروا؟ قيل: معناه: ينظر بعضكم إلى بعض حين أخذكم الموت. قيل: معناه: تعلمون ويكون النظر بمعنى العلم.

قوله - تعالى -: ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم﴾ يعنى أحييانكم بعد تلك الموتة بالطور.

قال قتادة: أحياهم ليستوفوا آجالهم ﴿لعلكم تشكرون﴾.

---

(١) سقط من «ك».

(٢) فى «ك»: بك.

(٣) كذا فى «الأصل»، و «ك»، وهى زيادة تفسد المعنى.

(٤) فى تفسير القرطبى (١/ ٤٠٤) وقرأ عمر وعثمان وعلى: «الصعقة» وهى قراءة ابن محيصن فى جميع القرآن

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

قوله – تعالى –: ﴿وظللنا عليكم الغمام﴾ الغمام: من الغم. وأصله: التغطية والستر ومنه يقال للقلب الحزين: مغموم. لأن الحزن غطّى قلبه. وللسحاب: غمام لأنه يغطى وجه الشمس. ومنه قوله تعالى: ﴿ثم لا يكن أمركم عليكم غمة﴾[1] أى: ملبوسا عليكم.

ومعنى الآية: قال مجاهد: أراد بتظليل الغمام عليهم ما ذكر فى قوله ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام﴾[2] وسيأتى شرحه.

وقال قتادة: إن قوما من بنى إسرائيل بقوا فى التيه فعطشوا، وتأذّوا بحرّ الشمس، وظلل الله عليهم غماما، كيلا يتأذّوا.

﴿وأنزلنا عليكم المن والسلوى﴾ الأكثرون: على أن المن هو الترنجبين[3]. وقال قتادة: هو صمغة تقع على الشجر. وقال وهب: هو الخبز الرقاق.

وأما السلوى: قيل: إنه طائر يشبه السمانى بعينه. وفيه قول غريب: أنه العسل.

وفى القصص: أن الله – تعالى – كان ينزل عليهم ذلك كل صباح من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس قدر ما يكفى ليومهم؛ إلا يوم الجمعة فإنه كان ينزل صباح الجمعة والسبت جميعا، وماكان للجمعة ينزل عليهم يوم السبت.

وأما قوله – عليه السلام –: «الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين»[4] فليس ذلك من هذا المن وإنما معناه: أنها من عطاء الله من غير كلفة ولا مشقة.

---

(١) يونس: ٧١.

(٢) البقرة: ٢١٠.

(٣) هو طلٌّ من السماء، يشبه العسل، ويقال له كذلك: الطرنجبين، بالطاء. انظر غريب القرآن لابن قتيبة (ص٤٩).

(٤) متفق عليه من حديث سعيد بن زيد. أخرجه البخارى – مع الفتح – (١٠/ ١٧٢ رقم: ٤٤٧٨) وطرفاه فى (٤٦٣٩، ٥٧٠٨)، ومسلم – بشرح النووى – (١٤/ ٥ رقم ٢٠٤٩).

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا

﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ أى: من حلال ما رزقناكم.

﴿ وما ظلمونا ﴾ وما بخسوا بحقنا ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾.

فالظلم: بمعنى البخس والنقص، وأصله ما بينا.

قوله تعالى: ﴿ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية ﴾ سميت القرية قرية؛ لأنها تجمع أهلها. ومنه المقرآة للحوض؛ لأنه مجمع الماء. ومنه قرية النمل؛ لأنها تجمع النمل ،والمراد بالقرية ها هنا البيت المقدس. وقيل: هى أريحا موضع هنالك.

﴿ فكلوا منها حيث شئتم رغدا ﴾ ومعنى الرغد ما سبق ،وقيل: هو الرزق الواسع الذى لايضيق ( ولايُعَنى )(١) طالبَه.

﴿ وادخلوا الباب سجدا ﴾ أراد بالباب: باب القرية. وقيل: هو باب حطة، وهو باب إيلياء.

﴿ سجداً ﴾ أى: ركعا خضعا. وأصل السجود الخضوع وفى الركوع خضوع، وقال الشاعر

بِجَمْعٍ تَضِلُّ البلْقُ فى حُجُرَاتِه ... ترى الأَكْمَ فيه سجداً للحوافرِ

أى: ركعا خضعا.

﴿ وقولوا حطة ﴾ قال ابن عباس – رضى الله عنهما –: معناه قولوا: حط ذنوبنا، وقال الزجاج: تقديره: قولوا: مسألتنا حطة. وقال عكرمة: هو قول: لا إله إلا الله.

﴿ نغفر لكم ﴾ تقرأ بقراءتين: «نغفر لكم» بالنون، و«يغفر لكم» بالياء(٢) وهما

---

(١) فى «ك»: ولا يغنى.

(٢) قال القرطبى فى تفسيره (١/٣٨٨): قراءة نافع بالياء مع ضمها، وابن عامر بالتاء مع ضمها، وهى قراءة مجاهد. وقرأها الباقون بالنون مع نصبها؛ وهى أبينها. وانظر النشر (٢/٢١٥).

قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ

واحد. وهو من الغفر، وهو الستر. ومنه المغفر؛ لأنه يستر الرأس. كذلك المغفرة تستر الذنوب.

﴿ خطاياكم ﴾ جمع الخطيئة وتجمع على الخطيئات أيضا، وهى الذنوب. يقال: خَطِئَ يُخْطِئُ خِطْأً وخطيئة، إذا أذنب متعمدا.

وأَخْطَأَ يُخْطِئُ إخطاءً إذا أذنب خاطئا(١).

﴿ وسنزيد المحسنين ﴾ من فضلنا.

قوله تعالى: ﴿ فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم ﴾ أجمعوا على أنهم بدلوا قول الحطة بالحنطة، وقالوا بلسانهم: هطا سمقاثا. أى: حنطة حمراء. وقيل: إنهم دخلوا الباب يزحفون على استاههم، وكان قد طوطئ لهم الباب، فما استطاعوا أن يدخلوا قياما، وأبوا أن يدخلوا سجدا، فدخلوا يزحفون على استاههم مخالفة فى الفعل كما بدلوا القول.

قوله تعالى: ﴿ فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ﴾.

الرجز. العذاب. والرجس: النتن. والرُّجْز (بضم الراء) صنم على قول من قرأ ﴿ والرجز فاهجر ﴾(٢) وقيل: أنزل الله عليهم - إذ فعلوا ذاك - طاعونا أهلك منهم أربعة وعشرين ألفا فى ساعة واحدة.

﴿ بما كانوا يفسقون ﴾ من المخالفة فعلا وقولا.

قوله تعالى: ﴿ وإذا استسقى موسى لقومه ﴾ الاستسقاء طلب السقيا. والسبب فى ذلك: أن بنى إسرائيل بقوا فى التيه فعطشوا، فسألوا موسى أن يستسقى لهم، ففعل.

(١) انظر لسان العرب (مادة: خطأ).

(٢) المدثر: ٥.

فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ

قوله – تعالى –: ﴿فقلنا اضرب بعصاك الحجر﴾ اختلفوا فى ذلك الحجر، منهم من قال: كان حجرا معينا على قدر رأس الرجل.

وقيل: كان ذراعا فى ذراع. وقيل: كان حجرا من الأحجار لا يعينه، أىَّ حجر كان.

﴿فانفجرت منه﴾ يعنى: فضرب (وتفجرت)[1]. هكذا تقديره: منه ﴿اثنتا عشرة عينا﴾ على عدد الأسباط. ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ عرف كل سبط منهم مشربهم.

وقيل: كان يظهر فيه بضرب موسى [اثنتى عشرة][2] حفرة، يعرف كل سبط منهم حفرته.

وقيل: كان يحمل الحجر مع نفسه فى وعاء؛ فكلما احتاجوا إلى الماء ضرب موسى على الحجر. ﴿كلوا﴾ مما أنزلنا عليكم من المن والسلوى ﴿واشربوا﴾ من هذه المشارب.

[﴿من رزق الله﴾][3].

﴿ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾ العيث: أشد الفساد. وقيل: معناه: ولاتسعوا فى الأرض مفسدين.

قوله – تعالى –: ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد﴾ كأنهم أجمعوا وسئموا من أكل المن والسلوى، فسألوا موسى أن يسأل لهم غيره من الطعام.

فإن قيل: كان لهم المن والسلوى، فَلِم سماهما واحدا؟! قيل: كانوا يأكلون أحدهما بالآخر (فكان)[4] كطعام واحد.

(١) فى «ك»: وانفجرت.

(٢) فى «الأصل وك»: اثنى عشر.

(٣) من «ك».

(٤) فى «ك»: وكان.

**طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا**

وقيل: إنه كان أبدا على نسق واحد، وكان من حيث اتساقه كطعام واحد.

﴿ فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها ﴾ سألوا هذه الأطعمة.

وقوله - تعالى -: ﴿ وفومها ﴾ اختلفوا فيه. قال ابن عباس، والأكثرون: إنه الحنطة. وقيل: الخبز. وحكى أن بعض الأعراب قال لامرأته: «فومى لنا» أى: اخبزى لنا.

وقال الضحاك بن مزاحم: أراد به الثوم. فأبدل الثاء بالفاء. ومنه قول الشاعر:

**كَانتْ ديارُهم - إذ ذاك - بارزةً ... فيها الفراديسُ والفومانُ والبصَلُ**

وقد قرأ أبى بن كعب وابن مسعود: «وثومها» بالثاء ﴿ وعدسها وبصلها ﴾.

قوله تعالى: ﴿ قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ﴾ يعنى: أتختارون الأدنى على ما هو خير. فإن قيل: أليس فيما سألوا الحنطة والخبز، وهى خير من المن والسلوى فلم سماه أدنى؟ قيل: أراد به أدنى فى القيمة، أو أراد به أسهل وُجُودًا على العادة.

﴿ اهبطوا مصرا ﴾ أى: انزلوا واذهبوا إلى مصر. واختلفوا فيه، فالأكثرون على أنه المصر المعروف. وقد قرأ ابن مسعود: «اهبطوا مصر» غير منصرف(١). ومن صرفه كان لقلة الحروف.

وقال الأعمش: أراد به مصر الذى عليه صالح بن على، وهو المصر المعروف. وقيل: كان مصرا من الأمصار لابعينه يقول: انزلوا مصرا ﴿ فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة ﴾ قيل: أراد به الجزية، وقال عطاء بن السائب: هو الكستيج والزنار(٢).

وقال ابن عباس: أصحاب القبالات ممن ضربت عليهم الذلة.

(١) قال القرطبى (١/ ٤٠١): وقرأ الحسن بن تغلب، وطلحة «مِصْرَ». بترك الصرف وكذلك هى فى مصحف أبى بن كعب، وقراءة ابن مسعود.

(٢) هو ما يلبسه الذِّمّى يشده على وسطه. انظر لسان العرب (مادة: زنر).

فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ

﴿ والمسكنة ﴾ والفقر، يقال: تمسكن الرجل أى صار فقيرا، وسمى الفقير مسكينا لأن الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة.

﴿ وباءوا بغضب من الله ﴾ أى: رجعوا واحتملوا غضب الله.

﴿ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ﴾ والآية: العلامة. والآية: الجماعة. يقال: خرج القوم بآيهم أى: بجماعتهم. والآية من القرآن مجمع كلمات معلوم الأول والآخر.

قوله - تعالى -: ﴿ ويقتلون النبيين ﴾. قرأ نافع بالهمز والمد. والباقون بالتليين، وأصله الإنباء، فمن همزه كان على الأصل. ومن لينه فلكثرة الاستعمال.

وقيل: هو مأخوذ من النَّبْوَة وهى المكان المرتفع، فعلى هذا يكون التليين على الأصل.

وفى الحديث: «أن رجلا قال: يانبىء الله - بالهمز والمد - فقال ﷺ: لست بنبىء الله إنما أنا نبى الله»(١).

قوله - تعالى -: ﴿ ويقتلون النبيين بغير الحق ﴾ فإن قال قائل: لم قال: «بغير الحق» وقتل النبيين لايكون إلا بغير الحق؟! قلنا: ذكره وصفا للقتل، والقتل يوصف تارة بالحق، وتارة بغير الحق وهو مثل قوله - تعالى - ﴿ قال رب احكم بالحق ﴾(٢). ذكر الحق وصفا للحكم لا أن حكمه ينقسم إلى الجور والحق.

(١) أخرجه العقيلى فى الضعفاء (٣/ ٨١، ٨٢) من حديث ابن عباس به مرفوعًا. وقد أورده فى منكرات عبد الرحيم بن حماد الثقفى، ثم قال: وقد روى بإسناد لين.

قلت: ولعله أراد رواية أبى ذر التى أخرجها الحاكم فى مستدركه (٢/ ٢٣١) وقال: هذا حديث صحيح. وتعقبه الذهبى بقوله: بل منكر لم يصح، قال النسائى: حمران ليس بثقة، وقال أبو داود: رافضى، روى عن موسى بن عبيدة وهو واه. اهـ.

(٢) الأنبياء: ١١٢.

وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ

﴿ ذلك بما عصوا ﴾ من المعاصى ﴿ وكانوا يعتدون ﴾ يتجاوزون الحد.

قوله – تعالى –: ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا ﴾ أراد بالذين هادوا اليهود، وإنما سموا يهودا؛ لأنهم قالوا ﴿ إنا هدنا إليك ﴾[1] أى: ملنا إليك.

وقيل: لأنهم من أولاد يهودا بن يعقوب. والنصارى قوم يعرفون. وإنما سموا نصارى؛ لأنهم نزلوا قرية تسمى ناصرة. وقيل: لقول عيسى: من أنصارى إلى الله قالوا :نحن أنصار الله.

﴿ والصابئين ﴾ قرأ نافع بالليين وقرأ الباقون بالهمز. وأصله الصبو وهو الميل والخروج.

يقال: صبأ ناب البعير إذا خرج. وصبا قلبه إلى فلان أى: مال. قال الشاعر:

**صبا قلبى إلى هند وهند مثلها (يصبى)**[2]

أى: مال قلبى إليها ومثلها تميل القلب.

واختلفوا فى معناه؛ قال ابن عباس: هم قوم من اليهود والنصارى.

وقال قتادة: هم قوم يقرءون الزبور، ويعبدون الملائكة، ويصلُّون إلى الكعبة ﴿ من آمن بالله ﴾. فإن قيل: قد ذكر فى الجملة ﴿ إن الذين آمنوا ﴾ فكيف يستقيم قوله ﴿ من آمن بالله ﴾؟.

قيل: هذا فى سلمان وأتباعه الذين آمنوا بمحمد ﷺ قبل البعث. ثم أقروا به بعد البعث.

وقيل: أراد به: من ثبت على الإيمان. وقيل: أراد بالذين آمنوا: المنافقين الذين آمنوا باللسان.

---

(١) الأعراف: ١٥٦.

(٢) فى «ك»: يضنى.

خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ

وقوله تعالى: ﴿من آمن بالله﴾ يعنى بالقلب مع اللسان ﴿بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿[وإذ][1] أخذنا ميثاقكم﴾ أى: عهدكم ﴿ورفعنا فوقكم الطور﴾ قيل: أراد به طور سيناء.

وقيل: كل جبل طور. وفى القصص: أن الله تعالى قلع جبل طور ورفع فوق رأسهم وقال لهم: إن لم تقبلوا التوراة أرسلت هذا الجبل عليكم، فقبلوا التوراة. وعليه دل قوله تعالى: ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم﴾[2] الآية.

﴿خذوا ما آتيناكم﴾ من التوراة ﴿بقوة﴾ بجد واجتهاد ﴿واذكروا ما فيه﴾ وادرسوا ما فيه. ﴿لعلكم تتقون﴾ النار فى الآخرة.

قوله - تعالى -: ﴿ثم توليتم من بعد ذلك﴾ أعرضتم من بعد ما قبلتم التوراة ﴿فلولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ يعنى: بالإمهال والإدراج ﴿لكنتم من الخاسرين﴾ لَمِنَ المعذبين فى الحال؛ كأنه رحمهم بالإمهال.

قوله - تعالى -: ﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا﴾ أى: جاوزوا الحد، ويقال: تعدى طوره. أى: جاوز حده.

﴿منكم فى السبت﴾ وأصل السبت: القطع، وسمى يوم السبت بذلك؛ لأن اليهود أمروا فيه بقطع الأعمال - أراد به قوم أيله، وهى قرية على شط البحر - وترك الاصطياد فى يوم السبت؛ فخالفوا واصطادوا. وقصتهم تأتى مشروحة فى سورة

(١) فى «الأصل»: إذا.

(٢) الأعراف: ١٧١.

الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾

الأعراف.

﴿ فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ وهذا أمر تكوين ليس للعبد فيه صنع ولا اختيار.

﴿ خاسئين ﴾ مبعدين. ومنه يقال: [أخسأ](١) أى: أبعد. فإن قيل: لم قال: «قردة خاسئين» وإنما تنعت القردة بالخاسئات؟ قيل: فيه تقديم وتأخير. وتقديره: خاسئين قردة.

قوله - تعالى -: ﴿ فجعلناها نكالا لما بين يديها ﴾ أى: فجعلنا عقوبتهم بالمسخ نكالا. والنكال: اسم لكل عقوبة تُنَكِّل الناظر من فِعْلِ ما جعلت العقوبة جزاء عليه. ومنه النكول من اليمين، وهو منع اليمين.

﴿ لما بين يديها ﴾ فإن قيل: كيف يكون نكالا لما بين يديها وهم قد مضوا؟ قيل: أراد به الذين حضروا فى ذلك الزمان.

﴿ وما خلفها ﴾ الذين يأتون من بعد «وما» ها هنا: بمعنى «من» وفيه قول آخر: أراد «لما بين يديها»: ما سبقت من الذنوب ﴿ وما خلفها ﴾ ما حضرت من الذنوب التى أخذوا بها.

وفيه قول ثالث: أراد «بما بين يديها» القرى التى كانت مبنية فى الحال. وما خلفها: بالحدث من القرى من بعد.

﴿ وموعظة للمتقين ﴾ من أمة محمد ﷺ.

(١) فى «الأصل»: إخساء.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ

قوله تعالى : ﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ واذكر إذ قال موسى لقومه :﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ البقرة : الأنثى من البقر. وهى مأخوذة من البقر، وهو الشق. سميت بذلك لأنها تشق الأرض بالحراثة.

وفى الخبر: «أن النبى ﷺ نهى عن التبقر فى الأهل والمال»[1] أى: التوسع. والقصة فى ذلك: أنه كان فى بنى إسرائيل رجل غنى، وله ابن عم فقير، فاستطال حياته فقتله، وحمله إلى حى آخر، وطرحه بفنائهم، ثم أصبح يطلب دمه. فسألوا موسى أن يسأل ربه من القاتل؟ فسأل فأوحى الله - تعالى - [إليه][2] أن يأمرهم بذبح البقرة.

فقال: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴿قالوا أتتخذنا هزوا﴾ لأنهم لما سألوه أن يسأل ربه من القاتل؟ فقال: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، فلبعد ما بين السؤال والجواب، قالوا: أتتخذنا هزوا. وذلك من شدة جهلهم، وتبسطهم فى الكلام نسبوا نبيهم إلى الاستهزاء.

﴿قال أعوذ بالله﴾ أعتصم وأمتنع بالله. ﴿أن أكون من الجاهلين﴾ بالجواب، لا على وفق السؤال. لأن كل من سئل عن شىء فأجاب لا على وفق السؤال يكون جاهلا.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (١/ ٤٣٩) والطيالسى فى مسنده ص٥٠ رقم ٣٨٠، والشاشى فى مسنده (٢/ ٢٤٢ ٢٤٤رقم ٨١٤، ٨١٥) عن ابن مسعود وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٢٥٤): رواه أحمد بأسانيد وفيها رجل لم يسم. وقال الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله -: فى إسناديه نظر، وأحدهما ضعيف لجهالة الرجل من طيئ، والآخر صحيح على بحث فيه. انظر المسند بتحقيق شاكر (٦/ ١٠٤). وانظر تعليق الحافظ ابن حجر فى تعجيل المنفعة (٤٧٨ - ٤٧٩)، وتعليق الشيخ ناصر - حفظه الله - فى الصحيحة رقم ١٢.

(٢) زيادة من «ك».

﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا

قوله – تعالى –: ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى﴾ هذا استيصاف السن ﴿قال إنه يقول﴾ يعنى: فسأل[1] فقال: إنه يقول: ﴿إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك﴾ قيل: الفارض الكبيرة المسنة، والبكر: الفتى، والعوان ما بين ذلك.

ومنه يقال: عَوَنَت المرأة، إذا زادت على الثلاثين. ويقال: فى الْمَثَل «العَوَانُ لاتُعَلَّمُ الْخِمْرَةَ» أى: الاختمار.

وقيل: الفارض التى ولدت بطونا، والبكر: التى لم تلد أصلا، والعوان: التى ولدت بطنا أو بطنين. ﴿فافعلوا ما تؤمرون﴾ من الذبح.

قوله تعالى: ﴿ادع لنا ربك﴾ سل لنا ربك. ﴿يبين لنا ما لونها﴾ هذا استيصاف اللون. ﴿قال إنه يقول إنها بقرة صفراء﴾ قال الحسن: الصفراء: السوداء.

ومنه قول الشاعر:

تِلْكَ خَيْلِى مِنْه وتِلْكَ رِكَابِى ... هُـنَّ صُفْرٌ أَلْوانُهـا كالزَّبيبِ

يعنى سود، والصحيح: أنه أراد به الصفراء المعهودة بدليل قوله: ﴿فاقع لونها﴾ وإنما يقال: أصفر فاقع، وأسود حالك، وأحمر قانٍ، وأبيض يقق. ويقال: ذلك للمبالغة.

وقال سعيد بن جبير: كانت صفراء القرون والظلف. والصحيح: أنه كانت صفراء بجميعها.

﴿تسر الناظرين﴾ أى تعجبهم وتدخل السرور فى قلبهم من حسنها وهذا دأب كل حسن قد يرى. وقد قال النبى ﷺ «من لبس نعلا صفراء لم يزل فى سرور حتى ينزعها»[2].

(١) في «ك»: أنه سأل.

(٢) أخرجه العقيلى فى الضعفاء (٣ / ٤٤٦)، والطبرانى فى الكبير (١٠/٢٦٣ رقم ١٠٦١٢)، وابن أبى حاتم فى تفسيره (١/٢١٩ رقم ٧١٠ – تفسير سورة البقرة) جميعهم عن ابن عباس موقوفا. قال أبو حاتم فى العلل (٢/ ٣١٩): هذا حديث كذب موضوع.

تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ

قوله تعالى: ﴿قالوا ادع لنا ربك﴾ سل لنا ربك. ﴿يبين لنا ماهى﴾ وهذا استيصاف العمل أنها من العوامل أم لا؟ ﴿إن البقر تشابه علينا﴾ أى: اشتبه. ﴿وإنا إن شاء الله لمهتدون﴾ وفى الخبر: «أنهم لو لم يقولوا: إن شاء الله ما اهتدوا أبدا»(١).

قوله - تعالى -: ﴿قال إنه يقول إنها بقرة لاذلول تثير الأرض﴾ الذلول: بَيِّن الذِّلَّة، والذليل بَيِّن الذُّل، والبقرة الذلول التى أذلها العمل بإثارة الأرض.

﴿ولاتسقى الحرث﴾ ليست بساقية ﴿مسلمة﴾ عن العيوب. ﴿لاشية فيها﴾ قال الزجاج: ليس فيها لون يخالف معظم لونها.

﴿قالوا الآن جئت بالحق﴾ فإن قيل: قد كان جاء بالحق فى كل مرة. فما معنى قوله ﴿الآن جئت بالحق﴾؟! قيل: معناه: الآن أتيت بالبيان التام الشافى الذى لم يبق معه لبس ولا إشكال.

﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾ يعنى: من غلاء ثمنها، لأنه روى أنهم اشتروها بملء مسكها(٢) ذهبا.

وحكى عن عكرمة أنه قال: ما اشتروها بذلك، إنما اشتروها بثلاثة دنانير.

وقيل: معناه وما كادوا يفعلون من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها، والأول أصح.

وفى الحديث أن النبى ﷺ قال: «شددوا على أنفسهم؛ فشدد الله عليهم. ولو

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره (١/ ٢٢٣ رقم ٧٢٧)، وابن مردويه فى تفسيره - كما فى تفسير ابن كثير (١/ ١١١) من أبى هريرة مرفوعا. وذكره الأخير مطولا. وقال ابن كثير: هذا حديث غريب من هذا الوجه وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبى هريرة كما تقدم مثله عن السدى. وعزاه الهيثمى إلى البزار وقال: وفيه عباد بن منصور وهو ضعيف، وبقية رجاله ثقات المجمع (٦/ ٣١٧). ورواه سعيد بن منصور (٢/ ١٩٣)، والفريابى، وابن المنذر - كما فى الدر (١/ ٨٣) - عن عكرمة مرسلا.

(٢) المَسْكُ: الجلد، وخص بعضهم به: جلد السخلة. لسان العرب (مادة: مسك).

وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ

اعترضوا بقرة فذبحوها؛ حصل مرادهم»(١).

قوله تعالى: ﴿وإذ قتلتم نفسا﴾ هذا فى التلاوة مؤخر، وفى المعنى مقدم؛ لأنه أول القصة. ﴿فادَّارأتم فيها﴾ أى: اعوججتم(٢) ومنه قول الشاعر:

فَنَكَّب عَنْهُمُ دَرْءَ الأَعَادِى ودَاوَوْا بالجنـون مِنَ الجُنُونِ

أى: اعوجاجهم.

وقيل: معناه: تدافعتم إذا كان يحيل بعضهم على بعض وأصل [الدرء](٣) الدفع.

قوله تعالى: ﴿والله مخرج ما كنتم تكتمون﴾ أى: مظهر ما كنتم تكتمون؛ فإن القاتل كان يكتم القتل.

قوله تعالى: ﴿فقلنا اضربوه ببعضها﴾ أمر الله تعالى أن يضرب المقتول ببعض البقرة. واختلفوا فى ذلك البعض؛ قال ابن عباس وأكثر المفسرين: كان ذلك من الغضروف إلى الكتف. قال مجاهد: وهو عجب الذنب. وقال غيره: هو الفخذ. وقال بعضهم: اللسان.

وقيل: بعض منها لابعينه؛ أىّ بعض كان.

﴿كذلك يحيى الله الموتى﴾ لأنه أراهم إحياء المقتول حين ضرب ببعض البقرة.

وفى القصة: أنه لما ضرب ببعضها قام حيا وقال: «قاتلى فلان»، ثم سقط ميتا؛ فحرم قاتله الميراث.

وفى الخبر: أن النبى ﷺ قال: «ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة»(٤).

---

(١) وهو جزء من الحديث المتقدم. وهو جزء من حديث رواه أيضا ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ رقم ٦٩٥)، والبيهقي في سننه (٦ / ٢٢٠ - ٢٢١) عن عبيدة السلماني قوله.

(٢) في الأصل، «ك»: اعوجتم. (٣) فى «الأصل»، و «ك»: الدواء. وهو تحريف.

(٤) لم أقف عليه مرفوعاً، وإنما وجدته من قول أبي عبيدة السلماني، رواه أبو حاتم فى تفسيره (١/ ٢١٤-٢١٥ رقم ٦٩٥).

تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ

﴿ ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ تمنعون أنفسكم من المعاصى.

وقيل: إنما خص البقرة بذلك الذبح؛ لأنهم كانوا قد عبدوا العجل، فأراد أن يريهم هوانها، وأنها تعجز عن دفع القتل عن نفسها.

أو ابتلاهم بالأمر بذبحها حتى [ يراهم ](١) هل يقتلون أم لا.

قوله تعالى: ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ﴾ يعنى يبست وجفت، وجفاف القلب بخروج الرحمة والرقة عنه. ﴿ من بعد ذلك ﴾ من بعد ما ظهر لكم من تلك الآيات. ﴿ فهى كالحجارة ﴾ يعنى فى الصلابة ﴿ أو أشد قسوة ﴾.

فإن قيل: لم قال: أو أشد قسوة و« أو » كلمة التشكيك؟ ولم شبَّه بالحجارة والحديد أصلب من الحجارة؟.

قلنا: أما الأول معناه وأشد قسوة. وقيل: بل أشد قسوة، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ إلى مائة ألف أو يزيدون ﴾(٢) أو بل يزيدون.

وقال جماعة النحويين: معناه إن شئت مثلهم بالحجارة؛ وإن شئت مثلهم بما هو أشد من الحجارة، فأنت مصيب فى الكل. وهذا قول حسن.

وإنما لم يشبِّه بالحديد؛ لأنه قابل للين، فإنه يلين بالنار، وقد لان لداود - عليه السلام -، والحجارة لاتلين قط.

قوله تعالى: ﴿ وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ﴾ قيل: أراد به جميع الحجارة. وقيل: أراد به الحجر الذى كان يضرب عليه موسى للأسباط.

﴿ وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ﴾ أراد به عيونا دون الأنهار، وتكون فى بعض

---

(١) فى « الأصل » و« ك »: أنهم.

(٢) الصافات: ١٤٧.

قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾

الأحجار ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾ أى ينزل من مخافة الله.

فإن قيل: الحجر جماد لايفهم؛ فكيف يخشى؟! قلنا: قد قال أهل السنة: إن لله - تعالى - علما فى الموات لايعلمه غيره.

وقيل: إن الله تعالى يفهمهم ويلهمهم ذلك فيخشون بإلهامه، وبمثل هذا وردت الأخبار.

فإنه روى: «أن النبى ﷺ كان على «ثبير» والكفار يطلبونه، فقال الجبل: انزل عنى فإنى أخاف أن توخذ علىّ فيعاقبنى الله بذلك. فقال له جبل حراء: إلىّ إلىّ يارسول الله».

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «كان حجر يسلم علىّ بمكة قبل أن أبعث، وأنا أعرفه الآن»(١) الخبر صحيح.

وفى الباب حديث أنس وسهل بن سعد، «أن رسول الله ﷺ كان يخطب إلى جذع فى المسجد قائما، فلما اتخذ له المنبر تحول إليه فلما رقاه حن الجذع»(٢).

ويروى: «أنه خار كما يخور الثور، حتى ارتج المسجد؛ فنزل رسول الله ﷺ من المنبر وكان الجذع يخور حتى التزمه فسكن. فخيره النبى ﷺ بين أن يكون شجرة فى الدنيا أو شجرة فى الجنة، فاختارالجنة، فأمر به فدفن»(٣).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٥/ ٥٣ رقم ٢٢٧٧)، والترمذي (٥/ ٥٥٣ رقم ٣٦٢٤)، وأحمد في مسنده (٥/ ٨٩، ٩٥/ ١٠٥) جميعهم من حديث جابر بن سمرة.

(٢) متفق عليه من حديث سهل بن سعد. البخاري (٢/ ٤٦١ رقم: ٩١٧) ومسلم (٥/ ٤٦ - ٤٩ رقم ٥٤٤). وحديث أنس أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٤٤٩)، والترمذي (٥/ ٥٥٤ رقم ٣٦٢٧) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١/ ٤٥٤ رقم ٤١٥) وابن خزيمة في صحيحه (٣/ ١٤٠ رقم ١٧٧٧).

(٣) هذه الزيادة جاءت فى حديث طويل لعائشة، أخرجه أبو يعلى، وقال الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٦/ ١٣١): هذا حديث غريب إسنادا ومتنا.

وجاءت أيضا فى حديث طويل لأبى بن كعب عند أحمد (٥/ ١٣٨، ١٣٩)، وبريدة عند الدارمى (١/ ٢٩- ٣٠) وغيرهم.

**أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا**

وقد قال مجاهد: لاينزل حجر من [الأعلى](١) إلى الأسفل إلا من خشية الله.

ويشهد لكل ما قلنا. قوله - تعالى -: ﴿لوأنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله﴾(٢).

﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ أى: يشاهد ما تصنعون.

قوله تعالى: ﴿أفتطمعون﴾ أى: ترجون ﴿أن يؤمنوا لكم﴾ أى: يصدقونكم بما تخبرونهم به. ﴿وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنهم سمعوا التوراة ثم حرفوا ما فيها من الأحكام ونعت محمد.

القول الثانى: أنه أراد به السبعين الذين حملهم موسى إلى الطور حين قالوا: إن كنت ترى الله فينبغى أن نرى الله، وإن كنت تسمع كلام الله؛ فينبغى أن نسمع كلام الله. فقال موسى: أما أنا فلا أرى الله، ولكنى أسمع كلامه، ثم سأل موسى ربه تعالى أن يسمعهم كلامه فقال الله تعالى: مرهم فليصوموا كذا وليغسلوا أو ليلبسوا ثيابا جددا نظيفة، ثم ليحضروا ففعلوا ذلك. وسمعوا كلام الله.

وفى التفسير: أنه قال لهم: أنا الله لا إله إلا أنا، أخرجتكم من مصر بيد شديدة فاعبدونى ولا تشركوا بى شيئا، وافعلوا كذا، وكذا فلما سمعوا كلامه، خرجت أرواحهم وماتوا فأحياهم الله تعالى فقالوا لموسى: إنا لانطيق أن نسمع كلامه، فاسمع أنت، وبلغنا إياه. ثم رجعوا إلى قومهم قالوا: قد سمعنا كلام الله، وقد أمرنا أن نفعل كذا وكذا، لكنه قال: افعلوا إن شئتم أو إن استطعتم.

وفى رواية قال: لاترتكبوا كذا وكذا إلا أن يكون لكم بد؛ فارتكبوا، فهذا معنى

(١) فى «الأصل»: أعلى، والمثبت من «ك».

(٢) الحشر: ٢١.

بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ

قوله ﴿ يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ﴾ أى: فهموه ﴿ وهم يعلمون ﴾ أنه الحق.

قوله تعالى: ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ﴾ أنزل فى قوم من اليهود آمنوا فنافقوا. ﴿ وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ﴾ والفتح بمعنى القضاء. قال الله تعالى: ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾[1] أى: قضينا لك قضاء بينا.

وقال الأصمعى: سمعت أعرابيا يقول: تعالَ إلى الفتاح. وفى معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قالوا لأهل المدينة حين شاوروهم فى اتباع محمد ﷺ: آمنوا به فإنه حق. ثم قال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليكون لهم الحجة عليكم عند ربكم أى: يأخذونكم.

والقول الثانى: أنهم أخبروهم بما عذبهم الله به على الجنايات؛ فقال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ﴿ ليحاجوكم به عند ربكم ﴾ ليروا الكرامة لأنفسهم عليكم عند الله.

والقول الثالث: أن النبى ﷺ لما فتح خيبر حاصر بنى قريظة قال لهم: «يا إخوة القردة والخنازير. فقال بعضهم لبعض: هذه الكلمة ما خرجت إلا منكم، يعنى: أنتم حدثتموه بذلك»[2] ﴿ أفلا تعقلون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ يعنى: أنه عالم بما أسروا (وأعلنوا)[3].

(١) الفتح: ١.

(٢) هذا الحديث أخرجه الطبرى فى تفسيره (١/ ٢٩٤) وابن أبى حاتم فى تفسيره (١/ ٢٣٨ رقم ٧٨٧) من حديث مجاهد مرسلاً. وعزاه فى الدر لعبد بن حميد وابن المنذر (الدر المنثور ١/ ٨٧).

(٣) فى «ك»: وما أعلنوا.

﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿ومنهم أميون﴾ الأمى: الذى لايقرأ ولا يكتب. وفى اشتقاقه قولان:

أحدهما: أنه من الأم، فالأمى باق على ما انفصل من الأم.

والثانى: من الأمة وهى الخلقة، ومنه قول الشاعر:

**وإن معـــاوية الأكـــرمين حسان الوجوه طوال الأمم**

يعنى بنى معاوية. وطوال الأمم أى الخلق. فالأمى: باق على ما كان عليه من أصل الخلقة.

﴿لايعلمون الكتاب إلا أمانىّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: قال مجاهد: الأمانى الأكاذيب.

ومنه قول عثمان – رضى الله عنه –: منذ أسلمت ما تمنيت ولا تغنيت أى: ما كذبت. وقال ابن دأب لرجل ذكر شيئا: هذا شيء رويته أم شيء تمنيته. أى: اختلقته واخترعته من تلقائك.

والقول الثانى: أنه التلاوة، أى: لايعلمون الكتاب إلا التلاوة ومثله قوله: ﴿إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته﴾[1] أى: تلاوته. وقيل فى عثمان – رضى الله عنه –:

**تَمنَّى كتـــــابَ اللهِ أولَ لَيْلِه [فيالَيْتَهُ][2] ما لاقَى حِمَامَ المَقَادِرِ**

أى: تلا كتاب الله

والقول الثالث: قال الفراء والكسائى: هو من التمنى، وذلك هى أمانيهم الباطلة من قولهم ﴿لن تمسنا النار إلا أياما معدودة﴾[3] ومن قولهم: ﴿لن يدخل الجنة إلا

(١) الحج: ٥٢

(٢) فى «ك»: فياليت، وفى لسان العرب (مادة: منى)، وتفسير القرطبى (٢/٨): وآخره. (٣) البقرة: ٨٠.

فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا

من كان هودا أو نصارى﴾[1] ومن قولهم: ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾[2] فعلى قوله هذا «إلا» بمعنى «لكن» يعنى: لايعلمون الكتاب لكن يتمنون أشياء لاتحصل لهم.

﴿وإن هم إلا يظنون﴾ قال مجاهد: يكذبون. ولم يعرف أهل البصرة الظن بمعنى الكذب؛ فقالوا: معناه: إلا يخرصون.

قوله تعالى: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم كانوا يكتبون من عندهم أشياء، ثم يقولون للأعراب: هذا من عند الله، يبتغونها منهم. وقيل: أراد به ما غيروا بأيديهم من نعت محمد ﷺ فى التوراة؛ فإنه كان فيها أنه أكحل أعْيَنْ، ربعة، سبط الشعر، فكتبوا فيها أنه أشقر، أزرق طويل القامة، جعد الشعر.

﴿ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم﴾ اختلفوا فى الويل؛ قال أبو سعيد الخدرى – ويروى ذلك مرفوعا عن النبى ﷺ أيضا – «إن الويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر سبعين خريفا»[3].

وقال عثمان: هو جبل من نار. وأصل الويل: الهلاك ودعاء العذاب، فإن قيل: ما

(١) البقرة: ١١١.

(٢) المائدة: ١٨

(٣) أخرجه الترمذى (٥/ ٣٠٠ رقم ٣١٦٤)، وقال: غريب. وأحمد فى مسنده (٣/ ٧٥)، وابن حبان فى صحيحه (١٦/ ٥٠٨رقم ٧٤٦٧)، والحاكم فى مستدركه (٢/ ٥٠٧، ٥٣٤، ٤/ ٥٩٦) وقال: صحيح الإسناد جميعهم من طريق دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد مرفوعاً، وعندهم جميعاً: «أربعين خريفا». وقال الحافظ ابن كثير فى البداية (١/ ١٠٧): وهذا الحديث بهذا الإسناد مرفوعا منكر، والله أعلم.

لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ

معنى قوله: ﴿ مما كتبت أيديهم ﴾ و(١) الكَتْبُ لا يكون إلا باليد؟ قيل: ذكره مبالغة فى التحقيق. وقيل: معناه أنهم كتبوا بأنفسهم اختراعا.

﴿ وويل لهم مما يكسبون ﴾ من المعاصى.

قوله تعالى: ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ﴾ اختلفوا فيه، منهم من قال: أرادوا به أربعين يوما عدد ما عبدنا العجل.

ومنهم من قال: سبعة أيام. لأن مقدار زمان العالم سبعة آلاف سنة فقالوا: نعذب بكل ألف سنة يوما.

وقيل: إنهم قالوا: سمعنا أنبياءنا أنهم قالوا: ما بين طرفى جهنم مسيرة أربعين سنة فنحن نقطع فى كل يوم مسيرة سنة فتبقى مسيرة جهنم فى أربعين يوما وننجو منها.

﴿ قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ﴾ معناه: أنى لكم بهذا؛ قول من الله؟ فلا يخالف قوله. قوله: ﴿ أم تقولون على الله ما لاتعلمون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ بلى من كسب سيئة ﴾ «بلى» تذكر فى جواب النفى. «ونعم» تذكر فى جواب الإيجاب. قال الله - تعالى -: ﴿ ألست بربكم قالوا بلى ﴾(٢).

وقال: ﴿ ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ﴾(٣). وقال: ﴿ فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم ﴾(٤). ﴿ بلى من كسب سيئة ﴾ السيئة: الشرك. ﴿ وأحاطت به خطيئته ﴾ أى: مات على الشرك.

وقيل: أراد بالسيئة: الكبيرة. ﴿ وأحاطت به خطيئته ﴾ أى: أصر عليها، ومات

(١) ليست فى «الأصل»، ولا «ك».

(٢) الأعراف: ١٧٢.

(٣) الزمر: ٧١.

(٤) الأعراف: ٤٤.

﴿ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ

غير تائب. وقال ابن السراج النحوى: معناه: انسدت عليه مسالك النجاة. ﴿ فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ إلى آخر الآية، ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لاتعبدون إلا الله ﴾ قرأ أبى بن كعب وابن مسعود: «لاتعبدوا إلا الله» على الأمر، والقراءة المعهودة «لاتعبدون».

وتقرأ بالياء[1] والتاء[2] ومعناهما واحد؛ فإن العرب قد تذكر المخاطبة فى (موضع)[3] المغايبة، والمغايبة فى موضع المخاطبة. وفى هذا الميثاق عهد وقسم، وتقديره: والله لاتعبدون إلا الله.

﴿ وبالوالدين إحسانا ﴾ أى: وأحسنوا بالوالدين إحسانا. والإحسان بهما البر والعطف والتحنن، والنزول عند أمرهما فيما لايخالف أمر الله - تعالى -. ﴿ وذى القربى ﴾ أى: أهل القرابات. ﴿ واليتامى ﴾ اليتيم: اسم لمن لا أب له من الآدميين. ولمن لا أم له من البهائم، وهو اسم للفقير منهم.

وقال على - رضى الله عنه -: «حفظت لكم عن رسول الله ﷺ ستا: لا طلاق قبل النكاح، ولا عتاق فى غير الملك، ولا نذر فى معصية الله، ولا يُتْمَ بعد الحُلُم، ولا صمت يوم إلى الليل. ولا صوم وصال»[4]. ﴿ والمساكين ﴾ هم الفقراء كما سبق.

(١) هى قراءة ابن كثير، وحمزة، والكسائى. انظر النشر (٢/٢١٨).

(٢) وهى قراءة الباقين. انظر المصدر السابق.

(٣) فى «ك»: معنى.

(٤) أخرج أبو داود بعضه فى سننه (٣/١١٥ رقم ٢٨٧٣)، وهو بطوله عند عبد الرزاق فى المصنف (٦/٤١٦ رقم ١١٤٥٠) وابن عدى فى الكامل (٢/١٢٢) باختصار والطبرانى فى الصغير (١/١٦٩ رقم ٢٦٦) والدارقطنى فى العلل (٤/١٤٢)، والبيهقى فى السنن (٧/٤٦١)، وصوب الدارقطنى وقفه، وقال الهيثمى فى المجمع (٤/٣٣٧): ورجاله ثقات. وانظر تخريجه فى الإرواء للشيخ الألبانى حفظه الله (٥/٨٠ - ٨٣/رقم ١٢٤٤).

بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا

﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ تقرأ بقراءتين حَسَناً(١) وحُسْناً(٢).

وتقديره: وقولوا للناس قولا حسنا، أو وقولوا للناس قولا ذا حسن. وفى معناه ثلاثة أقوال، أحدها: قال سفيان الثورى: القول الحسن هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. والقول الثانى: أنه اللين فى القول، والمعاشرة بحسن الخلق.

والقول الثالث: أنه خطاب لأهل التوراة يعنى: وقولوا للناس صدقا فى نعت محمد ﷺ فى التوراة.

﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ سبق تفسيره.

﴿ ثم توليتم ﴾ أعرضتم ﴿ إلا قليلا منكم ﴾ وذلك أن فريقا منهم قد آمنوا ﴿ وأنتم معرضون ﴾ كإعراض آبائكم.

قوله تعالى: ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ﴾ أى: لا يسفك بعضكم دماء بعض.

وقيل: لا تسفكوا دماء غيركم فتسفك دماؤكم؛ فكأنكم سفكتم دماء أنفسكم.

﴿ و لا تخرجون أنفسكم من دياركم ﴾ أى: لايخرج بعضكم بعضا.

وقيل: معناه: لاتسيئوا جوار من جاوركم؛ فتلجئوهم إلى الخروج؛ بسوء الجوار.

﴿ ثم أقررتم ﴾ أى: قبلتم ﴿ وأنتم تشهدون ﴾ تعترفون بالقبول.

قوله تعالى: ﴿ ثم أنتم هؤلاء ﴾ يعنى: ياهؤلاء ﴿ تقتلون أنفسكم ﴾ (بقتل)(٣) بعضكم بعضا.

---

(١) هى قراءة: حمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف، بفتح الحاء والسين. انظر النشر (٢/٢١٨).

(٢) هى قراءة الباقين، بضم الحاء، وإسكان السين. انظرالمصدر السابق.

(٣) فى «ك»: يقتل.

**تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ**

﴿ وتخرجون فريقا منكم من دياركم تظاهرون ﴾ يقرأ بالتشديد والتخفيف(١) وأصله: تتظاهرون. فأدغمت التاء فى الظاء. فصار مشددا ومعناه: تعاونون.

﴿ عليهم بالإثم والعدوان ﴾ فالإثم والعدوان: المبالغة فى الظلم. وقد روى: «أن النواس بن سمعان سأل رسول الله ﷺ ما البر؟ فقال: ما اطمأنت إليه نفسك، قال: ما الإثم؟ فقال ﷺ: ما حاك فى صدرك»(٢).

قوله تعالى: ﴿ وإن يأتوكم أسارى ﴾ يقرأ بقراءتين «أَسْرى، وأُسَارى»(٣) وفرق أبو عمرو بينهما فى المعنى، فقال: الأسارى لمن كان فى اليد مع الوثاق. والأسرى: لمن كان فى اليد من غير وثاق، ولم يرضوا منه بهذا الفرق، والصحيح: أنهما واحد.

﴿ تفدوهم ﴾ و﴿ تفادوهم ﴾ قراءتان(٤). قيل: هما فى المعنى واحد، وقيل: (تفادوهم)(٥) تقال فى فداء الأسرى بالأسرى. وتفدوهم فى الفداء بالمال.

﴿ وهو محرم عليكم إخراجهم ﴾ فيه تقدير وتأخير. وتقديره: وتخرجون فريقا منكم من ديارهم؛ وهو محرم عليكم إخراجهم؛ تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان.

﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ لأنهم خالفوا فى البعض وامتثلوا فى البعض.

---

(١) قرأ الكوفيون: حمزة، وعاصم، الكسائى، وخلف بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد. انظر النشر (٢/٢١٨)، وتفسير القرطبى (٢/٢١).

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٦/١٦٧ - ١٦٨ رقم ٢٥٥٣)، والترمذى (٤/٥١٥ رقم ٢٣٨٩)، وقال: حسن صحيح وأحمد فى مسنده (٤/١٨٢)، وابن حبان فى صحيحه (٢/١٢٣ رقم ٣٩٧).

(٣) قرأ حمزة «أَسْرَى»، بفتح الهمزة، وسكون السين، من غير ألف، وقرأ الباقون «أُسَارى» بضم الهمزة وألف بعد السين، انظر النشر (٢/٢١٨)، وتفسير القرطبى (٢/٢١).

(٤) قرأ نافع وحمزة، والكسائى ويعقوب: «تفادوهم» وقرأ الباقون: «تفدوهم» انظر المصادر السابقة.

(٥) فى «ك»: تفادونهم.

وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

قال السدى – فى كشف معنى الآية –: إنهم أمروا بأربعة أشياء: أن لايقتل بعضهم بعضا. وأن لايخرج بعضهم بعضا. وأن لايتعاونوا على الإثم والعدوان. وأن يفادوا الأسارى. فخالفوا فى الثلاث وامتثلوا فى المفاداة.

والقصة فيه: أن بنى قريظة كانو ا حلفاء الأوس، وبنو النضير كانوا حلفاء الخزرج وكانت بين القبيلتين مقاتلة، فوقعت المقاتلة بين حلفاء القبيلتين، ثم إذا وقع أسير من حلفاء إحدى القبيلتين فى يد أخرى القبيلتين فأداه حلفاء القبيلة الأخرى، مع كون الأسير من عدوهم، فإذا قيل لهم: لم تفادون؟ قالوا: أمرنا بالمفاداة. فإذا قيل لهم: لم تقاتلون؟ قالوا: نحن حلفاؤهم فلابد لنا من القتال معهم فهذا معنى الآية.

وقوله تعالى: ﴿ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ﴾ يقال: خَزِيَ يُخْزَى خِزْيًا، من الذل والهوان. وخَزِيَ يَخْزَى خِزَايَة. من الخجل والاستحياء والافتضاح. ومنه قول الشاعر:

**و الموت خزيان ينظر خزيان**

أى: مستحى.

﴿ ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعلمون ﴾.

﴿ أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ﴾ اختاروا الدنيا على الآخرة.

﴿ فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ﴾ يمنعون العذاب.

قوله تعالى: ﴿ ولقد آتينا ﴾ أعطينا ﴿ موسى الكتاب ﴾ التوراة ﴿ وقفينا من بعده بالرسل ﴾ أتبعنا. أى: يقفو رسولٌ رسولاً.

﴿ وآتينا عيسى ابن مريم البينات ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أنها المعجزات التى أوتى

﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا

عيسى من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، ونحو ذلك.

والقول الثانى: أنها الإنجيل. ﴿وأيدناه﴾ قويناه من الأيد. وهو القوة.

﴿بروح القدس﴾ اختلفوا فى الروح، قال الحسن وقتادة - وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس - أنه أراد به جبريل. وقيل: إنه أمر أن يسير معه حيث سار حتى صعد به إلى السماء. وقيل: إن الروح هو الاسم الأعظم الذى كان يحيى به الموتى. وقيل هو الإنجيل.

وإنما سمى روحا؛ لأنه كان سببا لحياة القلوب؛ ولذلك سمى القرآن روحا.

وسمى عيسى روحا؛ لأنه حصل بتكوين الله من غير توليد والد.

وأما جبريل: فإنما سمى روحا؛ للطافته، أو لمكانه من الوحى الذى هو سبب لحياة القلوب.

وأما القدس: قيل: إنه نعت جبريل. وأصل القدس: الطهارة. ومنه القَدُّوس: وهو الطهارة. والأرض المقدسة: المطهرة؛ وإنما وصف جبريل بالقدس لأنه لم يقترف ذنبا قط. وكان طاهرا من الذنوب.

وقيل: القدس هو الله - تعالى -.

قوله تعالى: ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم﴾ لا تريد قلوبكم ﴿استكبرتم﴾ أَنِفْتُمْ وتعظمتم ﴿ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون﴾.

فالمُكَذَّبون: مثل عيسى ومحمد. والمقتولون: مثل زكريا ويحيى - صلوات الله عليهم أجمعين -.

قوله تعالى: ﴿وقالوا قلوبنا غلف﴾ قرأ ابن عباس: غُلُف بضم اللام، وهو قراءة الأعرج وابن محيصن؛ وهو من الشواذ.

لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ

والقراءة المعهودة بجزم اللام، وهم جمع الأغلف، ومعناه: قلوبنا فى أوعية مما تقول لانفهم شيئا من ذلك وهذا مثل قوله - تعالى -: ﴿وقالوا قلوبنا فى أكنة﴾[1].

وأما الغُلُف: بضم اللام: جمع الغلاف. ومعناه: قلوبنا أوعية العلم، وليس فيها مما تقول شيء. أى: ما تقوله فليس بشيء.

﴿بل لعنهم الله بكفرهم﴾ طردهم الله عن الفهم والرحمة. وأصل اللعن: الطرد والإبعاد وقال الشاعر:

**ذغرق[2] به القطا ونَفَيْتُ عنه ... مقامَ الذئبِ كالرجلِ اللعينِ**

أى: مقام الذئب اللعين، يعنى: المطرود.

﴿فقليلا ماتؤمنون﴾ قيل: أراد به المشركين ومعناه: قليل إيمانهم والمراد [به][3] إيمانهم بأن الله خالقهم وخالق السموات و الأرض.

وقيل: أراد به أهل الكتاب؛ لأن الذين آمنوا منهم أقل من الذين آمنوا من المشركين.

وقيل: معناه: فلا يؤمنون أصلا.

وحكى الكسائى عن العرب: قلَّ ما تنبت هذه الأرض إلا الكراث والبصل. أى: لاتنبت إلا الكراث والبصل.

قوله تعالى: ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله﴾ يعنى القرآن. ﴿مصدق لما معهم﴾ من التوراة والإنجيل.

﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾ يستنصرون؛ ومنه قول الشاعر:

---

(١) فصلت: ٥.

(٢) كذا فى «الأصل»، و«ك»، وفى لسان العرب (مادة: لعن)، وتفسير القرطبى (٢/٢٦): ذَعَرْتُ.

(٣) فى «الأصل»، و«ك»: بهم.

مِّنْ عند اللَّه مُصدّقٌ لّمَا معَهُمْ وكَانُوا من قَبْلُ يَسْتَفْتحُونَ عَلَى الَّذين كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا به فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافرين ﴿٨٩﴾ بئْسَمَا اشْتَرَوْا به

ألا أبلغ بنى عصم رسولا فإنى عن قباحتكم غنى(١)

أى: عن نصرتكم.

وفى الخبر: «أن النبى ﷺ كان يستفتح بصعاليك المهاجرين»(٢). أى يستنصر بهم فى الدعاء للغزوات.

ومعنى الآية: أن المشركين من قبل كانوا يؤذون اليهود فربما تكون الغلبة لهم على اليهود فى القتال؛ فقالت اليهود: اللهم انصرنا بالنبى الأمى الذى تبعثه فى آخر الزمان، فكانوا ينصرون به، فلما بعث كفروا به. فهذا معنى قوله: ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾.

قوله تعالى: ﴿بئسما اشتروا﴾ بِئْسَ: اسم مستوف لكل ذم. ونِعْمَ: اسم مستوف لكل حمد. ﴿اشتروا به أنفسهم﴾ اختاروا لأنفسهم ﴿أن يكفروا بما أنزل الله﴾ من القرآن ﴿بغيا﴾ حسدا. والبغى: الظلم. وأصله الطلب؛ فالباغى طالب للظلم. والحاسد: ظالم لأنه يريد زوال النعمة عن المحسود من غير جناية منه. ﴿أن ينزل الله من فضله﴾ من النبوة: ﴿على من يشاء من عباده﴾ من الأنبياء.

﴿فباءوا﴾ أى: رجعوا ﴿بغضب على غضب﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الغضب الأول عبادة العجل. والغضب الثانى الكفر بمحمد.

والقول الثانى: أن الغضب الأول تكذيب عيسى. والغضب الثانى تكذيب محمد ﷺ.

والقول الثالث: أن الغضب الأول الكفر بالإنجيل. والغضب الثانى الكفر بالقرآن.

﴿وللكافرين عذاب مهين﴾ أى: مخزٍ.

---

(١) كذا فى «الأصل»، و«ك»، وفى لسان العرب (مادة: فتح)

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عمرًا رسولاً فإنى عن فُتَاحَتِكم غَنِىٌّ

(٢) أخرجه أبو عبيد فى غريب الحديث (١/ ٣٠٩ رقم ٩٤) والطبرانى فى الكبير (١/ ٢٩٢ رقم ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩) من حديث أمية بن خالد بن أسيد. وقال المنذرى فى الترغيب: رواته رواة الصحيح، وهو مرسل (٤/ ٩٠). قلت: وأمية ذكر الحافظ ابن حجر أنه لا صحبة له. وانظر الإصابة (١/ ١٢٧ - ١٢٨).

أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ

قوله تعالى: ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله ﴾ من القرآن. ﴿ قالوا نؤمن بما أنزل علينا ﴾ يكفينا ما أنزل علينا من التوراة.

﴿ ويكفرون بما وراءه ﴾ قال أبو عبيدة: بما بعده. قال الفراء: بما سواه من الكتب. وهو الأصح. ﴿ وهو الحق ﴾ يعنى: القرآن ﴿ مصدقا لما معهم ﴾ من التوراة. ﴿ قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ﴾ فإن قال قائل: القتل كان من آبائهم فكيف خاطب الأبناء به؟

الجواب قلنا: قتل الأنبياء وإن وجد من الآباء لكن الأبناء رضوا به، ووالوهم عليه؛ فلهذا خاطب الأبناء به. وأيضا فإنه قال: ﴿ فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ﴾ على صيغة الاستقبال، فكان اللائق بالحال أن يقول فلم قتلتم؟

وأما قوله: ﴿ فلم تقتلون ﴾ معناه: فلم قتلتم، لكن العرب قد تضع الماضى فى موضع المستقبل، والمستقبل فى موضع الماضى، والدليل عليه قوله: ﴿ من قبل إن كنتم مؤمنين ﴾ يعنى فى زعمكم.

وقيل: معناه: ما كنتم مؤمنين على النفى. كقوله تعالى: ﴿ قل إن كان للرحمن ولد ﴾[1] أى: ما كان للرحمن ولد. وفيه قول آخر سيأتى.

قوله تعالى: ﴿ ولقد جاءكم موسى بالبينات ﴾ بالمعجزات. ﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده ﴾ فى الهاء قولان: أحدهما: أنه عائد إلى موسى والثانى: عائد إلى المجىء. ﴿ وأنتم ظالمون ﴾ بذلك.

قوله تعالى: ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ قد ذكرناه. ﴿ واسمعوا ﴾ واقبلوا ﴿ قالوا سمعنا وعصينا ﴾ يعنى: سمعنا بالآذان

(١) الزخرف: ٨١.

مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا

وعصينا بالقلوب.

وقيل: إنهم لما سمعوا وخالفوا بالعمل؛ فكأنهم قالوا: سمعنا وعصينا. وإن لم يقولوا ذلك ومثله قول الشاعر:

**امتلأ الحوض وقال قطنى  مهلا رويدا قد ملأت بطنى**

فقدر القول من الحوض وإن لم يقل شيئا.

﴿ وأشربوا ﴾ أى: خُلطوا، ومنه فلان مشرب اللون إذا اختلط بياضه بالحمرة. ﴿ فى قلوبهم العجل ﴾ أى: حب العجل. فحذف المضاف، واكتفى بالمضاف إليه، ومثله قول الشاعر:

**وكيف تواصل من أصبحت  خلالته كـأبى مرحـــب**

أى كخلالة أبى مرحب.

وفى القصص: أن موسى – صلوات الله عليه – أمر أن يبرد العجل بالمبرد، ثم أمر أن يذر فى النهر، وأمرهم بالشرب منه، فكل من بقى فى قلبه شىء من حب العجل ظهرت سحالة الذهب على شاربه. ﴿ قل بئسما يأمركم به إيمانكم ﴾ أى: بئس إيمان يأمر بهذا. ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾.

قوله تعالى: ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس ﴾ لأنهم قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى؛ فعيرهم بذلك.

﴿ فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ لأن من علم بدخول الجنة إذا مات يتمنى الموت ولايشق عليه أن يموت.

قوله تعالى: ﴿ ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم ﴾ أخبر أنهم لن يتمنوا ذلك،

سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا

كأن الله صرفهم عن تمنى الموت؛ تصديقا للرسول، وتحقيقا لمعجزته، إذ كان يمكن أن يتمنى بعضهم ذلك تكذيبا للرسول ﷺ.

وفى الخبر قال ﷺ: «لو تمنوا ذلك لأخذهم الموت فى الحال»(١).

﴿ والله عليم بالظالمين ﴾ منهم. قوله: ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ﴾ يعنى اليهود. ﴿ ومن الذين أشركوا ﴾ أى: وأحرص من الذين أشركوا. وهو مثل قولهم: «فلان أسخى الناس ومن هرم» أى: وأسخى من هرم.

يريدون به هرم بن سنان. كان رجلا معروفا بالسخاوة، وله شاعر يقال له: «زهير بن أبى سلمى».

والمراد بالذين أشركوا ها هنا: المجوس وذلك أنهم يقول بعضهم لبعض: عش ألف سنة «بزء هزا رسال» فأخبر الله - تعالى - أن اليهود أحرص الناس على حب الحياة ومن المجوس الذين يقولون ذلك.

﴿ يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ﴾ كما وصفنا ﴿ وما هو بمزحزحه ﴾ بمبعده ﴿ من العذاب أن يعمر ﴾ يعنى لايبعدهم طول العمر من العذاب.

﴿ والله بصير بما يعملون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله - تعالى -: ﴿ قل من كان عدوا لجبريل ﴾ فى سبب نزول الآية قولان:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (١/٢٤٨)، والنسائى فى التفسير من الكبرى (٦/٣٠٨ رقم ١١٠٦١)، وابن جرير الطبرى فى تفسيره (١/٣٣٦)، وأبو يعلى فى مسنده (٤ / ٤٧١ - ٤٧٢رقم ٢٦٠٤) جميعهم من حديث ابن عباس بنحو هذا، وفى بعض سياقه زيادة. وعزاه الهيثمى فى المجمع (٦/٣١٧) للبزار وقال: رجاله رجال الصحيح. وفى موضع آخر (٨/ ٢٣١) قال: ورجال أبى يعلى رجال الصحيح.

قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ

أحدهما: أن عمر – رضى الله عنه – قال لليهود: أنشدكم بالرحمن الذى أنزل التوراة على موسى هل تجدون محمدا فى كتابكم؟ فسكتوا. ثم عاودهم ثانيا، فقالوا: نعم. قال عمر: فلم لم تؤمنوا به؟ قالوا: لأنه ينزل عليه جبريل؛ وهو عدونا؛ وهو الذى يأتى بالعذاب، ولو نزل عليه ميكائيل لآمنا به. فقال عمر: أشهد أن من كان عدوا لجبريل فهو عدو لميكائيل، ومن كان عدوا لهما فالله عدو له، فنزلت الآية على وفق قول عمر(١).

وقد روى عن عمر – رضى الله عنه – أنه قال: «وافقت ربى فى ثلاث».

ويروى «وافقنى ربى فى ثلاث». أحدها: هذا والثانى: آية الحجاب؛ وذلك قوله – تعالى –: ﴿وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب﴾(٢).

والثالثة(٣): الصلاة خلف مقام إبراهيم، وذلك قوله تعالى: ﴿واتخذوا من مقام إبرهيم مصلى﴾(٤).

والقول الثانى: فى سبب نزول الآية: «أن ابن صوريا الأعور – وكان أعلم اليهود – أتى النبى ﷺ وقال: إنى سائلك مسائل لايعرفها إلا نبى، فإن أجبتنى عرفتك صادقا. فقال: سل. قال ابن صوريا: ما علامة النبى؟ قال: أن تنام عيناه ولا ينام قلبه. قال: صدقت. ثم قال: كيف خَلْقُ الولد من الماءين؟ قال: إذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكر بإذن الله، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنث بإذن الله.

وقال: ومن ينزل عليك من الملائكة؟ قال جبريل فقال: لو نزل عليك ميكائيل لآمنا

(١) فى «ك»: هاهنا.
(٢) الأحزاب: ٥٣.
(٣) فى «ك» الثالث.
(٤) البقرة: ١٢٥

نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ

بك؛ فإنه عدونا فنزل قوله - تعالى -: ﴿قل من كان عدوا لجبريل﴾»[1].

وفيه أربع قراءات: «جبريل» على الكسر واللين، «وجَبريل» على الفتح واللين، «وجَبْرَئيل» على الفتح والهمزة والإشباع «وجَبرئيل» على الفتح والهمز من غير إشباع[2].

و«جبر» بمعنى العبد، و«ئيل» اسم الله، وكذلك ميكائيل، ومعناه: «عبد الله»، أو «عبد الرحمن». كذا قال ابن عباس، والحسن بن على.

فجبريل على وزن قنديل وبرطيل وزنبيل، وجبرئيل على وزن عندليب، وجبريل لامثال له.

﴿فإنه نزله على قلبك﴾[3] يعنى: قلب محمد ﴿بإذن الله مصدقا لما بين يديه﴾ من التوراة والإنجيل ﴿وهدى وبشرى للمؤمنين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل. [وميكال][4] فإن الله عدو للكافرين﴾. هذا الذى نزل على وفق قول عمر - رضى الله عنه - وقوله: ﴿وجبريل (وميكال)[4]﴾ وإن دخل فى جملة الملائكة الرسل؛ لكن خصهما بالذكر تشريفا.

قوله تعالى: ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات﴾ يعنى القرآن وآياته. ﴿وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾ أى: الكافرون.

قوله تعالى: ﴿أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم﴾ قيل: أراد به العهد الذى

(١) قد روى نحو هذا من غير ذكر ابن صوريا، وفى سياقه زيادة عما هاهنا من حديث ابن عباس أخرجه النسائى فى الكبرى (٥/٣٣٦ - ٣٣٧ رقم ٩٠٧٢)، وأحمد فى مسنده (١/٢٧٤)، والطبرى فى تفسيره (١/٣٤٢)، وابن أبى حاتم مختصراً (١/ ٢٨٨ - ٢٨٩ رقم ٩٥٨) وأبو نعيم فى الحلية (٤/٣٠٥) وغيرهم.

(٢) انظر النشر (٢/٢١٩)، وتفسير القرطبى (٢/٣٧).

(٣) أثبت فى الأصل، و«ك»: مصدقا، وهى مقحمة هنا، وستأتى فى سياق الآية.

(٤) فى الأصل: ميكائيل.

﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ

أخذه الله على اليهود أن يؤمنوا بمحمد؛ فخالفوا ونبذوا.

وقيل: هو العهد الذى أخذه رسول الله ﷺ على بنى قريظة والنضير أن لايعاونوا المشركين على قتاله. فخالفوا ونبذوا. والنبذ. الطرح، ومنه قول الشاعر:

**نظرت إلى عنوانه فنبذته كنبذك نعلا أخلقت من نعالكا**

﴿بل أكثرهم لايؤمنون﴾ وقد آمن قليل منهم.

قوله تعالى: ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله﴾ يعنى: محمدا.

﴿مصدق لما معهم﴾ من الكتب ﴿نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم﴾ أراد به التوراة.

قال الشعبى: كانوا يقرءون التوراة ولايعملون بها. فكذلك نبذهم.

وقال سفيان الثورى: أدرجوها فى الحرير والديباج ،وحلوها بالذهب والفضة، ثم لم يعملوا بها، فهم نابذون.

وقيل: أراد بالكتاب القرآن ﴿كأنهم لايعلمون﴾ أى: لما خالفوا ما علموا كأنهم لايعلمون.

قوله تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ يعنى: اليهود ﴿ما تتلوا الشياطين﴾ أى: ما تلت، مستقبل بمعنى الماضى. قال الحطيئة:

**شهد الحطيئة حين يلقى ربه أن الوليد أحق بالغدر**

يعنى: يشهد.

ومعنى قوله: ﴿تتلوا﴾ أى: تحكى وتقص ﴿على ملك سليمان﴾ على عهد

**اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا**

ملك سليمان. وقيل: فى ملك سليمان. والقصة فى ذلك: ما روى أن فى زمن سليمان صلوات الله عليه - كانت سحرة، ولهم فى ذلك كتب، فانتزع سلمان كتب السحر(١) من أيديهم ودفنها فى صندوق تحت كرسيه، فلما توفى قالت الشياطين للإنس: ألا ندلكم على كنز كان سليمان يفعل به ما كان: فاستخرجوا تلك الكتب. وقال الجهال منهم: به كان يفعل سليمان ما يفعل.

وقيل: لَمَّا لم نزع الله الملك من سليمان، كتب الشياطين كتب السحر، ودفنوها تحت الكرسى، فلما رد الله الملك إليه. بقى ذلك السحر مدفونا كما كان، فلما توفى سليمان استخرجوا تلك الكتب وقالوا إن سليمان كان يفعل به ما يفعل. وقيل: إن الشيطان تمثل فى صورة النبى وقال لهم ذلك. وقيل: إنه وسوس إليهم ذلك، فهذا الذى تلت الشياطين على ملك سليمان. ﴿**وما كفر سليمان**﴾ أى: وما سحر سليمان. وقيل: أراد به الكفر المعهود.

﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ يقرأ مخففا ومشددا فإذا شدد عمل فى نصب الشياطين(٢). وإذا خفف بقى على الرفع ﴿كفروا﴾ سحروا. ويحتمل الكفر المعهود ﴿يعلمون الناس السحر﴾ والسحر فى اللغة عبارة عن تمويهات وتخييلات وخدع، قال امرؤ القيس:

**أرانا موضعين (لحتم)(٣) غيب ونسحر بالطعام وبالشراب**

أى: نخدع.

وقال الفراء: السحر: قول يقوله إنسان يأخذ به الرجل عن امرأته.

---

(١) فى «ك» السحرة.

(٢) قرأ ابن عامر، وحمزة والكسائى، وخلف بتخفيف النون من «ولكن»، ورفع الاسم بعدها. وقرأ الباقون بالتشديد، والنصب.

(٣) فى «ك»: لختم.

أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا

وحكى عن الشافعى أنه قال: السحر يحيل ويمرض وقد يقتل. والسحر يتحقق وجوده على مذهب أهل السنة ويؤثر، ولكن العمل به كفر، وتأثيره ماذكرنا، وقيل: إنه يؤثر فى قلب(١) الأعيان؛ فيجعل الآدمى على صورة الحمار، والحمار على صورة الكلب. والأصح أنه يُخَيَّل ذلك كما بينا.

وقد سحر رسول الله ﷺ فأثر فيه؛ روى: «أن لبيد بن أعصم اليهودى سحر النبى ﷺ حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشىء ولا يفعله، فأطلعه الله عليه، فأمر به فاستخرج من بئر ذى [أروان](٢) وكان عليه إحدى عشرة عقدة؛ فأنزل الله - تعالى - عليه المعوذتين؛ إحدى عشرة آية، فكلما قرأ آية انحلت عقدة، حتى إذا انحلت العقد فكأنما أُنْشِطَ من عقال»(٣).

قوله تعالى: ﴿وما أنزل على الملكين﴾ قرئ على النفى(٤) وهو محكى عن عطية بن عوف، فعلى هذا فى الآية تقديم وتأخير، تقديره: وما كفر سليمان، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ولكن الشياطين كفروا، يعلمون الناس السحر، وما يعلمان من أحد وهذا قول غريب.

والصحيح: أن «ما» بمعنى «الذى»، يعنى: والذى أنزل على الملكين.

وقرأ ابن عباس على «الملكين» بكسر اللام وهو فى الشواذ. قال الحسن البصرى: هما كانا علجين من علوج بابل، ولم يكونا ملكين.

والصحيح أنهما كانا ملكين وهو القراءة المعهودة.

والقصة فى ذلك ما حكى ابن عمر عن كعب الأحبار؛ وهو قول عطاء بن أبى رباح، وجماعة من المفسرين قالوا: إن الملائكة تعجبوا من كثرة معاصى بنى آدم، فقال

---

(١) من «ك»، وفى الأصل»: أروان.

(٢) فى «ك»: ذروان.

(٣) متفق عليه من حديث عائشة. أخرجه البخارى فى صحيحه (١٠/٢٤٣ رقم ٥٧٦٥)، ومسلم (١٤/٢٥٠ رقم ٢١٨٩).

(٤) انظر تفسير القرطبى (٢/٥١).

نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم

لهم الله – تعالى –: لو أنزلتكم إلى الأرض. وركَّبت فيكم ما ركَّبت فيهم؛ لفعلتم مثل ما فعلوا. فاختاروا من خيارهم ملكين؛ هاروت وماروت؛ فأنزلهما الله – تعالى – إلى الأرض، وأخذ عليهما أن ألاّ يشركا ولايقتلا، ولايزنيا. قال كعب: فما مضى عليهما اليوم إلا (وفعلا)[1] الكل.

وفى القصة: أن المَزْنِيَّ بها كانت زهرة؛ فمسخت شهابا، ورفعت إلى السماء، فكان ابن عمر كلما رآها لعنها.

وفى القصة: أنهما لما ارتكبا ذلك خيرهما الله – تعالى – بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة؛ فاختارا عذاب الدنيا؛ فعلقا بأرجلهما.

قال عطاء بن أبى رباح رؤوسهما [مطوية][2] تحت أجنحتهما.

وأما بابل: قال ابن مسعود: هى أرض الكوفة. وقيل: هو جبل دماوند. وقيل: هو من نصيبين إلى رأس العين. وإنما سمى بابل لأنه تبلبلت فيه الألسن. أى: تفرقت وانتشرت فى البلاد.

﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾ والفتنة: الابتلاء. ومنه يقال: فتنت الذهب فى النار. أى: اختبرته، ليتبين الجيد من الردىء.

فإن قيل: ما معنى إنزال السحر على الملكين، وما معنى تعليم السحر من الملكين، وكلاهما مستبعد؟!.

قيل: أما إنزال السحر: بمعنى التعليم والإلهام يعنى عُلِّمَا وأُلْهِمَا السحر.

وقيل: هو حقيقة الإنزال، وهو إنزال هيئة السحر وكيفيته؛ لينتهوا عنه، وأما تعليم السحر من الملكين: بمعنى الإعلام. ومثله قول الشاعر:

---

(١) فى «ك»: وقعا.

(٢) فى «الأصل»: مصوبة.

بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا

تَعَلَّمْ أن بعدَ [ الْغَيِّ رشدا ](١) وأن لهـــذه الغبرُ انقشـــاعًا

يعنى : اعلم .

وقيل : هو على حقيقة التعليم، ثم فيه قولان : أحدهما : أنهما يعلمان كيفية السحر لينتهوا ) عنه(٢) كان الرجل يأتيهما فيقول : ما الذى نهى الله عنه؟ فيقولان : الشرك . فيقول : وما الشرك؟ فيقولان : كذا وكذا .

ويأتيهما آخر فيقول : ما الذى نهى الله عنه؟ فيقولان : السحر . فيقول : وما السحر؟ [ فيعلمانه ](٣) كيفية السحر لينتهى عنه، وكذا فى كل المعاصى .

والقول الثانى : أنه تعليم ابتلاء، سلطهما الله على تعليم السحر ابتلاء للناس حتى أن كل مَنْ تعلم واعتقد وعمل به كفر .

ومن لم يتعلم ولم يعمل به؛ لم يكفر . والدليل عليه قوله – تعالى – : ﴿ إنما نحن فتنة ﴾ أى : بلية ﴿ فلا تكفر ﴾ أى : لاتتعلم السحر . فتعمل به؛ فتكفر .

وقوله – تعالى – : ﴿ فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ﴾ يعنى السحر الذى يؤخذ به الرجل عن امرأته كما وصفنا .

﴿ وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ معناه : إلا بتكوين الله، فالساحر يسحر، والله يُكَوِّن .

قال سفيان الثورى : معناه : إلا بقضاء الله وقدره .

﴿ ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ﴾ يعنى : السحر يضرهم ولا ينفعهم .

﴿ ولقد علموا لمن اشتراه ﴾ اختاره ﴿ ماله فى الآخرة من خلاق ﴾ من نصيب .

---

( ١ ) فى الأصل : الرشد غيا .

( ٢ ) ما بين القوسين سقط من « ك » .

( ٣ ) فى الأصل : فيعلمان .

يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ

﴿ ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ﴾ بئس اختيارا اختاروه لأنفسهم.

فإن قيل: أليس قد قال: ﴿ ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ﴾ فما معنى قوله: ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ وقد أخبر أنهم قد علموا؟

قيل: أراد بقوله: ﴿ ولقد علموا ﴾ الشياطين. وبقوله: ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ اليهود.

وقيل: كلاهما فى اليهود؛ لكنهم لما لم يعملوا بما علموا؛ فكأنهم لم يعلموا.

قوله – تعالى –: ﴿ ولو أنهم آمنوا واتقوا ﴾ آمنوا بك يا محمد ﴿ واتقوا ﴾ الكفر والسحر ﴿ لمثوبة ﴾ لثواب ﴿ من عند الله خير لو كانوا يعلمون ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا ﴾ معناه: أرعنا سمعك واسمع منا وحقيقته (فرغ)[1] سمعك لكلامنا.

﴿ وقولوا انظرنا ﴾ أى: انتظرنا، وقيل: انظر إلينا.

وقرأ الأعمش: «أَنْظِرْنَا» أى: أمهلنا. وقال الشاعر:

أَبَا هِنْدٍ فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْنَا ... وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ الْيَقِينَا

أى: أمهلنا.

﴿ واسمعوا ﴾ أى: أطيعوا. ﴿ وللكافرين عذاب أليم ﴾ أى: عذاب مؤلم. وفى سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: أن الصحابة كانوا يقولون للنبى ﷺ: «راعنا» ويريدون به ما ذكرنا، فسمعه اليهود. وكان ذلك عندهم سَبًّا وهو بمعنى يا أحمق.

وقد قرأ الأعمش: «راعِنًا» منونا، وقرأ الحسن: «راعونا» وهما لغتان من الرعونة،

(١) فى «ك»: فزع.

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

فلما سمعه اليهود فرحوا به؛ حيث رأوهم يسبونه ولايعلمون، وكانوا يقولون ذلك للنبى ﷺ موافقة للمسلمين فى الظاهر، ويضحكون فيما بينهم، إنا نسبه وهم لايعلمون؛ فنزل قوله - تعالى -: ﴿ لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا ﴾.

والقول الثانى: أن قولهم «راعنا» كان فيه جفوة وخشونة؛ لأن حقيقته فَرِّغْ سمعك لكلامنا حتى تفهم، وفى هذا نوع جفاء؛ فنزل قوله: ﴿ لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا ﴾ حتى يقولوا ما يقولوا على طريق التبجيل والمسألة. ويختاروا من الألفاظ أحسنها ومن المعانى أحكمها.

قوله - تعالى -: ﴿ ما يود الذين كفروا ﴾ أى: ما يحب، والود: الحب.

ومعنى الآية: أن الأنبياء قبله بعثوا من ولد إسحاق، فلما بعث النبى ﷺ من ولد إسماعيل؛ لم يقع ذلك بُودِّ اليهود ومحبتهم. وأما المشركون فإنما لم تقع نبوته بودهم، لأنه جاء بتضليلهم، وعيب آلهتهم، فهذا معنى قوله - تعالى -: ﴿ ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم ﴾ يعنى عليك يامحمد. ذكر الواحد بخطاب الجمع على ماهو عادة العرب ﴿ من خير من ربكم ﴾ يعنى النبوة. ﴿ والله يختص برحمته من يشاء ﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين: الرحمة بمعنى النبوة ها هنا. وقيل: بمعنى الإسلام. والهداية إليه. ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ الفضل [ابتداء][1] إحسان بلا علة.

قوله - تعالى -: ﴿ ما ننسخ من آية ﴾ قرأ ابن عامر «ما نُنْسِخْ» بضم النون وكسر السين[2] ومعناه ما تجده منسوخا وهو مثل قولهم: أحمدت فلانا. أى: وجدته محمودا، وأبخلت فلانا. أى: وجدته بخيلا.

والقراءة المعروفة ﴿ ما ننسخ ﴾ على الفتح.

(١) فى «الأصل»، و«ك»: ابتلاء. وهو تحريف.

(٢) انظر النشر (٢/٢١٩).

الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾

والنسخ فى اللغة: رفع الشىء وإقامة غيره مقامه. يقال: نسخت الشمس الظل. أى رفعته وأقامت الضياء مقامه.

وقد يكون بمعنى رفع الشىء من غير إقامة غيره مقامه.

يقال: نسخت الرياح الآثار إذا رفعتها من أصلها من غير شىء يقوم مقامها. والنسخ جائز فى الجملة باتفاق الأمة. ونسخ القرآن على وجوه:

منها نسخ يوجب رفع التلاوة والحكم جميعا. وذلك مثل ما روى عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف «أن قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرءوا سورة فلم يذكروا منها إلا قوله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فغدوا على النبى ﷺ وأخبروه بذلك فقال – عليه السلام –: «تلك سورة رفعت بتلاوتها وأحكامها»(١).

وقيل: إن سورة الأحزاب كانت مثل سورة البقرة؛ فرفع أكثرها تلاوة وحكما.

ومن النسخ ما يوجب رفع التلاوة دون الحكم وذلك مثل آية «الرجم» رفعت تلاوتها وبقى حكمها.

ومنه ما يوجب رفع الحكم دون التلاوة. مثل آية «الوصية للوالدين والأقربين» وآية «عدة الوفاة بالحول» ومثله آية «التخفيف فى القتال» وآية «الممتحنة» ونحو ذلك.

ومن وجوه النسخ ما يوجب رفع الحكم وإقامة غيره مقامه، وذلك مثل القبلة نسخت إلى الكعبة، والوصية نسخت إلى الميراث، وعدة الوفاة نسخت من الحول إلى أربعة أشهر وعشرا، ومقاومة الواحد العشرة فى القتال نسخت إلى مقاومة الواحد الاثنين. ونحو ذلك.

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل (٧/١٥٧) وفيه زيادة، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور (١/١١٠) لأبى داود فى ناسخه، وابن المنذر، وابن الأنبارى فى المصاحف، وأبى ذر الهروى فى فضائله.

**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا**

ومنها: رفع الحكم من غير إقامة شيء مقامه؛ وذلك مثل امتحان النساء، نسخ من غير خلف. وكذلك أمثال هذا.

رجعنا إلى تفسير الآية فقوله: ﴿ما ننسخ من آية﴾ أى: نرفع من آية. فأما قوله: ﴿أو ننسها﴾ اختلفوا فى معناه. وقال ابن عباس معناه: أو نتركها فلا ننسخ. وهو مثل قوله: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾[1] أى: تركوا الله فتركهم. ومنه قول الشاعر:

**إِنَّ عَلَيَّ عَقَبَةً أَقْضِيهَا ... لَسْتُ بِنَاسِيهَا وَلاَ مُنْسِيهَا**

أى: لست بناسيها ولا تاركها. فعلى هذا يرجع قوله: ﴿نأت بخير منها أو مثلها﴾ إلى قوله: ﴿ما ننسخ من آية﴾.

وقيل: معنى قوله: ﴿أو ننسها﴾ يعنى ننسيها على قلبك يامحمد. وذلك مثل ما روينا فى حديث أبى أمامة.

وروت عائشة «أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقرأ سورة، فقال: إن هذا الرجل ذَكَّرنِى آية كنت نسيتها»[2]. وهو نظير قوله - تعالى - ﴿سنقرئك فلا تنسى إلا ماشاء الله﴾[3] وقرأ ابن مسعود: «ما نُنْسِكَ من آية أو ننسخها» وهذا يؤيد هذا القول؛ فعلى هذا يكون الإنساء على القلب فى معنى النسخ.

وفيه قول ثالث: معنى قوله أو «ننسها» أى: نأمر بتركها، ونبيح تركها، وذلك مثل نسخ آية الممتحنة ونحوها.

فإن قال قائل: إذا كان الإنساء بمعنى إباحة الترك. فأى فرق بينه وبين النسخ؟

قلنا: هما وجهان من النسخ إلا أنه أراد بالنسخ الأول: رفع الحكم وإقامة غيره مقامه، وأراد بالثانى: نسخ الحكم، من غير إقامة غيره مقامه. كما ذكرنا.

---

(١) التوبة: ٦٧.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخارى فى صحيحه (٨/٧٠٣ رقم ٥٠٣٧، ٥٠٣٨)، ومسلم (٦/١٠٧ رقم ٧٨٨).

(٣) الأعلى: ٦ - ٧.

نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن

وقرأ أبو عمرو. و ابن كثير «أو نَنْسَأْها» على الفتح والهمز[1] وحكى أبو عبيد القاسم بن سلام، عن أبى نعيم القارئ. أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ فى المنام، فقرأت عليه بحرف أبى عمرو فغير علىَّ شيئين: فقوله: «وأَرْنَا» فقال: «قل وأَرِنَا» بكسر الراء قال أبو عبيدة: وأحسبه قال الحرف الثانى: قوله: أو «نَنْسَأها» فقال: قل: «أو نُنْسِهَا» النساء والإنساء: بمعنى التأخير، تقول العرب: أنسأ الله أجلك ونسأ الله فى أجلك. فى معناه قولان:

أحدهما: أن معنى قوله: «أو ننسأها» أى: نرفع تلاوتها، ونؤخر حكمها، كما فعل فى آية «الرجم». ويكون النسخ الأول بمعنى رفع التلاوة والحكم جميعا.

والقول الثانى: أن معنى قوله: «أو نَنْسَأَهَا» أى: نؤخر إنزالها، ونتركها فى اللوح المحفوظ، فلا تنزل.

وقوله: «ما ننسخ من آية» يعنى: ما ينزل، أو «ننسأها» فلا ينزل، نأتى بخير منها أو مثلها.

فإن قيل: أيش معنى قوله: ﴿نأت بخير [منها][2]﴾ وآيات القرآن سواء، لافضل لبعضها على بعض. وإن أراد به الخير فى السهولة، فقد نسخ الأسهل بالأشق، مثل الصوم كان على التخيير بينه وبين الفدية، فنسخه بصوم رمضان على الحتم. فما معنى الخيرية؟

قلنا: قد قيل، تقديره: نأت منها بخير، أى: نرفع آية ونأت بآية.

والصحيح: أنه أراد بالخير الأفضل، يعنى فى النفع والسهولة. ومعناه: نأت بخير منها، أى: أنفع وأسهل.

---

(١) انظر النشر (٢/ ٢٢٠).

(٢) من «ك».

يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

﴿ أو مثلها ﴾ فى النفع والسهولة. وإن[1] نسخ الأسهل بالأشق فمعنى الخير فيه بالثواب. فإن ثواب الأشق أكثر. فإن قيل: هما سواء فى (امتثال)[2] الأمر فكيف يختلفان فى الثواب؟ والجواب: أن الله - تعالى - يجوز أن يثيب على الأشق أكثر مما يثيب على الأسهل، وقد وعد الثواب على صوم رمضان ما لم يعد على الصوم المخير فيه أولا.

وفيه قول آخر: أنه أرادبقوله: ﴿ نأت بخير منها ﴾ فى نسخ القبلة خاصة.

وبقوله: ﴿ أو مثلها ﴾ على العموم، وذلك أن التوجه إلى الكعبة كان خيرا للعرب وأدعى لهم إلى الإسلام؛ إذ كانت فى قلوبهم نفرة عن التوجه إلى البيت المقدس؛ لأنه قبلة اليهود.

وفيه قول ثالث: أن المراد بقوله: ﴿ نأت بخير منها ﴾ يعنى: فى حال نسخ الأول فإن الثانى - الذى نزل جديدا ويعمل به - خير من الأول المنسوخ الذى لايعمل به، وهذا قول بعيد.

قوله - تعالى -: ﴿ ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير ﴾ فقوله: ﴿ ألم تعلم ﴾ وإن كان على صيغة الاستفهام، لكن المراد به التقرير. ومعناه: أنك تعلم أن الله على كل شىء قدير. وكذلك قوله: ﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ﴾ وأما الملك: هو القدرة التامة. ومنه الملك. وهو السلطان التام القدرة.

﴿ وما لكم من دون الله ﴾ قال أبو عبيدة: من بعد الله. وقال غيره: بما سوى الله.

﴿ من ولى ﴾ أى: وال وهو القيم بالأمور ﴿ ولا نصير ﴾ ولا مانع من العذاب.

قوله: ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم ﴾ «أم» تَرِد فى اللغة على وجوه.

(١) فى «الأصل»، و«ك»: وإنما.

(٢) فى «ك»: إمساك.

فتكون بمعنى التقرير وهو المراد ها هنا. ومعناه: أنتم تريدون.

وقد ترد بمعنى التشكيك، يقال: رأيت زيدا أم عمرا؟

وقد ترد «أم» بمعنى بل، قال الشاعر:

**بدت مثل قرن الشمس فى رونق الضحى**

**وصورتها أم أنت فى العين أملح**

أى: بل أنت فى العين أملح.

﴿أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل﴾ وفى معناه قولان: أحدهما: أنهم سألوا الرسول فقالوا: لن نؤمن لك حتى تأتى بالله والملائكة قبيلا كما قال قوم موسى لموسى: ﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾(١).

والثانى: أنهم سألوا الرسول أن يجعل الصفا ذهبا؛ كما سأل قوم عيسى من عيسى المائدة. والأول أظهر. والمراد بالآية: منعهم عن السؤالات المفتوحة بعد ظهور البراهين.

﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان﴾ أى: يستبدل الكفر بالإيمان. وذلك أن مثل ذلك السؤال بعد ظهور البرهان كفر.

﴿فقد ضل سواء السبيل﴾ أى: وسط السبيل.

وقيل: قصد السبيل. وهما سواء، وحكى عن عيسى بن عمر النحوى أنه قال: مازلت أكتب حتى انقطع سوائى أى: وسطى.

قوله – تعالى –: ﴿ود كثير من أهل الكتاب﴾ يعنى: أحب وتمنى كثير من أهل

(١) البقرة: ٥٥.

الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾

الكتاب ﴿لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا﴾ قيل: نزل ذلك فى عمار وحذيفة؛ فإن اليهود دعوهم إلى دينهم فقال عمار: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديد. قال عمار: فقد عاهدت الله ألا أكفر بمحمد. فقالوا لحذيفة: ما تقول أنت؟ قال: الله ربى ومحمد نبيى، والقرآن إمامى. فأنزل الله - تعالى - هذه الآية.

وقيل: هو فى حق الكفار والمسلمين على العموم؛ لأنهم مازالوا يودون عود المسلمين إلى الكفر.

﴿حسدا﴾ وذلك أنهم عرفوا أن محمدا نبى حق، وأنهم باتباعه نالوا من الإسلام ما لم ينالوه؛ فحسدوهم على دينهم.

فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿حسدا من عند أنفسهم﴾ ولايكون الحسد من عند الغير؟ قيل: معناه: من تلقائهم لم ينزل به كتاب ولا ورد به أمر.

وقيل: فى الآية تقديم وتأخير، وتقديرها: ود كثير من أهل الكتاب من عند أنفسهم لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا.

﴿من بعد ما تبين لهم الحق﴾ من بعد ما ظهر أنه حق.

قوله - تعالى -: ﴿فاعفوا واصفحوا﴾ العفو: المحو، والصفح: الإعراض، وإنما نزل هذا قبل آية القتال، ثم نسخ بآية القتال.

﴿حتى يأتى الله بأمره﴾ يعنى: بشرع القتال. وقال ابن عباس معناه: حتى يأتى الله بأمره: من فتح قسطنطينية، ورومية، وعمورية.

وقيل: حتى يأتى الله بأمره: من فتح قرى اليهود، مثل خيبر، وفدك، وإجلاء بنى النضير، ومثل بنى قريظة.

﴿إن الله على كل شىء قدير﴾ أى قادر.

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ

قوله – تعالى –: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ معلوم.

﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير﴾ من طاعة ﴿تجدوه عند الله﴾ ذخيرة لاتضيع ﴿إن الله بما تعملون بصير﴾.

قوله – تعالى –: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى﴾ تقديره: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا. وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا؛ فاختصر اختصارا.

نزلت الآية فى وفد نجران، وكانوا نصارى، اجتمعوا فى مجلس رسول الله ﷺ مع اليهود، فتنازعوا وكفَّر بعضهم بعضا، وكذَّب بعضهم بعضا؛ فأنزل الله – تعالى – هذه الآيات».

﴿تلك أمانيهم﴾ يعنى: تمنيهم الباطل ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ ائتوا بالحجة على ما زعمتم ﴿إن كنتم صادقين بلى من أسلم﴾ يعنى: ليس الأمر على ما تمنوا بل الحكم للإسلام ﴿من أسلم وجهه﴾ أخلص عبادته لله ﴿وهو محسن﴾ مؤمن ﴿فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء﴾ هو ما جرى فى مجلس رسول الله ﷺ من منازعة اليهود مع النصارى. فأما قوله: ﴿وهم يتلون الكتاب﴾ يعنى: أنه يكذب بعضهم بعضا ويضلل بعضهم بعضا وهم يتلون الكتاب، وليس فى كتابهم هذا الاختلاف، فدلت تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم ما فى الكتاب على كونهم على الباطل.

﴿كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم﴾ قيل: أراد به المشركين. قاله ابن عباس وقال مجاهد: أراد به عوام النصارى.

﴿فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ يريهم دخول المسلمين

مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا

الجنة ودخولهم النار.

قوله – تعالى –: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها﴾ قال ابن عباس، وقتادة، وجماعة من المفسرين: أراد بالآية النصارى الذى عاونوا بختنصر المجوسى على تخريب بيت المقدس.

﴿أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾ وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى، وموضع زيارتهم، فلا يدخله نصرانى إلا خائفا، من ذلك الوقت إلى يوم القيامة ﴿لهم فى الدنيا خزى﴾ أى: جزية لِذِمِّيِّهِمْ وقتل لِحَرْبِيِّهِمْ ﴿ولهم فى الآخرة عذاب عظيم﴾ أى: عذاب النار.

وفيه قول آخر: أن الآية نزلت فى المشركين الذين منعوا رسول الله ﷺ من دخول مكة عام الحديبية.

وقوله – تعالى –: ﴿وسعى فى خرابها﴾ لأنهم منعوا المسلمين من دخول المسجد. ولم يسلموا حتى دخلوا؛ فكأنهم سعوا فى خرابها.

﴿أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾ وهذا شرعنا ألاّ يمكن مشرك من دخول الحرم. ولا يدخله أحد منهم إلا خائفا.

﴿لهم فى الدنيا خزى﴾ هوان ﴿ولهم فى الآخرة عذاب عظيم﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنها نزلت فى نسخ القبلة أى: الكعبة؛ فإنها لما حولت إلى الكعبة عيّر اليهود المسلمين، وقالوا: ليست لهم قبلة معلومة، فتارة يستقبلون هكذا، وتارة هكذا، فنزلت الآية ردا لقولهم.

**كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ**

والقول الثانى: ماروى عمر[1] «أن رسول الله ﷺ كان يصلى على راحلته أينما توجهت به راحلته؛ فنزلت الآية فى إباحة النافلة على الراحلة أينما توجهت به الراحلة»[2].

والقول الثالث: روى جابر أنه قال: «كنا فى سفر، فاشتبهت علينا القبلة، فصلى كل واحد منا إلى جهة، وخط بين يديه خطا، فلما أصبحنا فإذا الخطوط إلى غير القبلة، فسألنا عن ذلك رسول الله ﷺ، فلم يأمرنا بالإعادة، ونزلت الآية فى معناه»[3].

والقول الرابع: أنه نزلت فى ابتداء الإسلام، حين لم تكن القبلة معلومة، وجازت الصلاة إلى أى جهة شاءوا. فعلى هذا تكون الآية منسوخة بآية القبلة، وهذا قول غريب.

وأما قوله: ﴿فثم وجه الله﴾ قال مجاهد: قبلة الله. الوجه: بمعنى القبلة، وكذلك الوجهة والجهة: هى القبلة. وقيل: معناه رضا الله، وقيل: معناه قصد الله، ومنه قول الشاعر:

**أستغفر الله ذنبا لست أحصيه ... رب العباد إليه الوجه والعمل**

يعنى: إليه القصد والعمل.

وقد ذكر الله - تعالى - الوجه فى كتابه فى أحد عشر موضعا، وهو صفة لله - تعالى - وتفسيره: قراءته والإيمان به. وسيأتى[4].

(١) كذا فى «الأصل وك»، والصواب: عن ابن عمر، كما سيأتى فى تخريج الحديث.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه (٥/٢٩٣ رقم ٧٠٠)، والترمذى (٥/١٨٩ رقم ٢٩٥٨) وقال: حسن صحيح، والنسائى (١/٢٤٤ رقم ٤٩١، ٤٩٢، و(٢/٦١ رقم ٧٤٣، ٧٤٤)، وأحمد فى مسنده (٢/٢٠).

(٣) رواه الدارقطنى (١/٢٧١)، والحاكم (١/٢٠٦)، والبيهقى (٢/١٠-١٢) وقال الحاكم: محتج برواته كلهم غير محمد بن سالم فإنى لا أعرفه بعدالة وا جرح. وتعقبه الذهبى بقوله: أبو سهل واه. وقال البيهقى: ولا نعلم لهذا الحديث إسنادا قويا.

(٤) قال المصنف فى تفسير سورة الأنعام (الآية رقم: ٥٢): والوجه صفة الله - تعالى - بلا كيف، وجه لا كالوجوه. نقل تفسير سورة القصص (آية رقم: ٨٨) عن سفيان بن عيينة أنه قال: «كل ما وصف الله به نفسه فى الكتاب؛ فتفسيره قراءته، لاتفسير له غيره». وهذا يوضح مراد المصنف فى هذا الموضع.

وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا

﴿ إن الله واسع ﴾ أى : غنى يعطى من السعة ﴿ عليم ﴾ أى : عالم بالأمور .

قوله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الله ولدا ﴾ يعنى : النصارى ﴿ سبحانه ﴾ تنزيه ﴿ بل له ما فى السموات والأرض ﴾ مِلْكًا ومُلْكًا ﴿ كل له قانتون ﴾ القانت : المطيع، وأصل القنوت : القيام . وفى الخبر : « أن النبى ﷺ سئل عن أفضل الصلاة، فقال : طول القنوت »(١) أى : طول القيام .

وقوله : ﴿ كل له قانتون ﴾ أى : قائمون بالعبودية . وفى معناه أقوال :

أحدها : قال ابن عباس : هو عام بمعنى الخصوص . والمراد به المسلمون، وبه قال الفراء . ولم يرضه من الفراء نحاة البصرة، وقالوا : الكل يقتضى الإحاطة بالشىء، بحيث لايشذ منه شىء ومعناه : كل العباد قانتون . فالمسلم يسجد طوعا . والكافر يسجد ظله كرها، كما قال الله - تعالى - : ﴿ ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ﴾(٢) .

والقول الثانى : معناه : ﴿ كل له قانتون ﴾ مذللون مسخرون لما خلقوا له .

والقول الثالث : ﴿ كل له قانتون ﴾ يعنى : فى القيامة .

قوله - تعالى - : ﴿ بديع السموات والأرض ﴾ أى : مبدعها، قال ابن عباس : هو الخالق لا على مثال سبق . ومنه المبتدع؛ لأنه أحدث ما لم يسبق إليه .

﴿ وإذا قضى أمرًا ﴾ أى : أحكم وأتقن . وأصل القضاء : الفراغ ومنه يقال لمن مات قضى نحبه لفراغه من الدنيا ومنه قضاء القاضى . لأنه فرغ عن فصل الحكومة . ومنه قضاء الله وقدره . لأنه فرغ عنه تقديرا وتدبيرا . وقال الشاعر :

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ( ٦/ ٥٢ رقم ٧٥٦ )، والترمذى ( ٢/ ٢٢٩ رقم ٣٨٧ )، وابن ماجة ( ١/ ٤٥٦ رقم ١٤٢١ ) وأحمد فى مسنده ( ٣/ ٣٠٢ )، جميعهم من حديث جابر بن عبد الله .

(٢) الرعد : ١٥ .

فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

وعليهما (مَسْرُودَتان)[1] قضاهما  داودُ وصنع السوابغ تُبَّعُ

أى: صناع السوابغ، وقوله: قضاهما داود، أى: أحكمهما، فكذلك قوله: ﴿ وإذا قضى أمرًا ﴾ أى: أحكم وأتقن ﴿ فإنما يقول له كن فيكون ﴾ فإن قال قائل: كيف قال: فإنما يقول له، والمعدوم لا يخاطب؟ قيل: قد قال ابن الأنبارى: معناه: فإنما يقول له أى: لأجل تكوينه، فعلى هذا ذهب معنى الخطاب.

وقيل: هو وإن كان معدوما، لكنه لما قدر وجوده، وهو كائن لامحالة، كان كالموجود: فصح الخطاب.

وفيه قول ثالث: أنه خرج على ما يفهمه الناس فى العادة؛ فإن كل من يريد فعلا فإما أن يقول قولا، أو يفعل فعلا. ومعناه: التكوين فحسب، إلا أنه قال: ﴿ فإنما يقول له ﴾ لأنه كذا يفهمه الناس.

فأما قوله - تعالى -: ﴿ **فيكون** ﴾ قرأ ابن عامر. «فيكونَ» بنصب النون، وهو أظهر على النحو؛ لأنه جواب الأمر بالفاء. فيكون على النصب.

والقراءة المعروفة: «فيكونُ» بالرفع[2]. ومعناه: فهو يكون.

قوله - تعالى -: ﴿ وقال الذين لايعلمون ﴾ قال ابن عباس: أراد به اليهود.

وقال مجاهد: أراد به النصارى.

﴿ لولا يكلمنا الله ﴾ أى: هلاَّ يكلمنا الله، «ولولا» فى كل القرآن بمعنى «هلاَّ» إلا فى موضع واحد؛ وذلك فى قوله - تعالى -: ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين ﴾[3] معناه: فلو لم يكن من المسبحين.

---

(١) المسرودة: الدرع المثقوبة، والسرد: الثقب. انظر لسان العرب (مادة: سرد). وذكر البيت فى (مادة: قضى).

(٢) انظر النشر (٢/ ٢٢٠).

(٣) الصافات: ١٤٣.

يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ

﴿ أو تأتينا آية ﴾ أى : آية نقترحها، كما اقترحوا من الآيات . ﴿ كذلك قال الذين من قبلهم ﴾ من الكفار فى القرون الماضية . ﴿ مثل قولهم تشابهت قلوبهم ﴾ أى : أشبه بعضها بعضا فى القسوة وطلب المحال . ﴿ قد بينا الآيات لقوم يوقنون ﴾ .

قوله – تعالى – : ﴿ إنا أرسلناك بالحق ﴾ أى : مع الحق، والصلات تتعاقب، ومثله قوله – تعالى – : ﴿ فادخلى فى عبادى ﴾[1] أى : مع عبادى .

والمراد بالحق : القرآن . وقيل : شريعة الإسلام .

﴿ بشيرا ونذيرا ﴾ أى : مبشرا ومنذرا ﴿ ولا تسئل عن أصحاب الجحيم ﴾ قرئ بقراءتين . « ولا تُسأل » . « ولا تَسأل »[2] . فأما قوله ﴿ ولا تُسأل ﴾ : يعنى : أرسلناك غير مسئول عن حال الكفار . وذلك مثل قوله : ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾[3] .

وقرأ ابن مسعود « وما تُسْأَل » وقرأ أبى بن كعب . « ولن تُسْأَل » ومعنى الكل واحد، وأما قوله : « ولا تَسْأَل » له معنيان : أحدهما : أنه على معنى قولهم : لا تسأل عن شر فلان؛ فإنه فوق ما تحسب .

وقيل : هو على النهى، وسببه ما روى محمد بن كعب القرظى : « أن رسول الله ﷺ قال : ليت شعرى ما فعل أبواى . فنزل قوله – تعالى – : ﴿ ولا تسئل عن أصحاب الجحيم ﴾ »[4] والجحيم : اسم للنار الشديدة الالتهاب .

---

( ١ ) الفجر : ٢٩ .

( ٢ ) قرأ نافع ويعقوب، بفتح التاء وجزم اللام، على النهى وقرأ الباقون بضم التاء، ورفع اللام على الخبر . انظر النشر ( ٢ / ٢٢١ ) .

( ٣ ) الرعد : ٤٠ .

( ٤ ) رواه الطبرى فى تفسيره ( ١ / ٤٠٩ )، وابن أبى حاتم ( ١ / ٣٥٥ رقم ١١٥٨ ) وقال السيوطى فى الدر المنثور ( ١ / ١١٧ ) : هذا مرسل ضعيف الإسناد . ورواه الطبرى ( ١ / ٤٠٩ ) عن داود بن أبى عاصم بنحوه . وقال السيوطى : معضل الإسناد ضعيف، لا يقوم به ولا بالذى قبله حجة .

**الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ**

قوله – تعالى –: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ معناه: ولن ترضى عنك اليهود إلا باليهودية، ولا النصارى إلا بالنصرانية.

﴿حتى تتبع ملتهم﴾ والملة: الطريقة، ومنه خبز الْمَلَّة. سمى الرماد الذى جعل فيه الخبز: مَلَّة؛ لأنه يظهر فيه آثار وخطوط.

﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾ يعنى: دين الله، هو الدين الذى أنت عليه.

﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ قيل: إنه خطاب للنبى، والمراد به الأمة لأنه كان معصوما من اتباع الأهواء، ومثله قوله تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾[1] ﴿بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير﴾ معلوم.

وقيل معنى الآية: أن اليهود طلبوا من النبى ﷺ المهادنة وقالوا: لاتحاربنا ولاتقتلنا، وأمهلنا؛ فربما نسلم. فنزل قوله – تعالى –: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ يعنى: إنك إن هادنتهم فلا يرضون بها. وإنما يطلبون ذلك تعللا وافتعالا، ولا يرضون عنك إلا باتباع ملتهم.

قوله تعالى –: ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ قيل: أراد به قوما من اليهود أسلموا.

وقيل: أراد به قوما من النصارى جاءوا مع جعفر بن أبى طالب حين قدم من الحبشة فأسلموا.

﴿يتلونه حق تلاوته﴾ قال ابن عباس، وابن مسعود: يحللون حلاله، ويحرمون حرامه ولايحرفون الكلم عن مواضعه.

وقال الحسن: يعملون بأوامره، ويؤمنون بمحكمه، ويكلون المتشابه إلى الله – تعالى –. وقال عكرمة: يتبعونه حق اتباعه من قولهم: تلا أى تبع ومنه قوله – تعالى –: ﴿والقمر إذا تلاها﴾[2].

(١) الزمر: ٦٥.

(٢) الشمس: ٢.

به فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا

﴿ أولئك يؤمنون به ﴾ يعنى : ما ذكرنا ﴿ ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون ﴾ أى : الغابنون أنفسهم .

قوله – تعالى – : ﴿ يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين ﴾ أعاده تأكيدا لما سبق .

قوله – تعالى – : ﴿ واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا ﴾ قد ذكرنا معناه .

﴿ ولايقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون ﴾ إن قيل : أليس قد جعل الشفاعة للأنبياء وغيرهم، حيث قال : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾[1] وقال النبى ﷺ : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى »[2] ؟ قيل : أراد بقوله : ﴿ ولاتنفعها شفاعة ﴾ فى قوم مخصوصين، وهم اليهود و الكفار .

قوله – تعالى – : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه ﴾ أى : اختبر، ومعنى ابتلاء العباد، ليس ليعلم أحوالهم بالابتلاء – لأنه عالم بهم وبما يكون منهم – ولكن ليُعْلِم العباد أحوالهم، حتى يعرف بعضهم بعضا . ﴿ بكلمات ﴾ وأما الكلمات : قيل : هى التى وردت فى الخبر فى قوله ﷺ : « عشر من الفطرة : خمس فى الرأس، وخمس فى الجسد . والخمس التى فى الرأس المضمضة والاستنشاق، وقص الشارب، والسواك، وفرق الرأس . وأما اللواتى فى الجسد مثل قلم الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء – فى رواية وغسل البراجم – »[3] .

(١) الأنبياء : ٢٨ .

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده ( ٣ / ٢١٣ )، وأبو داود ( ٤ / ٢٣٦ رقم ) ٤٧٣٩، والترمذى ( ٤ / ٥٣٩ رقم ٢٤٣٥ ) جميعهم من حديث أنس بن مالك . وقال الترمذى : حسن صحيح غريب . وقد ورد هذا الحديث وما فى معناه عن كثير من الصحابة وقال الحافظ ابن كثير فى النهاية ( ٢ / ٢٠٩ ) : وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث . ثم أفاض فى ذكرها رحمه الله – تعالى – .

(٣) رواه ابن جرير ( ١ / ٤١٤ – ٤١٥ )، والحاكم فى المستدرك ( ٢ / ٢٦٦ ) وقال : صحيح على شرط الشيخين، وابن أبى حاتم ( ١ / ٣٥٩ رقم ١١٧٢ )، والبيهقى فى سننه ( ١ / ١٤٩ ) كلهم من حديث ابن عباس موقوفا : « ابتلاه الله بالطهارة، فى خمس فى الرأس وخمس فى الجسد . . . وذكر الحديث » . وقد جاء مرفوعًا من حديث عائشة، ولفظه « عشر من الفطرة » وفى ذكر بعضه اختلاف عما هنا . أخرجه مسلم فى صحيحه ( ٣ / ١٨٨ رقم ٢٦١ )، وأبو داود ( ١ / ١٤ رقم ٥٢ )، والترمذى ( ٥ / ٨٥ رقم ٢٧٥٧ )، والنسائى ( ١ / ١٢٦ رقم ٥٠٤٠ )، وابن ماجه ( ١ / ١٠٧ رقم ١٢٩٣ ) وأحمد في مسنده ( ٦ / ١٣٧ ) .

**يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي**

وفى الخبر أن الله – تعالى – بعث جبريل إلى إبراهيم أن تطهر لى، فتمضمض، ثم بعث إليه أن تطهر لى، فاستنشق هكذا إلى العشر، فلما أمره فى المرة العاشرة: أن تطهر لى. فنظر إلى بدنه، فلم يجد شيئا ينظفه فتنبه على الختان فاختتن.

وفى الخبر: «أنه ﷺ اختتن بعد ثمانين سنة بالقدوم»(١). وهو اسم موضع، وعاش بعده ثمانين.

وفى الأخبار: «أن إبراهيم – صلوات الله عليه –. أول من قص الشارب، وأول من اختتن وأول من قلم الأظفار، وأول من رأى الشيب، فلما رآه قال يارب ما هذا؟ فقال: الوقار فقال يارب زدنى وقارا»(٢).

﴿فأتمهن﴾ أى فأداهن به تامة، قال ابن عباس: ما أتى أحد بسهام الإسلام كما أتى بها الخليل إبراهيم – صلوات الله عليه –.

وفيه قولان آخران: أن معنى الكلمات: هو أن الله – تعالى – ابتلاه بالكوكب فرضى عنه، وابتلاه بالقمر فرضى عنه، وابتلاه بالشمس فرضى عنه. وابتلاه بنار نمروذ فرضى عنه. وابتلاه بذبح الولد فرضى عنه. وابتلاه بالختان فرضى عنه.

وقوله – تعالى –: ﴿قال إنى جاعلك للناس إماما﴾ يعنى فى الخير، وقد يكون الإمام فى الشر؛ على طريق المجاز. كما قال – تعالى –: ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾(٣) وحقيقة الإمام: أن يقصد، من فعله ما يقصد وهو من الأَمِّ: وهو القصد.

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة. أخرجه البخارى (٦/٤٤٧ رقم ٣٣٥٦) ومسلم (١٥/١٧٨ رقم ٢٣٧٠).

(٢) أخرجه ابن عدى فى الكامل (٤/١٩٤)، وعزاه السيوطى فى الدر (١/١٢١) إلى البيهقى، من حديث عبد الله بن واقد، عن حماد عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة مرفوعاً بنحوه.
ورواه الإمام مالك فى الموطأ (٢/٩٢٢) عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قوله قلت: وهو الأشبه، والله أعلم وفى كنز العمال (٦/١٧٢٤٩) بالشطر الأول فقط للديلمى من حديث ابن عمر، وهو فى مسند الفردوس، وفى إسناده محمد بن القاسم الطالقانى، وهو متهم بالكذب كما فى ترجمته من الميزان واللسان.

(٣) القصص: ٤١

**الظَّالمينَ ﴿١٢٤﴾ وإِذْ جعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا من مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ**

﴿ قال ومن ذريتى ﴾ أى: اجعل من ذريتى أئمة.

﴿ قال لاينال عهدى الظالمين ﴾ أى: لايناله من كان منهم ظالما. واختلفوا فى هذا العهد، قال ابن عباس: هو النبوة. وقال مجاهد: أراد به الإمامة. وهو الأليق بظاهر النسق، وفيه قول آخر: أنه الأمان من النار.

والظالم: الفاسق، وقيل: أراد به المشرك ها هنا. وهو مثل قوله - تعالى -: ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾[1] أى: بشرك ﴿ أولئك لهم الأمن ﴾[1] فجعل الأمن لمن لايشرك به، فكذلك قوله: ﴿ لاينال عهدى الظالمين ﴾ أى: أن أمانى لايناله المشركون منهم.

قوله - تعالى -: ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ﴾ قال عطاء: مثابة أى: مجمعا.

وقال غيره: مثابة أى: مرجعا، وهو مأخوذ من ثاب، أى: رجع، والبيت مثابة؛ لأنهم يعودون إليه مرة بعد أخرى.

قال الضحاك: لايقضون منه وطرا، أى: لايملون منه. والمثاب والمثابة بمعنى واحد، قال الشاعر:

**مثاب لأفناء القبائل كلها ... تَخُبُّ إليه اليعملات الذَّوامِلُ**

وأما قوله: ﴿ وأمنا ﴾ أى: ذا أمن. قال ابن عباس: أمنه أن يدخله الجانى فيأمن ولايستوفى منه حتى يخرج، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه - رضى الله عنهم -.

وقال غيره: معناه: أنه مأمن من أيدى المشركين؛ فإنهم ما كانوا يتعرضون لأهل مكة ويقولون: إنهم أهل الله وخاصته. وإنما كانوا يتعرضون لمن حوله. كما قال الله - تعالى -: ﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ﴾[2] فأما قول

(١) الأنعام: ٨٢.

(٢) العنكبوت: ٦٧.

السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ

ابن عباس فمحمول على الاستحباب. وذلك الأولى عندنا؛ أن لايتعرض له حتى يخرج، لكن مع هذا أجاز الاستيفاء؛ لأن الحرم لايمنع استيفاء الحقوق.

قوله تعالى: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ قرئ بقراءتين: «واتخذوا» على الخبر، «واتخذوا» على الأمر(١). وأما المقام بالفتح: موضع الإقامة. والمُقام بالضم: فعل الإقامة. ومعناه على القول الصحيح: أن مقام إبراهيم هو الحجر الذى فى المسجد، يصلى إليه الأئمة وذلك الحجر الذى قام عليه إبراهيم عند بناء البيت، وبذلك سمى مقام إبراهيم.

وقيل: كان أثر أصابع رجله بينة فيه، واندرس من كثرة مسح الأيدى.

وفى الخبر: «أن الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة. ولولا ما مسته أيدى المشركين. لأضاءا ما بين المشرق والمغرب»(٢).

وقد روى عن عمر - رضى الله عنه - أنه قال: وافقنى ربى فى ثلاث:

قلت لرسول الله ﷺ: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فنزل قوله - تعالى -: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾.

وفيه قول آخر: أنه أراد بمقام إبراهيم: جميع مشاهد الحج، مثل عرفة والمزدلفة، وسائر المشاهد.

---

(١) قرأ نافع، وابن عامر، بفتح الخاء، على الخبر، وقرأ الباقون بكسر الخاء، على الأمر، انظر النشر (٢/٢٢٢).

(٢) أخرجه، والترمذى (٤/٢٢٦رقم٨٧٨) الإمام أحمد فى مسنده (٢/٢١٣-٢١٤) وابن خزيمة فى صحيحه (٤/٢١٩ رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢)، والحاكم فى مستدركه (١/٤٥٦) وابن حبان فى صحيحه (٩/ ٢٤رقم ٣٧١٠) عن حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا.

وقال الترمذى: هو حديث غريب هذا يروى عن عبد الله بن عمرو موقوفا قوله، وفيه عن أنس أيضا.

قلت: قال أبو حاتم فى العلل (١/٢٩٩-٣٠٠): رواه الزهرى وشعبة كلاهما عن مسافع بن شيبة عن عبد الله ابن عمرو موقوفا وهو أشبه، ورجاء شيخ ليس بقوى.

مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا

وقوله: ﴿ مصلى ﴾ أى: مُدَّعًا؛ أمرهم أن يتخذوها مواضع للدعاء.

وقوله - تعالى -: ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل ﴾ أى: أمرنا، والعهد ها هنا بمعنى الأمر.

وأما إسماعيل: أصله: اسمع إيل، وذلك أن إبراهيم - صلوات الله عليه - كان يدعو الله أن يرزقه ولداً، ويقول: اسمع إيل. فلما رزقه [الله](١) الولد سماه إسماعيل.

وقوله - تعالى -: ﴿ أن طهرا بيتى ﴾ يعنى من الشرك والأوثان ﴿ للطائفين ﴾ الدائرين حول الكعبة. ﴿ والعاكفين ﴾ المقيمين المجاورين ﴿ والركع السجود ﴾ المصلين. رُكَّع: جمع راكع، والسُّجُود جمع ساجد. قال الكلبى ومقاتل: الطائفين: هم الغرباء. والعاكفين: أهل مكة.

قال عطاء ومجاهد: الطواف للغرباء أفضل؛ لأنه يفوتهم، والصلاة لأهل مكة أفضل؛ لأنه لايفوتهم.

قوله - تعالى -: ﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا ﴾ أى: اجعل الحرم ذا أمن ﴿ وارزق أهله من الثمرات ﴾ وإنما دعا بذلك لأنه كان بواد غير ذى زرع.

وفى القصص: أن الطائف كانت مدينة من مدائن الشام بأردن، فلما دعا إبراهيم هذا الدعاء، أمر الله - تعالى - جبريل حتى قلعها من أصلها، وأدارها حول البيت سبعا، ثم وضعها موضعها الذى هى الآن فيه، فمن تلك ثمرات أهل مكة.

﴿ من آمن منهم بالله واليوم الآخر ﴾ دعا إبراهيم أن يرزق من الثمرات المؤمنين خاصة.

﴿ قال ومن كفر ﴾ يقول الله - تعالى -: والكافرين أيضا؛ وذلك أن الله - سبحانه وتعالى - وعد الرزق للخلق كافة، مؤمنهم وكافرهم.

(١) من «ك».

**تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ**

﴿ فأمتعه قليلا ﴾ يقرأ مخففا ومشددا(١) ومعناهما واحد يعنى: أبقيه فى النعمة قليلا.

وإنما ذكر القليل؛ لأن الإمتاع أصله الطول والكثرة. يقال: متع النهار. أى: طال وارتفع. ونخلة ماتعة. أى: طويلة. وإنما أراد به الإمتاع فى الدنيا وهو قليل؛ لانقطاعه.

﴿ ثم أضطره ﴾ ألجئه ﴿إلى عذاب النار وبئس المصير﴾ أى: المرجع.

قوله - تعالى -: ﴿ وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت ﴾ قال الفراء: القواعد: أسس البيت.

وقال الكسائى: هى جدر البيت، وحكى أن ابن الزبير لما هدم البيت ليبنيه؛ ظهرت أحجار بيض كبار فقال: هذه هى القواعد التى بنى عليها إبراهيم البيت.

وقال ابن عباس: إنما بنى البيت من خمسة أجبل: طور سيناء، وطور زيتا، ولبنان وهو جبل بالشام - والجودى، وهو جبل بالجزيرة، وحراء وهو جبل بمكة.

وفى الأخبار: أن الله - تعالى - بنى فى السماء بيتا - وهو البيت المعمور، ويسمى صراح - وأمر الملائكة أن يبنوا الكعبة فى الأرض بحذائه، على قدره ومثاله.

وقيل: أول من بنى الكعبة آدم - صلوات الله عليه - فاندرس ذلك زمان الطوفان، ثم أظهره الله - تعالى - لإبراهيم حتى بناه.

قال: ﴿ وإسماعيل ربنا تقبل منا ﴾ قرأ أبى بن كعب «يقولان ربنا تقبل منا» وهو فى الشواذ، وهذا هو المعنى. ﴿إنك أنت السميع العليم﴾

قوله - تعالى -: ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ﴾ يقول: مستسلمين، خاضعين، منقادين.

(١) قرأ ابن عامر بتخفيف التاء، وقرأ الباقون بتشديدها. انظر النشر (٢ / ٢٢٢).

فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ

﴿ ومن ذريتنا أمة ﴾ والأمة: أتباع الأنبياء ﴿ مسلمة لك ﴾ خاضعة لك ﴿ وأرنا ﴾ قرأ أبو عمرو «مختلسا»، وقرأ غيره بكسر الراء[1] ﴿ مناسكنا ﴾ أى: متعبداتنا.

والنسك: العبادة، ومنه يقال للعابد: ناسك، معناه: مواضع حجنا ﴿ وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ﴾ يعنى محمدا ﷺ، وفى الخبر، أن النبى ﷺ قال: «أنا دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى»[2] وأراد بدعوة إبراهيم هذا؛ فإنه دعا أن يبعث فى بنى إسماعيل رسولا منهم.

قال ابن عباس: كل الأنبياء من بنى إسرائيل إلا عشرة: نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب ومحمد- صلوات الله عليهم أجمعين -.

وفى القصص: أن لكل نبى ممن مضى [اسمًا واحداً][3] فى القرآن إلا نبيين[4] يعقوب وعيسى. أما يعقوب له اسمان: يعقوب، وإسرائيل، وأما عيسى له اسمان:

(١) قرأ ابن كثير، ويعقوب بإسكان الراء. وقرأ أبو عمرو بالاختلاس، وقرأ الباقون بكسر الراء، انظر النشر (٢/ ٢٢٢).

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده (٤/ ١٢٧، ١٢٨)، والحاكم (٢/ ٤١٨، ٦٠٠)، وابن جرير فى تفسيره (١/ ٤٣٥)، وابن أبى حاتم فى التفسير (١/ ٣٨٨ رقم ٢٤٦٤) عن حديث العرباض بن سارية مرفوعاً. قال الحاكم: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبى بأن فى إسناده أبا بكر ضعيف.

وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ٢٢٦): وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد، وقد وثقه ابن حبان.

وللحديث طرق أخرى عن عدد من الصحابة فانظر المجمع (٨/ ٢٢٥-٢٢٧)، وتخريج أحاديث الكشاف للزيلعى (١/ ٨٢-٨٣).

(٣) فى «الأصل»، و«ك»: اسم واحد.

(٤) فى «الأصل»، و «ك»: نبيان.

اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ

عيسى، والمسيح.

﴿ يتلو عليهم آياتك ﴾ يعنى من القرآن ﴿ ويعلمهم الكتاب ﴾ القرآن ﴿ والحكمة ﴾ فيها أقوال:

قيل: الحكمة فهم القرآن، وقال أبو بكر بن دريد صاحب الجمهرة: الحكمة كل كلمة زجرتك ووعظتك ونهتك عن قبيح، ودعتك إلى حسن، وقيل: الحكمة الفقه. وهذا قول حسن.

﴿ ويزكيهم ﴾ أى: يطهرهم، ويجعلهم أزكياء طهرة. وفيه قول آخر: أنه بمعنى التزكية. يشهد الرسل بالنبوة من سائر الأمم وذلك أن مؤمنى سائر الأمم شهدوا للرسل بالنبوة وتبليغ الرسالة فهذه(١) الأمة تزكى أولئك الشهود.

﴿ إنك أنت العزيز ﴾ قيل: هو الممتنع، والله ممتنع لاتناله الأيدى، ولايصل إليه شىء.

وقيل: هو القوى الغالب. ومنه قوله - تعالى -: ﴿ وعزنى فى الخطاب ﴾(٢) أى: غلبنى.

ويقال فى المثل: «مَنْ عَزَّ بَزَّ» أى: من غلب سلب ﴿ الحكيم ﴾ معلوم.

قوله - تعالى -: ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم ﴾ أى: طريقة إبراهيم ﴿ إلا من سفه نفسه ﴾ حكى أبو عبيد عن أبى عبيدة: معناه: أهلك نفسه.

وقال الزجاج: معناه جهل نفسه، وكل سفيه جاهل، وذلك أن من جهل نفسه لم يعرف الله.

وفى الأخبار: أن الله - تعالى - أوحى إلى داود: اعرف نفسك واعرفنى. فقال

(١) فى «ك» فتلك.

(٢) ص: ٢٣.

اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ

يارب كيف أعرف نفسى، وكيف أعرفك؟ فأوحى الله إليه: اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء، واعرفنى بالقوة والقدرة والبقاء.

وقيل: معناه سَفه نفسه وجعله سفيها، وفيه قول رابع: معناه سفه فى نفسه، فحذف كلمة «فى» فصار: سفه نفسه.

﴿ ولقد اصطفيناه ﴾ اخترناه ﴿ فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين ﴾ من الأنبياء.

قوله - تعالى -: ﴿ إذ قال له ربه أسلم ﴾ يعنى أى: استسلم وأخلص عبادتك لله.

﴿ قال أسلمت لرب العالمين ﴾ أخلصت وفوضت إليه.

قال ابن عباس: وقد حقق التفويض إليه، ولم يستعن بأحد من الملائكة حين ألقى فى النار.

قوله - تعالى -: ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ﴾ قرئ «وأوصى» من الإيصاء. «ووصى» من التوصية[1] وهى للمبالغة والتكثير، يعنى أوصى إبراهيم بنيه. وأوصى يعقوب بنيه. ﴿ يابنى إن الله اصطفى لكم الدين ﴾ اختار لكم دين الإسلام ﴿ فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ فإن قيل: كيف قال: فلاتموتن إلا وأنتم مسلمون وليس بيدهم أن لايموتوا إلا مسلمين؟

قيل معناه: داوموا على الإسلام حتى لايصادفكم الموت. إلا وأنتم مسلمون، وهذا كقول القائل: لا أريتك تفعل كذا معناه: لا تفعل كذا، حتى لا أراك وأنت فاعل له.

(١) قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، ونافع: «وأوصى» بهمزة مفتوحة بين الواوين مع تخفيف الصاد، وقرأ الباقون بتشديد الصاد من غير همزة بين الواوين. انظر النشر (٢/ ٢٢٢ - ٢٢٣).

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا

قوله – تعالى –: ﴿أم كنتم شهداء﴾ بمعنى: أكنتم شهداء والمراد به ما كنتم شهداء.

﴿إذا حضر يعقوب الموت﴾ أى: ما كنتم حضورا حين قرب يعقوب من الموت.

﴿إذ قال لبنيه﴾ وهم اثنا عشر سبطا. على ما سيأتى ﴿ما تعبدون من بعدى﴾ أى: أيش تعبدون من بعدى ﴿قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب إلها واحدا ونحن له مسلمون﴾ وقرأ الحسن البصرى وعاصم الجحدرى. «وإله أبيك» كأنه على هذه القراءة لم يجعل العم ولا الجد أبا.

والقراءة المعروفة «وإله آبائك» فجعل الجد والعم أباء.

وإبراهيم هو الجد وإسماعيل هو العم. وقد سمى رسول الله ﷺ عمه العباس أبا حيث قال: «إنه من بقية آبائى».(١) وقال: «رُدُّوا علىَّ أبى كيلا تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود»(٢) وذلك أنهم قتلوه.

قوله – تعالى –: ﴿تلك أمة قد خلت﴾ أى: مضت ﴿لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعلمون﴾ معناه: يُجازى كل بكسبه، ويُسْأَلُ كلٌّ عن عمله. والله أعلم.

قوله – تعالى –: ﴿وقالوا كونوا هودا أو نصارى﴾ هود جمع هائد، وهو مثل حائل وحُول. وقيل: كان أصله كونوا يهودا فحذفت الياء فصار: هودا.

وقيل: هود مصدرها يهود هودا، فهو مصدر بمعنى الجمع كما يقال: قوم صُوم

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الصغير (١/ ٣٤٤رقم ٥٧٢) من حديث الحسن بن على بن أبى طالب مرفوعاً.

قال الهيثمى فى المجمع (٩/ ٢٧٢): وفيه جماعة لم أعرفهم.

ورواه الطبرانى فى الكبير (١١/ ٨٠ رقم ١١١٠٧) من حديث ابن عباس.

وقال الهيثمى (٩/ ٢٧٢): وفيه عبد الله بن خراش وهو ضعيف، وثقه ابن حبان وقال: ربما أخطأ. وبقية رجاله وثقوا.

(٢) رواه ابن أبى شيبة فى المصنف فى خبر طويل (١٤/ ٤٨٤ رقم ١٨٧٤٨) عن عكرمة مرسلاً.

كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ

وقوم فُطر.

ومعناه: قالت اليهود: كونوا يهودا وقالت النصارى كونوا نصارى فهذا معنى قوله - تعالى - ﴿كونوا هودا أو نصارى تهتدوا﴾.

﴿قل بل ملة إبراهيم حنيفا﴾ قرأ الأعرج «بل ملةُ» بالرفع. ومعناه بل ملتنا ملة إبراهيم.

والقراءة المعروفة: ﴿بل ملةَ إبراهيم﴾ أى: بل نتبع ملة إبراهيم.

وقيل: معناه: بل نكون على ملة إبراهيم، فحذف «على» فصار منصوبا.

قال الكسائى: هو نصب على الإغراء كأنه يقول: اتبعوا ملة إبراهيم حنيفا، وأما الحنيف: هو المسلم، وأصله الميل، ومنه الأحنف وهو: المائل القدم، والمسلم مائل من سائر الأديان إلى ملة الإسلام.

وقيل: معناه المستقيم، فسماه حنيفا على الضد كما يقال للمهلكة: مفازة وللديغ سليم.

وقيل: الحنيف هو الحاج المختتن؛ وذلك أنه لم يبق مع العرب من ملة إبراهيم إلا الحج والختان، وكانوا يعرفون كل من حج واختتن على ملة إبراهيم، وَعرَّفوا الرجل بذلك حنيفا. فقال: بل ملة إبراهيم حنيفا على وفق ما عرفوا ﴿وما كان من المشركين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم﴾.

قال الضحاك: علموا أولادكم أسماء الأنبياء المذكورين فى القرآن كى يؤمنوا بهم، ولاتظنوا أن الإيمان بمحمد يكفى عن الإيمان بسائر الأنبياء.

وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَّإِن

وفى الخبر: «أن النبى ﷺ قرأ فى الركعة الأولى من ركعتى الفجر هذه الآية قوله - تعالى -: ﴿آمنا بالله﴾ إلى آخرها. وقرأ فى الركعة الثانية ﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا...﴾ إلى آخرها»(١). أخرجه مسلم فى الصحيح(٢).

حكى عن السلف أنهم كانوا إذا قيل للرجل منهم: [أمؤمن أنت]؟(٣) قرأ ﴿آمنا بالله وما أنزل إلينا...﴾ الآية.

وأما الأسباط: هم اثنا عشر سبطا وهم أولاد يعقوب والأسباط فى بنى إسرائيل كالقبائل فى [العرب](٤).

وقيل: السبط: الشجر، سمى بذلك لكثرة فروعه.

﴿لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ أى: نؤمن بالكل، ولانفضل البعض عن البعض.

قوله - تعالى -: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به﴾ قرأ ابن عباس «بالذى آمنتم به» وهو المعنى. فقيل معناه: بما أمنتم به.

والمثل: ضد كما فى قوله: ﴿ليس كمثله شىء﴾(٥) ومعناه: ليس كهو شىء.

قال الشاعر:

**ياعاذلى دعنى عن عذلكا ... مثلى لايقبل من مثلكا**(٦)

(١) آل عمران: ٨٤.

(٢) الحديث فى صحيح مسلم (٦/٨-٩ رقم ٧٢٧) من حديث ابن عباس مرفوعا إلا أنه قال فى الآخرة: ﴿آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾.

وفى الرواية الثانية قرأ فى الآخرة: ﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾

(٣) فى «الأصل، ك»: امنوا أمؤمن أنت.

(٤) فى «الأصل، ك» بنى إسرائيل وهو سبق قلم.

(٥) الشورى: ١١.

(٦) فى «الأصل، وك»: مثلها. والصواب ما أثبتناه.

تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾

أى: لايقبل منك.

وقال الزجاج: معناه فإن أتوا بإيمان كإيمانكم، وتصديق كتصديقكم، وتوحيد كتوحيدكم، وقال أبو معاذ النحوى: معناه فإن آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم.

﴿ فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم فى شقاق ﴾ أى: منازعة؛ لأن كل منازع يكون فى شق آخر عند المنازعة.

﴿ فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ﴾ وعده أن يكفيه شرهم، وقد كفى بإجلاء بنى النضير، وقتل[1] بنى قريظة، وضرب الجزية على اليهود والنصارى، وقتل المشركين.

﴿ وهو السميع العليم ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ صبغة الله ﴾ قال ابن عباس – فى رواية الكلبى – وقتادة، والحسن، وعكرمة، والسدى: معناه: دين الله. وإنما سماه صبغة؛ لأنه يظهر أثر الدين على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب.

وقال مجاهد: معناه: فطرة الله. وهذا يقرب من الأول.

وقيل: أراد به الختان. وقوله ﴿ صبغة الله ﴾ أى: تطهير الله بالختان، وإنما سماه صبغة؛ لأنه أقامه مقام فعل النصارى، وذلك أنهم كانوا يصبغون الولد فى ماء أصفر بدل الختان فى زى اليهود. ويعدونه تطهيرا للولد فالله – تعالى – أقام التطهير بالختان فى حق المسلمين مقام ما صبغوا.

قال الكسائى: هو نصب على الإغراء وتقديره: الزموا دين الله. ومن أحسن من الله دينا، أو الزموا تطهير الله ﴿ ومن أحسن من الله صبغة ﴾ أى: تطهيرا ﴿ ونحن له عابدون ﴾.

(١) فى ك: وقبل.

**قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ**

قوله تعالى: ﴿قل أتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم﴾ والمحاجة: المجادلة بالحجة لإظهار الحق.

نزلت فى اليهود ونصارى نجران حيث حاجوا رسول الله ﷺ وقالوا: ديننا أقدم من دينكم وكتابنا أقدم من كتابكم، فنحن أولى بالله منكم، فنزل قوله: قل يا محمد ﴿أتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم﴾ أى: نحن وأنتم سواء فى الله فإنه ربنا وربكم.

﴿ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ أى: نجازى بأعمالنا وتجازون بأعمالكم ﴿ونحن له مخلصون﴾ يعنى: كيف تَدَّعُون أنكم أولى بالله ونحن له مخلصون وأنتم به مشركون؟

قوله - تعالى -: ﴿أم تقولون﴾ يعنى: أتقولون؟ والصيغة صيغة الاستفهام، ومعناه التوبيخ يعنى أتقولون ﴿إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى﴾. وذلك أنهم ادعوا أن هؤلاء الأنبياء كانوا يهودا أو نصارى.

﴿قل أأنتم أعلم أم الله﴾ وذلك أن الله - تعالى - قد أعلم المسلمين أنهم كانوا على الدين الحنيفية وما كانوا يهودا ولا نصارى، كما قال - تعالى -: ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما﴾[1].

﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أراد به أن الله - تعالى - قد أشهدهم فى كتبهم علي أن إبراهيم كان على الدين الحنيفية، ولم يكن يهوديا ولا نصرانيا؛ فكتموا تلك الشهادة.

وقيل أراد بالشهادة على نعت محمد ﷺ.

﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ أى: لايخفى عليه شىء مما تعملون.

قوله - تعالى -: ﴿تلك أمة قد خلت﴾ أى: مضت ﴿لها ما كسبت ولكم ما

(١) آل عمران: ٦٧.

كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ

كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾ يعنى: أنكم غير مسؤولين عن أعمالهم بل هم المسئولون.

فإن قيل: هذا تكرار؛ فإنه قد ذكره مرة.

قلنا: أما الأول: كان فى الأنبياء الذين سبق ذكرهم. وهذا الثانى: فى اليهود والنصارى الذين سبق ذكرهم فى هذه الآيات. أو كرره تأكيدا.

وحكى عن بعض العلماء أنه سئل عما وقع من الفتن بين على ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة – رضوان الله عليهم – فقرأ ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم... ﴾ الآية وهذا جواب حسن فى مثل هذا السؤال.

قوله – تعالى –: ﴿ سيقول السفهاء من الناس ﴾ أى: يقول السفهاء الجهال، والسفيه: خفيف الحلم والعقل. ومنه الثوب – يعنى – السفيه ويقال: رمح سفيه، أى: سريع النفوذ.

﴿ ما ولاهم ﴾ ما عدلهم وحرفهم ﴿ عن قبلتهم التى كانوا عليها ﴾ يعنى: بيت المقدس ﴿ قل لله المشرق والمغرب ﴾ يوجه العباد إلى أيهما شاء ﴿ يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ أى: طريق مستقيم. والطريق المستقيم: هو الموصل إلى المقصود.

ونزلت الآية فى اليهود؛ حيث عيروا المسلمين على تحويلهم من بيت المقدس إلى الكعبة.

قوله – تعالى –: ﴿ وكذلك جعلناكم ﴾ يعنى: كما اخترنا الأنبياء واخترنا بنى إسرائيل من الخلق فكذلك اخترناكم من الأمم. ﴿ أمة وسطا ﴾ أى: عدلاً خياراً. قال الشاعر:

عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ

هُمُ وسط يرضى الأنام بحكمهم ... إذا نزلت إحدى الليالى بمعظم

وفى الخبر أن النبى ﷺ قال: «إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأعدلها»(١).

وقد ورد فى الخبر عنه ﷺ أنه قال: «خير الدين النمط الأوسط»(٢) يعنى الذى ليس فيه غلو ولا تقصير. وذلك دين الإسلام؛ لأن النصارى غلوا فى دينهم، واليهود قصروا. وأما المسلمون أخذوا بالنمط الأوسط.

﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ وذلك يوم القيامة، حين يسأل الأمم عن إبلاغ الرسل، فينكرون تبليغهم الرسالة. فيسأل الرسل فيقولون: بلغنا، فيقال لهم: ومن يشهد لكم؟ فيأتون بهذه الأمة فيشهدون لهم بالبلاغ. فتقول الأمم: إنهم أتوا بعدنا فكيف يشهدون بذلك؟ فيسأل هذه الأمة. فيقولون: أرسلت إلينا رسولا، وأنزلت علينا كتابا، وأخبرتنا فيه ببلاغ الرسل، وأنت صادق فيما أخبرت، فبذلك نشهد لهم بالبلاغ.

﴿ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ على أعمالكم.

وقيل: معناه مزكيا مصدقا علي شهادتكم.

قوله - تعالى -: ﴿وما جعلنا القبلة التى كنت عليها﴾ أى: ما حولنا القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ﴿إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾ فإن قال قائل: مامعنى قوله: ﴿إلا لنعلم﴾ وهو عالم بالأشياء قبل كونها؟

---

(١) أخرجة الترمذى (٥ / ٢١١ رقم ٣٠٠١) وقال: حديث حسن، وابن ماجه (٢ / ١٤٣٣رقم ٤٢٨٧، ٤٢٨٨)، والإمام أحمد فى مسنده (٤ / ٤٤٧، ٥ / ٣، ٥) والحاكم فى مستدركه (٤ / ٨٤) وقال: صحيح. جميعهم من حديث بهز بن حكيم عن أبيه، عن جده مرفوعا.

(٢) عزاه العراقى فى تخريجه على الإحياء (١ / ٧٢) لأبى عبيد فى الغريب من حديث على موقوفاً ولفظه «عليكم بالنمط الأوسط». وقال: ولم أجده مرفوعاً.

**الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ**

قلنا بلى كان عالما به علم الغيب، وإنما أراد بهذا: العلم الذى يتعلق به الثواب والعقاب، وهو العلم بوجود الأتباع؛ فإن كونه موجودا إنما يعلم بعد الوجود.

وقيل: معناه إلا لنرى، وهو قريب من الأول.

وقيل: الابتلاء مضمر فيه، وتقديره: إلا لنبتلى فيظهر المتبع من المنقلب، وفى الخبر: «أن القبلة لما حولت إلى الكعبة، ارتد قوم من المسلمين إلى اليهودية، وقالوا: إن محمدا رجع إلى دين آبائه». فهذا معنى قوله: ﴿ممن ينقلب على عقبيه﴾ وقوله - تعالى -: ﴿وإن كانت لكبيرة﴾ لثقيلة.

قيل: معناه: وإن كانت القبلة لكبيرة. قال الزجاج: وإن كانت التحويلة لكبيرة.

﴿إلا على الذين هدى الله﴾ أى: هداهم الله. ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ نزل هذا فى قوم معينين. ذلك ما روى: «أن القبلة لما حولت سأل قوم رسول الله ﷺ فقالوا: إن قوما منا كانوا قد صلوا إلى بيت المقدس، وماتوا، فما شأنهم؟ منهم أسعد بن زرارة، وأبو أمامة والبراء بن معرور - فنزل قوله - تعالى -: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾» أى: صلاتكم فجعل الصلاة إيمانا، وهذا دليل على المرجئة؛ حيث لم يجعلوا الصلاة من الإيمان. وإنما سموا مرجئة لأنهم أخروا العمل عن الإيمان.

وحكى: أن أبا يوسف شهد عند شريك بن عبد الله القاضى فرد شهادته، قيل له أترد شهادة يعقوب؟ فقال: كيف أقبل شهادة من يقول: إن الصلاة ليست من الإيمان؟!.

وقيل: معنى قوله: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ بالتحويل.

﴿إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾ والرأفة: أشد الرحمة.

قوله - تعالى -: ﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء﴾ هذه الآية وإن كانت

لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ

---

متأخرة فى التلاوة لكنها متقدمة فى المعنى؛ فإنها رأس القصة.

وسبب نزول الآية ما روى جابر: «أن النبى ﷺ بعد ما قدم المدينة صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا - أو سبعة عشر شهرا - وكان يود أن يحوله الله إلى الكعبة فكان يقول لجبريل: وددت لو حولنى الله إلى الكعبة؛ فإنها قبلة أبى إبراهيم، وكان يقول لجبريل: سل ربك فقال له جبريل: سل أنت فإنك عند الله بمكان، وكان كلما نزل جبريل تردد وجهه فى السماء؛ رجاء أن ينزل بالنسخ»(١).

قال السدى: إنه ﷺ كلما افتتح صلاة، كان يردد وجهه فى السماء رجاء أن يحوله الله إلى الكعبة، فأقامه الله عليه ستة عشر شهرا، ثم نزل قوله - تعالى -: ﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها﴾ أى: تودها وتهواها؛ لأن القبلة الأولى كانت [ترضيه](٢) أيضا.

﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ أى نحو البيت.

﴿وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ أى: نحوه. وفى الخبر أن النبى ﷺ قال: «هذه القبلة وأشار إلى البيت»(٣).

﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم﴾ يعنى التحويل إلى الكعبة ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ قال ابن عباس: أول ما نسخ بعدما قدم المدينة هو القبلة.

---

(١) لم أقف عليه بهذا السياق من حديث جابر ولا غيره، وقد صح عن النبى ﷺ أحاديث فى حبه أن يستقبل الكعبة وفى سبب نزول قوله تعالى ﴿قد نرى ...﴾ منها حديث البراء الذى أخرجه البخارى فى صحيحه (٨/ ٢٠ رقم ٤٤٨٦)، والله أعلم.

(٢) فى «الأصل، وك»: ترضاه.

(٣) متفق عليه من حديث ابن عباس. فرواه البخارى (١/ ٥٩٧ رقم ٣٩٨)، ومسلم (٩/ ١٢٥ - ١٢٦ رقم ١٣٣٠).

فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا

وقيل: أول صلاة صليت إلى الكعبة كانت صلاة العصر. وروى «أنها حولت إلى الكعبة وكانوا فى الصلاة. والصحيح: أن التحويل كان خارج الصلاة. وإنما كان ذلك فى حق أهل قباء؛ فإنهم شرعوا فى صلاة العصر، وكانت صلاة العصر نحو بيت المقدس، فأتاهم آتٍ وقال: «أشهد أنى صليت هذه الصلاة مع رسول الله ﷺ إلى الكعبة؛ فاستداروا إلى الكعبة وبنوا على صلاتهم»(١).

قوله - تعالى -: ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك﴾ معناه: لو أتيتهم بكل معجزة ما تبعوك فى الكعبة. ﴿وما أنت بتابع قبلتهم﴾ يعنى: قبلة اليهود والنصارى ﴿وما بعضهم بتابع قبلة بعض﴾ يعنى: اليهود والنصارى، وذلك أن قبلة اليهود بيت المقدس وهو المغرب، وقبلة النصارى المشرق، وأما قبلة المسلمين هى الكعبة.

وقد روى ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال: «ما بين المشرق والمغرب قبلة»(٢) قال ابن عمر: يعنى لأهل المشرق. وصورته أن يجعل مشرق الشتاء فى أقصر يوم من السنة على يساره. ومغرب الصيف فى أطول يوم من السنة عن يمينه، فيكون وجهه إلى الكعبة وذلك بأن يتوجه إلى مسقط قلب العقرب حين يسقط. فهذا معنى قوله: «ما بين المشرق والمغرب قبله..».

﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ وإن كان الخطاب مع الرسول، ولكن المراد به الأمة كما سبق.

(١) تقدم فى حديث البراء عند البخارى.

(٢) أخرجه الحاكم فى مستدركه (١/٢٠٥-٢٠٦)، والبيهقى من طريق الحاكم (٢/٩) وقال الحاكم: صحيح، وقد أوقفه جماعة عن عبد الله بن عمر، وقال الذهبى: وصححه أبو حاتم موقوفاً على عبد الله، والله أعلم.

قلت: وفى العلل لابن أبى حاتم (١/١٨٤) أن أبا زرعة قال فى الرواية المرفوعة لابن عمر: هذا وهم، الحديث حديث ابن عمر موقوف.

قلت: وفى الباب عن أبى هريرة مرفوعاً، أخرجه الترمذى فى سننه (٢/١٧٣ رقم ٣٤٤)، وابن ماجة (١/٣٢٣ رقم ١٠١١) وقال الترمذى: حسن صحيح.

قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِن

﴿ من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين ﴾ معلوم التفسير.

قوله – تعالى –: ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ قيل: أراد به القبلة. وقيل: أراد به محمدا ﷺ.

وروى أن عبد الله بن سلام قال: معرفتى بهذا النبى أشد من معرفتى بابنى. قال له عمر: وكيف ذاك؟ قال: لأنى لا أعرف ما أحدثت النساء، وأعرف أنه نبى حق. فقال عمر: لله درك.

﴿ وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ﴾ أى: الشاكّين.

قوله – تعالى –: ﴿ ولكل وجهة هو موليها ﴾ قال مجاهد: هو موليها وجهة. يعنى: القبلة. وقال أبو حاتم، عن الأخفش معناه: الله موليها.

فقوله: «هو» كناية عن الله – تعالى – يعنى: الله مولى الأمم إلى قبلتهم. وقرأ ابن عامر: «هو مولاها»(١) أى: المستقبل مصروف إليها.

﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ أى: بادروا، والمراد ها هنا: المبادرة إلى القبول من الله ﴿ أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شىء قدير ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ أى: نحوه.

﴿ وإنه للحق من ربك ﴾ ذكره تأكيداً للأول ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾.

(١) انظر النشر (٢/٢٢٣).

رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا

قوله تعالى: ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ يعنى: اليهود؛ وذلك أنهم قالوا: إن محمدا اتبع قبلتنا، فسيعود إلى ملتنا.

﴿إلا الذين ظلموا﴾ وهم المشركون. وقيل: «إلا» بمعنى «ولا» الذين ظلموا. ومثله: قول الشاعر:

وكل أخ مفارقه أخوه  لعمرو أبيك إلا الفرقدان

يعنى: ولا الفرقدان.

والصحيح: أنه استثناء منقطع، «وإلا» بمعنى «لكن» الذين ظلموا يخاصمونكم ويحاجونكم بالحجة الباطلة، وذلك أن المشركين قالوا - حين تحولت القبلة إلى الكعبة -: إنه رجع إلى قبلتنا فسيعود إلى ملتنا، والحجة الباطلة قد تسمى حجة، كما قال الله - تعالى -: ﴿حجتهم داحضة﴾[1] فكأنه أبطل حجة اليهود بالتحويل إلى الكعبة: ثم أبطل حجة المشركين بدليل سواه.

﴿إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون﴾ قال سعيد بن جبير: لاتتم نعمته على المسلم إلا بأن يدخله الجنة.

وفى الخبر: «أن النبى ﷺ سمع رجلا يقول الحمد لله على الإسلام، فقال ﷺ: لقد حمدت الله على نعمة عظيمة»[2].

قوله - تعالى -: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم﴾ فإن قال قائل: الكاف للتشبيه فأين المشبه به؟ قلنا: قال - على رضى الله -: عنه تقديره: فاذكره لى، كما

(١) الشورى: ١٦.

(٢) أخرجه ابن أبى الدنيا فى الشكر (ص٦٨ رقم ٩) عن الحسن مرسلا.

تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا

أرسلنا فيكم رسولا فيكون الذكر على هذا القول بمعنى الشكر.

وقيل: تقديره: ولأتم نعمتى عليكم كما أرسلنا فيكم رسولا منكم، وذلك أن إبراهيم – صلوات الله عليه – كان قد دعا دعوتين: دعا أن يبعث فيهم رسولا منهم، ودعا إتمام النعمة على ذريته بالرزق من الثمرات، فأجاب إحدى الدعوتين بأن بعث فيهم رسولا، ثم أجاب الدعوة الثانية فقال: ولأتم نعمتى عليكم، كما أرسلنا فيكم رسولا منكم.

﴿يتلو عليكم آياتنا﴾ يعنى: القرآن ﴿ويزكيكم﴾ كما بينا ﴿ويعلمكم الكتاب والحكمة﴾ وقد ذكرنا. وقيل: الحكمة السنة، وقيل: مواعظ القرآن.

﴿ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكرونى أذكركم﴾ قيل: ذكر الله ها هنا بمعنى المدح والثناء عليه.

وفى الخبر عن النبى ﷺ «أن الله – تعالى – يقول: أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حين يذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسي، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلى ذراعا، تقربت إليه باعا وإن أتانى يمشى أتيته هرولة» أخرجه مسلم فى الصحيح(١).

وقيل: معناه: فا ذكرونى كما أرسلنا، وهذا قريب من قول على.

وقيل: الذكر من العبد الطاعة، ومن الله المغفرة والرحمة. ومعناه: فاذكرونى بالطاعة أذكركم بالمغفرة والرحمة.

﴿واشكروا لى ولا تكفرون﴾ يعنى واشكروا لى بالطاعة ولا تكفرونى بالمعصية. فإن من أطاع الله فقد شكره، ومن عصاه فقد كفره.

(١) هو فى الصحيح (١٧/٣ رقم ٢٦٧٥) عن أبى هريرة مرفوعاً.

فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ

وحكى أن موسى – صلوات الله عليه – سأل ربه فقال: ما الشكر الذى ينبغى لك؟ فقال أن لايزال لسانك رطبا بذكرى.

قوله – تعالى –: ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ﴾ فالاستعانة: طلب المعونة. وفى الصبر قولان: أحدهما: الثبات على الدين، والآخر: الصوم. ووجه الاستعانة بهما ما سبق.

﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ قال عطاء، عن ابن عباس: بالحفظ والنصر.

قوله – تعالى –: ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات ﴾ نزلت الآية فى قوم معينين، استشهدوا يوم بدر، وكان يقول المسلمون: مات فلان، فلم يَرْضَ الله – تعالى – ذلك منهم، وأنزل الله هذه الآية.

﴿ بل أحياء ولكن لاتشعرون ﴾ أى: شهداء؛ لأن الشهيد حىّ.

وقيل: معناه ما ورد فى الخبر: «أن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تعلف من ثمار الجنة – أى تأكل – وتأوى إلى قناديل معلقة تحت العرش».(١) فذلك قوله: ﴿ بل أحياء عند ربهم ﴾(٢).

وقيل: معناه أحياء بالثواب والثناء الحسن، وليسوا بأموات بالذكر السيء وعدم الثواب.

قوله – تعالى –: ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف ﴾ واللام فيه لجواب القسم. وتقديره: والله لنبلونكم. وحكمة الابتلاء لإظهار المطيع من العاصى، لا ليعلم شيئًا

(١) رواه الترمذى (٤/١٥١ رقم ١٦٤١)، وابن ماجة (١/٤٦٦ رقم ١٤٤٦) وأحمد فى مسنده (٦/٣٨٦) جميعهم من حديث كعب بن مالك، وقال الترمذى: حسن صحيح.

وبنحوه رواه الإمام مسلم فى صحيحه (١٣/٤٦-٤٧ رقم ١٨٨٧)، والترمذى (٥/٢١٥ – ٢١٦ رقم ٣٠١١) من حديث ابن مسعود، وقال الترمذى: حسن صحيح.

(٢) ال عمران: ١٦٩.

﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ
﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ

لم يكن عالماً به، واختلفوا فيمن نزلت الآية فيه، منهم من قال : نزلت فى اليهود وقيل: نزلت فى المسلمين .

﴿ بشئ من الخوف ﴾ خوف العدو ﴿ والجوع ﴾ بالقحط والجدب ﴿ ونقصٍ من الأموال ﴾ بالخسران والهلاك ﴿ والأنفس ﴾ بالمرض والشيب والموت ﴿ والثمرات ﴾ بالجوائح، وقيل : بالأولاد؛ وذلك أنهم ثمرات القلوب، وحكمة الابتلاء بهذه الأشياء: حتى إذا صبروا عليه فكل من سمع به بعدهم؛ علم أنهم أنما صبروا عليه لما عرفوا من الحق .

﴿ وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنّا إليه راجعون ﴾. قال سعيد بن جبير : كلمة الإسترجاع لم تعط [ لأحد ][1] من الأمم سوى هذه الأمة . ألا ترى أن يعقوب – صلوات الله عليه – لما ابتلي بفراق يوسف قال: ﴿ يا أسفى على يوسف ﴾[2] ولم يقل: إنا لله وإنا إليه راجعون؟ ومعناه: إنا لله ملْكًا وعبودية، وإنا إليه راجعون في القيامه، وإنما قيد بهذا لأن الأمر فى القيامة يخلص لله – تعالى – .

وروي: «أن رسول اللّه ﷺ طُفِيءَ سراجه، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. فقيل له في ذلك، فقال : كل ما أذى المؤمن فهو مصيبة له»[3] .

قوله تعالى : ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ ومعنى الصلوات هاهنا الرحمة بعد الرحمة؛ لأن الصلاة من الله: الرحمة. ومن الملائكة: الاستغفار، ومن الناس الدعاء. قال الشاعر :

(١) فى الأصل أحد .
(٢) يوسف : ٨٤
(٣) أخرجه أبو داود فى مراسيله ( رقم ٤١٢ ) عن عمران القصير.
وروى مرسلا أيضا عن عكرمة، أخرجه عبد بن حميد وابن أبى الدنيا فى «الفداء» كما فى الدر المنثور للسيوطى ( ١ / ١٦٥ ). وعزاه أيضا لابن أبى الدنيا عن عبد العزيز بن أبى داود بلاغا.

وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ

صلى على يحيى وأشياعه ربٌّ كريم وشفيع مطـاع

يعني: ترحم عليه.

قوله: ﴿ ورحمة ﴾ ذكرها تأكيداً للأول ﴿ وأولئك هم المهتدون ﴾ قال عمر - رضى الله عنه -: نِعْمَ العِدلان ونِعْمَتِ العِلاوة، والعِدلان: الصلوات والرحمة، والعلاوة: الهداية.

وقد ورد فى ثواب المصيبة أخبار كثيرة، منها: ما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أصيب العبد المؤمن بمصيبة إلا كُفِّر عنه، حتى الشوكة يشاكها»(١).

قوله - تعالى -: ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ الصفا: جبل بأحد طرفى المسعى. والمروة: جبل بالطرف الثانى، والصفا: الحجر الصلب، والمروة: الحجر الرخو.

قوله - تعالى -: ﴿ من شعائر الله ﴾ فالشعائر: جمع الشعيرة، وهى: الأعلام التى على مناسك الحج. ومثله المشاعر، فالموقف شعيرة، والمطاف شعيرة، والمنحر شعيرة، والمشعر شعيرة.

﴿ فمن حج البيت أو اعتمر ﴾ فأصل الحج: القصد. قال الشاعر:

وأشهدُ من عوفٍ حُلُولاً كثيرةً يحجون(٢) سِبَّ الزِّبْرِقانِ المزعفَرَا

أى: يقصدون. وأصل العمرة: الزيارة. قال الشاعر:

وجاشَت النفس لما جاء فَلُّهُمُ وراكب جاء من تثليثَ معتمرُ(٣)

أى: زائرا وفى الحج والعمرة قصد وزيارة.

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة، فرواه البخارى (١٠/١٠٧ رقم ٥٦٤٠)، ومسلم (٦/١٩٣-١٩٦ رقم ٢٥٧٢) وفى هذا المعنى أحاديث كثيرة فى الصحيحين وغيرهما.

(٢) فى «الأصل» و«ك»: يحجون العمامة. والبيت فى لسان العرب (مادة: حجج وتفسير الطبرى (٣/٢٢٨). وزيادة «العمامة» ليست فى لسان العرب، ولاتفسير الطبرى، ولعلها مقحمة.

(٣) كذا فى لسان العرب (مادة: عمر)، ووقع فى «الأصل، وك»: معتمراً. على النصب.

﴿١٥٧﴾ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا

وقوله - تعالى -: ﴿فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ قرأ ابن عباس: «فلا جناح عليه أن لايطوف بهما». وهى قراءة أنس، وكذلك كان فى مصحف أبى بن كعب، وابن مسعود. والقراءة المعروفة: ﴿أن يطوف بهما﴾.

وقد روى عن عروة بن الزبير: أنه قال لعائشة: «أنا[1] لا أرى جناحا على من لا يطوف بين الصفا والمروة، وقرأ هذه الآية.

فقالت عائشة: بئسما رأيت يا ابن أختى وذكرت القصة فى سبب نزول الآية»[2].

والقصة فى ذلك أنه كان فى الجاهلية على الصفا والمروة صنمان: إساف ونائلة، وكان إساف على الصفا، ونائلة على المروة، وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين، فلما فتح النبى ﷺ مكة، وكسر الأصنام. وكان المسلمون يتحرجون عن السعى بين الصفا والمروة لمكان الصنمين اللذين كانا عليهم؛ فنزلت الآية فى رفع ذلك الحرج.

ثم وجوب السعى بالخبر؛ وهو قوله ﷺ: «إن الله - تعالى - كتب عليكم السعى فاسعوا»[3].

---

(١) فى «ك»: إنى.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة. أخرجه البخارى (٣/ ٥٨١ رقم ١٦٤٣) ومسلم (٩/ ٢٩-٣٤ رقم ١٢٧٧).

(٣) رواه أحمد فى مسنده (٦/ ٤٢١، ٤٢٢)، وابن خزيمة فى صحيحه (٤/ ٢٣٢-٢٣٣)، والدارقطنى (٢/ ٢٥٥) والحاكم فى مستدركه (٤/ ٧٠) من حديث حبيبة بنت أبى تجزأة. وقال الهيثمى فى المجمع (٣/ ٢٠٠): وفيه عبد الله بن المؤمل. وثقة ابن حبان وقال: يخطئ، وضعفه غيره.

ورواه الدارقطنى (٢/ ٢٥٥)، والبيهقى (٥/ ٩٧) عن نسوة من بنى عبد الدار أدركن رسول الله ﷺ. ونقل الزيلعى فى نصب الراية (٣/ ٥٦) تصحيح ابن عبد الهادى لإسناد هذا الحديث.

ورواه الطبراني فى الكبير (١١/ ١٨٤، ١١٤٣٧) من حديث ابن عباس وقال الهيثمى فى المجمع (٣/ ٢٥١): وفيه المفضل بن صدقة وهو متروك. ورواه الطبرانى فى الكبير (٢٤/ ٢٠٦-٢٠٧ رقم ٥٢٩)، والبيهقى فى سننه (٥/ ٩٨) من حديث تملك العبدية. وقال الهيثمى: وفيه المثنى بن الصباح، وقد وثقه ابن معين فى رواية، وضعفه جماعة. وللحديث طرق كثيرة انظر نصب الراية (٣/ ٥٥ - ٥٧).

أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا

فأما تلك القراءة «أن لايطوف بهما» فهى قراءة مهجورة فلا تترك بها القراءة المعهودة.

وقيل: «لا» فيه صلة. والمراد: أن يطوف. قال الشاعر:

لا ألوم البيض ألا تسخرا ... لما رأين الشمط القفندرا

أى: أن تسخر.

قوله - تعالى -: ﴿ومن تطوع خيرا﴾ قرأ حمزة: «ومن يَطَّوع» مشدد(١). ومعناه يتطوع والمعروف ﴿ومن تطوع﴾. ثم من قال: إن السعى ليس بركن صرف قوله: ﴿ومن تطوع﴾ إلى السعى.

ومن قال: إنه ركن صرفه إلى أصل الحج والعمرة.

ويحتمل أنه أراد التطوع بسائر الأعمال.

﴿فإن الله شاكر عليم﴾ والشكر من الله: أن يُعطى فوق ما يستحق العبد.

قوله - تعالى -: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب﴾ نزلت الآية فى اليهود.

﴿أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ قال ابن عباس: اللاعنون: هم كل الخلائق سوى الجن والإنس.

وفى الأخبار: «أن الأرض إذا أجدبت يلعن كل شىء عُصَاة بنى آدم؛ حتى الخنافس يقولون: اللهم العن عُصَاة بنى آدم؛ فإنا حرُمنا الرزق بشؤم معاصيهم»(٢).

وقال قتادة: اللاعنون: هم الملائكة والمؤمنون. وقيل: هم الجن والإنس.

---

(١) قرأ حمزة، والكسائى، وخلف «يَطَّوع» بالياء المفتوحة، وتشديد الطاء، وإسكان العين على الاستقبال. وقرأ الباقون بالتاء، وتخفيف الطاء وفتح العين على المضى. انظر النشر (٢/٢٢٣).

(٢) أخرجه الطبرى فى تفسيره (٢/٣٣)، وعبد بن حميد، وأبو نعيم، والبيهقى فى الشعب عن مجاهد قوله. وأخرجه ابن جرير (٢/٣٣)، وعبد بن حميد عن عكرمة قوله، وانظر الدر (١/١٧٠).

التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ

وعن ابن مسعود – رضى الله عنه –: ما تلاعن اثنان ولم يكونا مستحقين إلا رجعت اللعنة على اليهود.

قوله – تعالى –: ﴿إلا الذين تابوا﴾ أى: أسلموا ﴿وأصلحوا﴾ أى: داموا على التوبة ﴿وبينوا﴾ ما كتموا ﴿فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم﴾.

قوله – تعالى –: ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ فإن قال قائل: قد قال: ﴿الناس أجمعين﴾ والملعون من جملة الناس؛ فكيف يلعن نفسه؟ قيل: يلعن نفسه فى القيامة. قال الله – تعالى –: ﴿ويلعن بعضكم بعضا﴾(١).

وقوله: ﴿خالدين فيها﴾ يعنى فى اللعنة، ويحتمل فى النار وإن لم تكن مذكورة فى الآية ﴿لايخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ معلوم التفسير.

قوله – تعالى –: ﴿وإلهكم إله واحد﴾ وسبب نزول [هذه](٢) الآية ما روى أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ انسب لنا ربك، أوصِفْ لنا ربك؛ فنزل قوله – تعالى – ﴿وإلهكم إله واحد﴾ وسورة الإخلاص.

قال الأزهرى: الواحد: الذى لانظير له، يقال: فلان واحدُ العالم أى: لانظير له فى العالم. وحقيقة الواحد: هو المنفرد الذى لانظير له ولاشريك. ﴿لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ روى شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد النهشلية(٣) عن النبى ﷺ أنه قال: «اسم الله الأعظم فى آيتين من سورة البقرة: آية الكرسى، وهذه الآية ﴿وإلهكم إله واحد﴾»(٤).

قوله – تعالى –: ﴿إن فى خلق السموات والأرض﴾ روى أنه لما نزل قوله:

(١) العنكبوت: ٢٥.

(٢) من «ك».

(٣) كذا فى «الأصل»، «ك». والصواب الأشهلية كما جاء فى ترجمتها فى كثير من المواضع، وهى أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن عبد الأشهل الأنصارية. انظر تهذيب الكمال (٣٥/١٢٨).

(٤) رواه أبو داود (٢/٨٠ رقم ١٤٩٦)، والترمذى (٥/٤٨٣ رقم ٣٤٧٨)، وابن ماجة (٢/١٢٦٧ رقم ٣٨٥٥) وأحمد (٦/٤٦١)، وابن أبى شيبة (١٠/٢٧٢ رقم ٩٤١٢، والدارمى (٢/٥٤٢ رقم ٣٣٨٩) والطبرانى فى الكبير (٢٤/١٧٤ – ١٧٥ رقم ٤٤٠، ٤٤١)

يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ

﴿ وإلهكم إله واحد ﴾ قال المشركون لرسول الله ﷺ : ما الدليل على أنه واحد؛ فنزل قوله : ﴿ إن فى خلق السموات والأرض ﴾ والخلق : هو ابتداع الشيء وتقديره، ومنه قول الشاعر :

ولأنت تفرى ما خلقت وبعـ ـض القومِ يخلق ثم لايفرى

أى : يقطع ما قدرت .

والسموات : جمع سماء، وهى سبع سموات، وكذلك الأرضون سبع، على الصحيح .

وإنما ذكر السموات بلفظ الجمع، والأرض بلفظ الواحد؛ لأن كل سماء من جنس آخر. والأرضون كلها من جنس واحد . وهو التراب، والآية فى السموات : سمكها [ وسعته ][1] وارتفاعها من غير عمد ولا عُلاَّقة، وما ترى فيها من الشمس والقمر والنجوم .

والآية فى الأرض : مدها وبسطها وسعتها وما يرى فيها من الأشجار والأنهار والجبال والبحار والجواهر والنبات .

وقوله تعالى : ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ وذلك [ ذهابهما ومجيئهم ][2] ومنه قولهم : فلان يختلف إلى فلان . أى : يذهب ويجيء مرة بعد أخرى . ومثله قوله – تعالى – : ﴿ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة ﴾[3] أى : يخلف أحدهما الآخر، والآية فى الليل والنهار نقصانهما وزيادتهما وأن يذهب ضوء النهار فلا يدرى أين ذهب، ويذهب سواد الليل فلا يدرى أين ذهب .

---

( ١ ) فى « الأصل، وك » : شعلها .

( ٢ ) فى « الأصل، وك » : ذهابها ومجيئها .

( ٣ ) الفرقان : ٦٢ .

**النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ**

وقوله – تعالى –: ﴿والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس﴾ والفلك: اسم للجمع والواحدان فإذا أريد به الجمع يؤنث، وإذا أريد به الواحد يذكر، وقد ورد بالصيغتين فى القرآن، والمراد ها هنا الجمع.

والآية فى الفلك تسخيره [وجريها][1] على وجه الماء. وهى موفرة مثقلة لا ترسب تحت الماء بل تعلو على وجه الماء.

قوله – تعالى –: ﴿وما أنزل الله من السماء من ماء﴾ قيل: إن الله – تعالى – يخلق الماء فى السحاب، فعلى هذا؛ السماء ها هنا بمعنى السحاب. وقيل: بل يخلق الماء فى السماء، ومن السماء ينزل إلى السحاب ثم من السحاب ينزل إلى الأرض.

وقوله – تعالى –: ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ أى: بعد يبسها وجدوبتها. فإن الأرض إذا أجدبت فقد ماتت. وإذا أخصبت فقد حييت.

وقوله – تعالى –: ﴿وبث فيها من كل دابة﴾ أى: فرق فيها. وقوله: ﴿وتصريف الرياح﴾ قيل: تصريفها: أن الريح تارة تكون شمالا وتارة تكون جنوبا، وتارة تكون قبولا، وتارة تكون دبورا، وتارة نكباء، والنكباء: فهى التى لاتعرف لها جهة.

وقيل: تصريفها: أن الريح تارة تكون لينا، وتارة عاصفا، وتارة حارة، وتارة باردة.

قال ابن عباس: أعظم جنود الله الريح والماء.

وقال ابن المبارك: للريح جناحان، والسحاب: غلاف مملوء من الماء.

وفى مصحف حفصة: (وتصريف الأرواح) وهو قريب من الرياح. وسميت الريح ريحا؛ لأنها تريح النفس.

قال شريح القاضى: ما هبت ريح إلا لشفاء سقيم أو لسقم صحيح.

وقوله – تعالى –: ﴿والسحاب المسخر﴾ أى: المذلل ﴿بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾.

(١) ليست فى الأصل، ولا «ك»، وما أثبتناه من تفسير البغوى (١/ ١٣٥) فإن البغوى ينقل عن المصنف.

يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ

قال وهب بن منبه: ثلاثة لايدرى من أين تجىء: الرعد، والبرق، والسحاب.

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا﴾ كأنه عاب المشركين حيث اتخذوا من دونه أندادا بعدما أظهر الدلائل، ونصب البراهين، على الوحدانية ﴿أندادا﴾ أى: أصناما.

قوله - تعالى -: ﴿يحبونهم كحب الله﴾ قال أبو العباس المبرد النحوى: معنى قوله: ﴿يحبونهم كحب الله﴾ أى: يحبون آلهتهم كحب المؤمنين لله.

وقيل معناه: يحبون الأصنام كما يحبون الله؛ لأنهم أشركوها مع الله.

﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ لأنهم لايختارون على الله ما سوى الله. والمشركون إذا اتخذوا صنما ثم رأوا أحسن منه، طرحوا الأول واختاروا الثانى.

وقوله - تعالى -: ﴿ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب﴾ قرئ هذا بقراءتين. «ولو يرى» بالياء. «ولو ترى» بالتاء(١).

والمعنى: اعلم أولاً أن جواب «لو» ها هنا محذوف، ومثله كثير فى القرآن.

قال الله - تعالى -: ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم﴾(٢) وقال: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾(٣) ثم حذف الجواب اختصارا لسبقه إلى الإفهام.

---

(١) قرأ نافع، وابن عامر، ويعقوب بالخطاب: «ولو ترى»، وقرأ الباقون بالغيب «ولو يرى» واختلف على أبى جعفر فروى ابن شبيب عن الفضل من طريقه النهراوانى عنه بالخطاب.

انظر النشر (٢/٢٢٤). وتفسير البغوى (١/١٣٧).

(٢) سبأ: ٣١.

(٣) الرعد: ٣١.

جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا

ثم من قرأ «ولو يرى» بالياء، فتقديره: ولو يرى الذين ظلموا شدة عذاب الله وعقوبته - حين يرون العذاب - لعرفوا أن ما اتخذوا من الأصنام لايضرهم ولاينفعهم.

ومن قرأ «ولو ترى» بالتاء ففى معناه قولان: أحدهما: ولو ترى يامحمد الذين ظلموا فى شدة العذاب - حين رأوا العذاب - لرأيت أمرا عجيبا.

والثانى: معناه: قل يا محمد: أيها الظالم، ولو ترى الذين ظلموا فى شدة العذاب لتعجبت منه ولرأيت أمرا فظيعا.

وقوله - تعالى -: ﴿أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب﴾ قوله: «أن القوة» يقرأ بكسر الألف، وفتحها[1]، فمن قرأ بالكسر، كان على الابتداء بعد تمام الأول، ومن قرأ بالفتح كان تمام الأول، ومعناه: لأن القوة لله.

قوله - تعالى -: ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا﴾ هذا فى القيامة، حين يجمع الله القادة وأتباعهم، يبرأ بعضهم من بعض.

﴿ورأوا العذاب وتقطعت [بهم][2] الأسباب﴾ أى: الوصلات فى الدنيا من [القرابات][3] والصداقات.

قال مجاهد: يعنى الوصل وهو قريب من الأول.

وقيل الأسباب: الأعمال. وقد ترد بمعنى: أبواب السموات والأرض.

---

(١) قرأ يعقوب وأبو جعفر بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها. انظر النشر (٢/ ٢٢٤)، وتفسير البغوى (١/ ١٣٧).

(٢) فى الأصل»: به، وهو سبق قلم.

(٣) فى الأصل، وك»: القربات، وما أثبتناه هو الصواب انظر البغوى (١ / ١٣٧)

الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾

وذلك فى قوله - تعالى - : ﴿لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات﴾(١) أى : أبوابها . قال الشاعر :

**ومن هاب أسباب المنايا [ يتلقها ] (٢)  وإن رام أسباب السماء بسلم**

وأصل السبب : ما يوصل . ومنه يقال : للحبل سبب ، وقوله - تعالى - : ﴿وتقطعت بهم﴾ أى : عنهم ، ومثله قوله - تعالى - : ﴿فاسأل به خبيرا﴾(٣) أى : عنه خبيرا .

وقوله - تعالى - : ﴿وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة﴾ أى : رَجْعَةً إلى الدنيا . ﴿فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾ .

وفيه قولان : أحدهما : أنه يريهم ما ارتكبوا من السيئات ؛ فتلك الحسرات .

والثانى : أنه يريهم ما تركوا من الخيرات والحسنات ؛ ليكون عليهم حسرات .

---

( ١ ) غافر : ٣٦ - ٣٧ .

( ٢ ) فى « الأصل » : يتلقه ، وفى « ك » ثلثه . وكلاهما خطأ انظر لسان العرب ( مادة : سبب ) . وفيه : ( ولو رام ) . بدلا من : ( وإن رام ) .

( ٣ ) الفرقان : ٥٩ .

**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ**

قوله – تعالى – : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض ﴾ حكى عن أبى محمد سفيان بن عيينة الهلالى أنه سئل عن أكل الطين فقال : لاتأكل لأن الله – تعالى – قال : ﴿ كلوا مما فى الأرض ﴾ ولم يقل : كلوا من الأرض ﴿ حلالا طيبا ﴾ فالحلال : كل ما أحله الشرع .

وفى الطيب قولان :

أحدهما : كل ما يستطاب ويستلذ فهو طيب . والمسلم يستطيب الحلال ويَعَافُ الحرام .

وقيل : الطيب : الطاهر .

وقوله – تعالى – : ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها قال مجاهد : هى خطايا الشيطان . وقال أبو مجلز لاحق بن حميد السدوسى : هى النذور فى المعاصى . والقول الثالث : هى كل أعمال الشيطان . واشتقاقها من الخطوة؛ لأن لِلْخُطَا آثاراً تبقى ﴿ إنه لكم عدو مبين ﴾ ظاهر المعنى .

قوله – تعالى – : ﴿ إنما يأمركم بالسوء والفحشاء ﴾ فالسوء : المعصية .

والفحشاء فيه قولان : أحدهما : أنه أراد به الزنا . وقيل : البخل، ومنه قول الشاعر :

**عقيلة مال الفاحش المتشدد**

أى : البخيل المتشدد

﴿ وأن تقولوا على الله ما لاتعلمون ﴾ قوله – تعالى – : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا ﴾ أى : وجدنا .

﴿ عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون ﴾ معناه : كيف يتبعون

آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

آباءهم وآباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون؟! وفى هذا نهى عن تقليد الآباء فى الدين.

قوله – تعالى –: ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لايسمع إلا دعاء ﴾ النعق: صوت الراعى بالغنم قال الأخطل.

**فانعق بضأنك ياجرير فإنما ... مَنَّتْكَ نفسك فى الخلاء ضلالا**

وفى الآية محذوف مقدره. وتقديرها: مثل الكفارومثلك يا محمد فى دعائهم كمثل الراعى ينعق بالغنم وهى لاتسمع إلا صوتا ولاتفهم إلا دعاء.

﴿ ونداء صم بكم عمى فهم لايعقلون ﴾ وقيل: معناه: مثل الكفار فى دعاء الأصنام.

على هذا القول إشكال لأن؛ الأصنام لايسمعون النداء ولا الدعاء. وكيف يكون مثلا أن يسمع ذلك كمثل الذى ينعق بما لايسمع كما بينا؟

قال ابن الأنبارى: أراد بالذى ينعق: الصائح فى الجبل يصيح فيسمع صوتا؛ وهو الصدى. وليس هناك معقول ولا مفهوم. وضرب المثل به للكفار فى قلة الفهم والعقل.

قوله – تعالى –: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ وفى الخبر عن النبى ﷺ أنه قال: «أمر الله المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ﴾[1] وقال للمؤمنين ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ﴾»[2] وقد ذكرنا معنى الطيبات.

---

(١) المؤمنون: ٥١.

(٢) رواه مسلم (٧/ ١٣٩ – ١٤٠ رقم ١٠١٥)، والترمذى (٥/ ٢٠٥ رقم ٢٩٨٩) وقال: حسن غريب، وأحمد (٢/ ٣٢٨).

كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا

﴿ واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ يعنى: أنكم كما تعبدونه على الإلهية، فاشكروه على الإحسان. قوله - تعالى -: ﴿ إنما حرم عليكم الميتة ﴾ «إنما» للنفى والإثبات؛ لأنها مركبة من حرفى النفى والإثبات «فإن» للإثبات «وما» للنفى.

تقول: إن فى الدار زيدا. يفهم منه وجود زيد فى الدار. فإذا قلت: «إنما زيد فى الدار» يفهم منه أنه لا أحد فى الدار إلا زيد.

وأما الميتة: إسم لما خرج روحه من غير ذكاة ﴿ والدم ﴾ معروف وفيهما تخصيص؛ فإن الشرع أباح من الميتة: السمك والجراد، ومن الدماء: الكبد والطحال.

وقوله - تعالى -: ﴿ ولحم الخنزير ﴾ أى: الخنزير بلحمه وشحمه وجميع أجزائه.

﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ أى: ذبح على اسم الأصنام، وأصل الإهلال: رفع الصوت، وكانوا يرفعون أصواتهم على الذبائح، قال ابن أحمر:

**يهل بالفرقد ركبانها كما يهل الراكب المعتمر**

قوله - تعالى -: ﴿ فمن اضطر ﴾ يقرأ بقراءتين: بكسر النون، ورفعها،(١) فمن قرأ بالكسر فهو على الأصل ومن قرأ بالضم فلاتباع ضمة الطاء، والاضطرار إلى أكل الميتة ﴿ غير باغ ولا عاد ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: غير باغ أى: غير خارج على السلطان. ﴿ ولا عاد ﴾ ولا متعد، عاص فى سفره. ففى هذا دليل على أن العاصى فى سفره لايترخص بأكل الميتة.

وقال الحسن وقتادة: ﴿ غير باغ ﴾ أى: غير طالب للميتة على الشبع؛ فيأكله تلذذاً. ﴿ ولا عاد ﴾ ولا مجاوزاً بأكله حد الحاجة.

﴿ فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ﴾ ظاهر المعنى.

(١) قرأ عاصم، وحمزة، ويعقوب، وأبو عمرو بكسر النون، وقرأ الباقون بضمها. انظر النشر (٢/٢٢٥) وتفسير البغوى (١/١٤٠).

عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ

قوله تعالى: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا﴾ قد سبق تفسيره.

وقوله - تعالى -: ﴿أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الذين أكلوا من الرشوة فالمأكلة تصير فى بطونهم نارا.

وقيل: معناه أن ذلك الأكل لما كان يفضى بهم إلى النار؛ فكأنهم يأكلون فى بطونهم نارا.

ومثله قول الشاعر:

**وأم سليم فلا تجزعن ... فللموت ما تلد الوالدة**

وقال آخر:

**لدوا للموت وابنوا للخراب ... فَكُلُّكُمُ يصير إلى الفوات**

ومعلوم أن الولد لايولد للموت، ولكن لما كان يؤول إلى الموت لا محالة أضافه إليه.

وقوله - تعالى -: ﴿ولايكلمهم الله يوم القيامة﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه لايكلمهم[1] ولكن يكلمهم بالتهديد والتوبيخ.

وقيل: فى معناه: أنه غضبان عليهم؛ كما يقال: فلان لايكلم فلانا؛ إذا كان عليه غضبان.

(١) فى تفسير البغوى (١/ ١٤١): أنه لايكلمهم بالرحمة وبما يسرهم، ولكن يكلمهم بالتهديد والتوبيخ. ولعله سقط من الناسخ: «بالرحمة وبما يسرهم» أو ما يشبه ذلك.

اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ

﴿ ولايزكيهم ﴾ أى: لايطهرهم من الذنوب ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾. قوله – تعالى –: ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ﴾ قال ابن عباس: معناه: أى شيء صبرّهم على النار؟!

وقال الكسائى والفراء: معناه: فما أجرأهم على النار، وحكى الكسائى: أن أعرابيين اختصما إلى قاض، فحلف المنكر، فقال له المدعى: ما أصبرك على النار، أى: ما أجرأك على النار.

وقال بعض النحويين: معناه: فما أبقاهم فى النار، يقال: فلان ما أصبره على الحبس، أى: ما أبقاه فى الحبس، «وما» للتعجب ها هنا.

قال الكسائى: التعجب من الله بمعنى: التعجب للخلق ﴿ ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق ﴾ وهم منكرون لذلك.

﴿ وإن الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد ﴾ أى: خلاف طويل.

وإنما سمى الخلاف: شقاقا؛ لأن المخالف يكون فى شق، وصاحبه فى شق آخر.

قوله – تعالى –: ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ﴾ فالبر: كل عمل خير، يفضى بصاحبه إلى الجنة.

وفى معناه قولان: أحدهما: أن الخطاب مع المسلمين، فإنهم كانوا فى الابتداء يأتون بالشهادتين، والصلوات إلى أى جهة شاءوا.

فقال: ليس كل البر أن تُصَلُّوا قبَل المشرق والمغرب ﴿ ولكن البر من آمن بالله ﴾ فأمرهم بسائر الشرائع المذكورة فى الآية.

**وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا**

---

وقيل: هو خطاب لليهود والنصارى إذ كان قِبْلَةُ اليهود المغرب، وقبلة النصارى المشرق.

فقال: ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق أيها النصارى، وقبل المغرب أيها اليهود، ولكن البر من آمن بالله.

وفى تقديره قولان: أحدهما: أن تقديره ولكن ذا البر من آمن بالله، والثانى: أن تقديره: ولكن البَرَّ من آمن بالله ﴿واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه﴾ أى: حب المال.

قال ابن مسعود: هو أن تتصدق وأنت صحيح شحيح، تأمل البقاء، وتخشى الفقر ﴿ذوى القربى﴾ أهل القرابات. ﴿و اليتامى والمساكين﴾ قد ذكرناهم.

﴿وابن السبيل﴾ هو المنقطع. وقيل: أراد به الضيف ﴿والسائلين﴾ معلوم ﴿وفى الرقاب﴾ يعنى: المكاتبين.

﴿وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾ فإن قال قائل: لم قال: «والموفون» على الرفع؟ قيل: فيه قولان. أصحهما: أنه معطوف على خبر لكن، وتقديره: ولكن ذا البر المؤمنون بالله والموفون.

وقيل تقديره: وهم الموفون كأنه عد أصنافا، ثم قال: هم والموفون كذا وكذا.

وفيه قول ثالث: أن الكلام إذا طال فالعرب قد تخالف فى الإعراب.

﴿والصابرين﴾ نصب على المدح. وقيل تقديره: أعنى الصابرين. قال الشاعر:

**لايبعدن قومى الذين هُمُ ... سُمُّ العداة وآفة الجزر**

**النازلين بكل معترك ... والطيبين معاقد الأزر**

وقوله - تعالى -: ﴿فى البأساء﴾ هو الجوع ﴿والضراء﴾ المرض والضرر.

عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ

﴿ وحين البأس ﴾ وحين القتال ﴿ أولئك الذين صدقوا ﴾ وَفُّوا بالعهد، وقيل: صَدَّقَتْ أفعالُهم أقوالَهم ﴿ وأولئك هم المتقون ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ﴾ أى: فرض عليكم. ﴿ الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾ قال ابن عباس: كان هذا فى ابتداء الإسلام، وكان القصاص بين الحر والحر، والعبد مع العبد، والأنثى مع الأنثى، وما كان يقتل الحر بالعبد، ولا العبد بالحر، ولا الذكر بالأنثى، ولا الأنثى بالذكر: ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾[1] فجرى القصاص بين الكل.

وأما على بن أبى طالب – رضى الله عنه – فقد قال فى الحر إذا قتل عبدا: يقتل الحُرُّ به، ثم سيد العبد يغرم لولى القاتل الحر، ما بين ديته وقيمة العبد، وإذا قتل العبد حرا، يقتل العبد به، ثم يغرم سيد العبد القاتل لولى الحر المقتول ما بين ديته وقيمة العبد.

وفيه قول آخر محكى عن ابن عباس: أن الآية نزلت فى قبيلتين، كان لأحديهما على الأخرى فضل. فقالت القبيلة الفاضلة: يقتل الحر منكم بالعبد منا، والذكر منكم بالأنثى منا؛ فنزلت الآية ردًّا لقولهم.

وقوله – تعالى –: ﴿ فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ وأصل العفو: الترك. وأظهر الأقوال فيه: مذهب عامة الصحابة والتابعين؛ أن من عفا عن القصاص فله أخذ الدية، فهذا يَتَّبِع بالمعروف، يعنى: لا يطلب المزيد على قدر حقه. ويُؤَدِّى ذلك بالإحسان، أى: لايماطل فى الأداء.

(١) المائدة: ٤٥.

إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ

قال الأزهرى: فى الآية تقدير: ومعناه: فمن جُعل له من مال أخيه - يعنى القاتل - أو فمن جعل له من بدل دم أخيه - يعنى المقتول - عفو أى: فضل، فليتبع الطالب بالمعروف، وليؤد المطلوب بالإحسان.

وظاهره يقتضى أن أخوَّة الدين لاتنقطع بين القاتل والمقتول، حيث قال: من أخيه، وهو الذى نقول به. وقيل: معناه أخوة النسب.

وقيل: إنما سماه أخا حال إنزال الآية، وحال نزول الآية كان أخا له قبل حصول القتل، لا أنه يبقى أخا له، فإن القتل يقطع الموالاة بين القاتل والمقتول، ويوجب البراءة [منه][1]؛ لفسقه وقتله.

﴿ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾ ومعناه: أن الدية كانت فى شرع النصارى حتما، والقصاص فى شرع اليهود حتما، وخيرت هذه الأمة بين القصاص والدية، [فذلك][2] التخفيف.

﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ أى: قتل بعد العفو. ﴿فله عذاب أليم﴾ أى: القصاص.

قال ابن جريج: إن القصاص حتم عليه، بحيث لايقبل العفو.

قوله - تعالى -: ﴿ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب﴾ ومعنى الحياة: أنه إذا فكر أنه لو قتل قتل، لم يقتل؛ فيبقى والمقتول حيين. ﴿لعلكم تتقون﴾ ترتدعون عن القتل.

قوله - تعالى -: ﴿كتب عليكم﴾ أى: فرض عليكم ﴿إذا حضر أحدكم

(١) فى «الأصل»: عنه.

(٢) فى «الأصل، وك»: فكذلك.

**إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ**

---

الموت ﴾ إذا قارب أوان الموت. ﴿ إن ترك خيرا ﴾ أى: مالا وسعة، والخير فى كل القرآن بمعنى المال.

﴿ الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين ﴾ وذلك أن الوصية كانت واجبة فى ابتداء الإسلام للوالدين والأقربين، ثم صار منسوخا بآية الميراث.

قال النبى ﷺ: «إن الله - تعالى - قد أعطى كل ذى حق حقه، ألا لا وصية لوارث»(١).

وقال الحسن، وطاوس، وقتادة والضحاك،: إن النسخ فى الوالدين دون الأقربين.

ثم اختلفوا فيمن أوصى بثلث ماله للأجنبى، فقال بعضهم: ثلث ما أوصى به للأقربين، وثلثاه للأجنبى.

وقال بعضهم: ثلثاه للأقربين، وثلثه للأجنبى.

وقال بعضهم: كل الثلث للأقربين، ولاشىء للأجنبى، والأصح: أنه صار منسوخا فى حق الكل، وبقى الاستحباب فى حق الأقربين الذين لايرثون.

وقيل: هو فى ابتداء الإسلام كان على الندب، والمندوب فى الوصية: بما دون الثلث.

وحكى عن بعض السلف أنه قال: الخمس معروف، والربع جهد، والثلث غاية تنفذها القضاة.

قوله - تعالى -: ﴿ فمن بدله بعد ما سمعه ﴾ فإن قال قائل: لم قال: ﴿ فمن

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/١١٤ رقم ٢٨٧٠)، والترمذى (٤/٣٧٦-٣٧٧ رقم ٢١٢٠) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه ((٢/٩٠٥ رقم ٢٧١٣) وأحمد فى مسنده (٥/٢٦٧) من حديث أبى أمامة، وللحديث طرق كثيرة عن غير واحد من الصحابة انظر تلخيص الحبير (٣/١٩٧-١٩٩)، ونصب الراية (٤/٤٠٣-٤٠٥).

**سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى**

بدله ﴾ بعلامة التذكير، والمذكور مؤنث، وهى: الوصية؟ قيل معناه: فمن بدل أمر الوصية.

وقيل: معناه: فمن بدل قول الموصى؛ لأن الوصية تصدر عن قول الموصى؛ فرجع إلى المعنى دون اللفظ، وهذا مثل قوله - تعالى -: ﴿ فمن جاءه موعظة ﴾[1] أى: جاءه وعظ، فرجع إلى المعنى، كذا وأراد بالتبديل: تبديل الشهداء والأوصياء والأولياء.

﴿ فإنما إثمه على الذين يبدلونه ﴾ لا على الموصى. ﴿ إن الله سميع ﴾ لما أوصى به الموصى ﴿ عليم ﴾ بتبديل المبدلين.

قوله - تعالى -: ﴿ فمن خاف من موص جنفا أو إثما ﴾ الخوف ها هنا بمعنى العلم.

وهو مثل قوله - تعالى -: ﴿ فإن خفتم ألا يقيما حدود الله ﴾[2] وقوله: ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما ﴾[3]. أى: علمتم، وإنما عبر بالخوف عن العلم؛ لأن الخوف طرفٌ إلى العلم فإنه إنما يخاف الوقوع فى الشىء؛ للعلم به.

وقوله - تعالى -: ﴿ من موص ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد[4]، يقال: أَوْصَى وَوَصَّى بمعنى واحد.

وأما الجنف: الميل، والإثم: الظلم، وأنشد سيبويه:

**تجانف عن جو اليمامة ناقتى ... وما كان قصدى أهلها لسوائكا**

(١) البقرة: ٢٧٥.

(٢) البقرة: ٢٢٩.

(٣) النساء: ١٤٩.

(٤) قرأ يعقوب، وحمزة، والكسائى، وخلف، وأبو بكر، بفتح الواو وتشديد الصاد، وقرأ الباقون بالتخفيف، مع إسكان الواو.

انظر النشر (٢/ ٢٢٦)، وتفسير البغوى (١/ ١٤٨).

**الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ**

وقال السدى: الجنف: الخطأ، والإثم: العمد.

ومعنى الآية على - قول ابن عباس ومجاهد -: أن الرجل إذا حضر وصية الموصى فرآه يميل، إما بتقصير، أو بإسراف، أو وضع الوصية فى غير موضعها؛ فأرشده، ورده إلى الحق فهو مباح له، وهذا معنى قوله - تعالى -: ﴿فأصلح بينهم فلا إثم عليه﴾.

وقيل: هذا فى الوصية للأقربين حين كانت واجبة، فإذا رآه يوصى لغير الأقربين، يرده إلى الوصية للأقربين.

وقيل: أراد به الإمام يصلح بين الموصَى لهم والورثة، فيردهم إلى الحق.

﴿فلا إثم عليه﴾ أى: فلاحرج عليه ﴿إن الله غفور رحيم﴾.

قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ أى: فرض عليكم الصيام.

والصيام فى اللغة: هو الإمساك. يقال: صامت الخيل: إذا أمسكت عن العلف، والسير، ومنه قول الشاعر:

**خيل صيام وخيل غير صائمة ... تحت العجاج وأخرى تعلك اللُّجُمَا**

ومنه يقال: صام النهار: إذا ارتفعت الشمس وصارت فى إبطاء السير كالواقفة؛ وذلك فى وقت الهاجرة، ومنه قول الشاعر:

**فدعها وسل النفس عنك بجسرة ... [ ذمول ][1] إذا صام النهار وهجرا**

ومنه قوله - تعالى -: ﴿إنى نذرت للرحمن صوما﴾[2] أى: صمتا، وفى الصمت إمساك عن الكلام.

---

(١) فى «الأصل، وك»: ذبول بباءٍ بدلا من الميم.

وما أثبتناه من لسان العرب (مادة: صوم). وفيه أيضاً: وتسلٍّ الهم بدلاً من وسَلِّ النفس.

(٢) مريم: ٢٦.

خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ

وأما الصوم فى الشريعة: هو الإمساك عن الأكل، والشرب، والوطء، مع النية، فى وقت مخصوص.

﴿كما كتب على الذين من قبلكم﴾ اختلفوا فى هذا التشبيه،

قال سعيد بن جبير: كان الصوم فى ابتداء الإسلام واجبا من العتمة إلى الليلة القابلة، وكذا كان واجبا على من قبلنا.

وقيل: أراد به: صوم رمضان كتب على المسلمين كما كتب على الذين من قبلهم، يعنى: النصارى.

قال دغفل بن حنظلة: كان الصوم واجبا على النصارى ثلاثين يوما، ثم إن ملكا منهم مرض، فقال: إن شفانى الله أزيد عشرة، فشفاه الله فزاد عشرة، ثم إن ملكا آخر منهم مرض وقال: إن شفانى الله أزيد فيه سبعة أيام، فشفاه الله فزاد سبعة. قالوا: ما هذا النقصان؟! أكملوه بخمسين. وقالوا: نصومه فى وقت لاحر ولا قر. فكانوا يصومون الخمسين فى وقت الربيع، فهذا أصل صوم الخمسين فى حق النصارى.

وقيل: أراد به: صوم ثلاثة أيام من كل شهر: كان واجبا فى ابتداء الإسلام، كما كتب على اليهود.

روى معاذ بن جبل: «أن النبى ﷺ لما هاجر إلى المدينة، رأى اليهود يصومون ثلاثة أيام من كل شهر، ويوم عاشوراء، ففرضه الله عليه كذلك»(١).

وكان يصومها سبعة وثلاثين يوما، من الربيع إلى الربيع، ثم نسخ ذلك بصوم

---

(١) رواه أبو داود (١/ ١٤٠ وقم ٧٠٥) أحمد فى مسنده (٥/ ٢٤٦-٢٤٧)، والطبرى فى تفسيره (٢/ ٧٦)، والطبرانى فى الكبير (٢٠/ ١٣٢ - ١٣٤ رقم ٢٧٠) والحاكم فى مستدركه (٢/ ٢٧٤) وقال: صحيح الإسناد، والبيهقى فى السنن الكبرى (٤/ ٢٠٠) جميعهم من طريق ابن أبى ليلى عن معاذ به مرفوعاً. وقال البيهقى: وهذا مرسل؛ عبد الرحمن لم يدرك معاذ بن جبل.

فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ

رمضان.

وقيل: كان يصوم الثلاث فى أيام البيض.

قال ابن عباس: أول ما نسخ بعد الهجرة: أمر القبلة، والصوم.

قوله – تعالى –: ﴿لعلكم تتقون﴾ يعنى: بالصوم؛ لأن الصوم وصلة إلى التقوى بما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات.

وقيل: معناه لعلكم تحترزون عن الشهوات من الأكل، والشرب، والوطء.

قوله – تعالى –: ﴿أياما معدودات﴾ فإن قلنا بنسخ الآية فهو صوم كان واجبا ثم نسخ.

وإن قلنا: الآية غير منسوخة فالمراد بقوله: ﴿أياما معدودات﴾ أيام رمضان، وفيه إشارة إلى التيسير، حيث لم يوجب صوم كل السنة، وإنما أوجبه أياما معدودات ﴿فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ قال داود وأهل الظاهر: يجب على المسافر صوم عدة من أيام أخر وإن صام رمضان قولا بظاهر الآية.

والجمهور على أن فيه إضمارا وتقديره: فأفطر، فعدة من أيام أخر.

ثم اختلفوا فى حد المرض الذى يبيح الفطر، فقال داود وأهل الظاهر: هو ما ينطلق عليه اسم المرض. وهو قول ابن سيرين من السلف. وقال الحسن: هو المرض الذى تجوز معه الصلاة قاعدا.

ومذهب الشافعى: هو المرض الذى يخاف من الصوم معه الزيادة فى المرض.

فأما حد السفر الذى يبيح الفطر اختلفوا فيه، فقال داود ومن تابعه: هو ما ينطلق عليه اسم السفر. ومذهب الشافعى أنه مسافة القصر، ستة عشر فرسخا.

وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ

ومذهب أبى حنيفة – رضى الله [عنه](١) – أنه مسيرة ثلاثة أيام، كما قال فى القصر.

قوله – تعالى –: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ فى الآية قراءات: فالقراءة المعروفة: هذا.

وقرأ ابن عباس وعائشة – وهو صحيح، عن ابن عباس –: و«على الذين يُطَوَّقُونه» وقرأ مجاهد: «وعلى الذين يَطَّوَّقونه»، وهما من الشواذ.

فأما قراءة: «فدية طعام مسكين» فيه قراءتان معروفتان: أحدهما هذه،

والثانية: قراءة أهل المدينة والشام «فدية طعام مساكين» بالألف(٢).

وأما القراءة المعروفة ﴿وعلى الذين يُطِيقُونَهُ فدية﴾ أراد به: فى ابتداء الإسلام كانوا مخيرين بين الصوم والفدية، فقال: وعلى الذين يطيقونه فدية؛ إن اختاروا الفدية.

وقيل معناه: وعلى الذين يطيقونه فى حال الشباب، وعجزوا عنه فى الكبر الفدية إذا أفطروا، وهو مروى عن علىٍّ، فَعَلَى هذا لا تكون الآية منسوخة.

فأما قراءة ابن عباس معناه: وعلى الذين يُطَوَّقونه فلا يطيقونه الفديةُ.

---

(١) فى «الأصل، وك»: عنهما.

(٢) قرأ نافع، وجعفر، وابن ذكوان: «فديةُ» بغير تنوين، «طعام» بالخفض. وقرأ الباقون بالتنوين، والرفع «فديةٌ طعامُ».

وقرأ نافع، وأبو جعفر وابن عامر «مساكين» بالألف على الجمع، وقرأ الباقون «مسكين» على الإفراد. انظر النشر (٢/٢٢٦).

الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

وأما قراءة مجاهد يَطَّوَّقونه أى: يتطوقونه ويكلفونه فلا يطيقونه.

وأما قوله: ﴿فدية طعام مساكين﴾ إنما أضاف الفدية إلى الطعام لأن الفدية قدر من الطعام، والطعام اسم الجنس، وهو كما يقال خاتم فضة، وثوب خز، ونحو ذلك.

وأما القراءة الثانية ﴿فديةٌ﴾ رفع على الابتداء ﴿طعام مسكين﴾ تفسير له وبدل عنه، وإنما قال: «مسكين؛ لأن لكل يوم يُطعم مسكينا.

ومن قرأ: «مساكين» لأن جملة طعام أيام الصوم تكون لمساكين.

وقوله - تعالى -: ﴿فمن تطوع خيرا فهو خيرا له﴾ قال ابن عباس: أراد به: من أطعم مسكينين وعليه طعام مسكين واحد، أو أطعم صاعا وعليه مد، فهو خير له.

قوله - تعالى -: ﴿وأن تصوموا خير لكم﴾ إن قلنا بقول النسخ، معناه: وأن تصوموا خير لكم من الفدية.

وإن قلنا: الآية غير منسوخة فمعناه: وأن تصوموا فى حال الشباب خير لكم من الفدية فى حال الكبر والعجز.

وقيل: هذا فى حق الشيخ الهرم، أن يتكلف الصوم خير له من أن يفدى. والصحيح: أحد القولين الأولين ﴿إن كنتم تعلمون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿شهر رمضان﴾ سمى الشهر بذلك لشهرته.

وأما رمضان كان فى الجاهلية يسمى شهر رمضان ناتقا.

قال أبو على قطرب: إنما سمى: رمضان؛ لأنهم كانوا يصومون فى الحر الشديد، ومنه الرمضاء: للرمل الذى حمى بالشمس.

وقال مجاهد: هو اسم من أسماء الله، ولذلك لايجمع على رمضانات، ويروى هذا

عن النبى ﷺ غريبا[1]، والصحيح أنه اسم الشهر.

وقد ورد فى فضل الشهر والصوم أخبار، منها ما روى مرفوعا: «سيد الشهور شهر رمضان»[2].

وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الرحمة، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين»[3] أخرجه مسلم فى الصحيح.

وقال ﷺ: «يقول الله - تعالى -: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم؛ فإنه لى وأنا أجزى به..»[4] الخبر.

واختلفوا فى تخصيص الصوم، منهم من قال: لأنه أشد العبادات فى كسر

---

(١) رواه ابن عدى فى الكامل (٧/٥٣) من حديث أبى هريرة والبيهقى من طريقه (٤/٢٠١-٢٠٢)، وابن الجوزى فى الموضوعات من طريق ابن عدى (٢/١٨٧) ولفظه: «لا تقولوا: رمضان، فإن رمضان اسم الله، ولكن قولوا: شهر رمضان». وقال ابن الجوزى: هذا حديث موضوع لا أصل له، وأبو معشر اسمه نجيح، كان يحيى بن سعيد يضعفه ولا يحدث عنه، ويضحك إذا ذكره.

وقال ابن معين: إسناده ليس بشىء، ثم قال - رحمه الله - ولم يذكر أحد فى أسماء الله - تعالى - رمضان، ولا يجوز أن يسمى به إجماعا.

وأخرجه ابن أبى حاتم فى العلل (١/٢٤٩ - ٢٥٠ رقم ٧٣٤) ونقل عن أبيه أنه قال: هذا خطأ، إنما هو قول أبى هريرة.

وقال البيهقى: وقد قيل: عن أبى معشر، عن محمد بن كعب، من قوله، وهو أشبه. وفى الباب عن عائشة، وابن عمر انظر اللآلىء المصنوعة (٢/٩٧ - ٩٨).

(٢) رواه البزار - مختصر زوائد البزار لابن حجر (١/٤٠٢ رقم ٦٦٣) - من حديث أبى سعيد، وقال: يزيد فيه لين، وقد روى عنه جماعة.

(٣) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٤/١٣٥ رقم ١٨٩٩)، ومسلم (٧/٢٦٢ - ٢٦٣ رقم ١٠٧٩) واللفظ له.

(٤) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٤/١٤١ رقم ١٩٠٤)، ومسلم (٨/٤٢ رقم ١١٥١).

الشهوات وقمع النفس. ومنهم من قال: لأنه سر بين العبد وبين ربه.

وقوله - تعالى -: ﴿الذى أنزل فيه القرآن﴾ فإن قال قائل: إنما أنزل القرآن فى ثلاث وعشرين سنة فكيف قال: أنزل فيه القرآن؟ والجواب: قال ابن عباس: أنزل الله - تعالى - القرآن جملة فى رمضان إلى بيت فى السماء الدنيا يسمى بيت العزة، ثم منه أنزل إلى الأرض إرسالا.

روى واثلة بن الأسقع عن النبى ﷺ أنه قال: «أنزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة فى الليلة السادسة من رمضان، وأنزل الإنجيل فى ليلة الثالث عشر من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين من رمضان»(١).

وفيه قول ثالث معناه: أنزل فيه القرآن بفريضة صوم رمضان.

وإنما سمى القرآن قرآنا؛ لأنه يجمع السور والآى، والحروف، وأصل القرآن: الجمع، ومنه قول الشاعر:

**ذراعى عيطل أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا**

وقوله - تعالى -: ﴿هدى للناس﴾ رشاد وبيان. وقوله - تعالى -: ﴿وبينات من الهدى والفرقان﴾ أى: دلالات واضحات من الحلال والحرام، والفرقان: المفرق بين الحق والباطل.

وقوله - تعالى -: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: معناه فمن كان منكم مقيما فى الحضر فأدرك الشهر فليصمه.

ثم اختلفت الصحابة فيمن أدرك الشهر وهو مقيم، ثم سافر على قولين: فقال على - رضى الله عنه -: لايجوز له أن يفطر. وأكثر الصحابة على أنه يجوز الفطر،

---

(١) رواه الإمام أحمد (٤/١٠٧)، والطبرانى، فى الكبير (٢٢/٧٥ رقم ١٨٥)، والطبرى فى تفسيره (٢/٨٤).

وقال الهيثمى فى المجمع (١/٢٠٢): فيه عمران بن داود وثقه ابن حبان وضعفه يحيى، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقية رجاله ثقات. وعزاه للطبرانى فى الأوسط أيضًا.

وهو الأصح؛ لما صح عن رسول الله ﷺ برواية جابر «أنه سافر فى رمضان فلما بلغ كراع الغميم أفطر وأفطر الناس»(١).

وقوله - تعالى -: ﴿فليصمه﴾ أى بقدر ما أدرك وهو مقيم ﴿ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ إنما أعاد هذا ليعلم أن هذا الحكم فى الناسخ مثل ما كان فى المنسوخ.

وقوله - تعالى -: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ يعنى فى إباحة الفطر بالمرض والسفر، وتأخير الصوم إلى أيام أخر.

وحكى عن الشعبى أنه قال: ما خير رجل بين أمرين فاختار أيسرهما؛ إلا كان ذلك أحبهما إلى الله.

وروى محجن بن أدرع: «أن النبى ﷺ أخبر برجل كان يطيل الصلاة فى المسجد طول النهار - فجاء إليه وأخذ بمنكبيه وهزهما هزا، ثم قال: إن الله - تعالى - رضى لهذه الأمة باليسر، وكره لهم العسر، وإن هذا الرجل رضى بالعسر ويكره اليسر».(٢)

ومشهور عن رسول الله ﷺ: «أن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه»(٣).

---

(١) رواه مسلم (٧ / ٣٢٨ رقم ١١١٤)، والترمذى (٣ / ٨٩ رقم ٧١٠)، والنسائى (٤ / ١٧٧ رقم ٢٢٦٣)، والطيالسى (ص ٢٣٢ رقم ١٦٦٧) والحميدى (٢ / ١٣٥ رقم ١٢٨٩)، والشافعى فى مسنده (١ / ٢٦٨ - ٢٦٩ رقم ٧١٢، والطحاوى فى شرح المعانى (٢ / ٦٥)، وأبو يعلى (٣ / ٤٠٠ - ٤٠١ رقم ١٨٨٠)، وابن خزيمة (٣ / ٢٥٥ رقم ٢٠١٩، وابن حبان فى صحيحه (٦ / ٤٢٣ رقم ٢٧٠٦)، والبيهقى فى الكبرى (٤ / ٢٤١، ٢٤٦) وفى الدلائل (٥ / ٢٥).

(٢) رواه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده كما فى بغية الباحث (ص٨٨ رقم ٢٣٣) وقال البوصيرى فى مختصر اتحاف السادة المهرة (٣ / ٦٠ رقم ٢٠٠٢) -: رواه الحارث عن سعيد بن يونس ولم أقف له على ترجمة وباقى رجال الإسناد ثقات.

(٣) رواه البزار - كما فى مختصر الزوائد لابن حجر - (١ / ٤٢٠ رقم ٧٠١)، والطبرانى فى الكبير (١١ / ٣٢٣ رقم ١١٨٨٠) وابن حبان فى صحيحه (٢ / ٦٩ رقم ٣٥٤)، وأبو نعيم فى الحلية (٨ / ٢٧٦) عن ابن عباس مرفوعاً.
وقال الهيثمى فى المجمع (٣ / ١٦٥): رجال البزار ثقات، وكذلك رجال الطبرانى.
وفى الباب عن ابن عمر، وأبى هريرة، وعائشة وابن مسعود وانظر تلخيص الحبير (٢ / ١٠٥-١٠٦).

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي

﴿ ولتكملوا العدة ﴾ أى: عدة الشهر بقضاء ما أفطر فى المرض أو السفر. ﴿ ولتكبروا الله على ما هداكم ﴾ أى: لتعظموه على ما أرشدكم إلى ما رضى به من صوم رمضان. قال ابن عباس: هو تكبيرات ليلة الفطر - وهو مروى عن ابن عمر، وعائشة - رضى الله عنهما -. وقال: حق على كل مسلم أن يكبر ليلة الفطر إلى أن يفرغ من صلاة العيد ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ﴾ فى سبب نزول الآية قولان: أحدهما: أن الصحابة قالوا: يارسول الله أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فنزلت الآية».

والثانى: أنه لما نزل قوله - تعالى -: ﴿ ادعونى أستجب لكم ﴾[1] قالوا: يارسول الله كيف ندعوه ومتى ندعوه؛ فنزلت الآية.

وقول:[2] ﴿ فإنى قريب ﴾ أى: لايخفى علىّ شىء، وهو أقرب إلى العباد من حبل الوريد، وأقرب إلى القلب من ذى القلب.

وقوله - تعالى -: ﴿ أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ فيه حذف. وتقديره: أجيب دعوة الداع إن شئت. وهذا مثل قوله - تعالى -: ﴿ فيكشف ما تدعون إليه إن شاء ﴾[3].

قال ابن الأنبارى: معناه: أسمع دعوة الداعى، تقول العرب: فلان يدعو من لايجيب، أى من لايسمع، وهذا لأنه قد يدعى فلا يجيب، فدل أنه أراد بالإجابة السماع.

وقيل: هو على حقيقة الإجابة، ومعناه: أنه لايخيب من دعاه، فإنه إن دعاه بما قَدَّر

(١) غافر: ٦٥.

(٢) ما بين القوسين ليس في «ك».

(٣) الأنعام: ٤١.

وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا

---

له أعطى، وإن دعاه بما لم يُقَدَّر له يدخر له الثواب فى الآخرة فلا يخيب دعاءه.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من عبد يقول [ يارب ][1] إلا قال الله – تعالى –: لبيك عبدى، فيعجّل ماشاء، ويدخر ما شاء»[2].

قوله – تعالى –: ﴿فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى﴾ قيل: الاستجابة ها هنا بمعنى الإجابة، وعليه يدل قول الشاعر:

**وداع دعايا من يجيبُ إلى النَّدَى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب**

أى: فلم يجبه، وقال أبو عبيدة: معناه فليستدعوا منى الإجابة.

وحقيقته فليطيعوا لى. ﴿وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون﴾ ظاهر المعنى.

قوله – تعالى –: ﴿أحل لكم﴾ أى: أبيح لكم ﴿ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾.

قيل: والرفث: كل ما يريده الرجل من امرأته، وهو بمعنى الوطء ها هنا.

قال ابن عباس: إن الله حَيِىٌّ كريم، يكنى بالحسن عن القبيح.

﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ قيل: معناه: هن سكن لكم، وأنتم سكن لهن. وقيل: لايسكن شيء إلى شيء كسكون أحد الزوجين إلى الآخر.

وقيل: أراد به حقيقة اللباس، فإن أحدهما يصير لباسا لصاحبه عند المباشرة، قال

---

(١) ليست فى «الأصل، ولا ك».

(٢) روى والبخارى فى الأدب المفرد (١٠٩–٢١٠) وأحمد (٢/٤٤٨)، والحاكم (١/٤٩٧) وقال صحيح الإسناد. من حديث أبى هريرة مرفوعًا: «ما من مسلم ينصب وجهه لله – عز وجل – فى مسألة إلا أعطاه إياها، إما أن يعجل له، وإما أن يدخرها له» قال المنذرى فى الترغيب (٢/٤٧٨): رواه أحمد بإسناد لا بأس به.

عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ

الشاعر:

**إذا ما الضجيع ثنى جيده تثنت فصارت عليه لباسا**

قال الربيع بن أنس: معناه: هن فرش لكم، وأنت لحف لهن.

وقوله – تعالى –: ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم﴾ هو افتعال: من الخيانة، أى: تخونون أنفسكم بمخالفة الأمر، وترك الوقاية.

وقوله – تعالى –: ﴿فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن﴾ قيل: أراد به الوطء.

وقيل: مادون الوطء.

وقوله تعالى: ﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ قال أنس بن مالك: أراد به طلب الولد.

وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس: أراد به ابتغاء ليلة القدر.

وقال قتادة – وهو أحسن الأقوال –: يعنى: وابتغوا ما كتب الله لكم من الرخصة بإباحة الأكل، والشرب، والوطء، فى اللوح المحفوظ.

وقرأ ابن عباس فى الشواذ: «واتبعوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا».

وسبب نزول الآية: أن الله – تعالى – كان قد أوجب الصوم فى الابتداء من العتمة إلى الليلة القابلة، وكان كل من نام أو صلى العشاء حرم عليه الأكل، والشرب، والوطء «فروى أن رجلا يقال له: صرمة أبو قيس ظل يعمل جميع النهار، ثم آوى إلى منزله، وطلب من امرأته طعاما، فأبطأت، فغلبه النوم، فلما استيقظ كان قد حرم الطعام والشراب فأصبح وقد جهد جهدا شديدا، حتى خر مغشيا عليه، فأخبر به

الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ

رسول الله ﷺ؛ فنزلت الآية بإباحة الأكل والشرب بالليل(١).

وسبب إباحة المباشرة: ما روى أن عمر – رضى الله عنه – قال: «يارسول الله إنى أصبت امرأتى بعد ما نمت، فقال ﷺ: ما كنت جديرا بهذا ياعمر»(٢).

«وروى أن رجلا من الصحابة أخبر النبى ﷺ بمثل ذلك، فنزلت الآية بإباحة المباشرة» وذلك معنى قوله: ﴿كنتم تختانون أنفسكم﴾.

فأما قوله: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: أراد بالخيط: اللون، ومعناه: بياض النهار من سواد الليل.

وقوله – تعالى –: ﴿من الفجر﴾ سبب نزوله ما روى «أنه لما نزلت هذه الآية أخذ عدى ابن حاتم عقالين، أحدهما أبيض، والآخر أسود، ووضعهما تحت وسادته فلما أصبح كان ينظر إليهما، ويتسحر، حتى يتبين الأبيض من الأسود، فأخبر به النبى ﷺ فقال: إنك لَعَرِيضُ الوساد»(٣).

وفى رواية: «إنك لعريض القفا، إنما هو بياض النهار من سواد الليل»(٤) وهى كلمة لهم يكنون بها عن قلة الفهم؛ فنزل قوله ﴿من الفجر﴾ والفجر فجران:

---

(١) قصة صرمة أبو قيس أخرجها البخارى فى صحيحه (٤/١٥٤ رقم ١٩١٥)، وأبو داود (٢/٢٩٥ رقم ٢٣١٤)،والترمذي (٥ / ١٩٤ رقم ٢٩٦٨) والنسائى (٤/١٤٧ رقم ٢١٦٨). من حديث البراء لن عازب.
ووقع فى اسمه اختلاف كثير، وانظر الإصابة (٢/١٨٢ – ١٨٣).

(٢) رواه الطبرى فى تفسيره (٢/٩٦) وعزاه السيوطى فى الدر (١ / ٢٠٦) لابن أبي حاتم أيضًا من حديث ابن عباس.

(٣) متفق عليه من حديث عدى بن حاتم، رواه البخارى (٤/١٥٧ رقم ١٩١٦)، ومسلم (٧/٣٨٢ رقم ١٠٩٠).

(٤) البخارى (٨/٣١ رقم ٤٥١٠).

وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ

أحدهما فجر مستطيل كذنب السرحان، يطلع صاعدا، ثم يغيب، ويغلب الظلام، وهو الفجر الكاذب.

والثانى بعده: فجر مستطير، ينتشر فى الأفق سريعا، وقيل: تختلط به الحمرة، وهو الفجر الصادق الذى يُحَرِّم الطعام ويبيح الصيام.

وتقول العرب: الفجر( بشير)(١) الشمس.

ويحكى عن حذيفة بن اليمان خلافا غريبا، وهو معروف عنه، أنه قال: أراد بالفجر طلوع الشمس، وكان يبيح التسحر بعد طلوع الفجر.

وقوله - تعالى -: ﴿ ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ وهذا يقتضى حرمة الصوم بالليل لأنه قد جعله حدا.

وقد قال ﷺ: «من صام بالليل فقد تعب ولا أجر له»(٢).

وقال أيضا: «إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، فقد أفطر الصائم»(٣).

قوله - تعالى -: ﴿ ولاتباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد ﴾ والعكوف: هو المقام فى الموضع.

وقيل: نزلت الآية فى قوم من المسلمين كانوا يخرجون من الاعتكاف، ويباشرون الأهل، ثم يعودون إلى المعتكف، فحرم الله - تعالى - المباشرة فى الاعتكاف.

---

(١) فى «ك»: مشى. وهو خطأ.

(٢) رواه الترمذى فى العلل الكبير (١/ ٢٦٤) وقال: سألت البخارى عن هذا الحديث، فقال: أرى هذا الحديث مرسلا، وما أرى عبادة بن نسى سمع من أبى سعد الخير، وعزاه الحافظ فى الإصابة (٢/ ٨٦) لابن أبى داود فى الصحابة، وأبى أحمد الحاكم، والدولابى فى الكنى.

(٣) متفق عليه من حديث عمر، رواه البخارى (٤/ ٢٣١ رقم ١٩٥٤)، ومسلم (٧/ ٢٩٥ رقم ١١٠٠).

**يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ يَسْأَلُونَكَ**

والاعتكاف جائز فى كل المساجد، وحكى عن حذيفة بن اليمان خلافا شاذا فيه فقال: لايجوز الاعتكاف إلا فى ثلاثة مساجد: فى المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجد المدينة وكان يعيب على عبد الله بن مسعود اعتكافه فى غيرها من المساجد، وكان عبد الله ينكره ويرد عليه قوله، والأمة على قول عبد الله.

وقوله - تعالى -: ﴿ تلك حدود الله ﴾ وهى ما منع الله - تعالى - عنها من المعاصى.

وأصل الحد: المنع. ومنه الحداد للبواب؛ لأنه يمنع الناس، ومنه الحديد؛ لأنه يُحْتَمَى به للامتناع من الأعادى.

وقوله - تعالى -: ﴿ فلا تقربوها ﴾ أى: فلا ترتكبوها.

وقوله - تعالى -: ﴿ كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ أى: لايأكل بعضكم أموال بعض بالباطل. والأكل بالباطل نوعان:

أحدهما: أن يكون بطريق الغصب والنهب والظلم.

والآخر: بطريق اللهو واللعب مثل القمار والرهان وأجرة المغنى ونحو ذلك.

وقوله تعالى: ﴿ وتدلوا بها إلى الحكام ﴾ قيل: معناه: ولا تدلوا بها إلى الحكام، أى لاترشوهم وتصانعوهم فيحكموا لكم بالجور.

وقيل: معناه: ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتنسبونه إلى قول الحكام وتتخذون قولهم حجة.

﴿ وأنتم تعلمون ﴾ خلافه، هذا دليل على من يقول بنفوذ القضاء ظاهرا وباطنا.

والإدلاء: الإلقاء يقال: أدلى دلوه، إذا أرسل، ودَلَّى إذا أخرج.

عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾

وقوله – تعالى –: ﴿ لتأكلوا فريقا ﴾ أى: طائفة ﴿ من أموال الناس بالإثم ﴾ بالظلم ﴿ وأنتم تعلمون ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ يسألونك عن الأهلة ﴾ وهى جمع الهلال، وهو اسم للقمر أول ما يبدو دقيقا وإنما سمى هلالا؛ لأن الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته. يقال: استهل الصبى: إذا صاح بالبكاء، والعرب تسمى كل ثلاثة من الشهر باسم خاص، فتقول للثلاثة الأولى: غرر، ثم يليه، نفل، ثم يليه، تسع، ثم يليه، عشر، ثم يليه، بيض، ثم يليه، ربع، والأصح رُوع، ثم يليه، ظلم، ثم يليه، حناوس، ثم يليه، وادى، ثم يليه محاق.

وسبب نزول الآية: ما روى أن معاذ بن جبل، وثعلبة بن عثمة، قالا: «يارسول الله، ما بال حال القمر يبدو دقيقا؛ ثم يمتلئ فورا ثم يعود دقيقا؛ فنزل قوله تعالى: ﴿ يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج ﴾.

يعنى: فعلت ما فعلت؛ ليكون مواقيت لصومكم، وفطركم، وحجكم، وآجال ديونكم».

وقوله – تعالى –: ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ﴾ قال البراء بن عازب: نزلت الآية فينا معشر الأنصار، كان الرجل منا إذا خرج إلى الحج ثم عاد، لايدخل داره من الباب، ولكن ينقب نقبا فى مؤخر البيت، فيدخل منه، ويعد الدخول من باب البيت فجورا؛ فنزل قوله – تعالى –: ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ﴾ أى: بآخرها.

﴿ ولكن البر من اتقى ﴾ أى: برَّ من اتقى ﴿ وأتوا البيوت من أبوابها ﴾ ردهم إلى الأبواب ﴿ واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ﴾ قيل: كان فى ابتداء

**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**

الإسلام، أمر الله – تعالى – نبيه بالكف عن قتال المشركين ثم[1] لما هاجر إلى المدينة أمره بقتالهم إذا قاتلوا؛ بقوله – تعالى –: ﴿وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ [ثم][1] أمره بقتالهم قاتلوا أو لم يقاتلوا.

وقوله – تعالى –: ﴿ولا تعتدوا﴾ أى: لاتبدءوهم بالقتال.

وقيل: ولاتعتدوا أى: لاتقتلوا المعاهدين منهم ﴿إن الله لا يحب المعتدين﴾.

قوله – تعالى –: ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ قيل: نسخت الآية الأولى بهذه كما بينا. وقيل: بل نسخت بقوله – تعالى –: ﴿اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾[2].

وقالوا: نسخت بها قريبا من سبعين آية.

﴿حيث ثقفتموهم﴾ أى: وجدتموهم.

وقوله – تعالى –: ﴿وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾ وذلك أنهم أخرجوا المسلمين من مكة؛ فقال: أخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم من دياركم.

﴿والفتنة أشد من القتل﴾ يعنى بالفتنة: الكفر، وسبب ذلك: أن الله – تعالى – لما حرم بدايتهم بالقتال فى الشهر الحرام، بادر إلى قتالهم بعض المسلمين، فعيرهم الكفار عليه، فقال الله – تعالى – ﴿والفتنة أشد من القتل﴾ يعنى: الشرك الذى أنتم عليه أشد من قتالهم الذى بدءوا به.

وقوله – تعالى –: ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه﴾ كذا كان فى الابتداء حراما بدايتهم بقتالٍ فى البلد الحرام، ثم صار منسوخا.

---

(١) ليست فى «الأصل، ولا ك».

(٢) التوبة: ٥.

**وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ**

قال عطاء: لم يصر هذا منسوخا. والأصح أن الآية منسوخة.

وقوله - تعالى -: ﴿فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين﴾

﴿فإن انتهوا﴾ يعنى فإن أسلموا. ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ لما سلف.

قوله - تعالى -: ﴿وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة﴾ أى: شرك ﴿ويكون الدين لله﴾ أى: قاتلوهم حتى يسلموا لله. وقيل: حتى لاتكون سجدة إلا لله.

وقوله - تعالى -: ﴿فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ أى: فإن أسلموا فلا نهب، ولا أسر، ولا قتل، إلا على الذين بقوا على الشرك.

قوله - تعالى -: ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص﴾ فى معنى الآية قولان:

أحدهما: أنه أراد به فى أمر العمرة، وذلك ما روى «أن النبى ﷺ خرج معتمرا فى ذى القعدة، فلما بلغ الحديبية صده المشركون، فصالحهم على أن يعود فى العام المقبل، ثم عاد معتمرا فى العام المقبل فى ذى القعدة فأقضاه الله - تعالى - ما فات فى العام الأول بما فعله فى العام الثانى»[1] فهذا معنى قوله: ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾ يعنى ذا القعدة. ﴿والحرمات قصاص﴾ يعنى: حرمة الشهر الحرام، وحرمة البلد الحرام، وحرمة الإحرام.

والقول الثانى: أنه وارد فى أمر القتال، ومعناه فإن بدءوكم بالقتال فى الشهر الحرام، وانتهكوا حرمته فقاتلوهم فيه ولا تبالوا بحرمته؛ فإنه قصاص بما فعلوا.

﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ والاعتداء: الظلم،

(١) رواه الطبرى (٢/ ١١٤ - ١١٥) عن ابن عباس بنحوه، وكذا هو عنده عن مجاهد، وقتادة، وعثمان بن مقسم، والسدى، والضحاك، والربيع.

الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ

وإنما سمى الجزاء على الظلم: اعتداء، على ازدواج الكلام، ومثله قوله - تعالى - ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾(١).

وتقول العرب: ظلمنى فلان فظلمته، أى: جازيته على الظلم. ويقال: جهل فلان علىَّ فجهلت عليه، قال الشاعر:

ألا لايَجْهَلَنْ أحد علينا ... فنجهلَ فوق جَهْلِ الجاهلينا

وقال آخر:

ولى فرس للحلم بالحلم مُلْجَمُ ... ولى فرس للجهل بالجهل مُسْرَجُ

﴿واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وأنفقوا فى سبيل الله﴾ أراد به: الإنفاق فى الجهاد، وكل خيرٍ سبيلُ الله، ولكن إذا أطلق سبيل الله، ينصرف إلى الجهاد.

﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ قيل: الباء زائدة، وتقديره: ولا تلقوا أيديكم، وعبر بالأيدى عن الأنفس، كما قال الله - تعالى: ﴿بما كسبت أيديكم﴾(٢) أى: بما كسبتم. وقيل الباء فى موضعها، وفيه حذف، وتقديره: ولاتلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة.

والتهلكة والهلاك: واحد. وقيل: بينهما فرق، فالتهلكة: ما يمكن الاحتراز عنه، والهلاك: ما لايمكن الاحتراز عنه. وفى معناه قولان: أحدهما: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بترك الإنفاق فى سبيل الله.

والثانى: قال النعمان بن بشير، والبراء بن عازب: إن المراد به: أن يذنب الرجل

(١) الشورى: ٤٠.

(٢) الشورى: ٣٠.

**اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ**

ذنبا ثم يقول: لا توبة لى، فيقنط من رحمة الله - ونعوذ بالله.

والأول أصح. لما روى عن أبى أيوب الأنصارى - رضى الله عنه - أنه قال: نزلت الآية فينا معشر الأنصار فإن الله - تعالى - لما نصر دينه، وأعز نبيه، قلنا: لو أقمنا فى أموالنا نصلحها، ونترك الجهاد، فإنها تضيع، فنزلت الآية: ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ » يعنى: بترك الإنفاق فى الجهاد، والإقامة على الأموال، حتى روى: أنه لما نزلت الآية مازال أبو أيوب يغزو حتى كان آخر غزوة غزاها بقسطنطينية، فى بعث بَعَثَهُ معاوية وتوفى ( هنالك )[1] ودفن فى أصل سور قسطنطينية وهم يستسقون[2] به.

وقوله - تعالى -: ﴿ وأحسنوا ﴾ يعنى: بالإنفاق فى سبيل الله.

وقال عكرمة: معناه: أحسنوا الظن بالله.

وقيل معناه: أدوا فرائض الله ﴿ إن الله يحب المحسنين ﴾ قال فضيل بن عياض: من كانت تحت يده دجاجة فلم يحسن إليها لم يكن من المحسنين.

قوله - تعالى -: ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ وقرأ ابن مسعود: فى الشواذ: « وأتموا الحج والعمرة إلى البيت » من غير قوله: « لله » وقرأ الشعبى: وأتموا الحج والعمرةُ لله على الابتداء.

واختلفوا فى معنى الإتمام، قال عمر: إتمامهما أن لاينسخ إذ كان جائزا نسخه فى الابتداء. وقال على، وابن مسعود: إتمامهما أن يحرم بهما من دويرة الأهل. وقيل: إتمامهما أن يكون الزاد والنفقة من الحلال. وقال سفيان الثورى: إتمامهما أن يقصد

---

( ١ ) فى « ك »: هناك

( ٢ ) فى « ك »: يستشفون ، وفى كلاهما نظرة، فالاستسقاء أو الاستشفاء بالأموات وقبورهم غير جائز، كما هو مقرر فى علم العقيدة.

يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ

الحج ولايقصد التجارة.

وقيل: إتمامهما أن لايعصى الله فيه، ويأتى به على وجهه كما أمر.

ثم اعلم أن العمرة واجبة، وهو قول ابن عمر، وعند أبى حنيفة - رضى الله عنه - سنة، وهو مروى عن جابر.

والدليل على وجوبها: ظاهر الآية، وهو قوله: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ وظاهر الأمر للوجوب.

وقد ورد فى فضل الحج والعمرة أخبار، منها: ما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «العمرتان تكفران ما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»(١).

وقوله - تعالى -: ﴿فإن أحصرتم﴾ قال ابن عمر: الإحصار: من العدو. (وقال ابن مسعود: الإحصار: من العدو)(٢) والمرض كلاهما معتبر. وعن ابن عباس فيه روايتان. والإحصار والحصر بمعنى واحد.

وقال الفراء: الإحصار: بالحبس، والحصر: منع العدو. والصحيح أنه من العدو دون المرض لقوله: ﴿فإذا أمنتم﴾ والأمن: من العدو. ومن قال: بالأول قال فيه حذف، وتقديره. فإذا أمنتم من العدو، وبرأتم من المرض.

وقوله - تعالى -: ﴿فما استيسر من الهدى﴾ وأقل ما يجب منه: ذبح الشاة، والأعلى: نحر بدنة، والأوسط: ذبح بقرة، والهَدْىُ والتهدية والهَدِىُّ بمعنى واحد؛ وهو ما يهدى إلى موضع، أو إلى شخص. قال الشاعر:

حلفت برب مكةَ والمُصَلَّى ... وأعناقِ الهَدِىِّ مُقَلَّدَاتِ

وقوله - تعالى -: ﴿ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله﴾ أى: حتى

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٣/٦٩٨ رقم ١٧٧٣)، ومسلم (٩/١٦٧ رقم ١٣٤٩).

(٢) سقط من «ك».

**صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن**

يذبح فى موضعه، وموضع الذبح عندنا: حيث أحصر وتحلل.

وقال أبو حنيفة: موضعه: مكة. وما قلناه أصح؛ لأن رسول الله ﷺ «لما بلغ الحديبية معتمرا، فصده المشركون، تحلل وذبح هنالك»(١).

قوله - تعالى -: ﴿فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه﴾ نزل هذا فى كعب بن عجرة. روى عبد الرحمن بن أبى ليلى. عن كعب بن عجرة أنه قال: «كنت مع رسول الله ﷺ بالحديبية، وكنت أنفخ تحت القدر والقمل يتهافت على وجهى، فقال - عليه السلام -: ماهذا؟! احلق رأسك، واذبح شاة، أو صم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين»(٢). فهذا معنى قوله: ﴿ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ يعنى: ذبح الشاة.

وذلك المذهب عندنا، أن يذبح فى فدية الأذى: شاة، أو يصوم ثلاثة أيام، أو يتصدق بفرق من طعام، والفرق: ثلاثة أصوع، كل صاع أربعة أمداد، فيتصدق على كل مسكين بِمُدَّيْنِ.

وقال عطاء: يطعم عشرة مساكين.

وقوله - تعالى -: ﴿فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج﴾ قال ابن الزبير: يختص التمتع بالْمُحْصَرِ؛ لقوله - تعالى -: ﴿فإذا أمنتم﴾ وعامة الصحابة على أنه جائز على العموم للكافة.

ثم مذهب المدنيين، والكوفيين: أن التمتع هو: أن يحرم بالعمرة فى أشهر الحج،

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رواه البخارى (٤/٦-٧ رقم ١٨٠٧)، ومسلم (٨/٢٩٢-٢٩٥ رقم ١٢٣٠).

(٢) متفق عليه من حديث كعب بن عجرة، رواه البخارى (٤/١٦ رقم ١٨١٤)، ومسلم (٨/١٦٧-١٧٢ رقم ١٢٠١).

**لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**

ثم يقيم بمكة، ويحج من عَامِهِ ذلك.

وسمى تمتعا؛ لأنه يستمتع بالمحظورات إذا تحلل عن العمرة إلى أن يحرم بالحج.

وقال طاوس: لايختص التمتع بأشهر الحج، بل إذا أحرم بالعمرة فى غير أشهر الحج يكون متمتعا.

وقوله – تعالى –: ﴿فما استيسر من الهدى﴾ أى: ذبح الشاة.

وقوله – تعالى –: ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج﴾ وذلك بأن يصوم يومًا قبل التروية، ويوم التروية، ويوم عرفة، ويجوز أن يصوم الثلاثة متفرقة.

وقال ابن عمر، وعائشة: يصوم ثلاثة أيام منى، وذلك أيام التشريق وهو قول الشافعى فى القديم. وقوله – تعالى –: ﴿وسبعة إذا رجعتم﴾ قال ابن عمر: معناه إذا رجعتم إلى الأهل.

والصحيح: أنه إذا أراد الرجوع عن الحج حتى لو صام السبع فى الطريق جاز ويجوز متفرقا أيضا.

وقوله – تعالى –: ﴿تلك عشرة كاملة﴾ فإن قال قائل: لايشكل أن الثلاثةَ والسبعَ عشرة، فلِمَ قال: تلك عشرة كاملة؟ قلنا: قيل: إنما قاله تأكيدا، ومثله قول الفرزدق(١):

**ثلاث واثنتان فهن خمس وسادسة تميل إلى شمام**

وهذا لأن العرب ما كانوا يهتدون إلى الحساب، وكانوا يحتاجون إلى فضل شرح وزيادة بيان.

(١) فى «الأصل، وك» الفارق، وهو تحريف.

﴿١٩٦﴾ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الشهر هكذا وهكذا وهكذا - حبس إبهامه فى الكرّة الثالثة»(١). فأشار إليهم بأصابعه ليعرفوا الحساب.

وقيل: فيه تقديم وتأخير، يعنى: فصيام عشرة أيام: ثلاثة أيام فى الحج، وسبعة إذا رجعتم، وقيل: إنما قال ذلك؛ لقطع توهم الزيادة، فإن قوله: فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم. يوهم وخمسة إذا فعلتم كذا، ونحوذلك، فقال: تلك عشرة ليقطع توهم الزيادة.

وقوله: ﴿كاملة﴾ أى: كاملة فى الأجر. وقيل: كاملة فيما أريد به من إقامة الصوم مقام الهدى.

قوله - تعالى -: ﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام﴾ قال بعض الصحابة: أراد بحاضرى المسجد الحرام: أهل مكة، وكان ابن عباس يقول: يا أهل مكة لاتمتع لكم. إنما التمتع للغرباء.

وقيل: هم جميع أهل الحرم. وقال الشافعى: كل من كان من مكة على ما دون مسافة القصر؛ فهو من حاضرى المسجد الحرام.

﴿واتقوا الله﴾ أى: فى أداء الأوامر ﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ على ارتكاب المناهى.

قوله - تعالى -: ﴿الحج أشهر معلومات﴾ الأكثرون على أن المراد به: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذى الحجة.

وقال مالك: كل ذى الحجة وقوله - تعالى -: ﴿فمن فرض فيهن الحج﴾ قال ابن عمر، وابن مسعود: أراد به: فمن فرض فيهن الحج بالتلبية. أى: فمن لبى.

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر، رواه البخارى (٤/١٤٣ رقم ١٩٠٨) ومسلم (٧/٢٦٤ - ٢٧٠ رقم ١٠٨٠)

فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا

وعندنا يختص إحرام الحج بأشهر الحج، وعند أبى حنيفة يجوز فى جميع السنة. وفيه خلاف الصحابة، وهو مذكور فى الفقه.

وقوله - تعالى -: ﴿ فلا رفث ﴾ قيل: هو الوطء. وقيل: الرفث: الإفحاش فى القول.

وقيل: هو أن يتعرض لأمر الوطء مع النساء، وذلك بأن يقول: إذا حللنا فعلنا كذا.

وعن ابن عباس أنه كان محرما فأنشد:

فَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيسَا ... إِنْ تَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنِكْ لَمِيسَا

فقيل له: أترفث وأنت محرم؟ فقال: الرفث: هو ما روجع به النساء، أى: يذكر فى مشاهدتهن.

وقوله - تعالى -: ﴿ ولافسوق ﴾ الفسوق: السباب. وقيل: هو كل المعاصى.

وقوله: ﴿ ولا جدال فى الحج ﴾ قال ابن مسعود: الجدال: أن يمارى الرجل صاحبه حتى يغضبه.

وقيل: أراد به ما كان عليه أهل الجاهلية من الاختلاف فى أمر الحج، حتى كان بعضهم يقف بعرفة، وبعضهم بالمزدلفة، وكان يحج بعضهم فى ذى القعدة، وبعضهم فى ذى الحجة، وكل يقول: ما فعلته فهو صواب، فقال: ﴿ ولاجدال فى الحج ﴾ أى: استقر أمر الحج على ما فعله الرسول، فلا خلاف فيه من بعد وذلك معنى قوله ﷺ «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته...»(١) الحديث.

وقوله - تعالى -: ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ أى: لايخفى عليه ولايضيعه، بل يثيب عليه.

---

(١) متفق عليه من حديث أبى بكرة، رواه البخارى (٨/ ١٧٥ رقم ٤٦٦٢)، ومسلم (١١/ ٢٤١ - ٢٤٧ رقم ١٦٧٩).

أُولِي الأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ

وقوله – تعالى –: ﴿وتزودوا﴾ نزل فى قوم من اليمن، كانوا يخرجون إلى الحج من غير زاد ويسألون الناس الزاد، وربما يفضى الحال بهم فى السلب والنهب، فقال: ﴿وتزودوا﴾ أى: اخرجوا مع الزاد.

وقوله: ﴿فإن خير الزاد التقوى﴾ يعنى: من السلب والسؤال.

وقال سعيد بن جبير: تزودوا بالكعك والسويق.

وقال غيره: وتزودوا بالخشكنانج، والسويق. وقوله – تعالى –: ﴿واتقون يا أولى الألباب﴾ معلوم المعنى.

قوله – تعالى –: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم﴾ فى سبب نزول هذا قولان: أحدهما: ما روى عن أبى أمامة التيمى أنه قال: قلت لابن عمر: إنا نكرى فى هذا الوجه – يعنى إلى مكة – والناس يقولون: لاحج لكم، فقال ابن عمر: ألست تقف؟ ألست تسعى؟ ألست تطوف؟ قلت: نعم. فقال: لك حج. وروى ابن عمر «أن رسول الله ﷺ سئل عن ذلك، فلم يجب بشىء حتى نزل جبريل بهذه الآية»(١).

والثانى: قال ابن عباس: كان فى الجاهلية أسواق يقال لها عكاظ، والمجنة، وذو المجاز، وكان أهل الجاهلية يتجرون منها، فلما جاء الإسلام كان المسلمون يتحرجون عن التجارة فى تلك الأسواق، فنزل قوله: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم﴾» يعنى: بالتجارة فى تلك الأسواق.

وقرأ ابن الزبير: فضلا من ربكم فى مواسم الحج.

وقوله – تعالى –: ﴿فإذا أفضتم من عرفات﴾ أما عرفات: سمى بذلك؛ لأن

(١) رواه أبو داود (٢/ ١٤٢ رقم ١٧٣٣)، والحاكم فى مستدركه (١/ ٤٩٩)، وأحمد (٢/ ١٥٥) وقال: صحيح الإسناد، والبيهقى فى سننه (٤/ ٣٣٣).

لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

جبريل لما وقف بإبراهيم، كان يقول له: عرفت. فيقول: عرفت.

والإفاضة: الدفع بكثرة، يقال: فاض الإناء. إذا امتلأ حتى سال من الجوانب، ومنه: رجل فياض، إذا كان كثير العطاء، قال الشاعر:

**وأبيض فَيَّاضٌ يداه غمامة ... على معتقيه ما تَغِبُّ نَوَافِلُهْ**

وإنما قال: ﴿فإذا أفضتم﴾ لأنه يدفع بعضهم بعضا بكثرة عند الرجوع.

وقوله – تعالى –: ﴿فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾ والمشعر الحرام، والمزدلفة، والجمع أسامى موضعٍ واحد. فالمشعر: المَعْلَمُ فإن المزدلفة مَعْلَمٌ للمبيت، والوقوف، والدعاء، والجمع بين الصلاتين. وإنما سمى: جمعا؛ لأنه يجمع هنالك بين المغرب والعشاء.

وسمى: مزدلفة، من الازدلاف وهو: الاجتماع، والمزدلفة: موضع بين جبلين، يسمى أحدهما: قزح يقف عليه الإمام، وهو من جملة الحرم ولذلك سمى المشعر الحرام.

وقوله – تعالى –: ﴿واذكروه كما هداكم﴾ أى: واذكروه بالتوحيد والتعظيم، كما ذكركم بالهداية.

وقوله – تعالى –: ﴿وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾ قيل: ما كنتم من قبله إلا من الضالين، وقيل: معناه: قد كنتم من قبله لمن الضالين.

قوله – تعالى –: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ يعنى: من عرفات.

فإن قيل: كيف قال: ثم أفيضوا – بكلمة التعقيب – والإفاضة من عرفات إنما تكون قبل الوصول إلى المزدلفة؟ قلنا: «ثم» بمعنى «الواو» ههنا، يعنى: وأفيضوا. وهو مثل قوله: ﴿ثم كان من الذين آمنوا﴾[1] أى: وكان من الذين آمنوا، فيكون

(١) البلد: ١٧.

رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا

جمعا بين الحكمين.

وقيل: تقديره: ثم أمركم أن تفيضوا من عرفات. وهذا مثل قوله - تعالى -: ﴿ ثم آتينا موسى الكتاب ﴾[1] (وإنما آتاه الكتاب قبل محمد ﷺ لكن معناه ثم أخبركم أنا آتينا موسى الكتاب)[2]، كذلك هاهنا، فيكون عمل «ثم» فى الأمر لا فى الإفاضة.

وأما الكلام فى المعنى: قيل: إن قريشا وأحلافهم كانوا يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل حرم الله فلا نخرج من حرم الله. لأن عرفات كانت فى الحل، وأما سائر العرب كانوا يقفون بعرفات.

فقوله: ﴿ ثم أفيضوا ﴾ خطاب لقريش، يعنى: قفوا بعرفات، وأفيضوا منها ﴿ من حيث أفاض الناس ﴾ يعنى: سائر العرب.

وقيل: أراد بالناس فى قوله: ﴿ من حيث أفاض الناس ﴾ إبراهيم، وقد يسمى الواحد ناسا، كما قال الله - تعالى -: ﴿ الذين قال لهم الناس ﴾[3] وأراد به: نعيم ابن مسعود الأشجعى وحده.

وقرأ الضحاك، وسعيد بن جبير ﴿ من حيث أفاض النَّاسِ ﴾ يعنى: آدم - عليه السلام -.

وقوله - تعالى -: ﴿ واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾[4].

قوله - تعالى -: ﴿ فإذا قضيتم مناسككم ﴾ يعنى: فرغتم من المناسك، وذلك عند رمى جمرة العقبة والاستقرار بمنى، وقوله: ﴿ فاذكروا الله كذكركم آباءكم ﴾

---

(١) الأنعام: ١٥٤.

(٢) سقط من «ك».

(٣) آل عمران: ١٧٣.

(٤) كذا فى الأصل، وك» لم يعلق علي هذه الآية، ولعله وقع سقط هاهنا. ولعله قال: «ظاهر المعنى». والله أعلم.

فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾

يعنى: فاذكروا الله بالتكبير والتمجيد والثناء عليه.

وفى قوله: ﴿كذكركم آباءكم﴾ قولان، قال عطاء: هو أن الصبى أول ما يتكلم فإنما يلهج بذكر أبيه، فيقول: يا أبة. لايذكر غيره، فقال - تعالى -: ﴿فاذكروا الله﴾ لاغيره ﴿كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا﴾.

والثانى: هو أن العرب كانوا إذا فرغوا من الحج، ذكروا مفاخر آبائهم، فقال - تعالى -: فاذكروا الله بدل ذكركم آباءكم أو أشد ذكرا.

وقوله - تعالى -: ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا﴾ أراد به: المشركين، كانوا لايسألون الله فى الحج إلا الدنيا، وكان الرجل منهم يقول: اللهم إن أبى كان عظيم القبة كبير الجفنة، كثير المال، اللهم فاعطنى مثل ما أعطيته.

وقوله - تعالى -: ﴿وما له فى الآخرة من خلاق﴾ من نصيب.

قوله - تعالى -: ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة﴾ أراد به المسلمين، واختلفوا فى معناه.

قال الحسن البصرى: ﴿فى الدنيا حسنة﴾ يعنى: العلم والعبادة، ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ يعنى: الجنة.

وحكى عن على - رضى الله عنه - أنه قال ﴿فى الدنيا حسنة﴾ المرأة الصالحة، ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ الجنة.

وقد ورد فى الحديث مرفوعا: «من أوتى قلبا شاكرا، ولسانا ذاكرا، وامرأة صالحة تعينه على أمر دينه، فقد جُمِعَ له خير الدنيا والآخرة»(١).

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى الشكر (ص ٨١ رقم ٣٤)، والطبرانى فى الكبير (١١/ ١٣٤ رقم ١١٢٧٥)، وفى الأوسط - كما فى مجمع البحرين (٤/ ١٥٥ - ١٥٦ رقم ٢٢٤٩)، وأبو نعيم فى الحلية (٣/ ٦٥)، والبيهقى فى الآداب (ص٢٩٣ رقم ٨٨٩) كلهم من حديث ابن عباس.

وقال الهيثمى فى المجمع (٤/ ٢٧٦) رواه الطبرانى فى الأوسط، والكبير، ورجال الأوسط رجال الصحيح.

واختلف فى إسناده انظر الضعيفة رقم (١٠٦٦).

أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

وقال قتادة: ﴿ فى الدنيا حسنة ﴾ يعنى: العافية، ﴿ وفى الآخرة حسنة ﴾ يعنى: العاقبة.

وروى أنس عن النبى ﷺ: «أنه عاد مريضا قد أنهكه المرض حتى صار كالفرخ، فقال له - عليه السلام -: بم كنت تدعو؟ فقال الرجل: قلت: اللهم إن كنت معاقبى بشىء فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا، فقال ﷺ: سبحان الله، ما تطيق ذلك، هلا قلت: ﴿ ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ﴾»(١). وقيل: كان هذا أكثر دعاء رسول الله ﷺ(٢).

وقوله - تعالى -: ﴿ وقنا عذاب النار ﴾ أى: اصرف عنا عذاب النار.

قوله - تعالى -: ﴿ أولئك لهم نصيب ﴾ أى: الاستجابة ﴿ مما كسبوا ﴾ من الدعاء. ﴿ والله سريع الحساب ﴾ قال أهل التفسير: يحاسب العباد أسرع من لمح البصر.

وقال أهل المعانى: يحاسب العباد من غير تدبير ولا رؤية؛ لكونه عالما بما للعباد، وما على العباد فلا يحتاج إلى رؤية.

وقال ابن الأنبارى: معناه: أن الله آت بالقيامة عن قريب، فإن ما هو كائن لامحالة فهو قريب، ففيه إشارة إلى قرب القيامة.

---

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد (ص٢١٤)، ومسلم فى صحيحه (١٧/٢٢-٢٣ رقم ٢٦٨٨)، والترمذى (٥/٤٨٧ رقم ٣٤٨٧) وقال: حسن صحيح غريب. والنسائى فى الكبرى (٦/٢٦٠-٢٦١ رقم ١٠٨٩٢)، وأحمد (٣/١٠٧، ٢٨٨).

(٢) متفق عليه من حديث أنس بن مالك. رواه البخارى (١١/١٩٥ رقم ٦٣٨٩)، ومسلم (١٧/٢٧ رقم ٢٦٩٠).

فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ

---

قوله – تعالى –: ﴿واذكروا الله فى أيام معدودات﴾ يعنى: أيام منى، وهى أيام التشريق. قال ابن عمر: الأيام المعلومات والأيام المعدودات فى أربعة أيام، فيوم النحر ويومان بعده هى الأيام المعلومات، وثلاثة أيام بعد يوم النحر هى الأيام المعدودات.

والمعدودات الْمُحْصَيات، وإنما قال ذلك لقلتهن، والمراد بالذكر منها ههنا: هو التكبيرات أدبار الصلوات.

وقوله – تعالى –: ﴿فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه﴾ أراد به: النفر فى اليوم الثانى من أيام التشريق، يعنى: فمن تعجل بالنفر بالرجوع من منى فيه فلا حرج عليه.

وقوله – تعالى –: ﴿ومن تأخر فلا إثم عليه﴾ يعنى: من تأخر بالنفر الثانى فى اليوم الثالث من أيام التشريق فلا حرج عليه.

فإن قيل: الآية فيمن رجع على إتمام المناسك، فكيف نفى الحرج عنه وهو بمحل استحقاق الثواب لابمحل الحرج؟ قلنا: قال ابن مسعود: أراد به: من[ نفى ][1] الحرج: أنه رجع مغفورا له. وهذا مؤيد بالحديث، وما روى مرفوعا «من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق؛ رجع كيوم ولدته أمه»[2].

وقال النخعى معناه: فمن تعجل فلا إثم عليه بالتعجيل، ومن تأخر فلا إثم عليه بالتأخير.

وفيه قول ثالث: إنما قال ذلك، لأن بعضهم كان يزيد فى المقام بمنى على الثلاث تبررا وتقربا؛ فقال الله – تعالى –: من رجع فى اليوم الثانى أو الثالث ولم يزد على الثلاث فلا حرج عليه. يعنى: فى ترك الزيادة.

---

(١) ليست فى «الأصل»، ولا فى «ك».

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، فرواه. البخارى (٣/٤٤٦ رقم ١٥١٩، وأطرافه فى: رقم ١٨١٩، ١٨٢٠)، ومسلم (٩/١٦٦ – ١٧٠ رقم ١٣٥٠).

اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ

وفيه قول رابع: حسن، معناه: من ترخص بالتعجيل فلا إثم عليه بالترخص، ومن تأخر فلا إثم عليه بترك الترخص؛ وذلك أن النبى ﷺ كان قد ندب إلى الرخصة بقوله: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه»(١).

قوله - تعالى -: ﴿لمن اتقى﴾ قال أبو العالية: معناه: لمن اتقى الله بعد الحج فى جميع عمره.

وقال الآخرون: معناه: لمن اتقى المعاصى فى الحج، وقوله - تعالى -: ﴿واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون﴾ ظاهر المعنى

قوله - تعالى -: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا﴾ نزلت الآية فى الأخنس بن شريق حليف بنى زهرة فإنه أتى النبى - عليه السلام - وقال: «إنى أحبك، وأريد أن أؤمن بك، والله يعلم ما فى قلبى، وكان يبطن بغضه، وكان - عليه السلام - يعجبه قوله (ويُسَرُّ به)(٢) فنزلت الآية: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا﴾»(٣) يعنى فى العلانية.

وأما قوله: ﴿ويشهد الله على ما فى قلبه﴾ قرأ ابن مسعود: وشهيد(٤) الله على ما فى قلبه. وقرأ ابن محيصن: ويَشْهَدُ الله على ما فى قلبه، وهما فى الشواذ، والمعروف هو الأول.

وقوله - تعالى -: ﴿وهو ألد الخصام﴾ أى: شديد الخصومة قال الشاعر:

**إن تحت (التراب)(٥) حَزْمًا وجودًا ... وخصيما ألَدَّ ذا معْلاق**

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى «ك»: ويسره.

(٣) رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٢/ ١٨١ - ١٨٢) عن السدى مرسلا.

(٤) كذا «بالأصل، وك» وفى تفسير القرطبى، وغيره: (ويستشهد). (٥) فى لسان العرب (مادة: علق): الأحجار.

الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ

---

وقال مجاهد: ﴿ ألد الخصام ﴾ أى: الظالم فى الخصومة.

وقوله – تعالى –: « ﴿ وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ﴾ فيه نزلت الآية أيضا؛ فإنه خرج من عند النبى ﷺ فرأى حمارا فعقره، ومر بزرع فأحرقه( ١ ) فهذا معنى قوله: ﴿ سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ﴾ فالحرث: الزرع. والنسل: ولد كل دابة.

﴿ والله لايحب الفساد ﴾ أى: لايرضى الفساد، وقيل: من الفساد: كسر الدرهم، وشق الثوب من غير مصلحة.

قوله – تعالى –: ﴿ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم ﴾ فيه نزلت الآية أيضا. ﴿ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة ﴾ أى: حمية الجاهلية ﴿ بالإثم ﴾ أى: بالظلم، والعزة: التكبر والمنعة، ومنه قوله تعالى: ﴿ فى عزة وشقاق ﴾(٢).

وعن ابن مسعود قال: كفى بالمرء إثما أن يقال له: اتق الله، فيقول: أنت الذى تأمرنى بالتقوى.

وروى أنه قيل لعمر بن الخطاب – رضى الله عنه –: اتق الله. فوضع خده على الأرض تواضعا لله.

وفى رواية قيل لعمر: اتق الله: فأنكر المغيرة بن شعبة على قائله، فقال عمر: إنكم لاتزالون بخير ما قالوا ذلك لنا، وقبلنا منهم.

وقوله – تعالى –: ﴿ فحسبه جهنم ﴾ أى: كافيه. قال امرؤ القيس.

**وتملأ بيتنا أَقْطًا وَسَمْنًا ... وحسبك من غنى شِبَعٌ وَرِىٌّ**

وقوله – تعالى –: ﴿ ولبئس المهاد ﴾ المهاد: كل فراش يستقر المرء عليه.

---

( ١ ) رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره ( ٢ / ١٨١ ) عن السدى مرسلا.

( ٢ ) ص: ٢.

بالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ

---

قوله – تعالى –: ﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله﴾ قال سعيد ابن المسيب: «نزلت الآية فى صهيب بن سنان، وذلك أنه خرج من مكة مهاجرا إلى المدينة فتبعه المشركون ولحقوه، فنثر كنانته وقال: إنكم تعلمون أنى من أرماكم، والله لاتصلون إلى حتى أرمى جميع ما بكنانتى ثم آخذ سيفى وأضرب حتى أعجز أو ترجعوا عنى وما لكم مالى ثمة، فقالوا: أين مالك؟ فدلهم عليه، فرجعوا عنه، فلما سمع ذلك رسول الله ﷺ قال: ربح البيع يا أبا يحيى»(١). فهذا معنى قوله: و﴿ومن الناس من يشرى نفسه﴾ أى: يبيع.

والشراء: البيع، ومنه قول الشاعر:

**وشريت بُرْدًا ليتنى من بعد برد [صرت هامه]**(٢)

قاله رجل كان له غلام يسمى بردا، وكان مفتونا به، فباعه فندم عليه.

وقوله – تعالى –: ﴿والله رءوف بالعباد﴾ أى: شديد الرحمة بهم.

قوله – تعالى –: ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة﴾ آمنوا: أى صدقوا.

ادخلوا فى السلم كافة، أى: ادخلوا جميعا فى الإسلام.

قال الأزهرى السلم الصلح، والسلم: الانقياد، والمراد به: الإسلام ههنا.

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات (٣/ ١٧١ – ١٧٢) والحارث بن أبى أسامة فى مسنده كما فى بغية الباحث فى زوائد الحارث (ص٢١٤ رقم ٦٧٧) وأبو نعيم فى الحلية (١/ ١٥١ – ١٥٢).

وعزاه السيوطى فى الدر (١/ ٢٤٩) لابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن عساكر. ورواه الحاكم عن أنس (٣/ ٢٩٨) وقال: صحيح على شرط مسلم. وأخرجه الطبرى (٢/ ١٨٦) عن عكرمة بنحوه.

(٢) فى الأصل: ضرب هامة، وفى «ك»: ضرب هامتى.

يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ

وقال الأزهرى أيضا: معناه: ادخلوا فى الإسلام وشرائعه كافة.

وفيه قول ثالث، معناه: ادخلوا فى الإسلام إلى منتهى شرائعه، كافِّين عن المجاوزة إلى غيره، من الكَفِّ.

قال ابن عباس: نزلت الآية فى عبد الله بن سلام، وقوم من اليهود أسلموا، وأرادوا أن يجمعوا بين الإسلام واليهودية، فقالوا: نلزم السبت فلا نأكل لحوم الإبل ونحو ذلك، فنزلت الآية. أى: كونوا للإسلام خاصة، ولا تجمعوا بينه وبين اليهودية، وكفوا عن المجاوزة إلى غيره.

فإن قال قائل: كيف خاطب المؤمنين بالدخول فى الإسلام؟ قيل: يحتمل معناه: الثبات على الإسلام، ويحتمل أنه خطاب للذين آمنوا باللسان ولم يؤمنوا بالقلب.

وقوله - تعالى -: ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أى: آثار الشيطان، وهى جمع الخطوة. والخطوة: ما بين القدمين ﴿إنه لكم عدو مبين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿فإن زللتم﴾ زَلّ يَزِلُّ: إذا ضل وتنحى عن الطريق، وأَزَلّ يُزِلُّ: إذا أسدى نعمة إلى غيره. ومنه قوله ﷺ: «من أزلت إليه نعمة فليشكرها»(١).

وقوله - تعالى -: ﴿من بعد ما جاءتكم البينات﴾ الدلالات الواضحات.

﴿فاعلموا أن الله عزيز حكيم﴾ فالعزيز: الغالب الذى لايفوته شىء، والحكيم: ذو الإصابة فى الأمر.

قوله - تعالى -: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة﴾ والآية من المتشابهات.

(١) رواه القضاعى فى مسند الشهاب (١/٢٣٨ - ٢٣٩ رقم ٣٧٦) من طريق يحيى بن صيفى عن ابن عمر.
وعزاه الحافظ ابن حجر فى الإصابة (٣/٦٧٩) لابن الأعرابى فى معجمه.

شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا

وروى أصحاب الحديث عن أبى بن كعب ومجاهد، أنهما قالا فى تفسير الآية: يأتى الله يوم القيامة فى ظلل من الغمام.

وأما أبو بكر محمد بن الحسن النقاش المفسر فلم يتعرض للآية بشىء، وقال الزجاج: يحتمل معنى الآية من حيث اللغة: يأتى الله بما وعدهم من العقاب.

قال الشيخ الإمام: والأولى فى هذه الآية وما يشاكلها أن نؤمن بظاهره ونكل علمه إلى الله - تعالى - وننزه الله - سبحانه وتعالى - عن سمات الحدث والنقص.

وأما قوله: ﴿فى ظلل﴾ فهو جمع الظلة وهو السترة من الغمام. قد ذكرنا معنى الغمام.

﴿والملائكة﴾ قرئ بالرفع والخفض(١). فإذا قرئ بالرفع، فهو منسوق على الله، وإذا قرئ بالخفض فهو منسوق على الظلل.

﴿وقضى الأمر﴾ أى: فرغ من الأمر، وذلك فصل الله القضاء بالحق بين الخلق.

﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ قال قطرب: إنما خص به يوم القيامة؛ لأن الأمر يخلص يومئذ لله - تعالى -.

قوله - تعالى -: ﴿سل بنى إسرائيل﴾ هو خطاب للرسول ﷺ، يعنى: سل الذين أسلموا منهم ﴿كم آتيناهم من آية بينة﴾ أى: من دلالة واضحة على نبوة موسى.

وقيل: معناه: الدلالات التى آتاهم فى التوراة والإنجيل على نبوة محمد ﷺ

﴿ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب﴾ فى معناه قولان:

أحدهما: ومن يغير عهد الله.

والثانى معناه: ومن ينكر الدلالة التى على نبوة محمد ﷺ.

(١) قرأ أبو جعفر بالخفض، وقرأ الباقون بالرفع. انظر النشر (٢/٢٢٧)، وتفسير البغوى (١/١٨٤).

فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا

---

قوله – تعالى –: ﴿ زين للذين كفروا الحياة الدنيا ﴾. قال الزجاج: المزينُ هو الشيطان. فإن الله – تعالى – قد زهد الخلق فى الدنيا، ورغبهم فى الآخرة. وقال الأكثرون: المزينُ هو الله – تعالى – والتزيين من الله هو أنه خلق الأشياء الحسنة والمناظر المعجبة، فنظر الخلق إليها بأكثر من قدرها، فأعجبهم ذلك، ففتنوا به؛ [ فلذلك ](١) التزيين من الله.

﴿ ويسخرون من الذين آمنوا ﴾ أى: يستهزئون. وهم رؤساء قريش كأبى جهل وغيره، وكانوا يسخرون من الفقراء.

قال ابن عباس: أراد بالذين آمنوا: عبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وخباب بن الأرت، وأبا ذر.

﴿ والذين اتقوا ﴾ أى: هؤلاء الفقراء ﴿ فوقهم يوم القيامة ﴾ لأنهم فى أعلى عليين، وأولئك فى أسفل السافلين.

﴿ والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ فيه أقوال، أحدها: أنه يوسع على من يشاء من غير مضايقه ولا تقتير.

والقول الثانى: معناه: أنه لايأخذ شيئا من شىء مقدر، كالعبد يأخذ ألفًا من ألفين، فيعطى قدرا من مقدَّره فيخاف الإجحاف على ماله؛ ولكن الله يرزق العباد من خزائنه التى لاتنفد.

والثالث: معناه: أنه يقتر على من يشاء، ويبسط على من يشاء، ولايعطى كل أحد على قدر حاجته؛ بل يعطى الكثير من لايحتاج إليه، ولايعطى القليل من يحتاج إليه.

والقول الرابع: قال ابن عباس: هذا فيما سهل الله – تعالى – على رسوله من

---

(١) فى « الأصل »: فلذلك، وفى « ك »: فكذلك.

**اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا**

---

الاستيلاء على بنى قريظة والنضير، على أسهل وجه من غير قتال ولا تعب.

وقوله – تعالى –: ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ فالأمة فى اللغة: على وجوه، منها: الأمة بمعنى الدين، ومنه قول النابغة:

**حلفتُ، فلم أترك لنفسكَ رِيبَةً وهل يَأْثَمَنْ ذو أمة وهو طائع**

أى: ذو دين

والأمة: الفرقة من الناس وغيرهم، فالترك أمة، والروم أمة، والفرس أمة، ومن الطير أمة، قال الله – تعالى –: ﴿ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾(١).

والأمة: الحين، وقال الله تعالى: ﴿وادكر بعد أمة﴾(٢) أى: بعد حين.

والأمة: الإمام الذى يقتدى به ومنه قوله – تعالى –: ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾(٣).

والأمة: الْمُعَلِّمُ للخير. والأمة: القامة، ومنه قول الشاعر:

**وإن معاوية الأكرمين حسان الوجوه طوال الأمم**

والإمة – بكسر الألف –: النعمة، والمراد بالأمة ههنا الدين.

يعنى: كان الناس على دين واحد ثم اختلفوا فى معناه.

وقال بعضهم – وهو قول مجاهد – أراد به آدم، كان أمة واحدة.

وقيل – وهو قول قتادة وسعيد بن جبير –: أراد به عشرين قرنا من بنى آدم ونوح كانوا على الإسلام.

---

(١) الأنعام: ٣٨.

(٢) يوسف: ٤٥.

(٣) النحل: ١٢٠.

**اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ**

---

وقيل: أراد به الناس فى زمن إبراهيم كانوا على ملة الكفر.

﴿ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾.

فإن قال قائل: كيف يحكم الكتاب؟ قيل: قرأ عاصم الجحدرى: « لِيُحْكَمَ بين الناس » بضم الياء[1] – فيكون الحكم من الأنبياء.

وأما قوله: ﴿ ليحكم بين الناس ﴾ يعنى: ليحكم الذين أوتوا الكتاب من النبيين.

وقوله – تعالى –: ﴿ وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه ﴾ يعنى: أوتوا الكتاب. ﴿ من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ﴾ أى: حسدا وظلما. ﴿ فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ﴾ قال زيد بن أسلم: اختلفوا فى القبلة، فهدانا الله إلى الكعبة، واختلفوا فى الأيام، فاختار اليهود السبت، والنصارى يوم الأحد، فهدانا الله للجمعة، واختلفوا فى عيسى، فقال بعضهم: كذاب. وقال بعضهم: ابن الله فهدانا الله لكونه نبيا عبدا، واختلفوا فى إبراهيم، فادَّعاه كل فرقة فهدانا الله لكونه حنيفا مسلما.

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: « نحن الآخرون السابقون، وأول الناس دخولا الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب قبلنا وأوتيناه من بعدهم، الناس لنا تبع، فاليوم لنا، – يعنى: الجمعة – وغدا لليهود، وبعد غد للنصارى »[2].

﴿ والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾.

---

(١) وهى قراءة أبى جعفر المدنى، كما فى تفسير البغوى، (١/ ٨٦)، والنشر فى القراءات العشر لابن الجزرى (٢/ ٢٢٧). وقرأ الباقون بفتح الياء.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٢/ ٤١٢ رقم ٨٧٦)، ومسلم (٦/ ٢٠٤ – ٢٠٦ رقم ٨٥٥).

يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا

قوله – تعالى –: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة﴾.

نزل فى المهاجرين إلى المدينة حين أصابهم حر شديد و فاقة عظيمة فأنزل الله – تعالى – هذه الآية؛ تطييبا لقلوبهم وتسلية لهم.

فقوله: ﴿أم﴾ كلمة للخروج من كلام إلى كلام، ونكون بمعنى: بل يقول الله – تعالى – لهم: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم﴾ يعنى: ولم يصبكم ما أصابهم، وقوله – تعالى –: ﴿مثل الذين خلوا﴾ أى: صفة الذين خلوا. ﴿من قبلكم مستهم البأساء﴾ الفقر ﴿والضراء﴾ المرض ﴿وزلزلوا﴾ حُرِّكُوا بشدة وخُوِّفُوا. ﴿حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله﴾ حتى استبطئوا نصر الله. ﴿ألا إن نصر الله قريب﴾.

قوله – تعالى –: ﴿يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين﴾ قيل: المراد به الوصية التى كانت واجبة فى الابتداء للوالدين والأقربين.

وقيل: أراد به التطوعات والصدقات جعلها للوالدين، والأقربين، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل.

وقيل: إنه كان فى الابتداء، ثم نسخت بآية الزكاة.

﴿وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم﴾ أى: يحصى ويجازى عليه. وهذا مثل قوله – تعالى –: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره﴾[1] أى: يرى الجزاء على العمل؛ لأن العمل فائت فلا يراه.

قوله – تعالى –: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾ أى: شاق عليكم.

واعلم أن أكثر العلماء على أن الجهاد فرض على الكفاية، وقال عطاء – وهو قول الثورى[2] –: أنه تطوع قالوا: والآية فى الذين أمروا بالقتال من الصحابة.

---

(١) الزلزلة: ٧.

(٢) فى «ك»: النووى، وهو خطأ.

مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ

﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا ﴾ يعنى : القتال ﴿ وهو خير لكم ﴾ بإصابة الشهادة، وحيازة الغنيمة، والظفر بالعدو.

﴿ وعسى أن تحبوا شيئا ﴾ يعنى : القعود عن القتال ﴿ وهو شر لكم ﴾ بفوت المنازل. قال ابن عباس : « كنت رديف رسول الله ﷺ فقال لى : يا غلام ارض بما قدر الله لك؛ فعسى أن تكره شيئا وهو خير لك، وعسى أن تحب شيئا وهو شر لك، وتلا هذه الآية : ﴿ والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ »(١).

قوله - تعالى - : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ﴾ أى : عن قتال فيه، خُفِضَ على البدل ﴿ قل قتال فيه كبير ﴾ عظيم. ثم ابتدأ فقال : ﴿ وصد عن سبيل الله ﴾ يعنى : صدكم المسلمين عن الإسلام.

﴿ وكفر به ﴾ أى : كفركم بالله. ﴿ والمسجد الحرام ﴾ أى : وصدكم المسلمين عن المسجد الحرام.

﴿ وإخراج أهله منه ﴾ أى : إخراج أهل مكة من مكة ﴿ أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ﴾ أى : والكفر الذى أنتم عليه، وأفعالكم تلك، أكبر عند الله، وأشد من قتال المسلمين فى الشهر الحرام.

قال عروة بن الزبير : سبب نزول الآية : ما روى « أن النبى ﷺ بعث عبد الله بن جحش مع ثمانية نفر قبل مكة، ودفع إليهم كتابا وقال : لاتَفُكُّوهُ إلا بعد يومين، فلما مضى يومان فكوا الكتاب، فإذا فيه : امضوا إلى بطن النخل - وذلك موضع بين مكة والطائف - وفيه استعلموا أخبار قريش، فنزلوا هنالك، وكانوا يستعلمون خفية، فمر بهم عير من الطائف عليهم عمرو بن الحضرمى مع زبيب وأدم، فرماه واحد من

(١) رواه ابن جرير الطبرى ( ٢ / ٢٠١ ).

وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

المسلمين فقتله وقادوا العير إلى رسول الله ﷺ. وكان ذلك فى آخر يوم من جمادى الآخر، أو فى أول يوم من رجب - وكانوا شاكين فيه - فعيرهم المشركون بقتلهم ابن الحضرمى فى الشهر الحرام فنزلت الآية»(١).

يعنى الذى فعلتم أنتم من تلك الأفعال أكبر وأشد من قتلهم فى الشهر الحرام.

وفى الخبر: «أن النبى ﷺ لم يمد يده إلى شىء من ذلك العير حتى نزلت الآية، ثم قسمها بين المسلمين»(٢).

﴿ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾ يعنى: المشركين كانوا يقاتلون المسلمين ويعيرونهم على الإسلام.

﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

قال - تعالى -: ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدو ا فى سبيل الله﴾ هذه الآية متصلة بالأولى فى المعنى وذلك أن عبد الله بن جحش لما مر بالسرية وقتل ابن الحضرمى من قتله قال: المشركون إن لم يصيبوا وزرا فلا ينالون خيرا فنزلت هذه الآية ﴿إن الذين آمنوا﴾ يعنى عبد الله بن جحش وقومه ﴿والذين وهاجروا﴾ من أوطانهم ﴿وجاهدوا﴾ يعنى بالغزو فى سبيل الله ﴿أولئك يرجون رحمة الله﴾ أخبر أنهم على رجاء الرحمة، وإنما لم يقطعوا لأنفسهم بالرحمة؛ لأن الإنسان يعرف من نفسه أنه لايمكنه تأدية حق الله - تعالى - على وجهه فلا يأمن تقصيرا؛ فلا يمكنه القطع لنفسه بالرحمة.

---

(١) رواه الطبرى فى تفسيره (٢/٢٠٢ - ٢٠٣) مطولاً.

(٢) تقدم فى الذى قبله من رواية عروة.

﴿٢١٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن

ولأنه ربما يرتكب فى المستقبل ما يستوجب به العقاب.

﴿ والله غفور رحيم ﴾ فالغفور: الستور. والرحيم: العطوف.

قوله - تعالى -: ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر ﴾ فالخمر: كل شراب مسكر، وسمى المسكر: خمرا؛ لأنه يخامر العقل ويستره.

وأصل الخمر: الستر والتغطية. ومنه الخِمَار؛ لأنه يستر الرأس. ويقال: دخل فلان فى خمار الناس، أى تَسَتَّرَ فيهم.

وقال عمر - رضى الله عنه -: الخمر ما خامر العقل. وهو حجة أصحاب الحديث على أن كل مسكر خمر، ومنه يقال للسكران من أى شراب: كان مخمورا.

والميسر: القمار. وقال ابن مسعود: دعوا الكعاب فإنه من الميسر.

وقال ابن سيرين: كل ما يلعب به فهو ميسر، حتى الجوز الذى يلعب به الصبيان. ثم اختلفوا فى تحريم الخمر أنه بأى آية كان؟.

قال بعضهم: هو بهذه الآية، فإنه قال: ﴿ قل فيهما إثم كبير ﴾ (ولفظ الإثم)[1] يدل على التحريم؛ فإنه حرم الخمر بلفظ الإثم فى آية أخرى، حيث قال: ﴿ قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم ﴾[2] وأراد به: الخمر. ومنه قول الشاعر:

شربتُ الإثم حتى ضل عقلى ... كذاك الإثم يذهبُ بالْعُقُــولِ

وقال ابن عباس، وأكثر المفسرين: إن تحريم الخمر بالآية التى فى سورة المائدة[3]. بأنه لما نزلت هذه الآية: ﴿ قل فيهما إثم كبير ﴾ فانتهى بعضهم، ولم ينته البعض. فنزل قوله: ﴿ لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾[4] فكانوا يتحينون للشرب حتى كان

---

(١) فى «ك»: والإثم الكبير.

(٢) الأعراف: ٣٣.

(٣) هى قوله - تعالى -: ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ إلى قوله: ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ آية: ٩٠، ٩١.

(٤) النساء: ٤٣.

الرجل يشرب بعد العشاء الأخيرة فيصبح وقد زال السكر، ثم يشرب بعد صلاة الصبح فيصحو إذا جاء وقت الظهر، فنزلت آية المائدة. قال ابن عمر: حرمت الخمر بآية المائدة، وروى هو عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تحريم الخمر بآية المائدة»(١).

وعن عمر – رضى الله عنه – أنه لما سمع قوله: ﴿فهل أنتم منتهون﴾(٢) قال: انتهينا ربنا.

﴿قل فيهما إثم كبير﴾ قرأ حمزة والكسائى: بالثاء وقرأ الباقون كبير(٣) – بالباء، فالكبير: بمعنى العظيم، والكثير: لكثرة عدد الآثام فى الخمر التى ذكرها فى آية المائدة ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة و البغضاء﴾(٢) الآية.

وقوله – تعالى –: ﴿ومنافع للناس﴾ فالإثم فى الخمر: هو ما يقع فيه من العداوة و البغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة.

وأما المنافع فى الخمر: اللذة، والفرح، واستمراء الطعام، والربح فى التجارة فيه.

وقد قال حسان بن ثابت: فى الخمر ونفعها:

**ونشربها فتتركنا أُسُودًا ... ولُبُوثاً ما يُنَهْنِهُنَا اللقاءُ**(٤)

وقال آخر:

**وإذا سَكِرْتُ فإننى ... رَبُّ (الْخَوَرْنَقِ)(٥) والسدير**

**وإذا صحوتُ فإننى ... رَبُّ الشُّوَيْهَةِ والبعير**

وأما المنافع للناس فى الميسر: فهو إصابة المال فيه من غير كد وتعب.

والإثم فيه: أنه إذا ذهب ماله من غير عوض يأخذه يسوءه ذلك؛ فيعادى صاحبه، ويقصده بالسوء.

---

(١) رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٢/٢١١) من حديث ابن عمر.

(٢) المائدة: ٩١.

(٣) انظر النشر (٢/٢٢٧)، وتفسير البغوى (١/١٩٣).

(٤) كذا وقع فى «الأصل وك». وفى تفسير القرطبى (٣/٥٧).

ونشربها فتنزلنا ملوكًا ... وأسدًا ما ينهنهنا اللقاء

(٥) فى «ك»: الخرونق.

نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

وقوله ﴿وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ قيل: معناه: إثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم.

وقيل: إثمهما أكبر من نفعهما قبل التحريم، يعنى: الإثم الذى يصير الخمر سببا فيه من العداوة والعربدة أكبر من نفعهما.

قوله تعالى: ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ قرأ أبو عمرو وحده بضم الواو، وقرأ الباقون بفتحها[1]، فمن قرأ بالضم؛ فتقديره ما الذى ينفقون، فقال: قل الذى ينفقون العفوُ؛ ومن قرأ بالفتح فتقديره: ماذا ينفقون؟ فقال: قل: ينفقون العفو. واختلفوا فى معنى العفو، فقال طاوس: هو اليسير من كل شىء، وقال أكثر المفسرين: العفو: الفضل، وذلك أن الصدقة إنما تجب فى الفاضل عن الحاجة، وكانت الصحابة يكتسبون المال، ويمسكون قدر النفقة، ويتصدقون بالفضل، بحكم هذه الآية، ثم نسخ ذلك بآية الزكاة.

وقيل معناه: [التصدق][2] عن ظهر الغنى؛ وذلك أن يتصدق وهو غنى، ولايتصدق وهو فقير. فيبقى كَلاًّ على الناس. وهو معنى قوله ﷺ: «أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى»[3].

وحقيقة العفو: الميسورُ. ومنه قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾[4] أى: ما تيسر من أخلاق الرجال.

---

(١) انظر النشر (٢/٢٢٧)، وتفسير البغوى (١/١٩٣).

(٢) فى «الأصل وك»: التصديق. وهو تحريف.

(٣) متفق عليه من حديث حكيم بن حزام، رواه البخارى (٣/٣٤٥ رقم ١٤٢٧)، ومسلم (٧/١٧٦ رقم ٩٥٠).

ورواه البخارى من حديث أبى هريرة (٣/٢٤٥ رقم ١٤٢٦) وأطرافه فى ١٤٢٨، و ٥٣٥٥، ٥٣٥٦.

(٤) الأعراف: ١٩٩.

فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾

﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فى الدنيا و الآخرة ﴾ فيه تقديم وتأخير، وتقديره: يبين الله لكم الآيات فى الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة؛ فتعرفون فضل الآخرة على الدنيا. فتزهدون فى الدنيا، وتنفقون رغبة فى الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿ ويسألونك عن اليتامى ﴾ روى أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا ﴾(١) تحرج المسلمون من أموال اليتامى تحرجا شديدا، حتى عزلوا أموال اليتامى عن أموالهم فى المرعى، والطعام، والإدام، فنزلت هذه الآية بإباحة المخالطة فى ذلك كله؛ لكن بشرط أنه إن استخدم غلام اليتيم يخدمه، وإن أكل بطعامه يبدله.

قال مجاهد: يوسع عليه من طعام نفسه لايتوسع من طعام اليتيم.

وقوله تعالى: ﴿ قل إصلاح لهم خير ﴾ قرأ الضحاك: قل إصلاح إليهم خير، والمتلو: قل إصلاح لهم. ومعناه: إصلاح لهم خير لكم فى الدين. ﴿ وإن تخالطوهم فإخوانكم ﴾ هو إباحة المخالطة.

﴿ والله يعلم المفسد ﴾ يعنى: الذى يخالط فيخون ﴿ من المصلح ﴾ وهو الذى يخالط فلا يقصد الخيانة. ﴿ ولو شاء الله لأعنتكم ﴾ قال أبو عبيدة: لأهلككم. وقال ابن عباس: يجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقا لكم. وقيل: معناه: ولو شاء الله لما أباح لكم المخالطة.

وقال أهل اللغة: العنت: المشقة. ومعناه: ﴿ ولو شاء الله لأعنتكم ﴾ أى: كلفكم فى كل شىء ما يشق عليكم.

﴿ إن الله عزيز حكيم ﴾ فالعزيز: هو الذى يأمر بعزة؛ سهل على العباد، أو لم يسهل، والحكيم، قد ذكرنا معناه.

(١) النساء: ١٠.

## وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ

قوله تعالى : ﴿ ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن ﴾ قال ابن عباس: لايجوز نكاح الكوافر أبداً إلى يوم القيامة؛ بحكم هذه الآية.

وسائر المفسرين والعلماء من الصحابة وغيرهم، على أن الآية منسوخة فى الكتابيات، بقوله: ﴿ والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب ﴾(١).

وروى عن عثمان – رضى الله عنه – أنه تزوج بنائلة بنت فرافصة – وكانت نصرانية – فأسلمت تحته. وعن طلحة بن عبيد الله: أنه تزوج بنصرانية. وعن حذيفة: أنه تزوج يهودية. وقال قتادة وسعيد بن جبير: أراد بالمشركات: الوثنيات.

فإن قال قائل: الكفار عندكم مشركون كلهم، فمن لاينكر إلا نبوة محمد كيف يكون مشركا بالله؟

قلنا: قال أبو الحسين بن فارس صاحب المجمل: هو مشرك؛ لأنه يقول: القرآن الذى أتى به محمد ﷺ كلامُ غير الله، وهذا القرآن معجز لايقوله إلا من كان إلها، فإذا هو كلام غير الله. وكأنهم أشركوا بالله غير الله.

وأما سبب نزول الآية: ما روى «أن أبا مرثد الغنوى كانت له حبيبة بمكة، وكان يصيبها بالفجور – وتسمى عناقاً – فلما هاجر إلى المدينة وأسلم، تمنت له حاجة، فرجع إلى مكة، فتزينت له، فقال أبو مرثد: إنى قد دخلت فى دين الإسلام، وإن الزنا حرام فى دينى، فحتى أرجع فاستأذن رسول الله ﷺ أن أتزوج بك، فرجع واستأذن؛ فنزل قوله تعالى: ﴿ ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن ﴾»(٢).

وقوله: ﴿ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ﴾ نزل هذا فى عبد الله بن رواحة. «كانت له أمة سوداء فلطمها، ثم أخبر رسول الله ﷺ بذلك فسأله عنها، فقال:

---

(١) المائدة: ٥.

(٢) ذكره الواحدى فى أسباب النزول (ص ٥٠) عن ابن عباس، وفى (ص ٤٩) عن مقاتل بن حيان.

وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي

إنها مؤمنة، تؤمن بالله والرسول، وتحسن الوضوء، والصلاة. فقال عليه السلام: بئسما صنعت. فقال: والله لأتزوجن بها، فأعتقها، وتزوج بها. وكان قد عُرِضَت عليه حرة مشركة، فعيره المشركون على نكاح الأمة السوداء؛ فنزل قوله: ﴿ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ﴾»[1].

﴿ ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ﴾ فى هذا إجماع، أن المسلمة لاتنكح من المشركين أجمع ﴿ ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم ﴾، فإن قال قائل: كيف قال: ﴿ خير من مشرك ﴾ ولاخيرَ فى المشرك؟ قيل: يجوز مثله كما قال الله - تعالى -: ﴿ ءآلله خير أما يشركون ﴾[2] ويقال: الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل.

﴿ أولئك يدعون إلى النار ﴾ أى: إلى أسباب النار ﴿ والله يدعو إلى الجنة و المغفرة بإذنه ﴾ أى: بقضائه وإرادته ﴿ ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ﴾

قوله تعالى: ﴿ ويسألونك عن المحيض ﴾ أما السائل عنه: هو أسيد بن حضير، وعباد بن بشير. وأما المحيض: مفعل من الحيض. والمراد به: نفس الحيض.

قال الأزهرى: يقال: حاضت المرأة حيضا، ومحيضا: إذا نزل بها الدم من الرحم فى وقت معلوم.

ويقال: استحيضت المرأة: إذا نزل بها الدم من عرق لا من الرحم لا فى وقت معلوم.

---

(١) رواه الطبرى فى تفسيره (٢/٢٢٣) عن السدى مرسلاً.

(٢) النمل: ٥٩.

**الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾**

﴿ قل هو أذى ﴾ أى: قذر. وقال الكلبى: الأذى: هو الدم.

﴿ فاعتزلوا النساء فى المحيض ﴾ وسبب نزول الآية ما روى عن أنس: أن اليهود كانوا يعتزلون المرأة فى حالة الحيض أشد الاعتزال، وكانوا لايؤاكلونها، ولايشاربونها، ويخرجونها من البيت، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فنزلت الآية.

ولم يُرِدْ بهذا الاعتزال ما كانوا يفعلونه، وإنما أراد به الاعتزال بترك الوطء حتى تحل المضاجعة، وسائر أنواع المباشرة.

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «اصنعوا كل شىء إلا الوطء»(١).

وفيه قول آخر: أنه يفعل كل شىء ويجتنب ما تحت الإزار، وذلك ما بين السرة والركبة وهو قول الشافعى.

﴿ ولا تقربوهن ﴾ أراد به: القربان بالوطء؛ فإن قُربانها بغير الوطء مباح. ﴿ حتى يطهرن ﴾ يقرأ مخففا. والمراد به حتى يطهرن من المحيض. وقرأ أهل الكوفة غير حفص «حتى يَطَّهَّرن» مشدد(٢).

وقرأ أبى بن كعب، وابن مسعود - رضى الله عنهما -: «حتى يتطهرن» فى الشواذ.

وقوله: ﴿ يطهرن ﴾ بمعنى: يتطهرن؛ إلا أنه أدغم التاء فى الطاء. ومعناه: حتى

(١) رواه مسلم فى صحيحه (٣/٢٧٢ رقم ٣٠٢)، وأبو داود (١/٦٧ - ٦٨ رقم ٢٥٨)، والترمذى (٥/١٩٩ رقم ٢٩٧٧) وقال: حسن صحيح، والنسائى (١/١٥٢ رقم ٢٨٨)، وابن ماجه (١/٢١١ رقم ٦٤٤)، وأحمد (٣/١٣١، ٢٤٦) والطيالسى فى مسنده ص٢٧٣ رقم ٢٠٥٢، وابن حبان (٤/١٩٥-١٩٦ رقم ١٣٦٢)، والبيهقى (١/٣١٣).

(٢) قرأ حمزة والكسائى، وخلف، وأبو بكر بتشديد الطاء والهاء، وقرأ الباقون بتخفيفها. انظر النشر (٢/٢٢٧)، وتفسير البغوى (١/١٩٧).

يغتسلن.

قال أبو جعفر النحاس: قوله: ﴿يَطْهُرْنَ﴾ على التخفيف قد يكون بمعنى الاغتسال، من فعل الطهارة.

والكل حجة الشافعي في وجوب الاغتسال (لإباحة الوطء فإنه)[1] مَدَّ التحريم إليه.

وقوله: ﴿فإذا تطهرن﴾ أي: اغتسلن ﴿فأتوهن من حيث أمركم الله﴾ فيه قولان: أحدهما معناه: من حيث أمركم الله بالاجتناب في حال الحيض.

و الثاني – وهو قول محمد بن الحنفية – معناه: من حيث أباح الله، وذلك بطريق النكاح.

﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ قيل: معناه: التوابين من الذنوب. والمتطهرين من العيوب.

والقول الثاني: معنى التوابين الرَّجَّاعين إلى الله بالتوبة والاستغفار، ومعنى المتطهرين: المتبرئين من حول أنفسهم وقوتهم.

وفيه قول ثالث: أن التوابين: من التوبة، والمتطهرين يعني: بالاستنجاء بالماء.

وهذا مثل قوله تعالى: ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين﴾[2] يعني: المتطهرين بالاستنجاء بالماء بعد الحجر.

قوله تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ أي: موضع حرث لكم ومزدرع، وقد قال الشاعر:

**إذا أكل الجرادُ حروثَ قومٍ ... فحرثي هَمُّهُ أكلُ الجرادِ**

(١) في «ك»: في وجوب الوط؛ لأنه.

(٢) التوبة: ١٠٨.

سمى العيال: حرثًا، أنشده المبرد.

﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ وسبب نزول هذا: ما روى جابر: أن اليهود قالوا من أتى امرأته مولية جاء ولده أحول؛ فنزلت الآية.

﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ أى: (مقبلة ومدبرة)(١) وقائمة وقاعدة، وكيف شئتم.

وقيل: معناه: متى شئتم.

قال ابن عباس: معنى قوله: ﴿أنى شئتم﴾ أى: إن شئتم فاعزلوا، وإن شئتم فلا تعزلوا.

قال الشيخ: واعلم أن الآية لاتدل على إباحة إتيان النساء فى غير المأتى؛ لأنه قال: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم﴾ فخص الإتيان بموضع الحرث، وهو القبل.

وروى نافع، عن ابن عمر. أنه كان يبيح إتيان المرأة فى الدبر، وأنكروا هذا على نافع. وقالوا: كذب العبد على سيده - عبد الله بن عمر - فإنه ما كان يبيحه قط، وحكى ذلك عن مالك أيضا، وأنكره أصحابه.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله لايستحى من الحق، لا تأتوا النساء فى أدبارهن»(٢).

وعن ابن عباس أنه قال: هى اللوطية الكبرى. وقال فى العزل: هى الموؤدة الصغرى.

وقوله تعالى: ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ قال ابن عباس: هو التسمية على الوطء. وقيل: هو طلب الولد. وقيل: سائر أفعال الخير.

---

(١) فى «ك»: مقبل ومدبر.

(٢) رواه والنسائي فى الكبرى (٥/ ٣١٨ رقم ٨٩٨٩)، وابن ماجة (١/ ٦١٩ رقم ١٩٢٤)، وأحمد فى مسنده (٥/ ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥) وابن حبان فى صحيحه (٩/ ٥١٢ - ٥١٥ رقم ٤١٩٨ و ٤٢٠٠) وغيرهم من حديث خزيمة بن ثابت. وفى الباب أحاديث عن غير واحد من الصحابة، وراجع تلخيص الحبير (٣/ ٣٦٧-٣٨٠).

**أَنَّكُم مُّلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي**

﴿ واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه ﴾ صائرون إليه ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ يامحمد .

قوله – تعالى – : ﴿ ولاتجعلوا الله عرضة لأيمانكم ﴾ نزلت الآية فى عبد الله بن رواحة، كان له ختن على ابنته، فحلف أن لايبره فإذا قيل له : ألا تصل ختنك؟ فقال : حلفت – وكان من أقربائه – فنزلت الآية . ﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا ﴾

والعرضة : كل ما يعترض فيمنع من الشيء . ومعناه : ولا تجعلوا الحلف بالله سببا يمنعكم عن البر والتقوى .

وقيل : معناه : لاتستكثروا من الأيمان؛ فإن من كثر يمينه فقد جعل اسم الله عرضة للهتك .

وفيه قول آخر : معناه : ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن لاتبروا، « ولا » محذوفة، وهذا كما قال الشاعر :

**فقالت يمينُ اللهِ أبرحُ قاعـداً ... وإنْ قُطِعَتْ رأسى لديكِ وأوصالى**

أى : لا أبرح قاعدا .

﴿ وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم ﴾ قوله تعالى : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ﴾ اللغو : كل مطرح ( من ) الكلام وفى معناه ها هنا خمسة أقوال :

أحدها : وهو قول عائشة – رضى الله عنها – قالت : يمين اللغو : قول الرجل : لا والله، وبلى والله، وإى والله . وهذا قول الشافعى .

والثانى : وهو قول أبى هريرة، وابن عباس : وهو أن يحلف الرجل على شيء أنه فعله ولم يفعله، أو على عكسه وهذا قول أبى حنيفة . وقال الشعبى : هو اليمين فى

أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا

حال الغضب. وقال سعيد بن جبير: هو الحلف بتحريم الحلال.

وقال زيد بن أسلم: هو أن يقول الرجل: أعمى الله بصرى، أو أتلف مالى، إن لم أفعل كذا؛ فهذا يمين اللغو، والله لايؤاخذ به، ولو يؤاخذ به الناس لعجل عقوبتهم.

والأصح: ماقالت عائشة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ وكسب القلب: هو القصد بالقلب إلى اليمين؛ فدل أن يمين اللغو: مالم يقصد بالقلب.

﴿والله غفور﴾ أى: ستور ﴿حليم﴾ وهو الذى لايعجل بالعقوبة.

قوله تعالى: ﴿للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر﴾ الأَلِيَّة: اليمين. وكذلك الإيلاء قال الشاعر:

**قليل الألايا حافظٌ ليمينه وإن بدرت منه الأَلِيَّةُ برت**

فقوله: ﴿للذين يؤلون﴾ أى: يحلفون. قال ابن عباس: إنما ينعقد الإيلاء إذا حلف على ترك الوطء أبدا ومطلقا. ومذهب أبى حنيفة أنه ينعقد الإيلاء بالحلف على أربعة أشهر. ومذهب الشافعى أنه إنما يصير مُولِيًا بالحلف على أربعة أشهر، وهى ﴿تربص أربعة أشهر﴾ أى: انتظار أربعة أشهر.

﴿فإن فاءوا﴾ أى: فإن رجعوا عن اليمين بالوطء فى حق من يقدر على الوطء، أو بالقول فى حق من لايقدر على الوطء ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ وقرأ أبى بن كعب: «فإن فاءوا فيهن» يعنى فى المدة، وهذا يوافق قول أبى حنيفة.

﴿وإن عزموا الطلاق﴾ يعنى: بالإيقاع ﴿فإن الله سميع عليم﴾ لقول الزوج، عليم بما يضمره.

ومذهب الشافعى أنه تجوز الفيئة بعد المدة بوقف حتى يفىء أى: يطلق، وهو

الطَّلاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا

مروى عن عمر، وعلى، و أبى الدرداء – رضى الله عنهم –.

وذهب أبو حنيفة إلى أنها تطلق طلقة بائنة بانقضاء المدة. وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما – وابن مسعود، وعلى، فى رواية ضعيفة، والمسألة فى الخلافيات.

قوله تعالى: ﴿والمطلقات﴾ يعنى المخليات يقال: أطلق الأسير وأطلق البعير إذا خلاّه.

﴿يتربصن بأنفسهن﴾ ينتظرن ﴿ثلاثة قروء﴾ والقُرْء: الطهر، وهو قول أهل الحجاز.

قال الزهرى: لم يقل أحد من أهل الحجاز: أن الأقراء الحيض؛ إلا سعيد بن المسيب.

ومذهب أبى حنيفة. أن الأقراء الحِيَض وهو مروى عن عمر، وعلى، وابن مسعود، وهو قول أهل الكوفة.

وقال أبو عمرو بن العلاء: القرء اسم ينطلق على الحيض، وينطلق على الطهر، ويذكر بمعناهما أيضا.

وأصل القرء: الجمع. وقيل: هو مأخوذ من القرء بمعنى الوقت، يقال: أقرأت الرياح إذا هبت لوقتها.

وقَرَأَتْ النجوم إذا أفلت. ويكون بمعنى طلعت لوقت معلوم.

وأنشدوا فى الأقراء بمعنى الأطهار قول الأعشى:

**أفى كل عام أنت جاشم غزوة ... تشد لأقصاها عزيم عزائكا**

**مُوَرِّثَةً مالا وفى الحى رِفْعَةً ... لِمَا ضاع فيها من قُروء نِسائِكا**

يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ

وإنما يضيع فى السفر زمان الأطهار لا زمان الحيض؛ لأنها مضيعة.

وقوله تعالى: ﴿ولايحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن﴾ يعنى: من الحيض، والحبل.

قال قتادة: علم الله تعالى أن يكون فى النساء لوائم، تقول المرأة: حضت، ولم تحض، وطهرت[1] ولم تطهر، وحبلت ولم تحبل.

قوله تعالى: ﴿إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿إن كن يؤمن بالله﴾ والحكم فى الكافرة مثل الحكم فى المؤمنة؟ قيل: معناه: أن هذا من فعل المؤمنات، كما يقال: إن كنت مؤمنا فأدّ حقى. يعنى: من فعل المؤمنين أداء الحقوق. وقوله ﴿وبعولتهن﴾ أى: أزواجهن ﴿أحق بردهن﴾ أى: برجعتهن ﴿فى ذلك﴾ يعنى: فى تلك المدة. ﴿إن أرادوا إصلاحا﴾ معناه: إن أرادوا بالرجعة الصلاح، وحسن العشرة، ولم يكن قصده الإضرار، كما كانوا يفعلون فى الجاهلية. كان الرجل منهم يطلق امرأته، ثم يراجعها إذا أشرفت العدة على الانقضاء، ثم يطلقها، ثم يراجعها كذلك، يقصد به تطويل العدة عليها.

﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف﴾ قال ابن عباس: فى معناه: إنى أحب أن أتزين لامرأتى كما تحب امرأتى أن تتزين لى؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف﴾ وفيه قول آخر، معناه: على الرجل أن يتقى لحقها كما على المرأة أن تتقى لحقه يعنى: من الحرام.

﴿وللرجال عليهن درجة﴾ قال مجاهد: بالجهاد والميراث. وقيل: يعنى: فى الطلاق؛ لأن الطلاق بيد الرجال. وقال حميد: باللحية. ﴿والله عزيز﴾ أى: منيع

(١) فى «ك»: وتطهرت.

**بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا**

﴿ حكيم ﴾.

قوله تعالى : ﴿ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾. قال عروة بن الزبير: كان الناس فى الابتداء يطلقون من غير حصر ولا عدد، فيطلق الرجل امرأته فلما قاربت انقضاء العدة راجعها، ثم طلقها كذلك، ثم راجعها، وقال: لا أُخليك تتزوجين أبد،ا فنزلت الآية ﴿ الطلاق مرتان ﴾ » ويعنى: الطلاق الذى يملك عقيبه الرجعة مرتان.

﴿ فإمساك بمعروف ﴾ هو الرجعة، وقيل: هو الإمساك بعد الرجعة للصحبة. وقوله: ﴿ بمعروف ﴾ هو كل ما يعرف فى الشرع من أداء حقوق النكاح، وحسن الصحبة. ﴿ أو تسريح بإحسان ﴾ هو أن يتركها بعد الطلاق حتى تنقضى عدتها.

« وسئل رسول الله ﷺ أين الطلقة الثالثة؟ فقال: أو تسريح بإحسان »(١).

ولفظ السراح والفراق صريحان مثل الطلاق عند الشافعى.

وقال أبو حنيفة: الصريح لفظ واحد وهو الطلاق.

وقوله تعالى : ﴿ ولايحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا ﴾ يعنى: غصبا وظلما، وذلك مثل قوله فى سورة النساء: ﴿ وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا ﴾(٢).

وقوله تعالى : ﴿ إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ﴾ يعنى: إنما يحل الأخذ عند

---

(١) رواه الدارقطنى ( ٤ /٣، ٤٠ )، والبيهقى فى سننه ( ٧ / ٣٤٠ ) من حديث أنس وأنكراه، وصححاه من حديث أبى رزين مرسلا. وقال البيهقى: وروى عن قتادة عن أنس وليس بشىء.

ورواية أبى رزين أخرجها أحمد، وأبو داود فى المراسيل، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد وابن جرير الطبرى، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، والبيهقى وغيرهم. وانظر التعليق المغنى على الدارقطنى.

(٢) النساء: ٢٠.

إرادة الخلع، ووجود الخوف.

وقوله: ﴿إلا أن يخافا﴾ يقرأ بفتح الياء وهو المعروف. وقرأ الأعمش وحمزة: «إلا أن يُخافا» بضم الياء[1]. وقرأ ابن مسعود: «إلا أن تخافوا».

أما الأول: راجع إلى الزوجين. وأما قراءة ابن مسعود: فهى خطابٌ للولاة والقضاة.

وأما قراءة حمزة: قيل: إنه قصد اعتبار معنى قراءة ابن مسعود، ومعناه: إلا أن يخاف الزوجان؛ [فيعلم][2] الولاة والقضاة. وقالوا: إنه لم يصب.

واختلفوا فى معنى هذا الخوف، قال أبو عبيدة إمام اللغة: الخوف بمعنى العلم.

قال أبو إسحاق الزجاج: هو على حقيقة الخوف، معناه إلا أن يغلب على الظن خوف أن لايقيما حدود الله.

وفيه قول ثالث: أن الخوف بمعنى الظن، قال الشاعر:

**أتانى كلام من نصيب (يقوله)[3]  وما خفت ياسلاَّم أنك [عائبى][4]**

أى: ما ظننت.

وقوله تعالى: ﴿فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ أى: فيما اختلعت به. واختلفوا فى الخلع،

قال طاوس، والربيع بن أنس: يختص جواز الخلع بحال خوف النشوز؛ تمسكا بظاهر الآية.

وقال الزهرى: يختص جواز الخلع بقدر ما ساق إليها من المهر، حتى لايجوز بالزيادة. وقال الحسن: الخلع إنما يجوز للولاة والقضاة؛ تمسكا بظاهر الآية.

(١) قرأ بالياء المضمومة: أبو جعفر، ويعقوب، وحمزة.

وقرأ الباقون بفتحها. انظر النشر (٢/٢٢٧)، وتفسير البغوى (١/٢٠٧).

(٢) فى «الأصل و ك»: ومن الخائف، وما أثبتناه هو الصواب، انظر تفسير البغوى (١/٢٠٧).

(٣) فى «ك»: بقول.

(٤) فى «الأصل وك»: عاصى.

**افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ**

والأكثرون على أن الخلع يجوز بكل حال، وبكل قدر تراضيا عليه من الزوجين وغيرهما.

وإنما الآية خرجت على وفق العادة في أن الخلع إنما يكون في حال خوف النشوز، وهو الأولى أن يؤتى بالخلع في حال النشوز، وبقدر المهر.

وقوله - تعالى -: ﴿ تلك حدود الله فلا تعتدوها ﴾ أي: فلا تَجَاوَزُوها، وحدود الله: كل ما منع الشرع من المجاوزة عنه.

وقوله تعالى: ﴿ ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾. ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعد ﴾ هو الطلقة الثالثة. وحكمها تحريم العقد إلى أن يوجد الزوج الثاني. ثم التحليل للزوج الأول إنما يحصل بالعقد والوطء جميعا، على قول أكثر العلماء.

وحكى عن سعيد بن المسيب - وقيل: عن سعيد بن جبير - أنه يحصل بمجرد النكاح. بظاهر الآية. وقد عُدّ هذا من شواذ الخلاف.

والدليل على صحة القول الأول: ما روى «أن امرأة رفاعة القرظي جاءت إلى رسول الله ﷺ، وقالت: إن رفاعة بَتَّ طلاقي، وتزوجت بعده بعبد الرحمن بن الزبير، وإنما معه مثل هدبة الثوب. فقال عليه السلام: أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك»(١). فدلت السنة على اشتراط الوطء وهذا خبر صحيح.

وقوله تعالى: ﴿ حتى تنكح زوجا غيره ﴾ فالنكاح بمعنى الوطء، ويكون بمعنى

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (٩/ ٢٧٤ رقم ٥٢٦٠)، ومسلم (١٠/ ٣-٧ رقم ٤٤٣٣) من حديث عائشة - رضي الله عنها -.

**عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ**

العقد. ﴿فإن طلقها﴾ يعنى: الزوج الثانى ﴿فلا جناح عليهما أن يتراجعا﴾ وأراد بالرجعة هاهنا: إنشاء النكاح مع الزوج الأول.

وقوله تعالى: ﴿إن ظنا أن يقيما حدود الله﴾ يعنى: إن علما أن يكون بينهما الصلاح، وحسن الصحبة.

وقوله: ﴿وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون﴾ أى: يعلمون ما أمر الله به

قوله تعالى: ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن﴾ أى: قاربن بلوغ الأجل كما يقال: بلغت المنزل، إذا قاربه.

وقوله: ﴿فأمسكوهن بمعروف﴾ أى: راجعوهن بالمعروف.

﴿أو سرحوهن بمعروف﴾ أو اتركوهن حتى تنقضى العدة.

﴿ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا﴾ أى: لاتقصدوا بالرجعة الضرار بالمرأة، كما كانوا يفعلونه. ﴿ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه﴾ أى: أضر بنفسه لابغيره.

﴿ولا تتخذوا آيات الله هزوا﴾ قالت عائشة – وهو الأصح –: هو النهى عن قصد الإضرار (بالرجعة)[1] فإن كل من خالف أمر الشرع فهو متخذ آيات الله هزوا. وقال أبو الدرداء – وهو قول الحسن –: هو أن الرجل منهم كان يطلق، ثم يقول: ما كنت جادا، ويعتق، ثم يقول: ما كنت جادا، كنت لاعبا.

وفيه قول ثالث: أنه نَهْىٌ عن الزيادة على قدر الطلاق الثلاث.

(١) فى «ك»: مع الرجعة.

وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم

وقوله تعالى : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم ﴾ قال عطاء: أراد به نعمة الإسلام.

﴿ وما أنزل عليكم من الكتاب ﴾ يعنى: القرآن ﴿ والحكمة ﴾ يعنى: السنة.

﴿ يعظكم به ﴾ يرشدكم به ﴿ واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم ﴾.

قوله تعالى : ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ﴾ أراد ببلوغ الأجل فى هذه الآية: تمام انقضاء العدة.

وقوله تعالى : ﴿ فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ﴾ والعضل: المنع.

قال الخليل: يقال: دجاج معضل، إذا نشبت فيها البيضة وامتنعت من الخروج؛ لضيق المخرج. ومنه الداء العضال، وهو الذى لايطاق علاجه.

وعن عمر – رضى الله عنه – أنه قال: أعضل بى أهل الكوفة. أى: ضيقوا علىَّ، وأوقعوا بى فى أمر شديد.

وأكثر العلماء والمفسرين على أنه خطاب للأولياء، نهاهم عن الامتناع من التزويج.

وقد قال الشافعى: هذا بين، أنه دليل على أن المرأة لاتلى عقد النكاح.

ونزلت الآية فى معقل بن يسار المزنى؛ فإنه زوج أخته من رجل فطلقها وتركها حتى انقضت عدتها، ثم جاء يخطبها مع الخُطَّاب، ورغبت المرأة فيه، فقال معقل: زوجتك أختى دون غيرك، وخطبها أشراف قومى فاخترتك! أطلقتها، لا أنكحتكها أبدا؛ فنزلت الآية.

وفيه قول آخر: أنه خطاب للأزواج؛ لأن ابتداء الآية خطاب لهم.

ومنع الأزواج هو ما ذكرنا من أن يطلق، ثم يراجع، ثم يطلق. والأول أصح.

وقوله – تعالى –: ﴿ إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم

**بالْمَعْرُوف ذَلكَ يُوعَظُ به مَن كَانَ منكُمْ يُؤْمنُ باللَّه وَاليَوْمِ الآخرِ ذَلكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ وَالْوَالدَاتُ يُرْضعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَاملَيْنِ لمَنْ أَرَادَ أَن يُتمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُود لَهُ رزْقُهُنَّ وَكسْوَتُهُنَّ بالْمَعْرُوف لا**

يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ إنما خصهم لأن الوعظ إنما يؤثر فى المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿ذلكم أزكى لكم وأطهر﴾ أزكى لكم أى: خير لكم، وأطهر أى: أصلح. ﴿و الله يعلم وأنتم لاتعلمون﴾.

قوله تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن﴾ هذا خبر بمعنى الأمر.

﴿حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾.

فالحولان: (مدة)[1] الرضاع، فإن قال قائل: لم قال: كاملين؟

قيل: لأن الحولين قد ينطلق على الحول وبعض الحول الثانى، كما فى قوله: ﴿الحج أشهر معلومات﴾[2] أطلق الأشهر على شهرين وبعض الثالث، فقال: كاملين ليعرف أنه أراد تمام الحولين. وقيل: إنما قاله تأكيدا.

وروى أن امرأة أتت بولدٍ لستة أشهر من وقت النكاح، فجاء زوجها إلى عثمان فى ذلك. فهم عثمان – رضى الله عنه – برجمها، فقال علىّ: لاسبيل لك عليها؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهرا﴾[3] وقال: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾ فإذا ذهب الفصال حولين، بقى للحمل ستة أشهر، فتركها عثمان، ودرأ الحد.

وقوله تعالى: ﴿وعلى المولود له﴾ يعنى: الزوج أبو الولد. ﴿رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾ وذلك نفقة مدة الرضاع. ﴿لاتكلف نفس إلا وسعها﴾ إلا طاقتها،

(١) فى «ك»: عدة.

(٢) البقرة: ١٩٨.

(٣) الأحقاف: ١٥.

**تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُّمْ أَن**

---

يعنى: على الموسع بقدر وُسْعِه، وعلى المقتر بقدر طاقته.

وقوله تعالى: ﴿لاتضار والدة بولدها﴾ بفتح الراء. وقرأ أبو عمرو وغيره بضم الراء. وقرأ أبان [عن][1] عاصم: «لاتضارر» وفى الشواذ[2]. فمن قرأ بفتح الراء فمعناه: لاتضار المرأة بولدها. يعنى: لايَنْتَزِعِ الأبُّ ولدها منها، فيسلمه إلى غيرها وهى راغبة فى الإرضاع.

ويحتمل أن معناه: أن المرأة لاتضار بولدها فتتركه (لغيرها)، وتمتنع من الإرضاع.

ومن قرأ بالرفع فهذا أيضا معناه، وهو معنى القراءة الثالثة.

وقوله تعالى: ﴿ولا مولود له بولده﴾ يعنى الأب لايضر بولده فيسلم إلى غير الأم.

وقوله تعالى: ﴿وعلى الوراث مثل ذلك﴾ قال عمر: أراد به على غير الوالدين مثل ذلك النفقة، وهذا قول أبى حنيفة، فإنه يوجب نفقة القرابة على الإخوة والأعمام.

والقول الثانى: أراد بمثل ذلك: ترك المضارة. وهو قول ابن عباس، ولم ير النفقة على غير الوالدين. وهذا مذهب مالك والشافعى.

وفيه قول ثالث: أراد بالوارث هذا: الولد، عليه نفقته من ماله إن كان له مال.

وقوله تعالى: ﴿فإن أرادا فصالا﴾ أى: فيما دون الحولين. ﴿عن تراض منهما﴾ يعنى: من الوالدين ﴿وتشاور﴾ أى: يشاور أهل العلم به حتى يخبروا أن الفصال فى ذلك الوقت لايضر بالولد. والمشاورة: استخراج الرأى.

---

(١) فى «الأصل وك»: بن، خطأ.

(٢) قرأ ابن كثير، ويعقوب، وأبو عمرو. برفع الراء، وقرأ الباقون بفتحها واختلف على أبى جعفر فى تخفيف الراء وتسكينها، أم تشديدها وفتحها انظر النشر (٢/٢٢٧)، وتفسير البغوى (١/٢١٢).

تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ

وقيل: إن عمر ركب فرسا يشوره، أى: يستخرج سيره، فعطب تحته، فَحَكَّمَ شريحا؛ فقضى عليه بالضمان. وقال: إنما ركبته سوما؛ فولاه القضاء، فقضى بعد ذلك سبعين سنة.

وقوله: ﴿ فلا جناح عليهما ﴾ أى: فلا حرج فى الفصال قبل تمام الحولين.

وقوله: ﴿ وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم ﴾ أى: تستأجروا مرضعة لأولادكم، واللام محذوفة. ومعناه: أن تسترضعوا لأولادكم.

وقوله: ﴿ فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف ﴾.

يقرأ: «آتيتم» ممدودا، ويقرأ: «أتيتم» مقصورا[1] ومعنى الأول: إذا سلمتم إلى الأم، وما آتيتم أى: ما سميتم لها من أجرة الرضاع بقدر ما أرضعت. ويحتمل التسليم إلى المستأجرة أجرتها إلى الرضاع.

ومن قرأ «أتيتم» فمعناه: إذا سلمتم ما أتيتم بالمعروف، يعنى: إذا سلمتم لأمره وانقدتم لحكمه فيما فعلتم من المعروف. ﴿ واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعلمون بصير ﴾.

قوله تعالى: ﴿ والذين يتوفون منكم ﴾ قرأ على: «يَتَوفون» بفتح الياء، ومعناه: يستوفون أعمارهم. والمعروف بضم الياء، ومعناه: والذين يموتون ويتوفى آجالهم ﴿ ويذرون أزواجا ﴾ أى: ويتركون أزواجا والمراد بالأزواج: الزوجات.

﴿ يتربصن ﴾ ينتظرن ﴿ بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ﴾ الآية فى عدة الوفاة، وهى مقدرة بأربعة أشهر وعشرٍ باتفاق الأمة لنص الكتاب.

(١) قرأ ابن كثير بقصر الهمزة. وقرأ الباقون بالمدّ. انظر النشر (٢/٢٢٨).

فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ

وقيل: إنما قدر بتلك المدة لحكمة، وهى أن الولد يرتكض فى بطن الحامل لنصف مدة الحمل وأربعة أشهر وعشر قريب من نصف مدة الحمل.

والارتكاض: بمعنى التحرك، ويقال: امرأة مركضة إذا تحرك [فى][1] بطنها، قال الشاعر:

ومُرْكِضَةٌ صَرِيحىٌّ أبوها ... يهان لها الغُلامةُ والغُلامُ

وأما قوله: ﴿وعشرا﴾ فهى ليال، يقال: عشرة أيام وعشر ليال، وإنما خص الليالى لأن كل أجل يبتدئ من الليل.

وقال المبرد: أراد به: عشر مدد، كل مدة يوم وليلة.

وقوله تعالى: ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ أى: انقضت عدتهن.

﴿فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف﴾ يعنى: فيما فعلن من اختيار الأزواج دون العقد، والعقد إلى الولىِّ.

وقيل: معناه فيما (تَزَيَّنُ)[2] للأزواج زينة لاينكرها الشرع. ﴿واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون خبير﴾.

قوله تعالى: ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء﴾ التعريض بالخطبة فى أوان العدة جائز. والخطبة: خطبة العقد، يقال: خَطَبَ يَخْطِبُ خِطْبَةً إذا خطب العقد. وخَطَبَ يَخْطُبُ خُطْبَةً إذا خطب الناس بكلام معلوم الأول والآخر.

وصورة التعريض بالخطبة: أن يقول للمرأة: إنكِ لجميلة، وإنك علىَّ لكريمة، وإنى لراغب فى النساء، أو ما قضى الله يكون، ونحو ذلك. فهذا لا بأس به فى حق المعتدة. ولايجوز التصريح بالخطبة.

وقال مجاهد: وذلك أن يقول: لاتسبقينى بالنكاح، أو يقول: لاتفوتى على نفسك، أو أخطبك حتى إذا حللت أتزوجك، ونحو هذا.

(١) فى «الأصل»: ذو.
(٢) فى «ك»: تتزين.

**وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفًا وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ**

وقيل: إن ذلك يجوز مع الولى بأن يقول له: لاتسبقنى بالنكاح ونحو ذلك.

وإنما لايجوز التصريح معها. والدليل على جواز التعريض بالخطبة: ما روى أن سكينة بنت حنظلة تأيمت عن زوجها، فدخل عليها أبو جعفر محمد بن على الباقر، وقال: تعلمين قرابتى من رسول الله، وقرابتى من علىّ، وحقى فى الإسلام، وشرفى فى العرب. فقالت سكينة: أتخطبنى وأنا معتدة وأنت أنت - يعنى: منك يؤخذ العلم؟! فقال: ما خطبتك، ولكن ذكرت منزلتى.

ثم روى «أن رسول الله ﷺ دخل على أم سلمة - وكانت فى عدة زوجها أبى سلمة، فذكر - عليه السلام - كرامته على الله، ومنزلته عند الله، وكان يذكر من ذلك ويعتمد على يديه حتى أثر الحصير فى يديه»(١). فهذا كله من التعريض بالخطبة، ودل الحديث على جوازه.

وقوله - تعالى -: ﴿أو أكننتم فى أنفسكم﴾ أى: أضمرتم فى أنفسكم أمر النكاح ﴿علم الله أنكم ستذكرونهن﴾ يعنى: فى أنفسكم. ﴿ولكن لاتواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا﴾ فى معنى هذا السر أقوال، أصحها: أنه أخذ ميثاق النكاح مما، نهى الشرع عنه فى حال العدة.

وقيل: السر: الزنا. وقيل: هو الوطء. قال امرؤ القيس:

**ألا زعمت بسباسة اليوم أننى كَبِرْتُ وأن لايحسنُ السرَّ أمثالى**

يعنى: الجماع. قال الشافعى قوله: ﴿لاتواعدهن سرا﴾ هو أن يصف نفسه بكثرة الجماع؛ ليرغبها فى نكاحه.

وقوله تعالى: ﴿إلا أن تقولوا قولا معروفا﴾ هو ما ذكرنا من التعريض المباح.

قوله: ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾ أى: لاتحققوا العزم على عقد النكاح فى العدة ﴿حتى يبلغ الكتاب أجله﴾ أى: فرض الكتاب؛ لأن العدة من فرض الكتاب.

﴿واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه﴾ هذا فى التحذير عما نهاهم عنه. ﴿واعلموا أن الله غفور حليم﴾.

(١) رواه الطبرى فى تفسيره (٢/٣٢٢)، والدارقطنى فى سننه (٣/٢٢٤)، والبيهقى فى الكبرى (٧/١٧٨) جميعهم من حديث أبى جعفر الباقر مرسلا.

غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً

قوله تعالى : ﴿ لاجناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ﴾ تقديره : ولم تمسوهن، ولم تفرضوا لهن فريضة .

هذه الآية فى المطلقة قبل الفرض والمسيس . وفى الآية دليل على جواز إخلاء النكاح عن تسمية المهر . وفيها دليل على وجوب المتعة فى الجملة؛ فإنه قال : ﴿ ومتعوهن ﴾ .

قال ابن عباس فى المتعة : أعلاها خادم، وأوسطها الورق، وأدناها ثوب للكسوة . قال الشافعى : واستحسن فى المتعة أن تكون من عشرين درهما إلى ثلاثين، وفى الجملة هى مفوضة إلى اجتهاد الحكام، فيوجب على كل واحد تقدير ما يرى ﴿ على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين ﴾ .

قال شريح : هذا إرشاد وندب إلى الإمتاع، ولم ير وجوب المتعة، وسائر العلماء ذهبوا إلى وجوب المتعة، فمذهب على - رضى الله عنه - أن لكل مطلقة متعة .

وقال ابن عمر : لكل مطلقة متعة؛ إلا التى فرض لها زوجها، وطلقها قبل الدخول، حسبها نصف المسمى، وهذا أحد قولى الشافعى .

وفيه قول ثالث : أنها لاتجب إلا للتى لم يفرض لها، وطلقت قبل الدخول .

قوله تعالى : ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ﴾ هذه الآية فى المطلقة بعد الفرض قبل المسيس، وجب لها نصف المسمى عند الطلاق قبل الدخول .

﴿ إلا أن يعفون ﴾ هذا فى الزوجات، يقال : تعفو، تعفوان، يعفون . ومعنى عفو المرأة : هو الفضل بترك النصف الذى وجب لها .

﴿ أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح ﴾ قال على - وهو مذهب شريح، والشعبى :

فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا

إن المراد به: الزوج، وعفوه: الفضل بإعطاء تمام المهر.

وقال ابن عباس: أراد به: الولى - وهو الأليق بنظم الآية - ورأى جواز إبراء الولى عن مهر المرأة.

وفيه قول ثالث: أنه فى أب البكر خاصة، وله العفو عن مهر ابنته مادامت بكرا.

والفتوى على أَنْ ليس إلى الولى من العفو شيء. وإنما الآية فى الزوج، كما قال على رضى الله عنه.

﴿ وأن تعفوا أقرب للتقوى ﴾ الخطاب مع الكل. ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ أى: أفضال بعضكم على بعض. ﴿ إن الله بما تعملون بصير ﴾.

قوله تعالى: ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ أمر بالمحافظة على جميع الأوقات.

وأما الصلاة الوسطى ففيها سبعة أقوال: أحدها: قال عمر، وعلى، وأبو هريرة، وأبو أيوب، وعائشة - رضى الله عنهم - هى صلاة العصر، لأنها وسط (صلاتى)[1] الليل وصلاتى النهار.

وعن حفصة أنها قالت لكاتب مصحفها: إذا بلغت قوله: ﴿ حافظوا على الصلوات ﴾ فأعلمنى، فلما بلغه أعلمها، فقالت: اكتب: والصلاة الوسطى صلاة العصر.

وقد صح الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال يوم الخندق: «شغلونا عن صلاة الوسطى - صلاة العصر - ملأ الله بطونهم وقبورهم نارا»[2].

والقول الثانى - وهو قول زيد بن ثابت -: أنها صلاة الظهر، لأنها وسط النهار.

(١) فى «ك»: صلاة.

(٢) متفق عليه من حديث على بن أبى طالب، إلا أن ذكر صلاة العصر تفرد بها مسلم، رواه البخارى (٨/ ٤٣ رقم ٤٥٣٣)، ومسلم (٥/ ١٧٧ - ١٧٨ رقم ٦٢٧)، وفى الباب أحاديث، وانظر تعليق الحافظ ابن حجر فى الفتح.

والقول الثالث – وهو قول ابن عباس، وابن عمر، وجابر –: أنها صلاة الصبح. وهو [اختيار][1] الشافعى لأنها وسط صلاتى الليل وصلاتى النهار.

ووراء هذا فيه أربع أقوال غريبة: أحدها قاله قبيصة بن ذؤيب: أنها صلاة المغرب؛ لأنها وسط فى عدد الركعات.

والقول الثانى – وهو قول سعيد بن المسيب، والربيع بن خثيم –: أنها كل صلاة من الصلوات الخمس؛ لأن كل صلاة من الصلوات الخمس: وُسْطَى بين الأربع. وإنما خصه بعد ذكر الصلوات تأكيدا وتحريضا على المحافظة على جميع الصلوات.

والقول الثالث: أنها الجمعة.

والقول الرابع: أنها الجماعة.

واختلفوا فى صلاة الصبح أنها من صلاة الليل، أو من صلاة النهار؟

فأكثر العلماء على أنها من صلاة النهار.

وقال بعضهم: إنها [من][2] صلاة الليل. وهذا الخلاف يرجع إلى أن النهار من وقت طلوع الفجر أو[من][3] وقت طلوع الشمس.

فمن قال: إنه من وقت طلوع الفجر؛ جعل صلاة الصبح من صلاة النهار.

ومن قال: إن النهار من وقت طلوع الشمس؛ جعلها من صلاة الليل. واستدل قائل هذا القول بقول أمية بن الصلت.

**والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء يصبح لونها يتورد**

وقال ابن الأنبارى: ليل محض، ونهار محض، ومشترك بين الليل، والنهار فصلاة المغرب والعشاء الآخرة فى محض الليل.

وصلاة الظهر والعصر فى محض النهار، وصلاة الصبح مشترك بين الليل والنهار.

---

(١) فى «الأصل وك»: اختيارات.

(٢) ليست فى «الأصل ولا ك».

(٣) من «ك».

فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا

وفيه قول آخر – هو المختار – : أنه ليل لغة ونهارٌ شرعا.

وقوله: ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ أى: مطيعين ساكتين.

وذلك أن الكلام كان مباحا فى الصلاة فى الابتداء، فلما نزلت هذه الآية؛ سكتوا.

والقارئ فى الصلاة ساكت عن الكلام. ومذهب الشافعى أنه [لو][1] حلف لايتكلم فقرأ القرآن لم يحنث؛ لأنه كلام الله لا كلامه.

خلافا لأبى حنيفة قال: يحنث.

قوله تعالى: ﴿ فإن خفتم فرجالا أو ركبانا ﴾ هذه فى صلاة الخوف، يصلون مشاة، وفرسانا.

وقوله: ﴿ فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون ﴾ يعنى: كما علمكم من أصل الصلاة فى حال الأمن.

قوله تعالى: ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم ﴾. يقرأ بالفتح، وتقديره: أوصوا وصية. ويقرأ بالضم: وتقديره: عليكم وصية،[2] وهذا ورد فى ابتداء الإسلام حين كانت (العدة للوفاة)[3] حولا كاملا، وكانت نفقة جميع الحول على الزوج واجبة، وكان يجب عليه الوصية بالإنفاق إذا مات، فهذا معنى قوله: ﴿ وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول ﴾ أى: نفقة الحول.

وقوله: ﴿ غير إخراج ﴾ وحرم على الوارث إخراج المعتدة من البيت قبل تمام الحول، لكن إذا خرجت بنفسها سقطت نفقتها. فنسخ ذلك بآية عدة الوفاة كما سبق، وتلك

(١) ليست فى «الأصل» ولا «ك»، ويقتضيها السياق.

(٢) قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وحفص بالفتح، وقرأ الباقون بالضم. انظر النشر (٢/٢٢٨)، وتفسير البغوى (١/٢٢٢).

(٣) فى «ك»: عدة الوفاة.

جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ

الآية وإن كانت متقدمة فى التلاوة ولكنها متأخرة فى المعنى، وهى ناسخة لهذه الآية.

وقيل لعثمان: ألا تضع تلك الآية مكان هذه الآية، وهذه مكان تلك؟ فقال: أكره أن أُغَيِّرَ القرآن عن موضعه.

وقوله تعالى: ﴿فإن خرجن فلا جناح عليكم فى ما فعلن فى أنفسهن من معروف﴾ هو ما ذكرنا بعد الفراغ من العدة.

وقوله تعالى: ﴿والله عزيز حكيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف﴾ أعاد ذكر المتعة تأكيدا.

وسبب نزول الآية: ما روى أنهم لما سمعوا قوله تعالى: ﴿متاعا بالمعروف حقا على المحسنين﴾[1] قالوا: إن شئنا نمتع، وإن شئنا لا نمتع، فنزلت هذه الآية.

﴿وللمطلقات متاع بالمعروف﴾ أى: المتعة لهن ملكا، جعلها لهن بلام التمليك. وقوله: ﴿حقا على المتقين﴾ يعنى: واجبا على المؤمنين[2].

قوله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم آياته﴾ لأنه ذكر فيما قبل كثيرا من الآيات، والأحكام، فأراد به ذلك. وقوله: ﴿لعلكم تعقلون﴾ أى: تفهمون وتفقهون.

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف﴾ قال ابن عباس: كانوا أربعة آلاف، وقال غيره: كانوا ثمانية آلاف، وقال السدى: كانوا [بضعة][3]

---

(١) البقرة: ٢٣٦.

(٢) فى «ك»: على امرئ يتقى.

(٣) فى «الأصل وك»: بضعٌ.

فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَن ذَا

وثلاثين ألفا وفى رواية ابن جريج: أربعين ألفا، وقال ابن دريد: ألوف، أى: مؤتلفة قلوبهم، والصحيح أن المراد به: العدد كما بينا.

وقوله: ﴿حذر الموت فقال لهم الله موتوا﴾ أى: أماتهم الله ﴿ثم أحياهم﴾ هذا [فى][1] قوم من بنى إسرائيل هربوا من الطاعون، وقالوا: نذهب إلى أرض ليس بها طاعون، فذهبوا فأماتهم الله تعالى هنالك وبقوا سبعة أيام كذلك، فمر بهم نبى يقال له: حزقيل، فدعا الله تعالى فأحياهم. قال الحسن البصرى: أماتهم الله تعالى قبل آجالهم؛ عقوبة لهم، ثم أحياهم ليستوفوا آجالهم.

وفى القصص: أنه بعد ما أحياهم كان يوجد منهم ريح الموت، وكذلك من أولادهم. وقوله تعالى: ﴿إن الله لذو فضل على الناس﴾ قيل: هو على العموم فى حق الكافة فى الدنيا، وقيل: هو على الخصوص فى حق المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿ولكن أكثر الناس لايشكرون﴾ أما الكفار فلا يشكرون.

وأما [المؤمنون][2] فلم يبلغوا غاية الشكر.

قوله تعالى: ﴿وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم﴾ قيل الخطاب مع الصحابة. والمعنى فيه: أن أولئك القوم لما هربوا من الموت لم ينفعهم الهرب حتى أدركهم الموت، فلا تقعدوا أنتم عن القتال خوفا من الموت؛ بل جاهدوا وقاتلوا فى سبيل الله.

وقيل: الخطاب مع أولئك القوم من بنى إسرائيل، فإنهم إنما قعدوا عن القتال؛ فأماتهم الله ثم أحياهم، وأمرهم بالقتال.

---

(١) من «ك».

(٢) فى «الأصل وك»: المؤمنين. وهو خلاف الجادة.

**الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ**

قوله تعالى : ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ﴾ القرض: هو القطع. ومنه المقراض، وسمى القرض قرضا؛ لأنه يقطع من ماله شيئا ليكافأ عليه. أو يرد عليه مثله.

قال لبيد :

**وإذا جوزيت قرضا فأجزه إنما يجزى الفتى ليس الإبل**

فإن قيل: كيف يكون الإقراض من الله تعالى ؟ قيل معناه: يقرض أنبياء الله . فقال الضحاك: معناه: يتصدق لله، وسماه قرضا لأن الله تعالى قد وعد الثواب عليه.

وقوله تعالى : ﴿ قرضا حسنا ﴾ يعنى: حلالا، وقيل: حسنًا أى: طيبة نفسه به.

وقوله: ﴿ فيضاعفه له أضعافا كثيرة ﴾ يقرأ بقراءات: فيضاعفُه » بضم الفاء على إتباع قوله: ﴿ يقرض ﴾.

وقرىء: « فيضاعفَه » . بفتح الفاء نصبا على جو اب الاستفهام. ويقرأ: « فَيُضَعِّفَه » بالياء ويقرأ بالنون: « فنضعفه »(١).

والتضعيف والمضاعفة بمعنى واحد. والضِّعْفُ كل مازاد على المثل.

وقوله: ﴿ أضعافا كثيرة ﴾ قال السدى: كثيرة لايعلم عددها إلا الله.

وقال غيره: سبعمائة ضعف.

وقوله: ﴿ والله يقبض ويبسط ﴾ فيه أربعة أقوال:

---

(١) قرأ ابن عامر، ويعقوب بفتح الفاء، وقرأ الباقون بضمها، واختلفوا فى حذف الألف وتشديد العين، فقرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب « فيضعِّفه » بالتشديد مع حذف الألف، وقرأ الباقون بإثبات الألف والتخفيف.

انظر النشر ( ٢ / ٢٢٨ )، وتفسير البغوى ( ١ / ٢٢٥ )، وتفسير القرطبى ( ٣ / ٢٤٢ ).

تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ

[أحدهما(١)]: قال الحسن: يقبض بالتقتير، ويبسط بالتوسيع.

وقال الزجاج: يقبض بقبول الصدقة، ويبسط بإعطاء الثواب عليه.

والقول الثالث: يقبض بتقليل الأعمار، ويبسط بتكثير الأعمار.

والقول الرابع: يقبض بالتحريم، ويبسط بالإباحة.

وقوله تعالى: ﴿وإليه ترجعون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى﴾ الملأ: أشراف كل قوم. وفى الخبر: «أنه لما قتل رءوس المشركين مثل أبى جهل، وعتبة، وغيرهما يوم بدر قال رجل من الأنصار: ما قتلنا إلا عجائز صلعا - أى: أواخر القوم شيوخا - فكره ذلك رسول الله ﷺ وقال: أولئك الملأ من قريش؛ لو رأيتهم هبتهم، وإن أمروك أطعتهم، واحتقرت فعلك مع فعلهم»(٢).

وقوله: ﴿إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله﴾ قيل: ذلك النبى كان اشمويل، وقيل: كان يوشع بن النون، وقيل: هو شمعون، وسمى بذلك؛ لأن الله تعالى دعاه فسمعه. والقصة فى ذلك: أن بنى إسرائيل [ظهر](٣) عليهم العدو، وسبوا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين نفرا - وكانوا قد قعدوا عن القتال أربع سنين - فجاءوا إلى نبيهم ذلك، وقالوا له: ابعث لنا ملكا يجتمع أمرنا عليه

---

(١) من «ك».

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير (١٧/ ٨٦ - ٨٧ رقم ٢٠١) من حديث عدى بن حاتم فى حديث طويل، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٢٧) وفيه حصين السلولى، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. وذكر موسى بن عقبة فى كتاب المغازى له أن القائل هو سلمة بن سلامة أحد بنى عبد الأشهل، رواه البيهقى بإسناده لموسى فى الدلائل (٣/ ١٤٧).

(٣) ليست فى «الأصل» ولا «ك» وما أثبتناه يقتضيه السياق.

ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ

فنقاتل فى سبيل الله.

وقوله تعالى: ﴿قال هل عسيتم﴾ القراءة المعروفة: بفتح السين. وقرىء: «هل عَسِيتم» بكسر السين وهما فى المعنى سواء. وبالفتح أصوب.

وقوله: ﴿إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا﴾ ومعنى الآية: لعلكم أن تجبنوا عن القتال فلا تقاتلوا.

وقوله: ﴿قالوا ومالنا ألا نقاتل فى سبيل الله﴾ أى: ما يمنعنا أن نقاتل فى سبيل الله. ﴿وقد أخرجنا من ديارنا﴾ لأنهم كانوا أخرجوا من بيت المقدس.

﴿وأبنائنا﴾ أى: أخرجنا من أبنائنا بالسبى، والسبى فيه مضمر، ومثله قول الشاعر:

ورأيت زوجك فى الوغى(١) متقلدا سيفا ورمحا

أى: وحاملا رمحًا.

وقوله تعالى: ﴿فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين﴾ وأراد بالقليل: أولئك الذين اقتصروا على الغَرْفَةِ، وجاوزوا مع طالوت وسيأتى.

قوله تعالى: ﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا﴾ قيل: إنه كان سَقَّاء يستسقى على الحمار.

وسمى طالوت؛ لطوله لأنه كان أطول من كل أحد برأسه ومنكبه.

وقيل: كان الرجل منهم إذا رفع يديه وصل إلى رأسه، يعنى: رأس طالوت.

(١) جاء هذا الشطر فى لسان العرب (مادة: قلد): ياليت زوجك قد غدا.

بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن

وقوله: ﴿ قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ﴾ أى: كيف يكون له الملك علينا، وليس هو من سبط النبوة، والملك؟

وذلك أن سبط النبوة كان سبط لاوى بن يعقوب، وهو سبط موسى بن عمران، وسبط الملك كان سبط يهوذا، وكان طالوت من سبط بنيامين، ولم يكن سبط ملك ولا نبوة؛ وذلك أنهم كانوا قد عصوا الله معصية عظيمة؛ فنزع الله منهم النبوة والملك وكانوا يسمون سبط الإثم.

وقوله: ﴿ ولم يؤت سعة من المال ﴾ لأنه كان سقاء كما بينا.

قوله تعالى: ﴿ قال إن الله اصطفاه عليكم ﴾ أى: اختاره عليكم.

وقوله: ﴿ وزاده بسطة فى العلم والجسم ﴾ أما الزيادة بالجسم: معلوم.

وأما العلم: قيل أراد به علم الحرب - وكان طالوت أعلمهم بأمر الحرب - وقيل: أراد به علم الدين، والأول أصح.

وقوله: ﴿ والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم ﴾ فالواسع: ذو السعة، وهو الذى يعطى عن غنى.

وأما العليم: فقيل: العليم والعالم بمعنى واحد، ومنهم من فرق بين العليم والعالم، فقال: العالم: بما كان، والعليم: بما يكون.

قوله تعالى: ﴿ وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت ﴾ طلبوا منه آية على الملك، فأخبرهم نبيهم بآية ملكه، وذلك إتيان التابوت.

قيل: هو التابوت الذى كان مع موسى وهارون، كانت بنو إسرائيل يخرجون به إلى الغزوات ويستنصرون به.

يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ

وقيل: كان من شجر الشمشاذ، وكان ثلاثة أذرع فى ذراعين.

وفيه قول آخر: أنه التابوت الذى أنزله الله تعالى على آدم مع الركن، وكان فيه صورالأنبياء.

وقوله: ﴿فيه سكينة من ربكم﴾ قال على - رضى الله عنه -: السكينة لها وجه كوجه الإنسان، وهى بعد ريح هفافة.

وقال ابن عباس: هو طست من ذهب كان يُغْسَل فيه قلوب الأنبياء، وقيل: هى شىء يشبه الهر له عينان لهما شعاع، وله جناحان من الزمرد والزبرجد، وكانوا إذا سمعوا صوته تيقنوا بالنصر، وكانوا إذا خرجوا بالتابوت إلى الحرب يضعونه قدامهم، فإن سار ساروا، وإن وقف وقفوا.

وقال مجاهد: السكينة آية كانوا يسكنون إليها.

وقوله - تعالى -: ﴿وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون﴾ وذلك عصى موسى، ونعلاه، وعمامة هارون، ورضاض الألواح التى تكسرت، وقفيز من المن الذى أنزل على بنى إسرائيل.

وقيل: أراد به التوراة، كانت فى التابوت. ﴿مما ترك آل موسى وآل هارون﴾ يعنى: موسى وهارون، ومثله قول الشاعر:

فلا تَبْكِ ميتا بعد ميت أَجَنَّهُ ... علىٌ وعباسٌ وآلَ أبى بكرِ

أى: دفنه يعنى: وأبو بكر.

وقوله تعالى: ﴿تحمله الملائكة﴾ قال الحسن: كان التابوت مع الملائكة فى السماء، فلما تولى طالوت الملك، حملت الملائكة التابوت ووضعوه بينهم.

وقيل: إن العمالقة غلبوا على التابوت، ودفنوه، فأمر الله تعالى الملائكة حتى استخرجوه، وحملوه إليهم.

**الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ**

---

قال ابن عباس: إن العمالقة لما غلبوا على التابوت أخذهم الباسور، فعلموا أن ذلك عقوبة عليهم من أجل التابوت، فشدوه على عجلة وحملوه على ثورين، وساقوهما إلى المفازة وتركوه فجاءت الملائكة وساقوا ذلك إلى بنى إسرائيل.

وقوله تعالى: ﴿إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿فلما فصل طالوت بالجنود﴾ قال ابن عباس: كان عدد الجنود ثمانين ألفا.

وقوله تعالى: ﴿قال إن الله مبتليكم بنهر﴾ وذلك نهر كان بين أردن وفلسطين، ومعناه: أن الله ممتحنكم بذلك النهر؛ ليظهر من له نية وقصد فى القتال، ممن لانية له.

وقوله: ﴿فمن شرب منه فليس منى﴾ قاله طالوت، يعنى: ليس من أهل ولايتى وصحابتى.

﴿ومن لم يطمعه فإنه منى﴾ أى: من لم يذقه، قال الشاعر:

**فإن شئت حَرَّمتُ النساء سِواكمُ وإن شئت لم أطعَمْ نُقاخًا ولا بَرْدًا**

أى: لم أذق ماء ولا نوما. يقال: منع البردُ البردَ أى: منع البردُ النومَ.

وقوله تعالى: ﴿إلا من اغترف غرفة بيده﴾ يقرأ بقراءتين، بفتح الغين وضمها(١).

والغَرفة بفتح الغين: المرة. والغُرفة بضم الغين: ملء الكف.

وقوله: ﴿فشربوا منه إلا قليلا منهم﴾ قال عكرمة: كان عدد القليل الذين اقتصروا على الغرفة: أربعة آلاف.

---

(١) قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو بفتح الغين وقرأ الباقون بضمها. انظر النشر (٢ / ٢٣٠)، وتفسير البغوى (١ / ٢٣١).

**اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ**

وأكثر المفسرين – وهو الأصح – على أنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر نفرا.

قال البراء بن عازب: كنا نتحدث أن عدد أصحاب رسول الله ﷺ، ورضى عنهم يوم بدر كانوا على عدة الذين جاوزوا مع طالوت، وكانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر نفرا»(١). قال البراء بن عازب: ولم يجاوز إلا مؤمن.

وفى القصص: أنهم لما وصلوا إلى النهر، كان قدألقى الله عليهم العطش، فشرب الكل إلا هذا العدد القليل. وكل من شرب منهم اسودت شفتاه، ولم يرو، وبقى على الشط، وكل من اقتصر على الغرفة روى وجاوز.

وقيل: إن الكل جاوزوا، ولكن حضر بعضهم القتال، ولم يحضر البعض.

وقوله: ﴿فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾

قال ابن عباس والسدى: إنما قاله الذين انخذلوا ولم يجاوزوا، وقيل: إنما قاله من الذين جاوزوا؛ من قلت بصيرته فى الدين دون من قويت بصيرته.

وقوله – تعالى –: ﴿قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله﴾ يعنى: الذين قويت بصيرتهم.

﴿يظنون﴾ يستيقنون أنهم ملاقو الله، وقد ذكرنا الظن بمعنى اليقين، وقيل: هو على حقيقة الظن يعنى: الذين يظنون إصابة الشهادة فى الوقعة.

وقوله: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾ بقضائه وإرادته.

﴿والله مع الصابرين﴾ بالنصر والمعونة.

وقوله: ﴿ولما برزوا لجالوت وجنوده﴾ كان جالوت رئيس تلك العمالقة.

(١) البخارى فى صحيحه (٧/٣٣٩ رقم ٣٩٥٧).

وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ

وقوله: ﴿ قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا ﴾ معناه: أصبب علينا.

وقوله: ﴿ وثبت أقدامنا ﴾ أى: فى القتال ﴿ وانصرنا على القوم الكافرين ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ فهزموهم بإذن الله ﴾ أى: كسروهم، يقال: سقاء مهزم، ومنهزم أى: متكسر مُتَثَنٍّ بعضه على بعض.

وقوله ﴿ بإذن الله ﴾ أى: بقضائه وإرادته.

وقوله: ﴿ وقتل داود جالوت ﴾ وفى القصة: أن أبا داود حضر الحرب مع ثلاثة عشر نفرا من أولاده كان أصغرهم سنا داود، وكان [ أصاب ](١) معه مقلاع وقذافة، فبرز جالوت وطلب البراز وخرج إليه داود، ورماه بالمقلاع - الحجر - بين عينيه وخرج من قفاه، وأصاب قوما آخرين وقتلهم.

وقوله: ﴿ وآتاه الله الملك والحكمة ﴾ جمع لدواد بين الملك والحكمة، يعنى: النبوة. قيل: بعده بسبع سنين، ولم يكن من قبل مجتمعا، بل كان الملك فى سبط والنبوة فى سبط، وقيل: الملك والحكمة: هو العلم مع العمل.

وقوله: ﴿ وعلمه مما يشاء ﴾ قيل: صنعة الدروع، وأصوات الطيور، والزبور.

وقوله: ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ قرأ نافع: « ولولا دفاع الله »(٢) والمعنى واحد.

قال ابن عباس ومجاهد: معناه: لولا دفع الله الكفار بالمؤمنين؛ لكثر الكفر، ونزلت السخطة، واستؤصلت الأرض.

---

(١) فى « الأصل وك »: ماصاب. وما أثبتناه هو الصواب.

(٢) وهى قراءة أبى جعفر المدنى، ويعقوب أيضًا، بكسر الدال، وألف بعد الفاء. وقرأ الباقون بفتح الدال، وإسكان الفاء، بغير ألف. انظر النشر ( ٢ / ٢٣٠ )، وتفسير البغوى ( ١ / ٢٣٥ ).

عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ

وقال على، وعامة المفسرين: إن الله يدفع بالمتقى عن غير المتقى، وبالصالح عن الفاجر، وبالمصلح عن غير المصلح، وبالمؤمن عن الكافر، وهو معنى قول النبى ﷺ «لولا مشايخ ركع، وبهائم رتع، وصبيان رضع، لصب عليكم العذاب صبا»(١).

وقال رسول الله ﷺ «إن الله يدفع البلاء بالرجل الصالح عن مائة بيت من أهله وجيرانه»(٢).

وقوله: ﴿ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين﴾ وهى ما ذكر من الآيات.

قوله تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾ هذه الآية فى بيان فضل الرسل بعضهم على بعض مع استوائهم فى أصل الرسالة.

وقوله: ﴿منهم من كلم الله﴾ يعنى: موسى وقوله: ﴿ورفع بعضهم درجات﴾ يعنى: محمدا ﷺ قال الزجاج: ما أوتى نبى آية إلا أوتى نبينا مثل تلك الآية، وقدأوتى انشقاق

---

(١) رواه أبو يعلى فى مسنده (١١/٢٨٧ رقم ٦٤٠٢)، (١١/٥١١ رقم ٦٦٣٣)، والبزار - كما فى مختصر الزوائد (٢/٤٥٠ رقم ٢١٩٣)، والطبرانى فى الأوسط - كما فى مجمع الزوائد - (٨/٢٦٤ رقم ٥٠٨٤)، والبيهقى فى الكبرى (٣/٣٤٥)، والخطيب فى تاريخه (٦/٦٤)، كلهم من حديث أبى هريرة.

وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٢٣٠): وفيه إبراهيم بن خثيم، وهو ضعيف.

ورواه الدولابى فى الكنى (١/٤٣ - ٤٤)، والطبرانى فى الكبير (٢٢/٣٠٩ رقم ٧٨٥)، وفى الأوسط - مجمع البحرين - (٨/٢٦٤ - ٢٦٥ رقم ٥٠٨٥)، وابن عدى فى الكامل (١/٢٤٣)، (٦/٣٨٠) كلهم من طريق مالك بن عبيدة بن مسافع، عن أبيه عن جده.

وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٢٣٥): فيه عبد الرحمن بن سعد بن عمار، وهو ضعيف.

(٢) رواه الطبرى فى تفسيره (٢/٤٠٤)، والطبرانى فى الأوسط - مجمع البحرين - (٥/١٩٠ - ١٩١ رقم ٢٨٩٩)، (٨/٢٢٢ رقم ٥٠٠٥)، والعقيلى فى الضعفاء (٤/٤٠٣ - ٤٠٤) وابن عدى فى الكامل (٢/٣٨٢ - ٣٨٣)، والبغوى فى تفسيره (١/٢٣٦)، وأشار الطبرانى، وابن عدى إلى تفرد حفص بن سليمان به - وهو متروك.

وقال الهيثمى فى المجمع (٨/١٦٧): رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، وفيه يحيى بن سعيد العطار، وهو ضعيف.

وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ

القمر، وحنين الجذع، وكلام الشجر، ونبع الماء من بين الأصابع، والقرآن العظيم، وبعث إلى الأحمر والأسود، وغيره من الأنبياء بعث إلى قوم مخصوصين.

وقوله: ﴿ وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ﴾ قد سبق ذكره.

وقوله: ﴿ ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ﴾ هذا دليل على القدرية حيث أحالوا الاقتتال على المشيئة.

وقوله: ﴿ ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ﴾ منهم من تفضل عليه الله فآمن، ومنهم من خذله الله فكفر.

وقوله: ﴿ ولو شاء الله ما اقتتلوا ﴾ أعاده ثانيا تأكيدا. وقوله: ﴿ ولكن الله يفعل ما يريد ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم ﴾ قال السدى: أراد به الزكاة المفروضة. وقال غيره: أراد به الإنفاق فى سبيل الله وقوله: ﴿ من قبل أن يأتى يوم ﴾ يعنى: يوم القيامة.

وقوله: ﴿ لابيع فيه ﴾ أى: لافدية فيه، وسماها بيعا، لأن فى الفدية شراء نفسه.

وقوله: ﴿ ولا خلة ﴾ فإن قال قائل: قد نفى الخلة هاهنا فى القيامة، وقد قال فى آية أخرى: ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو ﴾[1] فأثبت الخلة.

وقيل: تقديره: الأخلاء فى الدنيا بعضهم لبعض عدو يوم القيامة، وإنما قال ﴿ ولا خلة ولا شفاعة ﴾ وذلك أن الكفار كانوا يقولون: إن الملائكة أخلاؤنا والأصنام

(١) الزخرف: ٦٧.

الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي

شفعاؤنا فقال: لاتنفع خلتهم ولا شفاعتهم.

وقوله: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو﴾ ذكره مبالغة فى الثناء، وهو مثل قولهم: لا كريم إلا فلان. أبلغ من قولهم: فلان كريم.

وقوله: ﴿الحى القيوم﴾ قرأ عمر: «القَيَّام». وقرأ علقمة: «القَيِّمُ» والمعروف: ﴿القيوم﴾. فالحى هو الباقى الدائم على الأبد، وهو من الحياة.

والحياة: صفة الله تعالى وأما القيوم: قيل: هو القائم على كل أحد بتدبيره فى الدنيا.

وقيل: هو القائم على كل نفس بما كسبت للمجازاة فى الآخرة.

وقيل: هو القائم بالأمور.

وقوله: ﴿لا تأخذه سنة ولانوم﴾ قال المفضل الضبى: السِّنة فى الرأس، والنوم فى القلب، فالسِّنة أول النوم، وهو النعاس.

ومنهم من فرق بين السِّنة والنُّعاس، فقال: السِّنة فى الرأس والنعاس فى العين، والنوم فى القلب.

والنوم: غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع من المعرفة بالأشياء.

وفى الأخبار أن «موسى - عليه السلام - قال يارب ألك نوم؟ فأوحى الله إليه ياموسى انظر ما تقول، خذ قَارُورَتَيْن فأخذهما بيديه فألقى الله عليه النوم، فوقعت إحداهما على الأخرى وانكسرتا، قال الله تعالى: لو كان لى نوم ما قامت سماء ولا أرض»(١).

وقوله: ﴿له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه﴾

---

(١) رواه الطبرى (٣/٦)، وأبو يعلى (١٢/٢١ رقم ٦٦٦٩)، والبيهقى فى الأسماء والصفات (ص٦٨ - ٦٩)، والخطيب فى تاريخه (١/٢٦٨) وابن الجوزى فى العلل (١/٣٩-٤٠ رقم ٢٢،٢٣)، كلهم من حديث أبى هريرة، قال ابن الجوزى: لايثبت هذا الحديث عن رسول الله ﷺ، وغلط من رفعه. وقال الذهبى فى الميزان (١/٢٧٦): حديث منكر...، ولايسوغ أن يكون هذا وقع فى نفس موسى، وإنما روى أن بنى إسرائيل سألوا موسى عن ذلك.

**السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**

لأنهم زعموا أن الملائكة والأصنام يشفعون لهم فقال: ﴿من ذا الذى﴾ يمكنه الشفاعة إلا برضاه.

وقوله: ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ يعنى: الآخرة ﴿وما خلفهم﴾ يعنى: الدنيا، وقيل: ﴿ما بين أيديهم﴾ ما قدَّموا ﴿وما خلفهم﴾ ما خَلَّفوا.

وقوله: ﴿ولايحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء﴾.

الإحاطة: العلم بالشىء بجميع جهاته وأنواعه، ومعناه: ولا يحيطون بشىء من علم الغيب إلا بما شاء، يعنى: إلا بما أَخبَر به الرسل، وهو مثل قوله فى سورة الجن: ﴿فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾(١).

وقوله: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ قرأ يعقوب الحضرمى: «وسع كرسيه السمواتُ والأرضُ» والمعروف هو الأول.

واختلفوا فى الكرسى، قال الحسن: هو العرش نفسه. وقال أبو هريرة: الكرسى موضوع قُدَّام العرش.

ومعنى قوله: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ أى: سعته مثل سعة السموات والأرض وأوسع منه، وهو ظاهر فى قراءة الحضرمى، وفى الأخبار «أن السمو ات والأرض فى جنب الكُرْسى كحلقة فى فَلاَة، والكُرْسى فى جنب العرش كحلقة فى فلاة»(٢).

وفى رواية عطاء عن ابن عباس: أن السموات والأرض فى جنب الكُرْسى كدراهم سبعة على الترس.

---

(١) الجن: ٢٦ – ٢٧.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٣/٧–٨)، وأبو الشيخ في العظمة (ص ٨٦ رقم ٢٢٢، وص ١٠١ رقم ٢٦١) والبيهقى فى الأسماء والصفات (ص ٥١٠ – ٥١١) وابن مردويه في تفسيره – كما في تفسير ابن كثير – (١/٣٠٩ – ٣١٠) من حديث أبي ذر مرفوعاً.

وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ

وروى سعيدبن جبير، عن ابن عباس: أنه أراد بالكرسى علمه. ومثله قول الشاعر:

**مالى بأمرك كرسى أكاتمه ولا بكرسى علم الله مخلوقه.**

ومعناه: العلم. وقيل: هو مُلْكُه وسُلطانُه. قال الزجاج: وفى الجملة هو أمر عظيم يَدُّل على كمال قُدْرَته.

وقوله: ﴿ولا يؤده حفظهما﴾ قيل: هو راجع إلى الله تعالى. يعنى: ولايَثْقُل عليه حفظ السموات والأرض.

وقيل: هو راجع إلى الكرسى، وقيل على هذا: إن الكرسى تحت الأرض كالعرش فوق السموات، والسموات والأرض على الكرسى. وقيل: معلقة بالكرسى.

﴿ولا يؤده﴾ أى: لايثقل على الكرسى حفظ السموات والأرض.

﴿وهو العلى العظيم﴾ يعنى بالعَلىّ: المتعالى عن الأشياء والأنداد.

وقيل: العلى بالمُلْك والسلطنة. والعظيم: الكبير.

وقد ورد فى فضل آية الكرسى أخبار منها:

ما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال لأبى بن كعب: «أى آية أعظم فى القرآن؟ فقال: آية الكرسى. فقال عليه السلام: لِيَهْنِئْكَ العلمُ أبا المُنذر»(١).

قوله: ﴿لا إكراه فى الدين﴾ قيل: سبب نزول الآية أن المرأة من أهل المدينة كان لايعيش لها ولد؛ فكانت تنذر وتقول: إن عاش لى ولد لأُهوِّدَنَّه، فإذا عاش لها ولد جعلتْه بين اليهود، فلما جاء الإسلام وأجلى رسول الله ﷺ بنى النضير إلى الشام بقى بينهم عدد من أولاد الأنصار قد هُوِّدُوا فاستأذنوا رسول الله ﷺ فى استردادهم؛

(١) رواه مسلم في صحيحه (٦/١٣٥ رقم ٨١٠)، وأبو داود (٢/٧٢ رقم ١٤٦٠)، وأحمد (٥/١٤٢)، والحاكم (٣/٣٠٤).

**الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**

فنزلت الآية». ﴿لا إكراه فى الدين﴾ فمن شاء منهم أن يدخل فى الإسلام، فليدخل ومن لم يشأ فلا إكراه فى الدين.

وقال الشعبى: هذا فى أهل الكتاب لايجبرون على الإسلام إذا بذلوا الجزية.

وفيه قول ثالث: أنه كان فى الابتداء، ثم صار منسوخا بآية القتال.

وقوله: ﴿قد تبين الرشد من الغى﴾ أى: الحق من الباطل، والإيمان من الكفر.

وقوله: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله﴾ الطاغوت: هو الشيطان، وينطلق على الواحد والعدد. وقيل: كل ما يعبد من دون الله فهو طاغوت.

وأما الطاغوت فى قوله: ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾[1] هو كعب بن الأشرف خاصة.

وقوله: ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾ العروة: الكوز والدلو. والمراد هاهنا بالعروة الوثقى: العقد الوثيق المحكم فى الدين.

قال ابن عباس: أراد به كلمة لا إله إلا الله. قال مجاهد: أراد به الإسلام. وقيل: هو القرآن ومعناه: فقد تمسك بتمسك.

﴿لا انفصام لها﴾ أى: لا انقطاع لها ﴿والله سميع﴾ بدعائك إياهم إلى الإسلام ﴿عليم﴾ بحرصك على إسلامهم.

قوله تعالى: ﴿الله ولى الذين آمنوا﴾ يعنى: القَيِّم عليهم بالنصر والمعونة والمثوبة.

وقوله: ﴿يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ يعنى: من الكفر إلى الإسلام، وإنما سمى الكفر ظلمات؛ لأن طريق الكفر مشتبه ملتبس. وإنما سمى الإسلام نورا لأن طريقه بين واضح.

(١) النساء: ٦٠.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ

وقوله: ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ أى: من الإسلام إلى الكفر.

فإن قال قائل: كيف يخرجو نهم من الإسلام ولم يدخلوا فيه؟ قيل: هو فى قوم من المرتدين خاصة.

وقيل: هو على العموم؛ وذلك أنهم لما عدلوا وصرفوا عن الإسلام؛ فكأنهم أخرجوا عنه، يقول الرجل لغيره: أخرجتنى عن صلتك، أى: لم تعطنى، ولم تصلنى.

وقوله: ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه﴾ معناه: هل انتهى إليك خبر الذى حاج إبراهيم – وهو نمروذ –؟ قاله قتادة.

وهو أول من تجَبَّر فى الأرض وادعى الربوبية. والمحاجة: المجادلة، ثم بَيَّن المحاجة فى سياق الآية.

قوله: ﴿أن آتاه الله الملك﴾ أى: كانت تلك المحاجة فى الربوبية من نظر الملك وطغيانه.

وقوله تعالى: ﴿إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت﴾ وفى القصص: أن الناس قحطوا على عهد نمروذ، وكانوا يمتارون من عنده الطعام، وكان إذا أتاه الرجل فى طلب الطعام يسأله من ربك؟ فإذا قال: أنت، باع منه الطعام، فجاء إليه إبراهيم فيمن جاء يمتار الطعام، فقال له نمروذ: من ربك؟ قال: ربى الذى يحيى ويميت، فأشغل[1] بالمحاجة ولم يعطه شيئا، فانصرف عنه إبراهيم، ومر بكثيب من الرمل، فملأ منه الجواليق تطييبا لقلوب أهله، فلما بلغ منزله فإذا فيه الدقيق.

(١) في «ك»: فاشتغل.

إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ

وقوله تعالى : ﴿ قال أنا أحيى وأميت ﴾ هذا قول نمروذ حين قال له إبراهيم : ربى الذى يحيى ويميت .

قال سفيان : إنه دعا برجلين وجب القتل عليهما، فقتل أحدهما ولم يقتل الآخر، فهذا إحياؤه وإماتته .

وقوله : ﴿ قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ﴾ فإن قال قائل : لِمَ انتقل إبراهيم من حجة إلى حجة، وهذا يكون عجزا؟ قيل : كانت الحجة الأولى لازمة، ومعارضة نمروذ إياه كانت فاسدة؛ لأنه أراد به الحياة والموت اختراعا، ولم يعارضه بمثله لكنه خاف أن يشتبه على السامعين، فأتى بحجة أوضح من الأولى؛ مبالغة فى الإلزام، وقطعا للشغب .

وقوله : ﴿ فبهت الذى كفر ﴾ أى : تحير بغلبة الحجة عليه . ومنه قول الشاعر :

**وما هو إلا أن أراها فجأة فأبهت حتى ما أكاد أجيب**

فإن قال قائل : كيف بهت وكان يمنكه أن يعارض إبراهيم فيقول له : سل أنت ربك حتى يأتى بها من المغرب؟ قلنا : إنما لم يقله؛ لأنه خاف أن لو سأله ذلك دعا، فأتى بها من المغرب؛ فكان زيادة فى فضيحته وانقطاعه .

والصحيح أن الله صرفه عن تلك المعارضة إظهارا للحجة عليه، ولتكون معجزة لإبراهيم .

وقوله : ﴿ والله لايهدى القوم الظالمين ﴾ ظاهر المعنى .

قوله تعالى : ﴿ أو كالذى مر على قرية ﴾ تقديره : ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم، وإلى الذى مر على قرية؟ .

وقيل : تقديره : هل رأيت كالذى حاج إبراهيم، وكالذى مر على قرية؟ .

عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ

واختلفوا فى الذى مر على قرية، فقال قتادة: هو عزير النبى. وقال وهب: هو إرمياء النبى. وقال محمد بن إسحاق: هو الخضر - عليهم السلام -.

والصحيح: أنه كان عزير النبى مر على قرية، يعنى: على بيت المقدس.

وقوله: ﴿ وهى خاوية على عروشها ﴾ قيل: كانت السقوف ساقطة على الأرض، وكانت الجدران متساقطة على السقوف، فهى الخاوية على عروشها. ومعناه: أنها كانت خالية، وكان قد خربها، بختنصر الملك البابلى.

وقوله: ﴿ قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها ﴾ وفى القصة: أن عزيرا مرّ [بها](١) وهو على حمار ومعه التين والعصير فقال: أنى يحيى هذه الله بعد موتها؟!

فإن قال قائل: كيف قال: أنى يحيى هذه الله بعد موتها، وهذا يكون سببه الشك فى قدرته؟ قيل: لم يكن شاكا فيه؛ وإنما قال ذلك استبعادا على ما يقال فى العادة، أى: لايحيى هذه الله بعد خرابها.

قال عطاء: دخل فى قلبه ما يدخل فى قلوب الناس.

وقوله: ﴿ فأماته الله مائة عام ثم بعثه ﴾ أى: أحياه، وإنما سمى الإحياء بعثا؛ لأنه إذا أحيى يبتعث للأمور.

وفى القصة: أنه لما قال تلك المقالة غلبه النوم، فقبض الله روحه مئة عام، وبعث مَلكًا عمّر بيت المقدس فى تلك الأعوام، ثم لما أحياه بعث إليه مَلَكًا فسأله: كم لبثت؟

فهذا معنى قوله: ﴿ قال كم لبثت ﴾ وقوله: ﴿ قال لبثت يوما أو بعض يوم ﴾ لأن الله تعالى إنما أماته فى أول النهار وبعثه فى آخر النهار وقبل غروب الشمس، فقال:

---

(١) في «الأصل» و«ك»: به، والصواب ما أثبتناه وهو ما يقتضيه السياق.

**لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ**

لبثت يوما، ثم نظر إلى الشمس لم تغرب بعد، فقال: أو بعض يوم ﴿قال﴾ – يعنى – الملك –: ﴿بل لبثت مئة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه﴾ أى: لم يتغير؛ فإن التين الذى كان معه لم يتغير؛ كأنه قطف من ساعته، وكذلك العصير كأنه عصر من ساعته.

قال الكسائى: لم يتسنه، معناه: كأنه لم تأت عليه السنون، وقطف من ساعته.

وقال مجاهد: معناه لم ينتن، ومنه قوله تعالى ﴿من حمأ مسنون﴾(١).

وقيل: أصله لم يتسنن، فقلبت إحدى النونين هاء ومثله فى كلام العرب كثير، مثل: يتمطى كان فى الأصل (يتمطط)، فقلبت إحدى الطائين ياء. وقال الشاعر:

**يقضى البازى إذا البازى انكسر**

وكان فى الأصل: (يقضض البازى).

وقوله: ﴿وانظر إلى حمارك﴾ قيل: فنظر إليه، فإذا عظام بيض تلوح نخرة فركَّب الله تعالى العظام بعضها على بعض، وجعله حماراً من عظام، ثم أدخل فيه الدم، ثم كساه الجلد، ثم نفخ فيه الروح، فقام الحمار ونهق، وهو ينظر إليه، فهذا معنى قوله: ﴿ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها﴾ يقرأ بقراءتين بالراء: نحييها، وبالزاى: يركب بعضها على بعض، من النَّشَز، وهو الارتفاع(٢).

وقوله: ﴿ثم نكسوها لحما﴾ فى الآية تقديم وتأخير، وتقديرها: وانظر إلى حمارك، وانظر إلى العظام كيف ننشزها، ثم نكسوها لحما لنحييها.

---

(١) الحجر: ٢٦، ٢٨، ٣٣.

(٢) قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائى، وعاصم بالزاى المنقوطة، وقرأ الباقون بالراء المهملة. انظر النشر (٢/ ٢٣١).

نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن

وقوله: ﴿ ولنجعلك آية للناس ﴾ وبيان الآية فيه: أنه بُعِثَ شابا، وابنه شيخ.

قال على – رضى الله عنه –: أماته الله وهو ابن خمسين سنة وامرأته حامل، ثم بُعِثَ بعد مئة سنة وهو ابن خمسين، وابنه [ابن][1] مئة سنة.

وقوله: ﴿ فلما تبين له قال أعلم ﴾ فلما ظهرت له قدرة الله تعالى على عمارة بيت المقدس، وإحياء الموتى ﴿ قال أعلم ﴾ يقرأ بقراءتين: على الخبر، وعلى الأمر[2]، أما على الخبر فمعناه: علمت أن الله على كل شيء قدير، وأما على الأمر قال لنفسه: ﴿ أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى ﴾ قيل: سبب سؤاله ذلك: أن إبراهيم مرّ على حيوان على شط البحر مزقته السباع والوحش، وكان يأكل منه حيتان البحر، فقال: رب أرنى كيف تحيى الموتى.

وفيه قول آخر: أنه لما حاجّه نمروذ فى إحياء الموتى؛ أراد أن يعرف بالعيان ما آمن به بالخبر والاستدلال.

وقوله تعالى: ﴿ قال أو لم تؤمن ﴾ يعنى: قد آمنت فلم تسأل؟ وهذا مثل قول الشاعر:

**ألستم خير من ركب المطايا**

يعنى: أنتم كذلك.

وقوله: ﴿ قال بلى ولكن ليطمئن قلبى ﴾ فإن قال قائل: أكان إبراهيم شاكا فيه

(١) ليست فى «الأصل» ولا «ك».

(٢) قرأ حمزة، والكسائى بهمزة وصل وإسكان الميم على الأمر، وإذا ابتدأ كسر الهمزة، وقرأ الباقون بهمزة قطع، ورفع الميم على الخبر. انظر النشر (٢ / ٢٣١ – ٢٣٢).

لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ

حتى احتاج إلى السؤال، وما معنى قوله عليه السلام: «نحن أحق بالشك من إبراهيم»(١)؟ والجواب: أنه لم يكن شاكا فيه، ولكنه إنما آمن بالخبر والاستدلال، فأراد أن يعرفه عيانا.

قال عكرمة: ليزداد يقينا على يقين؛ لأن العيان فوق الخبر فى ارتفاع العلم. وقد قال عليه السلام: «ليس الخبر كالمعاينة»(٢).

وأما قوله: ﴿ولكن ليطمئن قلبى﴾؛ وذلك أنه لما سأل ذلك تعلق به قلبه، فقال: ولكن ليطمئن قلبى عن ذلك التعلق.

وقيل: إنما قال ذلك؛ لأن الله تعالى لما اتخذه خليلا، قال ملك الموت: يارب، ائذن لى حتى أبشره؛ فبشره بأن الله اتخذك خليلا فأراد أن يريه الله إحياء الموتى تخصيصا له بكرامته؛ ليطمئن قلبه بالخلة.

وقيل معناه: ولكن ليطمئن قلبى، فأعرف أنى إذا سألتك أعطيتنى، وإذا دعوتك أجبتنى. وأما قوله ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم»(٣) إنما قاله على سبيل التواضع، يعنى: نحن دونه، وأحق بالشك منه، فإذا لم نشك نحن فكيف يشك إبراهيم؟

وقوله تعالى: ﴿قال فخذ أربعة من الطير﴾ قيل: هى الطاووس، والديك، والحمامة، والغراب.

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخاري (٦/٤٧٣ رقم ٣٣٨٢ وأطرافه فى ٣٣٧٥، ٤٥٣٧، ٤٦٩٤، ٦٩٩٢)، ومسلم (٢/٢٤٠ - ٢٤١، ١٥/١٧٩ رقم ١٥١).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١/٢١٥، ٢٧١)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٩٦ - ٩٧ رقم ٦٢١٣، و٦٢١٤)، وابن عدي في الكامل (٧/٢٨، ١٣٦)، والحاكم في مستدركه (٢/٣٢١)، وصححه جميعهم من حديث ابن عباس مرفوعًا. وفي بعض ألفاظه اختلاف، وفي الباب عن ابن عمرو، وأنس وأبي هريرة.

(٣) سبق.

جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ

وقوله تعالى: ﴿فصرهن إليك﴾ أى: فضمهن إليك. وقرأ حمزة بكسر الصاد[1].

وفيه تقديم وتأخير، وتقديره: فخذ أربعة من الطير إليك فصرهن، أى: فقطعهن.

وقوله: ﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا﴾ قيل: جعلها على أربعة أجبل.

وقال السدى: على سبعة أجبل، وقال ابن عباس: على أربعة أرباع العالم، جزءا على جبل بجانب الشرق[2]، وجزءا على جبل جانب الغرب[2]، وجزءا على الشمال، وجزءا على الجنوب.

وفيه قول آخر: أنه أراد بقوله: ﴿اجعل على كل جبل منهن جزءا﴾ أى: عشرا، وكان على عشرة أجبل؛ حتى ذهب بعض العلماء من هذا إلى أنه لو أوصَى الإنسان بجزء من ماله ينصَرِف إلى العُشْر.

وقوله: ﴿ثم ادعهن يأتينك سعيا﴾ وفى القصة: أنه جزَّء تلك الطيور الأربعة، وخلط اللحم باللحم، والريش بالريش، والعظم بالعظم، وجعلها على الأجبل.

وقيل: دقَّه بالهَاوُن وأخذ رءوسهن بين أصابعه، وقيل: مناقيرهن، ثم دعاهن؛ فكان يطير الريش إلى الريش، واللحم إلى اللحم، والدم إلى الدم، ويُركَّب بعضها على بعض، وأَتَيْنَ ساعيات إلى رءوسهن.

وقوله تعالى: ﴿واعلم أن الله عزيز حكيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله﴾ قيل: سبيل الله: الجهاد.

---

(١) وهى قراءة أبى جعفر، وخلف، ورويس. انظر النشر (٢/٢٣٢).

(٢) في «ك»: المشرق.. المغرب.

يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

وقيل: جميع أبواب الخير سبيل الله.

وقوله: ﴿كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مئة حبة﴾ ضربه مثلا للمتقين وما وعد من الثواب على الإنفاق.

فإن قال قائل: كيف ضرب المثل به، وهل[1] يتصور فى كل سنبلة مئة حبة؟

قيل: لما كان ذلك متصورا فى الجملة، صح ضرب المثل به وإن لم يعرف، ومثله ما قاله امرؤ القيس:

**ومسنونة زرق كأنياب أغوال**

وناب الغول لايعرف، ولكن لما تصور وجوده بالجملة مثل به. وقيل: هو يتصور فى سنبلة الدخن ونحوه.

وقوله: ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾ قيل: معناه: يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء. وقيل: معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء.

وقوله: ﴿والله واسع﴾ أى: واسع الفضل والرحمة والقدرة، يعطى عن سعة.

وقوله: ﴿عليم﴾ أى: عليم بنية من يعطى.

قوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لايتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى﴾ أما المن: فهو أن يقول للفقير: أعطيتك كذا، وصنعت بك كذا، فيعدد عليه نعمه، وأما الأذى: فهو أن يعير الفقير، فيقول له: إلى كم تسأل، وكم تؤذينى فلا زلت فقيرا ونحو ذلك.

وقيل: من الأذى: أن يذكر إنفاقه عليه عند من لايريد أن يعرف.

وقوله: ﴿لهم أجرهم عند ربهم﴾ أى: ثوابهم، وقوله: ﴿ولاخوف عليهم﴾

(١) فى «ك»: وكيف.

يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ

ولايخافون فوات الثواب، وقوله: ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ أى: على ما أنفقوا إذا رأوا الثواب.

قوله تعالى: ﴿ قول معروف ﴾ قال الحسن: هو القول الجميل.

وقيل: هو أن يعطيه ويُبَرِّك له، فيقول: بارك الله لك فيه، أو يمنعه ويدعو له.

وقوله: ﴿ ومغفرة ﴾ هو: أن تستر خَلَّتَه(١)، ولاتهتك ستره.

وقيل: هو أن تعفو عن الفقير إن بدرت منه مساءة أو أذى.

وقوله: ﴿ خير من صدقة يتبعها أذى ﴾ يقول: ذلك القول المعروف، وتلك المغفرة، خير من صدقة يتبعها أذى.

وقوله: ﴿ والله غنى ﴾ أى: مستغن عن صدقاتكم. وقوله: ﴿ حليم ﴾ أى: لايعجل بالعقوبة إذا منعتم الصدقة.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ﴾ قد ذكرنا معناهما.

وقيل: المَنُّ فى الصدقة بمنزلة الحَدَثِ فى الصلاة، يبطلها ويحبطها.

وقوله: ﴿ كالذى ينفق ماله رئاء الناس ﴾ أى: كإبطال الذى ينفق ماله رئاء الناس؛ لأن الرياء يبطل الصدقة ويحبطها.

وقوله: ﴿ ولايؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ يعنى: النفقة مع الرياء ليس من فعل المؤمنين.

وفى الجملة كل من أتى بالصدقة تقربا إلى مخلوق فلا يكون مؤمنا.

(١) الخَلَّة: الحاجة والفقر. انظر لسان العرب (مادة: خلل).

فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ

وقوله: ﴿ فمثله كمثل صفوان عليه تراب ﴾ الصفوان: الحجر الصلد الأملس.

وقوله: ﴿ فأصابه وابل ﴾ الوابل: المطر الشديد العِظَام القطر.

وقوله: ﴿ فتركه صلدا ﴾ أى: أملس ﴿ لايقدرون على شيء مما كسبوا ﴾ ومعنى هذا المثل: أن الذى يرائى بالإنفاق يفرق نفقته، ولا يفوز بشيء من الثواب، كالتراب الذى يكون على الحجر فيصيبه الوابل؛ فيفوت الذى عليه، ويبقى أملس، بحيث لايقدر على شيء منه.

وقوله: ﴿ والله لايهدى القوم الكافرين ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله ﴾ أى: خالصا لوجه الله.

وقوله: ﴿ و تثبيتا من أنفسهم ﴾ قال قتادة: هو أن يكون محتسبا بالإنفاق.

وقال الحسن: هو أن يثبت من نفسه حتى إن كانت نيته أن يتصدق لله يفعل، وإن كانت نيته غيره يمسك، وقال الكلبى، والشعبى: هو أن يتصدق على يقين بالثواب، وتصديق بوعد الله فيه.

وقوله: ﴿ كمثل جنة بربوة ﴾ الجنة: البستان. والربوة: المكان المرتفع.

وقوله: ﴿ أصابها وابل ﴾ كما ذكرنا. وقوله: ﴿ فآتت أكلها ضعفين ﴾ أى: ثمرها ضعف ما تؤتى غيرها. قوله: ﴿ فإن لم يصبها وابل فطل ﴾ الطل: المطر الخفيف الصغار القطر، ويكون دائما.

ومعنى هذا المثل: أن الذى ينفق خالصا لوجه الله تعالى لا تخلف نفقته، بل تنمو وتزكو بكل حال: كما أن الجنة التى على الربوة لاتخلف، بل تنمو وتزكو بكل حال سواء أصابها الوابل، أو أصابها الطل؛ وذلك أن الطل إذا كان يدوم يعمل عمل

بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

الوابل الشديد.

وقوله: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء﴾ أى: صغارا.

﴿فأصابها إعصارا فيه نار فاحترقت﴾ الإعصار: ريح ترتفع كالعمود نحو السماء، تسميه العرب، وسائر الناس: زوبعة، ومنه قول الشاعر:

**إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا**

وأما معنى الآية: روى أن عمر - رضى الله عنه - سأل الصحابة عن معنى هذه الآية، فقالوا: الله أعلم، فغضب عمر، وقال: قولوا: نعلم، أو لانعلم، ونحن نعلم أن الله يعلم؛ فسكتوا، وكان ابن عباس فيهم فقال: فى قلبى شىء، فقال له عمر: قل، ولا تحقر نفسك، ضرب مثلا لعمل. وروى تمام الكلام فيه. - ثم اختلفوا، منهم من قال: تمام الكلام من عمر، ومنهم من قال: تمام الكلام من ابن عباس -

وتمامه: أن الله تعالى ضرب هذا مثلا للذى يعمل طول عمره عملا، ثم يحبطه برياء أو بشىء فى آخر عمره، فيفوته ذلك، ولاينفعه فى أحوج حال يكون إليه؛ كالذى له بستان ذات أشجار، وثمار، وأنهار، فيدركه الكبر، وله عيلة كبيرة وأولاد صغار، فلما قرب إدراكه واحتاج إليه، أصابته نارٌ فأحرقته، فيفوته ذلك (ولاينفق)[1] فى أحوج حال يكون إليه.

(١) في «ك»: ينبت.

آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾

قوله : ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ . ظاهر المعنى .

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ﴾ أى : من حلال ما كسبتم، وفى هذا دلالة على أن الكسب يتنوع إلى الطيب، والخبيث .

وقوله : ﴿ ومما أخرجنا لكم من الأرض ﴾ قيل : هو الأمر بإخراج العشور .

وقيل : هو أمر بإخراج الحقوق التى كانت واجبة فى نبات الأرض فى الابتداء، ثم صارت منسوخة بآية الزكاة .

وقيل : هو فى صدقات التطوع .

وقوله : ﴿ ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون ﴾ أَمَّ، وتيمم : إذا قصد . وأراد بالخبيث : الردئ ها هنا، أى : ولاتقصدوا الردىء منه تنفقون .

وسبب نزول الآية : « ما روى أن أصحاب النخيل على عهد رسول الله ﷺ كانوا يأتون بقنوٍ فيعلقونه فى المسجد؛ ليأكله الفقراء، فجاء رجل بقنوٍ حشف أردأ ما يكون، وعلقه، فلم يرضه رسول الله ﷺ ونزلت الآية : ﴿ ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون ﴾ »(١) .

وقوله : ﴿ ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ﴾ إلا أن تسامحوا وتساهلوا فى أخذه، ومعناه : أن الحق لو كان لكم على غيركم، فجاء به رديئا لاتأخذونه إلا بإغماض فيه، فتعتقدون أنكم تركتم بعض حقكم وأغمضتم .

وقوله : ﴿ واعلموا أن الله غنى ﴾ يعطى عن غنى ﴿ حميد ﴾ محمود الغنى، وفيه دليل على أن الغنى لغير الله مذموم .

وقيل : الحميد : المستحق للحمد .

---

(١) رواه الترمذي ( ٥ / ٢٠٣ – ٢٠٤ رقم ٢٩٨٧ ) وقال : حسن غريب صحيح، وابن ماجه ( ١ / ٥٨٣ رقم ١٨٢٢ )، والحاكم في المستدرك ( ٢ / ٢٨٥ ) وقال : حديث غريب صحيح على شرط مسلم . جميعهم من حديث البراء بن عازب .

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا

قوله تعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ يخوفكم بالفقر، والباء محذوفة.

وقوله: ﴿ويأمركم بالفحشاء﴾ أى: بأن لا تتصدقوا وتبخلوا، ومنه قول طرفة:

عَقِيلةَ مالِ الفاحِشِ المتشددِ[1]

أى: البخيل المتشدد[2].

والبخل داء عظيم، قال ﷺ «لا داء أدوى من البخل».

وقوله: ﴿والله يعدكم مغفرة منه وفضلا﴾ مغفرة، أى: عفو الله، وفضلا: بالثواب.

وقوله: ﴿والله واسع عليم﴾ وقد ذكرنا معناهما.

وقوله تعالى: ﴿يؤتى الحكمة من يشاء﴾ قال ابن عباس: وهو حكمة القرآن، وهو أن يعرف ناسخه و منسوخه، ومقدمه ومؤخره، ومحكمه ومتشابهه، وحرامه وحلاله، وأمثاله.

وقيل: هو الفقه فى الدين.

وقال إبراهيم النخعى: هو معرفة معانى الأشياء وفهمها.

وفيه قول رابع: هو الإصابة، فعلا وقولا.

وقوله: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾.

قرأ يعقوب: «ومن يؤتِ» بكسر التاء يعنى: ومن يؤته الله الحكمة.

---

(١) هذا شطر من البيت، والشطر الأول كما فى لسان العرب (مادة: فحش):

**أرى الموت يَعتَام الكرامَ ويصطفى**

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٢/ رقم١٢٠٣)، والحاكم (٣/ ٢١٩) من حديث أبي هريرة، وقال: صحيح على شرط مسلم. وقال الهيثمى فى المجمع (٩/ ٣١٨): رواه الطبرانى، والبزار، وفيه سعيد بن محمد الوراق، وهو متروك. وقد روى موقوفا على أبي بكر الصديق كما في البخاري (٦/ ٢٧٤، ٢٧٩ رقم ٣١٣٧)، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٠٧-٣٠٨). وفي الباب عن جابر، وكعب بن مالك.

كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا

قيل: هذه الحكمة: هى الكتابة، ومعرفة الخط.

وقيل: هى العقل. وقيل: الأمانة.

﴿ وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ أى: وما يتفكر إلا أولوا العقول.

قوله تعالى: ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المراد بالنفقة: الزكاة المفروضة، وأما النذر: هو أن ينوى عمل الخير، وصدقة التطوع.

والقول الثانى: أن النفقة هى صدقة التطوع، وأما النذر هو ما عرف من نذر اللسان؛ وهو أن يوجب التصدق على نفسه.

وقوله: ﴿ فإن الله يعلمه ﴾ أى: يجازى. وقال مجاهد: يحصيه.

وقوله: ﴿ وما للظالمين ﴾ أى: الذين يتصدقون من الغصب والنهب. ﴿ من أنصار ﴾ جمع النصير، أى: ما لهم من ينصر ويمنع من العذاب.

قوله تعالى: ﴿ إن تبدوا الصدقات ﴾ معناه: إن تظهروا. ﴿ فنعما هى ﴾ يقرأ بالقراءات بفتح النون، وكسر العين، ويقرأ: بكسرهما، وقرأ أبو عمرو: بكسر النون وجزم العين، ولم يرض ذلك منه نحاة البصرة، وقالوا فيه التقاء الساكنين، واستشهد أبو عمرو بقوله ﷺ لعمرو بن العاص: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»(١) والكل فى المعنى سواء، ومعناه: نعم خلة، هى أو نعم شىء هو.

قوله: ﴿ وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾ قيل: هذا فى صدقات

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (ص٩٠ - ٩١رقم)، وأحمد في مسنده (٤/١٩٧، ٢٠٢)، والحاكم في مستدركه (٢/٢،٢٣٦) وصححه. وأبو يعلى فى مسنده (١٣/٣٢٠ رقم ٧٣٣٦)، والقضاعى فى مسند الشهاب (٢/٢٥٩ رقم ١٣١٥)، و،ابن حبان فى صحيحه - الإحسان - (٨/٦-٧ رقم ٣٢١٠، ٣٢١١). وقال الهيثمى فى المجمع (٩/٣٥٥): رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبرانى فى الأوسط والكبير... ورجال أحمد، وأبى يعلى رجال الصحيح.

وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

التطوع، والإخفاء فيها أفضل، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «صدقة السر تفضل صدقة العلانية بسبعين ضعفا»(١).

وأما الزكاة المفروضة: فالإظهار فيها أفضل، وقد قال ﷺ «صدقة العلانية تفضل صدقة السر بخمس وعشرين»(٢)، وهذا فى الزكاة، والأول فى التطوعات.

وقيل: الآية فى الزكاة المفروضة، وكان الإخفاء خيرا فى الكل على عهد رسول الله ﷺ فأما فى زماننا فالإظهار خير فى الزكاة لسوء الزمان، كيلا يساء الظن به.

وقوله: ﴿ويكفر عنكم﴾ يقرأ: بالنون، والياء، ويقرأ: بالرفع، والجزم(٣) ﴿من سيئاتكم﴾ قيل: من صلة فيه. وتقديره: ويكفر عنكم سيئاتكم، فعلى هذا يكون شاملا للصغائر، والكبائر.

وفيه قول آخر: أن «من» على التحقيق، والتكفير بالصدقات يكون عن الصغائر فأما الكبائر فإنما تكفرها التوبة.

والأول أقرب إلى أهل السنة، وقد قال النبى ﷺ: «صدقة السر تطفئ غضب الرب»(٤).

وقوله: ﴿والله بما تعملون خبير﴾ هذا ظاهر المعنى.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣/٦٢) عن ابن عباس موقوفا، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/٢٥٦ رقم ١٦٧) للحكيم الترمذي في نوادر الأصول.

(٢) هو بقية حديث ابن عباس المتقدم.

(٣) قرأ ابن عامر، وحفص بالياء، وقرأ الباقون بالنون، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائى، وخلف، بجزم الراء، وقرأ الباقون برفعها. انظر النشر (٢/٢٣٦).

(٤) روى هذا الحديث من حديث عمر بن الخطاب، وعبد الله بن جعفر، وأنس بن مالك، وأبي أمامة، وأبي سعيد الخدري، وابن عباس، وابن مسعود، ومعاوية بن حيدة، وأم سلمة.
وقال الشيخ ناصر – حفظه الله – في السلسلة الصحيحة (٤/٥٣٩): وجملة القول أن الحديث بمجموع طرقه وشواهده صحيح بلا ريب. وراجع الصحيحة (رقم١٩٠٨)، والإرواء (رقم ٨٨٥).

﴿٢٧١﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي

قوله تعالى: ﴿ليس عليك هداهم﴾ ليس المراد به: هداية الدعوة، فإنها عليه حتم، وإنما المراد به: هداية التوفيق.

قال سعيد بن جبير: «سبب نزول الآية ما روى: أن النبى ﷺ نهى عن التصدق على المشركين، وإنما كان نهى عنه، كى تحملهم الحاجة على الدخول فى الإسلام فنزلت الآية فأمر النبى - ﷺ - بالتصدق على أهل الأديان كلها»(١).

ومعناه: ليس عليك هداهم، بأن تلجئهم وتحملهم على الدخول فى الإسلام، ﴿ولكن الله يهدى من يشاء﴾ أى يوفق من يشاء، ويخذل من يشاء.

قوله: ﴿وما تنفقوا من خير فلأنفسكم﴾ أى: تعملونه لأنفسكم.

قوله: ﴿وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله﴾ هذا خبر بمعنى الأمر، أى: أنفقوا لوجه الله، ومعناه: ابتغاء مرضاة الله.

وقيل: هو على المبالغة، فإن قول الرجل: عملت لوجه فلان. أبلغ وأشرف من قوله: عملت لفلان، فذكرنا شرف اللفظين.

وقوله: ﴿وما تنفقوا من خير يوف إليكم﴾ أى: يوفر عليكم ثوابه.

﴿وأنتم لا تظلمون﴾ ظاهر.

قوله تعالى: ﴿للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله﴾ يعنى: تلك الصدقات التى سبق ذكرها للفقراء.

قال مجاهد: أراد به فقراء المهاجرين من مكة.

وأما قوله: ﴿أحصروا فى سبيل الله﴾ فيه ثلاثة أقوال:

[أحدها](٢): قال ابن عباس: يعنى: حبسهم العدو والفقر عن سبيل الله والجهاد، فصاروا محصورين عنه.

(١) الطبري في تفسيره (٣/٦٣).

(٢) من «ك».

الأَرْضِ يحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا

وقال سعيد بن المسيب: أراد به: أنهم خرجوا إلى الحرب، فأصابتهم جراحات، فصاروا محصَرين عن الجهاد بسبب الجراحات.

وقال قتادة – وهو أحسن الأقوال –: معناه: أنهم حبسوا أنفسهم على الجهاد فى سبيل الله، وتركوا الخروج للتجارة والمعاش، ووقفوا أنفسهم على الحرب.

وقد ورد ذلك فى أهل الصفة، كانوا قريبا من أربعمائة نفر، اجتمعوا فى مسجد رسول الله ﷺ وكانوا لا يأوون إلى أهل ولا إلى مال، وكان يبعث الناس إليهم بفضل قوتهم، وكانوا وقفوا أنفسهم على الجهاد فى سبيل الله، وقالوا: لا تخرج سرية إلا ونخرج معها، فهذا معنى قوله: ﴿أحصروا فى سبيل الله﴾.

وقوله: ﴿لايستطيعون ضربا فى الأرض﴾ هذا على القولين الأولين يرجع إلى الضرب فى الأرض للجهاد.

وعلى القول الثالث: هو الضرب فى الأرض للمعاش والتجارة.

وقوله: ﴿يحسبهم الجاهل﴾ قال مجاهد: ليس المراد بهذا الجاهل خلاف العالم وإنما هو الذى لاخبرة له ولا معرفة بحالهم.

وقوله: ﴿أغنياء من التعفف﴾ يعنى: من القناعة التى لهم يظنهم من لم يعرفهم أغنياء.

قوله: ﴿تعرفهم بسيماهم﴾ قيل: بالتخشع الذى كان لهم.

وقال الضحاك: بصفرة الألوان.

وقال ابن زيد: برثاثة الثياب.

وقيل: أثر الجوع والجهد.

وقوله: ﴿لايسألون الناس إلحافا﴾ أى: إلحاحا.

وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا

وقيل: أصله من إلحاف؛ فالإلحاف: السؤال على العموم، كأنه يسأل كل من يلقى.

وفيه قول آخر: أنه أراد به ترك السؤال أصلا؛ فإنه إذا سأل فقد ألحف، يعنى: لايسألون أصلا.

والدليل عليه أنه قال: ﴿أغنياء من التعفف﴾ وإذا سأل لايكون متعففا، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من سأل وعنده أوقية فقد ألحف»(١). يعنى: عنده أربعون درهما.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره، خير له من أن يسأل الناس أعطى أو منع»(٢).

وقوله: ﴿وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية﴾.

قال ابن عباس: هذا فى على بن أبى طالب، كانت له أربعة دراهم، فتصدق بدرهم بالليل، ودرهم بالنهار، ودرهم فى السر، ودرهم فى (العلن)(٣)؛ فنزلت الآية رضا بفعله، وثناء عليه.

وقيل: أراد بالنفقة ها هنا: النفقة على الخيل فى سبيل الله؛ فإنها تعتلف من تلك النفقة ليلا ونهارا، وسرا وعلانية؛ والنفقة على الخيل فى سبيل الله باب عظيم فى

---

(١) رواه وأبو داود في سننه (٢/١١٦ - ١١٧ رقم ١٦٢٨)، والنسائي (٥/٩٨ رقم ٢٥٩٥)، والإمام أحمد في مسنده (٣/٧، ٩) وابن خزيمة في صحيحه (٤/١٠٠رقم ٢٤٤٧)، وابن حبان في صحيحه (٨/ ١٨٤ - ١٨٥رقم ٣٣٩٠) عن أبي سعيد الخدري.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، رواه البخاري (٣/٢٩٣ رقم ١٤٧٠ وأطرافه فى ١٤٨٠، ٢٠٧٤، ٢٣٧٤)، ومسلم (٧/١٨٤ - ١٨٥ رقم ١٠٤٢).

(٣) في «ك»: العلانية.

وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ

---

الخير. وقد ورد فى الحديث: «أنه يؤجر بأرواثها وأبوالها»(١).

وقوله تعالى: ﴿فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿الذين يأكلون الربا﴾ أى: يأخذون، فعبر بالأكل عن الأخذ؛ لأنه يؤخذ ليؤكل.

وقوله: ﴿لايقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس﴾.

الخبط: ضرب على غير استواء، يقال: فلان يخبط خبط عشواء، إذا كان يسلك طريقا لايهتدى إليه. ومنه قول الشاعر:

**رأيت المنايا خَبْطَ عشواء من تُصِبْ ... تُمِتْهُ ومن تخطىء يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ**

ومعناه: أن آكل الربا يحشر يوم القيامة كمثل السكران، يقوم تارة، ويقع أخرى.

وقيل: هو من تخبط الشيطان، وذلك [أن](٢) يدخل الإنسان فيصرعه.

والمس: الجنون، والخبط: أول الجنون، ومعناه: أنه يحشر يوم القيامة كمثل المصروع؛ وذلك علامة أكلة الربا يوم القيامة.

وقوله: ﴿ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا﴾. أراد بهم ثقيف؛ فإنهم قالوا إنما البيع مثل الربا.

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، فرواه البخارى (٥/٥٦ رقم ٢٣٧١، وأطرافه فى ٢٨٦٠، ٣٦٤٦، ٤٩٦٢، ٤٩٦٣، ٧٣٥٦)، ومسلم (٧/٨٩ - ٩٧ رقم ٩٨٧).

(٢) فى «الأصل وك»: أن لا، ولعل «لا» زيادة مقحمة.

وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ

﴿ وأحل الله البيع وحرم الربا ﴾ هذا جوابهم.

وقوله: ﴿ فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى ﴾ يعنى: من أكل الربا.

﴿ فله ما سلف ﴾ أى: مغفورا له ما سلف منه ﴿ وأمره إلى الله ومن عاد ﴾ إلى أكل الربا ﴿ فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ يمحق الله الربا ﴾ أى: يُذْهِبَ بركة المال؛ فإن للحلال بركة، وليست للحرام بركة.

وقيل: معناه: يبطل الصدقة من الربا ﴿ ويربى الصدقات ﴾ ويكثر الصدقات ﴿ والله لايحب كل كفار أثيم ﴾ فالكَفَّار: عظيم الكفران، والأثيم: كثير الإثم.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ وقد سبق تفسيره.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ﴾. نزل هذا فى ثقيف وبنى مخزوم تنازعوا إلى عتّاب بن أسيد قاضى مكة فقالت ثقيف إنما أسلمنا على أن ما علينا من الربا موضوع وما لنا باقي فكتب بذلك عتاب إلى رسول الله ﷺ فنزلت الآية، فبعث رسول الله ﷺ بالآية إلى عتاب ليقرأ عليهم»(١).

وقوله: ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ يعنى: ترك الربا من فعل المؤمنين».

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ٧١) عن ابن جريج مرسلا. وعزاه السيوطى فى الدر (١/ ٣٧٧) لابن أبى حاتم بنحوه عن مقاتل، وفيه شك فى اسم الصحابى، هل هو معاذ بن جبل أم عتاب. ورواه أبو يعلى - كما في أسباب النزول للواحدى من طريقه (ص٦٤ - ٦٥) - بإسناده عن ابن عباس في حديث طويل.

لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ

وقيل: معناه: إذ كنتم مؤمنين.

والآية فى إبطال ربا الجاهلية؛ وذلك أنهم كانوا يدينون الناس بشرط أن يزيدوا فى الدين عند الأداء، وكان يقرض الرجل غيره، ويضرب له أجلا، ثم عند حلول الأجل يقول له: زدنى فى الدين حتى أزيدك فى الأجل، فهذا كان ربا الجاهلية وهو حرام.

وقوله تعالى: ﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ أى: فأيقنوا به.

ويقرأ ممدودا: «فآذنوا بحرب من الله»[1] أى: أعلموا غيركم أن يتركوا الربا، إنكم حرب الله ورسوله، فإذا أعلمتم فقد علمتم.

﴿وإن تبتم﴾ أى: تركتم استحلال الربا، ورجعتم عنه ﴿فلكم رءوس أموالكم﴾ أبطل الزيادة، وجعل لهم أصل المال.

وإنما قال: ﴿وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم﴾ لأنهم ما داموا على استحلال الربا كان ما لهم فيئا ليس لهم أصله ولا فرعه.

﴿لاتظلمون ولا تظلمون﴾ أى: لاتَظْلِمُون بطلب الزيادة، ولا تُظْلَمُون بنقصان حقكم فى أصل المال.

قوله تعالى: ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة﴾ قرأ: أبى بن كعب: «وإن كان من عليه الدين ذا عسرة». وقرأ عطاء: «فناظرة إلى ميسرة».

والمعروف: ﴿وإن كان ذو عسرة﴾ أى: وإن وقع ذو عسرة، أو وإن كان ذو عسرة غريما لكم، فنظرة إلى ميسرة، أى: فأنظروه إلى اليسار.

وقرأ نافع: «إلى ميسُرة» بضم السين[2]، وهو مثل الأول فى المعنى.

---

(١) قرأ حمزة، وأبو بكر بقطع الهمزة ممدودة، وكسر الذال، وقرأ الباقون بفتحها ووصل الهمزة. انظر النشر (٢/٢٣٦).

(٢) قرأ نافع بضم السين، وقرأ الباقون بفتحها. انظر المصدر السابق.

تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب

وروى أبو اليسر عن النبى – عليه السلام – أنه قال: «من أنظر معسرا أظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله»(١).

وروى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «كان فيمن قبلكم رجل يداين الناس فقال لفتاه: إذا كان معسرا فتجاوز عنه؛ لعل الله يتجاوز عنا، فلقى الله فتجاوز عنه»(٢). والخبر فى الصحاح.

﴿وأن تصدقوا﴾ يعنى: بترك أصل المال الذى أعطيتموه قرضا. ﴿خير لكم إن كنتم تعلمون﴾.

قوله – تعالى: ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله﴾. قال ابن عباس: هذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ.

قال ابن جريج: إنما عاش بعدها سبع ليال، وفى رواية تسع ليال.

ويروى أن جبريل – صلوات الله عليه – لما نزل بهذه الآية قال: ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة، وهذه الآية مسجلة سجلها الله على الخلق كافة.

﴿ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون﴾ وهو ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين﴾ قال ابن عباس: أشهد أن السلف المضمون المؤجل فى كتاب الله، قد أنزل فيه أطول آية، وتلا هذه الآية.

وقوله: ﴿تداينتم بدين﴾ أى: تعاملتم بالدين، يقال: داينته، إذا عاملته بالدين.

فإن قيل: قوله: ﴿تداينتم﴾ يغنى عن المعاملة بالدين، فلِمَ قال: تداينتم بدين؟ قيل: لأن العرب تقول: تداينا – أى: تعاطينا وتجازينا، وإن لم يكن فى الدين؛ فقال:

---

(١) رواه مسلم (٨/ ١٨١ – ١٩٣ رقم ٣٠٠٦)، وابن ماجة (٢/ ٨٠٨ رقم ٢٤١٩). وأحمد (٣/ ٤٢٧)، والحاكم (٢/ ٢٨–٢٩) والبيهقى فى الكبرى (٥/ ٣٥٧).

(٢) متفق عليه. رواه البخاري (٤/ ٣٦١ رقم ٧٠٢٨ وطرفه فى ٣٤٨٠)، ومسلم (١٠/ ٣٢٣ – ٣٢٤ رقم ١٥٦٢).

**بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا**

﴿ تداينتم بدين ﴾ ليعرف المعنى المراد من اللفظ، ويحتمل أنه قاله تأكيدا. ﴿ إلى أجل مسمى ﴾ الأجل: مُدَّة معلومة الأول والآخر، وهذا يشتمل على الأجل فى السلم، والأجل فى الثمن، والأجل فى القرض، ولم يجوّز أكثر العلماء الأجل فى القرض، وجوزه بعضهم.

﴿ فاكتبوه ﴾ قيل: هو على الوجوب، وهو قول مجاهد.

وقال الشعبى: إنما يجب الكتب إذا وجد من يكتب، والأصح أنه على الندب.

وقال أبو سعيد الخدرى: هذا الأمر منسوخ بقوله تعالى: ﴿ فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى أؤتمن أمانته ﴾.

وقوله: ﴿ وليكتب بينكم كاتب بالعدل ﴾. الكتابة بالعدل هو: أن يكتب من غير زيادة ولانقصان، ولاتقديم فى الأجل ولا تأخير.

﴿ ولا يأب كاتب أن يكتب ﴾ قيل: الكتابة واجبة على الكتبة لظاهر الآية، والأصح أنه على الندب.

﴿ كما علمه الله فليكتب ﴾ أى: كما شرعه الله، فليكتب.

﴿ وليملل الذى عليه الحق ﴾ الإملال والإملاء بمعنى واحد.

والإملال لغة قريش وبنى أسد، والإملاء: لغة قيس وتميم، وهما مذكوران فى القرآن.

فالإملال هاهنا، والإملاء فى قوله: ﴿ فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ﴾(١).

﴿ وليتق الله ربه ﴾ يعنى: المملى ﴿ ولايبخس منه شيئا ﴾، ولا ينقص من الحق شيئا.

وقوله: ﴿ فإن كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا ﴾ أما السفيه: قال مجاهد:

(١) الفرقان: ٥.

**يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا**

---

هو الجاهل.

وقال الزجاج: هو خفيف العقل، ويشتمل هذا على: المرأة، والصغير ونحوه، ومنه قول الشاعر:

**مشينَ كما اهتزت رماحٌ تسفهت ... أعاليهـا مَـرُّ الريـاحِ النواسـمِ**

وقيل: السفيه: الصغير ومذهب الشافعي: أنه المبذر المفسد لماله.

وأما الضعيف: هو ضعيف العقل من عته، أو جنون.

﴿ أو لايستطيع أن يمل هو ﴾ أي: لايقدر على الإملال من خرس، أو عمى.

﴿ فليملل وليه بالعدل ﴾ يعني: ولىّ هؤلاء.

أما من لم يجوز الحجر على السفيه - كالنخعي، وابن سيرين، وغيرهما - قالوا: أراد بالولي: صاحب الحق، يعني: إن عجز من عليه الحق من الإملال فليملل الذى له الحق.

﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم ﴾ أي: وأشهدوا.

﴿ فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ﴾ يعني: فإن لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامرأتان.

﴿ ممن ترضون من الشهداء ﴾ وهم أهل الفضل والدين، قاله ابن عباس. ﴿ أن تضل إحداهما ﴾ أن تنسى وتغفل إحداهما، وذلك بأن يغيب حفظها عن الشهادة، أو تغيب الشهادة عن الحفظ.

﴿ فتذكر إحداهما الأخرى ﴾ وذلك بأن تقول: ألسنا حضرنا مجلس كذا؟ ألم نسمع كيت وكيت؟.

**الأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً**

---

وقرأ حمزة: «إِنْ تضل فتذكرُ إحداهما الأخرى» على الشرط(١).

قال سفيان بن عيينة: فتذكر إحداهما الأخرى، معناه: تجعل إحداهما الأخرى ذَكَرًا، أى: يقومان مقام الذكر، والأول أصح.

﴿ ولايأب الشهداء إذا ما دعوا ﴾ قيل: أراد به: إذا ما دعوا للتحمل، وإنما سماهم شهداء على معنى أنهم يكونوا شهداء. وقيل: هو الدعاء إلى الشهادة.

﴿ ولاتسأموا ﴾ أى: لاتملوا ﴿ أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ﴾ يعنى: الذى قَلَّ أو كَثُر.

﴿ ذلكم أقسط عند الله ﴾ أعدل عند الله ﴿ وأقوم للشهادة ﴾ لأن الكَتَبة تذكر الشهود.

﴿ وأدنى ألا ترتابوا ﴾ أى: أن لاتشكوا ﴿ إلا أن تكون تجارة حاضرة ﴾ قرأ: بضم التاء على اسم كان، وقرأ بفتح التاء، يعنى: إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة، ومثله قول الشاعر:

**فِدىً لِبَنِى ذهلِ بنِ شيبانَ ناقتى ... إذا كان يوما ذا كواكبَ أشهبا(٢)**

يعنى: إذا كان اليوم يوما.

﴿ تديرونها بينكم ﴾ يعنى: إذا كانت التجارة يدا بيد.

---

(١) قرأ حمزة: «إن» بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها، وقرأ: «فتذكرُ» بضم الراء، وقرأ الباقون بفتحها.
وقرأ ابن كثير، ويعقوب، وأبو عمرو بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد. انظر النشر (٢ / ٢٣٦ – ٢٣٧)، وتفسير البغوى (١ / ٢٦٩).

(٢) جاء هذا الشطر من البيت فى لسان العرب (مادة: شهب) كما يلى:
إذا كان يومٌ ذو كواكبَ أشهبُ

تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا

﴿ فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ﴾ أمر به استحبابا.

﴿ ولا يضار كاتب ولا شهيد ﴾ قرأ عمر: «ولا يضارِرَ» وقرأ ابن مسعود: «ولايضارَر» والمعروف: ﴿ ولايضارَّ ﴾، وهذا يحتمل أن يكون نهيا للكاتب والشاهد عن الإضرار، ويحتمل أن يكون نهيا للمملى والداعى.

فأما إضرار الشهود والكاتب: أن يأبى الكتابة والشهادة إذا دعى إليها.

وأما الإضرار بالكاتب والشهود: أن يدعوه وهو مشغول، فيمنعه من شغله.

قوله تعالى: ﴿ وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم ﴾ أى: معصية منكم ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا ﴾. قرأ عطاء: «ولم تجدوا كُتَّابًا» وهو جمع الكاتب، كما يقال: قائم وقيام، ونائم ونيام.

﴿ فرهن مقبوضة ﴾ ويقرأ: «فرهان» مقبوضة والمعنى واحد(١).

وحكم الرهن معلوم، وليس ذكر السفر، وعدم الكاتب على سبيل الشرط فى جواز الرهن؛ وإنما خرج الكلام على الأعم الأغلب.

﴿ فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته ﴾ يعنى: إن ائتمنه فى الدين فليقضه على الأمانة.

﴿ وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ﴾ نهى الشهود عن كتمان الشهادة، وهو

(١) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بضم الراء والهاء، من غير ألف، وقرأ الباقون: بكسر الراء، وفتح الهاء، وألف بعدها. انظر النشر (٢/٢٣٧).

فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

---

حرام.

﴿ ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ﴾ قيل: ما أوعد الله تعالى على شيء كإيعاده على كتمان الشهادة، فإنه قال: ﴿ فإنه آثم قلبه ﴾ وأراد به مسخ القلب، ونعوذ بالله ﴿ والله بما تعملون عليم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ لله ما فى السموات وما فى الأرض ﴾ مِلْكًا ومُلْكًا. ﴿ وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ هذا منسوخ؛ فإنه روى: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين وقالوا: يحاسبنا الله بما نحدث به أنفسنا؟! وبقوا فى ذلك حولا كاملا؛ فنزل قوله تعالى: ﴿ لايكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ فصار هذا منسوخا به.

هذا قول أبى هريرة وابن مسعود، ( وابن عمر )[1]، وفى إحدى الروايتين عن ابن عباس.

وقد قال النبى ﷺ: «إن الله تعالى عفى عن أمتى ما حدثت به أنفسها؛ ما لم تعمل أو تكلم به»[2] أى: تتكلم به».

وقال أهل الأصول: هذا ليس بمنسوخ؛ لأن قوله: ﴿ يحاسبكم به الله ﴾ خبر، والنسخ لايرد على الأخبار، وإنما يرد على الأوامر والنو اهى.

وقد روى الوالبى، عن ابن عباس - فى الرواية الثانية - أن معنى قوله: ﴿ يحاسبكم به الله ﴾ أى: يُعْلِمْكُم به، أى: لايخفى عليه شيء من ذلك.

---

( ١ ) وفى «ك»: وأبى عمر، خطأ.

( ٢ ) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى ( ٥ / ١٩٠ رقم ٢٥٢٨ وأطرافه فى ٥٦٦٩، ٦٦٦٤ )، ومسلم ( ٢ / ١٩٣ رقم ٢٠١ ).

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا

﴿ فيغفر لمن يشاء ﴾ أى : يغفر للمؤمنين ﴿ ويعذب من يشاء ﴾ يعنى : الكافرين ﴿ والله على كل شىء قدير ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ﴾ لأنه ذكر الآيات والأحكام، ثم قال : آمن الرسول بذلك كله .

﴿ والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله ﴾ وقرأ يعقوب : « لايفرق » بالياء[1]، أى : لايفرق الرسول بين أحد من رسله .

﴿ وقالوا سمعنا وأطعنا ﴾ أى : قبلنا ﴿ غفرانك ربنا ﴾ أى : اغفر غفرانك، أو اعطنا غفرانك ربنا ﴿ وإليك المصير ﴾ أى : المرجع .

قوله تعالى : ﴿ لايكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ أى : طاقتها .

وقيل : ما ( يشق )[2] عليها . وهو مثل قول الرجل : لا أستطيع أن أنظر إلى فلان، أى : يشق علي أن أنظر إليه، فكذلك ذكر الوسع بمعنى : السهولة، أى : لايكلف الله نفسا إلا ما يسهل عليها .

وهذه الآية هى الناسخة لما بينا .

﴿ لها ما كسبت ﴾ أى : من الخير ﴿ وعليها ما اكتسبت ﴾ أى : من الشر .

﴿ ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا ﴾ أى : تركنا، وقيل : هى على حقيقة النسيان .

﴿ أو أخطأنا ﴾ الخطأ : يكون بمعنى : العمد، ويكون على حقيقة الخطأ، يقال : أَخْطَأَ يُخْطِئُ وخَطَأَ يَخْطأ [ والمراد ][3] بقوله ها هنا ﴿ أو أخطأنا ﴾ أى : تعمدنا .

---

( ١ ) انظر النشر ( ٢ / ٢٣٧ ) .

( ٢ ) فى « ك » : يضيق .

( ٣ ) ليست فى « الأصل » ولا « ك »، والسياق يقتضيها .

**رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾**

﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ﴾

قيل: هو العهد الثقيل الذي حمل من قبلنا.

وقيل: لاتحمل علينا ما يشق علينا.

وقيل: الإصر: هو ذنب لاتوبة له، أى: اعصمنا من ذنب لاتقبل له توبة.

﴿ ربنا ولاتحملنا ما لاطاقة لنا به ﴾ فى هذا دليل علي أن الله تعالى يجوز أن يُحَمِّل العباد ما لايطيقونه؛ لكنه إنما حمل الكفار ما لايطيقونه ولم يحمل المؤمنين. ﴿ واعف عنا ﴾ أى: امح عنا ﴿ واغفر لنا ﴾ أى: استر علينا. ﴿ وارحمنا ﴾ أى: ارحم علينا.

﴿ أنت مولانا ﴾ أنت ناصرنا والقيم بأمورنا. ﴿ فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ وقد ورد فى فضل الآيتين أخبار، منها: ما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من قرأ فى ليلة بآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه»(١).

وروى أنه قال - عليه السلام -: «هما آيتان أنزلتا علىّ من كنز تحت العرش»(٢).

وﷺ [ وآله أجمعين ](٣).

---

(١) متفق عليه من حديث أبي مسعود الأنصاري، رواه البخاري (٨/ ٦٧٢ رقم ٥٠٠٩ وأطرافه فى ٤٠٠٨، ٥٠٠٨، ٥٠٤٠، ٥٠٥١))، ومسلم (٦/ ١٣٢ رقم ٨٠٧).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤/ ١٤٧، ١٥٨)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٢٨٣ رقم ٧٧٩، ٧٨٠) وأبو يعلى في مسنده (٣/ ٢٧٧رقم ١٧٣٥) عن عقبة بن عامر.

وقال الحافظ ابن كثير في رواية أحمد (١/ ٣٤١): هذا إسناد حسن ولم يخرجوه.

وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٣١٥): الحديث حسن. وفي الباب عن حذيفة وعلي.

(٣) من «ك».

# تفسير سورة آل عمران

وهى مدنية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال الشيخ الإمام الأجل - رضي الله عنه - لقد ورد في فضل هذه السورة وسورة البقرة أخبار منها: ما روي عن رسول الله ﷺ [أنه][1] قال: «تعلموا البقرة وآل عمران فإنهما الزهروان تظلان صاحبهما يوم القيامة»[2].

وروى عنه ﷺ أنه قال: «تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف»[3].

---

(١) من «ك».

(٢) تقدم فى أول سورة البقرة.

(٣) رواه مسلم (٦/ ١٣٠ - ١٣١ رقم ٨٠٥)، والترمذى (٥/ ١٤٧ - ١٤٨ رقم ٢٨٨٣)، وأحمد (٤/ ١٨٣) عن النواس بن سمعان، وقد تقدم تخريجه فى أول سورة البقرة، من حديث أبى أمامة، وبريدة - رضى الله عنهما -.

الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ الله﴾

فالألف: هو الله، واللام: جبريل، والميم: محمد ﷺ، وفيه إشارة لما أنزل الله، على لسان جبريل، على محمد ﷺ.

وقد ذكرنا الأقوال فى حروف التهجى.

وإنما فتح الميم عند الوصل، وإن كان الساكن إذا حرك حرك إلى الكسر؛ لأنهم استثقلوا الكسرة بعد [الجزم، والياء فيه جزم][1].

﴿لا إله إلا هو﴾ لامعبود سواه. ﴿الحى القيوم﴾ فالحى: الدائم الذى لم يزل.

وأما القيوم فقد سبق تفسيره، وقيل: هو الذى لايزول ولايحول. وقال جعفر بن محمد[بن][2] الزبير: هو دائم الوجود. وقرأ عمر، وابن مسعود ﴿الحى القيام﴾ وهو فى الشواذ.

قوله تعالى: ﴿نزل عليك الكتاب بالحق﴾ الكتاب: القرآن، وسمى كتابا؛ لأنه يجمع الآى والحروف، وهو من الكتب وهو: الجمع، ومنه: الكتيبة و[هى] السرية لاجتماعهم.

ومنه يقال: كتبت البغلة، إذا جمع بين شفريها بحلقه. وقوله: ﴿بالحق﴾ أى: بالصدق فى الدلالات والإخبارات، والوعد والوعيد.

وقوله: ﴿مصدقا لما بين يديه﴾ يعنى: القرآن مصدق لما قبله من التوراة والإنجيل. وإنما قال: ﴿لما بين يديه﴾؛ لأنه فى تصديق ما قبله، وإظهار صدقه، كالشىء الحاضر بين يديه.

﴿وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس﴾

(١) من «ك».

(٢) ليس فى الأصل ولا «ك» والصواب إثباتها.

الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لا

فذكر هاهنا ﴿ أنزل ﴾ وذكر في الابتداء ﴿ نزل الكتاب ﴾، لأنه أنزل التوراة جملة والإنجيل جملة، ونزل القرآن مفصلاً.

وأما التوراة أصلها وَوْرِيَةٌ من الورى، من قولهم ورى الزند إذا أضاء، وخرجت ناره، ويقال: ورى زندى عند فلان؛ إذا أضاء أمره عنده.

فسمى وورية؛ لضيائها وكونها نوراً، وقلبت الواو تاء فصارت تورية. وأما الإنجيل من «النجل» وهو الأصل فسمى به؛ لأنه كان أصلاً من الأصول فى العلم.

﴿ وأنزل الفرقان ﴾ قيل: هو القرآن، وهو المفرق بين الحلال والحرام، وقيل: كل ما أنزل الله فهو فرقان؛ لكونه مفرقاً بين الحلال والحرام، وفى الآية تقديم وتأخير، وتقديره وأنزل التوراة والإنجيل من قبل، وأنزل الفرقان هدى للناس.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد ﴾ «نزلت فى وفد نجران من النصارى، قدموا على رسول الله ﷺ، وفيهم السيد والعاقب: كانا رجلين منهم، وهم ستون راكبًا، وقيل: قريبًا من عشرين راكبًا، فدخلوا المسجد، والنبى ﷺ قد صلى العصر، فوقفوا يصلون نحو المشرق صلاتهم، فلما فرغوا سألهم رسول الله عن عيسى، فاختلفوا فيه، فقال بعضهم: الله. وقال بعضهم: ابن الله، وقال بعضهم: ثالث ثلاثة، فقال ﷺ: أسلموا، فقالوا: نحن مسلمون، فقال ﷺ: كذبتم؛ يمنعكم من ذلك قولكم عيسى ولد الله. فأنزل الله تعالى فيهم بضع وثمانين آية، من أول سورة آل عمران فى الحِجَاج، والدِّلالة عليهم، وردِّ قولهم، وهذه الآية من جملتها نزلت فيهم»(١).

﴿ والله عزيز ذو انتقام ﴾ فالعزيز: المنيع الذى لا يُقْدَر عليه، ومنه: الأرض العزاء،

(١) رواه ابن جرير الطبري (٣/١٠٨) من طريق ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير مرسلا، الخبر بطوله، وفي أماكن متفرقة من تفسيره. وعزاه صاحب الدر المنثور (٢/٣-٤) لابن إسحاق، وابن المنذر أيضا.
وعزاه في الدر (٢/٤٣) لأبي نعيم في الدلائل، من حديث ابن عباس ولكن قال: «وهم أربعة عشر رجلا..» الحديث، ورواه ابن مردويه من حديث رافع بن خديج. إلا أنه قال فى الأشراف: «كانوا اثنى عشر..» الحديث. (تفسير ابن كثير ١/٣٦٩)

يَخْفَىٰ عَلَيهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ

وهى الصلبة الشاقة المسلك، وقيل: العزيز: الغالب الذى لايفوته شيء، ومنه: يقال: من عزَّ بزَّ أى[1] من غلب سلب، والمنتقم المعاقب على (الجناية)[2]، والنقمة: العقوبة.

قوله تعالى: ﴿إن الله لايخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء﴾ وهذا لاشك فيه.

﴿هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء﴾ هذا فى الرد على وفد نجران؛ حيث قالوا: عيسى ولد الله، فكأنه يقول: هو الذى صوره فى الرحم، (فكيف يكون ولد له)[3]؟!

وقد روى عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال: إن النطفة إذا وقعت فى الرحم تكون أربعين يوماً نطفة، ثم أربعين يوماً علقة، ثم أربعين يوماً مضغة، ثم يبعث الله تعالى ملكاً يأخذ تراباً بين أصبعيه فيخلطه بالمضغة، ثم يصوره بإذن الله كيف (شاء)[4]، أحمر أو أسود أو أبيض، طويلاً أو قصيراً، حسناً أو قبيحاً، ثم يكتب رزقه وعمله وأثره وأجله وشقى أو سعيد، ثم إذا مات يدفن فى التربة التى أخذ منها التراب. ﴿لا إله إلا هو العزيز﴾ فى أمره ﴿الحكيم﴾ فى سلطانه.

قوله تعالى ﴿هو الذى أنزل عليكم الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾ اختلفوا فى المحكمات والمتشابهات، قال ابن عباس: المحكمات هى[5] الآيات الثلاث التى فى آخر سورة الأنعام، وذلك قوله: ﴿قل تعالوا﴾[6] إلى

(١) تكررت فى الأصل من الناسخ.

(٢) في «ك»: الخيانة.

(٣) في «ك»: فكيف يكون له ولداً.

(٤) في «ك»: يشاء الله.

(٥) فى «ك»: من.

(٦) الأنعام: ١٥١.

آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ

آخر الآيات الثلاث، وأما المتشابهات: حروف التهجي في أوائل السور. وقال عكرمة ومجاهد: المحكمات: الحلال والحرام[1]، وما سواه كله من المتشابهات؛ لأنه يشبه بعضها بعضاً في الحق، والتصديق، يصدق بعضه بعضها.

وقال الضحاك: المحكمات: الناسخات، والمتشابهات: المنسوخات.

وقال جابر بن عبد الله الأنصاري: المحكمات ما أوقف الله تعالى الخلق على معناها، والمتشابهات ما لايعقل معناها، ولايعلمها إلا الله. وفيه قولان آخران: أحدهما: أن المحكمات ما لايشتبه معناها، والمتشابهات ما يشتبه ويلتبس معناها. والقول الثاني: أن المحكمات ما يستقل بنفسه في المعنى، [والمتشابهات][2] ما لايستقل بنفسه في المعنى إلا بنوع استدلال، أو رُدَّ إلى غيره؛ وإنما سميت محكمات من الإحكام؛ (كأنه)[3] أحكمها؛ فمنع الخلق من التصرف فيها؛ لظهورها (ووضوح)[4] معناها.

﴿هن أم الكتاب﴾ أي: أصل الكتاب، فإن قال قائل: لِمَ لم يقل: هن أمهات الكتاب؟ قيل: قال الفراء: تقديره: هن الشيء الذي هو أصل الكتاب. وقال غيره: معناه: كل واحدة منهن أصل الكتاب، كما يقال: القوم أسد عليّ، أي: كل واحد منهم أسد عليّ، ومعناه: هن أصل الكتاب؛ لأن الخلق يفزعون إليه، كما تفزع الفروع إلى الأصول، فإن قال قائل: كيف فرق ها هنا بين المحكمات والمتشابهات، وسمى كل القرآن متشابها في قوله تعالى ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها﴾[5]. وسمى الكل محكماً حيث قال: ﴿الر. كتاب أحكمت آياته﴾[6]؟ قلنا: لما ذكر هنالك ﴿كتاباً متشابه﴾ على معنى: أنه يشبه بعضه بعضاً في الحق والصدق، وإنما ذكر في الموضع الآخر ﴿أحكمت آياته﴾[7] على معنى أن الكل حق وجدٌّ، ليس فيه

(١) في «ك»: الحلالات والحرامات.
(٢) من «ك».
(٣) في «ك»: لأنه.
(٤) في «ك»: وظهور.
(٥) الزمر: ٢٣.
(٦) هود: ١، ٢.
(٧) هود: ٢.

عبث ولا هزل، ثم ذكر تفصيلاً آخر بعده، فجعل البعض محكمًا والبعض متشابهًا.

﴿فأما الذين فى قلوبهم زيغ﴾ قال مجاهد: الزيغ: اللبس. وقيل: هو الشرك، وقيل: هو الشبهات التى تتعلق بالقلب ﴿فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ يعنى: أن الذين فى قلوبهم زيغ يغلون فى طلب التأويل للمتشابه؛ فيقعون على التأويل المظلم؛ فذلك ابتغاء الفتنة؛ لأن من غلا فى الدين، وطلب تأويل ما لايعلمه إلا الله، يقع فى الفتنة، ويكون مفتونًا، وخير الدين: النمط الأوسط الذى ليس فيه غلو ولا تقصير.

ثم اختلفوا فى الذين يتبعون ما تشابه من هم؟ قيل: هم اليهود الذين قالوا: مدة أمة محمد على حروف التهجى فى أوائل السور، فهم الذين اتبعوا ما تشابه من حروف التهجى، وقيل: هم النصارى من وفد نجران، حيث قالوا لرسول الله ﷺ: ما تقول فى عيسى؟ فقال: عبد الله ورسوله، قالوا: فهل تقول: إنه كلمة الله وروح منه؟ فقال: نعم، قالوا: حسبنا الله[1]. واتبعوا ما تشابه من قوله: كلمة الله وروح منه. وقيل: هم الغالون فى طلب التأويل واتباع المتشابه، وروت عائشة «أن النبى ﷺ قرأ هذه الآية، ثم قال: إذا رأيتم الذين يجادلون فى الآيات فاحذروهم فهم هم»[2].

قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ استأثر الله تعالى بعلم التأويل، وقطع أفهام العباد عنه، والفرق بين التأويل والتفسير: أن التفسير: هو ذكر المعنى الواضح، كما تقول فى قوله: ﴿لاريب فيه﴾[3] أى: لاشك فيه، وأما التأويل: هو ما يؤول المعنى إليه، ويستقر عليه. ثم الكلام فى الوقف، فاعلم: أن أبىّ بن كعب وعائشة

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (٣/١١٨)، وابن أبي حاتم فى تفسير (آل عمران ١/٦٦ رقم ١٠٦) كلاهما عن الربيع مرسلا. وعزاه السيوطي في الدر لهما عن الربيع (٢/٧).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة. رواه البخاري (٨/٥٧ رقم ٤٥٤٧)، ومسلم (١٦/٣٣١-٣٣٢ رقم ٢٦٦٥).

(٣) البقرة: ٢.

**مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لا تُزِغْ**

وابن عباس – فى رواية طاوس عنه – (رأو)[1] الوقف على قول ﴿إلا الله﴾، وهو قول الحسن، وأكثر التابعين، وبه قال الكسائى، والفرّاء، والأخفش، وأبو عبيد، وأبو حاتم، قالوا: إن الواو فى قوله: ﴿والراسخون﴾ واو الابتداء؛ والدليل على صحته قراءة ابن عباس «ويقول الراسخون فى العلم آمنا به» وروى ابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس – فى رواية أخرى –: الواو للنسق، ولا وقف (على قوله) ﴿إلا الله﴾ (وأن الراسخون)[2] فى العلم يعلمون التأويل، قال ابن عباس: وأنا ممن يعلم تأويله، وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «اللهم فقهه فى الدين، وعلمه التأويل»[3]، قالوا: والصحيح رواية طاوس، عن ابن عباس، كما ذكرنا، وعليه إجماع القراء؛ ولأن على قضية قول مجاهد لايستقيم.

قوله: ﴿والراسخون فى العلم يقولون﴾ قال النحاة: وإنما يستقيم أن تقول: وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم قائلين ﴿آمنا به﴾(و)[1] لأنه قال: ﴿والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾؛ ولو علموا التأويل لم يكن لقولهم هذا معنى، وقد روى عن ابن عباس أنه قال: «أنزل القرآن على أربعة أوجه: الحلال والحرام، وعربية تعرفها العرب، ومما يعلم العباد تأويله، وما لايَعلم تأويله إلا الله» وهذا يشهد لما قلنا؛ فدل أن الوقف على قوله: ﴿إلا الله﴾. والواو: واو الابتداء فى قوله: ﴿والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾ قالوا: ومن رسوخهم فى العلم يقولون ذلك ﴿وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾.

قوله تعالى: ﴿ربنا لاتزغ قلوبنا﴾ أى: لا تمل قلوبنا ﴿بعد إذ هديتنا﴾ وهذا

(١) ليست فى «ك».

(٢) في «ك»: وإن الراسخين.

(٣) متفق عليه. رواه البخاري في الصحيح (١/ ٢٠٤رقم ٧٥، وأطرافه ١٤٣، ٣٧٥٦، ٧٢٧٠)، ومسلم (١٦/ ٥٥ رقم ٢٤٧٧).

قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ

دعاء للتثبيت والإدامة عليه، وقد روت أم سلمة عن النبى أنه كان يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك»(١) ﴿وهب لنا من لدنك رحمة﴾ نصرة ومعونة ﴿إنك أنت الوهاب﴾.

قوله تعالى: ﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم لاريب فيه﴾ أى: لاشك فيه عند أهل الحق، وقيل: أراد لاريب فيه: يوم القيامة إذا قامت وظهرت.

﴿إن الله لايخلف الميعاد﴾ فلا تزغ قلوبنا، وارحمنا، ولكنه أوجزه ولم يذكر تمام الدعاء

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا﴾ هو قول الكافرين يوم القيامة: شغلتنا عن الحق أموالنا وأهلونا، يقول لا عذر لهم فيه، ولايغنيهم ذلك ﴿وأولئك هم وقود النار﴾.

قوله تعالى: ﴿كدأب آل فرعون﴾ الدَّأَب: الشأن، والدَّأْب: العادة، ومعنى الآية: أن هؤلاء الكفار فى تكذيب الرسول، وجحد الحق، والتظاهر على الكفر؛ كعادة آل فرعون، وآل فرعون: فرعون وقومه.

﴿والذين من قبلهم﴾ يعنى: عاداً وثمود ﴿كذبوا بآيتنا فأخذهم الله بذنوبهم﴾، عاقبهم بجرائمهم، ﴿والله شديد العقاب﴾ لأنه دائم، عقابه لاينقطع؛ وكل دائم شديد.

قوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا﴾ قال ابن عباس: وسبب نزول الآية ما روى: «أنه لما فرغ رسول الله ﷺ من قتال المشركين يوم بدر جمع اليهود بقينقاع، وقال

(١) رواه الترمذي (٥/٥٠٣ رقم ٣٥٢٢) وقال: حسن. وأحمد (٦/٢٩٤، ٣٠٢، ٣١٥)، وابن أبى شيبة فى مصنفه (١٠/٢٠٩ - ٢١٠ رقم ٩٢٤٦) وابن خزيمة فى التوحيد (ص٨١)، والطبرى فى التفسير (٣/١٢٦)، وابن أبى حاتم فى تفسير آل عمران (١/٨٤ رقم ١٤٥)، وابن أبى عاصم فى السنة (١/١٠٠/ رقم ٢٢٣)، والآجرى فى الشريعة (ص٣١٦).

﴿الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾

لهم: أسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بالمشركين من بأس الله، فقالوا: إنك لقيت قوماً أغماراً لايعرفون القتال، فلو قاتلتنا لوليت»[1] فنزل[2] قوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد﴾ يعنى: ستغلبون فى الدنيا، وتحشرون فى الآخرة إلى جهنم. ﴿وبئس المهاد﴾ وقال مقاتل وجماعة: هو خطاب لأولئك المشركين يوم بدر، يقول الله: قل للمشركين: ستغلبون، وتحشرون إلى جهنم، وقد غلبوا وحشروا إلى جهنم، ويقرأ: «سيغلبون ويحشرون»[3] بالياء - وهو بمعنى الأول، قال الفراء: وهو مثل قول الرجل: قل لزيد: إنك قائم. هو بمعنى قوله: قل لزيد: إنَّه قائم؛ فهما[4] فى المعنى سواء، ويحتمل أن يكون هذا خطاب لليهود، يعنى: قل للذين كفروا من اليهود: سيغلب المشركون، ويحشرون إلى جهنم، وبئس المهاد، أى: بئسما مهدوا لأنفسهم، أو بئسما مُهِّد لهم.

قوله تعالى: ﴿قد كان لكم آية﴾ أى: معجزة وعلامة، ﴿فى فئتين﴾ فى فرقتين ﴿التقتا﴾ اجتمعتا، من الالتقاء: وهو الاجتماع، ومنه: «يوم التلاق»؛ لأنه يجتمع فيه أهل السماء وأهل الأرض ﴿فئة تقاتل فى سبيل الله﴾ يعنى: المسلمين يوم بدر ﴿وأخرى كافرة﴾ يعنى: المشركين ﴿يرونهم مثليهم رأى العين﴾ يعنى: المسلمين رأوا المشركين مثلى عددهم، وكانوا ثلاثة أمثالهم؛ لأن عدد المسلمين يوم بدر كان ثلثمائة وثلاثة عشر نفراً أو أربعة عشر نفراً، وكان عدد المشركين تسعمائة وخمسين

---

(١) رواه أبو داود فى سننه (٣/١٥٤ - ١٥٥ رقم ٣٠٠١)، وابن جرير في تفسيره (٣/١٢٨)، والبيهقي في الدلائل (٣/١٢٨) من حديث ابن عباس. وعزاه السيوطي في الدر (٢/٧) لهما وزاد فعزاه لابن إسحاق. وقد رواه ابن جرير من طريقه.

(٢) فى «الأصل»: فنزلت.

(٣) وهى قراءة حمزة، والكسائى، وخلف، انظر النشر (٢/٢٣٨) وأما القرطبى فى تفسيره (٤/٢٣) فعزى هذه القراءة لنافع.

(٤) فى «ك»: فهو.

﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي

نفرًا، وعن علىّ وابن مسعود: أن عدد المشركين كانوا ألفًا، فرآهم المسلمون نيفًا وستمائة. قال ابن مسعود: رأيناهم ضعفى عددنا، ثم رأيناهم مثل عددنا؛ رجل [برجل](١) وهذا معنى قوله تعالى فى سورة الأنفال ﴿ وإذ يريكهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلاً ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرًا كان مفعولاً ﴾(٢) فرآهم المسلمون أقل من عددهم، وكذلك المشركون رأوا المسلمين أقل من عددهم، وكانت الحكمة فيه إذا رأوهم أقل مما كانوا لا يحجمون، ولايفترون عن القتال؛ لأن الله تعالى قد أخبرهم أن الواحد منهم يقاوم اثنين من المشركين، وكذلك المشركون إذا رأوا المسلمين أقل مما كانوا لا يمتنعون عن القتال؛ ﴿ ليقضى الله أمرًا كان مفعولاً ﴾، وذلك من قتل رؤسائهم وقادتهم، بإذن الله تعالى.

قال الفراء: إنما رأوهم على عددهم كما كانوا، وإنما قال: ﴿ يرونهم مثليهم ﴾ يعنى: مثليهم سوى عددهم، وهذا مثل قول الرجل - وعنده درهم -: أنا أحتاج إلى مثلى هذا الدرهم، يعنى إلى مثليه سواه. والأول أصح.

وقرئ: « ترونهم » بالتاء(٣) فيكون خطابًا لليهود، وكان جماعة منهم حضروا قتال بدر؛ لينظروا على من الدبرة، فرأوا المشركين مثلى عدد المسلمين، ورأوا النصرة مع ذلك للمسلمين، وكان ذلك معجزة، وآية للرسول فى أعينهم. وعلى القراءة الأولى يكون الخطاب مع المسلمين فى قوله: ﴿ قد كان لكم آية فى فئتين ﴾.

﴿ والله يؤيد بنصره من يشاء ﴾؛ لأنه نصر المؤمنين يومئذ.

﴿ إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار ﴾ أى: علامة لأولى البصائر فى الدين، ولذوى العقول أجمعين.

---

(١) فى « الأصل، وك »: فرجل. أوله فاء، وهو تصحيف.

(٢) الأنفال: ٤٤.

(٣) وهى قراءة نافع، ويعقوب، وأبى جعفر. انظر النشر (٢/٢٣٨).

**الأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ**

قوله تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين﴾ قال الحسن: المُزَيِّنُ: هو الشيطان؛ لأن الله تعالى ذم الدنيا بأبلغ ذم، فلا يزينه فى الأعين. وقال عامة المفسرين: المُزَيِّن: هو الله تعالى، وتزيينه: أنه حبب فى قلوبهم شهوة النساء والبنين ﴿والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة﴾، فالقناطير: جمع القنطار، وهو مال كثير، ثم اختلفوا؛ قال معاذ وأُبَىّ بن كعب: القنطار: ألف ومائتا أوقية، وقال ابن عباس والضحاك: هو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم. وقال سعيد بن المسيب: هو ثمانون ألف درهم. وقال مجاهد: هو سبعون ألف دينار. وقال قتادة: هو مائة رطل من ذهب أو فضة. وقال أبو نضرة: هو ملء مَسْك ثور من ذهب أو فضة. وسمى قنطاراً؛ من الإحكام والتوثيق، وأما المقنطرة: فهى المجموعة المملكة. قال الفراء: القناطير ثلاثة، والمقنطرة تسعة.

قوله: ﴿والخيل المسومة﴾ قال مجاهد: هى الحسان المُطَهَّمَة، وقال سعيد ابن جبير: المسومة: الراعية. يقال: أسام الخيل من الرعى. وفيه قول ثالث، المسومة: المعلمة من السيما، وهى العلامة. منهم من قال: سيماها: الشبه. ومنهم من قال: سيماها[1] الكى ﴿والأنعام﴾: هى الإبل والبقر والغنم ﴿والحرث﴾: هى الأراضى المهيأة للزراعة ﴿ذلك متاع الحياة الدنيا﴾ فيه إشارة إلى أنه متاع يفنى.

﴿والله عنده حسن المآب﴾ فيه تزهيد فى الدنيا وترغيب فى الآخرة، ثم أكده بقوله تعالى: ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله...﴾ وقرئ «رُضوان» بضم الراء[2]، وهما فى المعنى سواء يقال: رضى يرضى رضاءً ورضوانًا. ورضواناً،

(١) من «ك».

(٢) هى قراءة أبى بكر. انظر النشر (٢/٢٣٨).

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ

وفى الخبر عن النبى ﷺ : «أن أهل الجنة؛ إذا دخلوا الجنة يقول الله تعالى : إن لكم عندى موعداً، وأنا منجزكموه، فيقولون : قد أعطيتنا كل ما نتمنى، فما هو يارب؟ فيقول : أنزل عليكم رضوانى ولا أسخط عليكم أبدا»(١).

قوله تعالى : ﴿ والله بصير بالعباد الذين يقولون ﴾ فقوله : ﴿ الذين يقولون ﴾ يحتمل أن يكون فى موضع الخفض، وتقديره : بالعباد الذين يقولون، ويحتمل أن يكون فى موضع الرفع، وتقديره : يقولون على الابتداء، ويحتمل أن يكون فى موضع النصب، وتقديره : أعنى : الذين يقولون : ﴿ ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار ﴾.

﴿ الصابرين ﴾ يحتمل أن يكون فى موضع الخفض، ويحتمل فى موضع النصب، يعنى : الصابرين على الشدائد والمصائب، وعلى الطاعات، وعن المعاصى ﴿ والصادقين ﴾ الذين استقامت أحوالهم وأفعالهم ﴿ والقانتين ﴾ : المقيمين على الطاعة، المداومين عليها ﴿ والمنفقين ﴾ يعنى : المتصدقين، قيل : فى الجهاد، وقيل : فى كل أبواب البر ﴿ والمستغفرين بالأسحار ﴾ قال ابن عباس : هم المصلون بالليل. وقال أنس : هم السائلون بالمغفرة. وقال زيد بن أسلم : المصلون صلاة الصبح فى الجماعة، وإنما قيده ﴿ بالأسحار ﴾ لقرب صلاة الصبح من السحر.

قوله تعالى : ﴿ شهد الله ﴾ أى : بين وأعلم؛ وكل شاهد مبيِّن ومعلم ﴿ أنه لا إله إلا هو ﴾ لنفسه بالوحدانية؛ وذلك أن وفد نجران قد أنكروا وحدانيته، وهذه الآية من الآيات التى نزلت فى شأنهم، والحجاج عليهم ﴿ والملائكة ﴾ أى : وشهدت الملائكة، ﴿ وأولوا العلم ﴾ قيل : هم علماء بنى إسرائيل، وذلك مثل : عبد الله بن سلام، ومن

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري. رواه البخاري (١١/٤٢٣ رقم ٦٥٤٩، وطرفه في رقم ٧٥١٨)، ومسلم (١٧/٢٤٦ رقم ٢٨٢٩).

**أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ**

آمن معه، وقيل: هم المهاجرون والأنصار، وقيل: هم جميع علماء الأمة.

﴿ قائما ﴾ نصب على الحال، فهو الله تعالى قائم بتدبير الخلق ﴿ بالقسط ﴾: بالعدل، يقال: قَسَطَ يَقْسِط إذا جار. وأَقْسَطَ يُقْسِطُ؛ إذا عدل، فالقاسط: الجائر، ومنه قوله تعالى ﴿ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا ﴾[1] والمقسط: العادل، ومنه قوله تعالى: ﴿ إن الله يحب المقسطين ﴾[2].

﴿ لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ ويقرأ: «أن الدين» بفتح الألف، فمن قرأ بكسر الألف؛ فهو على الابتداء وقرأ الكسائى بالنصب،[3] وتقديره: شهد الله أن الدين عند الله الإسلام؛ فإنه لا إله إلا هو والإسلام: هو الانقياد والاستسلام، وقد يكون مجرد الاستسلام من غير العقيدة فرقا بينه وبين الإيمان على ما سيأتى.

والإسلام المعروف فى الشرع: هو الإتيان بالشهادتين مع سائر الأركان الخمس، وفى الأخبار: «أنه يؤتى بالأعمال يوم القيامة، فيؤتى بالصلاة على صورة، فتقول: يارب، إنى الصلاة، فيقول الله تعالى: إنك بخير، ويؤتى بالزكاة على صورة، فتقول: يارب، إنى الزكاة، فيقول الله: إنك بخير، وهكذا الصوم والحج، ثم يؤتى بالإسلام على أحسن الصور، فيقول: يارب، إنى الإسلام، فيقول الله تعالى: إنك إلى خير، بك آخذ اليوم وبك أعطى».

وحكى عن غالب القطان أنه قال: أتيت الكوفة للتجارة فنزلت قريبًا من الأعمش، فكنت أختلف إليه وأسمع منه الحديث، فقصدت منه ليلة أن أنحدر منه إلى البصرة، فوجدته يتهجد فى المسجد، فمر بهذه الآية ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة

---

(١) الجن: ١٥.

(٢) المائدة: ٤٢.

(٣) قرأ الكسائى بفتح الهمزة، وقرأ الباقون بكسرها. انظر النشر (٢/٢٣٨).

﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ

---

وأولوا العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ ثم قال: وأشهد بما شهد الله به، وأستودع الله هذه الشهادة؛ لتكون وديعة لى عنده، ثم قال: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ كرره مرارا، فقلت فى نفسى: لقد سمع فيه شيئًا، فمكثت، وصليت معه الصبح، ثم قلت له: مَرَرْتَ بهذه الآية، وكنت تكررها! فقال: أما بلغك ما ورد فيها؟!

قلت: أنا عندك منذ سنتين ولم تحدثنى، وقد قصدت الانحدار إلى البصرة، فقال: والله لا أحدثك سنة، فمكثت بالكوفة وكتبت على بابه ذلك اليوم، فلما تمت السنة أتيته، فقلت: يا أبا محمد، قد تمت السنة. فقال: حدثنى أبو وائل، عن عبد الله بن مسعود، عن النبى - ﷺ - أنه قال: «يجاء بصاحبها يوم القيامة، فيقول الله تعالى: إن لعبدى هذا عندى عهداً (وأنا)[1] أحق من وفى بالعهد، ادخلوا عبدى الجنة»[2].

قوله تعالى: ﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب﴾ يعنى: اليهود والنصارى ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم﴾ أى: حسداً بينهم. ﴿ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿فإن حاجوك﴾ أى:[3] فإن جادلوك ﴿فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن﴾ أى: قصدت بعبادتى الله تعالى ﴿وقل للذين أوتوا الكتاب﴾ يعنى: اليهود والنصارى ﴿والأميين﴾ يعنى: المشركين.

---

(١) فى «ك»: وإنى.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير (١٠/١٩٩)، وأبو نعيم فى الحلية (٦/١٨٧ - ١٨٨)، والعقيلى فى الضعفاء (٣/٣٢٥) وابن عدى فى الكامل (٥/٣٥ - ٣٦)، والخطيب فى تاريخه (٧/١٩٣ - ١٩٤) وابن الجوزى فى العلل. (١/١١٠ - ١١١) وقال الذهبى فى الميزان (٣/٣٣١) الآفة من عمر؛ فإنه متهم بالوضع. وقال الهيثمى فى المجمع (٦/٣٢٩): وفيه عمر بن المختار وهو ضعيف.

(٣) ليست فى «ك».

ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ

﴿ أأسلمتم ﴾ يعنى: أسلموا، وقيل: ذكره على التهديد؛ كما يقال: أقبلت هذا منى؟ على وجه التهديد ﴿ فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ﴾ أى: عليك تبليغ الرسالة وليست عليك الهداية ﴿ والله بصير بالعباد ﴾ بالضال منهم والمهتدى.

وتلخيص معنى الآية: أن الله تعالى يقول: فإن جادلوك بالباطل، فقل: أسلمت وجهى لله، أى: أخلصت عملى لله، أو قصدت بعبادتى إلى الله الذى تقرون له[1] بالخلق والتربية؛ فإنهم كانوا مقرين بأن الله خالقهم ومربيهم، فأنا أقصد إليه بعبادتى ولا أتبع هواى كما تتبعون أهواءكم.

ثم قال: ﴿ وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ﴾ أى: أسلموا. كما قال: ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾[2] أى: انتهوا، وإنما سمى المشركين أميين؛ لأنهم لم يكونوا قراء، وقيل: نسبهم إلى أم القرى وهى مكة لسكونهم فيها.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ﴾ أراد به اليهود من بنى إسرائيل. ﴿ ويقتلون النبيين بغير حق ﴾ إنما قال: بغير حق تأكيداً؛ لأن قتل النبيين لا ينقسم إلى الحق والباطل.

وروى أبو عبيدة بن الجراح، عن النبى ﷺ أنه قال: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً أو قتله نبى». ثم روى فى هذا الخبر أنه قال: «قتلت بنو إسرائيل اثنين وأربعين نبياً فى ساعة واحدة، فقام إليهم مائة واثنا عشر رجلاً من زهادهم وعبادهم، وأمروا بالمعروف، فقتلوهم»[3] فهذا قوله تعالى: ﴿ ويقتلون الذين

(١) ليست فى الأصل، ولا «ك».

(٢) المائدة: ٩١.

(٣) رواه البزار فى مسنده (٤/١٠٩ - ١١٠ رقم ١٢٨٥)، وابن جرير فى تفسيره (٣/١٤٤-١٤٥)، وابن أبى حاتم فى تفسير «آل عمران» (١/١٦١ - ١٦٢ رقم ٢٧٦)، والبغوى فى تفسيره (١/٢٨٨) من حديث أبى عبيدة وقال الهيثمى فى المجمع (٧/٢٧٥): وفيه ممن لم أعرفه اثنان.

**يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم**

يأمرون بالقسط من الناس ﴾ أى: بالعدل ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ وإنما خاطب أبناءهم به، مع أن (الجناية)[1] وجدت من آبائهم؛ (لأنهم)[2] رضوا بفعلهم، ودانوا بدينهم، فاستوجبوا هذا (العذاب)[3].

قوله تعالى: ﴿ أولئك الذين حبطت أعمالهم ﴾ أى: بطلت، والحبوط والبطلان، فى الدنيا والآخرة، وبطلان العمل فى الدنيا: ألا يقبل، وفى الآخرة: أنه لا يجازى عليه بالثواب، ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ من يمنع عنهم العذاب.

قوله تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ﴾ قيل: ورد هذا فى يهود بنى قريظة والنضير؛ «فإن النبى ﷺ أتى بيت مدارسهم، فقال له نعيم بن عمرو بن الحارث بن زيد: على أى ملة أنت؟ فقال ﷺ: على ملة إبراهيم. فقال نعيم: إن إبراهيم كان يهوديًا. فقال ﷺ: بينى وبينكم التوراة، أخرجوا التوراة. فأبوا أن يخرجوها»[4]، فهذا هو قوله ﴿ يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ﴾ يعنى: التوراة.

وفيه قول آخر: أن الآية فى نصارى وفد نجران، وقوله ﴿ يدعون إلى كتاب الله ﴾ يعنى: القرآن ليحكم بينهم.

﴿ ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ﴾ وذلك أن بعضهم قد أسلموا.

قوله - تعالى -: ﴿ ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات ﴾ يرجع هذا

---

(١) فى «ك»: الخيانة.

(٢) ليست فى «الأصل»، ولا «ك».

(٣) فى «ك» العتاب.

(٤) رواه ابن جرير فى تفسيره (٣/ ١٤٥) من حديث ابن عباس مرفوعًا.

مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ

إلى اليهود، وقد ذكرناه من قبل.

﴿ وغرهم فى دينهم ﴾ الغرور: هو الإطماع فيما لايحصل منه شيء، والغَرُور: الشيطان، وغر الثوب: طيه، فيقال: أعد الثوب إلى غره، أى: إلى طيه، والغرور: ركوب الخطر. ﴿ ما كانوا يفترون ﴾ الافتراء: اختلاق الكذب؛ ومنه: الفرية: تسوية الكذب، قال الشاعر:

وَلاَ أَنْتَ تَفْرِى ما خَلَقْتَ ... وبَعْضَ القَومِ يَخلقُ ثُمَّ لا يَفْرِى

أى: لا يكذب ولا يسوى.

قوله تعالى: ﴿ فكيف إذا جمعناهم ﴾ أى: فكيف حالهم ﴿ إذا جمعناهم ليوم لاريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت ﴾ من الجزاء ﴿ وهم لا يظلمون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾ فى سبب نزول الآية قولان: أحدهما: أنه لما فتح مكة وعد أصحابه ملك فارس: فسمعه اليهود، وقالوا: هيهات فارس والروم أعز وأمنع جانبا مما تظنون؛ فنزلت هذه الآية.

وقال الحسن: إنه ﷺ سأل ربه لأصحابه ملك فارس و الروم.

فأما قوله: ﴿ قل اللهم ﴾ فأصله: يا الله؛ فلما حذف حرف النداء زيدت الميم فى آخره، قال الفراء: للميم فيه معنى، ومعناه: يا الله، أعنا بالمغفرة أى: اقصدنا.

﴿ مالك الملك ﴾ تقديره يا مالك الملك، ومعناه: مالك العباد؛ وما ملكوه، وقيل: أراد بالملك: النبوة، وقيل: مُلْك السموات والأرض. ﴿ تؤتى الملك من تشاء ﴾ أى: من تشاء أن تؤتيه من المسلمين. ﴿ وتنزع الملك ممن تشاء ﴾ أى: ممن تشاء أن تنزعه، وهم فارس والروم. ﴿ وتعز من تشاء وتذل من تشاء ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ

أحدهما: تعز من تشاء بالنصر، وتذل من تشاء بالقهر.

والثانى: تعز من تشاء بالغنى، وتذل من تشاء بالفقر.

والثالث: تعز من تشاء بالهداية، وتذل من تشاء بالضلالة.

﴿بيدك الخير﴾ أى: بيدك الخير والشر، كما قال: ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾[1] أى: تقيكم الحر والبرد، فاكتفى بأحد المذكورين عن الآخر.

﴿إنك على كل شىء قدير﴾، وقد ورد فى فضل هذه الآية من الأخبار: ماروى عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن على، عن النبى ﷺ أنه قال: «فاتحة الكتاب، وآية الكرسى، وآيتان من آل عمران – شهد الله، وهذه الآية – متشفعات لمن قرأها يوم القيامة، ليس بينها وبين الله حجاب».[2] وروى فى هذا الخبر: أنه قال: «لما أنزل الله تعالى هذه الآيات تعلقن بالعرش، وقلن: يارب، تهبطنا إلى أرضك وعبادك، فقال الله تعالى: «وعزتى وجلالى ما قرأكن عبد من عبادى إلا أسكنته جنتى؛ على ما كان عليه، و قضيت له كل يوم سبعين حاجة، أدناها المغفرة»[3].

قوله تعالى: ﴿تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل﴾ الإيلاج: الإدخال، ومعناه: تنقص من أحدهما وتزيد فى الآخر، وقيل: معناه: تغطى الليل بالنهار، والنهار بالليل.

﴿وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى﴾ قال الحسن: معناه: تخرج

---

(١) النحل: ٨١.

(٢) رواه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة (رقم ١٢٤)، وابن حبان فى المجروحين (١/٢٢٣)، وابن الجوزى فى الموضوعات (١/٢٤٥)، وقال ابن حبان فى ترجمة الحارث بن عمير: كان يروى عن الأثبات الموضوعات، ثم ساق له هذا الحديث، وقال الذهبى فى الميزان (١/٤٢٠): قال ابن حبان: موضوع لا أصل له. وقال ابن الجوزى: موضوع تفرد به الحارث بن عمير. وقال السيوطى فى اللآلئ (١/٢٢٨): موضوع. وانظر ما نقله السيوطى من كلام الأئمة على هذا الحديث وشواهده فى اللآلئ (١/٢٢٨ – ٢٣٣).

(٣) هو جزء من الحديث السابق.

**الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ**

الكافر من المؤمن، والمؤمن من الكافر، والقول الثانى: تخرج النطفة من الحى، والحى من النطفة، وفيه قول غريب: تخرج الفطن الكيس من البليد الفاجر، والبليد من الفطن؛ لأن البليد ميت فهمًا؛ والفطن حى فهمًا. ويقرأ ﴿من الميت﴾: مخففًا ومشددًا،(١) وفرّق نحاة الكوفة بين الميّت والميْت، فقالوا: الميِّت - بالتشديد -: هو الحى الذى يموت، والميْت مخففًا: هو الذى مات؛ واستدلوا بقوله تعالى ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾(٢) وأنكر ذلك نحاة البصرة وقالوا: هما بمعنى واحد.

وأنشد المبرد لبعض الشعراء:

**لَيْسَ مَنْ مَاتَ فاستراحَ بميتٍ ... إنَّما الميْت مَيِّتُ الأحياءِ**

**إنَّما الميتُ مَنْ يعيشُ كَئيبًا(٣) ... كاسفًا بالُه قليلَ الرجاءِ**

فجمع بين الميت والميت على معنى واحد.

﴿وترزق من تشاء بغير حساب﴾: من غير تضييق ولا تقتير.

قوله تعالى: ﴿لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ هذا فى قوم مخصوصين، أسلموا على موالاة اليهود والمشركين، فنهاهم الله عن ذلك، وهو معنى قوله: ﴿لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾(٤).

﴿ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء﴾ أى: ليس من حزب الله ﴿إلا أن

---

(١) قرأ أبو جعفر، ونافع، وحمزة، والكسائى، وخلف وحفص، بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف، وانظر النشر (٢/٢٢٤).

(٢) الزمر: ٣٠.

(٣) كذا فى «الأصل»، و«ك». وفى لسان العرب (٢/٩١ مادة: موت): شقيًا. وعزا البيت لعدىّ بن الرعلاء.

(٤) المجادلة: ٢٢.

إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا

تتقوا منهم تقاة ﴾ وقرئ: تَقِيَّة[1]، ومعناهما واحد، يعنى: إلا أن يقع فى أيديهم، فيخافهم، فيوافقهم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان، فلا بأس به، ولكن لو صبر حتى قتل، فله من الأجر العظيم، ما الله به عليم.

وقد روى: «أن مسيلمة الكذاب - لعنه الله - أخذ رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ وقال لأحدهما: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم، فقال: أتشهد أنى رسول الله؟ قال: نعم، تقية منه، فخلى سبيله. ثم قال للآخر: أتشهد أن محمدا رسول الله فقال: نعم نعم نعم، قال: أتشهد أنى رسول الله، فقال: أنا أصم، فقتله؛ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فذكر درجة الذى صبر على القتل، وقال: إن الأول أخذ برخصة الله».

وقد صح عن رسول الله: أنه قال: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[2]. وقال ﷺ: «إن أفضل الشهداء بعد شهداء أحد: من قام إلى سلطان جائر وأمره بالمعروف، فقتله عليه[3]»[4].

قوله - تعالى -: ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ أى: يخوفكم إياه ﴿ وإلى الله

---

(١) هى قراءة يعقوب. انظر النشر (٢/٢٣٩).

(٢) رواه أبو داود (٤/١٢٤ رقم ٤٣٤٤) والترمذى (٤/٤٠٩ رقم ٢١٧٤)، وأحمد فى مسنده (٣/١٩، ٦١) جميعهم عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا. وقال الترمذى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقال: وفى الباب عن أبى أمامة. قلت: حديث أبى أمامة رواه الإمام أحمد (٥/٢٥١، ٢٥٦)، وابن ماجه (٢/١٣٣٠ رقم ٤٠١٢).

ورواه النسائى (٧/١٦١ رقم ٤٢٠٩)، وأحمد (٤/٣١٥) من حديث طارق بن شهاب مرسلا. وانظر السلسلة الصحيحة للألبانى رقم (٤٩١).

(٣) كذا فى «الأصل» و«ك» وسيكرره المصنف بعد ذلك، وفيه: غيلة.

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وروى الطبرانى فى الأوسط - كما فى مجمع البحرين (٦/٣١٤ رقم ٣٧٦٢، و (٧/٢٣٥ رقم ٤٣٧٥) عن ابن عباس مرفوعا: سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه، فقتله». وقال الهيثمى فى المجمع (٩/٢٧١): فيه ضعف.

قلت: ورواه الحاكم فى مستدركه (٣/١٩٥) عن جابر مرفوعا وقال: صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبى بأن فى إسناده الصفار، ولا يدرى من هو. والخطيب فى تاريخه (٦/٣٧٧). وانظر السلسلة الصحيحة رقم (٣٧٤).

**اما فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**

لمصير﴾ أى: المرجع.

قوله تعالى: ﴿قل إن تخفوا ما صدوركم أو تبدوه يعلمه الله﴾ أى: يجازى عليه ﴿ويعلم ما فى السموات وما فى الأرض والله على كل شىء قدير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا﴾ أى: محضر لها ما عملت من الخير والشر، فتسر بما عملت من الخير.

﴿وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا﴾ أى: غاية مديدة، قال السدى: ما بين المشرق والمغرب. وفى الأخبار: أن الأعمال يؤتى بها يوم القيامة على صور فما كان منها حسنا، فعلى الصورة الحسنة، وما كان قبيحا، فعلى الصورة القبيحة.

﴿ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد﴾ ومن رأفته أن حذرهم، ورغبهم ورهبهم، ووعدهم وأوعدهم.

قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾ فى سبب نزول هذه الآية قولان: أحدهما: أنه خطاب لليهود والنصارى من وفد نجران، وذلك أنهم قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، فنزل قوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم﴾ والثانى: أنه خطاب لمشركى قريش؛ فإنه ﷺ رآهم يعبدون الأصنام؛ فقال لهم: «خالفتم ملة أبيكم إبراهيم، فقالوا: إنما نعبدهم تقربًا إلى الله؛ فإنا نحبه؛ فنزل قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾

والله غفور رحيم ﴾»(١).

واعلم أن محبة الله العبد، ومحبة العبد الله لايكون بلذة وشهوة، ولكن محبة العبد فى حق الله: هو إتيان طاعته، وابتغاء مرضاته، واتباع أمره، ومحبة الله فى حق العبد: هو العفو عنه، والمغفرة، والثناء الحسن، وأكده قوله تعالى: ﴿ قل أطيعوا الله والرسول ﴾؛ بين أن محبته فى طاعته وطاعة رسوله.

﴿ فإن تولوا فإن الله لايحب الكافرين ﴾، فإن قال قائل: لِمَ كرر اسم الله مرارا، وكان يكفيه: أن يقول فإنه لايحب الكافرين؟ قيل: هو على عادة العرب؛ فإن من عادتهم أنهم إذا عظّموا شيئا كرروا ذكره، وأنشد سيبويه فى مثل ذلك:

**لا أرى الموت سبق الموت شيء ... نغص الموت ذا الغنى والفقير**(٢)

وقوله تعالى: ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحا ﴾ الاصطفاء: الاختيار. والصفوة: الخيرة: ولِمَ(٣) اختار آدم؟ اختلفوا؛ فمنهم من قال: اختاره للدين، ومنهم من قال: اختاره للنبوة. فإن قال قائل: إلى من كان مبعوثًا؟ قيل: إلى الملائكة؛ حتى علمهم الأسماء، وإلى أولاده. قال: وآل إبراهيم: هم إسماعيل وإسحاق ويعقوب.

وآل عمران: موسى وهارون، وآل عمران من آل إبراهيم، وقيل: أراد به عيسى؛لانه ابن مريم بنت عمران ﴿ على العالمين ﴾ على عالمىْ أهل زمانهم.

قوله تعالى: ﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾ قيل: هو مشتق من ذرأ بمعنى: خلق، وقيل: هو من الذرِّ، لأنه خلقهم؛ واستخرجهم من صلب آدم كالذر، والأبناء يسمون ذرية، وكذلك الآباء، قال الله تعالى ﴿ وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى

---

(١) أورده الواحدى فى أسباب النزول ص ٧٣ عن ابن عباس بطوله.

(٢) كذا وقع البيت فى «الأصل، و «ك». وفى تفسير القرطبى (٤/ ٥٨).

لا أرى الموتَ يسبقُ الموتَ شيء ... نغص الموتُ ذا الغنَى والفقـــيرا

(٣) فى «الأصل»، و«ك»: ولم. بميمين. والصواب ما أثبتناه.

﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ

الفلك المشحون ﴾ (١) يعني: آباءهم، والأبناء: ذرية، لأنه ذرأهم، والآباء ذرية؛ لأنه ذرأ الأبناء منهم، ﴿ بعضها (٢) من بعض ﴾ فى التفاضل، وقيل: في التناسل.

﴿ والله سميع ﴾ بما قالوا ﴿ عليم ﴾ بما اضمروا.

قوله تعالى: ﴿ إذ قالت امرأت عمران ﴾ وهى: حنة زوجة عمران، وكانت أختها تحت زكريا ﴿ رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً ﴾ قال الشعبى: معناه مخلَصاً لعبادة الله تعالى. وقال مجاهد معناه: مسمى لخدمة البيت، مفرغا لها عن سائر الأشغال.

﴿ فتقبل منى إنك أنت السميع العليم ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى ﴾ وذلك أن زوجها عمران كان قد (عاتبها) (٣). على ما نذرت، وقال لها: لاتدرين أنه يخلق ولدك ذكرا أو أنثى، وقد نذرت مطلقا.

﴿ والله أعلم بما وضعت ﴾ هذا إخبار من الله تعالى عن علمه ويقرأ «والله أعلم بما وضعتُ» (٤) على الخبر؛ وذلك من قول المرأة ﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾ فإن الذكر أقوم وأقوى لخدمة البيعة من الأنثى، وقيل: لأنه أبعد عن الموانع من العبادة بخلاف الأنثى، يمنعها الحيض والنفاس.

﴿ وإنى سميتها مريم ﴾، فإن قال قائل: ما معنى قولها: وإنى سميتها مريم؟ قيل: حتى تعرف هل وقع ذلك الاسم برضا الله تعالى حتى يغير أو يقرر.

(١) يس: ٤١.

(٢) فى «الأصل»، و«ك»: بعضاً.

(٣) فى «الأصل» و«ك»: عاقبها عاتبها. ولعله من الناسخ.

(٤) هى قراءة ابن عامر، ويعقوب وأبى بكر، بإسكان العين وضم التاء، وقرأ الباقون بفتح العين وإسكان التاء. انظر النشر (٢/ ٢٣٩).

وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ

﴿ وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ فالشيطان: المطرود، والرجيم: المرجوم بالشهب، وروى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «ما من ولد يولد إلا ويطعن الشيطان فى خاصرته؛ فيستهل صارخا إلا مريم وابنها، فإنه ضربهما فوقع الضرب فى الحجاب، وقرأ قوله تعالى ﴿ وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾»(١).

قوله تعالى: ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن ﴾ أى: رضى بها وقبلها ﴿ وأنبتها نباتا حسنا ﴾، أى وأنبتها فنبتت نباتا حسنا.

قال أبو العباس بن عطاء الصوفى(٢): لما أنبتها الله نباتا حسنا، فانظروا إلى ثمرته كيف أثمر النبات؟ يعنى: عيسى صلوات الله عليه.

﴿ وكفلها ﴾ - مشدد - ﴿ زكريا ﴾ بنصب الألف، وتقرأ مخففا «وكَفَلَها زكرياءُ» بضم الألف(٣)، ومعنى الكفالة: الضم، يعنى: وضمها زكرياء إلى نفسه، ومن قرأ بالتشديد، معناه: ضمها الله إلى زكريا، وقال النبى ﷺ: «أنا وكافل اليتيم كهاتين»(٤).

ومن الأسباب التى خُصَّ بها زكريا بكفالة مريم؛ أن خالتها كانت تحته، وهى أخت حنة امرأة عمران،ولكفالة زكريا مريم قصة معروفة ستأتى فى سورةمريم إن شاء الله تعالى.

﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب ﴾ يقرأ «زكريا» بالمد والقصر(٥)، والمحراب:

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٦/٣٨٨ - ٣٨٩ رقم ٣٢٨٦، وطرفاه فى ٣٤٣١، ٤٥٤٨) ومسلم (١٥/١٧٤ رقم ٢٣٦٦).

(٢) فى «الأصل»، «ك»: الصونق. آخره قاف. وهو تحريف.

(٣) اختلف القراء فى (وكفلها) فقراء الكوفيون - حمزة، والكسائى، وأبو بكر - بتشديد الفاء، وقرأ الباقون بتخفيفها.

(٤) رواه البخارى (٩/٣٤٩ رقم ٥٣٠٤) وطرفه فى [٦٠٠٥]، وأبو داود (٤/٣٣٨ رقم ٥١٥٠)، والترمذى (٤/٢٨٣ رقم ١٩١٨)، وأحمد فى مسنده (٥/٣٣٣)، وابن حبان - الإحسان - (٢/٢٠٧ رقم ٤٦٠) كلهم من حديث سهل بن سعد، وفى الباب عن أبى هريرة، وأبى أمامة، ومرة الفهرى.

(٥) واختلفوا فى (زكريا) أيضاً، فقرأ حمزة، والكسائى، وخلف، وحفص بالقصر من غير همز، وقرأ الباقون بالمد، والهمز؛ إلا أن أبا بكر نصبه هاهنا بعد (كفلها) على مفعول ثانٍ لـ (كفلها) ورفعه الباقون ممن خفف. انظر النشر (٢/٢٣٩).

يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾
هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾

غرفة يرتقى إليها بالسلم، وكان زكريا قد اتخذ لمريم مثل تلك الغرفة، وكان يرقى إليها بالسلم، قال الشاعر فى معناه:

رَبَّةُ محْــراب إذا جِئْتُها ... لَمْ ألقها أو أَرتَقِى سُلَّما(١)

أى: ربة غرفة، وقيل: المحراب: أشرف المجالس، وقيل: هو المحراب المعروف.

﴿ وجد عندها رزقا ﴾ والرزق: ما يؤكل، قال قتادة: فاكهة الشتاء فى الصيف، وفاكهة الصيف فى الشتاء، كان قد رآها عندها، قال الحسن: حين ولدت مريم لم تلقم ثديا، وكان يأتيها الله تعالى برزقها.

﴿ قال يامريم أنى لك هذا ﴾ قال أبو عبيدة: معناه: من أين لك هذا؟!وأنكرت النحاة هذا، وقالوا: هذا تساهل من أبى عبيدة، وبينهما فرق، فـ« أَنَّى » للسؤال عن الجهة، و« أين » للسؤ ال عن المكان، وأنشد المبرد لبعضهم.

أَنىَّ ومِنْ أَينَ آنك الطربُ

فرق بينهما، قوله: ﴿ أنى لك هذا ﴾ أى: من أى جهة لك هذا؟! ﴿ قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾.

قوله تعالى: ﴿ هنالك دعا زكريا ربه ﴾ وذلك أن زكريا لما رأى مريم يأتيها رزقها فى غير حينه نحو فاكهة الصيف فى الشتاء – طمع أن يرزق الولد فى غير حينه – على الكبر – فدعا الله أن يرزقه ولدا، وكان قد بلغ مائة وعشرين سنة، وبلغت امرأته ثمان وتسعين سنة.

﴿ قال رب هب لى من لدنك ﴾ من عندك ﴿ ذرية طيبة ﴾ أى: ولدا صالحا تقيا نقيا، والذرية تشتمل على الذكر والأنثى، وإنما قال: ﴿ طيبة ﴾ بنعت المؤنث على لفظ

(١) فى « الأصل »، و« ك »: أو ألتقى السلما. وهو تصحيف. وما أثبتناه من لسان العرب ( مادة: حرب ).
وفى تفسير القرطبى ( ٤ / ٦٦ ): حتى أرتقى سلمًا.

فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ

الذرية.

﴿إنك سميع الدعاء﴾ ﴿فنادته الملائكة﴾، ويقرأ: «فناداه الملائكة» بالألف(١) واختلفوا فى المنادى، منهم من قال: كان جبريل. ومنهم من قال: جمع من الملائكة ﴿وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك﴾ يقرأ «إن» بكسر الألف وفتحها(٢)، فمن قرأ بالكسر، فتقديره: فنادته الملائكة وقالوا: إن الله يبشرك، ومن قرأ بالفتح، فهو على النسق، ﴿يبشرك﴾ يقرأ مخففا ومشددا(٣)، وهما فى المعنى سواء.

والبشارة: خبر سار يظهر أثره على بشرة الوجه، ﴿يبشرك بيحيى﴾ سماه يحيى قبل أن يولد، ﴿مصدقا بكلمة من الله﴾ قيل: مصدقا بكتاب الله وكلامه. وقيل: معناه مصدقا بعيسى، وهو كلمة الله فإن قال قائل: «كلمة الله» لايكون مخلوقا، وقد أنكرنا على النصارى قولهم: «المسيح ابن الله»، وقولهم: «إن الله ثالث ثلاثة»، فكيف نعرف أن عيسى كلمة الله؟ قيل: فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كلمة الله على معنى: أنه يكون بكلمة من الله حيث قال له: «كن فكان»، من غير سبب ولا علة، وصنع بشر وإلقاء نطفة.

الثانى: أنه كلمة الله على معنى: أنه يهتدى به، كما يهتدى بكلام الله.

والثالث: أن الله تعالى كان قد أخبر سائر الأنبياء، ووعدهم فى كتبه أنه يخلق نبيًا بلا أب، ووعد مريم أنه يولد لها ولد بلا أب، فلما تكوّن عيسى سماه كلمة؛ لأنه حصل بتلك الكلمة، وذلك الوعد، وهو كما تقول العرب: أنشدنى كلمتك، أى قصيدتك، وقيل لحسان: إن الحويدرة أنشأ قصيدة، فقال: لعن الله كلمته، أى:

---

(١) هى قراءة حمزة، والكسائى، وخلف. انظر النشر (٢/٢٣٩).

(٢) قرأ ابن عامر وحمزة بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بالفتح. انظر المصدر السابق.

(٣) قرأ حمزة، والكسائى بفتح الياء، وفتح الشين وضمها، وقرأ الباقون بضم الياء، وتشديد الشين المكسورة. انظر المصدر السابق.

اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ

قصيدته، فلمّا حصلت القصيدة بكلمته سمّى ذلك كلمة.

قوله: ﴿وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين﴾ أما السيد: قال سعيد بن جبير: السيد: التقى، وقال مجاهد: هو الكريم، وقيل: هو العليم الذى لايغضبه شىء، وقيل: هو الذى يفوق قومه فى جميع خصال الخير.

والحصور: قال سعيد بن جبير ومجاهد والضحاك وعطاء وجماعة: هو الذى لايأتى النساء، والحصور بمعنى: المحصور، وكان ممنوعا من النساء، وهو مثل قول الشاعر

فيهـا اثْنَتَـانِ وأربعونَ حلـوبة سودًا كَخَافِيةِ الغُرَابِ الأَسْحَمِ

فالحلوبة بمعنى: المحلوب، وقال سعيد بن المسيب: كان له مثل هدبة الثوب، وقد تزوج مع ذلك؛ ليكون أغض لبصره، وقال الشعبى: الحصور العنّين، وفيه قول آخر: الحصور: هو الممتنع من الوطء مع القدرة عليه، وهذا يوافق قول الشافعى فى مسألة التخلى لعبادة الله.

واختاروا هذا القول لوجهين: أحدهما: أنه يكون أقرب إلى استحقاق الثناء، لأن الكلام خرج مخرج الثناء.

والثانى: أنه يكون أبعد من إلحاق الآفة بالأنبياء؛ لبعدهم عن الآفات.

قوله تعالى: ﴿قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر﴾ وإنما قال: ﴿بلغنى الكبر﴾؛ لأن الكبر فى طلب الإنسان، فإذا أصابه فقد بلغه.

وأما العاقر: فهى التى عقم رحمها من الكبر، فإن قيل: كان شاكا فى وعد الله تعالى حين قال: ﴿رب أنى يكون لى غلام﴾ قيل: إنما قاله على سبيل التواضع، يعنى: مثلى على هذا الكبر من مثل هذه العجوز يكون له الولد، وقيل معناه: كيف يكون لى هذا الغلام؟ أترد نى لحالة الشباب، أم يكون الغلام على حال الكبر؟.

﴿قال كذلك يفعل الله ما يشاء﴾.

آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ

قوله تعالى : ﴿ قال رب اجعل لى آية ﴾ أى : علامة . قيل : إنما سأل العلامة؛ لأن إبليس وسوس إليه أن الذى ناداك هو الشيطان، دون الملك وكان يديم عليه وسوسته، فسأل العلامة؛ دفعا لتلك الوسوسة . وقيل : إنما سأل العلامة؛ لمعرفة وقت الولادة حتى يزداد لله[1] شكرا .

﴿ قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام ﴾ وقيل : [ إن الله أمسك ][2] لسانه وحبس عنه الكلام ثلاثة أيام، وهو سَوِىٌّ صحيح؛ وعليه دلّ قوله تعالى فى سورة مريم ﴿ ثلاث ليال سويا ﴾[3] .

﴿ إلا رمزا ﴾ أى : إشارة، والإشارة تكون باللسان، وتكون باليد، وتكون بالعين والمراد هاهنا : الإشارة بالإصبع المسبحة، قال قتادة : إنما أمسك لسانه عن الكلام عقوبة له على ما سأل من الآية بعدما أوحى الله تعالى إليه، وشافهته الملائكة بالبشارة .

﴿ واذكر ربك كثيرا ﴾ قيل : إنما أمسك لسانه عن الكلام مع الناس، ولم يمسكه عن ذكر الله تعالى، فأمره بالذكر .

﴿ وسبح بالعشى والإبكار ﴾ المراد بالتسبيح : الصلاة، وأما العشى : ما بين زوال الشمس إلى غروب الشمس، ومنه سمى صلاة الظهر والعصر صلاتى العَشِىّ، وأما الإبكار : ما بين طلوع الفجر إلى الضحى الأعلى .

قوله تعالى : ﴿ وإذ قالت الملائكة يامريم ﴾ أى : واذكر إذ قالت الملائكة : ﴿ يامريم إن الله اصطفاك ﴾ اختارك وطهرك من الحيض والنفاس، وقيل : من الذنوب . ﴿ وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾ منهم من قال : على نساء عالمى زمانها، ومنهم من قال :

---

( ١ ) فى الأصل : الله، وهو خطأ من الناسخ .

( ٢ ) فى الأصل : إنه أمسك الله . وما أثبتناه من « ك » .

( ٣ ) مريم : ١٠ .

**الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ**

---

على (جميع نساء)[1] العالمين؛ فى أنها وَلَدَت بلا أب، ولم يكن ذلك لأحد من نساء العالم.

قوله تعالى: ﴿يا مريم اقتنى لربك﴾ أى: أطيعى ربك، وقومى لطاعته. والقنوت: طول القيام، قال مجاهد: معناه أطيلى[2] القيام لربك، وقيل: إنها قامت حتى انتفخت قدماها وتورمت. وسمى القنوت فى الصلاة؛ لأنه فى حال القيام، وعن النبى ﷺ «أنه سئل عن أفضل الصلاة، فقال: طول القنوت»[3] أى: طول القيام.

﴿واسجدى واركعى مع الراكعين﴾ قيل: إنما قدم السجود على الركوع؛ لأنه كان كذلك فى شريعتهم، وقيل: لا، بل الركوع قبل السجود فى جميع الشرائع، وليست الواو للترتيب، بل للجمع، ويجوز أن يقول الرجل: رأيت زيدا وعَمرا، وإن كان قد رأى عَمرا قبل زيد، ويجوز أن نقول: رأيت عمرا وزيدا أى زيداً وعمراً، قال الشاعر:

**ألا يانخلة من ذات عرق ... عليك ورحمة الله السلام**

أى: عليك السلام ورحمة الله، فكذلك قوله: ﴿واسجدى واركعى﴾ أى: واركعى واسجدى، وإنما قال: مع الراكعين، ولم يقل: مع الراكعات؛ ليكون أعم وأشمل، وقيل معناه: مع المصلين فى الجماعة.

قوله - تعالى -: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك﴾ يقول لمحمد ﷺ: ذلك من أخبار الغيب نوحيه إليك ﴿وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ فالأقلام: السهام، وإنما سمى قلما؛ لأنه يقطع ويبرى. وأصل القلم: القطع، ومنه قلّم الظفر.

---

(١) فى «ك»: نساء جميع.

(٢) فى «الأصل»: أطيل، وفى «ك»: أطول.

(٣) رواه مسلم فى صحيحه (٦/٥٢ رقم ٧٥٦)، والترمذى (٢/٢٢٩ رقم ٣٨٧) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١/٤٥٦ رقم ١٤٢١) جميعهم من حديث جابر.

لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ

والقصة فى ذلك: أنهم تشاحنوا واختصموا فى كفالة مريم، فقال زكريا: أنا أولى بكفالتها منكم؛ لأن خالتها عندى، وقال أحبارهم - وقيل: أولياؤهم -: نحن أولى بكفالتها؛ لأن أباها كان إمامنا وحبرنا، فاقترعوا واستهموا، على أن من يثبت قلمه فى الماء وصعد، فهو أولى بكفالتها، فألقوا الأقلام على الماء، وعلى كل قلم اسم واحد منهم، فانحدرت أقلامهم تجرى فى الماء، وجرى قلم زكريا مصعدا إلى أعلى الماء، قيل: غرقت أقلامهم، وارتد قلم زكريا، وبقى فوق الماء، وقيل: إنما اختصموا فى كفالتها؛ لأنه كان قد أصابهم قحط وأزمة، وكانت تضيق بهم النفقة؛ فاستهموا على كفالتها تدافعا حتى أن من خرج سهمه هو الذى يعولها، وينفق عليها، والأول أصح وأشهر.

قوله تعالى: ﴿إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه﴾ قيل: إن الملائكة قالوا لها ذلك مشافهة وعيانا.

﴿اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾ قال ابن عباس: إنما سمى مسيحا؛ لأنه ما مسح ذا عاهة إلا برئ، وقال الحسن وقتادة: سمى مسيحا؛ لأنه مسح بالبركة، وقيل: المسيح: الصديق، ويكون المسيح بمعنى: الكذاب، وهو من الأضداد، وقيل: سمى مسيحا؛ لأنه كان يمسح وجه الأرض، ويسيح فيها، وقيل: إنما سمى مسيحا؛ لأنه ممسوح القدم لأخمص قدميه، ومنه قول الشاعر:

بَاتَ يُقَاسِيهَا غُلَامٌ كَالزَّلَمْ ... خَدِيجَ السَّاقِينِ مَمْسُوحُ القَدَمْ

ومن ذلك سمى الدجال مسيحا؛ لأنه مسح أحد شقى وجهه، لاعين له.

﴿وجيها فى الدنيا والآخرة﴾ أى: رفيعا ذا جاه عند الله ﴿ومن المقربين﴾ ﴿ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين﴾ أما كلامه فى المهد هو قوله فى سورة

فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ

مريم ﴿إنى عبد الله﴾[1] وأنكر النصارى كلامه فى المهد سيأتى بيانه، وأما كلامه وهو كهل، قيل: هو إخباره عن الأشياء المعجزة، وقيل: هو كلامه بعد نزوله من السماء.

والكهل: قيل: هو ما فوق الغلام، ودون الشيخ، وهو ابن أربع وثلاثين سنة، وأصله: الطول، ومنه: اكتهل النبات إذا طال.

قوله تعالى: ﴿قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر﴾ قالت ذلك تعجبا؛ إذ لم تكن جرت العادة بأن يولد ولد بلا أب ﴿قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرًا فإنما يقول له: كن، فيكون﴾ أى: لايعسر عليه شىء، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

قوله تعالى: ﴿ويعلمه الكتاب﴾ يقرأ: بالياء، والنون[2]، والكتاب: الخط ﴿والحكمة﴾: العلم والفقه، ﴿والتوراة والإنجيل﴾ علمه الله التوراة والإنجيل، ﴿ورسولا إلى بنى إسرائيل﴾. منهم من قال: كان رسولا فى حالة الصبا، ومنهم من قال: إنما كان رسولابعد البلوغ.

﴿أنى قد جئتكم بآية من ربكم﴾ معناه: بآيات من ربكم، وإنما اكتفى بذكر الآية؛ لأن الكل دال على شىء واحد.

﴿أنى أخلق لكم من الطين﴾ أى: أقدِّر وأصور ﴿كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله﴾ قيل: إن عيسى قال لهم: أى شىء أشد خلقا؟ قالوا: الخفاش، فقدر من الطين خفاشا وصوره، ونفخ فيه؛ فقام يطير بإذن الله.

---

(١) مريم: ٣٠.

(٢) قرأ نافع، وأبو جعفر، وعاصم، ويعقوب بالياء. وقرأ الباقون بالنون. انظر النشر (٢ / ٢٤٠).

مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ

﴿ وأبرئ الأكمه ﴾ قال أبو عبيد : الأكمه الذى ولد أعمى، وقيل : هو الأعمش الذى يبصر بالنهار ولايبصر بالليل ﴿ والأبرص ﴾ : الذى به وضح ﴿ وأحيى الموتى بإذن الله ﴾ قال ابن عباس : قد أحيا أربعة : عازر وابن العجوز وبنت العاشر وسام بن نوح عليه السلام .

فأما عازر : فكان صديقا لعيسى، فَأُخْبِرَ بموته، فدعا الله تعالى فأحياه [ الله ][1]، وأما ابن العجوز : كان على السرير يحمل إلى المقبرة، فرآه عيسى، فأمر بوضع السرير، ودعا فأحياه، فأخذ كفانه[2]، ولبسها ورجع إلى البيت، وأما بنت العاشر : فقد كان رجل يأخذ العشور، ماتت له ابنة فدعا الله فأحياها، وأما سام بن نوح فإن عيسى جاء[3] إلى قبره ودعا ( الله فأحياه )[4]، فقام إليه وقال : أقامت القيامة؟! وقد شاب نصف رأسه خوفا من قيام الساعة .

فقال : لا، أنا عيسى بن مريم؛ فكلمه؛ ومات من ساعته، وأما الثلاثة الذين أحياهم عاشوا، وَوُلِدَ لَهم .

﴿ وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ﴾ كان عيسى يخبر الرجل بما أكل فى بيته البارحة، وما يأكل اليوم، وما ادخره للعشاء، وقيل : إنه كان فى المكتب يخبر الصبى بما أكل، وما خبّأت له أمه من الطعام، حتى كان الصبى يأتى إلى أمه، فيبكى حتى تعطيه الطعام، فيحمله إلى عيسى، فحبسوا الصبيان عن المكتب، فجاء عيسى فى طلبهم، وكانوا فى دار، فقال : من هؤلاء الذين فى الدار؟ فقيل : خنازير، فقال عيسى : يكونون كذلك؛ فصاروا خنازير بأمر[5] الله – نعالى – ﴿ إن فى ذلك لآية

( ١ ) من « ك » .
( ٢ ) في « ك » : لباسه .
( ٣ ) في « ك » : صار .
( ٤ ) تكررت فى « ك » .
( ٥ ) فى « ك » : بإذن .

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ

لكم إن كنتم مؤمنين﴾.

قوله تعالى: ﴿ومصدقا لما بين يدى من التوراة﴾ يعنى: وأكون مصدقا، ﴿ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم﴾ قال أبو عبيدة: أراد بالبعض: الكل، يعنى: كل الذى حرم عليكم، ومثله قول الشاعر:

**أو يرتبط بعض النفوس حمامها**

أى: كل النفوس، وقيل: هو على حقيقته، وقدكان أحل لهم بعض ما حرم عليهم فى التوراة من لحوم الإبل وثروبها[1].

﴿وجئتكم بآية من ربكم﴾ يعنى: بآيات كما بينا، ﴿فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ أى: طريق واضح.

قوله تعالى: ﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر﴾ أى: أبصر ووجد منهم الكفر؛ قال: ﴿قال من أنصارى إلى الله﴾ قيل معناه: من أنصارى مع الله، وقال النحويون: «إلى» فى موضعها، وليست بمعنى «مع»، وإنما معناه: من يضم نصرته إلى نصرة الله لى ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾ قال ابن أبى نجيح: الحواريون: كانوا قوما قصارين، سموا بذلك لأنهم كانوا يقصرون الثياب.

وقيل: كانوا صيادين يصطادون السمك. والصحيح أن الحوارى: صفوة كل شىء وخالصته، ومنه قوله ﷺ فى الزبير: «هو ابن عمتى وحوارىى من أمتى»[2]، أى:

(١) الثروب: هو الشحم الرقيق الذي يغشى الكرش والأمعاء. النهاية ١/٢٠٩.

(٢) رواه النسائى فى الكبرى (٥/٦٠/رقم ٨١١٢، وأحمد (٣/٣١٤). وابن أبى شيبة (١٢/٩٢) والخطيب فى تاريخه (٥/١٢٦) من حديث جابر.

ورواه البخاري (٧/٩٩ رقم ٣٧١٩)، ومسلم (١٥/٢٦٨ رقم ٢٤١٥) من حديث جابر ايضًا مرفوعاً: «إن لكل نبي حواريا، وإن حواريى الزبير بن العوام».

أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ

صفوتى وخالصتى.

وأصل الحوارى: النقاء والنظافة؛ فسموا حواريين؛ لنقاء قلوبهم، ومنه يقال لنساء الأمصار: حواريات. قال الشاعر:

فقل للحَوَارِيَّات يَبْكِين غيرنا ولا تَبْكِينَا إلا الكلابُ النوابحُ

ومنه الخبز الحوارى؛ لنقاوته وبياضه.

وأما قوله: ﴿نحن أنصار الله﴾ لأنهم إذا نصروا عيسى، فكأنهم نصروا الله ﴿آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾.

قوله تعالى: ﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾ قيل: مع الشاهدين من أمة محمد؛ لأنهم يشهدون للرسل بالبلاغ، وقيل: من الشاهدين على نبوة عيسى.

قوله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله﴾ المكر من العبد: الخب والخداع، ومن الله تعالى: أن يأخذ العبد بغتة من حيث لايعلم، وإنما سماه مكرا - على المقابلة - لأنه جزاء مكرهم: كما قال: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾[1] والمراد بمكرهم هاهنا: أنهم احتالوا لقتل عيسى، فقال رجل: ألا أدلكم على البيت الذى فيه عيسى، فجاءوا معه البيت الذى كان فيه عيسى، فرفعه الله إلى السماء، وألقى شبه عيسى على من دلهم عليه، فأخذوه، وهو يصيح: لست بعيسى، فقتلوه، وقيل: إن الدال كان واحدا من الحواريين؛ فذلك مكر الله ﴿والله خير الماكرين﴾.

قوله تعالى: ﴿إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك﴾ أى: واذكر قول الله لعيسى: إنى متوفيك ﴿ورافعك إلىّ﴾. فإن قال قائل: ما معنى التوفى، وعيسى فى الأحياء

(١) الشورى: ٤٠.

كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ

على زعمكم؟ قلنا: فيه أقوال، قال الحسن البصرى: معناه: إنى قابضك من الأرض، وهو صحيح عند أهل اللغة، فيقال: توفيت حقى من فلان. أى: قبضت.

قال الأزهرى: كأنه يقول: إنى متوفى عدد آبائك فى الأرض، وكل شىء تم فهو متوفى، ومستوفى، وقال الفراء: فيه تقديم وتأخير، وتقديره: إنى رافعك إلىّ ومتوفيك» أى: بعد النزول من السماء.

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليهبطن عيسى بن مريم حكما مقسطا يكسر الصليب ويقتل الخنزير»(١)، وفى رواية: «أنه يقتل الدجال بباب لدّ»(٢) من دمشق، وفى الأخبار: أنه يعيش بعد ذلك فى الأرض سبع سنين،(٣) ويتزوج، ويولد له. ثم يموت، ويصلى عليه المؤمنون من هذه الأمة(٤).

وهذا التقديم والتأخير الذى ذكرنا فى الآية محكى عن ابن عباس وله قول آخر: أن الآية على حقيقة الموت، وأن عيسى قد مات، ثم أحياه الله تعالى ورفعه إلى السماء.

قال وهب بن منبه: أماته الله ثلاث ساعات من النهار، ثم أحياه الله، ورفعه إليه، وقال الربيع بن أنس: التوفى: هو النوم، وكان عيسى قد نام، فرفعه الله نائما إلى السماء، والمعروف: القولان الأولان.

وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رأيت ابنى الخالة: عيسى، ويحيى فى السماء الثانية ليلة المعراج»(٥)، وروى أيضا: «أنه رآهما فى السماء الدنيا» والأول

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة. رواه البخاري بطوله (٦/٥٦٦ رقم ٣٤٤٨)، ومسلم (٢/٢٤٩ رقم ١٥٥).

(٢) رواه مسلم (١٨/٨٥-٩٤ رقم ٢١٣٧، وأبو داود (٤/١١٧ رقم ٤٣٢١، والترمذى (٤/٤٤٢ - ٤٤٥ رقم ٢٢٤٠، وابن ماجة (٢/١٣٥٦ - ١٣٥٩ رقم ٤٠٧٥) وأحمد فى مسنده (٤/١٨١ - ١٨٢) كلهم من حديث النواس بن سمعان به وقوله «من دمشق» ليس فى الحديث، بل هو تفسير منه، وهو خطأ، انظر شرح مسلم للنووى (١٨/٩١)، ومعجم البلدان (٥/١٧).

(٣) ثبت هذا عند مسلم (١٨/٩٩-١٠٢ رقم ٢٩٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو..

(٤) رواه أبو داود (٤/١١٧ - ١١٨ رقم ٤٣٢٣)، وأحمد (٢/٤٠٦، ٤٣٧)، والطبرى (٦/١٦ - ١٧) وابن حبان (١٥/٢٣٣ - ٢٣٤ رقم ٦٨٢١) والحاكم (٢/٥٩٥) وصححه من حديث أبى هريرة.

(٥) متفق عليه من حديث أنس، عن مالك بن صعصعة، رواه البخارى (٦/٣٤٨ - ٣٥٠ رقم ٣٠٢٧) وأطرافه فى (٣٣٩٣، ٣٤٣٠، ٣٨٨٧)، ومسلم (٢/٢٩٠ - ٢٩٣ رقم ١٦٤).

بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ

أصح، وقال عليه الصلاة والسلام : « رأيت المسيح بن مريم يطوف بالبيت »(١) فدّل على أن الصحيح أنه فى الأحياء، وفى أخبار المعراج: « أن النبى ﷺ لقى آدم فى السماء الأولى وعيسى فى السماء الثانية ويوسف فى السماء الثالثة، وإدريس فى السماء الرابعة وهارون فى السماء الخامسة وموسى فى السماء السادسة، – وفى رواية السماء السابعة – وإبراهيم في السماء السابعة »(٢).

قوله: ﴿ ومطهرك من الذين كفروا ﴾ أى: مخرجك من أرجاسهم وأنجاسهم، ﴿ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾.

وقيل: أراد به النصارى، وهم فوق اليهود إلى يوم القيامة، واليهود أذل الفريقين؛ قد ذهب ملكهم، فلا يعود أبدا، وملك النصارى دائم إلى قريب من قيام الساعة، وقيل: أراد بالذين اتبعوه: أمة محمد ﷺ؛ حيث صدقوه ووافقوه على دين التوحيد، فهم فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة.

وفيه قولان: أحدهما: أنهم فوقهم بالحجة.

والثانى: بالعز والغلبة، وقد قال ﷺ: « أنا أولى بعيسى بن مريم، ليس بينى وبينه نبى »(٣).

﴿ ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة ﴾

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر في حديث طويل، رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٥٥٠ رقم ٣٤٤٠ وأطرافه فى ٣٤٤١، ٥٩٠٢، ٦٩٩٩، ٧٠٢٦، ٧١٢٨)، ومسلم (٢/ ٣٠٢ – ٣٠٧ رقم ٦٦٩).

(٢) تقدم تخريجه في رقم (٥)، ورواية: أنه رأى موسى في السماء السابعة، أخرجها البخاري من حديث شريك عن أنس (١٣/ ٤٨٦ رقم ٧٥١٧) وهو عند مسلم (٢/ ٢٨٣ رقم ١٦٢) ولكن لم يسرده.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة، رواه البخاري (٦/ ٥٥٠ – ٥٥١ رقم ٣٤٤٢ وطرفه فى ٣٤٤٣)، ومسلم (١٥/ ١٧٣ – ١٧٤ رقم ٣٣٦٥).

أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾

والعذاب فى الدنيا: القتل والأسر والجزية، والعذاب فى الآخرة: عذاب النار.

قوله تعالى: ﴿وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم﴾ أى: جزاء أعمالهم ﴿والله لايحب الظالمين﴾ أى: لايرحم الكافرين، ولا يثنى عليهم بالجميل.

قوله تعالى: ﴿ذلك نتلوه عليك من الآيات﴾ يعنى: القرآن ﴿والذكر الحكيم﴾ أى: الذكر ذى الحكمة، وقيل: الذكر المحكم الذى لا يتخلله الفساد.

قوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم﴾؛ سبب نزول الآية ما روى: أن وفد نجران لما قدموا على النبى ﷺ قال لهم: «أسلموا، فقالوا: نحن مسلمون، قال: كذبتم؛ يمنعكم من ذلك ثلاث: قولكم إن الله اتخذ ولدا، وسجودكم للصليب، وأكلكم الخنزير، فقالوا: من أبو عيسى؟ فنزلت هذه الآية»(١)، وفى الآية دليل عليهم، ورد لقولهم، فقوله: ﴿إن مثل عيسى﴾ أى: صفة عيسى ﴿عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾، يعنى: إن خلق عيسى بلا أب مثل خلق آدم بلا أب، ولا أم، وخلق عيسى بلا أب ليس بأبدع من خلق آدم بلا أب ولا أم.

فأما قوله: ﴿ثم قال له كن فيكون﴾ راجع إلى آدم، فإن قال قائل: لما ذكر أنه خلقه من تراب، فما معنى قوله بعده ﴿ثم قال له كن فيكون﴾ بعد الخلق؟ قيل: معناه: خلقه من تراب، ثم أُخْبِرُكم أنى قلت له: كن، فكان من غير ترتيب فى الخلق: كما يكون فى أولاده، وهو مثل قول الرجل: أعطيتك اليوم درهما، ثم أعطيتك أمس درهما، أى: ثم أخبرك أنى أعطيتك أمس درهما.

قوله تعالى: ﴿الحق من ربك فلا تكن من الممترين﴾، فإن قيل: أكان شاكا فى الحق حتى نهاه عن الشك؟ قيل: الخطاب مع النبى، والمراد به: الأمة، وقيل: معناه: قل للشاك فيه: الحق من ربك فلا تكن من الشاكين.

(١) تقدم تخريجه.

﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ

واعلم أن فيما سبق من التمثيل على جواز القياس دليل، على أن القياس هو رد فرع إلى أصل بنوع شبه، وقد رد الله تعالى عيسى إلى آدم بنوع؛ فدل على جواز القياس. والمثل: هو ذكر سائر يستدل به على غيره فى معناه.

قوله تعالى: ﴿فمن حاجك فيه﴾ أى: جادلك فى الحق ﴿من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكافرين﴾.

هذا فى دعاء النبى ﷺ بنى نجران إلى المباهلة، روى سعد[1] بن أبى وقاص: «أن النبى ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين وفاطمة وعلى، ثم دعاهم إلى المباهلة»[2].

فقوله: ﴿ندع أبناءنا﴾ أراد به: الحسن والحسين، وقوله: ﴿ونساءنا﴾ يعنى: فاطمة، وأنفسنا يعنى: نفسه وعلىّ، فإن قال قائل: كيف قال: ﴿وأنفسنا﴾ وعلىّ - رضى الله عنه - غيره؟ قيل: العرب تسمى ابن عم الرجل نفسه، وعلىّ كان ابن عمه، وقيل: ذكره على العموم لجماعة أهل الدين. والابتهال: الالتعان، ومنه البهلة: وهى اللعنة، يقال:

عليك بهلة الله، أى: لعنة الله، والابتهال: الاجتهاد فى دعاء اللعنة.

واللعنة: الإبعاد والطرد عن الرحمة بطريق العقوبة، قال لبيد:

وكهول سادةٌ مِنْ عَامِرٍ ... نَظر الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ فابتهلْ

أى: نظر الدهر إليهم بالهلاك فأفناهم باجتهاد فيه.

وفى القصة وكهول «أن النبى ﷺ لما دعاهم إلى الابتهال، وجعل اللعنة على

---

(١) فى «ك»: سعيد وهو خطأ.

(٢) رواه مسلم بطوله (١٥/ ٢٥١ رقم ٢٤٠٤)، والترمذي (٥/ ٢١٠ رقم ٢٩٩٩) وقال: حسن غريب صحيح و(٥/ ٥٩٦ رقم ٣٧٢٤)، وأحمد (١/ ١٨٥).

الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ

---

الكاذب من الفريقين، فقال الأسقف لهم: لاتباهلوا؛ فإنكم لو ابتهلتهم؛ لاضطرم عليكم الوادى نارا، فقالوا للنبى ﷺ: وهل غير المباهلة؟ قال: الإسلام أو الحرب أو الجزية، فقبلوا الجزية، وانصرفوا»(١)، وقال النبى ﷺ: «لو تلاعنوا لصاروا قردة وخنازير»(٢) وفى رواية «لو تلاعنوا لم يبق فى الدنيا نصرانى ولا نصرانية إلى يوم القيامة»(٣).

قوله تعالى: ﴿إن هذا لهو القصص الحق﴾ أى: النبأ الحق ﴿وما من إله إلا الله﴾ «مَن» صلة، وتقديره: وما إله إلا الله ﴿وإن الله لهو العزيز الحكيم﴾.

﴿فإن تولوا﴾ أى: أعرضوا ﴿فإن الله عليم بالمفسدين﴾ أى: بمن يفسد منهم.

قوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب﴾ الخطاب مع اليهود والنصارى ﴿تعالوا إلى كلمة﴾ العرب تسمى كل قصة لها شرح: كلمة، ومنه سميت القصيد: كلمة.

﴿سواء بيننا وبينكم﴾ أى: عدل، ومنه قول زهير بن أبى سلمى:

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه (٢/٥٩٤)، وابن مردويه (تفسير ابن كثير ١/٣٧٠ - ٣٧١) وعزاه السيوطي في الدر (٢/٤٣) لهما ولأبي نعيم في الدلائل من حديث جابر بمعناه، وفيه قوله ﷺ: «إن العذاب قد أظل نجران». وقوله: «لو ابتهلتم؛ لاضطرم عليكم الوادي نارا، هو من قوله - ﷺ -.

وقال الحافظ ابن كثير (١/٣٧١): وقد رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن المغيرة عن الشعبي مرسلا، وهذا أصح، وقد روي عن ابن عباس والبراء نحو ذلك.

قلت: راجع تخريج حديث وفد نجران الذي تقدم فى أول السورة.

(٢) لم أقف عليه مرفوعاً، وإنما جاء في سياق حديث رواه ابن جرير (٣/٢١٣) من حديث علباء بن أحمد اليشكري مرسلاً، في مباهلة النبي ﷺ اليهود «فقال شاب منهم: ويحكم، أليس عهدكم بالأمس إخوانكم الذين مسخوا قردة وخنازير، لا تلاعنوا فانتهوا».

(٣) رواه ابن جرير (٣/٢١٢)، وعبد بن حميد، وأبو نعيم في الدلائل - كما فى المنثور - (٢/٤٦) بمعناه، ولفظه: لو فعلوا لاستؤصلوا عن جديد الأرض».

الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

أَرُونِي خُطَّةً لاضَيْمَ فِيهَا ... يُسَوِّى بَيْنَا فِيهَا السَّوَاءُ

فَإِنْ تُرِكَ السَّوَاءُ فليس بيني ... وبينَكُم بنِي عمرو لقاءُ

وأراد بالسواء: العدل.

﴿ ألا نعبد إلا الله ﴾ سبب هذا: أن اليهود قالوا: لايريد محمد منا إلا أن نعبده، وكذلك قالت النصارى؛ فنزلت الاية ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴾، معناه: تعالوا إلى أمر نستوى فيه: وهو أن لانعبد إلا الله، ولنتفق جميعا على عبادته ﴿ ولانشرك به شيئا ﴾.

﴿ ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ﴾ قال عكرمة: أى: لايسجد بعضنا لبعض؛ فإن من سجد لغيره فقد اتخذه ربا.

وقيل: هو طاعة الخلق فى معصية الخالق ﴿ فإن تولوا ﴾ أى: فإن أعرضوا ﴿ فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ أى: بهذه الكلمة وهذا الأمر.

قوله تعالى: ﴿ قل يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم ﴾ سبب نزول الآية: أن اليهود والنصارى اختصموا [إلى][1] النبى ﷺ فى إبراهيم، فقالت اليهود: هو منا، وقالت النصارى: لا، بل منا؛ فنزل قوله: ﴿ لم تحاجون ﴾ لم تجادلون ﴿ فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ﴾[2]، معناه أن اليهودية محرفة من التوراة، والنصرانية محرفة من الإنجيل، والتوراة والإنجيل أنزلتا بعد إبراهيم.

فكيف تَدَّعُون أنه على اليهودية أو على النصرانية؟ وأما التوراة والإنجيل فقد ذكرنا

---

(١) كذا في «ك»: إلى وفى «الأصل»: الذى وهو خطأ.

(٢) رواه ابن جرير (٣/ ١٢١٦)، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٣٨٤) عن ابن عباس رضي الله عنه، وعزاه السيوطي أيضا في الدر (٢/ ٤٥) لابن إسحاق.

ورواه ابن جرير (٣/ ٢١٦، ٢١٧) عن قتادة، والربيع، والشعبي جميعهم مرسلا.

﴿٦٥﴾ هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ

اشتقاقها، وقيل: ليس لهما اشتقاق، وهما اسمان بالسريانية.

قوله تعالى ﴿ها أنتم هؤلاء﴾ «ها» للتنبيه، ومعناه: يا هؤلاء، أنتم ﴿حاججتم﴾ جادلتم ﴿فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾ أى: جادلتم فى أمر موسى وعيسى، وادعيتم أنّا على دين موسى وعيسى، وقد أنزلت أمره عليكم، فلم تجادلون فى أمر إبراهيم، ولم أنزله عليكم، ولا علم لكم به؟! ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾.

قوله تعالى: ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا﴾ أخبر الله تعالى أنه ليس على ما ادعوا من اليهودية و[لا](1) النصرانية، ﴿ولكن كان حنيفا مسلما﴾.

والحنيف: هو المائل إلى الدين، المستقيم عليه، ومنه: الأحنف: وهو المائل القدم، وقال مجاهد: الحنيف: المتبع، وقال الضحاك: الحنيف: الحاج. فإن قال قائل: لم قال ﴿حنيفا مسلما﴾ والمسلم: هو الذى يكون على جميع ما أتى به محمد رسول الله ﷺ، وإبراهيم لم يكن على جملة شريعته؟

قيل: قد كان على بعض شريعته؛ فيكون بذلك مسلما؛ كمن مات من هذه الأمة فى بدء الأمر، كان مسلما ببعض شريعته؛ فإنها إنما تمت، واستقرت فى آخر الأمر، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿مسلما﴾ بمعنى: الانقياد من قوله: ﴿أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾(2)؛ فلذلك قال: ﴿حنيفا مسلما وما كان من المشركين﴾.

قوله تعالى: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه﴾: من اتبعه فى زمانه. ﴿وهذا النبى﴾ يعنى: محمداً ﷺ ﴿والذين آمنوا﴾ يعنى: من هذه الأمة ﴿والله ولى المؤمنين﴾.

قوله تعالى: ﴿ودت طائفة من أهل الكتاب﴾ أى: تمنت طائفة من أهل

(1) من «ك».

(2) البقرة: ١٣١.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ

الكتاب. ﴿لو يضلونكم﴾ لو يردونكم إلى الضلالة، وما هم عليه من اليهودية والنصرانية ﴿وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾.

قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون﴾ فيه قولان: أحدهما: معناه: لم تكفرون بنعت محمد وصفته، وأنتم تشاهدونه فى التوراة والإنجيل؟!.

والثانى: معناه: لم تكفرون بما يأتى [به][1] محمد من الدلالات والمعجزات، وأنتم تقرون بمثلها مما أتى به موسى وعيسى؟!

قوله - تعالى -: ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾ معناه: لم تخلطون الإيمان بعيسى - وهو الحق - بالكفر بمحمد ﷺ - وهو الباطل -؟ وقيل معناه: لم تغطون «الحق» من نعت محمد بالتغيير «الباطل»؟!.

قوله تعالى: ﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار، واكفروا آخره لعلهم يرجعون﴾ أما وجه النهار: أوله، ومنه قول الشاعر:

**من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار**

أى: أول النهار، وهذا فى اليهود، قالوا: نؤمن بمحمد فى أول النهار، ثم نكفر به فى آخر النهار؛ حتى (يتهمه)[2] الناس (ويقولوا)[3]: قد ظهر منه شىء؛ حتى كفروا به، وقيل: إنهم قالوا: نصدقه فى البعض، ونكذبه فى البعض؛ حتى يقول الناس: صدقوه فيما كان صادقا، وكذبوه فيما كان كاذبا (فيستريبون)[4] بحاله.

---

(١) ليست فى «الأصل»، ولا «ك».

(٢) فى «ك»: نريب.

(٣) في «ك»: يقولون.

(٤) فى «ك»: فيسترقبون.

﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن

﴿لعلهم يرجعون﴾ أى: من تَبِعَهُ فى دينه، ويكون وجه النهار وآخره بمعنى: البعض على القول الثانى.

قوله - تعالى -: ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ أى: لاتصدقوا إلا من تبع دينكم، «واللام» فيه زائدة كما قال: ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم﴾[1] أى: ردفكم. وهذا فى اليهود أيضا، قالوا: لاتصدقوا إلا من وافقكم فى ملتكم.

ثم ابتدأ الله تعالى فقال: ﴿قل إن الهدى هدى الله﴾ أى: إن البيان بيان الله.

﴿أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم﴾ أى: لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، يقوله للمسلمين.

﴿أو يحاجوكم عند ربكم﴾ أى: ولا يحاجونكم عند ربكم؛ فإن الحجة لكم عليهم، وليست لهم عليكم عند الله.

وقال محمد بن يزيد المبرد: فى الآية تقديم وتأخير: قوله: ﴿ولا تؤمنوا﴾ أى: لاتصدقوا ﴿أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم﴾ من الدلالات والآيات من المن والسلوى ونحوه.

﴿إلا لمن تبع دينكم﴾ إلا لمن وافقكم فى اليهودية ﴿أو يحاجوكم عند ربكم﴾ أى إن صدقتموهم، يحاجونكم يوم القيامة عند ربكم، فيقولون: نحن مثلكم، أو خير منكم، فلا تصدقوهم حتى لايحاجوكم عند ربكم. إلى هاهنا كلام اليهود ثم ابتدأ الله تعالى فقال: ﴿قل: إن الهدى هدى الله﴾ وقيل: معناه ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ أى: ولاتصدقوا أن النبوة فى غير بنى إسحاق، وأنها فى بنى إسماعيل.

[قوله تعالى][2] ﴿قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص

(١) النمل: ٧٢.

(٢) من «ك».

**يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾**

برحمته من يشاء ﴾ قال ابن عباس: هو الدين. وقال مجاهد: هو النبوة. وقال ابن جريج: هو القرآن والإسلام ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ﴾ قد ذكرنا الأقوال فى القنطار، وقال عطاء بن أبى رباح: هو ست آلاف دينار.

وهذا فى عبد الله بن سلام؛ أودعه رجل ألفين ومأتى أوقية من الذهب فأدى الأمانة(١) فيه.

﴿ ومنهم من إن تأمنه بدينار لايؤده إليك ﴾ هذا فى فنحاص بن عازوراء اليهودى؛ أودعه رجل دينارا فخان فيه.

﴿ إلا ما دمت عليه قائما ﴾ أى: لايؤده إليك إلا مادمت على رأسه قائما تطالبه. وقيل: أراد بالقيام: الإلحاح والمطالبة.

﴿ ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ﴾ قالت اليهود: ليس علينا فى أخذ أموال العرب حرج، كأنهم استحلوا أموال الأميين: وهم العرب، محمد وأصحابه.

﴿ ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ ﴿ بلى ﴾ عليهم سبيل؛ ذكره جوابا لقولهم.

قالت النحاة: وهو وقف تام، ثم ابتدأ، فقال: ﴿ من أوفى بعهده واتقى ﴾ قال ابن عباس: واتقى الشرك ﴿ فإن الله يحب المتقين ﴾ الموحدين.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ﴾ روى أبو وائل – وهو شقيق بن سلمة – عن ابن مسعود، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من حلف على يمين كاذبة؛ ليقتطع بها مال امرئ مسلم، لقى الله وهو عليه غضبان،

(١) فى «ك»: الثانية. وهو تحريف.

**بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ**

---

وتلا هذه الآية قال: وكان الأشعث بن قيس حاضرا، فقال: فىّ نزلت الآية، وذكر قصة» وهذا حديث فى الصحيحين(١)، ورواه مسلم فى صحيحه برواية أخرى، وزاد فيه أنه: «قيل: يارسول الله، وإن كان فى شىء يسير؟ قال: وإن كان فى قضيب من أراك»(٢).

وروى مسلم أيضا فى كتابه برواية ثالثة عن النبى ﷺ أنه قال: «ثلاثة لايكلمهم الله ولاينظر إليهم يوم القيامة، ولايزكيهم [ولهم عذاب أليم](٣): المنان بما أعطى والمسبل إزاره، والمنفق سلعته باليمين الكاذبة»(٤).

فقوله: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا﴾ أى: شىء قليل من حطام الدنيا ﴿أولئك لاخلاق لهم فى الآخرة﴾ أى: لاحظ لهم فيها.

﴿ولايكلمهم الله﴾ أى: ولايكلمهم كما يكلم المؤمنين؛ وقد صح أنه جلّ جلاله - يكلم المؤمنين يوم القيامة من غير ترجمان(٥)، وقيل: هو بمعنى: الغضب، كما يقال: أنا لا أكلم فلانا، إذا كان غضبانا عليه ﴿ولاينظر إليهم يوم القيامة﴾ يعنى: لاينظر إليهم بالرحمة.

﴿ولايزكيهم﴾ لايثنى عليهم بالجميل، ولايطهرهم من الذنوب ﴿ولهم عذاب أليم﴾.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٤١ رقم ٢٣٥٦، ٢٣٥٧)، والحديث رقم ٢٣٥٦ أطرافه في: ٢٤١٦، ٢٥١٥، ٢٦٦٦، ٢٦٦٩، ٢٦٧٣، ٢٦٧٦، ٤٥٤٩، ٦٦٥٩، ٦٦٧٦، ٧١٨٣، ٧٤٤٥)، والحديث رقم ٢٣٥٧ أطرافه في: ٢٤١٧، ٢٥١٦، ٢٦٦٧، ٢٦٧٠، ٢٦٧٧، ٤٥٥٠، ٦٦٦٠، ٦٦٧٧، ٧١٨٤). ورواه مسلم (٢/ ٢٠٨ رقم ١٣٨).

(٢) رواه مسلم من حديث أبي أمامة - رضي الله عنه - (٢/ ٢٠٧ رقم ١٣٧).

(٣) من «ك».

(٤) رواه مسلم من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - (٢/ ١٥٠ رقم ١٠٦).

(٥) متفق عليه من حديث عدى بن حاتم، رواه البخارى (٣/ ٣٣٠ رقم ١٤١٣ وانظر أطرافه فى ١٤١٧، ٣٥٩٥، ٦٠٢٣، ٦٥٣٩، ٦٥٤٠، ٦٥٦٣، ٧٤٤٣، ٧٥١٢) ومسلم (٧/ ١٤١ رقم ١٠١٦) ولفظ مسلم «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان...» الحديث.

الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ

قوله تعالى: ﴿وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب﴾ أى: يغيرون، ويحرفون الكتاب بألسنتهم. وقيل: يعدلون بألسنتهم عن الكتاب ﴿لتحسبوه﴾ لتظنوه ﴿من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾.

قوله تعالى: ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة﴾ سبب نزول الآية: «أن اليهود والنصارى اجتمعوا عند النبى ﷺ واختصموا فى إبراهيم، فقالت كل فرقة: هو منا، فقال ﷺ: كذبتم؛ فغضبوا، وقالوا: يامحمد، لاتريد منا إلا أن نتخذك ربا؛ فنزلت الآية»(١).

﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب﴾ يعنى: القرآن ﴿والحكم﴾ الأحكام، والحكمة: السنة ﴿والنبوة﴾ المنزلة الرفيعة بالأنبياء.

﴿ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله﴾ أى: عبيدا لى من دون الله وقيل: أراد بالبشر: عيسى - صلوات الله عليه - لأنهم كانوا يدعون أن عيسى أمرهم أن يعبدوه، ويتخذوه ربا، فقال: ﴿ما كان لبشر﴾ يعنى: عيسى.

﴿أن يؤتيه الله الكتاب﴾ يعنى: الإنجيل ﴿والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب﴾.

قال سعيد بن جبير: الربانى: الفقيه العالم الذى يعمل بعلمه. وقال الضحاك: الربانى: العالم الحكيم. وفى الخبر: «كونوا علماء حلماء»(٢).

والربانى من طريق المعنى: هو أن يكون على دين الرب وعلى طريق الرب.

---

(١) سبق تخريجه عند قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم...﴾ الآية.

(٢) روى هذا عن ابن عباس، وابن مسعود موقوفًا عليهم. انظر الدر المنثور (٢/٥٢).

وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم

وقيل: هو من التربية، فالربانى هو الذى ربى[1] بصغار العلم حتى بلغ كباره، وروى: أن ابن عباس لما توفى، قام محمد بن الحنفية على قبره، وقال: اليوم مات ربانى هذه الأمة.

وقال مجاهد: الربانيون فوق الأحبار؛ فالأحبار: العلماء، والربانيون: الذين جمعوا مع العلم البصيرة بسياسة الناس.

﴿ بما كنتم تعلمون الكتاب ﴾ - بالتشديد - من تعليم القرآن، وبالتخفيف من العلم[2].

﴿ وبما كنتم تدرسون ﴾ تقرءون.

قوله تعالى: ﴿ ولا يأمركم ﴾ يقرأ بالرفع على الابتداء، أى: ولايأمركم الله، ويقرأ بنصب الراء على النسق[3]، أى: ولايأمركم ذلك البشر ﴿ أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ﴾ فالنصارى: هم الذين اتخذوا النبيين أربابا، والصابئون: هم الذين اتخذوا الملائكة أربابا.

﴿ أيامركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ أى: لايأمركم بالكفر بعد الإسلام.

قوله تعالى: ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبين ﴾ قرأ ابن مسعود: «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب» ﴿ لما آتيتكم من كتاب وحكمة ﴾: هو أحد القولين فى معنى القراءة المعروفة، قال ابن عباس: معنى الآية: وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب مع النبيين. قال ابن عباس: لما استخرج الله الذرية من صلب آدم كالذر،

---

(١) فى «ك»: ولي.

(٢) قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائى، وعاصم (تُعَلِّمُونَ) بضم التاء، وفتح العين وكسر اللام مشددة، وقرأ الباقون (تَعْلَمُون) بفتح التاء واللام وإسكان العين مخففًا.

انظر النشر (٢/ ٢٤٠).

(٣) قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمز، وخلف، ويعقوب، بنصب الراء.

وقرأ الباقون بالرفع. انظر المصدر السابق.

بالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا

والأنبياء كانوا فيهم كالمصابيح والسرج، أخذ الميثاق على النبيين أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وأن يصدقوه، وينصروه إن أدركوه. فهذا معنى قوله: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة﴾، وقرأ حمزة «لِما آتيتكم» مخففا بكسر اللام، وقرأ غيره: «لَمَّا آتيتكم» بفتح اللام مشددا، والقراءة المعروفة: بفتح اللام مخففا(١)، ومعناه: للذى آتيتكم بمعنى الخبر.

وقيل: معناه: لئن آتيتكم بمعنى: الشرط، ﴿ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾ يعنى: محمدا ﷺ.

﴿قال أأقررتم﴾ أى: أقروا ﴿وأخذتم على ذلكم إصرى﴾ أى: عهدى. والإصر: العهد الثقيل﴿قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾.

وقال الضحاك: إنما أخذ الميثاق على النبيين خاصة كما نطقت به الآية، فأخذ الميثاق على كل نبى أن يؤمن بالذى يأتى بعده من الأنبياء وينصره، فأخذ الميثاق على موسى - صلوات الله عليه وسلم - أن يؤمن بعيسى، وعلى عيسى أن يؤمن بمحمد ونحو ذلك.

ثم قال: ﴿فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون أفغير دين الله يبغون﴾ يطلبون، يقرأ بالياء والتاء(٢).

﴿وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها﴾ قال ابن عباس: لما خاطبهم بقوله: ﴿ألست بربكم﴾(٣) أسلم الكل، وقالوا: بلى، ولكن بعضهم قالوا: بلى،

(١) انظر النشر (٢/ ٢٤١).

(٢) قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحفص بالياء التحتية، وقرأ الباقون بالتاء الفوقية. انظر النشر (٢/ ٢٤١).

(٣) الأعراف: ١٧٢.

وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ

طوعا وبعضهم كرها. وقيل: أسلم من فى السموات طوعا، وأسلم من فى الأرض كرها وطوعا، وبعضهم طوعا، وبعضهم كرها؛ لخوف السيف ﴿وإليه ترجعون﴾.

قوله تعالى: ﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط﴾ لما ذكر الملك والأديان، واضطراب الناس فيها، أمر رسوله أن يقول: ﴿آمنا بالله ..﴾ الآية، وقد ذكرنا معنى الأسباط وما قيل فيه ﴿وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾.

قوله تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾ وحق لمن يبتغى غير دين الإسلام أن يصبح غدا من الخاسرين.

قوله تعالى: ﴿كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات﴾ يعنى: لايهديهم الله، وهو مثل قول عبد الله بن قيس الرقيات(١):

كَيْفَ نَوْمِي عَلَى الفِرَاشِ ولَمّا تشتمل السآم غارة شعواءُ؟

أى: لانوم لى على الفراش.

والآية نزلت فى الحارث بن أوس بن الصامت؛ فإنه ارتد عن الإسلام، ولحق بمكة، وأقام مدة، ثم أرسل إلى المسلمين فى أن يرجع إلى الإسلام؛ فنزلت الآية ﴿كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم﴾.

قال الزجاج: يعنى: أنهم يستحقون الضلالة، ولايستحقون الهداية ﴿والله لايهدى القوم الظالمين أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾.

(١) فى «ك»: الرقبان. وهو خطأ.

وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ

---

فإن قال قائل: لم قال: ﴿ والناس أجمعين ﴾ فكذلك يتناول نفسه أيضا، فكيف يلعن على نفسه؟ قيل: أراد فى القيامة يلعن بعضهم بعضا، ويلعنون أنفسهم. وقيل: إنهم يلعنون الظالمين والكافرين؛ فذلك لعنهم على أنفسهم؛ لأن من لعن الظالمين والكافرين، وهو ظالم وكافر فقد لعن نفسه.

﴿ خالدين فيها لايخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ﴾ يعنى بهذا: الحارث بن أوس؛ فإنه تاب وأسلم فقبلت توبته.

قوله - تعالى -: ﴿ إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم ﴾ هذا فى قوم كانوا مع الحارث بن أوس وارتدوا، فلما رجع هو إلى الإسلام أمسكوا عن الإسلام أولئك القوم، وقالوا: نتربص الدهر بمحمد، فإن ساعده الزمان، ونفذ أمره نرجع إلى دينه؛ فنزلت الآية.

﴿ إن الذين كفروا بعد إيمانهم ﴾ أى: ارتدوا عن الإسلام بعد إيمانهم ﴿ ثم ازدادوا كفرا ﴾ بقولهم: إنا نتربص بمحمد ريب المنون ﴿ لن تقبل توبتهم ﴾ قال أبو العالية: لأنهم لم يكونوا محققين للتوبة، بل كانوا متربصين ﴿ وأولئك هم الضالون ﴾ وقيل: أراد به: الذين كفروا بعد إيمانهم بعيسى؛ ازدادوا كفرا بمحمد ﴿ لن تقبل توبتهم ﴾ عند الناس ﴿ وأولئك هم الضالون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به ﴾ يعنى: لو افتدى به، و« الواو » زائدة مقحمة، وقيل: تقدير الآية: فلن يقبل من أحدهم أن يتبرع بملء الأرض ذهبا، ولو افتدى به أيضا لايقبل ﴿ أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين ﴾.

قوله تعالى: ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ قال ابن مسعود وعمرو بن ميمون

مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُوْلَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا

ومسروق بن الأجدع أبو عائشة: البر: الجنة هاهنا. وقيل: هو العمل الصالح. وقيل: هو الثواب، وفى الخبر: «عليكم بالصدق؛ فإنه يهدى إلى البر، والبر يهدى إلى الجنة، وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدى إلى الفجور، والفجور يهدى إلى النار»(١).

﴿ حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ قيل: أراد بالإنفاق: أداء الزكاة. وقيل: أداء جميع الصدقات. وقيل: كل إنفاق يبتغى به مرضات الله تعالى ينال به هذا البر.

وروى أنه لما نزلت هذه الآية قال أبو طلحة: «يارسول الله، إنى أرى الله يسألنا أموالنا، فأشهدك أنى جعلت حائط كذا لله تعالى فقال ﷺ: اقسمه بين الفقراء قرابتك، فقسمه بين أُبىّ وحسان»(٢).

وروى أن ابن عمر – رضى الله عنه – اشترى جارية كان قد هويها، فلما نظر إليها أعتقها، وزوجها رجلا، وتلا قوله تعالى ﴿لن تَنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾.

﴿ وما تنفقوا من شىء فإن الله به عليم ﴾ أى: يعلمه، أى: يجازى عليه.

قوله تعالى: ﴿ كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل ﴾ سبب نزول الآية: أن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم، وكان لايأكل لحوم الإبل وألبانها وأنت تأكلها، فلست على ملة إبراهيم؛. فنزلت الآية ﴿ كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ﴾ يعنى: ليس الأمر على ما قالوا من حرمة لحوم الإبل وألبانها على إبراهيم، بل كان (الكل)(٣)

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود، رواه البخارى (١٠/٥٢٣ رقم ٦٠٩٤) ومسلم (١٦/٢٤١ – ٢٤٣ رقم ٢٦٠٧).

(٢) متفق عليه من حديث أنس، رواه البخارى (٣/٣٨١رقم ١٤٦١، وأطرافه فى ٢٣١٨، ٢٧٥٢، ٢٧٥٨، ٢٧٦٩، ٤٥٥٤، ٤٥٥٥، ٥٦١١) ومسلم (٧/١١٦ – ١١٩ رقم ٩٩٨) مع اختلاف فى ألفاظه.

(٣) ليست فى «ك».

**بالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ**

حلالا له ولبنى إسرائيل، وإنما حرمها يعقوب على نفسه قبل نزول التوراة، يعنى: أن حرمتها ليست فى التوراة، ولا فى شرع إبراهيم، وإنما هو شىء حرمه إسرائيل على نفسه، وسبب تحريمه ذلك على نفسه: أنه اشتكى عرق النسا، وكان له من ذلك زقاء - أى صياح - فقال: إن شفانى الله منه لأحرمن أحب الطعام إلىّ لحوم الإبل وألبانها، فشفاه الله؛ فحرمها على نفسه.

﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ طالبهم بالإتيان بالتوراة حجة على ما ادعوا فلم يأتوا بها؛ إذ لم يكن تحريمها فى التوراة، فعجزوا عن الإتيان بالتوراة وكان ذلك كالمعجزة للرسول عليهم.

قوله تعالى: ﴿قل صدق الله﴾ يعنى: فيما أخبر وأنزل ﴿فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا﴾ وإنما دعاهم إلى اتباع ملة إبراهيم؛ لأن فى اتباع ملته اتباعه، وفى اتباعه اتباع ملته، ﴿وما كان من المشركين﴾.

قوله تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا﴾ روى أبو ذر: «أنه سأل رسول الله ﷺ أى المساجد وضع أولا؟ فقال: المسجد الحرام. (قلت)[1]: ثم أى؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون عاما، ثم قال: أينما أدركتك الصلاة، فصلِّ؛ فإنه لك مسجد»[2].

وروى خالد بن عرعرة عن على - رضى الله عنه - أنه قال: أراد به: أن أول بيت وضع للناس مباركا مع الرحمة والبركة، والآيات البينات للذى ببكة.

وقيل: أول ما خلق الله تعالى من الأرض موضع البيت، ثم منه خلق جميع الأرض،

---

(١) فى «ك»: فقلت.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٦/ ٤٦٩ رقم ٣٣٦٦، وطرفه فى ٣٤٢٥)، ومسلم (٥/ ٣-٤ رقم ٥٢٠).

**ومَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ**

وأول ما خلق من الجبال جبل أبى قبيس.

وفى القصص: أن الله تعالى أمر الملائكة ببناء البيت قبل خلق آدم بألفى عام، وكانت الملائكة يحجونه، فلما حجه آدم، قالت الملائكة: بَرّ حَجُّك، حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام. وأما بكة فالصحيح: أن بكة ومكة بمعنى واحد، وهو قول ابن عباس، ومثله: طين لازب ولازم، وسَمَّل رأسه وسَبَّل بمعنى واحد.

وقيل: (إنه)[1] موضع البيت، ومكة جميع القرية. وقيل: إنما سميت بكة؛ لأن الناس يتباكون فيها، أى: يزدحمون، ومنه قول الشاعر:

**إذا الشَّريبُ أَخَذَتْه أكَّه ... فَخَلِّــه حتى يَبُكَّ بكَّه**

وقوله: ﴿مباركا وهدى للعالمين﴾ أى: وضع ذلك البيت ذا بركة وهدى للعالمين.

﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم﴾ قرىء: «فيه آية بينة» على الوحدان، وهى مقام إبراهيم، والمعروف: ﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم﴾.

من تلك الآيات: مقام إبراهيم: وهو الحَجَر الذى فيه أثر أصابع قدم إبراهيم، وكان قد بقى أثره فيه، فاندرس من كثرة المسح بالأيدى، وقيل مقام إبراهيم: جميع الحرم.

ومن الآيات فى البيت أيضا: أن الطير يطير فلا يعلو فوقه، كذا قيل، ومنها: أن الجارحة إذا قصدت صيدا، فإذا دخل الصيد الحرم كفت عنه، ومنها: أنه ما قصده جبار إلا قصمه الله - تعالى -، ومنها: أن المطر إذا أصاب الركن اليمانى؛ (كان الخصب باليمن، وإن أصاب جانب الشام)[2]؛ كان الخصب بالشام، وإن أصاب جميع الجوانب كان الخصب جميع الجوانب.

وسبب هذا أن اليهود قالوا: قبلتنا أولى من قبلتكم؛ فَبَيَّن الله تعالى للمسلمين شرف قبلتهم؛ فإنها خصت بأشياء ليست تلك لقبلتهم، وأن بيت المقدس قد حرق وهدم، وأما الكعبة فما قصدها جبار إلا قصمه الله تعالى. ﴿ومن دخله كان آمنا﴾ قال ابن عباس: هو (الجانى)[3] يدخله، فيصير آمنا عن القتل فيه، ولكنه لايؤاكل

(١) فى «ك»: إن بكة.

(٢) ليست فى «ك».

(٣) فى «ك»: الخائف.

عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ

ولايشارب، ولايباع ولايشارى حتى يخرج فيقتل.

وقال الحسن وقتادة وعامة المفسرين - وهو الأصح -: إنه أراد الأمن عن تخطف الكفار بالقتل والغارة. وقيل: أراد به: ومن دخله كان آمنا فى القيامة من العذاب.

قوله - تعالى -: ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ قد ذكرنا معنى الحج.

﴿من استطاع إليه سبيلا﴾ روى الحسن مرسلا عن النبى ﷺ «أنه سئل عن الاستطاعة، فقال: الزاد والراحلة»[1]، وروى ابن عمر «أنه ﷺ سئل أىّ الحاج أفضل[2]؟ فقال: الشعث، التفل. فقيل: أى الحج أفضل؟ فقال: العج، والثج. قيل: ما السبيل؟ قال: الزاد والراحلة»[3].

وقال مالك: الاستطاعة بقوة البدن، فمتى وجد الزاد، وقوى على المشى لزمه الحج، والأصح أن الاستطاعة: هى القدرة على ما يوصله إلى الحج، فمنها: الزاد، والراحلة، ومنها: أمن الطريق، ونفقة الأهل، ونحو ذلك.

﴿ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾ الأصح: أنه أراد بالكفر: إنكار وجوب الحج، وقيل: «إنه لما نزل (قوله: ﴿ولله﴾[4] على الناس حج البيت﴾ جمع رسول الله

---

(١) رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه (٤/٩٠)، وابن جرير فى تفسيره (٤/١٢)، وسعيد بن منصور فى سننه (٣/١٠٧٦ رقم ٥١٨)، والدارقطنى فى سننه (٢/٢١٨)، والبيهقى (٤/٣٢٧).

(٢) ليست فى «الأصل»، ولا «ك».

(٣) رواه الترمذى (٣/١٧٧ رقم ٨١٣ مختصراً، و٥/٢٠٩-٢١٠ رقم ٢٩٩٨) بأتم مما هاهنا) وابن ماجة (٢/٩٦٧ رقم ٢٨٩٦)، والشافعى فى مسنده (١/٢٨٤) وابن أبى شيبة (٤/٩٠) والدارقطنى (٢/٢١٧)، والبيهقى (٤/٣٣٠). وقال الترمذى فى الموضع الأول: هذا حديث حسن، والعمل عليه عند أهل العلم: أن الرجل إذا ملك زادا وراحلة وجب عليه الحج.

وقال فى الموضع الثانى: هذا حديث لا نعرفه من حديث ابن عمر إلا من حديث إبراهيم بن يزيد الخوزى المكى، وقد تكلم بعض أهل الحديث فى إبراهيم بن يزيد من قبل حفظه.

وقال ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٤/١٣): فأما الأخبار التى رويت عن رسول الله ﷺ في ذلك بأنه الزاد والراحلة، فإنها أخبار فى أسانيدها نظر، ولا يجوز الاحتجاج بمثلها فى الدين.

(٤) فى «ك»: قول الله.

﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

ﷺ من جميع الأديان، وقال: إن الله كتب عليكم الحج أيها الناس فحجوا، فصدقه المؤمنون، وكذبه الكافرون؛ فنزل قوله: ﴿ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾»(١).

قوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون﴾ أى: لايخفى عليه ما تعملون، ويجازيكم عليه.

قوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن﴾ أى: (لم تمنعون من آمن عن سبيل الله)(٢) بكتمان نعت محمد ﴿تبغونها عوجا﴾ أى: تطلبون الزيغ عن السبيل، والعدول عنها بتغيير صفة محمد ﷺ ﴿وأنتم شهداء﴾ يعنى: أنتم عالمون أنه حق؛ على ما ورد نعته وصفته ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ يعنى: يردونكم إلى اليهودية والنصرانية.

قوله تعالى: ﴿وكيف تكفرون﴾ قال الأخفش سعيد بن مسعدة: على أى حال تكفرون؟!، وقال غيره: لم تكفرون؟! ﴿وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله﴾.

فإن قال قائل: منعه إياهم عن الكفر؛ يكون الرسول فيهم، يوهم إباحة الكفر فى حال لايكون الرسول فيهم، قيل: ولايخلو حال من كون الرسول فيهم، فإنه اليوم وإن كان خارجا من بينهم، فشرعه قائم بينهم، فيكون كأنه فيهم.

﴿ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم﴾ أى: ومن يمتنع بالله، قيل: ومن يثق بالله، فقد أرشد إلى طريق مستقيم.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾ قال ابن مسعود: هو أن

(١) أخرجه الطبرى فى تفسيره (٧/٤٩-٥٠)، وسعيد بن منصور (٣/١٠٧٤ رقم ٥١٥). وزاد السيوطى فعزاه فى الدر (٢/٦٣) لعبد بن حميد، وابن المنذر. كلهم عن الضحاك مرسلاً.

(٢) فى «ك»: لم تمنعون عن سبيل الله من آمن.

يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ

يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر. وقال قتادة: (الآية)[1] منسوخة بقوله: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾[2] قال أهل المعانى: لايستقيم النسخ فيه، وقوله ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾[2] تفسير لهذه الآية؛ لأن من أطاع الله فى وقت وجوب الطاعة، وذكره فى وقت وجوب الذكر، وشكره فى موضع وجوب الشكر، فقد اتقى الله حق تقاته.

وهذا لم يصر منسوخا، وقوله: ﴿فاتقوا الله ماستطعتم﴾[2] موافق له؛ لأن التقوى إن كان فى موضع الأمر والوجوب، والأوامر والواجبات على قدر الاستطاعة، فتكون إحدى الآيتين موافقة للأخرى، فلا يستقيم فيه النسخ.

﴿ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾، فإن قال قائل: كيف نهاهم عن الموت على الكفر، والموت لايدخل تحت الأمر والنهى؟! قيل: معناه: دوموا على الإسلام، حتى إذا وافاكم الموت ألفاكم على الإسلام، هذا كما يقول الرجل لغيره: لا أريتك تفعل كذا. معناه: لاتفعل كذا، حتى إذا رأيتك (لا)[3] أراك على فعله.

قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا﴾ قال ابن عباس: حبل الله: هو العهد. وقال قتادة (والسدى)[4]: حبل الله: القرآن. وفى الخبر «القرآن: حبل ممدود (طرف)[5] بيد الله وطرف بأيديكم»[6] وقيل: الحبل: الطريق، حبل الله: طريق الله، وأنشدوا فى ذكر الناقة قول الشاعر:

---

(١) فى الأصل و «ك»: الآباية، وهو خطأ.
(٢) التغابن: ١٦.
(٣) ليست فى «ك».
(٤) ليست فى «ك».
(٥) فى «ك»: طرفه.
(٦) رواه ابن أبى شيبة (١٠/٤٨١ رقم ١٠٠٥٥)، وعبد بن حميد، كما فى المنتخب (ص١٧٥ رقم ٤٨٣)، والطبرانى فى الكبير (٢٢/١٨٨ رقم ٤٩١)، وابن حبان - الإحسان - (١/٣٢٩ - ٣٣٠ رقم ١٢٢) والبيهقى فى الشعب (٤/٥٠١ رقم ١٧٩٢) كلهم من حديث أبى شريح الخزاعى، وقال الهيثمى فى المجمع (١/١٩٧): رجاله رجال الصحيح. وقال البيهقى فى الشعب: ورواه الليث بن سعد، عن سعيد المقبرى، عن نافع بن جبير، عن النبى ﷺ مرسلا. قال البخارى هذا أصح. وانظر علل ابن أبى حاتم (٢/٥٦ رقم ١٦٥٣). وروى بنحوه عن على بن أبى طالب مرفوعًا نسبه الحافظ ابن حجر فى المطالب لإسحاق بن راهويه وقال: هذا إسناد صحيح - المطالب (٤/٦٥ رقم ٣٩٧٢) - وفى الباب عن جماعة من الصحابة.

حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن

وإذا أُجَوِّزُها حِبَـــالَ قبيلةٍ  نزلتْ من الأخرى إليكَ حُبالُها(١)

أى: طريقها. وأصل الحبل كل ما يوصلك إلى الشيء، فتفوز به، والعهد: حبل، والقرآن: حبل، (ومنه)(٢) الحبل المعروف؛ لأنه يوصل إلى المقصود.

﴿ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم﴾ سبب نزول الآية ما روى «أن رجلين: أحدهما من الأوس، والآخر من الخزرج تسابا، فدعا كل واحد منهما قبيلته؛ فثار الحيان، وضربوا بأيديهم إلى السيوف، وكاد يكون بينهم قتال، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج عليهم وهو على حمار، وقام بينهم؛ فنزلت الآية، وتلا عليهم، فبكوا، ومشى كل واحد إلى صاحبه وتعانقوا، واصطلحوا وكفوا عن القتال»(٣)، قال جابر: ما كان يوم أقبح أولا من ذلك اليوم، ولا أحسن آخرا من ذلك اليوم. فقوله: ﴿ولاتفرقوا﴾ الخطاب معهم ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ يعنى: بالإسلام وبعث الرسول وإنزال الكتاب.

﴿إذ كنتم أعداء﴾ لأن الأوس والخزرج كان بينهم قتال [دام](٤) مائة وعشرين سنة ﴿فألف بين قلوبكم﴾ يعنى: بالإسلام ﴿فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ (أى: فى الدين)(٥).

﴿وكنتم على شفا حفرة﴾ أى: طرف حفرة ﴿من النار فأنقذكم منها﴾.

وقيل: نزلت الآية فى مشركى العرب، والأول [أصح وهو](٦) قول عكرمة. ﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ أى: ترشدون، وتسلكون طريق الحق.

---

(١) وقع البيت فى لسان العرب (مادة: حبل) كما يأتى:

وإذا تجوِّزها حبـــال قبيلـــة  أخذت من الأخرى إليك حِبَالَها.

(٢) فى «ك»: فمنه.

(٣) رواه ابن جرير عن عكرمة مرسلا.

(٤) فى «الأصل»، و«ك»: دائم.

(٥) فى «ك»: يعنى بالدين.

(٦) ما بين المعكوفين تكرر بالأصل، وك.

مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ

---

قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة﴾ أى: كونوا أمة، وكلمة «من» - فيه - للجنس، لا للتبعيض، وهو مثل قوله: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾[1] والمراد به الاجتناب من جنس الأوثان كلها لا من بعض الأوثان، كذلك قوله: ﴿ولتكن منكم أمة﴾ أى: كونوا أمة ﴿يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ أى: وأنتم المفلحون.

قوله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا﴾ يعنى: اليهود والنصارى.

﴿من بعد ما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه﴾ يعنى: وأولئك لهم عذاب عظيم يوم القيامة، ثم وصف ذلك اليوم، فقال: ﴿يوم تبيض وجوه﴾ يعنى: بالتوحيد ﴿وتسود وجوه﴾ بالشرك. وقيل: تبيض وجوه بالسنة، وتسود وجوه بالبدعة. وقيل: أراد به: فى الدنيا تبيض وجوه بالقناعة، وتسود وجوه بالطمع. والأول أصح، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة...﴾[2] الآية.

وفى رواية أبى أمامة عن النبى ﷺ «تسود وجوه الخوارج»[3]. ﴿فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم﴾ أى: يقال لهم: أكفرتم بعد إيمانكم؟! فإن قال قائل: كيف كفروا بعد الإيمان ولم يكونوا مؤمنين قط؟ قيل أراد به إيمان يوم الميثاق، وكفروا بعده.

---

(١) الحج: ٣٠.

(٢) عبس: ٣٨-٣٩.

(٣) رواه الترمذى (٥/ ٢١٠ رقم ٣٠٠٠) بطوله، وقال: حسن، وابن ماجه (١/ ٦٢ رقم ١٧٦)، وأحمد (٥/ ٢٦٢)، وعبد الرزاق فى مصنفه (١٠/ ١٥٢ رقم ١٨٦٦٣)، وابن أبى شيبة (١٥/ ٣٠٧ - ٣٠٨ رقم ١٩٧٣٨)، وابن أبى حاتم فى تفسير «آل عمران» (١/ ٤٦٥ رقم ١١٤٤)، والطبرانى فى الكبير (٨/ ٢٦٧ رقم ٨٠٣٣) وأعاده فى غير موضع من كتابه، كلهم من حديث أبى أمامة مرفوعا.

إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

وقيل: أراد به: اليهود؛ آمنوا بما كان فى التوراة من نعت محمد، ثم كفروا، وغيروا. ﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله ﴾ أى: فى ثواب الله ﴿ هم فيها خالدون ﴾.

﴿ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ﴾ لأنه يعاقب من يعاقب عن استحقاق بالعدل ﴿ ولله ما فى السموات وما فى الأرض وإلى الله ترجع الأمور ﴾.

قوله تعالى: ﴿ كنتم خير أمة ﴾ فإن قال قائل: ما معنى قوله: ﴿ كنتم خير أمة ﴾ ومتى كانوا بتلك الصفة؟ قيل: أراد به: كنتم خير أمة فى اللوح المحفوظ. وقيل: أراد به صرتم خير أمة إذا آمنتم. وقيل: يقال لهم يوم القيامة: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ فالمعروف: ما عرفه الشرع، والمنكر: ما أنكره الشرع. وفى الحديث: «لتأمرون بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو يوشك أن يعمكم الله بعقابه»(١)، وقال ﷺ: «أفضل الشهداء بعد شهداء أحد: رجل قام إلى إمام جائر، فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله عليه»(٢)

قوله: ﴿ وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم ﴾ وهذا لاشك فيه. ﴿ منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾ لأنه آمن بعضهم، وكفر أكثرهم.

(١) رواه أبو داود (٤/ ١٢١ - ١٢٢ رقم ٤٣٣٦، ٤٣٣٧)، والترمذى (٥/ ٢٣٥ رقم ٣٠٤٧)، وابن ماجة (٢/ ١٣٢٨ رقم ٤٠٠٦)، وأحمد (١/ ٣٩١) والطبرانى فى الكبير (١٠/ ١٤٥ - ١٤٦ رقم ١٠٢٦٤، ١٠٢٦٨)، والبيهقى فى الكبرى (١٠/ ٩٣) كلهم من حديث ابن مسعود، بعضهم اختصره، وبعضهم ذكره بطوله، وقد اختلف فى أسانيده انظر علل الدارقطنى (٥/ ٢٨٥ - ٢٨٨ رقم ٨٨٩) والسلسلة الضعيفة رقم (١١٠٤).

(٢) سبق تخريجه فى أول هذه السورة.

للنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

﴿ لن يضروكم إلا أذى ﴾ يعنى : لايضرونكم بأكثر من أذى وهو إضرار يسير، وأذى توقيعه باللسان .

﴿ وإن يقاتلونكم يولوكم الأدبار ثم لاينصرون ﴾ أى : يهزمون وتكون النصرة لكم عليهم .

قوله تعالى : ﴿ ضربت عليهم الذلة ﴾ يعنى : ذل الكفر : بالقتل، والسبى، والاغتنام ﴿ أين ما ثقفوا ﴾ أى : وجدوا .

﴿ إلا بحبل من الله ﴾ يعنى : عهد الذمة ﴿ وحبل من الناس ﴾ وهو عهد الأمان، يعنى : أنهم يقتلون، ويؤسرون، إلا أن تكون لهم ذمة أو أمان .

﴿ وباءوا بغضب من الله ﴾ رجعوا واحتملوا غضب الله، ( وقيل : لزمهم غضب الله )[1] من قولهم تبوأ مكان كذا أى : لزمه ﴿ وضربت عليهم المسكنة ﴾ أى : ذل الكفر، بزى الفقر، وذلك على اليهود، حتى لايرى يهودى إلا على زى الفقر، وإن كان غنيا ﴿ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ .

﴿ ليسوا سواء ﴾ يعنى : ( المؤمنين والكافرين )[2] ليسوا سواء، وهذا وقف تام، ثم ابتداء ﴿ من أهل الكتاب أمة قائمة ﴾ أى : عادلة، وقيل : قائمة : مستقيمة على الحق، وقيل : الأمة : الطريقة المستقيمة، وهى طريقة الحق، وتقديره : من أهل الكتاب ذو أمة قائمة، ومنه قول النابغة :

أَكَلَفْتَنِى ذنبَ امرئٍ وتركْتَهُ [3] وهلْ يأثَمَنْ ذو أمةٍ وهوَ طائعُ

( ١ ) ليست فى « ك » .

( ٢ ) فى « ك » : الكافرين والمؤمنين .

( ٣ ) كذا جاء الشطر من البيت فى « الأصل »، و« ك »، وفى لسان العرب ( مادة : أمم ) :

حَلَفْتُ! فلم أترك لنفسك ريبةً

أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ

---

أى: ذو دين وطريقة. ﴿ يتلون آيات الله آناء الليل ﴾: ساعات الليل، واحدها: إنًا، وأنًا ﴿ وهم يسجدون ﴾ قال ابن مسعود: يعنى: يصلون صلاة العتمة، وقيل: أراد به الصلاة ما بين المغرب العشاء وهو فى آناء الليل.

﴿ يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين ﴾ وصفهم الله تعالى وشكرهم ﴿ وما يفعلوا من خير فلن يكفروه ﴾ أى يجازون عليه. والله تعالى إذا جازى العبد على صنيعه، فقد شكره ﴿ والله عليم بالمتقين ﴾.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا ﴾ أى: لا تدفع أموالهم بالفدية، ولا أولادهم بالنصرة من عذاب الله؛ وذلك أن الإنسان يدفع عن نفسه بفداء المال، وتارة بالاستعانة بالأولاد ﴿ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾.

(قوله)[1]: ﴿ مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر ﴾ الصرُّ فى الريح: البرد، وقول الشاعر:

أَوْقِدْ فإنَّ الليلَ ليلُ قرٍّ ... والرِّيحُ يا واقِدُ ريْحُ صِرٍّ

عَسَى [ما][2] نرى نارًا لمن يمرّ ... إنْ جَلَبتْ ضيفًا فأنت حرُّ

﴿ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته ﴾ شبه إنفاقهم بزرع اجتاحته جائحة أو أصابته ريح باردة فأهلكته.

واختلفوا فى تلك النفقة: قال بعضهم: أراد به: إنفاق أبى سفيان يوم بدر وأحد على المشركين فى قتال المسلمين، وقيل: أراد به: إنفاق المرء الذى ينفق ماله رياء

---

(١) ليست فى «ك».

(٢) ليست فى الأصل.

أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ

وسمعة، لايبتغى وجه الله ﴿ وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴾.

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم ﴾ أى: خواص من غير أهل ملتكم، وبطانة الرجل: خاصته، والذين يستنبطون أمره، ومنه: البطانة فى الثوب؛ لأنه يلى البطن والباطن، وهذا فى النهى عن موالاة الكفار ﴿ لايألونكم خبالا ﴾ أى: يقصرون فى (أمركم)[1]، فيفسدون عليكم أمركم، والخبال: الفساد ﴿ ودوا ما عنتم ﴾ أى: يودون ما يشق عليكم، والعَنَت: المشقة، ومنه الأكمه العنوت وهى الشاقة الصعود، قال السدى: أراد به: أنهم يودُّون ردَّكم إلى الكفر والضلالة.

﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم ﴾ يعنى: الوقيعة باللسان، ﴿ وما تخفى صدورهم أكبر ﴾ (يعنى: الذى فى صدورهم)[2] من الغيظ أعظم من الوقيعة باللسان ﴿ قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾.

قوله تعالى : ﴿ ها أنتم أولاء ﴾ يعنى: أنتم ياهؤلاء، ﴿ تحبونهم ﴾ أى: تحبون إيمانهم، ﴿ ولايحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا ﴾ يعنى: باللسان.

﴿ وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ﴾ وهو عبارة عن شدة الغيظ ﴿ إن الله عليم بذات الصدور ﴾.

قوله تعالى: ﴿ إن تمسسكم حسنة ﴾ أى: خصب ونصرة ﴿ تسؤهم ﴾ ﴿ وإن تصبكم سيئة ﴾ أى: قحط وبلاء ﴿ يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا ﴾ يعنى: على

(١) فى «ك»: أموركم.

(٢) ليست فى «ك».

كُلِّه وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ

الشدة والبلاء ﴿ لايضركم كيدهم شيئا ﴾ ويقرأ « لايَضرْكُمْ » بكسر الضاد مخففا[1]، والمعنى واحد ﴿ إن الله بما يعملون محيط ﴾.

قوله تعالى : ﴿ وإذ غدوت من أهلك ﴾ يعنى : واذكر إذ غدوت، ومعناه : خرجت غدوة من أهلك )[2]، أى : من بيت عائشة ﴿ تبوئ المؤمنين ﴾ أى : تنزل المؤمنين ﴿ مقاعد للقتال ﴾ يعنى : تنزلهم فى مواضع القتال ومراكزه، يقال : بوأ فلانا مكان كذا، إذا أنزله فيه، قال ابن عباس : كان النبى ﷺ يسمى لكل واحد من المسلمين مكانا من [ القتال ][3]، ويقيمه ».

وهذا كان فى حرب أحد، وهذه الآية إلى قريب من آخر السورة فى حرب أحد ﴿ والله سميع عليم ﴾ أى : سميع بما قاله المنافقون، عليم بما أضمروا؛ فيكون على وجه التهديد، وقيل : معناه : ﴿ والله سميع ﴾ بما قاله المؤمنون، عليم بما أضمروا؛ فيكون على وجه المدح.

قوله تعالى : ﴿ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ﴾ يعنى : أرادت، وقصدت، والهمُّ : القصد، وأما الطائفتان، فقد صح عن جابر أنه قال : أراد به : بنى سلمة، وبنى حارثة. والقصة فى ذلك :ما روى « أن رسول الله ﷺ شاور أصحابه فى الخروج إلى حرب أحد، فأشار بعضهم بالخروج، وبعضهم بالمكث بالمدينة، فاختار الخروج، وكان جيش المسلمين ألفا، فانخذل عبد الله بن أبى بن سلول بثلث الجيش فهمت هاتان

(١) قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائى، وعاصم بضم الضاد، ورفع الراء وتشديدها، وقرأ الباقون بكسرالضاد، وجزم الراء المخففة.
انظر النشر ( ٢ / ٢٤٢ ).

(٢) فى « ك » خرجت من غدوة أهلك.

(٣) فى « الأصل »، و« ك » : القتل.

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ

الطائفتان بنو سلمة وبنو حارثة أن يرجعوا[1] معهم، فثبتهما الله تعالى على المضى معه، فلم يرجعوا»[2]، فهذا معنى قوله: ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا﴾ أى: أن تضعفا: وتجبنا ﴿والله وليهما﴾ أى: ناصرهما ومثبتهما على الحرب.

قال جابر: ماوددنا أن تفشلا، وقال الله: ﴿والله وليهما[3] وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾.

قوله تعالى: ﴿ولقد نصركم الله ببدر﴾ يذكر عليهم منته بالنصرة يوم بدر، وهو موضع بين مكة والمدينة، وسمى بدرا باسم الموضع، وقيل: سمى بدرا باسم رجل، وقيل باسم بئر ﴿وأنتم أذلة﴾ أى: قليل العدد؛ لأنهم كانوا يوم بدر ثلثمائة وثلاثة عشر نفرا، قال على: ولم يكن فينا فارس إلا المقداد، وكان منهم سبعة وسبعون من المهاجرين والباقون من الأنصار، وكان صاحب راية المهاجرين أمير المؤمنين على – رضى الله عنه –، وصاحب راية الأنصار قيس بن سعد بن عبادة.

وكان لهم يومئذ قليل سلاح، فمنَّ الله عليهم بالنصرة لهم؛ مع قلة عددهم وعدتهم، ﴿فاتقوا الله لعلكم تشكرون﴾.

قوله تعالى: ﴿إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم﴾ قيل: أراد به: فى يوم بدر، وقيل: فى يوم أحد، قال ابن عباس: ما قاتلت الملائكة فى المعركة إلا يوم بدر.

أى: يكفيكم ﴿أن يمدكم ربكم﴾ الإمداد: هو إعانة الجيش بالجيش، ومنه: المدد ﴿بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين﴾.

قوله تعالى: ﴿بلى إن تصبروا﴾ يعنى: بلى وعدكم إنْ تصبروا على لقاء العدو، ﴿وتتقوا﴾ أى: وتحذروا مخالفة الرسول ﴿ويأتوكم من فورهم هذا﴾ قال ابن عباس والحسن وأكثر المفسرين: معناه: ويأتوكم من وجوههم هذا، وقيل: معناه: من غضبهم هذا؛ لأنهم إنما رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم ليوم بدر.

---

(١) فى «ك»: يرجعا.

(٢) رواه ابن جرير بطوله عن السدى مرسلا.

(٣) ليست فى «ك».

آلاف مِّنَ الْمَلائكَة مُسوّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا

﴿ يمددكم ربكم بخمسة آلاف ﴾ لم يرد به خمسة آلاف سوى ما ذكر من ثلاثة آلاف؛ لأنهم أجمعوا على أن عدد الملائكة يومئذ خمسة آلاف، فكأنه جعل ما وعدهم من ثلاثة آلاف خمسة آلاف، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿ بالذى خلق الأرض فى يومين ﴾(١)، ثم قال بعده: ﴿ وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام ﴾(٢) ولم يرد به أربعة أيام سوى ذلك اليومين؛ لأنه قال بعده: ﴿ فقضاهن سبع سموات فى يومين ﴾(٣) وأجمعوا على أن خلق الكل كان فى ستة أيام لا فى ثمانية أيام، بل أراد به أربعة أيام مع ذلك اليومين كذا هذا.

﴿ من الملائكة مسومين ﴾ يقرأ بفتح الواو، والمراد به المُعَلَّمِينَ، ويقرأ: بكسر الواو(٤) فيكون فعل التسويم: من الملائكة، والتسويم الإعلام بالعلامة، وهو من السومة، والسماء: وهو العلامة، واختلفوا فى علامة الملائكة يومئذ كيف كانت؟ قال عروة بن الزبير: كانت الملائكة على خيل يُلقْ عليهم عمائم صُفْر.

وقال الحسن: كانت عمائم بيض مرسلة خلف الظهور. وقال مجاهد: كانوا قد أعلموا من الصوف على أذناب الخيل ونواصيها؛ وذلك سنة فى خلق الشجعان، وقد قال ﷺ: « سوموا فإن الملائكة قد سومت ».(٥)

قوله تعالى: ﴿ وما جعله الله إلا بشرى لكم ﴾ أى: بشارة لكم ﴿ ولتطمئن قلوبكم به ﴾ أى: بوعد النصرة ﴿ وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾ يعنى: ( لا )(٦) تختلوا بالنصر عن الملائكة والجند، واعرفوا [ أن ](٧) النصر من عند الله.

( ١ ) فصلت: ٩.

( ٢ ) فصلت: ١٠

( ٣ ) فصلت: ١٢

( ٤ ) قرأ ابن كثير، وعاصم، ويعقوب، وأبو عمرو بكسر الواو، وقرأالباقون بفتحها.

( ٥ ) رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه ( ١٢ / ٢٦١ رقم ١٢٧٦٨، ١٤ / ٣٥٨ رقم ١٨٥١٥ )، وسعيد بن منصور فى سننه ( ٢٨٦١ )، وابن جرير فى تفسيره ( ٤ / ٥٤ ) جميعهم عن عمير بن إسحاق مرسلا.

( ٦ ) ليست فى « ك ».

( ٧ ) ليست فى « الأصل » و لا « ك ».

خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ

﴿ليقطع طرفا من الذين كفروا﴾ أى: قطعة منهم، ومنه أطراف الإنسان؛ لأنها قطع النفس، ثم من حمل الآية على حرب بدر، فقد كان ذلك القطع منهم يوم بدر؛ فإنه قتل منهم سبعون وأسر سبعون؛ أكثرهم رؤساؤهم، ومن حمل الآية على حرب أحد، فقد قتل منهم ستة عشر فيهم أصحاب الرايات، فكانت النصرة للمسلمين مالم يخالفوا أمر رسول الله، فلما خالفوا أمره ذهبت النصرة عنهم.

قوله: ﴿أو يكبتهم﴾ قال أبو عبيدة: أى: يهلكهم، وقيل: معناه: يخزيهم، وهو أصح، وقيل: معناه: أو يصرعنهم، والكب والكبت: الصرع على الوجه، وفيه قول رابع: يكبتهم بمعنى: يكبدهم، وذلك أن يحزنهم حتى وصل الحزن إلى أكبادهم؛ والعرب تسمى الحزين: أسود الكبد من تأثير الحزن فيه [ومنه](١) قول الشاعر:

**الأعداءُ والأكْبادُ سودُ**

﴿فينقلبوا خائبين﴾ أى: لايدركون ما أمَّلوا، يقال: رجع فلان من الغيبة بالخيبة، إذا لم يدرك أمله.

قوله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شىء﴾ روى الزهرى، عن سالم، عن أبيه عبد الله بن عمر: «أن رسول الله ﷺ كان يلعن فى القنوت قوما من المشركين مدة؛ فنزل قوله: ﴿ليس لك من الأمر شىء﴾ فترك اللعن فى القنوت»(٢)، وروى أنس «أنه ﷺ شُجَّ رأسه يوم أحد، وكُسِرَت رباعيته، وأُدْمِىَ وجهه، وكان يأخذ الدم بكَفِّه ويقول: كيف يفلح قوم خضَّبوا وجه نبيِّهم؟! فنزل قوله: ﴿ليس لك من الأمر

(١) ليست فى «الأصل» ولا «ك».

(٢) رواه البخارى فى صحيحه (٧/٤٢٢ - ٤٢٣رقم ٤٠٦٩ وأطرافه فى ٤٠٧٠، ٤٥٥٩، ٧٣٤٦). والترمذى (٥/٢١٢ رقم ٣٠٠٤، ٣٠٠٥)، والنسائى (٢/٢٠٣ رقم ١٠٧٨) وفى الكبرى (٦/٣١٤ رقم ١١٠٧٥، ١١٠٧٦)، وأحمد (٢/٩٣، ١٠٤، ١١٨، ١٤٧)، وابن خزيمة فى صحيحه (١/٣١٥ رقم ٦٢٢، ٦٢٣) وابن حبان - الإحسان - (٥/٣٢٥ - ٣٢٧ رقم ١٩٨٧، ١٩٨٨)

مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ

---

شيء[1] ﴾»[2] وقيل: أراد رسول الله ﷺ أن يدعوا عليهم بدعاء الاستئصال؛ فنزل قوله: ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ وذلك أنه تعالى علم أن فيهم من يسلم [ أو يتوب ][3] ﴿ أويتوب عليهم أو يعذبهم ﴾ إنما نصبه على نصب قوله: ﴿ ليقطع طرفا ﴾ ومعناه: ليس لك من الأمر شيء؛ فإن تبتُ عليهم، أو عذَّبتُهم، فأمرك متابع لأمرى، أى: إن تبتُ عليهم، فبرحمتى، وإن عذَّبتُهم، فبظلمهم.

فإن قال قائل: أى اتصال لقوله: ﴿ أو يتوب عليهم ﴾ بقوله: ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾؟ قيل: معناه: ليس لك من الأمر شيء، حتى يتوب عليهم، أو إلى أن يتوب عليهم، ومثله قول امرئ القيس:

فقلتُ لهَا لاتَبْكِ عَينُكِ إنَّما ... نحـاولُ مُلْكًا أو نموتَ فَنُعْذَرَا

أى: حتى نموت، فنعذرا، ويحتمل أنه على نسق قوله: ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ليس لك من الأمر شيء.

والأمر أمرى فى ذلك كله.

قوله تعالى: ﴿ ولله ما فى السموات وما فى الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم ﴾.

﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا أضعافا مضاعفة ﴾ قد ذكر الربا فى سورة البقرة، وأعاد ذكره هاهنا تأكيدا، والأضعاف المضاعفة: هو ما كانوا يفعلونه من تبعيد الأجل بزيادة الدين.

﴿ واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ أى: كونوا على رجاء الفلاح، يعنى: من ترك الربا

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه (١٢/٢٠٧رقم١٧٩١)، والبخارى تعليقا (٧/١٤٢٢)، والترمذى فى سننه (٥/٢١١-٢١٢ رقم ٣٠٠٢، ٣٠٠٣، وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى كتاب التفسير (٦/٣١٤ رقم ١١٠٧٥، ١١٧٠٦)، وابن ماجة (٢/١٣٣٦ رقم ٤٠٢٧).

(٢) فى «ك» زيادة مقحمة؛ وهى: «وذلك أنه تعالى علم أن فيهم ولعله انتقال نظر من الناسخ لما سيأتى.

(٣) من «ك».

الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَسَارِعُوا إِلَىٰ

وفيه الفلاح، وفى إعطاء الربا الهلاك.

وعن ابن مسعود - رضى الله (عنه)[1] -: «ما هلك قوم إلا وقد فشا فيهم الربا والزنا»، [و][2]عنه أيضا: «[كثير][3] الربا إلى قلة».

قوله تعالى: ﴿واتقوا النار التى أعدت للكافرين﴾ وهى معدة للكافرين؛ فإنها دار الخلود لهم ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ أى: كونوا على رجاء الرحمة.

قوله تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة﴾ أى: بادروا إلى مغفرة ﴿من ربكم﴾، قال ابن عباس: معناه: بادروا إلى التوبة التى هى سبب المغفرة. وقيل: أراد به: سؤال المغفرة. وفيه قول غريب أنه التكبيرة الأولى.

﴿وجنة عرضها السموات والأرض﴾ أى: سعتها كسعة السموات والأرض.

[وفى الخبر: «أن النبى ﷺ: سئل إذا كانت الجنة عرضها السموات والأرض][4] فأين النار؟ قال - عليه الصلاة والسلام: فإذا جاء الليل، فأين يذهب النهار؟ [وإذ][5] جاء النهار فأين يذهب الليل؟»[6] ومعناه - والله أعلم - أنه حيث يشاء الله.

فإن قيل: قد قال الله تعالى: ﴿وفى السماء رزقكم وما توعدون﴾[7]، وأراد بالذى وَعَدَنَا الجنة، فإذا كانت فى السماء، فكيف يكون عرضها السموات والأرض؟ قيل: إن باب الجنة فى السماء وعرضها السموات و الأرض كما أخبر.

---

(١) فى «ك». عنهما، وهو خطأ.

(٢) من «ك».

(٣) فى «الأصل وك»: كثر.

(٤) ليست فى «ك».

(٥) فى «ك»: فإذا، وهو خطأ.

(٦) رواه البزار - كما فى مختصر الزوائد (٢/ ٧٦رقم ١٤٥٢)، والحاكم فى المستدرك (١/ ٣٦) من حديث أبى هريرة مرفوعًا، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين وابن حبان فى صحيحه - الإحسان (١/ ٣٠٦ - ٣٠٧ رقم ١٠٣) وقال الهيثمى فى المجتمع (٦/ ٣٣٠): رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح.

(٧) الذاريات: ٢٢.

مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ

وقيل: أراد به فى القيامة، فإن الله يزيد فيها، فيصير عرضها السموات والأرض إذا (وصلت السموات والأرض)(١) بعضها ببعض، وأما طولها [فلا يعلمه](٢) إلا الله.

﴿أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء﴾ أى: فى (اليسر والعسر)(٣) ﴿والكاظمين الغيظ﴾ كَظْمُ الغيظ: هو أن يمتلىء غيظا؛ فيمنع نفوذه، من قولهم: كَظَمَ البعيرُ بُجْرَتَه(٤) إذا ردها إلى جوفه، وفى الخبر: «من امتلأ غيظا، وكظمه خيَّره الله فى الحور العين»(٥).

﴿والعافين عن الناس﴾ قيل: عن المماليك سوء الأدب، وقيل: على العموم عن كافة الناس، ﴿والله يحب المحسنين﴾.

قوله تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم﴾ مادون الزنا من القبلة، والمعانقة، واللمس، والضم، ونحوه ﴿ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾ سبب نزول الآية ما روى: أن رجلا بالمدينة - يقال له: نبهان - كان تمَّارا فجاءته امرأة تشترى منه التمر، فأعجبه جمالها فقبَّلَها، فذكر الله، وندم واستغفر؛ فنزلت الآية.

﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله﴾ أى: ذكروا وعيد الله ﴿فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا﴾ الإصرار هو المقام على المعصية من غير توبة، فقوله: ﴿ولم يصروا﴾ أى: ولم يقيموا، ولم يمضوا ﴿على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ أن الله لايتعاظمه العفو عن الذنب، وإن كثر

---

(١) فى «ك»: إذا وصلت السماء بعضها ببعض.

(٢) فى «الأصل»: فلا يعلم.

(٣) فى «ك»: العسر واليسر.

(٤) فى «الأصل»: يجدته، وفى «ك»: لجدته.

(٥) رواه أبو داود (٤/٢٤٨ رقم ٤٧٧٧)، والترمذى (٤/٥٦٥ - ٥٦٦ رقم ٢٤٩٣) وقال: حسن غريب، وابن ماجة (٢/١٤٠٠ رقم ٤١٨٦)، وأحمد (٣/٤٣٨، ٤٤٠)، والطبرانى فى الكبير (٢٠/١٨٨ - ١٨٩ رقم ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧) وفى الأوسط - كما فى مجمع البحرين (٤/١٥٩ - ١٦٠ رقم ٢٢٥٥)، وفى الصغير (٢/٢٥٠ رقم ١١١٢)، وأبو نعيم فى الحلية (٨/٤٧، ٥٥)، والبيهقى فى الكبرى (٨/١٦١) كلهم من حديث معاذ بن أنس بمعناه.

وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ

الذنب، وقد روى عن معبد بن صبيحة أنه قال: صليت خلف عثمان، فلما انصرف من صلاته قال: إن الله تعالى يقول: ﴿ولم يصروا على ما فعلوا﴾ وأنا قد صليت من غير طهارة ناسيا، وها أنا أتوضأ، فذهب (وتوضأ)[1] وأعاد الصلاة.

﴿أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾ ذكر فى هذه الآية جزاء الذاكرين، والمستغفرين، وقد ورد فى الاستغفار أخبار: منها ما روى مرفوعا: «ما أصر من استغفر، وإن عاد فى اليوم سبعين مرة»[2].

وروى أسماء بن الحكم الفزارى عن علىّ أنه قال: إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا، ينفعنى الله به ما شاء، وإذا سمعت من غيره (حلّفته)[3] عليه، فإذا حلف صدقته وحدثنى أبو بكر - وهو صادق -: أن رسول الله ﷺ قال «ما من عبد يذنب ذنبا، فتوضأ، وصلى ركعتين واستغفر (الله)[4] إلا غفر الله له»[5].

واعلم أن الاستغفار تسهيل للأمر على هذه الأمة، فإن الذين قبلنا كان الواحد منهم إذا أذنب ذنبا يظهر على بابه (أن اقطع)[6] من نفسك عضو كذا، وكان لابد له منه، وقد أخرج الله - تعالى - هذه الأمة عن الذنوب بالاستغفار؛ كرامة لهم؛ وتيسيرا عليهم.

---

(١) فى «ك»: القضاء، وهو تحريف.

(٢) رواه أبو داود (٢/٨٤ رقم ١٥١٤)، والترمذى (٥/٥٢١ رقم ٣٥٥٩) وقال: غريب؛ إنما نعرفه من حديث أبى نصيرة وليس إسناده بالقوى، والبزار فى مسنده (١/٢٠٥ رقم ٩٣)، وأبو يعلى فى مسنده (١/١٢٤-١٢٥ رقم ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩) والطبرى فى التفسير (٤/٦٤)، وابن أبى حاتم فى تفسير «آل عمران» (١/٥٥٤ - ٥٥٥) كلهم من حديث أبى بكر الصديق - رضى الله عنه -.

(٣) فى «ك»: فلقيه. وهو تحريف واضح.

(٤) لفظ الجلالة ليس فى «ك».

(٥) رواه أبو داود (٢/٨٦ رقم ١٥٢١) والترمذى (٢/٢٥٧ - ٢٥٨ رقم ٤٠٦، ٥/٢١٢ - ٢١٣ رقم ٣٠٠٦) وقال: حسن والنسائى فى الكبرى (٦/١٠٩-١١٠ رقم ١٠٢٤٧، ١٠٢٥٠)، و(٦/٣١٥ رقم ١١٠٧٨)، وابن ماجة (١/٤٤٦ رقم ١٣٩٦) وأحمد (١/٢، ٨-٩، ١٠) وابن أبى شيبة (٢/٣٨٧-٣٨٨)، والطيالسى (ص٢ رقم١) والبزار (١/٦١-٦٤ رقم ٨-١١)، وأبو يعلى فى مسنده (١/١١ رقم ٢) و(١/٢٣-٢٦ رقم ١١ - ١٥) والطبرى فى التفسير (٤/٦٣)، وابن حبان (٢/٣٨٩ - ٣٩٠ رقم ٦٢٣).

(٦) فى «ك»: فإذا قطع.

**تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى**

وسئل ابن المعتز: إذا كان الله - تعالى - واسع المغفرة، وسعتْ رحمتُه كلَّ شيء فما يمنعُهُ أن يرحم الكافر؟ فقال: إنَّ رَحْمَتَه لا تَغْلبُ حكمته. قوله تعالى: ﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾ قرأ ابن مسعود: «قد مضت»، وهو بمعنى خلت. السنة: هى الطريقة المتبعة فى الخير والشر.

وقد قال ﷺ فى المجوس: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب»(١) وكانت شرا لهم.

وقال الشاعر:

**وإنَّ الآلى بالطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأَسَّوْا فَسَنُّوا لِلْكِرامِ التَأَسِّيَا**

قال ابن عباس: سنن [الذين](٢) من قبلكم، وهى وقائع الله على الكفار. وقال غيره: هى الأعلام والآثار التى كانت. وحقيقة المعنى: أنها طرائق الله فى الكفار، وبقتلهم، وسَبْيهم وتخريب ديارهم، ونحوه، قال الزجاج: ﴿قد خلت من قبلكم(٣) سنن﴾ أى: أهل سنن. ﴿فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾.

قوله تعالى: ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾ قال الشعبى: بيان من العَمَى، و هدى من الضلالة، وموعظة من الجهل؛ فالبيان: هو إظهار معنى الكلام، والموعظة: هى الدعاء إلى الحق بالترغيب والترهيب.

قوله تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا﴾ أى: ولا تضعفوا، ولا تجبنوا، ولا تحزنوا، ﴿وأنتم الأعلون﴾ أى: تكون لكم العاقبة والنُّصْرَة.

وقيل: إنما قال ﴿وأنتم الأعلون﴾؛ لأن المسلمين كانوا على الجبل، والمشركين فى

---

(١) رواه مالك فى الموطأ (١/٢٧٨)، والشافعى فى مسنده (ترتيب المسند ٢/١٣٠رقم ٤٣٠)، وعبد الرزاق فى مصنفه (٦/٦٨-٦٩ رقم ١٠٠٢٥)، وابن أبى شيبة (٣/٢٢٤)، و(١٢/٢٤٣)، وأبو عبيد فى الأموال (ص٤٠ رقم ٧٨)، وأبو يعلى (٢/١٦٨ رقم ٨٦٢)، والبزار (٣/٢٦٤ - ٢٦٥ رقم ١٠٥٦) والدارقطنى فى العلل (٤/٣٠٠ رقم ٥٧٨)، والبيهقى فى سننه (٩/١٨٩-١٩٠) كلهم من حديث عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - مرفوعا.

(٢) من «ك».

(٣) فى «ك»: قبلهم.

وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ

أسفل الجبل، وقوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أى: لاتهنوا إن كنتم مؤمنين؛ لأن الإيمان يزيد القوة فلا يُورث الوَهَن.

قوله - تعالى -: ﴿إن يمسسكم قرح﴾ تقرأ: بفتح القاف، وضمها(١)، وقال الفراء: القَرْحُ - بالفتح -: الجِرَاحة، والقُرْح: الألم، وقال الكسائى: هما عبارتان عن معنى واحد. والأكثرون على القول الأول، وقوله: ﴿إن يمسسكم قرح﴾ خطاب للمسلمين فيما مسَّهم يوم أحد ﴿فقد مس القوم قرح مثله﴾ أى: مسَّ الكفار يوم بدر( قَرْحَ )(٢) مثل ما مسَّكم يوم أحد.

﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ فتارة تكون الدولة للمسلمين على الكفار، وتارة للكفار على المسلمين، قال الزجاج: الدولة تكون للمسلمين على الكفار، وقد كانت الدولة للكفار على المسلمين؛ لما خالفوا أمر الرسول، فإن لم يخالفوا أمره كانت الدولة للمسلمين أبدا؛ لقوله تعالى: ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾(٣)؛ وقوله تعالى: ﴿فإن حزب الله هم الغالبون﴾(٤).

﴿وليعلم الله الذين آمنوا﴾ قرأ ابن مسعود: «وليبلى الله الذين آمنوا»، والقراءة المعروفة: ﴿وليعلم﴾، فإن قال قائل: ما معنى قوله: ﴿وليعلم الله الذين آمنوا﴾، وهو عالم بهم أبدا؟ قيل: معناه: وليعلم الصابرين على الجهاد فى مواطن الجهاد ليعاملهم معاملة من يبتليهم؛ فيعلمهم، والعلم بالجهاد فى مواطن الجهاد إنما يقع بعد وقوع الجهاد، وقيل: العلم الأول: علم الغيب، وقوله: ﴿وليعلم﴾ يعنى: علم المشاهدة، والوقوع والمجازاة على علم الوقوع لا على علم الغيب.

﴿ويتخذ منكم شهداء والله لايحب الظالمين﴾ يعنى: أنه ماجعل اليد للكفار يوم أحد لحبه إياهم؛ ولكن ليبتليكم، ويجعلكم شهداء.

---

(١) قرأ حمزة، والكسائى، وخلف، وأبو بكر بضم القاف، وقرأ الباقون بفتحها.

(٢) ليست فى «ك».

(٣) الصافات: ١٧٣

(٤) المائدة: ٥٦.

الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا

قوله تعالى: ﴿وليمحص الله الذين آمنوا﴾ وكل هذا على نسق قوله: ﴿ليقطع طرفا﴾[1] (وكذلك)[2] قوله: ﴿وليعلم الله الذين آمنوا﴾ وأما التمحيص: قيل: هو [التخليص][3] وهو قول الحسن، وقال مجاهد: هو بمعنى: الابتلاء، وحقيقة معنى التمحيص: التطهير من الذنوب، تقول العرب: محص عنا ذنوبنا أى: طهرنا من الذنوب.

﴿ويمحق الكافرين﴾ [معنى][4] الآية: أنهم إن قتلوكم؛ فذلك تطهير لكم، وإن قتلتموهم فذلك محق لهم واستئصال.

قوله تعالى: ﴿أم حسبتم﴾ أى: [أحسبتم][5] ﴿أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ أى: ولم يعلم الله الذين وقع منهم الجهاد، ﴿ويعلم الصابرين﴾.

قوله تعالى: ﴿ولقد كنتم تمنون الموت﴾ سبب نزول الآية أن الذين تخلفوا من حرب بدر من المسلمين قالوا لما انقضت حرب بدر: لو كان لنا يوم مثله فنقاتل ونقتل ونستشهد، فلما كان يوم أحد انهزموا، وهربوا؛ فنزلت الآية.

﴿ولقد كنتم تمنون الموت﴾ أى: سبب الموت وهو الجهاد؛ إذ لايجوز أن يتمنى الموت بقتل الكافر إياه ﴿من قبل أن تلقوه﴾ أى: تلقون سببه من الجهاد ﴿فقد رأيتموه وأنتم تنظرون﴾، فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿وأنتم تنظرون﴾، وقد قال: ﴿فقد رأيتموه﴾؟ (قيل):[6] يحتمل [أن تكون][7] الرؤية بمعنى العلم؛ فقال:

---

(١) آل عمران: ١٢٧.

(٢) ليست فى «ك».

(٣) فى «الأصل وك»: التلخيص.

(٤) ليست فى «الأصل»، ولا «ك».

(٥) في «الأصل وك»: حسبتم.

(٦) ليست فى «ك».

(٧) ليست فى «الأصل»، ولا «ك».

منكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ

﴿ وأنتم تنظرون ﴾ ليُعْلَم أن المراد بالرؤية هاهنا: التفكر، قاله الأخفش، وقيل: إنما قاله تأكيدا، وقيل: معناه: وأنتم تنظرون إلى محمد.

قوله تعالى: ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ سبب نزول الآية أن المسلمين يوم أحد لما وقعت الهزيمة عليهم، ووقع القتل فيهم؛ صاح الشيطان - عليه ما يستحق -: ألا إن محمدا [قد][1] قتل، فقال المسلمون: خذوا لنا الأمان من أبى سفيان، وقال من كان فى قلبه نفاق: ارجعوا إلى دينكم الأول، فإن محمدا قد قتل؛ فنزل قوله: ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ يعنى: هو على رسالته ونبوته مات أو قتل، فلِمَ انقلبتم على أعقابكم؟! ﴿ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ﴾ أى: إنما ضر نفسه، ﴿ وسيجزى الله الشاكرين ﴾.

وروى: أن [أنس بن النضر][2] «لما سمع قول الشيطان: إن محمدا قتل، اخترط سيفه وتوجه إلى الكفار، وقال: إن قاتل محمد وقتل، ووصل إلى ما وصل، فأنا أقاتل حتى أقتل، وأصل إلى ما وصل إليه، فقاتل حتى قتل».

وقال كعب بن مالك: أنا أول من رأى رسول الله ﷺ يوم أحد بعد صياح الشيطان، عرفته بعينيه تحت المغفر، فقلت: هذا رسول الله ﷺ حى، فأشار إلىَّ أن اسكت»[3].

---

(١) من «ك».

(٢) فى «الأصل وك»: النضر بن أنس. وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه، وهو عم أنس بن مالك، انظر ترجمته فى الإصابة (١/ ٨٤).

(٣) ذكره ابن هشام فى سيرته (٣/ ٢٦): قال ابن إسحاق: ذكر لى ابن شهاب الزهرى، يعنى مرسلا.

**مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي**

قوله تعالى: ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله ﴾ تقديره: وما كانت نفس لتموت إلا بإذن الله بقضائه وقدره ﴿ كتابا مؤجلا ﴾ تقديره: كتب كتابا مؤجلا.

﴿ ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ﴾فإن قيل: نحن نرى من يريد الدنيا، فلا يؤتى؟ قيل: معناه: لايمنع عنه ما قدر له من ثواب الدنيا بسبب كفره.

﴿ ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ﴾ فإن قيل: وهل يؤتى ثواب الآخرة بمجرد الإرادة؟ قيل معناه: ومن يرد بالعمل، وهذا كما يقال: فلان يريد الجنة، أى: يعمل للجنة ﴿ وسنجزى الشاكرين ﴾ يعنى: المؤمنين، قال علىّ - رضى الله عنه -: أبو بكر إمام الشاكرين. أى: إمام المؤمنين، رضى الله عنه.

قوله تعالى: ﴿ وكأين من نبى [ قاتل ][1] معه ربيون كثير ﴾ أى: وكم من نبى قُتِلَ قال جرير:

**وكأين بالأباطح من صديق ... يرانى إن أصبت هو المصابا**

قال عكرمة: هذا وقف تام، ومعناه: كم نبى قُتِلَ ومعه أصحابه.

﴿ فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ﴾ أى: ما جبنوا ﴿ وما ضعفوا وما استكانوا ﴾ أى: ما ذلوا، وما خضعوا، وقال الحسن: ما قتل نبى فى معركة قط، وإنما معنى الآية: وكأين من نبى قُتِلَ معه ربيون كثير، وأما القراءة الأخرى: « قاتل معه ربيون كثير» فمعناه ظاهر، وأما الربيون قال ابن مسعود: هم ألوف، وقيل: هم عشرة آلاف. قال الحسن: الربيون من العلماء مأخوذ من الرّب؛ لأنهم على دين الرب وطريقه.

قوله تعالى: ﴿ والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا ﴾ أى الصغائر ﴿ وإسرافنا فى أمرنا ﴾ أى الكبائر، ﴿ وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾.

---

(١) فى «الأصل وك»: قتل، وهى قراءة نافع، وابن كثير، ويعقوب، وأبو عمرو. انظر النشر (٢ / ٢٤٢).

أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا

قوله تعالى: ﴿ فآتاهم الله ثواب الدنيا ﴾ يعنى (النصرة)[1] والغنيمة.

﴿ وحسن ثواب الآخرة ﴾ قال ابن عباس: هو أن الله ينزل النبى وأصحابه فى قباب من در وياقوت حتى يفصل بين الخلق، وقيل: حسن ثواب الآخرة: أن يجازيهم على عملهم ويزيدهم من فضله ﴿ والله يحب المحسنين ﴾.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا ﴾ يعنى: اليهود والنصارى ﴿ يردوكم على أعقابكم ﴾ يعنى: إلى اليهودية والنصرانية.

وقيل: أراد به المنافقين الذين قالوا يوم أحد: ارجعوا إلى دينكم الأول؛ فإن محمدا قد قتل، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿ يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ﴾ أى: مغبونين. ﴿ بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ﴾.

قوله تعالى: ﴿ سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ يعنى: الخوف، قال ﷺ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر»[2] ﴿ بما أشركوا بالله ﴾ أى: بشركهم بالله ﴿ ما لم ينزل به سلطانا ﴾ أى: الذى لم يُنَزِّل به حجة، والسلطان: الحُجَّة، قال الله تعالى ﴿ هلك عنى سلطانيه ﴾[3] أى: حجتى.

﴿ ومأواهم النار ﴾ مكانهم النار ﴿ وبئس مثوى الظالمين ﴾ سبب نزول الآية: أن الهزيمة لما وقعت على المسلمين يوم أحد، ووقع القتل فيهم، تشاور المشركون فيما بينهم، وأجمعوا على أن يعودوا للقتال، فيستأصلوا محمدا وأصحابه فألقى الله تعالى الرعب فى قلوبهم، فمروا على وجوههم لايلوون على شىء حتى بلغوا مكة، فذلك قوله تعالى: ﴿ سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ﴾.

---

(١) فى «ك»: النصر.

(٢) متفق عليه من حديث جابر، رواه البخارى فى صحيحه (١/ ٥١٩ رقم ٣٣٥)، ومسلم (٥/ ٥ رقم ٥٢١).

(٣) الحاقة: ٢٩

**وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ**

قوله تعالى: ﴿ولقد صدقكم الله وعده﴾ أى: وعده صدقكم بالظفر والنصرة؛ وقد كانت النصرة فى الابتداء للمسلمين يوم أحد ﴿إذ تحسونهم بإذنه﴾ أى: تقتلونهم بقضاء الله وقدره، والحَسُّ: القتل، ومنه قول الشاعر:

تَحُسُّهُمُ السُّيوفُ كَمَا تَسَامَى ... لهيبُ النارِ فِى أَجَمِ الحَصِيدِ

﴿حتى إذا فشلتم﴾ أى: جَبُنتم، ﴿وتنازعتم فى الأمر﴾ تقديره: حتى إذا فشلتم، تنازعتم فى الأمر، و«الواو» زائدة قاله الفراء، وقيل: فيه تقديم وتأخير وتقديره: حتى إذا تنازعتم فى الأمر، فشلتم ﴿وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون﴾ يعنى: من الظفر والغنيمة.

﴿منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة﴾؛ لأنهم اختلفوا على ما سنذكر ﴿ثم صرفكم عنهم ليبتليكم﴾ أى: [كف][1] أيديكم عنهم؛ ليمتحنكم، وقيل: لينزل البلاء عليكم، ﴿ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾، والقصة فى ذلك: «أن رسول الله ﷺ رأى فى منامه: أنه لبس درعا حصينة حين نزل المشركون بأحد؛ فأولها على المدينة، وشاور أصحابه فى الخروج إلى أحد، فقالوا: إن هذه بلدة ما دخل علينا فيها أحد، ولا تبع حتى قدم وحتى يخرج إليهم، فلبس رسول الله درعين، ووضع المغفر على رأسه، وخرج؛ فندموا وعلموا أنه كان مراده أن يقيم، فقالوا: يارسول الله، (إنا)[2] تبع لرأيك، وطلبوا منه أن يرجع إن شاء، فقال: ما كان لنبى إذا لبس لامته أن ينزعها حتى يقاتل، أو يحكم الله.

ومضى معه ألف نفر، فانخذل عبد الله بن أبى بن سلول [وأصحابه][3] بثلث الجيش ثلثمائة نفر، وبقى سبعمائة، فلما وصل إلى أحد بعث قوما من الرماة، وأجلسهم على موضع من جبل يخاف منه الكمين، وأمر عليهم عبد الله بن جبير الأنصارى.

---

(١) فى «الأصل وك»: كَيَّف.

(٢) ليست فى «ك».

(٣) من «ك».

الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ

ثم ابتدأ القتال مع المشركين، فظفر عليهم، وقتل جماعة من رؤسائهم، وانهزموا، ولاح الظفر للمسلمين، وساروا فى أثرهم للغنيمة، فلما رآه الرماة، فقالوا: إن المشركين قد انهزموا، ولاح الظفر حتى نسير على أثرهم؛ ونغنم، فقال عبد الله بن جبير: لاتفارقوا هذا المكان؛ فإن رسول الله ﷺ أمركم أن تلزموا هذا المكان، فالزموه، فاختلفوا عليه، وذهب أكثرهم، وبقى عبد الله بن جبير مع نفر قليل من أصحابه.

فلما عرى موضع الكمين عن الرماة، خرج عليهم خالد بن الوليد من الكمين، وحمل عليهم بالقتل، فاستشهد عبد الله بن جبير، ومن بقى معه، وعاد المشركون للقتال، ووقع القتل فى المسلمين، وقتل منهم سبعون نفرا، وانهزم الباقون، وبقى مع رسول الله ﷺ نفر قليل،فذلك قوله ﴿ ولقد صدقكم الله وعده ﴾ أى: فى الابتداء بالظفر والنصرة ﴿ إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر ﴾ يعنى: أولئك الرماة الذين اختلفوا، ﴿ وعصيتم ﴾ يعنى: عصيتم الرسول، وخالفتم أمره ﴿ من بعد ما أراكم ﴾ يعنى: من بعد أن أراكم الله تعالى ﴿ ما تحبون ﴾ من الظفر ﴿ منكم من يريد الدنيا ﴾ هم الذين ذهبوا للغنيمة، ﴿ ومنكم من يريد الآخرة ﴾: الذين صبروا مع عبد الله بن جبير»(١).

قال ابن مسعود: ما علمنا أن أحدا منا يريد الدنيا حتى أنزل الله هذه الآية.

﴿ ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ﴾ يعنى: فى الوقعة الثانية حين عاد المشركون، وهذا دليل لأهل السنة على: أن أفعال العباد مخلوقة؛ حيث نسب الله تعالى هزيمة المسلمين إلى نفسه مع وقوع الفعل منهم، فقال: ﴿ ثم صرفكم عنهم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ إذ تصعدون ﴾ ويقرأ: بفتح التاء والعين(٢). فالإصعاد: هو المشى فى مستوٍ من الأرض، والصعود: المشى فى مرتفع من الأرض.

---

(١) أورده السيوطى فى الدر مطولا (٢/ ٧٥ - ٧٦) وعزاه لابن إسحاق وعبد بن حميد وابن جرير، وابن المنذر عن جمع، كل قد حدث ببعض الحديث عن يوم أحد وانظر ابن جرير (٤/ ٨١ - ٨٥).

(٢) هى قراءة أبى رجاء العطاردى، وأبى عبد الرحمن السلمى، والحسن، وقتادة بفتح التاء، والعين، يعنى تَصْعَدون الجبل. انظر تفسير القرطبى (٤/ ٢٣٩).

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

والخطاب مع المسلمين الذين انهزموا، بقوله: ﴿إذ تصعدون ولا تلوون على أحد﴾ أى: لاتعرجون، ولاتلتفتون إلى أحد، ثم منهم من قال: (أراد بالأحد)[1] الرسول، ومنهم من قال: معناه: لاتلوون على أحد من الناس.

﴿والرسول يدعوكم فى أخراكم﴾ يعنى: فى آخر الجيش، وكان يدعوهم: «عباد الله، إلىّ إلىّ، أنا رسول الله، فلم يلتفتوا إليه، ومضوا»[2].

﴿فأثابكم غما بغم﴾ أى: جازاكم، ثم اختلفوا، منهم من قال: الغم الأول: هو القتل، والهزيمة التى وقعت على المسلمين، والغم الثانى: هو الإرجاف من قول الشيطان: إن محمدا قد قتل. وقيل: [إن][3] الغم الأول: هو القتل والهزيمة، والغم الثانى: هو فوات الظفر على العدو.

وقال الزجاج: معناه: أنهم غموا الرسول بمخالفة أمره؛ فجازاهم الله تعالى بذلك الغم غم القتل والهزيمة؛ وإنما سمَّاه ثوابًا؛ لأنه وضعه موضع الثواب، كما قال: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾[4] سمى العذاب: بشارة؛ لأنه وضعه موضع البشارة ﴿لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم﴾ من القتل والهزيمة، منعهم الله تعالى من الحزن على شىء ابتلاهم الله به، ووعد الثواب عليه ﴿و الله خبير بما تعملون﴾.

قوله تعالى: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة﴾ قيل: الأمن والأمنة[5] بمعنى

---

(١) فى «ك»: أن الأحد.

(٢) رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره (١/٦١٠رقم ١٦٦٣) عن الحسن مرسلا بنحوه، ورواه ابن جرير (٤/٨٧ – ٨٨) عن ابن عباس، وليس فيه «فلم يلتفتوا ومضوا». وعزاه السيوطى فى الدر (٢/٩٧) أيضا لابن المنذر عن ابن عباس. ورواه ابن جرير أيضا عن قتادة، وعطية العوفى، والسدى بنحو رواية ابن عباس.

(٣) من «ك».

(٤) آل عمران: ٢١، والتوبة: ٣٤، والإنشقاق: ٢٤.

(٥) وقع سقط كبير من الأصل مقداره (٤ ورقات) من هذا الموضع، واعتمدنا على النسخة «ك» فقط فى ضبط النص. وسنبينه على آخر السقط فى موضعه إن شاء الله تعالى.

﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ

واحد، وقيل: يكون مع (زوال سبب الخوف)[1]، فأما ها هنا فقال: ﴿أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم﴾ قيل: فيه تقديم وتأخير، وتقديره: نعاسا أمنة، وقيل: هو على نظمه مستقيم، ومعنى الآية: أن الله تعالى أراد تميز المؤمنين من المنافقين، فأوقع النعاس على المؤمنين أمنة لهم، حتى أَمِنُوا، ولم يوقع على المنافقين فبقوا على الخوف.

قال أبو طلحة: أوقع الله تعالى علينا النعاس ونحن تحت الحجر.

وقيل: أوقع النعاس عليهم حتى كان يُسْقِط السيوف من أيديهم، وكذلك عبد الرحمن بن عوف والزبير أخبرا عن ذلك النعاس، كما أخبر أبو طلحة.

وعن الزبير أنه قال: لما أوقع الله النعاس علينا، سمعنا معتب بن قشير يقول: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا، وكنت كأني في النوم أسمع، فذلك قوله: ﴿يغشى طائفة منكم﴾ يعني: المؤمنين ﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾ يعني: المنافقين ﴿يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء﴾ قال: ﴿قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك﴾.

ثم فسر ذلك فقال: ﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾.

أي: خرج الذين كتب عليهم القتل إلى مصارعهم للموت، وفي هذا دليل على أن الأجل في القتل والموت واحد، كما قال أهل السنة.

قوله تعالى: ﴿وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور﴾.

---

(١) في «ك»: سبب زوال الخوف، وما أثبتناه هو الصواب.

**اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا**

قوله تعالى: ﴿إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان﴾. يعنى: الذين انهزموا من المسلمين يوم أحد؛ فإنه لما وقعت الهزيمة على المسلمين انهزم أكثرهم، ولم يبق مع رسول الله ﷺ إلا أربعة عشر نفرا: سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار، وقيل: ثلاثة عشر، ستة من المهاجرين وهم أبو بكر، وعمر، وعلى، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص.

وفى الرواية الأولى: كان السابع الزبير، وكان طلحة أشد نكاية فى الكفار يومئذ.

وقيل: إن يوم أحد لطلحة، وقيل: إنه كان وقاية رسول الله ﷺ وكان قد ضُرِبَ على يده فشُلَّت وبقيت كذلك.

وأما سعد وهو راميه، وكان يرمى بين يديه، ويقول له الرسول: «ارم، فداك أبى وأمى»(١)

وأما الذين انهزموا، فقد لحق بعضهم بالمدينة منهم عثمان، ورجع بعضهم على الطريق منهم عمر؛ فذلك قوله: ﴿إنما استزلهم الشيطان﴾ أى: طلب زلتهم، يقال: استعجل فلانا، أى: طلب عجلته، ومعناه: أن الشيطان استزلهم حتى انهزموا.

وقوله ﴿ببعض ما كسبوا﴾ يعنى: من مخالفة الرسول ﴿ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم﴾ قال الزجاج: كان سبب انهزامهم: أن الشيطان وسوس إليهم: إن عليكم ذنوبا؛ فكرهوا القتل قبل أن يتوبوا من الذنوب؛ فذلك قوله: ﴿إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم﴾.

---

(١) متفق عليه من حديث سعد بن أبى وقاص، وعلى بن أبى طالب - رضى الله عنهما -. فرواه البخارى (٦/ ١١٠رقم ٢٩٠٥ وأطرافه فى ٤٠٥٨، ٤٠٥٩، ٦١٨٤)، ومسلم (١٥/ ٢٦١ - ٢٦٢ رقم، ٢٤١١) من حديث على.

ورواه البخارى (٧/ ١٠٤ رقم ٣٧٢٥، وأطرافه فى ٤٠٥٥، ٤٠٥٦، ٤٠٥٧)، ومسلم (١٥/ ٢٦٣ رقم ٢٤١٢) من حديث سعد بن أبى وقاص.

**اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ**

روى: «أن رجلا جاء إلى ابن عمر - وقيل: إلى ابن عباس، [و](١) الأصح إلى ابن عباس(٢)، وقال: أليس عثمان لم يشهد بدرا؟ قال: نعم. فقال: أليس لم يشهد بيعة الرضوان؟ قال: نعم، قال: أليس انهزم يوم أحد؟ قال: نعم.

فقال الرجل: الله أكبر.

فعرف ابن عباس أنه أراد النقص؛ فدعاه، قال: أما يوم بدر؛ فإن النبى ﷺ كان قد خلفه على ابنته، وكانت مريضة وقال له: لك أجر واحد ممن شهد، وسهم واحد ممن شهد، وهو بدرى بقول الرسول.

وأما بيعة الرضوان، فقد كان الرسول ﷺ بعث عثمان إلى مكة رسولا، ولو كان بينهم فى الوادى أعز منه لبعثه، ولما بايعهم ضرب رسول الله ﷺ بشماله على يمينه، وقال: هذه يد عثمان، وهذه يدى، أما انهزامه يوم أحد، فقد عفا الله عنه، ولاعيب فى شىء عفا الله عنه»(٣)

## فصل

«وأما ما أصاب رسول الله ﷺ يوم أحد، فإنه كان قد هشمت البيضة التى كانت على رأسه، وأُدْمى وجهه، وكسر [ثنيته](٤)؛ فجاء إلى المدينة فكانت فاطمة تغسل وجهه، وعلى - رضى الله عنه - يأتى بالماء فى المجن، وكان يغلب الدم، حتى أحرقت حصيرا، فلما صار رمادا، جعلوه فى الجراحة فاستمسك الدم».(٥)

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا﴾ يعنى: المنافقين

(١) ليست فى «ك»، والسياق يقتضيها.

(٢) بل الصحيح أنه جاء إلى ابن عمر كما سيأتى تخريجه عند البخارى فى صحيحه.

(٣) رواه البخارى (٦/ ٢٧١ رقم ٣١٣٠)، والترمذى (٥/ ٥٨٧ - ٥٨٨ رقم ٣٧٠٦) وأحمد (٢/ ١٠١، ١٢٠)، والطيالسى (ص ٢٦٤ رقم ١٩٥٨) كلهم من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.

(٤) فى «ك»: جبينه، وهو تصحيف.

(٥) متفق عليه من حديث سهل بن سعد، رواه البخارى فى صحيحه (١/ ٤٢٢رقم ٢٤٣، وأطرافه فى ٢٩٠٣، ٢٩١١، ٤٠٧٥، ٥٧٢٢)، ومسلم (١٢/ ٢٠٥ - ٢٠٧ رقم ١٧٩٠).

اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ

﴿ وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض ﴾ أراد: إخوانهم فى النسب، لا فى الدين ﴿ ضربوا فى الأرض ﴾ أى: سافروا ﴿ أو كانوا غزى ﴾ جمع غاز ﴿ لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ﴾ وهذا قول المعتب بن قشير، وعبد الله بن أبى بن سلول، وجد بن قيس؛ ﴿ ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم ﴾ أى: لئن خرجتم، فقتلتم، أو لم تخرجوا، فمتم ﴿ لمغفرة من الله ورحمة خيرٌ مما يجمعون ﴾ من الدنيا ويطلبون الحياة لأجله.

قوله تعالى: ﴿ ولئن مُتم أو قُتلتم لإلى الله تحشرون ﴾ يعنى: كيفما خرجتم من الدنيا، فحشركم إلى الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ فبما رحمة من الله ﴾ أى: فبرحمة، و« ما » للصلة، ﴿ لنت لهم ﴾ وهذه صفة المؤمنين، وقد قال ﷺ: « المؤمنون هينون لينون، كالجمل الأنف، إن قيد انقاد، وإن أُنخَّ على صخرة استناخ » (١).

﴿ ولو كنت فظا ﴾ وهو الجافى ﴿ غليظ القلب ﴾ أى: قاسى القلب ﴿ لانفضوا ﴾ لتفرقوا ﴿ من حولك ﴾.

---

(١) رواه العقيلى فى الضعفاء ( ٢ / ٢٧٩ ) والقضاعى فى الشهاب ( ١ / ١١٤ – ١١٥ رقم ١٣٩ ) من حديث عبد الله بن عمر. وقد ساقه العقيلى فى ترجمة عبد الله بن عبد العزيز بن أبى رواد عن أبيه، وقال: أحاديثه عن أبيه مناكير غير محفوظة أ.هـ.

ورواه ابن المبارك فى الزهد ( ص ١٣٠رقم ٣٨٧ ) والقضاعى فى الشهاب ( ١ / رقم ١٤٠ ) عن مكحول مرسلا.

ورواه أحمد فى الزهد ( ٣٨٦ – ٣٨٧ )، وأبو نعيم فى الحلية ( ٥ / ١٨٠ ) عن مكحول قوله.

وللحديث شاهد من حديث العرباض بن سارية، رواه ابن ماجة ( ١ / ١٦ رقم ٢٤٣ )، وأحمد ( ٤ / ١٢٦ ) وغيرهما.

**عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**

﴿ فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ﴾ المشاورة هى استخراج الرأى، وكانت المشاورة جائزة للنبى ﷺ فى أمور الدنيا، فأما فى أمور الدين فعلى التفصيل إن كان فى شيئين يجوز كلاهما، جازت المشاورة، كما شاورهم فى أسارى بدر، حيث كان يجوز القتل والفداء.

والثانى: فى أمور ثبتت نصا، كالصوم والصلاة، لاتجوز فيها المشاورة.

الثالث: فى شىء لانص فيه، فهو بناء على أن اجتهاده هل كان سائغا أم لا؟ فإن ساغ اجتهاده، جازت مشاورته، وإلا فلا.

ولأى كان يشاور؟ قال الضحاك: ليقتدى به، وليستن بسنته، وهو قول سفيان الثورى، وقال قتادة: تطييباً لقلوبهم.

﴿ فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾ أى: لا تتوكل على المشاورة، وإنما توكل على الله ﴿ إن الله يحب المتوكلين ﴾.

﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده ﴾ الخذلان: الامتناع عن النصرة عند الحاجة ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وما كان لنبى أن يغل ﴾ يقرأ بقراءتين[1]، فمن قرأه: بفتح الياء وضم الغين، فمعناه: أن يخون.

قال ابن عباس: سبب نزول الآية: أنه يوم بدر فقدت قطيفة حمراء، فقال بعض أصحاب رسول الله ﷺ: الرسول أخذها؛ فنزل قوله: ﴿ وما كان لنبى أن يغل ﴾.

وقال محمد بن كعب القرظى: معناه: وما كان لنبى أن يكتم شيئا من الوحى، ويخون فيه.

وفيه قول ثالث: «أن النبى ﷺ كان قد بعث طلائع، فهمَّ ألا يعطيهم من الغنائم

(١) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم بفتح الياء وضم الغين، وقرأ الباقون بضم الياء، وفتح الغين. انظر النشر (٢/٢٤٣).

﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ

شيئا؛ فنزل قوله: ﴿ وما كان لنبى أن يغل ﴾»(١) قال قتادة: أن يخان منه، أى: لاتخونوه، وقيل معناه: أن ينسب إلى الغلول، وقيل معناه: أن يلقى غلاً، وهذا غريب من معنى القراءة الأولى. والغُلُول: الخيانة، والغِلّ: الحقد، والغَلَل: الماء الذى يجرى بين الشجر، ومنه قول الشاعر:

لَعِبَ [السُّيولُ](٢) به فأصبح ماؤه غَلَلاً [يخلل](٣) فى أصول الخِرْوَع

وفى الخبر: أن النبى ﷺ قال: «ثلاث لايغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، ونصيحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين؛ فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»(٤).

﴿ ومن يغلل ﴾ أى: ومن يخن ﴿ يأت بما غل يوم القيامة ﴾ قيل: يأتى ما غل بعينه يوم القيامة، وذلك معنى قوله ﷺ فيما روى عنه: «لألقين أحدكم يوم القيامة، وعلى رقبته فرس له حمحمة قد غله، فيقول: يا محمد، يا محمد، فأقول: لا أغنى عنك من الله شيئًا، ألا قد بلغت، ولألقين أحدكم يأتى يوم القيامة، وعلى رقبته شاة لها ثُغاء، قد غلها، فيقول يا محمد، يا محمد، فأقول: لا أغنى عنك من الله شيئا، ألا قد بلغت، ولألقين أحدكم يوم القيامة وعلى رقتبه بعير له رغاءٌ، قد غله، فيقول: يامحمد، يامحمد، فأقول: لاأغنى عنك من الله شيئًا ألا قد بلغت»(٥).

---

(١) رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه (١٢/٤١٣ رقم ١٥٠٧٨)، وابن جرير (٤/١٠٣) عن الضحاك مرسلا إلا أنه قرأ: «وما كان لنبى أن يغل».

(٢) فى «الأصل وك»: السيوف، وما أثبتناه من لسان العرب (مادة: غلل) وفيه أيضًا: يُقَطِّع فى أصول الخروع بدلاً من يُخلل.

(٣) كذا فى «الأصل وك» وفى لسان العرب.

(٤) رواه ابن ماجة (١/٨٤ رقم ٢٣٠)، وأحمد (٥/١٨٣)، والدارمى (١/٨٦ - ٨٧ رقم ٢٢٩)، وابن أبى عاصم فى السنة (٥/٤٥ رقم ٩٤)، والطبرانى فى الكبير (٥/١٤٣ رقم ٤٨٩٠)، و (١٥٤ - ١٥٥ رقم ٤٩٢٥) وابن حبان فى صحيحه (١/٢٧٠ رقم ٦٧)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم (١/٣٨-٣٩) كلهم من حديث زيد بن ثابت.

قال ابن أبى عاصم: وفيه عن جبير بن مطعم، وابن مسعود، ومعاذ، وأنس.

(٥) متفق عليه من حديث أبى هريرة. رواه البخارى (٦/٢١٤ - ٢١٥ رقم ٣٠٧٣)، ومسلم (١٢/٢٩٩ - ٣٠٠ رقم ١٨٣١).

﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ

والقول الثانى: أنه أراد به: يأتى بإثم ما غل يوم القيامة، وفى الخبر: «أن رجلا كان على ثَقَلِ[1] رسول الله ﷺ، فاستشهد فقال الناس هو فى الجنة، فقال النبى ﷺ: هو فى النار؛ فَطُلِبَ، فإذا هو قد غلَّ عباءة من المغنم». [2]

﴿ ثم توفَّى كل نفس ما كسبت ﴾ أى: جزاء ما كسبت، فالجزاء مضمر فيه ﴿ وهم لايظلمون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ أفمن اتبع رضوان الله ﴾ يعنى: ترك الغلول ﴿ كمن باء بسخط من الله ﴾ يعنى: بالغلول، وقيل معناه: أفمن اتبع رضوان الله بموافقة الرسول، كمن باء بسخط من الله بمخالفة الرسول ﴿ ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾.

قوله تعالى: ﴿ هم درجات عند الله ﴾ قال مجاهد: لهم درجات عند الله، يعنى: المؤمنين، وقال غيره: تقديره: هم ذَوُوا درجات عند الله، يعنى: المؤمنين والمنافقين، فالمؤمنون ذَوُوا الدرجات الرفيعة، والمنافقون ذَوُوا الدرجات الخسيسة، ومثله قول الشاعر:

أَنُصْـــب للمنـيَّة تعـتريهم رجالى، أم هُمُو درَجُ السيول[3]

أى: ذووا درج السيول. ﴿ والله بصير بما يعملون ﴾

قوله - تعالى -: ﴿ لقد منَّ الله على المؤمنين ﴾ أى: أنعم، والمنة: النعمة، والمن: القطع؛ ومنه قوله - تعالى -: ﴿ لهم أجر غير ممنون ﴾[4] أى: غير مقطوع، وسُميت النعمة منة، لأنها مقطوعة عن المحن والشدائد.

وقوله تعالى: ﴿ إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ﴾ قيل: هذا فى العرب خاصة؛

---

(١) قال ابن الأثير هو: متاع السفر. انظر النهاية (مادة: ثقل).

(٢) رواه البخارى فى صحيحه (٦/ ٢١٦ رقم ٣٠٧٤)، وابن ماجه (٢/ ٩٥٠ رقم ٢٨٤٩) وابن أبى شيبة (١٢/ ١٥٣٧٣)، وسعيد بن منصور فى سننه (٢/ ٣/ رقم ٢٧٢٠) جميعهم من حديث عبد الله بن عمرو، ووقع عند ابن أبى شيبة: عبد الله بن عمر، وهو تصحيف.

(٣) فصلت: ٨

(٤) كذا وقع البيت فى لسان العرب «مادة: درج» وعزاه ابن منظور لسيبويه. وفى «ك» وقع تحريف كثير فى البيت.

بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى

لأن الرسول بُعث من بنى إسماعيل إلى العرب، وقيل: هو على العموم فى حق الكافة؛ فإنه بعث بَشَرٌ مثلهم.

وموضع المنة فى بعثه من أنفسهم للعرب: أنه كان شرفا لهم، حيث بعث الرسول منهم، وأيضا فإن القرآن نزل بلسان العرب؛ إذ كان الرسول عربيا، وكان التعلم أسهل عليهم؛ لكونه أقرب إلى أفهامهم، فالمنة فى السهولة عليهم، ولأنه لما نشأ فيهم، وعرفوا صدقه وأمانته، وكان أميا مثلهم ما كان يحسن الخط، ولا يعلم شيئا، ولا سافر، ثم أتى بكتاب يخبر عن القرون الماضية وقصص الأولين، ووافق الكتب المنزلة قبله، كان أقرب إلى قلوبهم، فكان يسهل طريق الإيمان عليهم.

وقوله: ﴿يتلو عليهم آياته ويزكيهم﴾ أى: يشهد بتزكية سائر الأمم، ويجعلهم أزكياء، وقيل: يطهرهم من الذنوب ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ يعنى: القرآن ﴿والحكمة﴾، قال ابن عباس: الفقه والشرائع، وقال غيره: الحكمة: السنة.

﴿و إن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾ أى: ما كانوا من قبل إلا فى ضلال مبين.

قوله تعالى: ﴿أو لما أصابتكم مصيبة﴾ يعنى: يوم أحد ﴿قد أصبتم مثليها﴾ يعنى: يوم بدر: نزلت الآية فى تسلية المؤمنين، وذلك: أن يوم أحد قتل من المسلمين سبعون، وقد أصاب المسلمون منهم يوم بدر سبعين بالقتل، وسبعين بالأسر، فذلك مثليهم، فجعل الأسر مثل القتل؛ حيث جعل القتلى والأسرى يوم بدر مثلى قتلى أحد.

﴿قلتم أنى هذا﴾ من أين هذا؟ ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ أى: بمخالفة الرسول منكم». وعن عمر - رضى الله عنه - أنه قال فى تفسير قوله تعالى: ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ أى: باختياركم الفداء؛ وذلك أن النبى ﷺ خير المسلمين يوم [بدر] (١) فى الأسارى بين القتل والفداء، وقال لهم: «إن اخترتم الفداء أصيب

(١) سقطت من الناسخ.

﴿الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ

منكم بعدتهم فى العام القابل، فاختاروا الفداء، وقالوا: نتقوى به على العدو، ويستشهد منا»[1] فذلك قوله: ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ أى: باختياركم، وهو قول على - رضى الله عنه - ﴿إن الله على كل شىء قدير﴾.

قوله تعالى: ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان﴾ يعنى: يوم أحد ﴿فبإذن الله﴾ أى: بعلم الله، وروى «أنه ﷺ - لما نزل المشركون بأحد رأى فى منامه أن بقراً ينحر[2]، فأوله على أن يستشهد بعض أصحابه. ورأى أن سيفه ذا الفقار انقصم فأوله على قتل حمزة، ورأى كأن كبشا أغبر قتل فأوله على قتل مبارز الكفار، فقتل يوم أحد مبارزهم عثمان بن طلحة العبدرى من بنى عبد الدار»[3].

﴿وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا﴾ يعنى: علم المشاهدة، وإن كان علمهم علم الغيب.

﴿وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا﴾ قائل ذلك القول: عبد الله بن حرام أبو جابر، قال للمنافقين: قاتلوا فى سبيل الله، وإن لم تقاتلوا لأجل الدين، فادفعوا عن الأهل والحريم.

﴿قالو لو نعلم قتالا لاتبعناكم﴾ فرجعوا وهم يقولون: لاقتال، لا قتال؛ حتى يفشل المسلمون ﴿هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان﴾ يعنى: بعد رجوعهم ومقالتهم تلك؛ لأنهم كانوا من قبل من المؤمنين فى الظاهر؛ وإن كانوا منافقين فى الباطن، فلما فارقو ا المؤمنين صاروا أقرب إلى الكفر منهم للإيمان.

---

(١) رواه الترمذى (٤/ ١١٤ - ١١٥ رقم ٥٦٧)، والنسائى فى الكبرى (٥/ ٢٠٠ رقم ٨٦٦٢) والطبرى فى التفسير (٤/ ١١٠)، والبزار فى مسنده (٢/ ١٧٦ رقم ٥٥١)، والدارقطنى فى العلل (٤/ ٣١-٣٣) كلهم من طريق عبيدة السلمانى عن على. ورواه ابن أبى شيبة (١٤/ ٣٦٨ رقم ١٨٥٣٣)، والطبرى (٤/ ١٨٠) عن عبيدة مرسلاً، وقال الدارقطنى فى العلل: والمرسل أشبه بالصواب.

(٢) هذا آخر موضع السقط الكبير الذى وقع فى النسخة «الأصل» والذى استدركناه من النسخة «ك».

(٣) متفق عليه من حديث أبى موسى الأشعرى بنحوه رواه البخارى (٦/ ٧٥ رقم ٣٦٢٢، وأطرافه فى ٣٩٨٧، ٤٠٨١، ٧٠٣٥، ٧٠٤١) ومسلم (١٥/ ٤٥ - ٤٦ رقم ٢٢٧٢)، وفى الباب عن ابن عباس وأنس وجابر.

يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾

﴿ يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ الذين قالوا لإخوانهم ﴾ يعنى: فى النسب لا فى الدين، وهم المنافقون، قالوا للمسلمين: لو قعدوا (كما قعدنا لما قتلوا)(١)، كما لم نقتل، فذلك قوله: ﴿ الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴾ يعنى: إن قدرتم على دفع القتل، وتقدرون على دفع الموت، فادفعوا الموت عن أنفسكم. والدرء: الدفع، ومنه قول الشاعر:

أقولُ وَقَدْ دَرَأتُ لها وَضِينِى ... أَهَـذا دينُكم أبداً ودِينِى(٢)؟

قوله تعالى: ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ﴾ سبب نزول الآية: أن أصحاب رسول الله ﷺ لما استشهدوا يوم أحد، كان الناس يقولون: مات فلان؛ ومات فلان، فنزل قوله تعالى: ﴿ ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم ﴾ قيل معناه: يؤولون أحياء يوم القيامة. إلا أن هذا ضعيف؛ لأنه لايبقى لهم فيه تخصيص، والأصح: أنه على معنى ما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تعلف من ثمار الجنة - وفى رواية: تأكل، وفى رواية: تسرح فى الجنة فترد مياهها - ثم تأوى إلى قناديل من ذهب معلقة من العرش» ورواه مسلم فى صحيحه، وزاد «إن الله تعالى اطلع عليهم اطلاعة، فيقول: تمنوا علىَّ، فيقولون: ماذا نتمنى وقد أعطيتنا هذا؟! فيقول: تمنوا على، فيقولون: وماذا نتمنى وقد أعطيتنا هذا؟! فيقول: تمنوا على، فيقولون: نتمنى أن نرد إلى الدنيا ونقتل فى سبيلك ثانيا» الحديث(٣).

---

(١) فى «ك»: كما قعدوا لقتلنا.

(٢) هكذا وقع البيت فى «الأصل وك»، وفى لسان العرب (مادة: وضن):

تقول إذا درأتُ وضينى ... أهذا دأبه أبداً ودينى؟

وعزاه للمثقب العبدى

(٣) تقدم تخريجه.

فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ

وفى رواية ثالثة: «أن النبى ﷺ رأى جابرا حزينا، وقتل أبوه عبد الله بن حرام يوم أحد، فقال: ما لى أراك حزينا، إن الله تعالى لم يكلم أحدا، إلا من وراء حجاب، وقد كلم أباك كفاحا، فقال: تمن على . .»(١) الحديث.

وروى: «أن شهداء أحد قالوا: من يبلغ نبينا وإخواننا ما وصلنا إليه؟ فقال الله تعالى: أنا أبلغهم - وفى رواية: أنا رسولكم - وأنزل هذه الآية»(٢).

﴿ بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ﴾ قيل معناه: أنه يُدْفَع إليهم كتاب فيه أسماء إخوانهم الذين يستشهدون من بعدهم، فيستبشرون بهم.

وقوله: ﴿ ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ﴾ وقُدِّرَ عليهم أن يلحقوا بهم. فيه قول آخر، أن الشهداء يقولون: ياليت إخواننا أُصيبوا مثل ما أُصِبْنَا؛ فيصلون إلى ما وصلنا؛ فذلك قوله: ﴿ ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ﴾ أى: بأن لاخوف عليهم ﴿ ولاهم يحزنون ﴾.

﴿ يستبشرون بنعمة من الله وفضل ﴾ وقيل: أراد بالنعمة: قدر الكفاية، وبالفضل: مازاد على الكفاية، ومعناه: لايُضَيِّقُ عليهم، بل يوسِّع فى العطاء، وقيل: ذَكَرَ الفضلَ تأكيدا للنعمة، ﴿ وأن الله لايضيع أجر المؤمنين ﴾ قرأ ابن مسعود: «والله لايضيع أجر المؤمنين».

قوله تعالى: ﴿ الذين استجابوا لله والرسول ﴾ قيل: سبب نزول الآية: أن أبا سفيان

---

(١) رواه الترمذى (٥/٢١٤ - ٢١٥ رقم ٣٠١٠) وقال: حسن غريب، وابن ماجة (١/٦٨ رقم ١٩٠، و (٢/٩٣٦ رقم ٢٨٠٠)، وأحمد (٣/٢٦١) وابن أبى عاصم فى السنة (١/٢٦٧ رقم ٦٠٢) وابن خزيمة فى التوحيد (ص٣٧٩) والحميدى فى مسنده (٢/رقم ١٢٦٥)، وأبو يعلى (٤/٢٠٠٢)، والحاكم (٣/٢٠٤ - ٢٠٥) وصححه وتعقبه الذهبى بأن فيه المفضل بن صدقة، قال النسائى: متروك وابن حبان فى صحيحه (١٥/٤٩٠ - ٤٩١ رقم ٧٠٢٢، والبيهقى فى الدلائل (٣/٢٩٨) كلهم من حديث جابر، رضى الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (٣/١٥ رقم ٢٥٢٠)، وابن جرير (٤/١١٣) من حديث ابن عباس مرفوعا مطولا.

ورواه ابن جرير أيضا عن قتادة، والربيع، والضحاك جميعهم مرسلا، وعن قيس بن مخرمة مرفوعا. وعزاه السيوطى فى الدر (٢/١٠٦) لابن المنذر، عن محمد بن قيس بن مخرمة مرسلا.

الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ

لما رجع إلى مكة يوم أحد، قال الكفار بعضهم لبعض فى الطريق: نرجع؛ فنستأصل محمدا وأصحابه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: من ينتدب إلى الخروج، فانتدب سبعون نفرا فيهم أبو بكر والزبير.

وقد قالت عائشة لعروة: إن أبويك من الذين استجابوا لله والرسول، وأرادت أن أبا بكر والزبير كانا فى السبعين، فخرجوا إلى حمراء الأسد [ وهم ](١) على ثمانية أميال من المدينة، فلما وصلوا ( فإذا الله كان قد ألقى )(٢) الرعب فى قلوب المشركين، وكانوا مضوا إلى مكة »(٣).

وقال ابن عباس ( قولا آخر )(٤): أن أبا سفيان لما أراد أن يرجع يوم أحد، قال: موعدنا وموعدكم العام القابل ببدر، ثم لم يتفق له الخروج فى العام القابل، وخرج رسول الله ﷺ لموعده إلى بدر مع أصحابه، فأولئك الذين استجابوا لله والرسول »(٥).

﴿ من بعد ما أصابهم القرح ﴾ يعنى: الألم يوم أحد، ﴿ للذين أحسنوا منهم ﴾ باستجابة الرسول، ﴿ واتقوا ﴾ يعنى مخالفة الرسول ﴿ أجر عظيم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ﴾ هذا قول نعيم بن مسعود الأشجعى، والقصة فى ذلك: « أن أبا سفيان لما لم يتفق له الخروج لموعده ببدر بعث بنعيم بن مسعود الأشجعى إلى المدينة، وقال له: ثبط

---

(١) كذا فى « ك »، وفى « الأصل »: وهو.

(٢) كذا فى « الأصل »، وفى « ك »: كان الله قد ألقى.

(٣) رواه البخارى بنحوه من حديث عائشة ( ٦ / ٤٣٢ رقم ٤٠٧٧ )، وبدون ذكره: « فخرجوا إلى حمراء الأسد ... إلخ ». ورواه مسلم فى صحيحه ( ١٥ / ٢٧٢ رقم ٢٤١٨ ) مختصراً.

(٤) فى « ك »: قول آخر، وهو خطأ.

(٥) رواه النسائى فى الكبرى ( ٦ / ٣١٧ رقم ١١٠٨٣ )، والطبرانى فى الكبير ( ١١ / ٢٤٧ رقم ١١٦٣٢ ) من طريق عكرمة، عن ابن عباس. قال الهيثمى فى المجمع ( ٦ / ١٢٤ ): رجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور وهو ثقة. ورواه ابن جرير ( ٤ / ١٢٠ )، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم - كما فى الدر ( ٢ / ١١٥ ) - جميعهم عن مجاهد مرسلا.

فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ

أصحاب محمد عن الخروج؛ كيلا يظنوا أن بنا فشلا ولك عشر من الإبل، فجاء إليهم، وكان النبى ﷺ وصحابته يتهيئون للخروج، فقال لهم: تخرجون إليهم! قد خرجوا إليكم فى العام الماضى، وفعلوا بكم ما فعلوا فى بيوتكم، والله لو خرجتم إليهم لايعود أحد منكم، فقال ﷺ وأصحابه: حسبنا الله ونعم الوكيل، ولم يمتنعوا من الخروج»(١).

فقوله: ﴿الذين قال لهم الناس﴾ هو نعيم بن مسعود وحده، هذا قول عكرمة ومجاهد ومقاتل والكلبى، وقال ابن عباس: هو قول نفر قليل من عبد القيس، وقوله: ﴿فزادهم إيمانا﴾ منهم من قال معناه: زادهم إيمانا بتفويضهم، وقولهم: حسبنا الله ونعم الوكيل، وقيل معناه: زادهم يقينا بما وعدهم الله من النصر، ﴿وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾، قال ابن عباس: وهذا قول إبراهيم حين ألقى فى النار، فإنه قال: حسبنا الله ونعم الوكيل.

قوله تعالى: ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل﴾ معنى الآية: «أن النبى ﷺ وأصحابه خرجوا لموعد أبى سفيان إلى بدر، وهو مجمع سوق العرب، فلم يلقوا هنالك (أحدا)(٢) إذ لم يتفق (خروجهم)(٣)، فاتجروا هنالك، وربحوا، وانصرفوا»(٤) فذلك قوله: ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل﴾ فالنعمة: العافية، والفضل: ربح التجارة ﴿لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم﴾.

قوله تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه﴾ فالشيطان: كل عات متمرد من الجن والإنس، والمراد بالشيطان هاهنا: نعيم بن مسعود، وقيل: هو الشيطان

(١) رواه الطبرى (٤/ ١٢٠) بمعناه، عن ابن عباس. وانظر الدر المنثور (٢/ ١١٢ - ١١٦).

(٢) فى «ك»: أحد، وهو خطأ.

(٣) ليست فى «ك».

(٤) تقدم تخريجه فى الحذيث الذى قبله.

يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ

المعروف؛ فإنه وسوس إليهم: أن لاتخرجوا لذلك الوعد.

وقوله: ﴿ يخوف أولياءه ﴾ قال إبراهيم النخعى: تقديره: يخوفكم أولياءه أى: من أوليائه، وهم الكفار، وقال أهل المعانى: هو قول حسن.

وقال الفراء: معناه: يخوفكم بأوليائه، وكذا قرأ أُبىٌّ بن كعب. (ومثله)[1] قوله تعالى: ﴿ لينذر بأسا شديدا ﴾[2] أى: ببأس شديد، وقال الشاعر:

أمرتُكَ الخيرَ فافعلْ ما أُمرت بهِ ... فقد تركتُكَ ذا مال وذا نسبِ

أى: أمرتك بالخير، فنزع الباء ﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾

قوله تعالى: ﴿ ولايحزنك ﴾ ويقرأ: «ولايُحزنك» بضم الياء[3]، ومعناهما واحد.

﴿ الذين يسارعون فى الكفر ﴾ يعنى: قول الذين يسارعون فى الكفر.

﴿ إنهم لن يضروا الله شيئا ﴾ أى: لن ينقصوا الله شيئا ﴿ يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة ﴾ أى: نصيبا فى الآخرة ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان ﴾ أى: استبدلوا وكل شراء استبدال، وليس كل استبدال شراء ﴿ لن يضروا الله شيئا ﴾ أى: لن ينقصوا الله شيئا ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ولا يحسبن الذين كفروا ﴾ أى: لا يظنن، من الحسبان: الظن ﴿ أنما نملى لهم خير لأنفسهم ﴾ الإملاء: إطالة العُمُر، والإمهال: التأخير، ويقال لليل والنهار: ملوان.

---

(١) ليست فى «ك».

(٢) الكهف: ٢.

(٣) قرأ نافع بضم الياء، وكسر الزاى، وقرأ الباقون بفتح الياء، وضم الزاى، انظر النشر (٢/ ٢٤٤).

لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا

﴿ إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ﴾ أى: إنما نطيل عمرهم ليزدادوا إثما. روى الأسود عن ابن مسعود: « ما من أحد إلا والموت خير له؛ برا كان أو فاجرا: أما البر، لقوله تعالى -: ﴿ وما عند الله خير للأبرار ﴾[1] وأما الفاجر؛ لقوله تعالى: ﴿ إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ﴾؛ وذلك أنه إذا ازداد إثما اشتدت عقوبته » ﴿ ولهم عذاب مهين ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه ﴾ يعنى: على اختلاط المنافقين بكم؛ فإنهم كانوا مختلطين بالمؤمنين ﴿ حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ قال مجاهد: حتى يميز الكافر من المؤمن، وقال قتادة: حتى يميز المنافق من المؤمن، ويُقرأ: حتى « يميِّز » مشددا[2] يقال: ماز يَميزُ، ومَيَّز يُميِّز، بمعنى واحد. وفى الحديث: « من ماز أذى من الطريق، فهو له صدقة » ﴿ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ﴾ سبب نزوله: أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يارسول الله، أخبرنا بمن يموت على الإيمان، ومن يموت على الكفر؛ فنزل قوله: ﴿ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء ﴾ يعنى: فيطلعه على الغيب بما شاء، وهذا كما قال فى آخر سورة الجن: ﴿ فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ﴾[3] ﴿ فآمنوا بالله ورسوله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ولاتحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ﴾ يعنى: هو يكون خيراً لهم ﴿ بل هو شر لهم ﴾ فى معنى الآية قولان: أحدهما: أنه فى اليهود، حيث كتموا نعت محمد، وبخلوا به؛ فعلى هذا معنى قوله: ﴿ سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ أى: إثم ما بخلوا به يوم القيامة، والقول الثانى: أن الآية فى

(١) آل عمران: ١٩٨.

(٢) قرأ يعقوب، وحمزة، والكسائى، وخلف بضم الياء الأولى، وتشديد الياء الأخرى وقرأ الباقون بالفتح، والتخفيف. انظر النشر (٢/ ٢٤٤).

(٣) الجن: ٢٦ - ٢٧.

**به يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ**

مانعى الزكاة، وقوله: ﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ على حقيقته، وهو معنى ما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من منع الزكاة جاء يوم القيامة، فيمثل له ماله شجاعا أقرع فيطوق فى رقبته، [فينهسه][1] من قرنه إلى قدميه ثم قرأ هذه الآية»[2].

﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾ فإن قال قائل: كيف يكون له ميراث السموات والأرض؟ قيل: العرب تسمى كل ما انتقل من أحد إلى غيره ميراثا بأى سبب كان، فلما خلصت السموات و الأرض لله تعالى بعد هلاك العباد، سماه ميراثا، كأنه انتقل منهم إليه ﴿والله بما تعملون خبير﴾.

قوله تعالى: ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ قيل: سبب نزول الآية: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا﴾[3] قالت اليهود: إن الله يستقرض منا أموالنا؛ فإذن هو فقير ونحن أغنياء وما قالوا ذلك عن اعتقاد، ولكن تمويها على المسلمين، وتشكيكا لهم فيما جاء به محمد رسول الله ﷺ، فنزل قوله: ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ وفيه قول آخر: أنه عليه [الصلاة و][4] السلام لما استعان بيهود بنى قينقاع فى الحرب، قالوا: إن الله فقير إذن؛ حيث يستعين بنا فى نصرة دينه، ونحن أغنياء؛ فنزلت الآية.

﴿سنكتب ماقالوا﴾: هو الكتابة فى صحائف الأعمال،وقيل: معناه: نحصى ماقالوا نجازى عليه، ويقرأ: «سيُكتب ما قالوا» بضم الياء[5]. ﴿وقتلهم الأنبياء﴾ بالرفع[6] أى: ويكتب قتلهم الأنبياء ﴿بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾ أى:

---

(١) فى «ك»: فينهشه بالشين المعجمة وكلاهما بمعنى واحد.

(٢) رواه البخارى فى صحيحه (٣/٣١٥رقم ١٤٠٣، ٤٥٦٥، ٤٦٥٩، ٦٩٥٧)، والنسائي (٥/٣٩ رقم ٢٤٨٤)، وأحمد (٢/٢٧٩، ٣١٦، ٣٥٥، ٣٧٩، ٤٨٩، ٥٣٠) وابن حبان فى صحيحه (٨/٥٠ رقم ٣٢٥٨) جميعهم من حديث أبى هريرة مرفوعا بنحوه.

وفى الباب عن ابن مسعود، وابن عمر، وغيرهم.

(٣) البقرة: ٢٤٥.

(٤) من «ك».

(٥) قرأ حمزة بالياء وضمها، وفتح التاء، وقرأ الباقون بالنون وفتحها، وضم التاء انظر النشر (٢/٢٤٥).

(٦) هى قراءة حمزة – برفع اللام – وقرأ الباقونْ بفتح اللام على النصب. انظر المصدر السابق.

وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ

بعذاب النار؛ لأن عذاب النار محرق.

﴿ ذلك بما قدمت أيديكم ﴾ يعنى: بما قدمتم، وذكر أيديكم تأكيدا.

﴿ وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ يعنى: أنه يفعل ما يفعل بهم؛ مجازاة لهم على أعمالهم.

قوله تعالى: ﴿ الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ﴾ الآية فى اليهود، قال السدى: كان الله تعالى عهد إلى اليهود: أن لايؤمنوا لرسول حتى يأتيهم بقربان تأكله النار سوى عيسى ومحمد ﷺ، فإنه أمرهم أن يؤمنوا بهما من غير هذه الشريطة.

وقال غيره: كانوا يتقربون بالقربان، ثم يأخذون أطايب لحمه، فيضعونها فى بيت، ثم يقوم نبيهم فى ذلك البيت يناجى ربه، فتأتى نار بيضاء لها حفيف من السماء، فتأكله، ويكون ذلك علامة قبول القربان.

﴿ قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات ﴾ أى: بالدلالات والمعجزات ﴿ وبالذى قلتم ﴾ يعنى: من الإتيان بقربان تأكله النار.

﴿ فلم قتلتموهم ﴾ أى: فلم كذبتموهم، وقتلتموهم ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ فى دعوتكم ذلك العهد.

قوله تعالى: ﴿ فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات ﴾ أى: بالدلالات والمعجزات ﴿ والزبر ﴾: جمع الزبور وهو كتاب فيه الحكمة، وبه سمى كتاب داود: زبورا، وفى مصحف أهل الشام «وبالزبر»(١).

فإن قال قائل: أى فرق بين الزبر والكتاب؟ وقد قال: ﴿ والزبر والكتاب المنير ﴾

(١) هى قراءة ابن عامر بزيادة باء بعد الواو انظر النشر (٢/ ٢٤٥).

نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا

قيل: الكتاب اسم لما كتب، وضُمَّ بعض الكلمات فيه إلى بعض من الكَتْب (وهو)[1] الضم، وأما الزبر: مأخوذ من الزَبْر وهو الزجر، فالزبور: كتاب فيه مزاجر.

قوله تعالى: ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ والذوق فى الموت مجاز، وحقيقة الذوق: هو الإحساس بالشيء؛ فلما كان يحسّ بالموت، سماه ذوقا مجازا، قال الشاعر:

**من لم يمت عَبْطَةً يمت هَرَمًا ... الموت كأس وكل الناس ذائقها**[2]

فإن قال قائل: لايخفى أن كل نفس تموت، فأيْش الفائدة فى قوله: ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾؟ قيل: أراد به: التزهيد فى الدنيا، يعنى: أن النفوس إلى الفناء؛ فتزهّدوا فى الدنيا، ﴿ وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ﴾.

﴿ فمن زحزح عن النار ﴾ أى: نجى، وبعد عن النار ﴿ وأدخل الجنة فقد فاز ﴾ أى: نجا ﴿ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ لأنها تغرّ الإنسان، وهى إلى الانقطاع.

قوله تعالى: ﴿ لتبلون ﴾ أى: لتختبرن، وقيل: لتصابن ﴿ فى أموالكم وأنفسكم ﴾ فى أموالكم بالإنفاق، وأنفسكم بالجهاد، وقيل: فى أموالكم (وأنفسكم بالمصائب والأمراض، وقال بعض أصحاب الخواطر: فى أموالكم)[3] بالمنع عن الحق، وأنفسكم باتباع الهوى.

﴿ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ﴾ قال الزهرى: هذا فى كعب بن الأشرف، كان يهجو النبى ويُسمع المسلمين هجاه»، وقيل: هو قول اليهود: عزير ابن الله، وقول النصارى: المسيح ابن الله، وقيل: هو قول أولئك الذين قالوا: إن الله فقير.

---

(١) فى «ك»: إلى. وهو خطأ.

(٢) كذا وقع الشطر الثانى فى «الأصل، وك».

وفى لسان العرب (مادة: عبط): للموت كاس والمرء ذائقها.

وعزا البيت لأمية بن أبى الصلت. وفسر «عبطة»: أى: شابًا، وقيل شابًا صحيحًا.

(٣) ليست فى «ك».

فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

﴿ وإن تصبروا ﴾ يعنى: على الأذى ﴿ وتتقوا ﴾ يعنى: من مخالفة الرسول ﴿ فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ أى: من حقائق الأمور، وشدائدها.

قوله تعالى: ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه ﴾ قيل: أراد به: اليهود، أخذ الله ميثاقهم أن يبينوا نعت محمد للناس ولايكتمونه. وقيل: هو فى جميع العلماء، أخذ الله ميثاق العلماء: أن يبينوا العلم للناس ولايكتمونه، وفى الحديث: «من سئل عن علم، فكتمه، ألجم بلجام من نار»(١).

﴿ فنبذوه وراء ظهورهم ﴾ أى: تركوه وراء ظهورهم ﴿ واشتروا به ثمنا قليلا ﴾ يعنى: الرشاء ﴿ فبئس مايشترون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ﴾ يعنى: اليهود، بما أوتوا أى: العلم والكتاب، ولم يقوموا بموجبه وما يقتضيه، وقيل: هو فى المنافقين يفرحون بما أتوا من التخلف عن رسول الله ﷺ(٢).

﴿ ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ﴾ (يعنى):(٣) بالأعذار الكاذبة، ﴿ فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ﴾ أى: بمنجاة من العذاب ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾.

وروى أن مروان بعث إلى عائشة: هلكنا إذن؛ فإنا نفرح بما نأتى، ونحب أن نحمد بما لم نفعل؛ والله تعالى يقول: ﴿ فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ﴾ فذكرت عائشة أن الآية فى اليهود.

---

(١) رواه أبو داود (٣/٣٢١ رقم ٣٦٥٨)، والترمذى (٥/٢٩ رقم ٢٦٤٩) وقال: حسن، و ابن ماجة (١/٩٦ رقم ٢٦١)، وأحمد (٢/٢٦٣، ٣٠٥، ٣٤٤، ٣٥٣، ٤٩٥)، والطيالسى (رقم ٢٥٣٤)، وابن أبى شيبة (٩/٥٥) وابن حبان فى صحيحه (١/٢٩٧ رقم ٩٥)، والحاكم فى مستدركه (١/١٠١) وصححه، جميعهم من حديث أبى هريرة مرفوعا.
وقال الزيلعى فى تخريجه للكشاف (١/٢٥٥ رقم ٢٦٨)، روى من حديث أبى هريرة وأنس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وابن عباس، وابن مسعود، وطلق بن على، وابن عمر، وأبى سعيد الخدرى، وجابر، وعائشة.

(٢) من «ك».

(٣) فى «ك»: أى.

قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ

قوله تعالى: ﴿ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير﴾ ذكر هذا ردا لقولهم: إن الله فقير ونحن أغنياء.

قوله تعالى: ﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب﴾ يعنى: أن فيها دلالات على وحدانيته لذوى العقول.

قوله تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ روى ابن مسعود وعمران بن الحصين أن النبى ﷺ قال: «صلّ قائما، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تستطع فعلى جنبك تومئ إيماء»(١) فهذا معنى الآية.

وقيل: معناه: الذين يوحدون الله على كل حال.

﴿ويتفكرون فى خلق السموات والأرض﴾ فيستدلون به على وحدانيته، وفى الحديث: «تفكروا فى الخلق، ولا تتفكروا فى الخالق»(٢).

﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾ أى: عبثا، وقيل: (باطلا)(٣) أى: بباطل.

﴿سبحانك﴾: هو للتنزيه عن كل سوء ﴿فقنا عذاب النار﴾ روى عن ابن عباس: أنه قال: «بت عند خالتى ميمونة، فنام رسول الله ﷺ وأهله على عرض الوسادة، وأنا

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه (٢/ ٦٨٠ - ٦٨١ رقم ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧)، وأبو داود (١/ ٢٥٠ رقم ٩٥٢) والترمذى (٢/ ٢٠٨ رقم ٣٧٢) وقال: حسن صحيح. وابن ماجة (١/ ٣٨٦ رقم ١٢٢٣)، وأحمد (٤/ ٤٢٦)، وابن خزيمة فى صحيحه (٢/ رقم ٩٧٩)، والحاكم (١/ ٣١٥) وصححه على شرط الشيخين، جميعهم من حديث عمران ابن حصين.

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط - مجمع البحرين (١/ ١٠٨ رقم ٧١) - وابن حبان فى المجروحين (٣/ ٨٣ - ٨٤)، وابن عدى فى الكامل (٧/ ٩٥)، وأبو الشيخ فى العظمة (صـ١٧ رقم ١) كلهم من حديث ابن عمر، وقال الهيثمى فى المجتمع (١/ ٨٤): وفيه الوازع بن نافع وهو متروك.
وفى الباب عن: عبد الله بن سلام، وابن عباس، وأبى ذر، وأبى هريرة، وعمرو بن مرة.
وقال السخاوى فى المقاصد (صـ٢٦١): وأسانيده ضعيفة لكن اجتماعها يكتسب قوة. وانظر السلسلة الصحيحة (١٧٧٨).

(٣) ليست فى «ك».

مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ

على طولها، ثم قام من الليل، وقرأ هذه الآيات العشر»[1] وفى رواية قال: «سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح، وقرأ هذه الآيات العشر إلى آخر السورة».

قوله تعالى: ﴿ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ أى: أهلكته. فإن قال قائل: ألستم تقولون: إن المؤمنين يدخلون النار، ولايخلدون فيها، فكيف يكون ذلك إهلاكا؟ قيل: قال قتادة: معنى الآية: إنك من تدخل النار للخلود فقد أخزيته أى: أهلكته، وقال الضحاك: معنى الآية ﴿إنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ أى: فضحته، وهتكت ستره؛ فعلى هذا يستوى فيه كل من دخل النار وإن لم يخلد فيها ﴿وما للظالمين من أنصار﴾.

﴿ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا﴾ أكثر المفسرين على أن المنادى: هو الرسول، وقيل: هو القرآن قاله محمد بن كعب القرظى. لأن كثيرا من الناس لم ير الرسول ولم يسمعه.

﴿ربنا فاغفر لنا ذنوبنا﴾ أى: كبائرنا ﴿وكفر عنا سيئاتنا﴾ أى: صغائرنا، وقيل: الذنوب: المعاصى، والسيئات: التقصير فى الطاعات.

﴿وتوفنا مع الأبرار﴾ البَرُّ المطيع، وفى الآثار: إن البَرَّ لا يؤذى الذر. يعنى: النمل الصغار الحمر.

﴿ربنا وآتنا ماعدتنا على رسلك﴾ أى: على ألسنة رسلك ﴿ولاتخزنا يوم القيامة﴾ أى: لاتفضحنا، ولاتهلكنا.

﴿إنك لاتخلف الميعاد﴾ وهو على سبيل المدح له؛ لأنا على القطع نعلم أنك لاتخلف الميعاد.

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس، رواه البخارى فى صحيحه (١/ ٣٤٤ - ٣٤٥ رقم ١٨٣ وأطرافه فى ١١٩٨٢، ٤٥٦٩، ٤٥٧٠، ٤٥٧١، ٤٥٧٢، ٧٤٥٢)، ومسلم (٦/ ٦٤ - ٧٦ رقم ٧٦٣).

﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ

قوله تعالى: ﴿فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾ روى أن أم سلمة قالت لرسول الله ﷺ: إنى أرى الله لايذكر النساء فى القرآن، فنزل قوله: ﴿من ذكر أو أنثى﴾.

﴿بعضكم من بعض﴾ أى: كلكم كنفس واحدة، فلا أضيع عمل واحد منكم.

﴿فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا﴾ وقرأ حمزة والكسائى: «وقتلوا وقاتلوا»(١) ﴿لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله﴾ أى: جزاء من عند الله، ﴿والله عنده حسن الثواب﴾.

قوله تعالى: ﴿لايغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد﴾ يعنى: على مرادهم، فإن مصيرهم إلى النار ﴿متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ وفيه دليل على أن أقل القليل من الجنة خير من الدنيا، وفى الحديث: «لموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها»(٢).

قوله تعالى: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله﴾ النُّزُل هو ما يعد للضيف من النعمة؛ فسمى الله تعالى ما

(١) وهى قراءة خلف أيضًا، وقرأ ابن كثير، وعامر بتشديد التاء من «قُتِّلوا»، وقرأ الباقون بالتخفيف. انظر النشر (٢/٢٤٣، ٢٤٦).

(٢) رواه البخارى فى صحيحه (٦/١٠٠رقم ٢٨٩٢، وأطرافه فى ٢٧٩٤، ٣٢٥٠، ٦٤١٥)، والترمذى (٤/ ١٥٤ – ١٥٥ رقم ١٦٤٨) وقال: حسن صحيح، وابن ماجة (٢/١٤٤٨ رقم ٤٣٣٠)، وأحمد (٣/٤٣٣ و٥/٣٣٠، ٣٣٧، ٣٣٩) جميعهم من حديث سهل بن سعد الساعدى، وفى الباب عن أنس، وأبى هريرة.

**الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾**

أعده للمؤمنين من نعيم الجنة: نزلا من عند الله ﴿وما عند الله خير للأبرار﴾

قوله تعالى: ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله﴾ قيل: أراد النجاشى، وروى أنه لما مات قال النبى ﷺ لأصحابه: «صلوا على أخ لكم مات، وهو أصحمة النجاشى»(١) فقال المنافقون: انظروا يصلى على علج من النصارى ويدعو له؛ فنزلت الآية.

وقيل: هو فى عبد الله بن سلام، ومن أسلم معه؛ فذلك قوله: ﴿لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله﴾ أى: متواضعين لله ﴿لايشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب﴾.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا﴾ يعنى: على الجهاد، ﴿وصابروا﴾ أى: مع الأعداء ﴿ورابطوا﴾ أى: فى الثغور بالملازمة، وقيل: اصبروا على دينكم، وصابروا مع الأعداء، ورابطوا بالمحافظة على الصلوات، وفى الحديث: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به السيئات، ويرفع الله به الدرجات، قيل: بلى يارسول الله، قال: إسباغ الوضوء فى السَّبْرَات(٢)، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم، الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»(٣).

﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ أى: كونوا على رجاء الفلاح.

---

(١) متفق عليه بنحوه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى فى صحيحه (٣/١٣٩رقم ١٢٤٥، ١٣١٨، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٣٣، ٣٨٨٠، ٣٨٨١) ومسلم فى صحيحه (٧/٣٥ - ٣١/رقم٩٥١). وفى الباب عن أبى حذيفة بن أسيد ومجمع وعن جابر وعن عمران ابن حصين، ومجمع بن جارية، وراجع الإرواء (رقم ٧٢٧).

(٢) السبرات: جمع سبرة بسكون الباء، وهى شدة البرد. النهاية (٢/٣٣٣).

(٣) رواه مسلم فى صحيحه (٣/١٧٩ - ١٨٠ رقم ٢٥١)، والترمذى (١/٧٢-٧٤ رقم ٥١، ٥٢) وقال: حسن صحيح، والنسائى (١/٨٩-٩٠ رقم ١٤٣)، وأحمد في مسنده (٢/٢٧٧، ٣٠٣) جميعهم من حديث أبى هريرة مرفوعا.

# تفسير سورة النساء

## بسم الله الرحمن الرحيم

قال: اعلم أن هذه السورة تسمى: سورة النساء، وتسمى سورة الأحكام، وهى مدنية على قول أكثر المفسرين، إلا قوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾[1]؛ فإن هذه الآية نزلت بمكة فى مفاتيح الكعبة، وأورد النحاس أن السورة مكية.

وفى الحديث: «من قرأ سورة البقرة، وآل عمران[2]، والنساء فى ليلة؛ كتب من القانتين»[3]، وعن عمر - رضى الله عنه - قال: تعلموا سورة البقرة، والنساء، والمائدة، وسورة النور، والأحزاب؛ فإن فيهن الفرائض.

---

(١) النساء: ٥٨.

(٢) ليست فى «ك».

(٣) رواه أبو عبيد فى فضائل القرآن (١٦٨ رقم ٤٣٣)، وسعيد بن منصور فى سننه (التفسير ٣/ ١٠٢٣رقم ٤٨٥)، ومن طريقه البيهقى فى الشعب (٥/ ٣٥٩ - ٣٦٠رقم ٢٢٠١)، ولكن فيهما: «كان من الحكماء»، جميعهم من طريق سعيد بن جبير، عن عمر موقوفا. قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره (١/ ٣٤): فيه انقطاع.

يـا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً

قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الناس﴾ قال علقمة: كل ما نزل فى القرآن: ﴿يا أيها الناس﴾ فإنما نزل بمكة، وكل ما ورد فى القرآن: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فإنما نزل بالمدينة.

وقوله: ﴿يا أيها﴾ «يا» للنداء، و«أى» للإشارة، و«ها» للتنبيه ﴿اتقوا ربكم﴾ وقرأ ابن مسعود: «اتقوا (الله)[1] ربكم».

بدأ من السورة بالوعظ والتحذير، فقال: ﴿اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة﴾، وأراد بالنفس الواحدة آدم - صلوات الله عليه - وإنما قال: ﴿واحدة﴾ على التأنيث؛ لأجل اللفظ؛ لأن النفس مؤنثة، وهذا مثل قول الشاعر:

**أبوك خليفة ولدته أخرى وأنت خليفة ذاك الكمال**

وإنما قال: ولدته للفظ الخليفة، وإن كان معناه الذكر ﴿وخلق منها زوجها﴾ يعنى: حواء، وسميت حواء؛ لأنها خلقت من حى، وفى القصص: أن الله تعالى خلق حواء من ضلع لآدم فى جنبه الأيسر يسمى: «القصيراء» وفى الخبر المعروف «أن المرأة خلقت من ضلع أعوج، فإن أردت أن تقيمها كسرتها، وإن تركتها استمتعت بها على اعوجاج»[2] وقيل: إن حواء خلقت من التراب.

وقوله: ﴿وخلق منها زوجها﴾ معناه: وخلق من جنسها زوجها، يعنى: التراب، والأصح الأول. وفى الخبر: أن الله تعالى لما خلق آدم ألقى عليه النوم، ثم أخذ ضلعا من أضلاعه، وخلق منه حواء، فجلست بجنبه، فلما انتبه رآها جالسة بجنبه، وقيل: إنه لم يؤذه أخذ الضلع شيئا، ولو آذاه لما عطف رجل على امرأة أبداً.

وعن ابن عباس: أن الله تعالى خلق الرجل من التراب؛ فهمُّه فى التراب، وخلق

---

(١) لفظ الجلالة ليس فى «ك».

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٩/ ١٦٠ - ١٦١ رقم ٥١٨٤، وأطرافه فى ٣٣٣١، ٥١٨٦)، ومسلم (١٠/ ٨٣ - ٨٤ رقم ١٤٦٨) بنحوه.

وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ

المرأة من الرجل، فهمُّها فى الرجل؛ فاحبسوا نساءكم.

﴿وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً﴾ ذكر هذا كله لبيان القدرة؛ وإظهار المنة ﴿واتقوا الله الذى تساءلون به﴾ أى: تسألون به، وذلك مثل قول الرجل: أسألك بالله، ونشدتك بالله، وقيل: معناه: واتقوا الله الذى تعاهدون به، وذلك أن تقول: عليك عهد الله، وعلى عهد الله، ونحو ذلك.

وأما قوله: ﴿والأرحام﴾ قرأ حمزة: «الأرحام» بكسر الميم[1] وتقديره: تساءلون به وبالأرحام، قال إبراهيم النخعى: تقول العرب: نشدتك بالله وبالرحم. وضعَّفوا هذه القراءة، والقراءة المعروفة: بنصب الميم، وتقديره: واتقوا الأرحام أن تقطعوها.

وفى الخبر: يقول الله - تعالى -: «أنا الرحمن، وخلقت الرحم، واشتققت لها اسما من اسمى، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته»[2].

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى يعمر الكفار، ويكثر أموالهم، ولم ينظر إليهم منذ خلقهم؛ بغضا لهم، فقيل: مم ذاك يارسول الله؟ قال: بصلة الأرحام»[3].

﴿إن الله كان عليكم رقيبا﴾ أى: حفيظا.

قوله تعالى: ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ أراد به: دفع المال إليهم بعد البلوغ،

(١) انظر النشر (٢/٢٤٧).

(٢) رواه البخارى فى الأدب المفرد (ص ٢٥ رقم ٥٣)، وأبو داود (٢/٣٣ رقم ١٦٩٤، ١٦٩٥)، والترمذى (٤/٢٧٨ رقم ١٩٠٧) وقال: صحيح، والإمام أحمد (١/١٩٤)، وابن حبان فى صحيحه (٢/١٨٦-١٨٧ رقم ٤٤٣)، والحاكم فى المستدرك (٤/١٥٧) جميعهم من حديث عبد الرحمن بن عوف مرفوعا.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير (١٢/٨٥ - ٨٦ رقم ١٢٥٥٦)، والحاكم فى المستدرك (٤/١٦١) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا بنحوه.

وقال الحاكم: عمران الرملى من زهاد المسلمين وعبادهم [فإن] كان حفظ هذا الحديث، فإنه غريب صحيح.

وقال الهيثمى فى المجمع (٨/١٥٥): إسناده حسن.

وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا

---

وسماهم بعد البلوغ يتامى؛ لقرب عهدهم باليتم، وكانت قريش تسمى رسول الله ﷺ يتيم أبى طالب لذلك.

﴿ ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ﴾ وفى قراءة شاذة: «ولا تشتروا الخبيث بالطيب» فالخبيث: الحرام، والطيب الحلال، ومعنى الكلام: ولا تأكلوا أموال اليتامى حراما، وتَدَعُوا أموالَكم الحلالَ، وقال مجاهد: معناه: لاتستعجلوا أكل الحرام؛ فإن الحلال يأتيكم.

﴿ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ﴾ قال الفرّاء: معناه: مع أموالكم، وقال غيره: «إلى» لاتكون بمعنى «مع»، وهى على حقيقتها، ومعناه: ولا تأكلوا أموالهم مضافة إلى أموالكم.

﴿ إنه كان حوبًا كبيرًا ﴾ فالحوب: الإثم، وفى الخبر: «أن أبا أيوب الأنصارى أراد أن يطلق امرأته أم أيوب، فقال النبى ﷺ: إن طلاق أم أيوب لحوب»(١)

قوله تعالى: ﴿ وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى ﴾ أى: ألا تعدلوا، يقال: أقسط، إذا عدل، وقسط، إذا جار، وفى معنى الآية قولان: أحدهما أورده البخارى فى الصحيح، وهو ماروى الزهرى عن عروة أنه سأل عائشة عن شأن هذه الآية، فقالت: يا ابن أختى، نزلت الآية فى يتيمة تكون فى حجر وليها، ويرغب فى مالها وجمالها، ولايقسط فى صداقها؛ فنهوا عن نكاحهن، وأمروا أن ينكحوا غيرهن»

فعلى هذا تقدير الآية: وإن خفتم ألا تقسطوا فى نكاح اليتامى؛ ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ﴾.

وقال ابن عباس: قصر نكاح النساء على الأربع من أجل أموال اليتامى، فإن قيل:

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير (١٢/١٩٥-١٩٦ رقم ١٢٨٧٦) عن ابن عباس مرفوعاً، وقال الهيثمى فى المجمع (٩/٢٦٥): فيه يحيى بن عبد الحميد الحمانى، وهو ضعيف.

فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾

وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا

كيف يعرف هذا، وكيف يلتئم بذاك هذا؟ قيل: معناه: أن الله تعالى لما شدد فى أموال اليتامى، تحرج المسلمون عنها غاية التحرج، وشرعوا فى نكاح النساء، واستهانوا به؛ فنزلت الآية، وأراد: إنكم كما تحرجتم عن أموال اليتامى؛ خوفا من الجور، فتحرجوا عن الزيادة على الأربع أيضا؛ خوفا من الجور والميل، فهذا معنى قوله: ﴿فانكحوا ماطاب لكم﴾ أى: ما حل لكم ﴿من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ أى: لاتجاوزوا الأربع.

وذهب بعض الناس إلى أن نكاح التسع جائز بظاهر هذه الآية؛ لأن الاثنين والثلاث والأربع يكون تسعا ليس بصحيح، بل فيه قولان: أحدهما: قال الزجاج: مثنى مثنى، ثلاث ثلاث، رباع رباع، يعنى: لكل الناس، وقيل: «الواو» بمعنى: «أو» يعنى: مثنى، أو ثلاث، أو رباع؛ ولأن - على التقدير الذى ذكروا - [عىٌّ][1] فى الكلام؛ لأن من أراد أن يذكر التسع فيقول: مثنى وثلاث ورباع، عد ذلك عيبا فى الكلام وقد قال: ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾؛ لأنه أخف مؤنة ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾ لأن حقوق ملك اليمين أدنى من حقوق ملك النكاح، وهو معنى قوله: ﴿ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ أى: ذلك أقرب أن لا تجوروا، يقال: عال، يعول إذا جار، وأعال يعيل إذا كثر عياله، قال الشاعر:

إنا اتبعنا الرسولَ واطِّرحوا ... أمر الرسولِ وعَالُوا فى الموازينِ[2]

أى: جاروا، وروى: أن أهل الكوفة عتبوا على عثمان فى شىء، فقال: لست بقسطاء، فلا أعول، أى لست بقسطاس؛ فلا أجور.

وقال الشافعى: معناه: ذلك أدنى ألا تكثر عيالكم. وحكى الأزهرى عن الكسائى

(١) فى «الأصل و ك»: عيًّا.

(٢) وقع البيت فى لسان العرب (مادة: عول) كما يأتى:

إنا تَبِعْنَاَ رسولَ اللهِ واطرَّحوا ... قول الرسول وعالوا فى الموازين

السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا

أنه حكى عن العرب: عال يعول: إذا كثر عياله، وهذا يؤيد قول الشافعي.

﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾ الصدقة والصداق واحد ﴿ نحلة ﴾ أى: تَدَيُّنًا، وقال ابن عباس: معناه: فريضة، والخطاب مع الأزواج - على الأصح - وقيل: هو خطاب مع الأولياء، وكان أهل الجاهلية لايعطون المرأة صداقها، وإنما يأخذ الأولياء؛ فخاطب الأولياء بإعطاء المرأة صداقها نحلة، أى: هو عطية لها من الله.

﴿ فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا ﴾ أى: فإن أعْطَيْنَ عن طيب نفس من الصداق شيئًا. و« من » للتخيير هاهنا، لا للتبعيض؛ حتى يجوز للمرأة هبة كل الصداق، ﴿ فكلوه هنيئًا مريئًا ﴾ الهنيء: ما أكلت من غير تنغيص، والمريء: هو المحمود العاقبة؛ وذلك ألا يورث تخمة. وعن على - رضى الله عنه - أنه قال: إذا مرض أحدكم، فليستقرض من امرأته ثلاثة دراهم من صداقها، وليشترى بها عسلا، وليخلطه بماء السماء، ثم ليأكل؛ فإنه الشفاء المبارك والهنيء المريء.

قوله - تعالى -: ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ﴾ أكثر المفسرين على أن المراد بالسفهاء: الصبيان والنساء ها هنا، وقال الشعبى: المرأة أسفه من كل سفيه.

قال سعيد بن جبير: معنى الآية: أن لاتجعلوا المرأة قَيِّمَة البيت فى المعاش، بل كونوا أنتم قوامين على النساء فى المعاش، وقوله: ﴿ التى جعل الله لكم قياما ﴾ فالقيام والقَوَام واحد، يعنى: أموالكم التى جعلها الله قواما لمعاشكم، وقال الزجاج: تقديره: الأموال التى تقيمكم فتقومون به قياما ﴿ وارزقوهم فيها واكسوهم ﴾ قيل: معناه: وارزقوهم منها، وقيل كلمة فى حقيقتهما، ومعناه: اجعلوا وظائفهم من الرزق والكسوة فيها.

﴿ وقولوا لهم قولاً معروفًا ﴾ قيل: معناه: تعليم الدين والشرائع، وقيل: أراد به: وعد الجميل؛ وذلك أن تقول لهم: إن سافرت وربحت، أعطيكم كذا، وإن غزوت

إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ۝ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ

فغنمت، أعطيكم كذا، فهذا هو القول المعروف.

قوله - تعالى -: ﴿ وابتلوا اليتامى ﴾ يعنى: واختبروا اليتامى، ثم منهم من قال: إنما نختبرهم بعد البلوغ، وسماهم يتامى؛ لقرب عهدهم باليتم، والصحيح أنه أراد به: الاختبار قبل البلوغ، ثم اختلفوا، فأما الفقهاء قالوا: يدفع إليه شيئا يسيرا، ويبعثه إلى السوق، حتى يستام السلعة، ثم إذا آل الأمر إلى العقد يعقد الولى، ومنهم من قال: يعقد الصبى، ويجوز ذلك فى الشىء اليسير؛ لأجل الاختبار.

وأما الذى قاله المفسرون: أنه يَدْفع إليه مالاً، ويجعل إليه نفقة البيت، ويختبره فيها، ﴿ حتى إذا بلغوا النكاح ﴾ أى: أوَانَ الحلم ﴿ فإن آنستم ﴾ أى: أحسستم، ووجدتم ﴿ منهم رشدا ﴾ قال مجاهد: عقلا، وقال سفيان الثورى: عقلاً وإصلاحًا فى المال. ومذهب الشافعى: أن الرشد: هو الصلاح فى الدين، والإصلاح فى المال.

﴿ فادفعوا إليهم أموالهم ﴾ أمر الأولياء بدفع المال إليهم عند البلوغ والرشد. ﴿ ولا تأكلوها إسرافا ﴾ أى: لاتأكلوها مسرفين ﴿ وبدارا أن يكبروا ﴾ أى: لاتبادروا إلى أكل أموال اليتامى، خوفا من أن يكبروا؛ فيأخذوا أموالهم.

﴿ ومن كان غنيا فليستعفف ﴾ أى: فليستعفف بماله عن مال اليتيم ﴿ ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ﴾ قال عمر - رضى الله عنه -: إذا كان الولى فقيرا، يأكل من مال اليتيم بقدر الحاجة، وقال أيضا: أنا فى هذا المال: كولى اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن احتجت أكلت. وإلى هذا ذهب قوم من العلماء، أن له أن يأكل بقدر ما يسد به الخلة، وقال بعضهم: عباءًا غليظا، وخبز الشعير، وقال الشعبى وجماعة: يأكل من مال اليتيم على سبيل القرض، وقال مجاهد: لايأكل أصلا، لا قرضا، ولا غير قرض، قال: والآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿ لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل،

﴿ والأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾

إلا أن تكون تجارة عن تراض ﴾[1] وإلى هذا ذهب أكثر العلماء، وعليه الفتوى، أنه لايأكل أصلا، ومن قال: إنه يأكل، يقول: يأخذ بقدر أجرته على القيام، وقد روى أن رجلا (جاء)[2] إلى ابن عباس، وقال: [إنَّ][3] لى يتيما وله إبل، فماذا أصيب منها؟ فقال: أتلوط حوضها وتهنأ جرباها؟ قال: نعم، فقال ابن عباس: أصب من رسلها غير مضر بنسل، ولا ناهك فى حلب.

وفيه قول رابع: أن معنى قوله: ﴿ فليأكل بالمعروف ﴾ يعنى: يأكل الفقير من قوت نفسه بالمعروف، ولايستكثر منه حتى ينفد ماله؛ فيحتاج إلى مال اليتيم.

﴿ فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم ﴾ ندب إلى الإشهاد؛ كيلا يجحدوا.

﴿ وكفى بالله حسيبا ﴾ أى: شهيدا. قوله - تعالى -: ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ﴾ سبب نزول الآية أن أوس بن ثابت الأنصارى مات وخلّف ثلاث بنات وامرأة - يقال لها: أم كجَّة - وابنى عم: عرفجة، وسويد، فجاء ابنا عمه وأخذا جميع المال، وكان أهل الجاهلية لايورثون النساء من الميت، ويقولون: لايرث أموالنا إلا من طاعن بالرماح، وضارب بالسيوف؛ فنزلت الآية، وهذه أول آية نزلت فى توريث النساء المال.

﴿ مما قلّ منه أو كثر نصيبا مفروضا ﴾ وقد بيَّن الأنصبة المفروضة فى آيات المواريث.

قوله تعالى: ﴿ وإذا حضر القسمة أولوا القربى و اليتامى والمساكين فارزقوهم منه ﴾ يعنى: قسمة التركة فى مواريث إذا حضرها من لايرث الميت من أقاربه، أو اليتامى، والمساكين ﴿ فارزقوهم منه ﴾ فأعطوهم شيئا ﴿ وقولوا لهم قولاً معروفًا ﴾ أى: قولوا لهم: بورك فيكم.

---

(١) النساء: ٢٩.

(٢) فى «ك»: أتى.

(٣) فى «الأصل»: إنى، وما أثبتناه من «ك».

وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ

ثم اختلفوا، فقال بعضهم: الآية منسوخة، فيجوز أن يعطوا، ويجوز أن لايعطوا، وقيل: هو على الندب، ويستحب أن يعطيهم شيئا، ومنهم من قال: إن قسموا العين والورق ونحوه يوضح لهم، وإن قسموا الدور والعقار، والعبيد، والثياب، ونحوها، يقول لهم: بورك فيكم.

قوله - تعالى -: ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله﴾ سبب نزول الآية: أن أصحاب رسول الله ﷺ كان الرجل منهم إذا حضره الموت، يأتون إليه، ويقولون له: انظر لنفسك أيها الرجل، وأوصى بمالك، وإن ورثتك لايغنون عنك من الله شيئا، وربما يحملونه على أن يوصى بجميع المال فنزلت الآية ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم﴾ أى: إن تركوا من خلفهم ﴿ذرية ضعافا﴾ أى: أولادا صغارا ﴿خافوا عليهم﴾ أو على أولادهم؛ فليخافوا على أولاد الناس كما يخافون على أولادهم؛ فإن أولاد الميت أحق بماله من الأجانب، فهذا معنى قوله: ﴿فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا﴾ أى: عدلا.

قوله - تعالى -: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما﴾ نزلت الآية فى حنظلة ابن الشمردل، كان قد ولى يتيما، فأكل جميع ماله، وقيل: الآية نزلت ابتداءً فى حق الكافر ﴿إنما يأكلون فى بطونهم نارا﴾ لأنه لما كان أكلهم ذلك يؤدى إلى النار، سماهم آكلين للنار، وهذا كقول النبى ﷺ: «الذى يشرب فى آنية الذهب والفضة، إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم». (١) وفى الحديث: «يخرج لهيب النار من جوفهم يوم القيامة». (٢) وفى رواية: «أن الملك يأتيهم، فيفتح أفواههم، ويلقمهم الجمر،

(١) متفق عليه من حديث أم سلمة، رواه البخارى (١٠/٩٨ رقم ٥٦٣٤)، ومسلم (١٤/٣٨ - ٣٩ رقم ٢٠٦٥).

(٢) رواه أبو يعلى فى مسنده (١٣/ ٤٣٤رقم ٧٤٤٠)، ومن طريقه ابن حبان فى صحيحه (١٢/٣٧٧ رقم ٥٥٦٦) وابن عدى فى الكامل (٣/١٨٧) حديث أبى برزة.

قال الهيثمى فى المجمع (٧/٥): رواه أبو يعلى والطبرانى، وفيه زياد بن المنذر، وهو كذاب.

**اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ**

---

ويقول: هذا بأكلكم مال اليتيم»(١)

وقال ﷺ: «من أبكى يتيما، فحق على الله أن يبكى عينيه يوم القيامة».

﴿وسيصلون سعيرا﴾ أى: سيدخلون جهنم، وقيل: يعاينون سعيرا، والسعير: النار المستعرة، وهو اسم من أسماء جهنم.

قوله - تعالى -: ﴿يوصيكم الله فى أولادكم﴾ معناه: يفرض الله عليكم فى أولادكم، وذلك مثل قوله - تعالى -: ﴿ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به﴾(٢) أى: فرض عليكم ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾.

سبب نزول الآية: «أن سعد بن الربيع لما استشهد يوم أحد خلّف ابنتين وامرأة وأخا، فجاء الأخ وأخذ جميع المال، فجاءت المرأة تشكو إلى رسول الله ﷺ؛ فنزلت الآية». فدعا رسول الله ﷺ الأخ، وقال: اعط الابنتين الثلثين والمرأة الثُمُن، وخذ الباقى»(٣).

وقوله: ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ يعنى: إذا خلّف ابنا وابنة، فالمال من ثلاثة أسهم: سهمان للإبن، وسهم للبنت ﴿فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك﴾ أكثر الصحابة والعلماء على أن للابنتين، والثلاث: الثلثين.

وقال ابن عباس: للابنتين النصف، وإنما الثلثان للثلاث وما زاد؛ تمسكا بظاهر الآية. والأول أصح.

---

(١) رواه ابن جرير (٤/١٨٤) من حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعاً بنحوه.

(٢) الأنعام: ١٥١.

(٣) رواه أبو داود (٣/١٢١ رقم ٢٨٩٢)، والترمذى (٤/٣٠٦١ رقم ٢٠٩٢) وقال: حديث صحيح، وابن ماجه (٢/٩٠٨ - ٩٠٩ رقم ٢٧٢٠)، وأحمد (٣/٣٥٢)، والدارقطنى (٤/٧٨-٧٩)، والحاكم (٤/٣٣٣ - ٣٣٤) وصححه، جميعهم من حديث جابر به.

وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ وَلَكُمْ

ومعنى قوله: ﴿ فإن كن نساء فوق اثنتين ﴾ يعنى: كن نساء اثنتين فما فوقهما، وهذا كقوله: ﴿ فاضربوا فوق الأعناق ﴾[1] أى: فاضربوا الأعناق فما فوقها، وقيل: «فوق» فيه صلة، وتقديره: فإن كن نساء اثنتين، واسم الجمع ينطلق على الاثنين؛ لأن الجمع عبارة عن جمع الشيء، ويستوى فيه الاثنان والثلاث، ولأنا أجمعنا على أن الأختين ترثان الثلثين، وهما ابنتا أب الميت، فالابنتان لأَنْ يرثا الثلثين أولى، وهما ابنتاه للصلب.

﴿ وإن كانت واحدة فلها النصف ﴾ وفيه إجماع ﴿ ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك وإن كان له ولد ﴾ يعنى: للميت، ﴿ فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث ﴾ وهذا لاخلاف فيه.

﴿ فإن كان له إخوة فلأمه السدس ﴾ أكثر الصحابة والعلماء على أن الأخوين والثلاثة يردون الأم من الثلث إلى السدس.

وقال ابن عباس: الثلاثة يردون، فأما الأخوان فلايردان؛ لأنه ذكر بلفظ الجمع وأقله ثلاثة.

وقد بينا أن اسم الجمع ينطلق على اثنين والثلاثة.

وقرأ حمزة والكسائى: «فلإمه السدس» بكسر الهمزة، وهو لغة فى الأم، والمعروف بالضم[2] ﴿ من بعد وصية يوصى بها أو دين ﴾ يقرأ بقرآتين «يوصِى» بكسر الصاد على معنى: يوصيها الموصى، ويقرأ: يوصَى» بفتح الصاد، على مالم يسم فاعله[3].

(١) الأنفال: ١٢.

(٢) انظر النشر (٢/٢٤٨).

(٣) قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر: بفتح الصاد، وقرأ الباقون بكسرها. انظر المصدر السابق.

نصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا

---

وعن على – رضى الله عنه – أنه قال: إنكم تقرءون الوصية قبل الدين، والدين قبل الوصية، يعنى: فى القضاء، ثم اختلفوا، منهم من قال: «أو» بمعنى «الواو» والمراد الجمع بينهما، وبيان أن الإرث مؤخر عنهما جميعا، ومنهم من قال «أو» على حقيقته، ومعناه: من بعد وصية، إن كانت وصية، أو دين إن كان دين، فالإرث مؤخر عن كل واحد منهما؛ من ذلك عرف تأخيره عنهما إذا اجتمعا بطريق الأولى.

وقوله: ﴿آباؤكم وأبناؤكم﴾ يعنى: الذين يرثونكم آباؤكم وأبناؤكم ﴿لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا﴾ أى: لاتعلمون أيهم أنفع لكم فى الدين والدنيا.

فمنهم من يظن أن الآباء تنفع فتكون الأبناء أنفع، ومنهم من يظن أن الأبناء أنفع، فتكون الأباء أنفع، وأنتم لاتعلمون، وأنا أعلم بمن هو أنفع لكم؛ وقد دبرت أمركم على ما فيه الحكمة والمصلحة، فخذوه، واتبعوه. وفى الأخبار «أن فى الجنة يكون الأب على الدرجة العالية، والابن فى الدرجة السافلة؛ فيسأل الأبن الله تعالى فيرفعه إلى درجة أبيه. ويكون الابن على الدرجة العالية، والأب فى الدرجة السافلة، فيسأل الأب الله – تعالى – فيرفعه إلى درجة الابن»(١) فهذا معنى الآية لاتدرون أيهم أنفع لكم فى الآخرة، وأرفع درجة، فتصلون إلى درجته.

﴿فريضة من الله﴾ يعنى: ما قدر من المواريث ﴿إن الله كان عليما﴾ بأمر العباد ﴿حكيما﴾ بنصب الأحكام.

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير (١١/ ٢٤٠-٢٤١ رقم ١٢٢٤٨)، وفى الصغير (١/ ٣٨٢ رقم ٦٤٠) من حديث ابن عباس مرفوعًا ولفظه: «إذا دخل بالرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده، فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك، فيقول: يارب، قد عملت لى ولهم، فيؤمر بإلحاقهم به ... الحديث.

وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١١٧): وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان وهو ضعيف.

ورواه ابن جرير (٤/ ١٩٠)، وابن المنذر وابن أبي حاتم – كما فى الدر (٢/ ١٤٠) – عن ابن عباس موقوفا مختصراً.

تَرَكْتُم مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ

قوله تعالى: ﴿ ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ﴾ هذا فى ميراث الأزواج، وفيه إجماع ﴿ ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين ﴾ وهذا فى ميراث الزوجات، ولاخلاف فيه.

قوله تعالى: ﴿ وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة ﴾ يعنى: أو امرأة تورث كلالة، قال بعض العلماء: الكَلاَلَة لايُعْلَمُ معناها، وعن عمر – رضى الله عنه – قال: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يبين لنا ثلاثة: الكلالة، والخلافة، والربا.

والصحيح أنها معلومة المعنى، ثم اختلفوا، قال ابن عباس فى رواية – وهى إحدى الروايتين عن عمر –: إن الكَلاَلَة اسم لميت لا ولد له، وورث الإخوة مع الأب.

وقال الحكم بن عتيبة: والكلالة: اسم لميت لا ولد له، وورث الإخوة مع الوالد، وهما قولان فى شواذ الخلاف، والصحيح فيه قولان:

أحدهما – قول لأهل المدينة والكوفة – أن الكلالة اسم لورثة ليس فيهم ولد ولا والد؛ مأخوذ من الإكليل، وهو الذى على جانبى الوجه، فالكلالة اسم لمن يحيط بجانبى الميت من الإخوة والأخوات، والأعمام، ونحوهم، ولم يكن أعلى ولا أسفل.

واستدلوا عليه بحديث جابر «كان مريضا؛ فدخل عليه رسول الله ﷺ يعوده، فقال: إنما يرثنى كلالة». (١) ولم يكن فى ورثته ولد ولا والد، وجعل الكلالة اسما للوارث، ويشهد لهذا ما قرئ فى الشواذ: «وإن كان رجل يورَّث كلالة» مشدداً بكسر الراء.

(١) متفق عليه، رواه البخارى (١٢/ ٢٦ رقم ٦٧٤٣ وأطرافه فى ١٩٤، ٤٥٧٧، ٥٦٥١، ٥٦٦٤، ٥٦٧٦، ٦٧٢٣، ٧٣٠٩)، ومسلم (١١/ ٧٨-٨١ رقم ١٦١٦).

غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ

---

وقال البصريون: وهو قول أبى بكر، وعلى، وابن مسعود، وزيد، وفى أصح الروايتين عن ابن عباس: أن الكلالة: اسم للميت الذى ليس له ولد ولا والد، وهو ظاهر الآية، وتشهد له القراءة الأخرى فى الشواذ: «وإن كان رجل يورَّث كلالة» مشدداً بفتح الراء. قال الشاعر:

**وإن أَبَا المرء أَحمى له[1]  ومولى الكلالة لايغضب**

فجعل الكلالة اسما للميت.

وفيه قول آخر: أن الكلالة اسم للتركة، قاله عطاء. وقوله: ﴿وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس﴾ أجمعوا على أن المراد بالأخ والأخت ها هنا أولاد الأم، وفرض لكل واحد منهم السدس ذكرا كان أو أنثى.

﴿فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث﴾ وفيه إجماع، أن فرضهم الثلث إذا تعددوا، وإن كثروا ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار﴾ يعنى: الموصى لايضر بالورثة بمجاوزة الثلث، ونحوه ﴿وصية من الله﴾ أى: فريضة من الله ﴿والله عليم حليم﴾ ﴿تلك حدود الله﴾ يعنى: ما ذكر من الفروض المحدودة، ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾ ذكر ثواب من أطاعه، ولم يجاوز حدوده ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾ ذكر عقاب من عصاه، وجاوز حدوده.

قوله - تعالى -: ﴿واللاتى يأتين الفاحشة من نساءكم﴾ اللاتى، والتى،

---

(١) وقع هذا الشطر من البيت فى الأصل كما يأتى:

وإن أبى المراء حمى له

وما أثبتناه من لسان العرب (مادة: كلل). وفسره بقوله: أراد أن أبا المرء أغضب له إذا ظلم، وموالى الكلالة وهم: الإخوة، والأعمام، وبنو الأعمام وسائر القرابات لايغضبون للمرء غَضَبَ الأب.

حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ

واللواتى: اسم لجماعة النساء، قال الشاعر:

**هن اللواتى والتى واللاتى زعمن أنى قد كبرت لِداتى**

ومثله: اللائى أيضًا، قال الشاعر:

**من اللائى لم يحججن تبغين حسبة ولكـن ليقتـلن البـرىء المغفـــلا**

وقوله: ﴿يأتين الفاحشة﴾ أراد بالفاحشة هاهنا الزنا: ﴿فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾ هو خطاب للحكام، يعنى: فاطلبوا عليهن أربعة من الشهود، وهذه الآية هى الحجة على أن شهود الزنا أربعة ﴿فإن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا﴾ وكان هذا هو الحكم فى ابتداء الإسلام، وأن المرأة إذا زنت حبست فى البيت إلى أن تموت. ثم نسخ ذلك فى حق البكر بالجلد و التغريب، وفى حق الثيب بالجلد والرجم، وهو بيان السبيل المذكور فى الآية، والحجة عليه: حديث عبادة: «خذوا عنى خذوا عنى، قد جعل الله لهن سبيلا: البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة»(١).

ثم نسخ الجلد فى حق الثيب، واستقر أمرها على الرجم.

وقال بعض العلماء: الجلد مع الرجم باق على الحكم، والأول أصح.

وقال أبو حنيفة وأصحابه: التغريب أيضا منسوخ فى حق البكر، والخلاف مذكور فى الفقه.

واختلفوا فى أن ذلك الإمساك فى البيت كان على سبيل الحدّ أَمْ كان حبسا؛ ليظهر الحد؟ على قولين: أحدهما: أنه كان حدا، والثانى: أنه كان حبسا ليظهر الحد.

(١) رواه مسلم فى صحيحه (١١/ ٢٧٠ - ٢٧٣ رقم ١٦٩٠)، وأبو داود (٤/ ١١٤ رقم ٤٤١٥، ٤٤١٦)، والترمذى (٤/ ٣٢ رقم ١٤٣٤)، وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٣٢٠ رقم ١١٠٩٣)، وابن ماجه (٢/ ٨٥٢ رقم ٢٥٥٠) جميعهم عن عبادة مرفوعًا.

لَهُنَّ سَبِيلاً ﴿١٥﴾ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ

---

قوله تعالى: ﴿واللذان يأتيانها منكم فآذوهما﴾ اختلفوا فى المراد من الآيتين، قال مجاهد: الآية الأولى فى النساء، وهذه الآية فى الرجال إذا زنوا.

وقال غيره: الأولى فى الثيب، وهذه الآية فى الأبكار.

وفيه قول ثالث: أن الآية الأولى فى المرأة إذا أتت المرأة سحَقًا، والآية الثانية فى الرجل إذا أتى الرجل.

وقد قال ﷺ: «إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان، وإذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان»(١).

والمراد بالإيذاء فى هذه الآية: هو السب باللسان، وإسماع المكروه، والتعيير، والضرب بالنعال.

فإن قيل: ذكر الحبس فى الآية الأولى، والإيذاء فى الآية الثانية، فكيف وجه الجمع؟ قيل: أما على قول من قال: إن الآية الأولى فى صنف، والآية الثانية فى صنف آخر، يستقيم الكلام.

وقال بعضهم: أراد به: الجمع بين الإيذاء والحبس فى حق الزانى فيؤذى أولا، ثم

---

(١) الحديث شطره الأول: «إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان». رواه الآجرى فى ذم اللواط (٥١)، والبيهقى فى سننه (٨/٢٣٣) من حديث أبى موسى مرفوعًا، وقال البيهقى: هو منكر بهذا الإسناد.

وقال الحافظ فى التلخيص (٤/١٠٣): رواه البيهقى من حديث أبى موسى، وفيه محمد بن عبد الرحمن القشيرى، كذبه أبو حاتم. ورواه أبو الفتح الأزدى فى الضعفاء، والطبرانى من وجه آخر عن أبى موسى، وفيه بشر بن الفضل البجلى، وهو مجهول، وقد أخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده عنه.

وشطره الثانى جاء بلفظ: «سحاق النساء زنا بينهن» رواه أبو يعلى (١٣/٤٧٦رقم ٧٤٩١)، والطبرانى فى الكبير (٢٢/٦٣ رقم ١٥٣)، والآجرى فى ذم اللواط (ص٥٤)، وابن عدى فى الكامل (٥/١٧٤)، والخطيب فى التاريخ (٩/٢٩ - ٣٠) جميعهم من حديث واثلة، وزاد الخطيب أنسًا مع واثلة.

يحبس، والآية الثانية وإن كانت فى التلاوة متأخرة، فهى فى المعنى متقدمة، كأنه قال: واللذان يأتيان الفاحشة منكم فآذوهما وأمسكوهما فى البيت ﴿فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما﴾ أى: أعرضوا عن الإيذاء ﴿إن الله كان توابا رحيما﴾.

قوله - تعالى -: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة﴾ قال قتادة: أجمع أصحاب رسول الله ﷺ على أن من عصى الله فهو جاهل، وقيل: أراد به: الجهّال بكنه عقوبة الله، وقيل: الجهالة فى المعصية: أنه اختار اللذة الفانية على اللذة الباقية.

﴿ثم يتوبون من قريب﴾ يعنى: قبل الموت، قال الضحاك: كل ما بينك وبين الموت فهو قريب، وقيل: أراد به: التوبة قبل أن يعاين ملك الموت، وقيل: أراد به: ثم يتوبون قبل أن يغرغروا.

وفى الخبر: أن النبى قال: «من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه، ثم قال: إن السنة (لكثيرة)[1]، ثم قال: من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه، ثم قال: إن الشهر لكثير، ثم قال: من تاب قبل موته بجمعة، تاب الله عليه، ثم قال: إن الجمعة (لكثيرة)[1]، ثم قال: من تاب قبل موته بيوم، تاب الله عليه، ثم قال: إن اليوم لكثير، (من تاب قبل موته بنصف يوم تاب الله عليه، ثم قال: إن نصف اليوم لكثير)[2] من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه، ثم قال: إن الساعة لكثيرة[1]، من تاب قبل أن يغرغر تاب الله عليه».[3] رواه عبادة بن الصامت، فهذا معنى قوله: ﴿ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيماً﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات﴾ قيل: أراد

---

(١) فى «ك»: لكثير.

(٢) ليس فى «ك».

(٣) رواه الطبرى (٤/٢٠٥) باختصار من حديث عبادة بن الصامت. وبنحوه رواه أحمد فى مسنده (٢/٢٠٦)، والطيالسى (ص٣٠١ رقم ٢٢٨٤)، والطبرى فى تفسيره (٤/٢٠٦)، والحاكم (٤/٢٥٨-٢٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٢٠٠): رواه أحمد، وفيه راوٍ لم يسم، وبقية رجاله ثقات. ورواه أحمد فى مسنده (٣/٤٢٥)، والحاكم (٤/٢٥٧-٢٥٨) عن نفر من الصحابة بنحوه مطولا. وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٢٠٠): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن، وهو ثقة.

اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ

بالسيئات: الشرك، وقال ابن عباس: هو النفاق، وقيل: كل المعاصى.

﴿ حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ﴾ يعنى: حالة الموت، يتوب حين يساق، ووجه ذلك: مثل توبة فرعون حين أدركه الغرق، قال: آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل، يقول الله - تعالى -: ليس لهؤلاء توبة.

﴿ ولا الذين يموتون وهم كفار ﴾ يعنى: ولا الذين يموتون كفارا لهم توبة ﴿ أولئك أعتدنا لهم ﴾ أى: أعددنا لهم ﴿ عذابا أليمًا ﴾.

﴿ يا أيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ﴾ نزلت الآية فى الأنصار، كان الرجل منهم إذا مات أبوه؛ ورث امرأة أبيه، ثم إن شاء أمسكها لنفسه زوجة، وإن شاء زوجها من غيره، وأخذ صداقها، وإن شاء عضلها عن الأزواج، حتى تضجر [فتفدى][1] نفسها بمال، حتى مات أبو قيس بن الأسلت الأنصارى عن امرأته كبيشة بنت معن الأنصارى، فجاء [ابنه][2] حصن وورث المرأة؛ فجاءت المرأة تشكو إلى النبى ﷺ فنزل قوله - تعالى -: ﴿ لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ﴾ ويقرأ: «كُرْها»[3] بضم الكاف، فالكَرَه بالفتح: الإكراه، والكُرْه بالضم المشقة. ﴿ ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ﴾ أى: تمنعوهن من الأزواج حتى يضجرن؛ فيفتدين ببعض مالهن، فيكون خطابا لأولياء الميت.

والصحيح أنه خطاب للأزواج، يعنى: إذا لم تكن الزوجة بموافقة، فلا تمسكها

(١) ليست فى «الأصل» ولا «ك».

(٢) فى «الأصل»: أبوه، وفى «ك»: أبو، وكلاهما خطأ، والصواب: ابنه، واسمه حصن، له ترجمة فى الإصابة (١/٣٣٥)، وذكر الحافظ أن الثعلبى ذكره فى تفسيره بنحو ما هنا، وكذا الواقدى، لكن بلا إسناد، وصوب أن اسمه قيس بن أبى قيس بن الأسلت، وترجم له فى الإصابة (٣/٢٥١ - ٢٥٢).

(٣) قرأ حمزة، والكسائى، وخلف بضم الكاف، وقرأ الباقون بفتحها. انظر النشر (٢/٢٤٨).

ضرارا؛ لتفتدى ببعض مالها ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ قال ابن عباس: هو النشوز، وقيل: هو الزنا، يعنى: إذا نشزت أو زنت، فحينئذ يحل أن يفاديها، ويأخذ مالها، وكان فى ابتداء الإسلام إذا زنت المرأة أخذ الزوج جميع صداقها منها ثم نسخ ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ أى: الإجمال فى المبيت، والقول، والنفقة ﴿فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾ أراد بالزوج هاهنا: الزوجة، وهو اسم للرجل والمرأة ﴿وآتيتم إحداهن قنطارا﴾ يعنى: من الصداق، ﴿فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا﴾ أى: ظلما ﴿وإثما مبينا﴾.

﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾ أى: وصل بعضكم إلى بعض بالدخول، وحكى عن الزجاج: أنه الخلوة، والأول أصح.

﴿وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾ هو قول الولى: زوجتكها على أن تمسكها بمعروف، أو تسرحها بإحسان، وقيل: هو معنى ما روى: «اتقوا الله فى النساء؛ فإنهن عندكم عوان، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله»(١) فهذا هو الميثاق الغليظ.

قوله - تعالى -: ﴿ولاتنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء﴾ كان أهل الجاهلية ينكحون أزواج آبائهم؛ فورد الشرع بالنهى عنه ﴿إلا ما قد سلف﴾ يعنى: بعدما سلف، وقال المبّرد: ومعناه: لكن ما سلف فى الجاهلية؛ فهو مغفور.

﴿إنه كان فاحشةً ومقتًا﴾ قيل «كان»: فيه صلة، وتقديره: إنه فاحشة، وهذا كما

(١) رواه مسلم فى صحيحه (٨/ ٢٥٢ رقم ١٢١٨)، وأبو داود (٢/ ١٨٢ - ١٨٧ رقم ١٩٠٥، ١٩٠٩)، وابن ماجة (٢/ ١٠٢٢ رقم ٣٠٧٤) من حديث جابر فى حجة الوداع.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ

يقول الشاعر:

**فكيف إذا رأيت ديار قومى[1] وجيرانٍ لنا كانوا كرامِ**

وقيل: «كان» فى موضعه، ومعناه: أنه كان فى الجاهلية يعدونه فاحشة ومقتا، وكانوا يسمون ولد امرأة الأب: مقيتا، والفاحشة: أقبح معصية، وأما المقت: قال أبو عبيدة هو المبغضة من الله، وقال ابن عباس: أراد به المقت من الملائكة ﴿وساء سبيلا﴾ أى: بئس المسلك.

قوله - تعالى -: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ قال ابن عباس: حرم الله - تعالى - سبعا بالنسب، وسبعا بالمهر، وقال الفقهاء: سبعًا بالنسب، وسبعًا بالسبب.

أما السبع بالنسب: منهن الأمهات: وهى كل امرأة تنسب إليها بالولادة، سواء قربت أو بعدت، سواء كان بينك وبينها ذكر أو أنثى، أو لم يكن أحد، فالكل حرام.

قال: ﴿وبناتكم﴾ ومنها البنات: وهى كل امرأة تنسب إليكم بالولادة، سواء قربت أو سفلت، سواء كان بينك وبينها ذكر أو أنثى، أو لم يكن أحد، فالكل حرام.

قال ﴿وأخواتكم﴾ ومنها الأخوات: وهى كل امرأة تنسب إلى من تنسب إليه بالولادة، فالكل حرام. قال: ﴿وعماتكم﴾ ومنها العمات، والعمة: أخت كل ذكر تنسب إليه بالولادة، فالكل حرام، قرب أم بعد، قال: ﴿وخالاتكم﴾ ومنها الخالات، والخالة: أخت كل امرأة تنسب إليها بالولادة، قربت أم بعدت.

---

(١) وقع هذا الشطر من البيت فى لسان العرب (مادة: كون) كما يأتى.

فكيف إذا مررت بدار قومٍ

وفى (مادة: كنن):

فكيف ولو مررت بدارِ قومٍ

أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا

قال: ﴿ وبنات الأخ وبنات الأخت ﴾ ومنها بنات الأخ وبنات الأخت: وهى بنت كل من تنسب إلى من تنسب إليه، فهذه السبعة بالنسب.

وأما السبع بالسبب: فإحداهن مذكورة قبل هذه الآية فى قوله: ﴿ ولاتنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ﴾، والثانية فى قوله: ﴿ وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم ﴾، والثالثة: ﴿ وأخواتكم من الرضاعة ﴾، ولا خلاف أن الأم والأخت من الرضاعة حرام على الرجل نكاحها، فأما ما عدا الأمهات والأخوات من الرضاعة حرام أيضا عند أكثر العلماء؛ لقوله ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»(١).

قال داود، وأهل الظاهر: لايحرم ما عدا الأمهات والأخوات بالرضاع؛ تمسكا بظاهر القرآن.

قال ﴿ وأمهات نسائكم ﴾ الرابعة: أم الزوجة، تحرم على الإطلاق بنفس العقد على قول الأكثرين، وحكى خلاس عن على - رضى الله عنه - أنه قال: «لاتحرم أم الزوجة إلا بعد الدخول بالزوجة لقوله - تعالى -: ﴿ وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ﴾ قال: فقوله: ﴿ من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ﴾ ينصرف إليهما جميعًا. والأول أصح.

قال ابن عباس: أبهموا ما أبهمه الله، أى: أطلقوا ما أطلقه الله؛ ولأن قوله: ﴿ وأمهات نسائكم ﴾ مستقل بنفسه، معتد بحكمه، فيستغنى عن الإظهار؛ ولأن قوله: وأمهات نسائكم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن على هذا التقدير يكون عيًّا فى الكلام، فلا يليق بكلام الله - تعالى - الذى هو أفصح أنواع الكلام.

قال: ﴿ وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ﴾.

(١) متفق عليه من حديث عائشة. رواه البخارى (٩/ ٤٣ رقم ٥٠٩٩)، ومسلم (١٠/ ٢٨ - ٢٩ رقم ١٤٤٢).

أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا

الخامسة: الربيبة؛ وهى ابنة الزوجة، وسميت ربيبة؛ لأن الزوج يربها فى حجره على الأغلب، فهى حرام بعد الدخول بالزوجة، وسواء كانت فى حجره، أو فى حجر غيره.

وقال داود: يختص التحريم بالتى فى حجره؛ لقوله: ﴿وربائبكم اللاتى فى حجوركم﴾. وهذا لايصح؛ لأن الكلام خرج على الأغلب.

﴿فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم﴾ يعنى: فى نكاحهن.

وقال: ﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾ السادسة: حليلة الابن، وهى حرام، وسميت حليلة؛ لأنها مع الابن يحلاّن فراشاً واحداً، وقيل: لأنها تحل إزار الابن، والابن يحل إزارها، وقيل: سميت حليلة؛ لأنها تحل له.

وقوله ﴿الذين من أصلابكم﴾ إنما قيد بالصلب، وإن كان حليلة ولد الولد حراما؛ ليبين أن حليلة ولد التبنى حلال. وقد تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش امرأة زيد بن حارثة، وكان قد تبنى زيدا، حتى قال عبد الله بن أبى بن سلول: انظروا إلى هذا الرجل، كيف وثب على امرأة ابنه وتزوجها: فقال الله تعالى: ﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾ بذلك السبب.

﴿وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف﴾ السابعة: الجمع بين الأختين بالنكاح، وكذلك بالوطء فى ملك اليمين، وقال أهل الظاهر: لايحرم الجمع بينهما فى النكاح؛ لأن الآية فى التحريم بالنكاح، قال عثمان: حرمتها آية وأحلتها آية(١) ﴿إلا ما قد التحريم هذه؛ وآية التحليل قوله: ﴿إلا ما ملكت أيمانكم﴾ أى: بعدما سلف وقد [بينا لك](٢) ﴿إن الله كان غفوراً رحيماً﴾.

قوله تعالى: ﴿والمحصنات من النساء﴾ أراد به: ذوات الأزواج ﴿إلا أيمانكم﴾ اختلفوا فيه، فقال على، وابن عباس: أراد به: إلا ما ملكت أ

(١) النساء: ٢٤.

(٢) فى «الأصل وك»: بيناك.

وَسَاءَ سَبِيلاً ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ

سبايا أوطاس، وفيه نزلت الآية، قال أبو سعيد الخدرى: «لما سبا رسول الله ﷺ سبايا أوطاس، هرب الرجال؛ فتحرج المسلمون من وطء النساء بمكان الأزواج؛ فنزلت الآية، وأذن رسول الله ﷺ فى وطئهن»(١).

وقال ابن مسعود، وأبى بن كعب: إن قوله: ﴿إلا ما ملكت أيمانكم﴾ هو أن يبيع الجارية المزوجة، فتقع الفرقة بينها وبين زوجها، ويحل للمشترى وطأها، ويكون بيعها طلاقا لها.

وقيل: معنى الآية ﴿والمحصنات من النساء﴾ يعنى: ذوات الأزواج يحرم الاستمتاع بهن، ﴿إلا ما ملكت أيمانكم﴾ من مهرهن، فيحل الاستمتاع به، فكأنه حرم الاستمتاع ببضعهن وأباح الاستمتاع بمهرهن.

﴿كتاب الله عليكم﴾ أى: فرض الله عليكم، ويقرأ: «كتب الله عليكم» أى: ن الله عليكم ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾ يعنى: أَحل الله لكم، ويقرأ: «أحل » - بضم الألف - على نظم قوله: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾(٢).

أن تبتغوا بأموالكم﴾ قيل: الإحلال: بالابتغاء بالأموال، وفيه دليل على أن لال البضع لايخلو عن عِوَض ﴿محصنين﴾ أى: متزوجين متعففين ﴿غير ن﴾ غير زانين، مأخوذ من سفح الماء، وهو الصب، ومنه قول امرئ القيس:

شفائى عَبْرةٌ إن سفحتها(٣)
فهل عندَ رسمٍ دارسٍ من مُعَوِّل

لم (١١/٥١ - ٥٤ رقم ١٤٥٦)، وأبو داود (٢/٢٤٧ رقم ٢١٥٥) والترمذى (٣/٤٣٨ رقم: ال: حسن، والنسائى (٦/١١٠ رقم ٣٣٣٣)، وأحمد (٣/٧٢، ٨٤) والطبرى (٥/٢).

ر، وحمزة، والكسائى، وخلف، وحفص: بضم الهمزة وكسر الحاء، وقرأ الباقون بفتحهما. وانظر ٢).

ر من البيت فى لسان العرب (مادة: عول، هلل) كما يأتى:

وإن شفائى عبرة مهراقة

أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ

أى: صببتها ﴿فما استمتعتم به منهن﴾ قيل: أراد به: فما استمتعتم به بالنكاح منهن، ﴿فآتوهن أجورهن فريضة﴾ أى: مهورهن، وقال ابن عباس: هو المتعة المعروفة.

وكانت المتعة حلالاً فى ابتداء الإسلام، وصورتها: أن يقول الرجل للمرأة: أجرتك - أو عقدت عليك - لأستمتع بك عشرة أيام بكذا، وكان هذا حلالا، ثم نسخ، وكان ابن عباس يفتى بإباحتها، والصحيح أنه منسوخ.

وروى على، والربيع عن سبرة، عن النبى ﷺ: «أنه نهى عن نكاح المتعة»(١)

وقال على لابن عباس: إنك رجل تائه نهى رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة. وقيل: إن ابن عباس رجع عن إباحة المتعة، وتاب. وقال بعض السلف: لولا أن عمر نهى عن المتعة؛ مازنى أحد فى العالم.

﴿ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة﴾ فمن حمل ما قبله على المتعة، قال: المراد بهذا: أن يزيد الرجل فى المهر، وتزيد المرأة فى الأجل، ومن حمل ذلك على الاستمتاع بالنكاح؛ فالمراد بقوله: ﴿ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به﴾ يعنى: من الإبراء، والاعتياض عن المهر ﴿إن الله كان عليمًا حكيمًا﴾.

قوله تعالى: ﴿و من لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات﴾ قال مجاهد: الطَوْل: السعة، والغنى.

وأصل الطَوْل الفضل، ومنه الطول؛ لفضل القامة، ويقال: لاطائل تحته؛ أى: لامعنى تحته.

(١) حديث على: متفق عليه، رواه البخارى فى صحيحه (٩/ ٧١ رقم ٥١١٥)، ومسلم (٩/ ٢٦٩ - ٢٧١ رقم ١٤٠٧).
وحديث سبرة الجهنى، رواه مسلم (٩/ ٢٦٢ - ٢٦٩ رقم ١٤٠٦)، وأبو داود (٢/ ٢٢٦ - ٢٢٧ رقم ٢٠٧٢، ٢٠٧٣)، والنسائى (٦/ ١٢٦ - ١٢٧ رقم ٣٣٦٨)، وابن ماجة (١/ ٦٣١ رقم ١٩٦٢).

فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ

ومعنى الآية: ومن لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة؛ فليتزوج بالأمة المؤمنة، وفيه دليل على أن نكاح الأمة الكتابية باطل.

قال الشعبى: نكاح الأمة مع القدرة على مهر الحرة حرام، كالميتة والدم، وقال عطاء: الطَوْل الهوى، ومعنى الآية: ومن لم يستطع من هواه أن ينكح الحرة؛ بأن كان يهوى الأمة دون الحرة، فليتزوج بالأمة؛ فعلى هذا يجوز نكاح الأمة، وإن كان قادرا على مهر الحرة، والفتى: العبد، والفتاة الجارية، فمعنى قوله - تعالى -: ﴿من فتياتكم المؤمنات﴾ أى: من جواريكم.

﴿والله أعلم بإيمانكم﴾ أى: لاتتعرضوا للباطن فى الإيمان، وخذوا بالإيمان الظاهر؛ فإن الله أعلم بإيمانكم ﴿بعضكم من بعض﴾ أى: كلكم من نفس واحدة؛ فلا تستنكفوا من نكاح الإماء، وقيل: معناه بعضكم أخوة لبعض.

﴿فانكحوهن﴾ أى: الإماء ﴿بإذن أهلهن﴾ أى: بإذن مواليهن ﴿وآتوهن أجورهن﴾ أى: مهورهن ﴿بالمعروف محصنات﴾ يعنى: عفائف بالتزويج ﴿غير مسافحات﴾ أى: غير زانيات ﴿ولا متخذات أخدان﴾ فالمسافحة: هى أن تمكن منها كل أحدٍ، قال الحسن: المسافِحَة: هى امرأة كل من أوى إليها تبعته، و ذات الخدن: هى أن تختص بصديق، والعرب كانت تحرم الأولى وتستبيح الثانية.

قوله تعالى: ﴿فإذا أُحْصِنَّ﴾ قال ابن مسعود: فإذا أسلمن. وقال ابن عباس: فإذا تزوجن، ويقرأ فإذا «أُحْصِنَّ» بضم الألف، ومعناه: زوجن[1].

﴿فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب﴾ ومعنى الآية - على قول ابن عباس، وهو الأصح -: أن الإماء إذا تزوجن وصرن ثُيِّبَا ﴿فعليهن نصف

(١) قرأ حمزة، والكسائى، وخلف، وأبو بكر: بفتح الهمزة، والصاد، وقرأ الباقون بضم الهمزة، وكسر الصاد. انظر النشر (٢/٢٤٩).

**الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ**

---

ما على المحصنات ﴾ يعنى : الحرائر ﴿ من العذاب ﴾ أى : من عذاب الحد ، وحدّ الحرائر : يكون بالجلد ؛ ويكون بالرجم ، والرجم لاينتصف ؛ فكان المراد تنصيف الجلد . وذهب بعض العلماء إلى أن الأمة البكر إذا زنت ، لاحد عليها ؛ لظاهر هذه الآية ، وهذا لايصح .

قال الزهرى : حد الأمة الثيب ثابت بهذه الآية ، وحد الأمة البكر ثابت بالسنة ، والسنة المعروفة فيه : قوله ﷺ : « إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها »(١) ﴿ ذلك لمن خشى العنت منكم ﴾ العنت : الزنا ، وقد يكون بمعنى المشقة ، كما بيّنا ﴿ وأن تصبروا ﴾ يعنى : عن نكاح الإماء ﴿ خير لكم ﴾ كيلا يخلق الولد رقيقا ﴿ والله غفور رحيم ﴾ .

قوله - تعالى - : ﴿ يريد الله ليبين لكم ﴾ يعنى : أن يبين لكم ، ومثله قول الشاعر :

**أريدُ لأَنْسَى ذِكرَهَا فكأنما ... تَمَثَّل لى ليلى بكل سبيل**

يعنى : أريد أن أنسى ذكرها .

قوله : ﴿ ليبين لكم ﴾ أى : يوضح لكم الأحكام ﴿ ويهديكم ﴾ أى : يرشدكم ﴿ سنن الذين من قبلكم ﴾ أى : طرائق الذين من قبلكم من النبيين ، والصالحين ، وقيل : من قوم موسى ، وعيسى ، الذين هدوا بالحق ؛ وذلك أنه حرم عليهم ما حرم على المسلمين من المحارم المذكورات ، وقيل : معناه : ويهديكم إلى(٢) الملة الحنيفية ، ملة إبراهيم ، ﴿ ويتوب عليكم ﴾ قال ابن عباس : بداء من الله ، ومعناه : يوفقكم للتوبة ، وقيل : يرشدكم إلى السبيل الذى يدعوكم إلى التوبة ﴿ والله عليم ﴾ بمصالح أمركم

---

( ١ ) متفق عليه من حديث أبى هريرة وزيد بن خالد ، رواه البخارى ( ١٢ / ١٦٨ رقم ٦٨٣٧ وأطرافه فى ٢١٥٣ ، ٢١٥٤ ، ٢٢٣٢ ، ٢٢٣٣ ، ٢٥٥٥ ، ٢٥٥٦ ، ٦٨٣٨ ) ، ومسلم ( ١١ / ٣٠٣ رقم ١٧٠٤ ) .

( ٢ ) من « ك » .

أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ

﴿ حكيم ﴾ فيما دبر .

قوله تعالى : ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ﴾ هو ما ذكرنا . ﴿ ويريد الذين يتبعون الشهوات ﴾ قال مجاهد : هم الزناة، وقيل : أراد به : اليهود، والنصارى، قال مقاتل بن حيان : اليهود خاصة؛ لأنهم استحلوا نكاح الأخت من الأب ﴿ أن تميلوا ميلا عظيما ﴾ الميل العظيم : هو أن يفعل فعلا لايخاف الله فيه، ولا يرقب الناس، وقيل : الميل العظيم باتباع الشهوات .

قوله - تعالى - : ﴿ يريد الله أن يخفف عنكم ﴾ أى : يسهل عليكم، وقد سهل هذا الدين؛ قال ﷺ : « بعثت بالسمحة السهلة الحنيفية »، وروى : « بالحنيفية السمحة السهلة »(١) وقال الله - تعالى - : ﴿ ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ﴾(٢) .

﴿ وخلق الإنسان ضعيفًا ﴾ قال طاوس، ومجاهد : وخلق ضعيفًا فى أمر النساء؛ لايصبر عنهن، وقال وكيع : يذهب عقله عندهن؛ فهو ضعيف، وقال الزجاج : يستميله هواه وشهوته .

قوله - تعالى - : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ قال السدى : هو القمار، والربا، ونحوه، وقال غيره : كل العقود الباطلة ﴿ إلا أن تكون تجارة ﴾ يقرأ : بالضم والفتح، وقد ذكرنا وجه القراءتين فى سورة البقرة .

﴿ عن تراض منكم ﴾ أى : بطيبة نفس منكم ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ أى : لايقتل بعضكم بعضًا، وقرأ الحسن : ﴿ ولاتقتلوا أنفسكم ﴾ - مشددا - على التكثير .

---

( ١ ) رواه أحمد ( ٥ / ٢٦٦ ) عن أبى أمامة، والخطيب فى تاريخه ( ٧ / ٢٠٩ ) عن جابر بن عبد الله مرفوعاً .

ورواه أحمد ( ٦ / ١٦ ) عن عائشة، وفيه « لتعلم يهودان فى ديننا فسحة، إنى أرسلت بحنيفية سمحة » .

وقال السخاوى فى المقاصد ( ص١٨٦ ) : وسنده حسن، وفى الباب عن أبى بن كعب، وأسعد بن عبد الله الخزاعى، وجابر، وابن عمر، وأبى هريرة وغيرهم .

( ٢ ) الأعراف : ١٥٧ .

وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ

---

وقيل: معناه: ولاتقتلوا أنفسكم بأكل المال الباطل، وقيل: أراد به: قتل الرجل نفسه على الحقيقة ﴿إن الله كان بكم رحيما﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ومن يفعل ذلك﴾ يعنى: ما سبق من الحرام ﴿عدوانا وظلما﴾ فالعدوان: مجاوزة الحد، والظلم: وضع الشيء فى غير موضعه.

﴿فسوف نصليه نارا﴾: ندخله نارا، يصلى بها ﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ أى: هيّنا، وروى عن ابن عمر أنه قال: كنا نشهد لمن ارتكب الكبائر بالنار بهذه الآيات؛ حتى نزل قوله - تعالى -: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[1] فتوقفنا.

قوله - تعالى -: ﴿إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه﴾ سئل رسول الله ﷺ فقيل له: «أى الكبائر أكبر؟ فقال: أن تدعو لله ندا وهو خلقك، قيل: ثم أى؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يأكل معك، قيل: ثم أى؟ قال: أن تزنى بحليلة جارك، ثم قرأ ﴿والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولايزنون﴾[2]»[3] وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، وكان متكئا فاستوى جالسا، وقال: وشهادة الزور، وشهادة الزور، فمازال يردده حتى قلنا: ليته سكت»[4].

وقال ابن مسعود: الكبائر: ما ذكر الله - تعالى - فى هذه السورة إلى هذه الآية: ﴿إن تجتنبوا كبائر﴾.

---

(١) النساء: ٤٨، ١١٦.

(٢) الفرقان: ٦٨.

(٣) متفق عليه من حديث ابن مسعود، فرواه البخارى (١٢/١١٦ رقم ٦٨١١ وأطرافه فى ٤٧٦١، ٦٠٠١، ٦٨٦١، ٧٥٢٠، ٧٥٣٢)، ومسلم (٢/١٠٥ - ١٠٦ رقم ١٤١).

(٤) متفق عليه من حديث أبى بكرة، فرواه البخارى (١٠/٤١٩/ رقم ٥٩٧٦ وأطرافه فى ٢٦٥٤، ٦٢٧٣، ٦٢٧٤، ٦٩١٩) ومسلم (٢/١٠٨/ رقم ١٤٣) وليس عندهما «الفرار من الزحف».

وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ

---

وعن ابن مسعود أيضا أنه قال: الكبائر أربعة: الإشراك بالله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله.

وقال ابن عباس: الكبائر سبع: الإشراك بالله، وقتل النفس بغير نفس، وقذف المحصنة، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، و الفرار من الزحف، والتعرّب بعد الهجرة، يعنى: إلى دار الحرب.

وقال ابن عمر: الكبائر تسع فذكر هذه السبع وزاد شيئين أحدهما: السحر، والثانى: الإلحاد فى الحرم بالميل والظلم.

وسئل ابن عباس، فقيل له: الكبائر سبع؟ فقال: هى إلى السبعين أقرب منها إلى السبع، وقال المغيرة بن مقسم الضبى: شتم أبى بكر، وعمر من الكبائر.

والجملة أن الكبائر: كل جريمة أَوْعَدَ الله - تعالى - عليها النار، وقال أبو صالح: الكبيرة كل ما أوجب الحد؛ غير أنه لاكبيرة مع الاستغفار، ولاصغيرة مع الإصرار.

وقوله: ﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾ قال السدى: أراد بالسيئات: الصغائر ﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾ إن شئت؛ فالمشيئة مضمرة فيه، وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الجمعة إلى الجمعة، والصلوات الخمس، كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر»(١).

وروى أبو سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يصيبه وصب، أو نصب، إلا كفر عنه خطاياه حتى الشوكة يشاكها»(٢)

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه (٣/١٤٧ - ١٤٨ رقم ٢٣٣)، والترمذى (١/٤١٨/ رقم ٢١٤)، وأحمد (٢/٣٥٩) من حديث أبى هريرة.

وقال الترمذى حسن صحيح، وفى الباب عن جابر، وأنس، وحنظلة الأسدى.

(٢) متفق عليه من حديث أبى سعيد، وأبى هريرة، رواه البخارى (١٠/١٠٧/ رقم ٥٦٤١) ومسلم (١٦/١٩٦/ رقم ٢٥٧٣).

عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ

وقيل: باجتناب الكبائر، تقع الصغائر مكفرة، ومذهب أهل السنة: أن تكفير الصغائر معلقة بالمشيئة؛ فيجوز أن يعفو الله عن الكبائر، ويأخذ بالصغائر، ويجوز أن يجتنب الرجل الكبائر، فيؤخذ بالصغائر.

﴿وندخلكم مدخلا كريما﴾ وتقرأ: «مدخلا»[1] - بفتح الميم - فالمدخل: الجنة والمُدخل - بضم الميم -: الإدخال، يعنى: إدخالاً كريمًا.

قوله - تعالى -: ﴿ولاتتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ سبب نزول الآية: ماروى عن أم سلمة، قالت: يارسول الله: إن الرجال يغزون ولا نغزوا، ولهم ضعف مالنا من الميراث، فلو كنا رجالا غزونا كما غزوا، وأخذنا من الميراث مثل ما أخذوا؛ فنزل قوله: ﴿ولاتتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ وقيل: سبب نزول الآية: أن أهل الجاهلية كانوا لايُورِّثون النساء؛ فلما نزلت الآية بتوريث النساء، وجُعل للذكر مثل حظ الأنثيين، قالت النساء: لو كنا رجالا لأخذنا من الميراث مثل ما أخذوا، وقال الرجال: كما فضلنا عليكن فى الدنيا، نفضل عليكن فى الآخرة؛ فنزلت الآية.

قال الفراء: هذا نهى تأديب وتهذيب، وقال غيره: إنه نهى تحريم ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا﴾ يعنى: من الأجر ﴿وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾ يعنى: من الأجر، ومعنى الآية: أن الرجال والنساء فى الأجر فى الآخرة سواء، وإن فُضِّلَ الرجال على النساء فى الدنيا، فالحسنة بعشر أمثالها يستوى فيها الرجل والمرأة، وقيل: معناه: للرجال نصيب مما اكتسبوا من أمر الجهاد، وللنساء نصيب مما اكتسبن من طاعة الأزواج، وحفظ الفروج، يعنى: إن كان للرجل فضل الجهاد، فللنساء فضل طاعة الأزواج، وحفظ الفروج.

(١) قرأ نافع، وأبو جعفر المدنيان: بفتح الميم، وقرأ الباقون بالضم. انظر النشر (٢/٢٤٩).

عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ

﴿ واسألوا الله من فضله ﴾ وفى هذا دليل على أن الحسد حرام، والحسد: هو أن يتمنى زوال النعمة عن صاحبه، ويتمناها لنفسه، والغبطة: هو أن يتمنى لنفسه مثل ما لصاحبه، فالحسد حرام، والغبطة لابأس بها، ثم اختلفوا فى معنى الفضل هاهنا، قال ابن عباس: واسألوا الله من فضله، أى: من رزقه.

وقال سعيد بن جبير: معناه: ﴿ واسألوا الله من فضله ﴾ أى: من عبادته، وقيل: هو سؤال التوفيق على الطاعة ﴿ إن الله كان بكل شىء عليما ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ ولكل جعلنا موالى ﴾ ولكل من الرجال والنساء جعلنا ورثة، قال مجاهد: الموالى ها هنا: بنو الأعمام، وقال الشاعر:

**مهلا بنى عمنا مهلا موالينا  لاتنشبوا بيننا ما كان مدفونا**

وقيل: هم جميع الأقارب، ومعنى الآية: ولكل جعلنا موالى يعطون ﴿ مما ترك الوالدان والأقربون ﴾ ﴿ والذين عاقدت[1] أيمانكم فآتوهم نصيبهم ﴾ عاقدت، وعقدت، وحالفت بمعنى واحد، وهو من الحلف والعهد: وهو أن يقول الرجل لصاحبه: دمى دمك، ومالى مالك، وترثنى وأرثك، وكان فى الجاهلية يورّث بالحلف، وأقر عليه فى الإسلام، وكان للحليف السدس، ثم نسخ ذلك بقوله - تعالى -: ﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض ﴾[2] وقيل: هذا فى التوريث بالتبنى، وكان ثابتا، ثم نسخ ﴿ إن الله كان على كل شىء شهيدا ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾ سبب نزول الآية: أن امرأة سعد بن الربيع جاءت إلى النبى ﷺ وقالت: «إن زوجى

(١) كذا بالأصل، و«ك» وقرأ حمزة، والكسائي، وعاصم «عقدت» بغير ألف، وقرأ الباقون بالألف. انظر النشر (٢/٢٤٩).

(٢) الأنفال: ٧٥.

عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ

لطمنى على وجهى، وهذا أثره، فقال ﷺ: اذهبى فاقتصى منه؛ فنزل قوله - تعالى -: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله﴾»[1] يعنى: بالتأديب.

قال الحسن: لما قال ﷺ لها: اذهبى فاقتصى منه؛ نزل قوله: ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾[2] أى: لاتحكم قبل أن ينزل حكم الله.

والقَوَّام والقَيِّم بمعنى واحد، والقَوَّام أبلغ: وهو القائم بالمصالح والتدبير، قال الشاعر:

**الله بينى وبين قيمها ... يفر منى وأتبع**

﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ يعنى: الرجال على النساء بالعقل، والعلم، والحلم. ﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾ يعنى: بإعطاء المهر، والنفقة.

﴿فالصالحات قانتات﴾ يعنى: مطيعات، وقيل: مصلِّيات ﴿حافظات للغيب﴾ أى: حافظات للفروج فى غيبة الأزواج ﴿بما حفظ الله﴾ يعنى: بما حفظهن الله من إيصاء[3] الأزواج بأداء حقهن من المهر والنفقة، وقيل: معناه: حافظات للغيب بحفظ الله، وقرأ أبو جعفر المدنى «بما حفظ الله» بفتح الهاء[4] يعنى: بما حفظ الله من طاعتهن وعبادتهن.

﴿واللاتى تخافون نشوزهن﴾ النشوز: هو الشقاق ﴿فعظوهن﴾ أى: بالتخويف من الله، والوعظ بالقول، ﴿واهجروهن فى المضاجع﴾ قال ابن عباس: ومعناه: ولّوهنّ ظهوركم فى المضاجع؛ وذلك بأن يوليها ظهره فى الفراش، ولا يكلمها، وقيل: معناه: أن يعتزل عنها فى فراش آخر.

(١) ذكره الواحدى فى أسباب النزول (ص١١١).

(٢) طه: ١١٤.

(٣) فى «الأصل، وك»: إيصال، آخره لام. والصواب ما أثبتناه، انظر تفسير البغوى (١/ ٤٢٢).

(٤) انظر المصدر السابق، والنشر (٢/ ٢٤٩).

لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا

﴿واضربوهن﴾ يعنى: ضربا غير مبرح، وذلك ضرب، ليس فيه جرح ولا كسر، قال عطاء: ضرب بالسواك ونحوه.

﴿فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا﴾ يعنى: بالتعلل، والتجنى، وقيل: فلا تكلفوهن محبتكم؛ فإن القلب ليس بأيديهن ﴿إن الله كان عليا كبيرا﴾ أى: متعاليا عن أن يكلف العباد ما لايطيقونه، وفى الخبر: «لو جاز أن يسجد أحد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها؛ لما له عليها من الحقوق»(١).

وروى مرفوعا: «خير النساء من إذا دخلت عليها سرتك، وإن أمرتها أطاعتك وإن غبت عنها حفظتك»(٢).

﴿وإن خفتم شقاق بينهما﴾: هو النشوز، قال أبو عبيدة: أراد به: إن تيقنتم شقاق بينهما، فالخوف بمعنى: اليقين، ومنه قول الشاعر:

**إذا مت فارمينى إلى جنب كرمة ... أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها**(٣)

أى: أتيقن.

(١) رواه الترمذى (٣/٤٦٥/ رقم ١١٥٩) وقال: حسن غريب، وابن حبان فى صحيحه - الإحسان - (٩/٤٧٠/رقم ٤١٦٢)، والبيهقى (٧/٢٩١) كلهم من حديث أبى هريرة.

ورواه الحاكم (٤/١٧١-١٧٢) بإسناد آخر، وصححه، وتعقبه الذهبى في التخليص بقوله: بل سليمان هو اليمامى، ضعفوه. وفى الباب عن غير واحد من الصحابة.

(٢) رواه النسائى (٦/٦٨/رقم ٣٢٣١)، والطيالسى (ص٣٠٦/رقم ٢٣٢٥)، وأحمد فى مسنده (٢/٢٥١)، والحاكم (٢/١٦١) وصححه على شرط مسلم، كلهم من حديث أبى هريرة وروى هذا الحديث من حديث ابن عباس، وأبى أمامة، وعبد الله بن سلام، وغيرهم، انظر تخريج الكشاف للزيلعى (١/٣١٣ - ٣١٥).

(٣) هذا البيت ملفق، فالشطر الثانى منه هو الشطر الثانى من البيت الذى يليه. وصواب الأبيات كما يأتى:

إذا مت فادفنى إلى جنب كرمة ... تروى عظامى بعد موتى عروقها

ولا تَدْفِنَنِّى بالغلاة فإننى ... أخاف إذا مامت أن لا أذوقها

انظر لسان العرب (مادة: كرم، عرق)، وتفسير القرطبى (٢/٥٤).

**فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ**

وأنكر الزجاج ذلك عليه، وقال: إذا تيقن الشقاق، فلا معنى لبعث الحكمين، بل الخوف بمعنى الظن، يعنى: إن ظننتم شقاق بينهما ﴿فابعثوا حكما من أهله﴾ يعنى من أهل الزوج، ﴿وحكما من أهلها﴾ يعنى: من أهل الزوجة. ﴿إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا﴾ وهل يجوز للحكمين التفريق؟ فللسلف فيه قولان: أحدهما: أنه يجوز التفريق، كما يجوز الجمع من غير رضا الزوج، وروى عن على: أنه بعث الحكمين، فقال الزوج: أما الفرقة فلا، فقال على: لا حتى ترضى بكتاب الله تعالى؛ فعلى هذا معنى قوله: ﴿يوفق الله بينهما﴾ يعنى: يوفق الله بين الحكمين بما فيه الصلاح من الفرقة أو الجمع، والصحيح - وعليه الفتوى -: أنه لايجوز التفريق، وهو ظاهر الآية.

قوله - تعالى -: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا﴾ روى عن معاذ أنه قال: «كنت رديف رسول الله ﷺ، فقال لى: يامعاذ. فقلت: لبيك وسعديك. فقال: أتدرى ما حق الله على العباد؟ قلت: الله ورسوله أعلم. فقال: حق الله على العباد: أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا، ثم قال: يامعاذ، قلت: لبيك وسعديك، قال: أتدرى ما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. فقال: حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن يدخلهم الجنة، ولايعذبهم»(١).

﴿وبالوالدين إحسانا﴾ أى: وأحسنوا بالوالدين إحسانا، ومن الإحسان بالوالدين: لين الجانب، وألا يرفع صوته فوق صوتهما، ولا يجبه بالرد(٢)، ويكون لهما كالعبد الذليل لسيده ﴿وبذى القربى﴾ أى: أحسنوا بذى القربى ﴿واليتامى والمساكين

(١) متفق عليه، فرواه البخارى (١٣-٣٥٩ - ٣٦٠ رقم ٧٣٧٣) وأطرافه فى ٥٩٦٧، ٦٢٦٧، ٦٥٠٠) ومسلم (١/ ٣١٥ - ٣٢٠ رقم ٣٠).

(٢) جَبَهَ الرجل يجبهه جَبْهًا. أى: رده عن حاجته، واستقبله بما يكره. انظر لسان العرب (مادة: جبه).

أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ

---

والجار ذى القربى ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الجار الذى له قرابة. والثانى: أنه الجار الذى بقرب داره، وهو الملاصق، ﴿ والجار الجنب ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الجار الغريب الأجنبى، والثانى: أنه الجار الذى يبعد داره.

وقد ورد فى حق الجار أخبار، منها: ما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ما زال جبريل يوصينى بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه»(١) وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»(٢)، وقال ﷺ لمناديه حتى نادى: «ألا إن الجيران أربعون دارا، ولم يؤمن بالله من آذى جاره»(٣).

وقالت عائشة لرسول الله ﷺ: «إن لى جارين، فإلى إيهما أهدى؟ فقال: إلى أقربهما بابا»(٤) فحق الجار القريب المسلم ثلاثة حقوق: حق القرابة، وحق الإسلام، وحق الجوار، وللجار الغريب المسلم حقان: حق الإسلام، وحق الجوار، وللجار الذمى حق واحد، وهو حق الجوار.

قوله - تعالى -: ﴿ والصاحب بالجنب ﴾ قال على، وابن مسعود: هى المرأة، وقال الحسن، ومجاهد، وقتادة، وجماعة: هو الرفيق فى السفر، ﴿ وابن السبيل ﴾ فيه

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة، فرواه البخارى (١٠/٤٥٥/ رقم ٦٠١٤)، ومسلم (١٦/٢٦٩/ رقم ٢٦٢).

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، فرواه البخارى (١٠/٤٦٠/ رقم ٦٠١٨)، ومسلم (٢/٢٣ - ٢٦/ رقم ٤٧).

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير (١٩/٧٣/ رقم ١٤٣) عن كعب بن مالك مرفوعًا بنحوه. وقال الهيثمى فى المجمع (٨/١٧٢): وفيه يوسف بن السفر، وهو متروك. ورواه أبو داود فى المراسيل (ص٢٥٧/ رقم ٣٥٠) عن الزهرى مرسلا، ورواه أبو يعلى فى مسنده (١٠/ ٣٨٥ رقم ٥٩٨٢) عن أبى هريرة مرفوعًا بنحو شطره الأول وقال الهيثمى فى المجمع (٨/١٧١): رواه أبو يعلى عن شيخه محمد بن جامع العطار، وهو ضعيف.

(٤) رواه البخارى (١٠/٤٦١/ رقم ٦٠٢٠)، وأبو داود (٤/٣٣٩/ رقم ٥١٥٥)، وأحمد فى مسنده (٦/١٧٥)، والطيالسى فى مسنده (٢١٥ رقم ١٥٢٩)

رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾

قولان: أحدهما: أنه الملازم للطريق، قاله ابن عباس، وقال غيره: هو الضيف، وقال ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم والآخر فليكرم ضيفه»(١) وقال ﷺ «الضيافة ثلاثة أيام، فما زاد فهو صدقة»(٢).

﴿وما ملكت أيمانكم﴾ يعنى: أحسنوا إلى المماليك، وآخر ما حفظ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الصلاة، وما ملكت أيمانكم»(٣) أى: الزموا الصلاة، وحق ما ملكت أيمانكم.

﴿إن الله لايحب من كان مختالا فخورا﴾ المختال: المتكبر، والفخور: الذى يفخر بنفسه تكبرا، قال الشاعر:

**وإن كنت سيدنا سُدْتَنَا وإن كنت للخَالِ فاذهب فَخَلْ**

يعنى: إن كنت للخيلاء فاذهب فخل، فإن قيل: أى معنى لهذا بعد هذه الأحكام؟ قيل: لأن الآدمى قد يُقَصِّر فى أداء الحقوق تكبرا؛ فنهى عنه، وفى الخبر: «أن رجلا كان يتبختر فى حلة له، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»(٤).

قوله - تعالى -: ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ قيل: هو عام فى كل

(١) تقدم تخريجه قبل حديثين تحت حديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره.

(٢) متفق عليه من حديث أبى شريح، فرواه البخارى (١٠/٤٦٠/رقم٦٠١٩) ومسلم (٢/٢٧/ رقم ٤٨)، و (١٢/٤٥ - ٤٧).

(٣) رواه أبو داود (٤/٣٣٩ - ٣٤٠/ رقم ٥١٥٦)، وابن ماجة (٢/٩٠١/ رقم ٦٩٨) وأحمد (١/٧٨) والبيهقى (٨/١١) كلهم من حديث على بن أبى طالب.

وروى من حديث أنس بن مالك، رواه ابن ماجة (٢/٩٠١/ رقم ٢٦٩٧) وأحمد (٣/١١٧)، وابن حبان فى صحيحه الإحسان (١٤/٥٧١/ رقم ٦٦٠٥)، والحاكم (٣/٥٧).

(٤) متفق عليه من حديث أبى هريرة، فرواه البخارى (١٠/٢٦٩/ رقم ٥٧٨٩)، ومسلم (١٤/٨٩ - ٩٠/ رقم ٢٠٨٨).

وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ

بخيل فى العالم، وقيل أراد به: اليهود والنصارى بخلوا بنعت محمد، وأمروا سفلتهم بذلك، ﴿ ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا ﴾ أى: أعددنا ﴿ للكافرين عذابا مهينا ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ قال إبراهيم النخعى: هم اليهود والنصارى، وقال غيره: هم المنافقون.

﴿ ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ﴾ أى: فبئس القرين، قال الشاعر:

**عن المرء لاتسأل وبصر قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى**

قوله – تعالى –: ﴿ وماذا عليهم ﴾ أى: وأى شىء عليهم ﴿ لو آمنوا بالله ﴾ وهو مثل ما يحاسب الرجل نفسه، فينظر فيما له، وفيما عليه؛ يقول الله – تعالى – أى: شىء عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر ﴿ وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ إن الله لايظلم مثقال ذرة ﴾ قرأ ابن مسعود: «مثقال نملة» والذرة: هى النملة الحمراء، ﴿ وإن تك حسنة يضاعفها ﴾ وقرئ: «يضعفها»(١) وهما فى المعنى سواء. ﴿ ويؤت من لدنه أجرا عظيما ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ معناه: فكيف الحال إذا جئنا من كل أمة بشهيد؟ وأراد بالشهيد من كل أمة نَبِيَّها، وشهيد هذه الأمة: نبينا ﷺ.

واختلفوا على أن شهادتهم على ماذا؟ منهم من قال: يشهدون على تبليغ الرسالة، ومنهم من قال: يشهدون على الأمة بالأعمال.

(١) قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: بتشديد العين مع حذف الألف، وقرأ الباقون بإثبات الألف، والتخفيف. انظر النشر (٢/٢٢٨).

إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا

واختلفوا فيّ أن النبى ﷺ هل يشهد على من لم يره؟ منهم من قال: إنما يشهد على من رآه، والصحيح: أنه يشهد على الكل، على من رأى، وعلى من لم ير.

وروى عن ابن مسعود: «أن النبى ﷺ قال لى: «اقرأ علىّ القرآن» فقلت: كيف أقرأ عليك القرآن، وعليك أنزل؟! فقال: أريد أن أسمعه من غيرى. قال ابن مسعود: فافتتحت سورة النساء، فلما بلغت قوله: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ غمزنى رسول الله ﷺ بيده، وقال: حسبك، فنظرت إليه، فإذا عيناه تذرفان»(١)، وفى رواية: «لما قرأت هذه الآية، قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم﴾(٢)»(٣) وفى رواية ثالثة: «هذا يارب فيمن رأيته، فكيف بمن لم أره؟»(٤) وأصل الحديث صحيح.

قوله تعالى: ﴿يومئذ﴾ يعنى: يوم القيامة ﴿يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض﴾ ويقرأ: «لو تَسَوَّى بهم الأرض»(٥) أى: تستوى، يعنى: يودون أن يصيروا ترابا، وهذا مثل قوله - تعالى -: ﴿ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا﴾(٦)، وذلك حين تحشر البهائم ثم يقول الله - تعالى - لهم: كونوا ترابا، فيكونون ترابا؛ فيود الكفار هنالك أن يصيروا مثل البهائم ترابا، وقيل: يودون أن

(١) متفق عليه، فرواه البخارى (٨/٩٨-٩٩/رقم ٤٥٨٢) ومسلم (٨/١٢٤-١٢٦/رقم ٨٠٠).

(٢) المائدة: ١١٧.

(٣) رواه الطبرى (٥/٥٩) عن ابن مسعود.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر (٢/٨٠) لابن أبى حاتم، والبغوى فى معجمه، والطبرانى بسند حسن، عن محمد ابن فضالة الأنصارى، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/٧): رجاله ثقات.

(٥) قرأ حمزة، والكسائى، وخلف بفتح التاء، وتخفيف السين، وقرأ نافع وأبو جعفر، وابن عامر بفتح التاء وتشديد السين، وقرأ الباقون بضم التاء وتخفيف السين. انظر النشر (٢/٢٤٩).

(٦) النبأ: ٤٠.

**تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً**

---

تنخرق الأرض؛ فساخوا فيها وهلكوا، وتسوى بهم الأرض، أى: عليهم الأرض.

﴿ ولايكتمون الله حديثا ﴾ فإن قيل: قد أخبر هاهنا أنهم لايكتمون الله حديثا، وذكر فى موضع آخر قولهم: ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾[1] فقد كتموا، فكيف وجه الجمع؟ قيل: قال الحسن البصرى: وهذا فى موطن وذاك فى موطن، آخر، وفى القيامة مواطن، وهذا جواب معروف أورده القتيبى فى مشكل القرآن. وقيل: معناه: يودون أن لايكتمون الله حديثا، وذلك أنهم يقولون: ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾[1] ونحو ذلك، فيختم الله على أفواههم، ويُنطِق جوارحهم؛ فيودون أنهم لم يكتموا الله حديثا فهو راجع إلى قوله: ﴿ يود الذين كفروا ﴾ وقيل: معناه: لايقدرون أن يكتموا الله حديثا.

قوله - تعالى -: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ يعنى: لاتقربوا موضع الصلاة، ﴿ وأنتم سكارى ﴾ فالأصح - وعليه أكثر المفسرين - أنه أراد به: السكر من الشراب، وهو قول ابن عباس.

وقال الضحاك[2]: أراد به: السكر من النوم.

والسكر من السَكَر فهو أشد، فالسكر يسد العقل والمعرفة، والصحيح أنه فى السكر من الشراب.

وسبب نزول الآية ما روى: أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما، واتخذ شرابا، ودعا رهطا من أصحاب رسول الله ﷺ، فأكلوا، وشربوا حتى ثملوا، فدخل وقت المغرب، فقاموا إلى الصلاة، وقدَّموا واحدا منهم، فقرأ سورة ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ وقرأ: أعبد ما تعبدون، وأنتم عابدون ما أعبد، قرأ هكذا إلى آخر السورة بطرح «لا»؛

---

(١) الأنعام: ٢٣.

(٢) فى «ك»: ابن عباس، وهو خطأ.

فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

فنزل قوله: ﴿ لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ » أى: حتى تميزوا، وتعرفوا ما تقولون.

فإن قيل: كيف خاطب السكارى، والسكران لايخاطب؟ قيل: أراد به لاتتعرضوا للسكر فى أوقات الصلاة، فكانوا يشربون بعد ذلك بعد صلاة الصبح، ويصحون عند الظهر، ويشربون بعد العشاء الآخرة، ويصحون عند الصبح.

﴿ ولاجنبا إلا عابرى سبيل ﴾ يعنى: ولاتقربوا المسجد موضع الصلاة جنبا، إلا عابرى سبيل، اختلفوا فيه: قال جماعة من التابعين - وهو قول الشافعى -: إنه أراد به عبور: الجنب فى المسجد من غير أن يجلس؛ فرخص فيه، وقال بعضهم إنه يتيمم للعبور، ثم يعبر إذا لم يكن له بد من العبور، والآية فى قوم من الأنصار كانت أبواب بيوتهم فى المسجد: فرخص لهم فى العبور بالتيمم، فهذا معنى قوله: ﴿ ولا جنبا إلا عابرى سبيل حتى تغتسلوا ﴾.

﴿ وإن كنتم مرضى ﴾ أراد به: المرضى من القروح والجروح، وفيه تفاصيل تذكر فى الفقه، ﴿ أو على سفر ﴾ وَحَدُّ السفر: مسيرة يوم وليلة، وقال أصحاب الرأى: مسيرة ثلاثة أيام ﴿ أو جاء أحد منكم من الغائط ﴾ قال الفراء: معناه: وجاء أحد منكم من الغائط؛ حتى يستقيم الكلام، و الغائط: اسم للمطمئن من الأرض؛ فلما جرت عادة العرب بإتيان الغائط للحدث؛ سمى الحدث غائطا باسم المكان.

﴿ أو لمستم النساء ﴾ ويقرأ: « أو لامستم النساء »[1] قال على، وابن عباس: أراد به الجماع، قال ابن عباس: إن الله حيى كريم، يكنى بالحسن عن القبيح؛ فكنى باللمس عن الجماع، وقال ابن مسعود، وابن عمر: هو اللمس باليد، وهو قول الشافعى، فمن قال بالأول قال: إن التيمم للجنب ثابت بنص الكتاب، ومن قال

(١) قرأ حمزة، والكسائى، وخلف بغير ألف، وقرأ الباقون بالألف. انظر النشر (٢ / ٢٥٠).

**بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ**

---

بالثانى قال: إن التيمم للمحدث ثابت بالكتاب، وللجنب ثابت بالسنة.

وقال عمر، وابن مسعود: ليس للجنب أن يتيمم أصلا، وحملوا الآية على اللمس باليد، وتمسكوا بظاهر الآية.

والأصح أن اللمس والملامسة واحد، وقال بعضهم: من قرأ: ﴿أو لامستم﴾ ففيه دليل على انتقاض طهارة اللامس والملموس جميعا. ومن قرأ ﴿أو لمستم﴾ ففيه دلالة على انتقاض طهارة اللامس فحسب.

﴿فلم تجدوا ماء فتيمموا﴾ أى: اقصدوا، وتعمدوا، والتيمم: القصد، قال الشاعر:

**تيممت قيسا وكم دونه ... من الأرض من مَهْمَهٍ ذى شَزَنْ**

﴿صعيدا﴾ قال أبو عبيدة: الصعيد: التراب، وهو قول الشافعى، وقال ابن الأعرابى: الصعيد: ما يصعد من وجه الأرض، وهو اختيار الزجاج، وقال الزجاج: لو ضرب يده على صخرة صماء حصل التيمم، وإن لم يعلق به شىء، واستدلوا بقوله: ﴿صعيدا زلقا﴾(١) وأراد به: وجه الأرض، والأول أصح؛ لأنه قال فى آية أخرى: ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾(٢) يعنى: من الصعيد؛ فدل أنه التراب حتى يكون التيمم منه وقوله: ﴿طيبا﴾ أى: طاهرا، وقال بعضهم: حلالا ﴿فامسحوا بوجهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا﴾ فالعَفُوّ المسهِّل والغفور: الساتر.

قوله - تعالى -: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب﴾ فإن قال قائل: كيف يسمى اليهود والنصارى: «أهل الكتاب»، وهو اسم مدح، وهم يستحقون الذم؟

قيل: قال ذلك لإلزام الحجة، وقيل: سماهم بذلك على زعمهم أنهم أهل الكتاب.

(١) الكهف: ٤٠. (٢) المائدة: ٥٦

أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن

﴿ يشترون الضلالة ﴾ لأنهم لما استبدلوا الضلالة بالهدى، فكأنهم اشتروا الضلالة بالهدى، وكل مشتر مستبدل.

﴿ ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ﴾ قال الزجاج: معناه: اكتفوا بالله وليا واكتفوا به نصيرا؛ لتكون «الباء» فى موضعها، وقال غيره: الباء صلة، وتقديره: وكفى الله وليا وكفى الله نصيرا.

قوله – تعالى –: ﴿ من الذين هادوا يحرفون ﴾ قيل تقديره: ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا يحرفون، وقيل معناه: من الذين هادوا فريق يحرفون ﴿ الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا ﴾ لأنهم لما سمعوا ولم يطيعوا، فكأنهم قالوا: سمعنا وعصينا.

﴿ واسمع غير مسمع ﴾ قال ابن عباس: كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: اسمع، ثم يقولون فى أنفسهم: لاسمعت، فهذا معناه، وقال الحسن: اسمع غير مسمع منك، يعنى: اسمع منا، ولا نسمع منك ﴿ وراعنا ﴾ كانوا يقولون ذلك، ويريدون به: النسبة إلى الرعونة، فذلك معنى قوله: ﴿ ليّا بألسنتهم وطعنا فى الدين ﴾؛ لأن قولهم: راعنا من المراعاة، فلما حرفوه إلى الرعونة، فذلك معنى قوله: ﴿ ليا بألسنتهم ﴾.

﴿ ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا ﴾ أى: انظر إلينا ﴿ لكان خيرا لهم وأقوم ﴾ أى: أعدل ﴿ ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ﴾ فيه قولان: أحدهما فلا يؤمنون إلا إيمانا قليلا، لايستحقون به اسم الإيمان؛ وذلك أنهم يؤمنون بالله، والآخرة، وموسى، وقيل: معناه: فلا يؤمنون إلا نفر قليل منهم، وأراد به: عبد الله بن سلام، وقوما منهم أسلموا.

﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا ﴾ يعنى: من القرآن ﴿ مصدقا لما

نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ

معكم ﴾ من التوراة والإنجيل ﴿ من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها ﴾ الطمس: المحو، ومعناه: من قبل أن نطمس الوجه، ونرده إلى القفا، وقيل: معناه: نبات الشعر عليه، حتى يصير كالقردة، وقيل: يجعل عينيه على القفا ليمشى بقهقرى، وروى: أن عبد الله بن سلام لما سمع هذه الآية، جاء إلى النبى ﷺ ويده على وجهه، فأسلم، وقال: خفت أن يطمس وجهى قبل أن أصل إليك، وكذلك كعب الأحبار لما سمع هذه الآية أسلم فى زمن عمر رضى الله عنه .

فإن قال قائل: قد أوعد اليهود بالطمس إن لم يسلموا، ولم يطمس وجوههم، فكيف ذلك؟ قيل: هذا كان فى قوم معدودين أسلموا، وذلك: عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعيد، وأوس بن سعيد، والمحيريق، وجماعة، ولو لم يسلموا لطمسوا.

وقيل: أراد به: الطمس فى القيامة، قال مجاهد: أراد بقوله ﴿ نطمس وجوها ﴾ أى: نتركهم فى الضلالة؛ فيكون المراد طمس القلب ﴿ أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت ﴾ أى: نجعلهم قردة كما جعلنا أصحاب السبت قردة ﴿ وكان أمر الله مفعولا ﴾.

قوله – تعالى – :﴿ إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ قيل: هذه أرجى آية فى القرآن، قال ابن عمر: كنا نطلق القول فيمن ارتكب الكبائر بالخلود فى النار، حتى نزلت هذه الآية، فتوقفنا ﴿ ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ﴾ أى: اختلق إثما عظيما، فإن قال قائل: قد قال الله – تعالى –: ﴿ إن الله لايغفر أن يشرك به ﴾ وقال فى موضع آخر: ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾(١) فكيف وجه الجمع؟

قيل أراد به: يغفر الذنوب جميعا سوى الشرك.

(١) الزمر: ٥٣ .

**إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا**

---

وفى الخبر: «أنه ﷺ لما قرأ قوله – تعالى –: ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾[1] فقال رجل: والشرك يارسول الله؟ فنزل قوله – تعالى –: ﴿إن الله لايغفر أن يشرك به﴾»[2].

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم﴾ نزلت الآية فى رحبى بن عمرو، ومرحب بن زيد، جاءا إلى النبى ﷺ بأطفالهما، وقالا: هل على هؤلاء ذنب؟، فقال: لا. فقالا: نحن مثلهم؛ ما فعلنا بالليل يكفر عنا بالنهار، وما فعلنا بالنهار يكفر عنا بالليل، فنزل قوله: ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم﴾.

﴿بل الله يزكى من يشاء﴾» يطهر من يشاء.

﴿ولايظلمون فتيلا﴾ أى: لايُنْقَصُ من أجورهم شىء إن أسلموا، ولا من أوزارهم إن لم يسلموا. والفتيل والقطمير والنقير: ثلاثة أسامى مذكورة فى القرآن فالفتيل: اسم لما يكون فى شق النواة، والقطمير: اسم للقشرة التى تكون على النواة، والنقير: اسم للنقطة التى تكون على ظهر النواة، هذا قول ابن عباس، وقال غيره: الفتيل من الفتل، وهو اسم لما يحصل من الوسخ بين الإصبعين عند الفتل، قال الشاعر:

**تجمع الجيش ذا الألوف وتغزو ثم لا ترزأ العدو فتيلا**

قاله النابغة، وأنشده الأزهرى.

قوله – تعالى –: ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به﴾ أى: بالكذب ﴿إثما مبينا﴾.

﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ قال عمر – رضى الله عنه –: الجبت: السحر والطاغوت: الشيطان، وبه قال الشعبى، وقال

---

(١) الزمر: ٥٣.

(٢) رواه الطبري عن ابن عمر (٥/ ٨٠)، وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ١٨٧) لابن أبي حاتم، وابن المنذر.

نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴿أَمْ لَهُمْ

قتادة: الجبت: الشيطان والطاغوت: الكاهن، وعن ابن عباس – فى رواية الكلبى عنه أنه قال: هما اسما رجلين من اليهود، فالجبت: حيى بن أخطب والطاغوت: كعب بن الأشرف، وفى رواية أخرى عن ابن عباس: أن الجبت: الساحر بلغة الحبشة فعرب، وذكر عبد الله بن وهب، عن مالك بن أنس – رحمه الله – أنه قال: الطاغوت: كل ما يعبد من دون الله، وقرأ قوله – تعالى –: ﴿واجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾(١) فقيل له: ما «الجبت»؟، فقال: سمعت أنه الكاهن.

﴿ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا﴾ هذا قول جماعة من اليهود وحضروا موسم الحج، فقال لهم المشركون: نحن أحسن طريقة أم محمد وأصحابه؟ فقالوا: أنتم. وهذا دليل على شدة معاندة اليهود؛ حيث فضلوا المشركين على المسلمين، مع علمهم أنهم لم يؤمنوا بشىء من الكتب، وأن المسلمين آمنوا بالكتب المتقدمة.

﴿أولئك الذين لعنهم الله﴾ هم اليهود ﴿ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا﴾.
قوله تعالى: ﴿أم لهم نصيب من الملك فإذا لايؤتون الناس نقيرا﴾ فالنقير: اسم تلك النقطة على ظهر النواة، ومنها تنبت النخلة، وفى الآية قولان: أحدهما: أنه: استفهام بمعنى الإنكار والنفى، يعنى: ليس لهم نصيب من الملك؛ إذ لو كان الملك لهم، فإذا لايؤتون الناس نقيرا، وقد ذكرنا نزع الملك من اليهود، والقول الثانى: إنه بمعنى الإثبات، يعنى: لهم نصيب من الملك: وأراد بالملك المال، ثم هم إذا لايؤتون الناس نقيرا، وصفهم بشدة البخل، وهذا على طريق ضرب المثل؛ إذ من اليهود من يؤتى المال.

قوله – تعالى –: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾ أى: بل يحسدون، واختلفوا فى الناس هاهنا، من المراد به؟ قال ابن عباس، والحسن،

(١) الزمر: ١٧.

نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ

ومجاهد، وجماعة: أراد به: محمدا ﷺ وحده، وقال قتادة: أراد به: العرب؛ حسدهم اليهود ببعث النبى منهم، وفيه قول ثالث: أراد به: محمداً وأصحابه، وقال أبو جعفر محمد بن على الباقر: نحن الناس؛ وذلك أنهم حسدوا، فإذا قلنا بالقول الأول: أنه محمد وحده؛ فاختلفوا فى الفضل المذكور فى الآية ما هو؟ قال بعضهم: هو النبوة حُسِدَ الرسول بها، وقال بعضهم: هو تحليل الزوجات فيما زاد على الأربع، حسده اليهود عليه؛ فقالوا: ما بال هذا الرجل همه فى النكاح، ينكح، وينكح. ﴿ فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة ﴾ أراد بآل إبراهيم: داود، وسليمان، والكتاب: هو الكتاب الذى أنزل عليهم، وأما الحكمة: قيل: هى النبوة، وقيل: هى السنة.

ومعنى الآية: أنهم إن حسدوا الرسول بما أوتى من الفضل، فليحسدوا آل إبراهيم؛ فإنهم قد أوتوا الكتاب والحكمة ﴿ وآتيناهم ملكا عظيما ﴾ اختلفوا فى الملك العظيم: فمن فسر الفضل بتحليل الزوجات، فسر الملك العظيم به أيضا، وقد كان لدواد تسع وتسعون امرأة، ولسليمان مائة امرأة، وقيل: كان لسليمان سبعمائة امرأة، وثلثمائة سرية، وقيل: أعطى- نبينا صلوات الله عليه - قوة سبعين شابا فى المباضعة(١)

وقيل: الملك العظيم: ملك سليمان، وقيل: المراد به: تأييدهم بالجنود من الملائكة.

قوله - تعالى -: ﴿ فمنهم من آمن به ﴾ يعنى: بالكتاب ﴿ ومنهم من صد عنه ﴾ أى: أعرض عنه، وقيل: معناه: فمنهم من آمن بمحمد، ومنهم من صد عنه ﴿ وكفى بجهنم سعيرا ﴾ والسعير: هى النار المسعرة.

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٤٥٠) تحت حديث أنس: «كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين» أي: في الجماع.! ووقع في رواية الإسماعيلي من طريق أبو موسى، عن معاذ بن هشام «أربعين» بدل ثلاثين، وهي شاذة من هذا الوجه، لكن في مراسيل طاووس مثل ذلك، وزاد: «في الجماع». وفي صفة الجنة لأبي نعيم، من طريق مجاهد مثله، وزاد: من رجال أهل الجنة، ومن حديث عبد الله بن عمرو، ورفعه: «أعطيت قوة أربعين في البطش والجماع»... الخ.

وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا

قوله – تعالى –: ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا﴾ أى نلقيهم فى النار، ويقال: صلى النار، إذا قرب منها، قال الشاعر يصف امرأة:

تجعل المسك واليَلَنْجُوجَ[1] والذَّ ... ـدَّ صِلاءً لها على الكانون

﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب﴾ قيل: قرئت هذه الآية عند عمر – رضى الله عنه – وكان عنده معاذ بن جبل، فقال: تبدل جلودهم فى كل ساعة سبعين مرة، قال عمر: كذا سمعت رسول الله ﷺ»[2].

وقال الحسن: فى كل يوم سبعين ألف مرة.

فإن قيل: إذا بدلت جلودهم، فكيف يعذب غير الجلد الذى كان فى الدنيا؟ قيل: إنما يعذب الشخص فى الجلد دون الجلد، وقيل: يعاد الجلد الأول فى كل مرة، إلا أنه[3] سماه جلدا غيره، ومثله جائز، تقول العرب: صغت من خاتمى خاتما غيره، وإن كان الثانى إعادة للأول، وفى الخبر: «أنَّ بُصْر جلد الكافر فى النار أربعون ذراعا – يعنى: غلظه –وضرسه مثل جبل أحد، وما بين منكبيه مسيرة ثلاثة آيام»[4].

(١) كذا في لسان العرب (مادة: خصر)، وفى «الأصل، وك»: والألوَّة.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط، كما في مجمع البحرين (٦/ ١٥ – ١٦/ رقم٣٣٠٧)، وابن عدي في الكامل (٧/ ٥٠) في ترجمة نافع السلمي مولى يوسف. كلاهما من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – وفيه: مائة مرة. وقال ابن عدي: وعامة ما يرويه غير محفوظ، والضعف على روايته بيّن. أي: نافع. وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٩): وفيه نافع مولى يوسف السلمي، وهو متروك وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ١٩٢) لابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) ليست فى «الأصل»، ولا «ك».

(٤) رواه الترمذى (٤/ ٦٠٦ رقم ٢٥٧٧)، وقال: حسن صحيح غريب. وأحمد (٢/ ٣٣٤، ٥٣٧) وابن أبى عاصم فى السنة (١/ ٢٧١ رقم ٦١٠، ٦١١)، وابن حبان فى صحيحه (١٦/ ٥٣١ رقم ٧٤٨٦) والحاكم (٤/ ٥٩٥) وقال: صحيح على شرط الشيخين، والبيهقى فى البعث (٣١٠ رقم ٦٢١) من حديث أبى هريرة بنحوه، وأعله الدارقطنى فى العلل (١٠/ ١٥٠) بالوقف وأصل الحديث عند مسلم مختصراً (١٧/ ٢٧١ رقم ٢٧٥١) و(١٧/ ٢٧٢ رقم ٢٨٥٢).

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ

وفى الأخبار: «يكون عليه مائة جلد، بين كل جلدين لون من العذاب» ﴿إن الله كان عزيزا حكيما﴾ عزيزا: غالبا. حكيما: فيما دبر، قوله: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة﴾ وقد ذكرنا معنى الجميع، ﴿وندخلهم ظلاً ظليلا﴾ وهو الكَنُّ الذى يقى من الحر والبرد.

قوله - تعالى -: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: أن المراد منه: جميع الأمانات، وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال: يجاء بالذى خان فى الأمانة يوم القيامة، فيقال له: رد الأمانة. فيقول: ذهبت الدنيا أنىّ لى الأمانة، فتمثل له الأمانة فى النار، ويقال له: خذ الأمانة وردها، فيأتى ليأخذ الأمانة؛ فيهوى فى النار، ثم يعود ليأخذ فيهوى فيها أبدا.

وفى الخبر أنه ﷺ قال: «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولاتخن من خانك»(١). وروى عن ابن عباس، عن النبى ﷺ أنه قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لاعهد له»(٢).

(١) رواه أبو داود (٣/ ٢٩٠/ رقم ٣٥٣٤، ٣٥٣٥) والترمذي (٣/ ٥٦٤/ رقم ١٢٦٤) وقال: حسن غريب، والحاكم (٢/ ٢٦٤) وصححه على شرط مسلم، والدارقطني (٣/ ٣٥/ رقم ١٤٢) كلهم من حديث أبي هريرة.
وقد روى من حديث أنس، وأُبيّ ابن كعب وغيرهم، انظر تلخيص الحبير (٣/ ٢٠٩ - ٢١٠/ رقم ١٤٥٤).
وقال ابن الجوزي في العلل (٢/ ٥٩٢): هذا الحديث من جميع طرقه لا يصح، ونقل عن أحمد أنه قال: هذا حديث باطل. وتعقبه الذهبي في تلخيص العلل (٢٠٧/ رقم ٥٨١) بتحقيقنا: بأن إسناد الترمذي جيد.

(٢) رواه أبو يعلى (٤/ ٣٤٣/ رقم ٢٤٥٨)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢١٣ رقم ١١٥٣٢) وقال الهيثمى فى المجمع (١/ ١٧٧): وفيه حسين بن قيس الملقب بحنش، وهو متروك.
وله شاهد من حديث أنس، رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١١/ ١١) وأحمد في مسنده (٣/ ٣٥، ١٥٤، ٢١٠) وأبو يعلى (٥/ ٢٤٦ - ٢٤٧/ رقم ٢٨٦٣) وابن حبان في صحيحه - الإحسان - (١/ ٤٢٢ - ٤٢٣/ رقم ١٩٤)، والبيهقي (٦/ ٢٨٨) و(٩/ ٢٣١) وغيرهم.
وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٠١): رواه أحمد وأبو يعلى، والبزار، والطبراني في الأوسط، وفيه أبو هلال، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره

أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ

---

والقول الثانى: أنه أراد به: تفويض الأمر إلى الولاة بالطاعة لهم، والقول الثالث – وهو قول عامة المفسرين –: أن المراد منه ردّ مفاتيح الكعبة.

وسبب نزول الآية ما روى: «أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة، أخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة، وفتح الباب، ودخل الكعبة، فلما خرج، قال العباس: بأبى أنت وأمى يارسول الله، اجمع لى بين السدانة والسقاية فهمّ رسول الله ﷺ أن يدفع المفتاح إليه؛ فنزل قولهتعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾، فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن طلحة، ودفع إليه المفتاح، وقال: خذوها يا بنى طلحة، خالدة تالدة، لاينزعها عنكم إلا ظالم»[1] وكان مع عثمان حياته، فلما توفى دفعه إلى أخيه شيبة، فهو فى بنى شيبة إلى قيام الساعة.

﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ أى: بالقسط ﴿إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا﴾.

قوله – تعالى –: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ اختلفوا فى أولى الأمر، قال ابن عباس، وجابر – وهو قول جماعة –: هم العلماء والفقهاء، وقال أبو هريرة: هم الولاة والسلاطين، وقيل: هم أمراء السرايا الذين بعثهم رسول الله ﷺ فى الحروب، وقد صح أنه عليه الصلاة والسلام قال: «من عصى أميرى فقد عصانى، ومن عصانى فقد عصى الله، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى، ومن أطاعنى فقد أطاع الله»[2].

---

(١) رواه الطبري في التفسير (٥ / ٩٢) عن ابن جريج، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص١١٦ – ١١٧) عن مجاهد، وعزه السيوطي في الدر (٢ / ١٩٣) لابن مردويه من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، فرواه البخاري (١٣ / ١١٩ / رقم ٧١٣٧)، ومسلم (١٢ / ٣٠٨ – ٣٠٩ / رقم ١٨٣٥).

فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ

---

وقال عكرمة: أراد به: أبا بكر وعمر.

﴿ فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ﴾ التنازع: هو التشاجر، سمى تنازعا؛ لأن كل واحد من الخصمين ينزع بحجة وآية.

وقوله: ﴿ فردوه إلى الله ﴾ يعنى: إلى الكتاب، وإلى الرسول إن كان حيا، وإلى سنته إن كان ميتا.

والرد [إلى][1] الكتاب والسنة واجب، مادام فى الحادثة شىء من الكتاب والسنة، فإن لم يكن فالسبيل فيه الاجتهاد، وروى أن مسلمة بن عبد الملك قال لرجل: إنكم أمرتم أن تطيعونا، فقال الرجل: قد نزعها الله منكم؛ حيث قال: ﴿ فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ﴾ وقد تنازعتم، فقال مسلمة: أين الله؟، فقال: الكتاب، وقال: أين الرسول؟ فقال: السنة.

وقيل: الرد إلى الله والرسول: أن يقول الرجل فيما لايدرى: الله ورسوله أعلم، وهذا قول حسن ﴿ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ أى: أحسن مآل وعاقبة.

قوله - تعالى -: ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ﴾.

فى الآية قولان: أحدهما: أنه فى جماعة من المنافقين منهم خلاس بن الصامت، كانت لهم خصومة مع جماعة من المسلمين، فقال المسلمون: نتحاكم إلى الرسول، وقال المنافقون: نتحاكم إلى الكهنة.

والقول الثانى - وهو الأصح -: «أن رجلا من اليهود خاصم رجلا من المنافقين،

(١) فى «الأصل» و«ك»: فى.

أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ

فقال اليهودى: نتحاكم إلى أبى القاسم - إذ عرف أنه لايأخذ الرشوة على الحكم - فيحكم بالحق، وقال المنافق: نتحاكم إلى كعب بن الأشرف، فتحاكما إلى النبى ﷺ فحكم لليهودى، وكان الحكم له، فقال المنافق: لا أرضى بحكمه، نتحاكم إلى أبى بكر، فتحاكما إلى أبى بكر، فحكم لليهودى بمثل ما حكم رسول الله ﷺ فقال المنافق: لا أرضى بحكمه، نتحاكم إلى عمر، فتحاكما إلى عمر، فقال عمر: هل تحاكمتما إلى أحد؟ فقال اليهودى: نعم إلى أبى القاسم، وإلى أبى بكر، وقد حكما لى، وهو لايرضى، فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما، فدخل البيت، واشتمل على السيف، ثم خرج، وضرب عنق المنافق، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: أنت الفاروق»(١).

قوله - تعالى -: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا﴾ هو ما ذكرنا، أن المنافقين دعوا إلى التحاكم إلى الرسول، فأعرضوا عنه، وتحاكموا إلى الطاغوت.

قوله - تعالى -: ﴿فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم﴾ قيل: هذا فى المنافقين الذين تحاكموا إلى الطاغوت، وقوله: ﴿أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم﴾ قيل: هو قتل عمر - رضى الله عنه - ذلك المنافق؛ فإنهم جاءوا يطلبون دمه، وقيل: هو فى جميع المنافقين، والمصيبة: كل مصيبة تصيبهم فى الدنيا والعقبى.

يقول الله - تعالى -: فكيف الحال إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ﴿ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا﴾ قيل: هو إحسان بعضهم إلى بعض، وقيل أرادوا بالإحسان: تقريب الأمر من الحق، لا القضاء على مُرِّ الحكم.

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص١٢٠) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. والبغوى فى تفسيره (١/٤٤٦) عن الشعبى قوله.

أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾

وأما التوفيق: موافقة الحق، وقيل: هو التأليف والجمع بين الخصمين. ومعنى الآية: أن المنافقين يحلفون ما أردنا بالتحاكم إلى غيرك إلا إحسانا وتوفيقا.

وفى الآية قول آخر: أنها فى المنافقين، حلفوا فى المسجد الذى بنوا ضرارا - على ما هو مذكور فى سورة التوبة - ﴿وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى﴾[1].

قوله - تعالى -: ﴿أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم﴾ خلاف ما على ألسنتهم ﴿فأعرض عنهم وعظهم﴾ فإن قال قائل: كيف يتصور الجمع بين الإعراض والوعظ وقد أمر الله تعالى بهما؟

قيل معناه: فأعرض عن عقوبتهم، وعظهم.

وقيل: معناه: فأعرض عن قبول عذرهم، وعظهم ﴿وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا﴾ القول البليغ: هو ما يُبَلِّغ الإنسان بلسانه كنه ما فى قلبه، وقيل: هو التخويف بالله - تعالى - وقيل: هو أن يقول: إن رجعتم إلى هذا، فأمركم القتل.

قوله - تعالى -: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾ قال أهل المعانى: قوله ﴿إلا ليطاع﴾ كلام كافٍ مفيد بنفسه، وقوله: ﴿بإذن الله﴾ كلام آخر ومعناه بعلم الله وقضاء الله يعنى: أن طاعته تقع بإذن الله.

﴿ولو أنهم﴾ يعنى: المنافقين ﴿إذ ظلموا أنفسهم﴾ يعنى: بالتحاكم إلى الطاغوت ﴿جاءوك فاستغفروا الله﴾ لأنهم ما جاءوا مستغفرين، وإنما جاءوا معتذرين بالأعذار الكاذبة.

قوله: ﴿فاستغفروا الله﴾ أى: سألوا مغفرة الله، ﴿واستغفر لهم الرسول﴾ أى: دعا لهم الرسول بالاستغفار ﴿لوجدوا الله توابا رحيما﴾.

(١) التوبة: ١٠٧.

فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم

---

قوله – تعالى –: ﴿ فلا وربك لايؤمنون ﴾ قوله: ﴿ فلا ﴾: رد لقول المنافقين وعذرهم، ثم ابتدأ بقوله: ﴿ وربك لايؤمنون ﴾ والمراد به: الإيمان الكامل، أى: لايكمل إيمانهم، ﴿ حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ أى: اختلف، والاشتجار: الاختلاف، ومنه الشجر لالتفاف أغصانه بعضها على بعض، قال الشاعر:

هم الحكام أرباب الندى وسراة الناس إذ الأمر شجر

أى: اختلف، ﴿ ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ﴾ أى: ضيقا، ومنه الحَرَجَة، روى أن عمر – رضى الله عنه – قال لبعض العرب: ما الحَرَجَة عندكم؟ قال: هى شجرة ملتفة، لايصل الماء إليها.

ومن ذلك قوله – تعالى –: ﴿ يجعل صدره ضيقا حرجا ﴾[1] أى: يضيق مسلكه بحيث لاتصل إليه الهداية ﴿ ويسلموا تسليما ﴾ ومعنى الآية: لايكمل إيمانهم حتى يرضوا بحكمك، وينقادوا لك، قيل: هذه أبلغ آية فى كتاب الله – تعالى – فى الوعيد.

واختلفوا فى سبب نزول الآية، قال عطاء، ومجاهد: الآية فى المنافقين الذين تحاكموا إلى الطاغوت، وقال عبد الله بن الزبير، وعروة بن الزبير، وجماعة: «الآية نزلت فى رجل من الأنصار يقال له: حاطب بن أبى بلتعة – وكان من أهل بدر – خاصم الزبير بن العوام فى ماء أرض عند النبى ﷺ، فقال – عليه الصلاة السلام – للزبير: اسق أرضك الماء ثم أرسله إلى جارك، وكانت أرض الأنصارى دون أرضه؛ فقال الأنصارى: أن كان ابن عمتك، فَتَلَوَّنَ وجه النبى ﷺ، وقال للزبير: اسق أرضك، واحبس الماء حتى يبلغ الجدر» – وفى رواية – حتى يبلغ الكعبين ثم سرحه يمر»[2]

---

(١) الأنعام: ١٢٥.

(٢) متفق عليه فرواه البخاري (٥/ ٤٢ – ٤٣/ رقم ٢٣٥٩ وأطرافه فى ٢٣٦٩، ٢٦٧٢، ٢٧١٢، ٧٤٤٦)، ومسلم (١٥/ ١٥٧/ رقم ٥٤١٦)، وليس فيهما ولا في السنن تسمية هذا الأنصاري، وإنما جاء هذا عن سعيد ابن المسيب مرسلا.

مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً ﴿٦٦﴾ وَإِذاً لآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ

كان النبى ﷺ ساهل فى حق الزبير فى ابتداء الأمر، فلما أغضبه الأنصارى استوعب جميع حقه، وكلا الحُكْمَين كان حقا، وفى الخبر: قال الزبير: «احسب أن قوله: ﴿ فلا وربك لايؤمنون ﴾ نزل فى هذا.

وروى أن اليهود لما بلغهم ذلك، قالوا: انظروا إلى أصحاب محمد كيف يخالفونه، وإن موسى عتب علينا، فَأُمِرْنَا بقتل أنفسنا، فقتلنا أنفسنا حتى بلغ القتلى سبعين ألفا.

قوله - تعالى -: ﴿ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ﴾ معناه: لو كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم، أو اخرجوا من دياركم، بدل ما أمرناهم به من طاعة الرسول، والانقياد لحكمه ﴿ ما فعلوه إلا قليل منهم ﴾ قال ثابت بن قيس بن شماس: لو أمرنى رسول الله ﷺ بقتل نفسى لقتلت، وفى الخبر: أن ابن مسعود وعمار بن ياسر، وثابت بن قيس بن شماس، من ذلك القليل، وروى أن النبى ﷺ أشار إلى عبد الله بن رواحة، فقال له: «أنت من ذلك القليل»(١).

ويقرأ «إلا قليلا منهم»(٢) فمن قرأ بالرفع؛ فلأنه معطوف على قوله: ﴿ ما فعلوه ﴾ وذلك فى محل الرفع، وتقديره: ما فعلوه إلا نفر قليل منهم فعلوه. ومن قرأ بالنصب، فعلى الاستثناء.

﴿ ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به ﴾ يعنى: من طاعة الرسول، والرضا لحكمه ﴿ لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا ﴾ أى: تصديقا ﴿ وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيماً ﴾ هو الجنة ﴿ ولهديناهم صراطا مستقيما ﴾ قيل: هو القرآن، وقيل: الإسلام.

(١) عزاه السيوطي في الدر (٢/ ٢٠٠) لابن أبي حاتم، عن شريح بن عبيد.

(٢) وهى قراءة ابن عامر، وأهل الشام انظر النشر (٢/ ٢٥٠).

وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

قوله - تعالى -: ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ﴾ سبب نزول الآية، ما روى: أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يارسول الله، كيف يكون الحال فى الجنة، وأنت فى الدرجات العلى، ونحن أسفل منك، وكيف نراك؟ فنزلت الآية. وذكر النقاش فى تفسيره: أن ذلك القائل كان عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصارى.

وروى: أن رجلا قال: لرسول الله ﷺ: أنت أحب إلى من أهلى ومالى وولدى، وإذا غبت عنى يصيبنى شبه الجنون، حبا لك، فكيف حالى معك فى الجنة؟ فنزلت الآية» ﴿ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين ﴾ قيل: ذلك بأن ينزل إليهم النبيون؛ حتى يروهم، لا أن يرفعوا إلى درجاتهم، وقيل: معناه: أنهم لايفوتهم رؤية النبيين ومجالستهم، وقوله: ﴿ والصديقين ﴾ يعنى: أصحاب رسول الله ﷺ، والصدِّيق المبالغ فى الصدق، ﴿ والشهداء ﴾ الذين استشهدوا يوم أحد.

واختلفوا فى[1] أنهم لم سموا شهداء؟ قال بعضهم: لأنهم قاموا بشهادة الحق حتى قتلوا، وقيل: لأن أرواحهم تشهد الجنة عقيب القتل، ﴿ والصالحين ﴾ الصالح: من استوت[2] سريريته وعلانيته ﴿ وحسن أولئك رفيقا ﴾ الرفيق: الواحد، وهو بمعنى الجمع هاهنا ﴿ ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴾ أى: عدتكم، والحذر: ما يتقى به من العدو، نحو العدة والسلاح، ﴿ فانفروا ثبات ﴾ جمع «ثُبَة» قال ابن عباس: «الثبة»: ما فوق العشرة، وقال أبو عمرو بن العلاء: «الثُبَة» النَفَر، ومعناه: انفروا جماعات، نفرا نفرا ﴿ أو انفروا جميعا ﴾.

وهذا دليل على أن الجهاد فرض على الكفاية، وقيل إن الآية صارت منسوخة؛

(١) ليست فى «الأصل»، ولا «ك».

(٢) فى «الأصل، وك»: استوى.

خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ

---

لقوله – تعالى – : ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾(١).

قوله – تعالى – : ﴿ وإن منكم لمن ليبطئن ﴾ أى : ليتأخرن، والبطء: التأخير.

وقيل: هذا فى عبد الله بن أبى بن سلول ﴿ فإن أصابتكم مصيبة ﴾ يعنى : بالقتل والجرح فى الجهاد ﴿ قال قد أنعم الله على إذ لم أكن معهم شهيدا ﴾ أى : حاضرا ﴿ ولئن أصابكم فضل من الله ﴾ أى : الغنيمة ﴿ ليقولن ﴾ – بنصب اللام – ويقرأ فى الشواذ: برفع اللام والمعنى واحد ﴿ كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ﴾ قيل: فى الآية تقديم وتأخير، وتقديره: فإن أصابتكم مصيبة، قال: قد أنعم الله على؛ إذ لم أكن معهم شهيدا، كأن لم تكن بينكم وبينه مودة، أى: معاقدة ومعاهدة على الجهاد، وقيل: أراد به: مودة الصحبة. ثم ابتدأ ﴿ ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما ﴾.

قوله – تعالى – : ﴿ فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا ﴾ أى : يبيعون ﴿ بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾ وهو معنى قوله فى سورة التوبة : ﴿ فيقتلون ويقتلون ﴾(٢).

قوله – تعالى – : ﴿ وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله ﴾ عتب على أصحاب رسول الله ﷺ بترك القتال ﴿ والمستضعفين ﴾ وهم الذين أسلموا بمكة وسكنوا بأعذار، وبعضهم منعوا من الهجرة، قال ابن عباس: كنت أنا وأمى من المستضعفين.

قال الأزهرى: معنى الآية: لاتقاتلون فى سبيل الله، وفى سبيل المستضعفين؛ بتخليصهم من أيدى المشركين ﴿ من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية ﴾ وهى مكة باتفاق المفسرين ﴿ الظالم أهلها ﴾ أى : المشرك أهلها ﴿ واجعل لنا من لدنك وليا ﴾ أى : من يلى أمرنا ﴿ واجعل لنا من لدنك

---

(١) التوبة : ١٢٢.

(٢) التوبة : ١١١.

لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ

---

نصيرا ﴾ أى: من يمنع العدو عنا؛ فاستجاب الله دعوتهم، حتى فتح رسول الله ﷺ مكة، وولَّى عليها عتَّاب بن أسيد، فكان ينصف المظلوم، وينتصف من الظالم.

قوله – تعالى –: ﴿ الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ﴾ قد بينا معنى الطاغوت ﴿ فقاتلوا أولياء الشيطان ﴾ أى: الكفار ﴿ إن كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾ قيل كان ضعيفا بمعنى: أنه لايرد أحدا عن الإسلام والهداية، وقيل: أراد به أن كيده كان ضعيفًا يوم بدر، حين رأى الملائكة، وخاف أن يأخذوه، فهرب؛ فكيده ضعيف بأحد هذين المعنيين.

قوله – تعالى –: ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم ﴾ قيل: هذا فى قوم أسلموا بمكة فآذاهم المشركون؛ «فقالوا: يارسول الله، ائذن لنا نقاتلهم، فقال لهم: ﴿ كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾؛ فإنى لم أؤمر بالقتال، ثم لما هاجر إلى المدينة، فأمر بالقتال، فكرهوا القتال»[1] قيل: أولئك الذين أسلموا وقالوا ذلك، منهم: عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وقدامة بن مظعون، والمقداد بن الأسود الكندى، وجماعة.

﴿ فلما كتب عليهم القتال ﴾ يعنى: بعد الهجرة ﴿ إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ﴾ أى: يخشون الناس كخشيتهم من الله، أو أشد خشية، قال الحسن البصرى: ماكانوا يخشون أمر الله بالقتال، وإنما ذلك: خشية طبع البشرية.

﴿ وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب ﴾ أى: هلا أخرتنا إلى أجل قريب؛ فنموت بآجالنا، قيل: هذا قول المنافقين، وقيل: كان ذلك قول بعض

---

(١) رواه النسائي (٦/٣/ رقم ٣٠٨٦) والطبري في التفسير (٥/١٠٨)، والحاكم (٢/٦٦، ٣٠٧) وصححه على شرط البخاري، والواحدي في أسباب النزول (ص١٢٤). كلهم من حديث ابن عباس.

فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ

أصحاب رسول الله ﷺ: قالوا ذلك خوفا و(جبنًا)[1] لا اعتقاداً. وقال بعضهم: هو قول طلحة بن عبيد الله؛ قال ذلك خوفا ثم تاب عنه.

﴿قل متاع الدنيا قليل﴾ يعنى: أن ما تستمتعون به من الدنيا فهو قليل،وفى الخبر المعروف: «ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يغمس أحدكم المخيط فى البحر، فلينظر بم يرجع؟!»[2] ﴿والآخرة خير لمن اتقى ولاتظلمون فتيلا﴾ أى: لايُنقص من أجرهم شيء، ولا مقدار الفتيل.

قوله – تعالى –: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة﴾ معناه: أينما كنتم يأتيكم الموت، وإن كنتم فى بروج مشيدة، والبروج: الحصون، قال السدى: وهى قصور بيض فى السماء، قوله: ﴿مشيدة﴾ قال ابن عباس – فى القول المعروف –: هى المعروفة المطولة، وقال عكرمة: المشيدة: المجصصة، والشيد: الجص. وقال بعضهم: المشيد: المجصص، والمشيدة: المرفوعة، وفيه قول آخر عن ابن عباس: أنه أراد: فى بروج من حديد.

﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك﴾ فالحسنة: الخصب، والسيئة: الجدب، وقيل الحسنة: النصر، والظفر يوم بدر، والسيئة: الهزيمة والقتل يوم أحد، ومعنى الآية: أن المسلمين إذا أصابتهم حسنة، فقال الكفار: هذا من عند الله وإن تصبهم سيئة قالوا هذا من عندك أى: بشؤمك؛ وذلك أن النبى ﷺ لما قدم المدينة أصاب أهلها نوع سوء؛ فقالت اليهود: ما رأينا أشأم

(١) في «ك»: حنقا.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه (١٧ / ٢٧٩–٢٨٠ رقم ٢٨٥٨)، والترمذى (٤/ ٤٨٦ رقم ٢٣٢٣)، وابن ماجه (٢/ ١٣٧٦ رقم ٤١٠٨)، وأحمد (٤/ ٢٢٨ – ٢٢٩، ٢٣٠)، وابن المبارك فى زهده (ص ١٧٠ رقم ٤٩٦) والطبرانى فى الكبير (٢٠/ ٣٠١–٣٠٢ رقم ٧١٣ – ٧١٧) وابن حبان فى صحيحه (١٠/ ١٧٣ رقم ٤٣٣٠)، والحاكم (٣/ ٥٩٢)، و(٤/ ٣١٩) كلهم من حديث المستورد بن شداد – رضى الله عنه –.

وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ

---

من هذا الرجل؛ منذ دخل ديارنا، قد غلت أسعارنا، ونقصت ثمارنا؛ وذلك بلية للمسلمين، وهذا نحو ما قالوا لصالح - عليه السلام - ﴿اطيرنا بك وبمن معك﴾[1] وفى قصة موسى: ﴿يطيروا بموسى ومن معه﴾[2] وفى سورة «يس»: ﴿إنا تطيرنا بكم﴾[3].

﴿قل كل من عند الله﴾ أى: الخصب، والجدب، والنصر، والهزيمة، كل من عند الله، ﴿فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا﴾ أى: ما لهم لايعلمون حديثا. والحديث: القرآن ها هنا، أى: لايعلمون معانى القرآن.

قوله - تعالى -: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله﴾ يعنى: ما أصابك من خصب، فمن فضل الله، ﴿وما أصابك من سيئة﴾ أى: من جدب ﴿فمن نفسك﴾ أى: بذنبك.

والخطاب وإن كان مع الرسول، فالمراد به: الأمة؛ وذلك معنى قوله - تعالى -: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾[4] قيل معناه: وما أصابك من حسنة أيها الإنسان فمن الله، وما أصابك من سيئة، فمن نفسك؛ فيكون الخطاب مع كل أحد من الناس، وقيل: معناه ﴿ما أصابك من حسنة﴾ أى: من النصر، والظفر فمن فضل الله ﴿وما أصابك من سيئة﴾ أى: من هزيمة، وقتل يوم أحد ﴿فمن نفسك﴾ أى: بذنب نفسك من مخالفة النبى ﷺ كما سبق.

فإن قيل: كيف وجه الجمع بين الآيتين، فإنه قد قال - فى الآية الأولى -: ﴿قل كل من عند الله﴾ قيل: معنى الآية الأولى: أن الخصب والجدب والنصر والهزيمة

(١) النمل: ٤٧.

(٢) الأعراف: ١٣١.

(٣) يس: ١٨.

(٤) الشورى: ٣٠.

إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا

---

كلها تقع من عند الله، ومعنى الآية الثانية ﴿ وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ أى: ما أصابك من سيئة من الله؛ فبذنب نفسك؛ عقوبة لك.

واعلم أنه ليس فى الآية متعلق لأهل القدر أصلا؛ فإن الآية فيما يصيب الناس من النعم والمحن، لافى الطاعات والمعاصى؛ إذ لو كان المراد ما توهموا، لقال: ما أصبت من حسنة، فمن الله وما أصبت من سيئة؛ فلما قال: ما أصابك من حسنة وما أصابك من سيئة؛ دل أنه أراد: ما يصيب العباد من النعم والمحن، لا فى الطاعات والمعاصى، وحكى عبد الوهاب بن مجاهد، عن مجاهد، أن ابن عباس قرأ: «وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا كتبتها عليك» وكذا حكى عن ابن مسعود أنه قرأ كذلك، وهو معروف عن ابن عباس، وهو يؤيد قولنا: إن المراد: بذنب نفسك.

وفى الآية قول آخر: مضمر فيه، وتقديره: فمال هؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا؛ يقولون: ما أصابك من حسنة، فمن الله، وما أصابك من سيئة، فمن نفسك [فيكون][1] حكاية لقول الكفار ﴿ وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ روى: «أن النبى ﷺ قال: «من أطاعنى فقد أطاع الله - تعالى - ومن أحبنى فقد أحب الله، فقالت اليهود: إن هذا الرجل يريد أن نتخذه ربا وحنّانا، كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم؛ فأنزل الله - تعالى - هذه الآية على وفاق قول الرسول»[2] ﴿ ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ﴾ أى: كِلْ أمره إلىَّ.

قوله - تعالى -: ﴿ ويقولون طاعة ﴾ يعنى: المنافقين يقولون باللسان: مرنا، فإن أمرك طاعة ﴿ فإذا برزوا ﴾ أى: خرجوا ﴿ من عندك بيت طائفة منهم غير الذى

---

(١) فى «الأصل وك»: فيقول.

(٢) قال الزيلعي في تخريج الكشاف (١/٣٣٦): غريب جداً. وقال الحافظ فى تلخيص الكشاف: لم أجده.

أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ

---

تقول ﴾ قال أبو رزين: بَيَّتَ أى: ألف. وقال غيره: بيت، أى: بدل؛ والأصح أنه من التبييت، وهو فعل الشيء ليلا، يقال: هذا أمر بُيِّتَ ليلاً، قيل: أى: فعل بالليل، ويجوز أن يقال لما فعل بالنهار: تبييتا؛ لأن الفعل بالليل إنما سمى تبييتا؛ لأن الإنسان بالليل يكون أفرغ لتدبير أمره، فعلى هذا المعنى يجوز أن يقال لما فعل بالنهار: تبييتا، قال الشاعر:

بَيَّتوا أمـــرهم بليـــل فلمـــا  أصبحوا أصبحوا على[1] ضوضاء[2]

ومعنى ﴿ بيت طائفة منهم غير الذى تقول ﴾ أى: خالفوا بالليل ما قالوا بالنهار ﴿ والله يكتب ما يبيتون ﴾ أى: يحصى ويحفظ؛ ليجازى عليه، وقيل: يأمر الكتبة حتى يكتبوا ﴿ فأعرض عنهم ﴾ قال الضحاك: معناه: لاتخبر بأسمائهم، وكان – عليه الصلاة والسلام – يعرف المنافقين، وما كان يخبر بأسمائهم ﴿ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ﴾ أى: اتخذه وكيلا.

قوله – تعالى –: ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ التدبر: النظر فى الأمر إلى آخره، وهو من دُبُر الشيء: آخره، وفى الخبر: «من أشراط الساعة: ولايأتون الصلاة إلا دُبُراً»[3] أى: آخراً ومنه قوله ﷺ: «لاتَدَابروا»[4] أى: لايولِّ بعضكم ظهره إلى بعض عدواة.

---

(١) ليست فى «ك».

(٢) وقع هذا البيت فى لسان العرب (مادة: ضوا)

أجمعـوا أمرهم عشـاءً فلمَّا  أصبحوا أصبحت لهم ضوضاءُ

وعزاه ابن منظور للحارث بن حلِّزة.

(٣) لم أجده مرفوعاً بهذا اللفظ، وروى أبو داود، وابن ماجه وغيرهما أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يقبل الله تعالى منهم صلاة – وذكر فيهم – والرجل لا يأتي الصلاة إلا دباراً» وروى عن ابن مسعود أنه قال: «ومن الناس من لا يأتي الصلاة إلا دبراً» انظر الزهد لأبي داود بتحقيقنا (رقم١٦١). وقال ابن الأثير في النهاية (٢/ ٩٧): ومنه الحديث: «لا يأتي الجمعة إلا دبراً».

(٤) متفق عليه من حديث أنس بن مالك، رواه البخاري (١٠/ ٥٠٧/ رقم ٦٠٧٦ وطرفه فى ٦٠٦٥)، ومسلم (١٦/ ١٧٤ – ١٧٥/ رقم ٢٥٥٩).

عند اللَّه وَإِن تُصبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذه منْ عندكَ قُلْ كُلٌّ مّنْ عند اللَّه فَمَال هَؤُلاء الْقَوْمْ لا يَكَادُونَ يفْقَهُونَ حَديثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ منْ حَسَنَةٍ فَمنَ اللَّه وَمَا أَصَابَكَ من سَيِّئَةٍ فَمن نَّفْسكَ

فقوله ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ أى: أفلا يتفكرون فى القرآن ﴿ ولو كانِ من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ قال ابن عباس: ليس فى القرآن تناقض ولا تفاوت؛ فهذا معنى الآية.

وقال الزجاج: ما أخبر عن الغيب فكله صدق، ليس بعضه صدقا، وبعضه كذبا، وقيل: معناه: أن كله بليغ صحيح، ليس فيه مرذول ولا فاسد.

قوله - تعالى -: ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ﴾ يعنى: المنافقين إذا جاءهم أمر وخبر من أمر السرايا الذين بعثهم رسول اللهﷺ، فإن كان بالأمن والنصر، كتموا، وقصروا فى الأخبار، وإن كان بالخوف والهزيمة أذاعوا به، وزادوا.

وفى الآية إضمار، وتقديرها: وإذا جاءهم أمر من الأمن قصروا فى الإخبار به، وكتموا، [ وإذا ][1] جاءهم أمر من الخوف أذاعوا به ﴿ ولو رووه إلى الرسول ﴾ قيل أراد بقوله: ﴿ ولو ردوه ﴾ يعنى: ضعفة المسلمين الذين سمعوا تلك الأخبار من المنافقين قالوا مثل قولهم؛ فقال الله - تعالى -: ﴿ ولو ردوه إلى الرسول ﴾ ويحتمل أن يكون المراد به فى الكلام المؤمنين والمنافقين، لو[2] ردوه إلى الرسول.

﴿ وإلى أولى الأمر منهم ﴾ يعنى: إلى أمراء السرايا ﴿ لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ يعنى: لو طلبوا تلك الأخبار من عند أمراء السرايا، ووكلوا الإخبار بها إليهم؛ لعلمه الذين يحبون أن يعلموه على حقيقته كما هو، والاستنباط: هو استخراج العلم ومنه النبط، وهم قوم يستخرجون الماء، وقيل: أراد به العلماء، يعنى: ولو ردوه إلى الرسول، وإلى أولى الأمر منهم لعلم الذين يستنبطونه منهم ما ينبغى أن

(١) في «الأصل وك»: إذ.

(٢) في «الأصل و ك» أو، تحريف.

وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ

يكتم، ويعلمون ما ينبغى أن يفشى، يعنى: العلماء.

﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا ﴾ فإن قال قائل: كيف استثنى القليل، ولولا فضله لاتبع الكل الشيطان؟ قيل: اختلفوا فيه، قال الفراء: هذا الاستثناء راجع إلى قوله: ﴿ أذاعوا به ﴾ إلا قليلا، وقوله: ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان ﴾، كلام تام، وقيل: هو راجع إلى قوله: ﴿ لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ ثم قال: ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان ﴾ وقيل: هو على نظمه، ومعناه: ولولا ما تفضل الله عليكم به من البيان لما ينبغى أن يفعل وما ينبغى أن يجتنب ﴿ لاتبعتم الشيطان إلا قليلا ﴾.

وفيه قول رابع: أنه أراد بالقليل: قوما اهتدوا بالحق قبل بعث الرسول، وإنزال القرآن، وأقروا بالتوحيد، وذلك مثل: زيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، وجماعة، وقد قال ﷺ فى زيد بن عمرو بن نفيل: «إنه يبعث أمة على حدة»(١).

قوله - تعالى -: ﴿ فقاتل فى سبيل الله ﴾ كذا يتصل بما سبق من قوله: ﴿ وما لكم لا تقاتلون ﴾ لما عاتبهم على ترك القتال، قال للرسول: إن لم يقاتل هؤلاء، فقاتل أنت وحدك ﴿ لاتكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا ﴾ يعنى: عذاب الذين كفروا، وعسى من الله واجب، والمراد به: تطميع المؤمنين، ﴿ والله أشد بأسا ﴾ أى: أشد عذابا ﴿ وأشد تنكيلا ﴾ التنكيل من النكل، وهو المنع، ومنه النَكَال: وهو ما يفعل بالإنسان، فيمنع غيره عن فعله.

قوله - تعالى -: ﴿ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده (١/ ١٨٩ - ١٩٠)، والحاكم فى المستدرك (٣/ ٤٣٩ - ٤٤٠)، والطبرانى فى الكبير (١/ ١٥١ - ١٥٢/ رقم ٣٥٠)، والبيهقى فى الدلائل (١/ ٤٧٥ - ٤٧٦) كلهم من حديث سعيد ابن زيد بن عمرو، وقال الهيثمى فى المجمع (٩/ ٤٢٠): وفيه المسعودى، وقد اختلط، وبقية رجاله ثقات.

الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴿٨١﴾ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ

---

شفاعة سيئة يكن له كفل منها ﴾ قال ابن عباس: الشفاعة الحسنة: هى الإصلاح بين الناس، والشفاعة السيئة: هى المشى بالنميمة بين الناس، وقيل: هو فى كل الشفاعات، فالشفاعة الحسنة: هى أن يقول قولا حسنا؛ ينال به الخير، والشفاعة السيئة: هى أن يقول قولا قبيحا؛ يلحق به سوء.

قوله: ﴿ يكن له نصيب منها ﴾ أى: من أجرها، وقوله: ﴿ يكن له كفل منها ﴾ أى: من وزرها، والكفل: النصيب، قال الله - تعالى -: ﴿ يؤتكم[1] كفلين من رحمته ﴾[2] أى: نصيبين.

واعلم أن الإنسان يؤجر على الشفاعة، وإن لم يُشَفَّع؛ لأن الله - تعالى - يقول: ﴿ من يشفع ﴾، ولم يقل: من يُشَفَّع، وقد روى أبو موسى الأشعرى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اشفعوا تؤجروا، ويقضى الله على لسان نبيه ماشاء»[3].

واعلم أن الشفاعة مستحبة فى كل الحقوق إلا فى حدود الله - تعالى -؛ فإنه لايجوز فيها الشفاعة ليترك الحد، وقد قال ﷺ: «من شفع فى حد من حدود من الله - تعالى - فقد ضاد الله فى ملكه»[4] أى: نازعه فى ملكه.

﴿ وكان الله على كل شىء مقيتا ﴾ قال ابن عباس: المقيت: المقتدر، قال الشاعر:

**وذى ضغن كففتُ النفسَ عنه ... وكنت على مساءَته مُقيتَا**

والقول الثانى عن ابن عباس: المقيت: الحافظ، وفى الخبر: «كفى بالمرء إثما أن

---

(١) فى «ك»: يكن لكم، وهو خطأ.

(٢) الحديد: ٢٨.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٣/ ٣٥١/ رقم ١٤٣٢)، ومسلم (١٦/ ١٧٢/ رقم ٢٦٢٧).

(٤) رواه أبو داود (٣/ ٣٠٥/ رقم ٣٥٩٧)، وأحمد (٢/ ٧٠) والحاكم (٢/ ٢٧) والطبرانى فى الكبير (١٢/ ٢٧٠ - ٢٧١ رقم ١٣٠٨٤)، والبيهقى (٦/ ٨٢) وصحح الحاكم إسناده.

أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٨٣﴾ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ

يضيع من يقوته»[1] أى: من قوته، وفى رواية: «من يقيت» أى: من فى حفظه، وفيه قول ثالث: أن الله - تعالى - على كل حيوان مقيت، أى: يوصل القوت إليه؛ فهذا معنى قوله: ﴿وكان الله على كل شىء﴾ أى: حيوانٍ ﴿مقيتا﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وإذا حييتم بتحية﴾ أكثر المفسرين على أن المراد بالتحية هاهنا: السلام، وأصل التحية: هو دعاء بالحياة، وهو فى الشريعة عبارة عن السلام، والسلام: دعاء السلامة، وقد تكون التحية بمعنى: الملك والبقاء، ومنه: التحيات لله، وقال الشاعر:

**ولكل ما نال الفتى قد نلته إلا التحيه**

يعنى: إلا الملك، وعلى معنى السلام أنشدوا قول الشاعر:

**إنا محيوك ياسلمى فحيينا وإن سقيت كرام الناس فاسقينا**

﴿فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾ أراد به: رد السلام بأحسن مما سلّم، أو ترد كما سلم، فإذا قال: السلام عليك، فالمستحب أن تقول: وعليك السلام ورحمة الله، وإذا قال: السلام عليك ورحمة الله، تقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وهو الأحسن.

وفى الخبر: «أن رجلا جاء، فسلّم على النبى ﷺ، فقال: وعليكم السلام ورحمة الله، فدخل آخر وقال: السلام عليك ورحمة الله، فقال: وعليكم السلام ورحمة الله

(١) رواه أبو داود (٢/١٣٢/ رقم ١٦٩٢)، والنسائي في الكبرى (٥/٣٧٤/ رقم ٩١٧٦، ٩١٧٧)، والحميدي في مسنده (٢/٢٧٣/ رقم ٥٩٩)، وأحمد (٢/١٩٣، ١٩٥)، والطيالسي (ص٣٠١/ رقم ٢٢٨١)، وابن حبان - الإحسان - (١٠/٥١ - ٥٢/ رقم ٤٢٤٠)، والحاكم (٤/٥٠٠) وقال صحيح الإسناد، والبيهقي في الكبرى (٧/٤٦٧)، وأبو نعيم في الحلية (٧/١٣٥) من حديث عبد الله بن عمرو.
ورواه مسلم (٧/١١٤/ رقم ٩٩٦) بلفظ «كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوتهم».

أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً ﴿٨٤﴾ مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً

وبركاته، فدخل ثالث، وقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال: وعليكم؛ فقيل له فى ذلك، فقال - عليه السلام - إن الأول والثانى تركا من التحية شيئا؛ فأجبت بأحسن، وإن الثالث لم يترك من التحية شيئا فرددت عليه»(١).

واعلم أن السلام، سنة وردّ السلام فريضة، لكنه فرض على الكفاية، حتى إذا سُلِّم على جماعة فرد أحدهم؛ سقط الفرض عن الباقين، وكذلك السلام سنة على الكفاية، حتى إذا كانت جماعة، فسلّم أحدهم كفى فى السنة.

وروى الحسن مرسلا عن النبى ﷺ أنه قال: «السلام سنة ورده فريضة»(٢).

وقال بعض المفسرين: أراد بالتحية: الهبات والهدايا، وقوله: ﴿فحيوا بأحسن منها﴾ أراد به: الثواب على الهدية، وهو سنة، «وكان - عليه السلام - يقبل الهدية، ويثيب عليها»(٣)، والأصح هو القول الأول.

﴿إن الله كان على شىء حسيبا﴾ أى: محاسبا، وقيل كافيا، ومنه قوله -تعالى-: ﴿جزاءً من ربك عطاءً حسابًا﴾(٤) أى: كافيا.

(١) رواه الطبرى فى التفسير (٥ / ١٢٠) والطبرانى فى الكبير (٦ / ٢٤٦ - ٢٤٧ / رقم ٦١١٤) من حديث سلمان الفارسى، وقال الهيثمى فى المجمع (٨ / ٣٦١): وفيه هشام بن لاحق، قواه النسائى، وترك أحمد حديثه. وعزاه السيوطى فى الدر (٢ / ٢٠٧) لأحمد فى الزهد، وابن أبى حاتم وابن المنذر، وابن مردويه بسند حسن.

(٢) رواه الطبرى فى تفسيره (٥ / ١٢٠) عن الحسن مرسلاً. وعزاه في كنز العمال (٩ / ٢١٥ / رقم ٢٥٧١٧) للديلمي في الفردوس من حديث الحسن مرسلاً.
وفي مسند الفردوس (٢ / ٣٤٠ / رقم ٣٥٣٨) جعله من مسند علي.
وقال العجلوني في كشف الخفاء (١ / ٥٤٨ / رقم ١٤٧٦): رواه الديلمي بسند ضعيف عن علي. قلت: ولفظه: «السلام تطوع، والرد فريضة».

(٣) رواه البخارى (٥ / ٢٤٩)، وأبو داود (٣ / ٢٩٠ رقم ٣٥٣٦)، والترمذى (٤ / ٢٩٨ رقم ١٩٥٣)، وأحمد (٦ / ٩٠)، والبيهقى (٦ / ١٨٠)، والخطيب فى تاريخه (٤ / ٢٢٣)، وابن عدى فى الكامل (٢ / ٢٨١) كلهم من طريق عيسى بن يونس، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة.
ورواه ابن أبى شيبة فى مصنفه من طريق وكيع، عن هشام بن عروة من قوله.
وقال البخارى: لم يذكر وكيع، ومحاضر: عن هشام عن أبيه عن عائشة.

(٤) النبأ: ٣٦.

سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ

قوله – تعالى –: ﴿الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لاريب فيه﴾ «اللام» لام القسم، وتقديره: والله ليجمعنكم الله إلى يوم القيامة، واختلفوا: أنه فيم يجمعهم؟ قال بعضهم: يجمعهم فى الإهلاك والموت إلى القيامة، وقال بعضهم: يجمعهم فى القبور إلى القيامة.

واختلفوا: لِمَ سُمِّيت القيامة قيامة؟ قال بعضهم: لأن الناس يقومون فيها إلى رب العالمين، كما قال الله – تعالى –: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾[1] وقيل: إن الناس يقومون فيها إلى الحساب. ﴿ومن أصدق من الله حديثا﴾ أى: قولا وخبرا.

قوله – تعالى –: ﴿فما لكم فى المنافقين فئتين﴾ اختلفوا فى سبب نزول الآية على ثلاثة أقوال: قال زيد بن ثابت: هذا فى الذين تخلفوا عن رسول اللهﷺ يوم أحد، فقال بعض الصحابة لرسول الله: اعف عنهم؛ فإنهم تكلموا بالإسلام. وقال بعضهم: اقتلهم؛ فإنهم منافقون؛ فنزلت الآية ﴿فما لكم فى المنافقين فئتين﴾»[2] أى: مالكم افترقتم فيهم فرقتين؟ عتب عليهم بالاختلاف بينهم، وحكم بنفاقهم.

وقال مجاهد: الآية فى جماعة من أهل مكة هاجروا إلى المدينة، وأسلموا، ثم استأذنوا رسول اللهﷺ فى الرجوع إلى مكة، بعلَّة أن لهم بها بضائع؛ فرجعوا، وارتدُّوا فقال بعض أصحابه: هم مسلمون؛ لأنهم تكلموا بالإسلام، وقال بعضهم: هم قد نافقوا؛ فنزل قوله تعالى: ﴿فما لكم فى المنافقين فئتين﴾ وحكى مجاهد هذا عن ابن عباس.

والقول الثالث – وهو الرواية الثانية عن ابن عباس –: أن الآية فى قوم من المشركين أسلموا بمكة، وكانوا يعاونون المشركين، ويظاهرونهم؛ فاختلف الصحابة فيهم

(١) المطففين: ٦.

(٢) متفق عليه من حديث زيد بن ثابت، فرواه البخاري (١٠/ ١٠٤ – ١٠٥/ رقم ٤٥٨٩) ومسلم (١٧/ ١٨٠/ رقم ٢٧٧٦).

الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴿٨٨﴾

---

فرقتين؛ فنزل قوله - تعالى -: ﴿ فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا ﴾ أركسهم وركسهم بمعنى واحد.

وقرأ ابن مسعود ﴿ والله ركَّسَهُم ﴾ قال الزجاج: معناه: نكسهم، وقال النضر بن شميل: معناه: أعادهم، يعنى: إلى الكفر بما كسبوا، ومنه: الركس؛ لأنه كان طعاما، فصار رجيعا.

﴿ أتريدون أن تهدوا من أضل الله ﴾ يعنى: أتريدون أن ترشدوا من أضله الله ﴿ ومن يضلل الله ﴾ يعنى: ومن يضلله ﴿ فلن تجد له سبيلا ﴾ أى: طريقا إلى الحق. قوله - تعالى -: ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا ﴾ يعنى: الذين عادوا إلى الكفر ودوا أن تعودوا إلى الكفر ﴿ فتكونون سواء ﴾ يعنى: فى الكفر.

﴿ فلا تتخذوا منهم أولياء ﴾ منعهم من الموالاة معهم ﴿ حتى يهاجروا فى سبيل الله ﴾ أى: حتى يسلموا ﴿ فإن تولوا ﴾ يعنى: فى الكفر ﴿ فخذوهم ﴾ أى: فأسروهم، والأخذ هاهنا: الأسر، ويقال للأسير: أخيذ ﴿ واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيراً ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾ قال أبو عبيدة: معناه إلا الذين ينتسبون إلى قوم، وأنشد فيه قول الشاعر:

**إذا اتصلت قالت لبكر بن وائل ... وبكرٌ سباها[1] والأنوف رواغم**

يعنى: إذا انتسبت تلك القبيلة.

وأنكر أهل المعانى هذا على أبى عبيدة، وقالوا: هذا لايستقيم فى معنى هذا الاستثناء المنع من القتل، وما كان المنع لأجل النسبة، فإن النبى ﷺ كان يقاتل المشركين من قريش، وإن كانوا من نسبه، بل معنى قوله: ﴿ إلا الذين يصلون ﴾ أى:

(١) فى لسان العرب (مادة: وصل): سبتها.

وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾

يخالطون، ويتصلون بقوم كان بينهم وبين النبى ﷺ موادعة وعهد.

وذلك هلال بن عويمر الأسلمى، وقومه، وكان الله - تعالى - منع من قتل أولئك ممن اتصل بهم، وفى ذمامهم ﴿ أو جاءوكم ﴾ أو يصلون بقوم جاءوكم للمعاهدة والموادعة، ﴿ حصرت صدورهم ﴾ ضاقت، فضاقت صدورهم من القتال معكم، ومن معاونتكم على القتال مع قومهم؛ لأجل الرعب الذى ألقى الله - تعالى - فى قلوبهم، وقرأ الحسن - وهو قراءة يعقوب وسهل - «حَصِرةً صدورهم»(١) على الحال، أى: ضيقة صدورهم، قال المبرد: حصرت صدورهم على سبيل الدعاء، كقوله: ﴿ قاتلهم الله ﴾(٢) كأن الله - تعالى - يقول: ﴿ حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ﴾ على سبيل الدعاء.

﴿ ولو شاء الله لسلطهم عليكم ﴾ معنى هذا: أن الله - تعالى - هو الذى ألقى الرعب فى قلوبهم، وكفهم عن قتالكم، حتى جاءوا معاهدين، ولو شاء الله لسلطهم عليكم ﴿ فلقاتلوكم ﴾؛ فإذًا لاتقاتلوهم ومن اتصل بهم ﴿ فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم ﴾ يعنى: الصلح فانقادوا، واستسلموا ﴿ فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ﴾ أى: طريقا عليهم بالقتل والقتال.

قوله - تعالى -: ﴿ ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم ﴾ قال ابن عباس: أراد به: أسد وغطفان، جاءوا إلى النبى ﷺ وأسلموا؛ فلما رجعوا إلى قومهم قالوا: إنا آمنا بالعقرب والخنفساء ورجعوا إلى الكفر.

وقال قتادة: أراد به: سراقة بن مالك بن جعشم، لما جاء إلى النبى ﷺ، وقال: أنا منكم، ثم رجع إلى قومه، فقال: أنا منكم.

(١) انظر النشر (٢/ ٢٥١).

(٢) التوبة: ٣٠، والمنافقون: ٤.

**إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا**

﴿ يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم ﴾ أى: يريدون أن يأمنوا منكم، ومن قومهم. ﴿ كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها ﴾ أى كلما دعوا إلى الشرك دخلوا فيه.

﴿ فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ﴾ يعنى: القيادة والاستسلام ﴿ ويكفوا أيديهم فخذوهم ﴾ أى: فأسروهم ﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم ﴾ وجدتموهم، ﴿ وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ﴾ حجة بينة بالقتل والقتال.

قوله - تعالى -: ﴿ وماكان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأً ﴾ سبب نزول الآية: ماروى أن عياش بن أبى ربيعة قتل الحارث بن يزيد، وكان الحارث يؤذى عياشا فى الجاهلية، حتى أسلم عياش؛ فنذر أن يقتله متى ظفر به، فظفر بالحارث وقد أسلم الحارث، ولم يعلم هو بإسلامه؛ فنزلت الآية: ﴿ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا ﴾ وهذا نهى عن قتل المؤمن على الإطلاق، وقوله: ﴿ إلا خطأً ﴾ استثناء منقطع، ومعناه: لكن إن وقع خطأ. وقال بعضهم: «إلا» بمعنى «ولا» يعنى: ولا خطأً، ولايعرف فى كلام العرب «إلا» بمعنى «ولا»؛ ولأنه يقتضى النهى عن قتل الخطأ، والخطأ لايدخل تحت النهى والأمر، والأول أصح، ثم ذكر حكم القتل الخطأ، فقال: ﴿ ومن قتل مؤمنا خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ أى: فاعتقوا رقبة مؤمنة، ثم اختلف العلماء، فقال الحسن، والشعبى، والنخعى: أراد به: رقبة بالغة ولاتجزئ الرقبة الصغيرة، وإن كانت مؤمنة، وقال عطاء - وهو الذى أخذ به الفقهاء -: إنه تجزئ الصغيرة.

﴿ ودية مسلمة إلى أهله ﴾ يعنى: سلموا الدية إلى أهله، وظاهر الآية يقتضى أن تكون الدية فى قتل الخطأ فى مال القاتل، كالكفارة، لكن عرفنا بالسنة أن الكفارة فى مال القاتل والدية على العاقلة.

وقوله: ﴿ إلا أن يصدقوا ﴾ يعنى: أن يتصدقوا، وقرأ أبى بن كعب كذلك، ومعنى التصدق: العفو عن الدية ﴿ فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة

إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ

---

مؤمنة ﴾ أكثر المفسرين - وهو قول الحسن، وقتادة، ومجاهد، وجماعة - : أن المراد به : وإن كان من [نَسَبِ](١) قوم عدو لكم وهو مؤمن، ومعناه المؤمن يكون فى دار الإسلام، وقرابته فى دار الحرب، فيقتل خطأ، فالواجب بقتله الكفارة، ولا دية؛ لأنها إذا سلمت إلى قرابته يقووا بها على المسلمين، والأصح والذى عرفه الفقهاء أن المراد به : المؤمن الذى أسلم فى دار الحرب، فيقتله من لم يعلم إسلامه، فالواجب فيه الكفارة، دون الدية.

﴿ وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾ هذا فى أهل الذمة والمعاهدين ﴿ فدية مسلمة إلى أهله ﴾ يعنى : على القدر الذى اختلف فيه ﴿ وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله ﴾ يعنى : ليتوبوا إلى الله ﴿ وكان الله عليما حكيما ﴾.

قوله - تعالى - : ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم ﴾ نزلت الآية فى مقيس بن ضبابة الليثى، أسلم وأخوه هشام، ثم وجد أخاه مقتولا فى بنى النجار؛ فجاء إلى النبى ﷺ فى ذلك، فبعث معه رجلا فهريًا إلى بنى النجار، وأمرهم أن يدفعوا إليه قاتل أخيه، أو يسلموا الدية، فجاءا إليهم، وبلغا الرسالة، فقالوا : سمعا وطاعة لرسول الله، والله ما نعرف القاتل، وساقوا الدية إليه مائة من الإبل؛ فلما رجعا أقبل مقيس وقتل الفهرى، واستاق الإبل، ولحق بمكة وارتد، وقال الشعر :

قتلتُ به فهرا وحملت عَقْلَه ... سَراَةَ بنى النجار أربابَ فارع

فأدركت ثأرى واضطجعت موسرا(٢) ... وكنت إلى الأوثان أول راجعِ

فنزلت الآية فيه، وهو الذى أمر النبى ﷺ بقتله؛ فجاء الجماعة الذين عينهم

---

(١) فى «الأصل وك» : سبب، وهو تصحيف.

(٢) كذا «بالأصل»، و«ك»، وفى لسان العرب (مادة : فرع) : مُوَسَّدًا، آخره دال.

وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَائِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ

---

للقتل يوم فتح مكة؛ فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة فقوله: ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا ﴾ فالقتل المتعمد عند أكثر العلماء: هو الذى يحصل بكل ما يقصد به القتل، وقال سعيد بن المسيب، وطاوس: القتل العمد لايكون إلا بالحديد ﴿ فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه ﴾ أى: طرده عن الرحمة ﴿ وأعد له عذابا عظيما ﴾ وقال ابن عباس: الآية مدنية لم ينسخها شيء؛ فكان يقول: ليس لقاتل المؤمن توبة، وسئل عن توبته؛ فقال: أنى تكون له التوبة، فقيل له: أليس قد قال الله - تعالى -: ﴿ ولايقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب ﴾،(١) فقال ابن عباس: تلك آية مكية، وهذه آية مدنية لم تنسخ بشيء حتى قبض رسول الله ﷺ.

وقال زيد بن ثابت: الشديدة بعد الهينة بستة أشهر، يعنى بالهينة آية الفرقان، وبالشديدة هذه الآية.

وروى حميد، عن أنس، عن النبى ﷺ أنه قال: «أبى الله - تعالى - أن يكون لقاتل المؤمن توبة»(٢) وفى الخبر عن النبى ﷺ: «لقتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا»(٣).

والأصح، والذى عليه الأكثرون - وهو مذهب أهل السنة -: أن لقاتل المؤمن عمدا توبة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ وإنى لغفار لمن تاب وآمن ﴾(٤) وقوله: ﴿ ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾(٥) ولأن القتل العمد ليس بأشد من الكفر، ومن

---

(١) الفرقان: ٦٨ - ٧٠.

(٢) الحديث صححه الشيخ الألبانى كما فى الصحيحة رقم [٦٨٩] وعزاه للواحدى فى الوسيط والضياء فى المختارة، وغيرهما.

(٣) روى من حديث بريدة، والبراء، وعبد الله بن عمرو، انظر تلخيص الحبير بتحقيقنا (٤/٢٨/رقم١٨٦٩).

(٤) طه: ٨٢ (٥) النساء: ٤٨.

**مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ**

---

الكفر توبة؛ فمن القتل أولى، وأما الذى روى عن ابن عباس، فعلى سبيل التشديد والمبالغة فى الزجر عن القتل، وهو مثل ما روى عن سفيان بن عيينة أنه قال: إن لم يقتل يقال له: لاتوبة لك، منعاً له عن القتل، وإن قتل يقال له: لك توبة، حتى يتوب. وروى أن رجلا جاء إلى ابن عباس وسأله: هل لقاتل المؤمن توبة، قال: لا، فجاءه آخر، وسأله عن ذلك، فقال: نعم، له توبة، فقيل له فى ذلك، فقال: إن الأول لم يكن قتل؛ فمنعته عن القتل، وإن الثانى قتل؛ فأرشدته إلى التوبة.

واعلم أن لامتعلق فى هذه الآية لمن يقول بالتخليد فى النار لأهل الكبائر من المسلمين؛ لأنا إن نظرنا إلى سبب نزول الآية، فالآية نزلت فى قاتلٍ كافرٍ كما بينا، وقيل: إنه فيمن يَقْتُل مستحلا، والأولى أن نقول فيه ما قاله أبو صالح: إن معنى قوله: ﴿فجزاؤه جهنم خالدا فيها﴾ إن جازى، وبه نقول: إن الله تعالى إن جازاه ذلك خالدا، فهو جزاؤه، ولكنه ربما لايجازى، وقد وعد أن لايجازى ويغفر لمن يشاء، وهو لايخلف الميعاد، وحكى عن قريش بن أنس - رحمه الله - أنه قال: كنت فى مجلس فيه عمرو بن عبيد، فقال: لو قال الله لى يوم القيامة: لم قلت بتخليد القاتل المتعمد فى النار؟ فأقول له: أنت الذى قلت: ﴿فجزاؤه جهنم خالدا فيها﴾ قال قريش: وكنت أصغر القوم، فقلت له: أرأيت لو قال الله - تعالى - لك: ألست قلت ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[1] فمن أين علمت أنى لم أشأ مغفرة القاتل؟ فسكت ولم يستطع الجواب.

وحكى أن عمرو بن عبيد جاء إلى أبى عمرو بن العلاء - رحمه الله - وقال له: هل يخلف الله وعده؟ فقال: لا، فقال: أليس قد قال الله - تعالى - : ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها﴾ فأنا على هذا؛ لأنه لايخلف وعده، فقال أبو عمرو: ومن العجمة أُتيتَ يا أبا عثمان؛ إن العرب لاتعد الإخلاف فى الوعيد خلفا

(١) النساء: ٤٨، ١١٦.

فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

---

وذما، وإنما ذلك فى الخلف فى الوعد، وأنشد له قول القائل فيه:

**وإنى إذا أو عدته (و)[1] وعدته ... لمخلف إيعادى ومنجز موعدى**

فقد تمدح بالخلف فى الوعيد، وقال آخر:

**وإذا وعد السراء أنجز وعده ... وإن وعد الضراء فالعفو مانعه**

فالله - تعالى - يجوز أن يخلف فى الوعيد، وإنما لايخلف الميعاد.

قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله﴾ أى: سافرتم فى سبيل الله، يعنى: الغزو، ﴿فتبينوا﴾ ويقرأ: «فتثبتوا»[2] ومعناهما: ترك العجلة.

وفى الخبر: «التأنى من الله، والعجلة من الشيطان»[3] ﴿فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا﴾ يقرأ: «إليكم السلام» ويقرأ: «إليكم السلم»[4]، فالسلام: هو التسليم المعهود، والسلم: المقادة والاستسلام، والسلم: الصلح، وقرأ أبو جعفر المدنى يزيد بن القعقاع: «لست مؤمنا»[5] من الأمان ﴿تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾ يعنى: تبتغون الدنيا، وفى الآثار: «الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر، والآخرة وعد صادق، يقضى فيها ملك قادر»[6].

(١) فى «ك»: أو.

(٢) وهى قراءة حمزة، والكسائى، وخلف. انظر النشر (٢/ ٢٥١).

(٣) رواه أبو يعلى (٧/ ٢٤٨ رقم ٤٢٥٦)، والبيهقى فى الكبرى (١٠/ ١٠٤)، من حديث أنس به.
وقال المنذرى فى الترغيب (٢/ ٢٥١)، والهيثمى فى المجمع (٨/ ٢٢): رجاله رجال الصحيح.

(٤) قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، وابن عامر، وخلف: بحذف الألف، وقرأ الباقون بإثباتها.

(٥) انظر المصدر السابق.

(٦) رواه الشافعى فى مسنده (٢/ ١٨٨ - ١٨٩/ رقم ٦٧٢) من طريق إبراهيم بن محمد قال أخبرنى عمرو «أن النبى ﷺ خطب ...» وعزاه فى كنز العمال رقم [٢/ ٤٣٦٠] للشافعى، والبيهقى فى المعرفة، عن عمرو مرسلاً. ورواه الطبرانى فى الكبير (٧/ ٢٨٨/ رقم ٧١٥٨)، وعنه أبو نعيم فى الحلية (١/ ٢٦٤ - ٢٦٥)، عن شداد بن أوس مرفوعاً.
وقال الهيثمى فى المجمع (٢/ ١٩٢): وفيه أ بو مهدى سعيد بن سنان وهو ضعيف جداً.

آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ

﴿ فعند الله مغانم كثيرة ﴾ أى: غنائم كثيرة. ﴿ كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم ﴾ أى: تفضل الله عليكم، وفيه قولان: قال سعيد بن جبير: معناه كذلك كنتم من قبل تكتمون الإيمان، فمن الله عليكم بالإظهار، وقال قتادة: معناه: كذلك كنتم من قبل ضلالا، فمن الله عليكم بالهداية ﴿ فتبينوا ﴾ إعادة تأكيد ﴿ إن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ وسبب نزول الآية ما روى: «أن النبى ﷺ بعث سرية، فلقوا رجلا يقال له: مرداس بن عمرو من فدك، له غنيمات، فانحاز بها إلى الجبل لما أحس بالسرية، ثم تقدم إليهم، فقال: السلام عليكم أنا مؤمن، فبادر إليه أسامة بن زيد وهو يقول: لا إله إلا الله، وقتله، وأخذ سلبه، والغنيمات التى له، فلما رجعوا إلى النبى ﷺ قال لأسامة: أقتلت رجلا يقول: لا إله إلا الله، فقال: إنه إنما أسلم متعوذا، وقال: إنما أسلم، ليحرز نفسه وماله، فقال - عليه الصلاة والسلام -: هلاَّ شققت عن قلبه؟ فقال أسامة: استغفر لى يارسول الله، فقال: كيف لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟ ، فقال: استغفر لى يارسول الله، فقال - عليه الصلاة السلام -: كيف بلا إله إلا الله يوم القيامة؟ هكذا حتى أعاده ثلاثا - فنزلت الآية فيه. ﴿ ولاتقولوا لمن ألقى إليكم السلام ﴾»[1] ولأن ذلك الرجل كان قد سلم عليهم، وأسلم لهم ﴿ لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا ﴾ يعنى: تبتغون بقتله غنيمات كانت له.

وفى رواية أن النبى ﷺ استغفر لأسامة، وأمره بإعتاق رقبة وكان أسامة من علية الصحابة، وعاش إلى زمان على - رضى الله عنه - فدعاه علىّ إلى المقاتلة معه فى الحروب، فقال لعلى: أنت أعز على من كل أحد، ولو قاتلت المسلمين مع أحد لقاتلت معك، ولكنى منذ سمعت رسول الله ﷺ قال لى: كيف بلا إله إلا الله يوم القيامة، امتنعت من القتال، فإن أعطيتنى سيفا يميز المسلم من الكافر حتى أقاتل فتركه على.

(١) هذه الحادثة ثابتة فى الصحيحين، رواها البخارى فى صحيحه (٧/ ٥٩٠ رقم ٤٢٦٩) ومسلم (٢/ ١٣١ - ١٣٢ رقم ٩٦) من حديث أسامة. وليس فيهما أن هذه الحادثة هى سبب نزول الآية.

كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى

---

وكان ممن اعتزل الفريقين هو وسعد بن أبى وقاص، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم أجمعين.

وقيل: إن قَاتِلَ صاحبِ الغنيمات، كان المقداد بن عمرو الكندى - هو ابن الأسود(١) - هذا هو القول المعروف فى سبب نزول الآية، وفى الآية قول آخر: «أنها نزلت فى محلم بن جثامة الليثى، قتل رجلا وهو يقول: لا إله إلا الله، ثم جاء إلى النبى ﷺ، وقال: يارسول الله، استغفر لى، فقال: لاغفر الله لك، فقام يبكى، وانصرف، فلما مات دفن فى الأرض، فلفظته الأرض، ثم دفن فلفظته الأرض، ثم دفن فلفظته الأرض - هكذا ثلاثا - فأمر النبى ﷺ حتى ألقى عليه الحجارة، وقال: إن الأرض لتنطبق على من هو شر منه - يعنى من محلم -، ولكن الله - تعالى - أراد أن يريكم آية»(٢).

قوله - تعالى -: ﴿لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر﴾ اعلم أن الذى نزل فى الابتداء من هذه الآية قوله: «لايستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم» قال زيد بن ثابت: «كان النبى ﷺ يملى علىّ هذه الآية، وفخذه على فخذى، فدخل عبد الله بن أم مكتوم، وقال: يارسول الله، أنا رجل ضرير، ولو استطعت أن أقاتل لقاتلت معك؛ فتغشى رسول الله ﷺ الوحى؛ فثقل فخذه على فخذى حتى كاد يرضه؛ فلما سرى عنه، قال لى: اكتب ﴿غير أولى الضرر﴾»(٣) فنزل هذا القدر فى ابن أم مكتوم، وكان ضريرا من أولى الضرر، وقوله:

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير (١٢/ ٣٠/ رقم ١٢٣٧٩)، والبزار - مختصر الزوائد - (٢/ ٧٨/ رقم ١٤٥٨) كلاهما من حديث ابن عباس.

وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٢): وإسناده جيد.

(٢) رواه الطبرى فى تفسيره (٥/ ١٤٠) عن ابن عمر.

(٣) رواه البخارى (٨/ ١٠٨/ رقم ٤٥٩٢)، وأبو داود (٣/ ١١/ رقم ٢٥٠٧)، والترمذى (٥/ ٢٢٦/ رقم ٣٠٣٣)، والنسائى (٦/ ٩-١٠/ رقم ٣٠٩٩، ٣١٠٠). وأحمد (٥/ ١٨٤، ١٩١) وغيرهم.

الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ

﴿ غير أولى الضرر ﴾ يقرأ على وجوه: «غيرُ» - برفع الراء - وتقديره: لايستوى القاعدون الذين هم غير أولى الضرر، ويقرأ: بفتح الراء، على الاستثناء(١)، يعنى: إلا أولى الضرر، وقيل: هو نصب على الحال، يعنى: فى حال الصحة، وانتفاء الضرر، كأنه قال: لايستوى القاعدون من المؤمنين أصحاء، وهذا أشهر القراءتين، وكذلك قرأ النبى ﷺ «غيرِ أولى الضرر» - بكسر الراء يعنى -، من المؤمنين غير أولى الضرر، ﴿ فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ﴾ أراد بالقاعدين هاهنا: أولى الضرر، فضل المجاهدين عليهم بدرجة؛ لأن المجاهدين باشروا الجهاد مع النية، وأولو الضرر كانت لهم نية الجهاد، ولكن لم يباشروا؛ فنزلوا عنهم بدرجة ﴿ وكلا وعد الله الحسنى ﴾ يعنى: الجنة ﴿ وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ﴾ وأراد بالقاعدين هنا: غير أولى الضرر، فضل الله المجاهدين عليهم أجرا عظيما ﴿ درجات منه ومغفرة ورحمة ﴾ قال ابن محيريز: هى سبعون درجة، ما بين كل درجتين حُضْرُ الفرس المُضَمَّر سبعين سنة، وفى الخبر: «فى الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين مابين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين فى سبيله»(٢)، وقيل: أراد بالدرجات: الإسلام، والهجرة، والجهاد، والشهادة فى الجهاد، وفاز بتلك الدرجات المجاهدون ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ﴾ قرأ عيسى بن عمر النحوى: «تتوفاهم» - بالتائين - والمعروف «توفاهم» وأصله: تتوفاهم، فادغمت إحدى التائين تخفيفا، على القراءة المشهورة، فإن قال قائل: لم قال: تتوفاهم الملائكة والمتوفى ملك واحد، كما قال: ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت ﴾؟(٣) قيل: ذكره بلفظ

(١) قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، والكسائى، وخلف، بنصب الراء، وقرأ الباقون برفعها. انظر النشر (٢/ ٢٥١).

(٢) رواه البخارى (٦/ ١٤/ رقم ٢٧٩٠)، وأحمد (٢/ ٣٣٥ ٣٣٩)، والحاكم (١/ ٨٠)، وابن أبى عاصم فى الجهاد (٢/ ٥٤٤ رقم ٢١٢) وابن حبان - الاحسان - (١٠/ ٤٧١ - ٤٧٢)، والبيهقى فى الكبرى (٩/ ١٥ - ١٦). وأبو نعيم فى صفة الجنة (ص٧٩ رقم ٢٢٤).

(٣) السجدة: ١١

ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ

الجمع، والمراد به الواحد، ومثله شائع فى كلام العرب، وقيل: إن لملك الموت أعوانا، فلعله أراده مع أعوانه؛ فلذلك ذكر بلفظ الجمع.

قال عكرمة والضحاك: الآية فى قوم أسلموا بمكة قبل الهجرة، فلما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة، تخلفوا عن الهجرة، فلما كان يوم بدر حملهم الكفار مع أنفسهم إلى بدر كرها، فقتلوا بين الكفار.

وقوله ﴿ ظالمى أنفسهم ﴾ يعنى: بالشرك؛ فإنهم قتلوا مشركين؛ إذ ماكان يقبل الإسلام بعد هجرة النبى ﷺ إلا بالهجرة، ثم أُبيح ذلك بقوله - عليه الصلاة السلام: «لاهجرة بعد الفتح»(١).

﴿ قالوا فيم كنتم ﴾ يعنى: الملائكة قالوا لأولئك الذين أسلموا ولم يهاجروا: ﴿ فيم كنتم ﴾ يعنى: فى أى الفريقين كنتم، فى المسلمين أم المشركين؟ وهذا سؤال توبيخ، لاسؤال استعلام ﴿ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ﴾ يعنى: كنا بمكة مستضعفين بين المشركين ﴿ قالوا ﴾ يعنى: الملائكة ﴿ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ يعنى: إلى المدينة ﴿ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ﴾ حكم لهم بالنار؛ لأنهم ماتوا مشركين ﴿ إلا المستضعفين ﴾ وهم أصحاب الأعذار ﴿ من الرجال والنساء والولدان ﴾ منهم الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبى ربيعة.

قال ابن عباس: كنت أنا وأمى من المستضعفين بمكة. وهم الذين دعا لهم النبى ﷺ فى القنوت، فقال: «اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام، وعياش بن أبى ربيعة والمستضعفين بمكة، واشدد وطأتك على مضر، هكذا كان يدعو لهم

(١) متفق عليه، فرواه البخارى (٤/ ٥٦/ رقم ١٨٣٤)، ومسلم (٩/ ١٧٥/ رقم ١٣٥٣) من حديث ابن عباس ورواه البخارى (٦/ ٢٢٠/ رقم ٣٠٨٠)، ومسلم (١٣/ ١٣/ رقم ١٨٦٤) من حديث عائشة.

وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا

---

شهرا، حتى نجوا، وقدموا؛ فترك ذلك الدعاء، فقيل له فى ذلك فقال: ألا ترونهم قد قدموا»(١).

﴿ لايستطيعون حيلة ﴾ يعنى: للخروج ﴿ ولايهتدون سبيلا ﴾ أى: طريقا إلى المدينة ﴿ فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ﴾ «وعسى» من الله واجب؛ لأنه للإطماع، والله - تعالى - إذا أطمع عبدا أوجب له وأوصله إليه.

﴿ وكان الله عفوا غفورا ﴾ روى: أنه لما نزلت هذه الآية، كتب بها أصحاب رسول الله ﷺ إلى المستضعفين بمكة، وكان فيهم شيخ كبير يقال له: جندع بن ضمرة - ويقال له حبيب بن ضمرة - فقال: لست من المستضعفين، وأنا أعرف طريق المدينة، وقال لبنيه: احملونى إلى المدينة، فحملوه يأتون به، فلما بلغ التنعيم؛ أدركه الموت، فبلغ ذلك أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: لو وصل إلى المدينة، لأتم الله أجره؛ فنزل قوله - تعالى -: ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ﴾ يعنى: تم أجره.

وقوله: ﴿ ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ﴾ المراغم: المهاجر، والمراغمة: المَهَاجرة، قال أبو عمر بن العلاء: وإنما سميت المهاجرة مراغمة؛ لأنه من هاجر مراغم قومه وقرابته، وقال الشاعر:

كطود يلوذ(٢) بأركانه ... عزيز المراغم والمهرب

وقال ابن عباس: مراغما، أى: متحولا يتحول إليه، وقال مجاهد: مراغما، أى: متزحزحا، وقوله: ﴿ وسعة ﴾ قال ابن عباس: معناه: وسعة فى الرزق، قال قتادة:

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، فرواه البخارى (٢/٣٣٩ رقم ٨٠٤، وأطرافه فى ٧٩٧، ١٠٠٦، ٢٩٣٣، ٣٣٨٦، ٤٥٦٠، ٤٥٩٨، ٦٢٠٠، ٦٣٩٣، ٦٩٤٠) ومسلم (٥/٢٤٧ - ٢٥٠ رقم ٦٧٥).

(٢) فى لسان العرب: يلاذ، مادة (رغم).

وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ

ومعناه: وسعة من الضلالة إلى الهدى.

﴿ ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ﴾ قد ذكرنا أنه فيم نزل ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ وإذا ضربتم فى الأرض ﴾ أى: سافرتم ﴿ فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ﴾.

قصر الصلاة فى السفر لاخلاف فى جوازه فى حال الخوف، وأما فى حال الأمن: قال سعد بن أبى وقاص: إنه لايجوز، وبه قال داود، وأهل الظاهر؛ تمسكًا بظاهر القرآن، وقال جمهور العلماء وهو قول أكثر الأمة -: إنه يجوز القصر فى حال الأمن؛ لما روى عن يعلى بن أمية أنه قال لعمر - رضى الله عنه -: «ما بالنا نقصر، وقد أمنا، والله - تعالى - يقول فى كتابه: ﴿ أن تقصروا من الصلاة إن خفتم ﴾ قال عمر: عجبت مما تعجبت أنت، فسألت النبى ﷺ، فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته»[1] وروى «أن رسول الله ﷺ سافر من مكة إلى المدينة - لايخاف إلا الله - وقصر الصلاة»[2] وكان - عليه السلام - يقصرالصلاة فى جميع أسفاره، ولم ينقل أنه أتم فى سفر ما؛ ولذلك قال الشافعى: القصر أولى؛ وإن جاز الإتمام.

وروى عن جابر، والحسن - وهو قول ابن عباس -: أن صلاة الحضر أربع ركعات، وصلاة السفر ركعتان، وصلاة الخوف ركعة، وروى عن ابن عباس أنه قال: «فرض الله - تعالى - الصلاة على لسان نبيه فى الحضر أربع ركعات، وفى السفر ركعتين، وفى

(١) رواه مسلم (٥/٢٧٣ - ٢٧٤/ رقم ٦٨٦)، وأبو داود (٢/٣/رقم ١١٩٩)، والترمذى (٥/٢٢٧/ رقم ٣٠٣٤)، والنسائى (٣/١١٦ - ١١٧/ رقم ١٤٣٣)، وابن ماجة (١/٣٣٩/ رقم ١٠٦٥) وأحمد (١/٢٥، ٣٦).

(٢) رواه الترمذى (٢/٤٣١/رقم ٤٥٧) وقال: حسن صحيح، والنسائي (٣/١١٧ - ١١٨/ رقم ١٤٣٦، ١٤٣٧) وأحمد (١/٢١٥) كلهم من حديث ابن عباس.

الصَّلاة إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا

---

الخوف ركعة»[1] وأكثرالأمة على أن القصر فى الخوف ركعتان، مثل قصر السفر، ثم اختلفوا فى القصر على قولين:أنه إباحة، أم واجب، قال بعضهم:هو إباحة، وهو اختيار الشافعى، وهو أصح؛ لقوله عزّ ذكره: ﴿فليس عليكم جناح﴾ وهو مثل قوله: ﴿فلا جناح عليهما أن يتراجعا﴾[2].

وقال بعضهم: هو واجب. والخلاف بين السلف مشهور فيه.

وقوله: ﴿إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ أى: يقتلكم، والفتنة بمعنى: القتل هاهنا، وقرأ أبى بن كعب: «أن تقصروا من الصلاة أن يفتنكم الذين كفروا» - من غير قوله: ﴿إن خفتم﴾ - ويروى عن أبى أيوب الأنصارى أنه قال: نزل قوله: ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾ هذا القدر فحسب، ثم مضى حول، ولم ينزل شىء؛ فسئل رسول الله ﷺ عن صلاة الخوف، ثم نزل قوله: ﴿إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا﴾».

﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة﴾ فأشار إلى أنه راجع إلى صلاةالخوف، لا إلى صلاة السفر.

قوله - تعالى -: ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة﴾ بَيَّنَ في هذه الآية كيفية صلاة الخوف، واعلم أن صلاة الخوف جائزة بعد رسول اللهﷺ على قول أكثر العلماء، وقال بعضهم: صلاة الخوف لاتجوز لأحد بعده، وهو قول أبى يوسف؛ تمسكا بظاهر الآية، قوله: ﴿وإذا كنت فيهم﴾ فشرط كونه فيهم، والأصح هو الأول. وقوله: ﴿وإذا كنتم فيهم﴾ ليس علي سبيل الشرط، وإنما خرج الكلام على وفق الحال، وقد ورد أن أصحاب رسول اللهﷺ صلوا بعده صلاة الخوف.

---

(١) رواه مسلم (٥/٢٧٥/ رقم ٦٨٧)، وأبو داود (٢/١٧/ رقم ١٢٤٧)، والنسائى (١/٢٢٦/رقم ٤٥٦)، وابن ماجة (١/٣٣٩/ رقم ١٠٦٨).

(٢) البقرة: ٢٣٠.

**مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ**

﴿ فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم ﴾ وسبب نزول الآية: ما روى أبو عياش الزرقى: «أن رسول الله ﷺ نزل بعسفان، وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد، فصلى النبى ﷺ مع أصحابه صلاة الظهر، فقال المشركون: قد وجدنا منهم غرة إن قصدناهم، وحملنا عليهم، فقال بعضهم: ستأتيهم صلاة هى أحب إليهم من أولادهم، وأهاليهم - يعنون صلاة العصر - فنزل جبريل، وأخبره بمقالتهم، وأمر بصلاة الخوف»(١).

وقد روى عن رسول الله ﷺ صلاة الخوف بروايات شتى، وأخذ الشافعى برواية صالح بن خوات بن جبير عن أبيه عن النبى ﷺ: «أنه صلى صلاة الخوف، فجعل أصحابه فرقتين، وصلى بإحدى الطائفتين ركعة، فقاموا، وأتموا ركعتين، وذهبوا إلى وجه العدو، وجاءت الطائفة الثانية والنبى ﷺ ينتظرهم، فصلى بهم الركعة الثانية وانتظرهم جالسا حتى قاموا وأتموا ركعتين، ثم سلم بهم»(٢) فهذا معنى قوله: ﴿ فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم ﴾.

واختلفوا فى أنهم متى يأخذون أسلحتهم؟ قال بعضهم: يأخذونه فى الصلاة؛ ليكونوا أهيب فى عين العدو؛ فعلى هذا يأخذون من السلاح ما لايمنعهم من الإتيان بأركان الصلاة، وقال آخرون: يأخذون السلاح إذا ذهبوا إلى وجه العدو.

﴿ فإذا سجدوا ﴾ يعنى: فإذا صلوا ﴿ فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم

(١) رواه أبو داود (٢/ ١١ - ١٢/ رقم ١٢٣٦)، والنسائي (٣/ ١٧٦ - ١٧٧/ رقم ١٥٤٩)، وأحمد (٤/ ٥٩ - ٦٠) وابن حبان - الإحسان (٧/ ١٢٨ - ١٢٩/ رقم ٢٨٧٦)، والحاكم في المستدركم (١/ ٣٣٧ - ٣٣٨) وصححه على شرط الشيخين، والبيهقي (٣/ ٢٥٤ - ٢٥٥)، والدارقطني وصححه (٢/ ٥٩ - ٦٠)، والواحدى فى أسباب النزول ص ١٣٣.

(٢) متفق عليه، فرواه البخاري (٧/ ٤٨٦/ رقم ٤١٢٩)، ومسلم (٦/ ١٨٣ رقم ٨٤٢). عن صالح عمن شهد مع رسول الله ﷺ غزوة ذات الرقاع،ب ورجح الحافظ فى الفتح (٧/ ٤٨٧) أنه عن صالح بن خوات عن أبيه خوات بن جبير

إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا

---

يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ﴾ والحِذْر: ما يتقى به للحذر من العدو ﴿ ود الذين كفروا لو تغفلون ﴾ لو وجدوكم غافلين ﴿ عن أسلحتكم وأمتعتكم ﴾ يعنى: بالصلاة ﴿ فيميلون عليكم ميلة واحدة ﴾ أى: فيحملون عليكم حملة واحدة.

﴿ ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم ﴾ رخص لهم فى وضع السلاح فى حال المطر، والمرض؛ لأن السلاح يثقل حمله فى هاتين الحالتين. ﴿ وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ فإذا قضيتم الصلاة ﴾ يعنى: صلاة الخوف، ﴿ فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ﴾ يعنى: الذكر بالتسبيح والتهليل، والتحميد، والتمجيد. ﴿ فإذا اطمأننتم ﴾ يعنى: فإذا سكنتم وأقمتم وأمنتم ﴿ فأقيموا الصلاة ﴾ يعنى على أركانها وهيئتها كما عرفتم ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ قال مجاهد: أى: فرضا مؤقتا يؤدى (فى)[1] أوقاته، وقال زيد بن أسلم: أراد به: فرضا مُنَجَّمًا يأتى نجم بعد نجم.

قوله - تعالى -: ﴿ ولاتهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ﴾ سبب نزول الآية: «أن الكفار يوم أحد لما انهزموا، بعث النبى ﷺ طائفة من أصحابه على إثرهم، فشكوا ألم الجراحات؛ فنزلت الآية»[2] ﴿ ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ﴾ أى: لاتضعفوا فى طلب القوم. ﴿ إن تكونوا تألمون ﴾ أى: توجعون وتشكون الألم، فإنهم يألمون، أى: يوجعون ويشكون الألم كما تألمون، قال الشاعر فى معناه:

**قاتل القوم ياخزاع ولايدخلنكم**

---

(١) في «ك»: إلى.

(٢) رواه بنحوه الطبري في التفسير (٥/١٦٩) عن عكرمة.

اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ

---

**من قتالهم، فشد القوم أمثالكم لهم شعر فى الرأس لاينشرون إن قتلوا**(١)

﴿وترجون من الله ما لايرجون﴾ أى: وتأملون من الله ما لا يأملون، من الظفر فى الدنيا، والثواب فى الآخرة، وقال الفراء والكسائى: الرجاء بمعنى الخوف، وكل راج خائف؛ لأنه يخاف ألا يدرك المأمول، ومنه قوله تعالى: ﴿ما لكم لاترجون لله وقارا﴾(٢) وأجمعوا على أن معناه: لاتخافون لله عظمة، قال الشاعر:

**لاتَرْتَجِي إذا تلاقى الزائدا أسبعة تلقى معا أم واحدا**(٣)

﴿وكان الله عليما حكيما﴾

قوله – تعالى –: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾ سبب نزول الآية: ما روى «أن طعمة بن أبيرق – من بنى ظفر بن الحارث – سرق درعا، فلما أتاهم به ألقاه فى دار يهودى، وقال: إنه سرق – وفى رواية: أودعه عند يهودى – فلما ظهر، قال: إن اليهودى سرقه؛ فجاء قومه إلى النبى ﷺ وهم بنو ظفر بن الحارث؛ ليدافعوا عنه، وهمّ النبى ﷺ بدفع السرقة عنه، وقطع يد اليهودى، وكان عند قومه أنه السارق؛ فنزل قوله: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾»(٤) أى: لتحكم بالحق. ﴿لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ أى: بما علمك ،وحكى عن ابن عباس أنه قال: إياك والرأى فإن

---

(١) كذا وقعت هذه الأبيات «بالأصل، وك».

(٢) نوح: ١٣.

(٣) وقع هذا الرجز فى لسان العرب مادة: (رجا) كما يأتى:

لاترتجى حين تُلاقى الذائدَا أسبعةً لاقَتْ معًا أو واحدا

(٤) رواه الترمذي (٥/٢٢٨ – ٢٣٠ / رقم ٣٠٣٦)، وقال: هذا حديث غريب، لا نعلم أحداً أسنده غير محمد ابن سلمة الحراني، وروى يونس بن بكير، وغير واحد هذا الحديث، عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر ابن قتادة مرسل، لم يذكروا فيه عن أبيه، عن جده.

ورواه الحاكم (٤/٣٨٥ – ٣٨٨) وصححه على شرط مسلم، والطبري في التفسير (٥/١٦٩ – ١٧١) كلهم من حديث قتادة بن النعمان.

وزاد السيوطي في الدر (٢/ ٢٣٧) فعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا

الله – تعالى – يقول: ﴿ بما أراك الله ﴾ ولم يقل: بما رأيت، ﴿ ولا تكن للخائنين خصيما ﴾ يعنى: طعمة من الخائنين، فلا تكن مدافعا عنه ﴿ واستغفر الله ﴾ أمره بالاستغفار؛ لأنه كان قد هم أن يدافع عنه ﴿ إن الله كان غفورا رحيما ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ﴾ أى: يخونون أنفسهم والاختيان: افتعال من الخيانة ﴿ إن الله لايحب ﴾ قال أهل التفسير: معناه: إن الله لايقرب ﴿ من كان خوّانا أثيما ﴾ الخوان: الخائن والأثيم: ذو الإثم.

قوله – تعالى –: ﴿ يستخفون من الناس ولايستخفون من الله وهو معهم ﴾ بشكوى بنى ظفر بن الحارث، معناه: يستترون من الناس، ولايستترون من الله، وهو معهم ﴿ إذ يبيتون ما لا يرضى من القول ﴾ قد بينا أن التبييت: تدبير الفعل ليلا؛ وذلك التبييت منهم أن قوم طعمة قالوا: ندفع أمره إلى النبى ﷺ؛ فإنه يسمع يمينه، وقوله؛ لأنه مسلم، ولايسمع من اليهودى؛ لأنه كافر، فلم يرض الله – تعالى – قولهم ﴿ وكان الله بما تعملون محيطا ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ ها أنتم هؤلاء ﴾ يعنى: أنتم يا هؤلاء، قال الزجاج: معناه: ها أنتم الذين ﴿ جادلتهم عنهم فى الحياة الدنيا ﴾ أى: خاصمتم، وأصل الجدال: الجدل، وهو الفتل، ويقال: شخص أجدل، إذا كان وثيق الخلق، ويقال للصقر: أجدل؛ لأنه أقوى الطيور على الصيد.

﴿ فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ﴾ يعنى: من الذى يتولى أمرهم، ويذب عنهم يوم القيامة؟

قوله – تعالى –: ﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما ﴾ عرض التوبة على طعمة وقومه فى هذه الآية، وأمرهم بالاستغفار.

﴿١٠٨﴾ هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً ﴿١١٢﴾ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ

قوله – تعالى –: ﴿ ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه ﴾ سبب هذا أن قومه قالوا له: تب إلى الله، فحلف أنى ما سرقته، وإنما سرقه اليهودى؛ فذلك الذى يقول الله – تعالى – ومن كسبه الإثم ﴿ وكان الله عليماً حكيماً ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثما ﴾ هو سرقته التى ذكرنا، ﴿ ثم يرم به بريئاً ﴾ هو نسبته السرقة إلى اليهودى الذى كان بريئا عنها ﴿ فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا ﴾ فالبهتان: الكذب الذى يتحير منه الإنسان، وهو البهت، وأراد بالإثم المبين: اليمين الفاجرة.

قوله – تعالى –: ﴿ ولولا فضل الله عليك ورحمته ﴾ هذا خطاب للرسول ﷺ ﴿ لهمت طائفة منهم أن يضلوك ﴾ يعنى: قوم طعمة، هموا أن يُلَبِّسُوا عليك؛ لتدافع عنه ﴿ وما يضلون إلا أنفسهم ﴾ أى: يرجع وباله عليهم ﴿ وما يضرونك من شىء ﴾ يعنى: ضرره عائد عليهم، ولايضرك؛ لأنك معصوم ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ﴾ قيل: أراد به: وأنزل الله عليك الكتاب بالحكمة، وقيل: أراد بالكتاب: القرآن، وبالحكمة: السنة ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم ﴾ يعنى: من أحكام القرآن، وقيل: من علم الغيب، وقيل: علمك قدرك، ولم تكن تعلمه ﴿ وكان فضل الله عليك عظيما ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة ﴾. النجوى: السرائر فى التدبير، قال الزجاج: كل ما انفرد بتدبيره قوم يخوضون فيه؛ فهو نجوى: سرا كان أو علانية، وأراد ها هنا: نجوى قوم طعمة وتدبيرهم، وقيل: هو فى جميع الحوادث.

﴿ إلا من أمر بصدقة ﴾ قيل: أراد به إلا نجوى من أمر بصدقة، وقيل: هو استثناء منقطع، يعنى: لكن من أمر بصدقة ﴿ أو معروف ﴾ وهو كل ما عرفه الشرع ﴿ أو

عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ

إصلاح بين الناس﴾ وفى الخبر: «كل كلام ابن آدم عليه إلا ثلاثة: أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، أو ذكر الله»(١) وقيل لسفيان بن عيينة - حين روى هذا الحديث؛ فقالوا -: ما أشد هذا الحديث؟! فقال: اقرءوا قوله - تعالى -: ﴿لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة﴾ الآية.

وروى: أن رسول الله ﷺ قال لأبى أيوب الأنصارى: «ألا أدلك على صدقة هى خير لك من حمر النعم - أى: من الصدقة بحمر النعم؟ - قال: بلى يارسول الله، فقال ﷺ: أن تصلح بين الناس إذا تفاسدوا، وأن تقرب بينهم إذا تباعدوا»(٢). ﴿ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ أراد به: طعمة، جادل النبى ﷺ، ثم لحق بمكة، وارتد حين ظهر عليه الحكم بالقطع.

قال سعيد بن جبير: إنه لما لحق بمكة سرق هنالك، فوجد فى نقب يسرق؛ فقتل.

(١) رواه الترمذي (٤/٥٢٥ - ٥٢٦/ رقم ٣٩٧٤)، وقال حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن يزيد ابن خنيس، وابن ماجه (٢/١٣١٥/ رقم ١٩٧٤)، وأحمد فى الزهد (ص٢٢-٢٣)، وأبو يعلى (١٣/٥٦ رقم ٧١٣٢)، والطبرانى فى الكبير (٢٣/٢٤٣ رقم ٤٨٤)، والحاكم (٢/٥١٢ - ٥١٣)، وأبو يعلى (١٣/٥٦/ رقم ٧١٣٢)، والطبراني في الكبير (٢٣/٢٤٣/ رقم ٤٨٤)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص١٢ - ١٣/ رقم٥) من حديث أم حبيبة.

(٢) رواه البزار - مختصر الزوائد - (٢/٢٢٢/ رقم ١٧٤١)، وقال: لا نعلمه يروى عن أنس إلا من هذا الوجه، ولا نعلم حدث به عن حميد إلا عبد الله بن عمر، ولا عنه إلا ابنه عبد الرحمن، وهو لين الحديث، حدث باحاديث لم يتابع عليها.

قلت: ولفظه: «ألا أدلك على تجارة...».

وقال الهيثمي في المجمع (٨/٨٣): وفيه عبد الرحمن بن عبد الله العمري، وهو متروك.

مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ

وفى بعض القصص: أنه حين لحق بمكة نزل على الحجاج بن غلاط الأسلمى، فقام فى بعض الليل يسرق، فأحسوا به، فأخذوه، واجتمعوا عليه، و قالوا: إنه ضيف، وتركوه؛ فلحق بحرة بنى سليم، وكان يعبد الأصنام، ومات عليه؛ ففيه نزلت الآية ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين ﴾ لأنه لما ارتد، فقد اتبع غير سبيل المؤمنين.

واستدل أهل العلم بهذه الآية على أن الإجماع حجة.

قوله: ﴿ نوله ما تولى ﴾ أى: نوله ما اختاره، وقيل: نَكِلْهُ إلى (من)[1] تولاه ﴿ ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ وقد ذكرنا معنى الآية فيما سبق ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ روى أبو عيسى الترمذى بإسناده عن على – رضى الله عنه – أنه قال: هذه أحب آية إلىّ فى القرآن.

قوله – تعالى –: ﴿ إن يدعون من دونه ﴾ أى: ما يدعون من دونه ﴿ إلا إناثا ﴾ قيل: معناه: الأوثان، وإنما سميت الأوثان إناثا؛ لأنهم كانوا يسمونها باسم الإناث، فيقولون: اللات، والعزى، ومناة، وكانوا يقولون لصنم كل قبيلة: أنثى بنى فلان، قال أبى بن كعب: كان مع كل صنم جنِّية من الشياطين، وقيل: معناه: الموَات وإنما سمى الموات إناثا؛ لأن الإناث أرذل الجنسين، وأدونهما، فكذلك الموات أرذل من الحيوان، وكانت أصنامهم من الموات والجماد.

قال الضحاك: أراد به: الملائكة، وكانوا يقولون: الملائكة إناث، وكان بعضهم

(١) في «ك»: ما.

لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا

يعبدون الملائكة، ويصورون الأصنام على صور الملائكة، وقرأ ابن عباس: «إلا أُثُنًا» جمع الأوثان، وقرئ فى الشواذ أيضا «إلا أُنُثًا» جمع الإناث؛ فيكون على جمع الجمع كالمُثُل. ﴿وإن يدعون إلا شيطانا مريدا﴾؛ لأنهم إذا عبدوا الأصنام، فقد أطاعوا الشيطان، وأراد به: إبليس، والمَريد العاتى المتمرد، وحقيقته: العارى من كل خير، ومنه الأمرد، ويقال: شجرة مرداء، إذا تساقطت أغصانها.

﴿لعنه الله﴾ أى: أبعده الله من الرحمة؛ معاقبة، ولذلك لايجوز لعن البهائم؛ لأنها لاتستوجب العقوبة، والطرد عن الرحمة. ﴿وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا﴾ أى: مقدارا معلوما، قيل فى التفسير: من كل ألف تسعمائة وتسعة و تسعون للشيطان وواحد لله. وأصل الفَرْض: الحزّ والقطع، ومنه فرض القوس: وهو الشق الذى يجعل فيه الوَتَر. ومنه فَرْض السواك: وهو الموضع الذى يجعل فيه الخيط، ومنه فُرْضة البحر: وهو المشرع الذى توقف إليه السفينة، والفرض: نوع من التمر يكون بعمان، قال الشاعر:

**إذا أكلت سمكا وفرضًا ذهبت طولاً وذهبت عرضًا**

قوله – تعالى –: ﴿ولأضلنهم﴾ أى: لأغوينهم، فإن قال قائل: كيف نسب إليه الإضلال، وليس إليه الضلالة؟ قلنا: معناه: التزيين والدعوة إلى الضلالة، وقد قال ﷺ: «بعثت داعيا، وليس إلى من الهداية شىء، وبعث الشيطان مزيِّنًا، وليس إليه من الضلالة شىء»(١). ﴿ولأمنينهم﴾ قيل: معناه: أمنينهم ركوب الأهواء، وقيل

(١) رواه العقيلي (٢/٨ – ٩) في ترجمة خالد بن عبد الرحمن أبي الهيثم وقال: ليس بمعروف بالنقل، وحديثه غير محفوظ، ولا يعرف له أصل.

ورواه ابن عدي في الكامل (٣/٣٩)، وابن حبان فى المجروحين (١/٢٧٧)، والدولابى فى الكنى (٢/١٥٧)، والسهمى فى تاريخ جرجان (ص٣٩٥)، وابن بطة فى الإبانة – كتاب القدر – (٢/١/٧١ رقم ١٢٨٣)، وابن الجوزى فى الموضوعات (١/٢٧٢–٢٧٣).

وقال الدارقطنى فى تعليقه على المجروحين (ص٨٨) عن خالد بن عبد الرحمن العبدى أبى الهيثم، رجل مجهول، لا أعلمه روى شيئا من الحديث غير هذا الحديث الباطل.

مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن

---

معناه: أمنينهم طول العمر فى النعيم؛ ليؤثروا الدنيا على الآخرة، وقال الزجاج: معناه: أمنيهم إدراك الآخرة مع ركوب المعاصى.

﴿ ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ﴾ أراد به: البحيرة التى تأتى فى سورة المائدة، والبَتْك: القطع، والمراد به: شق الآذان، ﴿ ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ﴾ قال ابن عباس - فى إحدى الروايتين، وهو قول مجاهد -: معناه: فليغيرن دين الله، أى: وضع الله فى الدين: بتحليل الحرام، وتحريم الحلال، ونحو ذلك، والرواية الثانية عن ابن عباس - وهو قول أنس، وعكرمة -: أراد به: إخصاء الأنعام، وكان أنس يكره إخصاء البهائم من أجل هذا، وكان يجيزه الحسن، وقال ابن مسعود: أراد به الوشم، ويحتمل أن يكون المراد به تغيير الأنساب؛ وذلك أن ينتقل من نسب إلى نسب، ويحتمل أن يكون المراد به: الخضاب بالسواد، وهو منهى عنه، وإنما الخضاب المباح بالحمرة، والصفرة ﴿ ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله ﴾ أى: يواليه باتباعه ﴿ فقد خسر خسرانا مبينا ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ يعدهم ﴾ وعده قد يكون بالتخويف[1] كما قال الله - تعالى - ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ﴾[2] وقيل: إنه يتمثل فى صورة الآدمى، فيعد، ويمنى، وكان قد ظهر يوم بدر فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم وظهر فى اليوم الذى اجتمعت فيه قريش، وتشاوروا فى إخراج النبى ﷺ، فى صورة شيخ من نجد.

وقوله ﴿ ويمنيهم ﴾ قد ذكرنا، ومن ذلك تمنى الإنسان قضاء الشهوات.

واعلم أن الإنسان لا يؤاخذ بغلبة الشهوة، واشتهاء الشهوات؛ لأن ذلك شىء جُبِلَ عليه، ويؤاخذ بالتمنى، وذلك أن يتمنى خمراً ليشربه، أو امرأة؛ ليزنى بها، فذلك من المعصية، ويؤاخذ به ﴿ وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾ الغرور: إيهام الوصول إلى النفع من موضع الضر ﴿ أولئك مأواهم جهنم ولايجدون عنها محيصا ﴾ أى: معدلا.

---

(١) فى «ك» بالتحريف خطأ.

(٢) البقرة: ٢٦٨.

تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ

قوله – تعالى –: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا﴾ فإن قيل: ما الفائدة فى تكرار الوعد والوعيد فى القرآن؟ قيل: فائدته: التوكيد، قطعا من سواء التأويل، وقيل: إنما كرر الوعد على تفاصيل الإيمان، وكرر الوعيد على تفاصيل الكفر، ﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾ أى: قولا.

قوله – تعالى –: ﴿ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب﴾ قال مسروق – هو أبو عائشة مسروق بن الأجدع الهمدانى –: أراد به: ليس بأمانيكم أيها المسلمون، ولا أمانى أهل الكتاب، وهم اليهود، والنصارى.

وقال مجاهد: أراد بقوله: ﴿ليس بأمانيكم﴾ مشركى العرب، ﴿ولا أمانى أهل الكتاب﴾ يعنى: اليهود، والنصارى، فعلى القول الأول معنى الآية: أن اليهود قالوا: نحن أولى؛ لأن ديننا أقدم وكتابنا أقدم.

وقالت النصارى: نحن أولى؛ لأنا على دين عيسى، وهو روح الله، وكلمته، وكان يحيى الموتى.

وقال المسلمون: نحن أولى؛ لأن نبينا خاتم النبيين، وكتابنا ناسخ للكتب، وقد آمنا بكتابكم، ولم تؤمنوا بكتابنا؛ قال الله – تعالى –: ﴿ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب﴾ يعنى: ليس الأمر بالأمانى، وإنما الأمر بالعمل الصالح، وقد قال ﷺ: «ليس الدين بالتمنى، ولا بالتحلى . .[1]» الخبر.

وأما على القول الثانى: معنى الآية: أن اليهود والنصارى قالوا: نحن أهل الجنة،

(١) رواه الديلمي في مسند الفردوس (٣/ ٤٥٠)، وابن النجار في الذيل (١٧/ ٤٨)، وابن عدي فى الكامل (٦/ ٢٨٨ – ٢٨٩) وحكم عليه الشيخ الألباني في الضعيفة رقم [١٠٩٨] بالوضع، وانظر كلام الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف في كتابه «تبيض الصحيفة» (ص٩٩ – ١٠٢/رقم ٣٣)، وهو عندهم بلفظ: «ليس الإيمان . . .».

وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ

---

وذلك قول الله - تعالى -: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى﴾[1] وقال المشركون: لاجنة، ولا نار، ولا بعث؛ قال الله - تعالى -: ﴿ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب﴾ أى: ليس كما قال المشركون، ولا كما قال اليهود والنصارى.

﴿من يعمل سوءًا يجز به﴾ قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتاده، وجماعة المفسرين: إن الآية على العموم فى حق كل عامل. وقال الحسن: أراد به: أهل الشرك.

وفى حديث أبى هريرة: «أن هذه الآية لما نزلت، قالت الصحابة: أينا لم يعمل سوءًا؟! وشقت عليهم الآية، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ فى ذلك، فقال: ما منكم من أحد تصيبه مصيبة، إلا كفر عنه، حتى الشوكة يشاكها، والنكبة ينكبها»[2].

وروى: «أن أبا بكر دخل على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «ألا أقرئك آية أنزلت علىّ؟ قال: بلى[3] فقرأ: ﴿من يعمل سوءًا يجز به﴾ قال أبو بكر: فوجدت انقصاما فى ظهرى، فقال - عليه السلام -: مالك يا أبا بكر؟ فقلت: كيف النجاة بعد هذه الآية، هلكنا، وأينا لم يعمل سوءا؟! فقال ﷺ: أما أنت يا أبا بكر، والمؤمنون تجزون به فى الدنيا، فتلقون الله - تعالى - وما عليكم ذنب، وأما الكافرون يجمع عليهم، ثم يجزون به فى الآخرة»[4] وفى رواية قال له - عليه السلام -:

---

(١) البقرة: ١١١.

(٢) رواه مسلم (١٦/ ١٩٦ - ١٩٧/ رقم ٢٥٧٤)، والترمذي (٥/ ٢٣١/ رقم ٣٠٣٨)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٢٨/ رقم ١١١٢٢).

(٣) فى «الأصل وك»: نعم، وله وجه انظر مغنى اللبيب (٢/ ٣٤٦) وما أثبتناه من مصادر تخريج الحديث، وهو الأشهر.

(٤) رواه الترمذي (٥/ ٢٣١ - ٢٣٢/ رقم ٣٠٣٩)، وعبد بن حميد - المنتخب - (ص٣١/ رقم٧)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وفي إسناده مقال، موسى بن عبيدة يضعف في الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد، وأحمد بن حنبل، ابن سباع مجهول، وقد روى هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي بكر، وليس له إسناد صحيح أيضا.

نقيراً ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

«ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ ألست تمرض؟ أليس تصيبك اللأواء؟ فذلك الذى تجزون به»(١) فهذا معنى قوله - تعالى -: ﴿من يعمل سوءا يجز به ولايجد له من دون الله وليا ولا نصيرا﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا﴾ أى: مقدرا النقير، وذلك أن الله - تعالى - لما أحال الخلق على العمل بَيَّنَ العمل فى هذه الآيات، وجزاء العمل.

قوله - تعالى -: ﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله﴾ أى: أخلص عبادته لله، وقيل: توجه بعبادته إلى الله، والوجه يذكر بمعنى: الدين والعبادة، ومنه قول المصلى: وجهت وجهى، أى: دينى وهو الصلاة.

﴿وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا﴾ وإنما خص إبراهيم؛ لأنه كان مقبول الأمم أجمع، وقيل: لأنه ﷺ بُعِثَ على ملة إبراهيم، وزيد له أشياء.

﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ يعنى: حبيبا، لاخلل فى حبه، والخلة: صفاوة المودة، فمعناه: أنه اتخذه حبيبا، وجعله صفيه، وخاص نفسه، كما يكون الحبيب مع الحبيب، قال الشاعر:

**قد تخللت مسلك الروح منى ... وبذا سمى الخليل خليلا**

وقيل: المحتاج من الخَلَّة، وهى الحاجة، يعنى: جعل حاجته إلى نفسه دون غيره، وقال الشاعر:

**وإن أتاه خليل يوم مسألة ... فقال(٢) لاغائب مالى ولاحَرِمُ**

(١) رواه أحمد (١/ ١١)، والطبري (٥/ ١٨٩)، وأبو يعلى (١/ ٩٧ - ٩٨/ رقم ٩٧ - ١٠١)، وهناد في زهده (١/ ٢٤٨/ رقم ٤٢٩)، وابن حبان - الإحسان - (٧/ ١٧٠ - ١٧١/ رقم ٢٩١٠)، والحاكم (٣/ ٧٤ - ٧٥) وصححه، والبيهقي (٣/ ٣٧٣).

(٢) فى لسان العرب (مادة: حرم): يقول، وانظر (مادة: خلل).

مُحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ

يعنى: وإن أتاه محتاج، والأول أصح؛ لأن قوله ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ يقتضى الخلة من الجانبين، ولايتصور الحاجة من الجانبين. وفى الخبر قال ﷺ: «إن الله اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا خليلا، لاتخذت أبا بكر؛ ولكن ود وإخاء إيمان، وإن صاحبكم خليل الله»(١).

قوله - تعالى -: ﴿ولله ما فى السموات وما فى الأرض وكان الله بكل شىء محيطا﴾ المحيط: هو العالم بالشىء بجميع ما يتصور العلم به.

قوله - تعالى -: ﴿ويستفتونك فى النساء﴾ أى: يطلبون فتواك فى النساء، قيل: هذا فى أم كُجَّة وقد بينا قصتها، وأن أهل الجاهلية كانوا لايورثون النساء والصبيان.

﴿قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب﴾ قال الزجاج: يعنى: ويفتيكم كما يتلى عليكم فى الكتاب ﴿فى يتامى النساء﴾ هذا إضافة الشىء إلى نفسه؛ لأنه أراد باليتامى: النساء ﴿اللاتى لاتؤتونهن ما كتب لهن﴾ قال الحسن، وجماعة: أراد به: لا تؤتونهن حقهن من الميراث ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ به، بمعنى: عن أن تنكحوهن لدمامتهن، وحملوا الآية على الميراث.

وقالت عائشة: أراد به: لا تؤتونهن ما كتب لهن من الصداق. وقوله: ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ يعنى: فى أن تنكحوهن، ﴿والمستضعفين من الولدان﴾ يعنى:

(١) رواه الترمذى (٥/٥٦٧-٥٦٨ رقم ٣٦٥٩)، وقال حسن غريب، وأحمد (٣/٤٧٨)، والطبرانى فى الكبير (١٢/٣٢٨ رقم ٨٢٥)، والدولابى فى الكنى (١/٥٥-٥٦)، والبيهقى فى الدلائل (٧/١٧٥) كلهم من حديث أبى المعلى الأنصارى.

ورواه بنحوه مسلم في صحيحه (٦/١٨ - ١٩/ رقم ٥٣٢)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٢٨/ رقم ١١١٢٣)، وأبو عوانة في صحيحه (١/٤٠١) كلهم من حديث جندب - رضي الله عنه -.

وأخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص١٣٦) من طريق عبد الله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القاسم، وقد تقدم أن هذا الإسناد تالف.

امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن

ويفتيكم فى المستضعفين من الوالدان، وهم الصغار ﴿وأن تقوموا لليتامى بالقسط﴾ أى: بالعدل ﴿وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا﴾ النشوز: هو الارتفاع، والمراد به، ارتفاع الزوج، والتكبر بنفسه على الزوجة، ومنه النشز. ﴿أو إعراضا﴾ يعنى: أو خافت إعراضا من الزوج ﴿فلا جناح عليهما أن يصلحا﴾ وقرئ: «أن يصالحا»[1] بينهما صلحا» يعنى: بين الزوجين، واختلفوا فيمن نزلت الآية، قال بعضهم: نزلت فى امرأة رافع بن خديج؛ فإنها كبرت، وتزوج رافع عليها شابة وخافت أن يعرض عنها؛ فنزلت الآية.

وقوله: ﴿أن يصلحا بينهما صلحا﴾ يعنى: أن يترك شيئا من القسم، وترضى بأن يكون القسم للشابة أكثر، وقيل: هو الصلح عن المهر بالإبراء، ونحوه، والقول الثانى: أن الآية نزلت فى سودة بنت زمعة؛ أراد النبى ﷺ أن يطلقها؛ فقالت: لا تطلقنى، قد وهبت ليلتى لعائشة، فلا تطلقنى حتى[2] أحشر يوم القيامة فى زمرة نسائك[3].

﴿والصلح خير﴾ قيل: أراد به: الصلح خير من الفرقة، وقيل: أراد به: الصلح خير من النشوز، والإعراض ﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾ والشح: البخل، وقيل: هو أقبح البخل، وحقيقته: الحرص على منع الخير، وأراد به: شح الزوجين على حقيهما ﴿وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾.

---

(١) قرأ عاصم، وحمزة، والكسائى: يُصَّلِحا، بضم الباء، وإسكان الصاد وكسر اللام من غير ألف.
وقرأ الباقون: بفتح الياء، والصاد واللام، وتشديد الصاد، وألف بعدها: انظر النشر (٢/ ٣٥٢).

(٢) فى «الأصل»: فلما تطلقنى حتى، وفى «ك»: لأجل أن.

(٣) رواه الترمذي (٥/ ٢٣٢/ رقم ٣٠٤٠)، وقال: حسن غريب، والطبري في التفسير (٥/ ١٩٩)، وأبو داود الطيالسي (ص٣٤٩/ رقم ٢٦٨٣)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٨٤/ رقم ١١٧٤٦)، والبيهقي (٧/ ٢٩٧) كلهم من حديث ابن عباس.
وروي من حديث عائشة، رواه أبو داود (٢/ ٢٤٣/ رقم ٢١٣٥)، والحاكم (٢/ ١٨٢) وصحح إسناده.

تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

قوله – تعالى –: ﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ﴾ قال عمر، وعلى، وابن عباس، أراد بالعدل: المحبة فى القلب ﴿ فلا تميلوا كل الميل ﴾ يعنى: إن ملتم فى المحبة، فلا تميلوا فى القَسْم، وقد قال ﷺ: «اللهم هذا قَسْمى فيما أملك، فلا تؤخذانى فيما لا أملك»(١) ﴿ فتذروها كالمعلقة ﴾ يعنى لا أيِّمًا ولا ذات بعل، وقيل: كالمحبوسة ﴿ وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته ﴾ يعنى: الزوجين إذا تفرقا، فالزوج يجد الزوجة، والزوجة تجد الزوج ﴿ وكان الله واسعا حكيما ﴾ أى: واسع الفضل والرحمة والقدرة.

قوله – تعالى –: ﴿ ولله ما فى السموات وما فى الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ﴾ هذه وصية الله العباد بالتقوى، ﴿ وإن تكفروا فإن لله ما فى السموات وما فى الأرض وكان الله غنيا حميدا ﴾.

﴿ ولله ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا ﴾ فإن قيل: أى فائدة فى تكرار قوله: ﴿ ولله ما فى السموات ومافى الأرض ﴾ قيل: لكل واحد منها وجه:

أما الأول: فمعناه: ولله ما فى السموات وما فى الأرض، وهو يوصيكم بالتقوى، فاتقوه، واقبلوا وصيته.

---

(١) رواه أبو داود (٢/٢٤٢/ رقم ٢١٣٤)، والترمذي (٣/ ٤٤٦/ رقم ١١٤٠)، والنسائي (٧/٦٤/ رقم ٣٩٤٣)، وابن ماجه (١/٦٣٤/ رقم ١٩٧١)، وأحمد (٦/ ١٤٤)، والدارمي (٢/١٩٣/ ٢٢٠٧) والحاكم (٢/١٨٧) وصححه على شرط مسلم، وابن حبان – الإحسان (١٠/٥/ رقم ٤٢٠٥)، وابن أبي حاتم في العلل (١/٤٢٥/ رقم ١٢٧٩) وقال سمعت أبا زرعة يقول: لا أعلم أحداً تابع حماداً على هذا. قلت: روى ابن علية، عن أيوب، عن أبي قلابة، قال: «كان النبي ﷺ يقسم بين نسائه...» الحديث مرسل. وكذا قال النسائي: أرسله حماد بن زيد. ورجح الترمذي رواية حماد بن زيد المرسلة على رواية حماد بن سلمة المتصلة.

مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ

---

وأما الثانى: يقول: فإن لله ما فى السموات وما فى الأرض، وكان الله غنيا حميدا؛ فاطلبوا منه ما تطلبون.

وأما الثالث يقول: ولله ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا، أى: اتخذوه وكيلا ولا تتكلوا على غيره.

قوله - تعالى -: ﴿إن يشاء يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين﴾ روى: «أن النبى ﷺ كان يضرب بيده كتف سلمان، ويقرأ: ﴿ويأت بآخرين﴾ ويقول: سلمان وأصحابه»[1] ﴿وكان الله على ذلك قديرا﴾.

قوله - تعالى -: ﴿من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾ أراد به: الكفار؛ فإنهم يعملون[2] ابتغاء ثواب الدنيا، وطلبا لنعيمها، ولايطلبون ثواب الآخرة، ولايؤمنون بها؛ فقال الله - تعالى -: ﴿من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعًا بصيرا﴾.

قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط﴾ القوَّام: مبالغة من القائم، والقسط: العدل، ومعناه: كونوا قائلين بالعدل ﴿شهداء لله﴾ لأنهم إذا شهدوا بالحق وقاموا بالعدل، كانوا شهداء لله ﴿ولو على أنفسكم﴾ فإن قيل: كيف يشهد على نفسه؟ قيل: شهادته على نفسه: هو الإقرار، وهو معنى ما روى عن ابن عباس: «قولوا الحق ولو على أنفسكم».

﴿أو الوالدين والأقربين﴾ أى: قولوا الحق، ولو على الوالدين والأقربين، قيل: نزلت الآية فى رجل كانت عنده شهادة على أبيه، فهم أن يمتنع عنها؛ فنزل قوله:

---

(١) أخرجه الطبرى فى التفسير (٥/٢٠٥) من حديث أبى هريرة، وقال الزيلعى فى تخريج الكشاف (١/٣٦٤/ رقم ٣٨٠): وفيه انقطاع؛ فإن الطبرى لم يسمع من شيخه.

(٢) فى «الأصل، وك»: يعلمون، وهو تصحيف.

**الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**

﴿ أو الوالدين والأقربين ﴾، ﴿ إن يكن غنيا أو فقيرا ﴾ قال السدى: نزل ذلك فى رجلين اختصما إلى النبى ﷺ، أحدهما غنى، والآخر فقير، وكان ضلع النبى - عليه السلام - إلى الفقير، وكان عنده أن الفقير لايخاصم بالباطل، وكان الحق للغنى فى الباطن؛ فنزلت الآية ﴿ إن يكن غنيًا أو فقيرًا ﴾(١).

قال ابن عباس: معناه: لاتحابوا الغنى لغناه، ولاترحموا الفقير لفقره، وقال عطاء: لاتحيفوا على الفقير، ولا تعظموا الغنى؛ فهذا معنى الآية، وحقيقة المعنى: قوموا بالشهادة، سواء كان المشهود عليه غنيا أو فقيرا، وسواء كان المشهود له غنيا أو فقيرا، ولاتمتنعوا عن الشهادة للغنى لغناه، ولا عن الشهادة على الفقير لفقره.

وقوله: ﴿ إن يكن غنيا أو فقيرا ﴾: يعنى: إن يكن المشهود عليه غنيا، أو فقيرا ﴿ فالله أولى بهما ﴾ أى: كلوا أمرهما إلى الله، قال الحسن: معناه: فالله أعلم بهما. ﴿ فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ﴾ قيل: معناه: فلا تتبعوا الهوى بأن تعدلوا، أى: لتكونوا عادلين، كما يقال: لا تعص فَتُرضِى ربك، وقيل: معناه: لا تتبعوا الهوى لتميلوا من الحق إلى الباطل ﴿ وإن تلووا ﴾ وهى من اللَّىّ قال الشاعر:

**وكنت داينت به حسانا ... مخافة الإفلاس والليانا**

وفى معناه قولان: أحدهما: أنه خطاب للحكام، ومعنى ﴿ وإن تلووا ﴾ أى: تميلوا إلى أحد الخصمين، أو تعرضوا عنه.

والثانى - وهو قول أكثر المفسرين - أنه خطاب للشهود، واللَّىّ منهم: تحريف الشهادة» والإعراض: كتمان الشهادة والأول: قول ابن عباس، وأما القراءة الثانية: «وإن تَلُوْا(٢)» فيه قولان: أحدهما: أن أصله: «وإن تلووا» فإدخلت إحدى الواوين

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدى (ص ١٣٨)

والضَّلْعُ: الميل. انظر لسان العرب (مادة: ضلع).

(٢) هى قراءة: ابن عامر، وحمزة، بضم اللام، وواو ساكنة بعدها انظر النشر (٢/ ٣٥٢).

﴿١٣٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ

فى الأخرى تخفيفًا، والمعنى ما بينا، والثانى: أنه من الولاية، يعنى: وإن تلوا القيام بأداء الشهادة ﴿أو تعرضوا﴾ فتتركوا أداء الشهادة ﴿فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾.

قول – تعالى –: ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله﴾ أكثر المفسرين على أنه فى المؤمنين، ومعناه: يا أيها الذين آمنوا آمنوا، أى: اثبتوا على الإيمان، كما يقال: قف حتى أرجع إليك – للرجل الواقف – أى: اثبت واقفا.

وقال مجاهد: هو خطاب للمنافقين، ومعناه: يا أيها الذين آمنوا باللسان آمنوا بالقلب، وقال الضحاك – وهو رواية الكلبى عن ابن عباس –: هو خطاب لأهل الكتاب، ومعناه: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد ﴿والكتاب الذى نزل على رسوله﴾ يعنى: القرآن ﴿والكتاب الذى أنزل من قبل﴾ يعنى: الكُتب المنزلة من قبل القرآن.

﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا﴾ أى: بعيدا عن الحق.

قوله – تعالى –: ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا﴾ قال قتادة: هذا فى اليهود، آمنوا بموسى، ثم كفروا به بعبادة العجل، ثم آمنوا بموسى بالتوبة، ثم كفروا بعيسى، ثم ازدادوا كفرا بمحمد، وقيل: هو فى جميع أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ آمنوا بنبيهم، ثم كفروا به، وآمنوا بكتابهم، ثم كفروا به ثم ازدادوا كفرًا بمحمد. وقال مجاهد: هو فى قوم مرتدين آمنوا، ثم ارتدوا، ثم آمنوا، ثم ارتدوا.

ومثل هذا هل تقبل توبته؟

قال على: لاتقبل توبته؛ فإنه إذا آمن، ثم كفر، ثم آمن، ثم كفر، فلو أراد أن يؤمن

وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي

لايقبل منه، ويقتل؛ لقوله – تعالى –: ﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾.

وأكثر أهل العلم على أنه: تقبل توبته، ويحتمل أن تكون الآية فى المنافقين، وقوم من أهل الكتاب، كانوا يؤمنون باللسان، ثم يرجعون إلى الكفر، ثم يأتون، فيؤمنون، ثم يرجعون إلى الكفر.

﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾ فإن قيل: أيش معنى قوله – تعالى –: ﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾، ومعلوم أن الله لايغفر الكفر؟ قيل: أجاب النقاش فى تفسيره أن معناه: أن الكافر إذا أسلم، يغفر له كفره السابق، فهذا الذى أسلم، ثم كفر ثم أسلم، ثم كفر، لايغفر كفره السابق الذى كان يغفر لو ثبت على الإسلام ﴿ولا ليهديهم سبيلا﴾ أى: طريقا إلى الحق.

قوله – تعالى –: ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما﴾ فإن قيل: ما معنى البشارة بالعذاب الأليم؟ قيل: أصل البشارة: كل خبر تتغير به بشرة الوجه، سارًّا كان أم مكروها، لكنه فى الغالب إنما يستعمل فى الخبر السار، فإذا استعمل فى الخبر السيء كان على الأصل، وقيل: أراد به: ضع هذا موضع البشارة، كما تقول العرب: تحيتك السوط، وعقابك السيف.

يعنى: وضعت السوط مع التحية، قال الشاعر:

**وخيل قد دلفت بها لخيل ... تحية بَيْنهِم ضربٌ وجيعُ**

قوله – تعالى –: ﴿الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ هذا فى المنافقين، كانوا يوالون الكفار، ويظنون أن النصرة والغلبة لهم ﴿أيبتغون عندهم العزة﴾ يعنى: أيطلبون عندهم القوة والغلبة ﴿فإن العزة لله جميعا﴾ أى: القوة والغلبة كلها لله – تعالى –.

**الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا**

فإن قال قائل: قد نرى فى[1] بعض الأحوال الغلبة للكفار؛ فما معنى قوله: ﴿فإن العزة لله جميعا﴾؟ قيل: معناه: أن المقوى هو الله - تعالى - فى الأحوال كلها.

وقيل: معناه: الغلبة بالحجة لله جميعا[2].

قوله - تعالى -: ﴿وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾.

هذا إشارة إلى ما أنزل فى سورة الأنعام ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم...﴾[3] الآية. نهىَ عن القعود معهم، وما حكم القعود معهم؟ أما إذا قعد معهم... ورضى بما يخوضون فيه، فهو كافر مثلهم، وهو معنى قوله: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾. وإن قعد، ولم يرض بما يخوضون فيه، فالأولى أن لا يقعد، ولكن لو قعد كارها، فلا يكفر، وهذا هو الحكم فى كل بدعة يخاض فيها، فلو تركوا الخوض فيه وخاضوا فى حديث غيره، فلا بأس بالقعود معهم وإن كره؛ لقوله ﴿حتى يخوضوا فى حديث غيره﴾ قال الحسن: وإن خاضوا فى حديث غيره لايجوز القعود معهم؛ لقوله فى سورة الأنعام: ﴿وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾[3] والأكثرون على أنه يجوز، وآية الأنعام مكية وهذه الآية مدنية، والمتأخر أولى.

﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا الذين يتربصون بكم﴾ يعنى: المنافقين ينتظرون أمركم ﴿فإن كان لكم فتح من الله﴾ يعنى: ظفر ﴿قالوا ألم نكن معكم﴾ يعنى: كنا معكم، فاجعلوا لنا نصيبًا من الغنيمة ﴿وإن كان للكافرين نصيب﴾ يعنى: وإن كانت القوة للكافرين ﴿قالوا ألم نستحوذ عليكم

---

(١) فى «الأصل وك»: عن.

(٢) فى «ك»: تعالى.

(٣) الأنعام: ٦٨.

ألَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لا إِلَىٰ

ونمنعكم من المؤمنين ﴾ الاستحواذ: الاستيلاء والغلبة ومنه قوله - تعالى -: ﴿ استحوذ عليهم الشيطان ﴾(١) قال المبرد: معنى هذا: قالوا: ألم نغلبكم على رأيكم، ونمنعكم من المؤمنين، والدخول فى جملتهم، وتخذيل المؤمنين عنكم.

وقال غيره: معناه: ألم نستول عليكم بالنصرة لكم من جهة مراسلتنا إياكم بأخبار المؤمنين، وأمورهم، وتخذيلنا إياهم عنكم. ﴿ فالله يحكم بينكم يوم القيامة ﴾.

﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴾ قال على، وابن عباس: أراد به: فى القيامة، وقيل: هو سبيل الحجة، أى: لاتكون الحجة للكافرين على المؤمنين أبدا.

قوله - تعالى -: ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ يخادعون الله، أى: يعاملون الله معاملة المخادعين حيث أظهروا الإيمان، وأبطنوا الكفر، وهو خادعهم، أى: يعاملهم معاملة المخادعين، وذلك على وجهين: أحدهما: أنه حكم بإيمانهم فى الظاهر، وكفرهم فى الباطن، كما فعلوا هم والثانى: أنه فى القيامة يعطيهم نورا، كما يعطى المؤمنين، ثم إذا كانوا على الصراط طُفئ نورهم، وذهب المؤمنون بنورهم، وهذا معنى قوله: ﴿ وهو خادعهم ﴾ وقيل: معناه: يخادعون رسول الله، وهو خادعهم، أى: يجازيهم على مخادعتهم الرسول، وسمى الثانى خداعا على الازدواج، كما قال: ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾(٢) وفى حديث عدى بن حاتم أن النبى ﷺ قال: «يؤتى بناس من الناس يوم القيامة إلى الجنة، حتى إذا دنوا منها، واستنشقوا رائحتها، ورأوا فيها من النعيم، يأمر الله - تعالى - بصرفهم عنها، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها، فيقولون: يارب، لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا كان أهون علينا، فيقول الله - تعالى -: ذاك أردت لكم،

(١) المجادلة: ١٠٩.

(٢) الشورى: ٤٠.

هَؤُلاءِ وَلا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴿١٤٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ

---

وكنتم إذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم، وإذا لقيتم الناس، لقيتموهم مخبتين، هبتم الناس ولم تهابونى، أجللتم الناس، ولم تجلّونى، تركتم للناس، ولم تتركوا لى؛ فاليوم أذيقكم العذاب، مع ما حُرمتم من الثواب»(١).

وقوله: ﴿ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ﴾ يعنى: متثاقلين، وهذا دأب المنافقين؛ لقلة الدواعى لهم، وأما المؤمنون ينشطون إلى القيام إلى الصلاة؛ لكثرة الدواعى لهم، ﴿ يراءون الناس ﴾ أى: يعملون ما يعملون، مراءة للناس، لا اتباعا لأمر الله.

واعلم أن الرياء لايوجب الكفر، وهو عيب عظيم، وأما النفاق كفر محض.

﴿ ولا يذكرون الله إلا قليلا ﴾ قال الحسن: لأنه لما لم يتقبل عملهم، كان قليلا ﴿ مذبذبين بين ذلك ﴾ أى: متذبذبين وكذلك قرأ أبى بن كعب، ومعناه: مضطربين متحيرين ﴿ لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴾، يعنى: لا إلى الكفار بالتصريح بالشرك، ولا إلى المؤمنين باعتقاد الإيمان.

وروى ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين ربيضين، إن جاءت إلى هذه، نطحتها، وإن جاءت إلى هذه نطحتها»(٢) ﴿ ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ﴾ أى: ومن يضلله الله، فلن تجد له طريقا إلى الحق.

قوله - تعالى -: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير (١٧/ ٨٦/ رقم ١٩٩، ٢٠٠)، وفى الأوسط - مجمع البحرين - (٨/ ١٩٣ - ١٩٤/ رقم ٤٩٤٧) وابن حبان فى المجروحين (٣/ ١٥٥ - ١٥٦)، والبيهقى فى البعث (ص٣١٦/ رقم ٦٥٨)، وأبو نعيم فى الحلية (٤/ ١٢٤ - ١٢٥) وابن الجوزى فى الموضوعات (٣/ ١٦٢).

وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٢٢٣): وفيه أبو جنادة وهو ضعيف.

(٢) رواه مسلم (١٧/ ١٨٧ رقم ٢٧٨٤)، والنسائى (٨/ ١٢٤/ رقم ٥٠٣٧)، وأحمد (٢/ ٣٢) والطبرى (٥/ ٢١٥) والطيالسى (ص٢٤٩)/ رقم ١٨٠٢) كلهم من حديث ابن عمر.

**الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا**

---

المؤمنين ﴾ فى الآية نهى عن موالاة المؤمنين مع الكفار ﴿ أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ﴾ السلطان: الحُجة، ومنه يقال: للأمير سلطان؛ لأنه ذو الحجة، ومعناه: أتريدون أن تجعلوا لله عليكم حجة بينة فى عذابكم، بحيث لايبقى لكم عذر عنده؟!.

قوله – تعالى –: ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ﴾ ويقرأ: «فى الدرْك» بجزم الراء –[1] قال أبو عبيدة، والأخفش: النار دركات، والجنة درجات، قال أهل العلم: يجوز أن يكون فرعون وهامان أشد عذابا من المنافقين، وإن كان المنافقون فى الدرك الأسفل. قال ابن مسعود: الدرك الأسفل: تابوت من حديد مقفل عليهم، وقيل: تابوت من النار. قال أبو هريرة: والدرك الأسفل: بيت مطبق عليهم، تتوقد النار فيه من فوقهم، ومن تحتهم ﴿ ولن تجد لهم نصيرا ﴾ مانعا من العذاب.

قوله – تعالى –: ﴿ إلا الذين تابوا ﴾ أى: أسلموا ﴿ وأصلحوا ﴾ أى: داموا على التوبة ﴿ واعتصموا بالله ﴾ الاعتصام: هو الامتناع بالشيء مما يخاف، فالاعتصام بالله: هو الامتناع بطاعته من كل ما يخاف عاجلا، وآجلا ﴿ وأخلصوا دينهم لله ﴾ شَرَطَ الإخلاص بالقلب؛ لأن الآية فى المنافقين، والنفاق: كفر القلب، فزواله بالإخلاص ﴿ فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما ﴾، وإنما لم يقل: فأولئك هم المؤمنون، وسوف يؤتيهم الله أجرًا عظيمًا؛ غيظا على المنافقين.

قوله – تعالى –: ﴿ مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ﴾ هذا استفهام بمعنى التقرير، ومعناه: لايعذب الله [المؤمن][2] الشاكر، وتقدير قوله: ﴿ إن شكرتم وآمنتم ﴾ أى: إن آمنتم وشكرتم، والشكر ضد الكفر، والكفر: ستر النعمة والشكر: إظهار النعمة ﴿ وكان الله شاكرًا عليمًا ﴾ الشكر من الله قبول العمل، ومعناه: وكان

(١) قرأ حمزة، والكسائى، وعاصم: بإسكان الراء، وقرأ الباقون بفتحها. انظر النشر (٢/٢٥٣).

(٢) فى «الأصل»: المؤمنين.

عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ

---

الله قابلا للطاعات، عليما بالنيات.

قوله - تعالى -: ﴿ لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ﴾ قال ابن عباس: معناه: إلا من ظلم، فيجوز له أن يجهر بالسوء بالإخبار عن ظلم الظالم، والدعاء عليه، قال الحسن: دعاؤه عليه: أن يقول: اللهم اعنى عليه، اللهم استخرج حقى منه.

وقيل: يجوز له أن يشتم، ولكن بمثل ما شُتِم، لايزيد عليه، بما لم يكن قذفا، وقد ورد فى الحديث: «السبتان بالسبة ربا» قال مجاهد: هو فى الضيف يأتى قوما، فلم يقروه، ولم يحسنوا ضيافته، يجوز له أن يجهر بالسوء لهم.

ويقرأ: «إلا من ظَلَم» بفتح الظاء واللام.

قال الزجاج: معناه: إلا من ظلم، فأجهر قوله بالسوء، وقيل: هو راجع إلى الآية المتقدمة، وتقديره: مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم إلا من ظلم وقيل: هو استثناء منقطع، يعنى: لايحب الله الجهر بالسوء من القول، لكن يجهر بالسوء من ظلم ﴿ وكان الله سميعا عليما ﴾ سميعا لأقوالكم: عليما بنياتكم.

قوله - تعالى -: ﴿ إن تبدوا خيرا أو تخفوه ﴾ معناه: إن تبدوا شيئا من الصدقات؛ ليقتدى بكم، أو تخفوه؛ مخافة الرياء ﴿ أو تعفوا عن سوء ﴾ تصابون به ﴿ فإن الله كان عفوا قديرا ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ﴾ أراد به اليهود لما كفروا بمحمد ﷺ فكأنهم كفروا بالله ﴿ ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ﴾ يريدون أن يؤمنوا بالله، ويكفروا بالرسول ﴿ ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴾ يؤمنون بموسى، ويكفرون بعيسى، ومحمد ﴿ ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ﴾ أى: مذهباً يذهبون إليه.

تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ

﴿ أولئك هم الكافرون حقا ﴾ إنما حقق كفرهم، ليعلم أنهم كفار [ مطلقًا ](١) لئلا يظن ظان أنهم لما آمنوا بالله وبعض الرسل لايكون كفرهم مطلقا ﴿ وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم ﴾ إنما سماه أجرا مجازا؛ لأنه ذكره بإزاء العمل؛ لأن العمل يوجبه، وهذا نحو قوله - تعالى - فى قصة موسى: ﴿ إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ﴾(٢) سماه أجرا على مقابلة العمل؛ لأن موسى عمل؛ ليؤجر عليه ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ﴾ هم اليهود، قالوا للنبى ﷺ لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا من السماء جملة، كما أنزلت التوراة على موسى جملة.

قال الحسن: ولم يكن ذلك سؤال انقياد، وإنما ذلك سؤال تحكم، واقتراح؛ فإنهم لو أنزل عليهم الكتاب جملة، كما سألوا؛ لم يؤمنوا، والله - تعالى - لاينزل الآيات على اقتراح العباد، وإنما ينزلها على مشيئته ﴿ فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ﴾ أى: أعظم من ذلك ﴿ فقالوا أرنا الله جهرة ﴾ أى: عيانا، وذلك أن العرب كانت تعد العلم بالقلب رؤية؛ فقال: ﴿ جهرة ﴾ ليعلم أنه أراد العيان، وقال أبو عبيدة: معناه:

(١) فى «الأصل وك»: مطلق.

(٢) القصص: ٢٥.

السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا

فقالوا جهرة: أرنا الله ﴿فأخذتهم الصاعقة بظلمهم﴾، ﴿ثم اتخذوا العجل﴾ يعنى: إلها ﴿من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك﴾ فيه استدعاء للتوبة، ومعناه: أن أولئك الذين اجترموا [ ذلك ](١) الإجرام، عفونا عنهم؛ فتوبوا أنتم، حتى نعفو عنكم ﴿وآتينا موسى سلطانا مبينا﴾ حجة بينة من المعجزات.

قوله - تعالى -: ﴿ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم﴾ الطور: جبل الطور، وقيل: كل جبل ينبت شيئا، فهو طور، فإن لم ينبت، لايسمى طورا، والميثاق: العهد المؤكد باليمين.

﴿وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا﴾ قيل: إنهم سجدوا على أنصاف وجوههم، حتى دخلوا الباب، وفى القصة: أنهم قالوا: بهذا السجود رفع العذاب عنا، فلا نترك هذا السجود، وكانوا يسجدون بعد ذلك على أنصاف وجوههم.

﴿وقلنا لهم لاتعدوا فى السبت﴾ وقرأ نافع - برواية قالوا -: ﴿لاتعْدُّوا﴾ - بجزم العين، مشددة الدال وفى رواية ورش عنه ﴿لاتعَدَّوا﴾ - بفتح العين مشددة الدال(٢) ومعنى الكل: لايعتدوا فى السبت ﴿وأخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾.

قوله - تعالى -: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ و«ما» للصلة، وإنما تدخل فى الكلام؛ لتفخيمه، وتجزيله ﴿وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف﴾ قد ذكرنا كل هذا ﴿بل طبع الله عليها بكفرهم﴾ الطبع: الختم، وقال

(١) فى «الأصل وك»: تلك.

(٢) انظر النشر (٢/٢٥٣).

﴿قَلِيلاً ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾

لزجاج: جعل قلوبهم، كالمطبوع لايفلح، ولايصلح أبدا، ولايدخلها خير؛ فلا يؤمنون إلا قليلا ﴿وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما﴾ أراد به: نسبتهم مريم إلى الزنا.

قوله تعالى: ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾.

قيل: إن الله - تعالى - ألقى شبه عيسى على الذى دلهم عليه؛ فقتلوه، وقيل: إنهم كانوا حبسوا عيسى فى بيت، وجعلوا عليه رقيبا، فألقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب؛ فقتلوه، وقيل: إنهم ما كانوا يعرفون عيسى بعينه، وكانوا يعرفونه باسمه، وكانوا يطلبونه؛ فقال لهم يهوذا - وهو واحد من أصحاب عيسى -: أعطونى شيئا، أدلكم على عيسى؛ فأعطوه ثلاثين درهما؛ فدلهم على غيره، فقتلوا ذلك الغير؛ فهذا قوله: ﴿ولكن شبه لهم﴾، ﴿وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه﴾ وذلك أن الرجل الذى قتلوه على ظن أنه عيسى، كان يشبهه بوجهه، ولايشبهه بجسده، فوقع فيهم الاختلاف، فقال بعضهم: الذى قتلناه كان عيسى، وقال بعضهم: لم يكن عيسى. وقيل: هو الاختلاف بين علمائهم، وأغتامهم[1]؛ فإن علماءهم كانوا يعلمون أنهم لم يصلبوا عيسى وكان عند جهالهم واغتامهم أنهم قتلوا عيسى، ﴿وما لهم به من علم﴾ يعنى: من حقيقة علم ﴿إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا﴾ قال ابن الأنبارى: قوله: ﴿وما قتلوه﴾ كلام تام، وقوله: ﴿يقينا﴾ راجع إلى ما بعد، وتقديره: «بل رفعه الله إليه يقينا، قال الفراء: معناه: وما قتلوا

(١) الغتمة: عجمة فى المنطق، ورجل اغتم: أى لايفصح شيئًا، انظر لسان العرب (مادة: غتم).

وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ

---

الذى ظنوا أنه عيسى يقينا أنه عيسى، وقيل: «الهاء» كناية عن عيسى، أى: وما قتلوا عيسى يقينا ﴿بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ معناه: وإن من أهل الكتاب أحدا إلا ليؤمن به، وهو مثل قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾[1] أى: وإن منكم أحد.

واختلفوا فى قوله: ﴿قبل موته﴾ قال الحسن - وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس -: إنه كناية عن الكتابى، وقال: ما من كتابى من اليهود، إلا وهو يؤمن بعيسى قبل موته فى وقت اليأس، حين لاينفعه، حتى قيل لابن عباس: وإن مات حرقا أو غرقا أو هدما؟ قال: نعم.

وقال قتادة - وهو رواية أخرى عن ابن عباس -: إن «الهاء» كناية عن عيسى، يعنى: ما من كتابى إلا يؤمن بعيسى قبل موت عيسى، وذلك حين ينزل من السماء، وقال عكرمة: هذا فى محمد ﷺ ما من كتابى إلا ويؤمن به قبل الموت، وهذا قول ضعيف؛ لأنه لم يجر ذكر محمد فى الآية ﴿ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾ يعنى: عيسى.

قوله تعالى: ﴿فبظلم من الذين هادوا﴾ يعنى: ما ذكر من إجرامهم ﴿حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾ هو ما ذكرنا فى سورة الأنعام ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا

---

(١) مريم: ٧١.

بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ إِنَّا أَوْحَيْنَا

كل ذى ظفر... ﴾[1] الآية على ما سيأتى ﴿ وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل ﴾ يعنى: الرشا ﴿ وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ لكن الراسخون فى العلم منهم ﴾ «لكن» للإضراب عن كلام، والدخول فى كلام آخر، ﴿ والراسخون ﴾: المبالغون فى العلم أولو البصائر فيه، وأراد به: الذين أسلموا من علماء اليهود: مثل عبد الله بن سلام، ويمين بن يمين، وأسد وأسيد ابنى كعب، وجماعة ﴿ والمؤمنون ﴾ أراد به: المهاجرين، والأنصار ﴿ يؤمنون بما أنزل إليك ﴾ يعنى: القرآن ﴿ وما أنزل من قبلك ﴾ يعنى: سائر الكتب المنزلة ﴿ والمقيمين الصلاة ﴾ فى هذا إشكال من حيث النحو، قيل: إن هذا ذكر لعائشة، وأبان بن عثمان، فادعيا الغلط على الكاتب، وقالا: ينبغى أن يكتب: «والمقيمون الصلاة» وليس هكذا؛ بل هو صحيح فى النحو، وهو نصب على المدح، وتقديره: واذكروا المقيمين الصلاة، أو أعنى: المقيمين الصلاة، وهم المؤتون الزكاة، ومثله قول الشاعر:

النازلين بكل معترك ... والطيبون [معاقد][2] الأزر

أى: أعنى النازلين بكل معترك، وهم الطيبون معاقد الأزر؛ فيكون نصبا على المدح، وقيل تقديره: وما أنزل على المقيمين الصلاة، قوله: ﴿ والمؤتون الزكاة ﴾ رجوع إلى نسق الأول ﴿ والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما ﴾.

(١) الأنعام: ١٤٦.

(٢) فى «الأصل وك»: مقاعد. وهو تصحيف.

إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ

قوله – تعالى –: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ هذا بناء على ما [سبق][1] من قوله ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء﴾ يقول الله – تعالى –: قد جعلناك رسولا بالطريق الذى [قد][2] جعلنا سائر الأنبياء رسلا، وهو الوحى، ﴿وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان﴾ ذكر عدة من الرسل الذين أوحى إليهم.

فإن قال قائل: لم قدم ذكر عيسى، وهو متأخر؟ قيل: «الواو» لاتوجب الترتيب، وإنما هى للجمع، وقيل: ذكره اهتماما بأمره، وكان أمر عيسى أهم ﴿وآتينا داود زبورا﴾ قرأ حمزة: «زُبورا» – بضم الزاى –[3] فالزبور: فعول بمعنى المفعول، وهو الكتاب الذى أنزل الله – تعالى – على داود، فيه التحميد، والتمجيد، وثناء الله – تعالى –، والزبور: الكتابة، والزُبْرَة قطعة الحديد، ويقال: ماله زَبْرٌ أى: ماله عقل، وأما الزبور: جمع الزَّبْرُ.

قوله – تعالى –: ﴿ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل﴾ وأرسلنا رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ﴿ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما﴾ إنما كلمه بنفسه من غير واسطة، ولا وحى، وفيه دليل على من قال: إن الله خلق كلاما فى الشجرة؛ فسمعه موسى؛ وذلك لأنه قال: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾

(١) فى «الأصل» نسق.

(٢) من «ك».

(٣) وهى قراءة خلف أيضًا. انظر النشر (٢/٢٥٣).

**تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ**

قال الفراء، وثعلب: إن العرب تسمى ماتوصل إلى الإنسان: كلاما، بأى طريق وصل إليه، ولكن لاتحققه بالمصدر، فإذا حقق الكلام بالمصدر، لم تكن إلا حقيقة الكلام، وهذا كالإرادة، يقال: أراد فلان إرادة، فيكون حقيقة الإرادة، ولايقال: أراد الجدار أن يسقط إرادة، وإنما يقال: أراد الجدار، من غير ذكر المصدر؛ لأنه مجاز، فلما حقق الله كلامه موسى بالتكليم، عُرِفَ أنه حقيقة الكلام من غير واسطة، قال ثعلب: وهذا دليل من قول الفراء أنه ما كان يقول بخلق القرآن.

فإن قال قائل: بأى شيء عرف موسى أنه كلام الله؟ قيل: بتعريف الله -تعالى- إياه، وإنزال آية عرف موسى بتلك الآية أنه كلام الله - تعالى -، وهذا مذهب أهل السنة أنه سمع كلام الله حقيقة، بلا كيف، وقال وائل بن داود: معنى قوله: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ أى: مرارا، كلاما بعد كلام.

قوله تعالى: ﴿رسلا مبشرين ومنذرين﴾ أى: أرسلنا رسلا ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ وهذا دليل على أن الله - تعالى - لايعذب الخلق قبل بعثه الرسل، وهذا معنى قوله: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾[1] وقال - تعالى - ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾[2].

﴿وكان الله عزيزا﴾ أى: مقتدرا على معاونة الخلق ﴿حكيما﴾ ببعث الرسل. وفى حديث أبى الدرداء أنه قال: «سألت رسول الله ﷺ عن عدد الأنبياء فقال: مائة وأربعة وعشرون ألفا، فقلت: كم الرسل منهم؟ قال: ثلثمائة وخمسة عشر [جما غفيرا][3]»[4].

---

(١) الإسراء: ١٥. (٢) طه: ١٣٤. (٣) فى «الأصل، ك»: جم غفير، وهو خلاف الجادة.

(٤) المشهور أنه من حديث أبى ذر رضى الله عنه، فرواه ابن حبان فى المجروحين (٣/١٢٩ - ١٣٠)، وفى صحيحه - الإحسان (٢/٧٦ - ٧٩/ رقم ٣٦١)، والحاكم (٢/٥٩٧) وسكت عليه؛ فتعقبه الذهبى فقال: السعدى ليس بثقة. وأبو نعيم فى الحلية (١/١٦٦ - ١٦٨)، والبيهقى فى السنن (٩/٤)، وابن عدى فى الكامل (٧/٢٤٤) وقال ابن عدى: هذا حديث منكر. ورواه أحمد مختصراً (٥/١٧٨، ١٧٩).

وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ

قوله – تعالى – ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك ﴾ سبب نزول الآية: أن قوما من علماء اليهود حضروا عند النبى ﷺ، فقال لهم: « أنتم تعلمون أنى رسول الله؟ فقالوا: لانعلم ذلك؛ فنزل قوله: ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه ﴾ »(١) أى: مع علمه، كما يقال: جاءنى فلان بسيفه، أى: مع سيفه، وفيه دليل على أن لله علما، هو صفته، خلاف قول المعتزلة خذلهم الله.

﴿ والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ﴾ فإن قيل: إذا شهد الله له بالرسالة، فأى حاجة إلى شهادة الملائكة؟ قيل: لأن الذين حضروا عند النبى ﷺ، كان عندهم أنهم علماء الأرض؛ فقالوا: نحن علماء الأرض، ونحن ننكر رسالتك، فقال الله تعالى: إن أنكره علماء الأرض، يشهد به علماء السماء، وهم الملائكة، على مقابلة زعمهم وظنهم؛ لا للحاجة إلى شهادتهم؛ فإنه قال: ﴿ وكفى بالله شهيدا ﴾

قوله – تعالى –: ﴿ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ﴾ صدهم عن سبيل الله كان بكتمان نعت محمد ﴿ قد ضلوا ضلالا بعيدا ﴾ أى: هلكوا، والضلال: الهلاك.

قوله – تعالى –: ﴿ إن الذين كفروا وظلموا ﴾ فإن قال قائل: أى معنى لقوله: ﴿ وظلموا ﴾ وقد قال: ﴿ كفروا ﴾ وظلمهم كفرهم؟ قيل: معناه: كفروا بالله، وظلموا محمدا بكتمان نعته.

وقيل: ذكره تأكيدا ﴿ لم يكن الله ليغفر لهم ﴾ فى هذا إشارة إلى أن الله – تعالى – لو غفر للكافرين أجمع، كان يسع ذلك رحمته، لكنه قطع القول بأن لايغفر لهم،

(١) رواه الطبرى فى التفسير ( ٦ / ٢٢ ) عن ابن عباس، وعزاه السيوطى فى الدر ( ٢ / ٢٧٢ ) لابن إسحاق، وابن المنذر، والبيهقى فى الدلائل.

**الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا**

﴿ ولا ليهديهم طريقا ﴾ يعنى : الإسلام ﴿ إلا طريق جهنم ﴾ يعنى : اليهودية ﴿ خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ .

قوله - تعالى - : ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم ﴾ تقديره : يكن الإيمان خيرا لكم ﴿ وإن تكفروا فإن لله ما فى السموات والأرض وكان الله عليما حكيما ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ﴾ الغلو : مجاوزة الحد ، والآية فى النصارى ، قال الحسن : يجوز أن تكون فى اليهود والنصارى ؛ فإنهم غلوا فى أمر عيسى ، أما اليهود بالتقصير فى حقه ، وأما النصارى بمجاوزة الحد فيه .

والغلو غير محمود فى الدين ، روى ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال : « إياكم والغلو فى الدين ؛ فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو » .(١)

﴿ ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ﴾ وقد بينا أقوال العلماء فى كونه « كلمة » وجملته(٢) ثلاثة أقاويل : أحدها : أنه بكلمته ، وهى قوله : كن ، فكان ، والثانى : أنه يهتدى به ، كما يهتدى بكلمة الله ، الثالث : كلمته : بشارته التى بشر بها فى الكتب « يكون عيسى » فهذا معنى قوله : ﴿ وكلمته ﴾ ﴿ ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ وفى تسميته « روحا » ثلاثة أقاويل :

---

( ١ ) أخرجه النسائى ( ٥ / ٢٦٨ / رقم ٣٠٥٧ ) ، وابن ماجة ( ٢ / ١٠٠٨ / رقم ٣٠٢٩ ) ، وأحمد ( ١ / ٢١٥ ، ٣٤٧ ) ، وأبو يعلى ( ٤ / ٣١٦ ، ٣٥٧ / رقم ٢٤٢٧ ) وابن خزيمة ( ٤ / ٢٧٤ / رقم ٢٨٦٧ ، ٢٨٦٨ ) ، وابن حبان - الإحسان ( ٩ / ١٨٣ - ١٨٤ / رقم ٣٨٧١ ) ، وابن الجارود ( ص ١٩٣ - ١٩٤ / رقم ٤٧٣ ) ، والحاكم ( ١ / ٤٦٦ ) وصححه على شرط الشيخين والطبرانى فى الكبير ( ١٢ / ١٥٦ / رقم ١٢٧٤٧ ) والبيهقى فى الكبرى ( ٥ / ١٢٧ ) وأبو نعيم فى الحلية ( ٢ / ٢٢٣ ) .

( ٢ ) فى « ك » : وجملتها .

**بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴿١٧١﴾ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ**

أحدها: أنه كان له روح كسائر الأرواح، إلا أن الله - تعالى - أضافه إلى نفسه تشريفا.

والثانى: أنه تحيا به القلوب، كما تحيا الأبدان بالروح.

الثالث: أن الروح: هو النفخ الذى نفخ فى مريم جبريل بإذن الله؛ فسمى ذلك النفخ روحا.

﴿فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة﴾ وكانت النصارى يقولون بالثلاثة، كانوا يقولون: ابن، وآب، وروح القدس، وهذا معنى قوله - تعالى -: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾[1] وقوله: ﴿انتهوا خيرا لكم﴾ تقديره: يكن الانتهاء خيرا لكم.

﴿إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد﴾ واعلم أن الله - تعالى - كما لايجوز له أن يتخذ ولداً، لايجوز عليه التبنى؛ فإن التبنى إنما يكون حيث يكون به الولد، فإذا لم يتصور لله ولد لم يجز عليه التبنى ﴿له مافى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا﴾.

قوله تعالى: ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله﴾ الاستنكاف: التكبر مع الأنفة، ومعناه: لن يأنف المسيح أن يكون عبدا ﴿ولا الملائكة المقربون﴾ واستدل بهذه الآية من ذهب إلى تفضيل الملائكة على البشر؛ لأن الله تعالى ارتقى من عيسى إلى الملائكة، وليس فى الآية مستدل، وإنما قال: ﴿ولا الملائكة المقربون﴾[لا][2] لامتناع مكانهم ومقامهم على مقام البشر، وإنما قال ذلك على ما عند النصارى،

---

(١) المائدة: ٧٣.

(٢) ليست فى «الأصل، ولا ك»، والسياق يقتضيها.

فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ

---

ولعله كان عندهم أن الملائكة أفضل من البشر، فقال ذلك على ما فى زعمهم.

وقوله: ﴿ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا﴾ الفرق بين الاستنكاف والاستكبار: أن الاستنكاف هو التكبر مع الأنفة، والاستكبار: هو الغلو، والتكبر من غير أنفة.

﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله﴾ قيل: زيادة فضله: ما لاعين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وقيل: هو الشفاعة، وفى الحديث: «يشفع الصالحون يوم القيامة لمن يعرفون».

﴿وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولايجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا﴾.

قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم﴾ قيل: هو محمد ﷺ، على هذا أكثر المفسرين. وقيل: هو القرآن.

والبرهان فى اللغة: هو الحجة ﴿وأنزلنا إليكم نورا مبينا﴾ هو القرآن.

قوله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل﴾ يعنى الجنة ﴿ويهديهم إليه صراطا مستقيما﴾.

قوله - تعالى -: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة﴾ روى عن البراء بن عازب أنه قال: آخر سورة أنزلت كاملة: سورة براءة، وآخر آية أنزلت هذه الآية.

فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ

وسبب نزول الآية ما روى: «أن النبى ﷺ دخل على جابر وهو مريض، وكان قد أغمى عليه، فدعا بماء وتوضأ، ثم رشه عليه، فأفاق، فقال جابر: يارسول الله، ماذا أصنع فى مالى، وإنما ترثنى كلالة؟ فنزلت الآية»(١)، وقد سبق الكلام فى الكلالة.

وتلك الآية فى توريث الإخوة والأخوات من الأم، وهذه الآية فى توريث الإخوة والأخوات من الأب والأم، ومن (الأب)(٢) ﴿إن امرؤ هلك ليس له ولد﴾ تقديره: ليس له ولد، ولا والد، وعلى هذا أكثر العلماء، أن الكلالة: هذا، وأن الأخوة والأخوات لايرثون مع الأب، إلا ما يحكى عن عمر - رضى الله عنه -: أنه ورثهم مع الأب، وقد سبق.

قوله - تعالى -: ﴿ليس له ولد﴾ أراد به: الذكر، وعلى هذا أكثر العلماء: أن الإخوة والأخوات إنما لايرثون مع الابن، ويرثون مع البنت، وحكى عن ابن عباس، وبه قال داود وأهل الظاهر -: أن الإخوة والأخوات لايرثون مع البنت، تمسكا بظاهر الآية، وقد بينا أن المراد به: الإبن، والآية فى نفى الفرض مع الولد وعندنا: إنما يرثون بالتعصيب، فإن الأخوات مع البنات عصبة.

قوله - تعالى -: ﴿وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأُنثيين يبين الله لكم أن تضلوا﴾.

قال الفراء: معناه: يبين الله لكم أن لاتضلوا، وهو قول أبى(٣) عبيدة، قال أبو عبيدة: وذكر الكسائى حديثا فى معناه؛ فأعجبه ذلك، وذلك ما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «لايدعون أحدكم على ابنه أن يوافق قدرا»(٤) أى: أن لايوافق قدرا.

---

(١) تقدم تخريجه فى أول السورة تحت آية الكلالة.

(٢) فى «ك»: الأم.

(٣) فى «ك»: أبو، وهو خلاف الجادة.

(٤) رواه مسلم (١٨/١٨٦-١٨٧/رقم٣٠٠٩)، وأبو داود (٢/٨٨/رقم١٥٣٢) وابن حبان - (الاحسان- (١٣/٥١ - ٥٢/ رقم ٥٧٤٢) من حديث جابر.

الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

وقال البصريون: معناه: يبين الله لكم كراهية أن تضلوا ﴿والله بكل شيء عليم﴾.

والله أعلم، صدق الله وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله أجمعين.

تم بحمد الله تعالى **المجلد الأول**

من تفسير أبي المظفر السمعاني

ويتلوه المجلد الثاني إن شاء الله تعالى

وأوله تفسير

# سورة المائدة

يُطلب من

مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان

ص.ب: ١٤٠٥ - الرياض: ١١٤٣١

ت: ٤٠٢٢٥٦٤ - فاكس: ٤٠٢٣٠٧٦

# تفسير القرآن

للإمام العلامة شيخ الإسلام حجة أهل السنة والجماعة

## أبي المظفر السمعاني

منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي الشافعي السلفي

(٤٢٦ ~ ٤٨٩)

المجلد السادس

من الملك إلى الناس

تحقيق

أبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم

دار الوطن

الرياض - شارع المعذر - ص.ب: ٣٣١٠

٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس: ٤٧٦٤٦٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

# تفسير القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع حقوق الطبع محفوظة
لدار الوطن للنشر

**تنبيه** : يحظر نسخ أو استعمال أي جزء من أجزاء هذا الكتاب بأي وسيلة من الوسائل ـ سواء التصويرية أم الإلكترونية أم الميكانيكية ، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي أو التسجيل على أشرطة أو سواها ، وكذلك حفظ المعلومات واسترجاعها ـ دون إذن خطي من الناشر .

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

**دار الوطن للنشر ـ الرياض**

هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ ـ فاكس : ٤٧٦٤٦٥٩ ـ ص.ب : ٣٣١٠ الرمز البريدي : ١١٤٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك

# تفسير سورة الملك

وهى مكية

روى أبو هريرة - رضى الله عنه - أن النبى - عليه الصلاة والسلام - قال: «إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لصاحبها حتى غفرله، وهى تبارك الذى بيده الملك»(١).

وروى أبو الزبير عن جابر أن النبى ﷺ كان لاينام حتى يقرأ: ﴿الم تنزيل الكتاب﴾(٢)، و﴿تبارك الذى بيده الملك﴾(٣) قال طاوس: يفضلان سائر السور بسبعين حسنة.

وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس أن رجلا ضرب خباءه على قبر وهو لايحسب أنه قبر، فسمع قارئا: ﴿تبارك الذى بيده الملك﴾ حتى ختم السورة، فأتى النبى ﷺ فذكر له ذلك، فقال: «هى المُنْجية، هى المانعة، تنجيه من عذاب القبر»(٤) ذكر هذه الأخبار أبو عيسى الترمذى فى جامعه بإسناده. وفى غيره أن الزهرى روى عن حميد ابن عبد الرحمن أن النبى ﷺ قال: «سورة الملك تجادل عن صاحبها يوم القيامة».

---

(١) رواه أبو داود (٢/٥٧ رقم ١٤٠٠)، والترمذى (٥/١٥١ - ١٥٢ رقم ٢٨٩١) وحسنه. والنسائى فى الكبرى (٦/١٧٨، ٤٩٦ رقم ١٠٥٤٦، ١١٦١٢)، وابن ماجه (٢/١٢٤٤ رقم ٣٧٨٦)، وأحمد (٢/٢٩٩، ٣٢١)، وعبد بن حميد (٤٢١ - ٤٢٢ رقم ١٤٤٥)، وابن حبان فى صحيحه (٣/٦٧ - ٦٩ رقم ٧٨٧، ٧٨٨)، والحاكم (١/٥٦٥، ٢/٤٩٧ - ٤٩٨) وصححه، والبيهقى فى الشعب (٥/٤٤٥ رقم ٢٢٧٦).

(٢) يعنى سورة السجدة.

(٣) تقدم تخريجه فى تفسير سورة السجدة.

(٤) رواه الترمذى (٥/١٥١ رقم ٢٨٩٠) وقال: حسن غريب، والطبرانى فى الكبير (١٢/١٧٤ - ١٧٥ رقم ١٢٨٠١)، وابن عدى (٧/٢٠٥)، وأبو نعيم فى الحلية (٣/٨١)، والبيهقى فى الدلائل (٧/٤١) وقال: تفرد به يحيى بن عمرو النكرى، وهو ضعيف، إلا أن لمعناه شاهدا عن ابن مسعود، والبيهقى فى الشعب (٥/٤٤٨ - ٤٤٩ رقم ٢٢٨٠). وعده ابن عدى والذهبى فى الميزان (٤/٣٩٩) من مناكير يحيى بن عمرو النكرى.

وهُوَ علىٰ كُلِّ شيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذي خلَقَ الْمَوْتَ والْحَياةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عملاً

وروى مرة الهمدانى عن عبد الله بن مسعود: أن رجلا أتى فى قبره من جوانبه، فجعلت سورة من القرآن تجادل عن صاحبها حتى الجنة. قال مرة: فنظرت أنا وخيثمة فإذا هى سورة الملك، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ تبارك الذى بيده ﴾ قد بينا أن تبارك تفاعل من البركة، والمعنى: أن جميع البركات منه تعالى. ويقال: تبارك أى: تعظم وتقدس وتعالى، ومنه البرك فى الصدر.

وقوله: ﴿ الذى بيده الملك ﴾ أى: ملك السموات والأرض. ويقال: ملك النبوة، يعز به من اتبعه ،ويذل به من خالفه، حكى ذلك عن محمد بن إسحاق.

وقوله ﴿ وهو على كل شىء قدير ﴾ أى: قادر.

وقوله تعالى: ﴿ الذى خلق الموت والحياة ﴾ أى: الموت فى الدنيا، والحياة فى الآخرة. ويقال: خلق الموت أى: النطفة فى الرحم لأنها ميتة، والحياة هو أنه نفخ فيها الروح من بعد. ويقال: خلق الموت والحياة، أى: الدنيا والآخرة. وحكى أبو صالح عن ابن عباس: «أن الله تعالى خلق الموت على صورة كبش أغبر، لا يمر بشىء، ولا يطأ على شىء ولايجد ريحه شئ إلا مات، وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء لاتمر على شىء، ولاتطأ على شئ ولاتجد [ ريحها ](١) شئ إلا حيى. قال: وهى دون البغلة وفوق الحمار، خطوها مد البصر، وكان جبريل راكبا [ عليها ](٢) يوم غرق فرعون، ومن تحت حافرها أخذ السامرى القبضة. وقال بعضهم: خلق الدنيا للحياة ثم للموت، وخلق الآخرة للجزاء ثم للبقاء.

وقوله: ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ أى: ليختبركم فيظهر منكم أعمالكم الحسنة وأعمالكم السيئة ويجازكم عليها.

وقوله: ﴿ أحسن عملا ﴾ فيه أقوال: أحدها: أتم عقلا وأورع عن محارم الله، وهو

(١) فى «الأصل، وك»: ريحه.

(٢) فى «الأصل، وك»: عليه.

**وهو العزيز الغفور ﴿٢﴾ الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ﴿٣﴾ ثم ارجع البصر كرتين**

قول مأثور.

والقول الثانى: أحسن عملا أخلص عملا.

والقول الثالث: أحسن عملا أى: أزهد فى الدنيا وأترك لها، وهو مروى عن الحسن وسفيان الثورى.

والقول الرابع: أحسن عملا أى: أشدكم ذكرا للموت وأحسنكم له استعدادا. ويقال: أشدكم لله مخافة. ويقال: أبصركم بعيوب نفسه.

وقوله: ﴿ وهو العزيز الغفور ﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ الذى خلق سبع سموات طباقا ﴾ أى: بعضها فوق بعض، بين كل سماءين أمر من أمره، وخلق من خلقه.

وقوله: ﴿ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ﴾ أى: من خلل وعيب. ويقال: من اضطراب وتباين. وقرئ: «تفوت» واختاره أبو عبيد. قال الفراء: تفوت وتفاوت بمعنى واحد كما يقال: تعهد وتعاهد وغير ذلك. ويقال: تفوت أى: لاتفوت بعضه بعضا.

وقوله: ﴿ فارجع البصر ﴾ أى: رد البصر.

وقوله: ﴿ هل ترى من فطور ﴾ أى: صدوع وشقوق وخروق. ويقال: فطر ناب البعير أى: انشق.

وقوله: ﴿ ثم ارجع البصر كرتين ﴾ أى: مرتين، ومعناه: مرة بعد مرة، وإن زاد على المرتين، كالرجل يقول لغيره: قد قلت لك هذا القول مرة بعد مرة، وقد كان قال له مرات، ذكره القفال. وقال بعضهم: إنما ذكر المرتين؛ لأن الإنسان فى المرة الثانية يكون أحد بصرا وأكثر بصرا وأكثر نظرا. ويقال: الكرة الأولى بالعين. والأخرى بالقلب. قال الفراء: يجوز أن يكون معنى كرتين كرة واحدة، وأنشدوا:

**يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ**

**مهمهين قـذفين مرتين قطعته [ بالسمت ][1] لا بالسمتين**

وأراد مهمها واحدا.

وقوله: ﴿ ينقلب إليك البصر ﴾ أى: يرجع إليك البصر ﴿ خاسئا ﴾ أى: صاغرا ﴿ وهو حسير ﴾ أى: كليل يعنى: ضعيف عن إدراك ما أراده من طلب العيب والخلل. ويقال: دابة حسرى أى: كالة.

قال الشاعر:

**به جيف الحسرى فأما عظامها فبيض وأما جلـدها فصليب**

قال الزجاج: معنى الآية: أنه يبالغ فى النظر، فرجع البصر إليه خاسئًا ولم ينل ما أراده، ولم ير عيبا وخللا.

وقوله: ﴿ خاسئًا ﴾ من ذلك قولهم للكلب اخسأ وابعد، قال الفرزدق فى جرير:

**اخسـأ إليك جـريرا يامعـر نلنا السماء نجومها وهلالها**

قوله تعالى: ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ أى: بسرج، وسمى النجوم مصابيح لإضاءتها.

وقوله: ﴿ وجعلناها رجوما للشياطين ﴾ أى: رجمنا بها الشياطين عن استراق السمع. قال محمد بن كعب القرظىْ: إن النجم لايطلع لموت أحد ولا[ لحياته ][2]، ولكنه زينة الدنيا ورجوم الشياطين. وعن قتادة قال: خلق الله النجوم لثلاثة أشياء: جعلها زينة للسماء الدنيا، ورجوما للشياطين، وهاديا للناس فى الطرق، فمن تكلف غير ذلك فقد قال مالا علم له به.

---

(١) فى «الأصل وك»: بالام، والتصويب من لسان العرب (٢/ ٤٦)، والسمت هو الطريق.

(٢) من «ك»،وفى الأصل»: حياته.

**وأَعْتَدْنا لَهُمْ عذاب السَّعير ﴿٥﴾ وللَّذين كفَرُوا بربّهمْ عذَابُ جهنَّم وبئْس الْمصيرُ ﴿٦﴾ إذا أُلْقُوا فيها سمعُوا لها شهيقًا وهي تفُورُ ﴿٧﴾ تكادُ تميَّزُ من الْغيْظ كُلَّما أُلْقي فيها فوْجٌ سأَلَهُمْ خزنَتُها أَلَمْ يأْتكُمْ نذيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بلَىٰ قدْ جاءنا نذيرٌ فكذَّبْنا وقُلْنا ما نزَّلَ اللَّهُ من شيْءٍ إنْ أَنتُمْ إلاَّ في ضَلالٍ كبيرٍ ﴿٩﴾**

---

وقوله تعالى: ﴿ وأعتدنا لهم عذاب السعير ﴾ أى: المسعرة. وعن ابن عباس: أن السعير هو الطبق الرابع من جهنم.

وقوله: ﴿ وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم ﴾ إنما سمى جهنم جهنما لبعد قعرها، تقول العرب: ركية جهنام أى: بعيدة القعر.

وقوله: ﴿ وبئس المصير ﴾ أى: المرجع.

قوله: ﴿ إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا ﴾ أى: لجهنم، والشهيق: أول صوت الحمار. وقيل: الشهيق. أول صوته، والزفير. آخر صوته. وقيل: الشهيق فى الصدر، والزفير فى الحلق. وقيل: إن الشهيق من الكفار حين يدخلون جهنم. والقول الأول أظهر فى هذه الآية.

وقوله: ﴿ وهى تفور ﴾ قال ابن مسعود: تغلى غليان القدر بما فيه. وعن مجاهد: تغلى غليان الماء الكثير بالحَبِّ القليل.

وقوله: ﴿ تكاد تميز من الغيظ ﴾ أى: تتقد وتتفرق. يقال: فلان امتلأ غيظا حتى يكاد يتقد. وغيظها حنقا على أعداء الله وانتقامها.

وقوله: ﴿ كلما ألقى فيها فوج ﴾ أى: قوم ﴿ سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ﴾ أى: رسول. وعن مجاهد قال: الرسل من الإنس، والنذر من الجن. وهو قول مهجور.

قوله تعالى: ﴿ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شىء إن أنتم إلا فى ضلال كبير ﴾ أى: عظيم. ويقال: خاطئين.

**وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴿١٠﴾ فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير ﴿١١﴾ إن الذين يخشون ربهم بالغيب**

قوله تعالى: ﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ﴾ أى: نسمع سماع من يميز ويتفكر، ونعقل عقل من يتدبر وينظر ﴿ ما كنا فى أصحاب السعير ﴾ والمعنى: أنا لم نسمع الحق ولم نعقله أى: لم ننتفع بأسماعنا وعقولنا. وفى بعض الغرائب من الأخبار: أن النبى ﷺ قال: «لكل شىء دعامة، ودعامة الدين العقل»(١)

وروى أيضا أن النبى ﷺ قال: «إن الرجل يكون من أهل الجهاد وأهل الصلاة وأهل الصيام، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وإنما يجازى يوم القيامة على قدر عقله»(٢) وهو حديث حسن الإسناد(٣).

قوله تعالى: ﴿ فاعترفوا بذنبهم ﴾ أى: بذنوبهم، واحد بمعنى الجمع، وقوله: ﴿ فسحقا لأصحاب السعير ﴾ أى: بعدا، يقال: مكان سحيق أى: بعيد. وعن مجاهد: السحق اسم واد فى جهنم.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾ أى: بالوعد والوعيد الذى غاب عنه، ويقال: بالجنة والنار، ويقال: فى الخلوات.

---

(١) عزاه الحافظ ابن حجر فى المطالب (٣/١٧ رقم ٢٧٥٤) للحارث بن أبى أسامة فى مسنده عن أبى سعيد به مرفوعا. وأشار إلى وضعه، وأنها من نسخة داود بن المحبر صاحب كتاب العقل، وهى موضوعة كلها.
وقال البوصيرى فى إتحاف المهرة: كل حديث فى هذا الباب ضعيف، بل موضوع لايثبت منها الشىء. وأقر ابن عراق فى تنزيه الشريعة (١/٢١٥) كلام الحافظ ابن حجر.

(٢) رواه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده عن أبى الدرداء كما فى المطالب العالية (٣/٢١ رقم ٢٧٦٧) ونبه الحافظ على وضعه، كما تقدم. وروى من حديث ابن عمر مرفوعا به. رواه الطحاوى فى المشكل (٢/١٢٥)، والعقيلى (٤/١٩٢)، وابن حبان فى المجروحين (٣/٤٠)، والخطيب فى تاريخه (١٣/٧٩ - ٨٠)، وابن الجوزى فى الموضوعات (١/١٧٢). وقال ابن معين وأبو حاتم: باطل، كما فى العلل لابن أبى حاتم (٢/١٢٩ رقم ١٨٧٩). وانظر تنزيه الشريعة (١/٢٠٣).

(٣) كذا قال رحمه الله، وانظر ما تقدم.

**لهم مغفرة وأجر كبير ﴿١٢﴾ وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ﴿١٣﴾ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴿١٤﴾ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا**

وقوله: ﴿لهم مغفرة وأجر كبير﴾ أى: عظيم.

قوله تعالى: ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به﴾ فى التفسير: أن الكفار كان بعضهم يقول لبعض: أسروا بقولكم حتى لايسمع رب محمد فيخبره قولكم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ أى: بما فى الصدور. قال الحسن: يعلم من السر مايعلم من العلانية، ويعلم من العلانية مايعلم من السر.

قوله تعالى: ﴿ألا يعلم من خلق﴾ استفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ، والمعنى: ألا يعلم من فى الصدور من خلق الصدور. ويقال: ألا يعلم ماخلق، «من» بمعنى «ما»، وهو مثل قوله تعالى: ﴿والسمآء وما بناها﴾[1] أى: ومن بناها.

وقوله: ﴿وهو اللطيف الخبير﴾ أى: اللطيف فى علمه، يعلم مايظهر ومايسر وكل مادق، يقال: لطيف، ويقال: الخبير هو العالم.

قوله تعالى: ﴿هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا﴾ أى: مذللة، وتذليلها: تسهيل السير فيها والقرار عليها.

وقوله: ﴿فامشوا فى مناكبها﴾ أى: فى جوانبها، ويقال: فى فجاجها، ويقال: فى طرقها، وقيل: فى جبالها. وعن بشير بن كعب الأنصارى أنه كان يقرأ هذه السورة، فبلغ هذه الآية، فقال لجارية له: إن عرفتى معنى قوله: ﴿فى مناكبها﴾ فأنت حرة، فقالت: فى جبالها. فشح الرجل بالجارية وجعل يسأل أبا الدرداء فقال: دع مايريبك إلى مالايريبك خلها. وحكى قتادة عن أبى الجلد قال: الأرض كلها [أربعة][2] وعشرون ألف فرسخ؛ اثنا عشر ألفا للسودان، وثمانية آلاف للروم، وثلاثة آلاف للعجم، وألف للعرب.

---

(١) الشمس: ٥.

(٢) فى الأصل «وك»: أربع.

**فامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ**

وقوله: ﴿ وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ أى: فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ أأمنتم من فى السماء ﴾ قال ابن عباس أى: الله.

وقوله: ﴿ أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور ﴾ أى: تضطرب وتدور، ويقال: تمور أى: تخسف بكم حتى تجعلكم فى أسفل الأرضين، قال الشاعر:

**رميْن فأقْصدْن القلوب ولن ترى ... دمًا مائرًا إلا جرى فى الحيازم**

أى: سائلا.

قوله تعالى: ﴿ أم أمنتم من فى السماء ﴾ أى: أأمنتم ربكم ﴿ أن يرسل عليكم حاصبا ﴾ أى: ريحا ذات حصباء ،ويقال: حجارة فيهلككم بها. والحصباء الحجارة.

وقوله: ﴿ فستعلمون كيف نذير ﴾ أى: إنذارى، والمعنى :كنت محقا فى إنذارى إياكم العذاب.

قوله تعالى: ﴿ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير ﴾ أى: إنكارى.

قوله تعالى: ﴿ أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ﴾ يقال: صف الطير جناحه إذا بسطه، وقبضه إذا ضربه، والمراد من القبض: هو ضرب الجناحين بالجنبين، وهذا القبض والبسط فى بعض الطيور لافى جميع الطيور، فإن بعضها يقبض بكل حال، وبعضها يبسط تارة ويقبض أخرى.

وقوله: ﴿ مايمسكهن إلا الرحمن ﴾ يعنى: ما يمسكهن عن الوقوع إلا الرحمن. قالوا: والهواء للطير بمنزلة الماء للسابح، فهو يسبح فى الهواء بجناحيه كما يسبح الإنسان فى الماء بأطرافه.

وقوله: ﴿ إنه بكل شىء بصير ﴾ أى: عليم.

﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أفمن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم﴾ معناه: أين هذا الذى هو جند لكم يمنعكم من عذاب الله؟ وهو استفهام بمعنى التوبيخ والإنكار.

وقوله تعالى: ﴿إن الكافرون إلا فى غرور﴾ أى: ما الكافرون إلا فى غرور.

قوله تعالى: ﴿أمن هذا الذى يرزقكم﴾ المعنى: أن الله هو الذى يرزقكم إن أمسك رزقه، فمن [ذا] الذى يرزقكم سواه؟.

وقوله: ﴿بل لجوا فى عتو ونفور﴾ العتو هو التمادى فى الكفر، والنفور هو التباعد عن الحق. ويقال المعنى: أن اللجاج حملهم على الكفر والنفور عن الحق، فإن الدلائل أظهر وأبين من أن تخفى على أحد، والعرب تسمى كل سفيه متمرد متماد فى الباطل عاتيا.

قوله تعالى: ﴿أفمن يمشى مكبا على وجهه﴾ فى الضلالة لا يبصر الحق. ويقال: مكبا على وجهه أى: لاينظر من بين يديه ولاعن يمينه ولاعن (يساره)[1] ولامن خلفه. وقيل: إن هذا فى الآخرة، فإن الله تعالى يحشر الكفار على وجوههم على مانطق به القرآن فى غير هذا الموضع، وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: «إن الذى قدر أن يمشيهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم»[2].

وقوله: ﴿أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم﴾ أى: يمشى فى طريق الحق بنور الهدى. ويقال: ينظر من بين يديه وعن يمينه وعن يساره ومن خلفه. وقيل: هو فى الآخرة. وعن عكرمة قال: قوله: ﴿أفمن يمشى مكبا على وجهه﴾ هو أبو جهل، وقوله: ﴿أم من يمشى سويا على صراط مستقيم﴾ هو عمار بن ياسر. وحكى بعضهم عن ابن عباس: أنه حمزة بن عبد المطلب وكنيته أبو عمارة.

---

(١) فى «ك»: شماله.

(٢) تقدم تخريجه.

قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون﴾ أى: قل شكركم لهذه النعم.

قوله تعالى: ﴿قل هو الذى ذرأكم فى الأرض﴾ أى: خلقكم فى الأرض ﴿وإليه تحشرون﴾ أى: فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ أى: القيامة.

قوله تعالى: ﴿قل إنما العلم عند الله﴾ أى: علم الساعة عند الله.

وقوله: ﴿وإنما أنا نذير مبين﴾ أى: منذر بين النذارة.

قوله: ﴿فلما رأوه زلفة﴾ قال المبرد وثعلب: أى: رأوا العذاب حاضرا. وقيل: قريبا.

وقوله: ﴿سيئت وجوه الذين كفروا﴾ أى: تبين السوء والكآبة فى وجوههم. ويقال: اسودت وجوههم.

قوله تعالى: ﴿وقيل هذا الذى كنتم به تدَّعون﴾ وقرئ فى الشاذ: «تدْعُون» بغير تشديد. وعن بعضهم: أن تدَّعون وتدْعون بمعنى واحد، فقوله: ﴿تدَّعُون﴾ أى: تدعون الله به. وقوله: ﴿تَدْعُون﴾ أى: تتداعون به، وهو مثل قوله: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾[1] وقال تعالى فى آية أخرى: ﴿قالوا ربنا عجل لنا قطنا﴾[2] أى: نصيبنا من العذاب. قال ابن قتيبة: تدَّعون افتعال من الدعاء. وعن بعضهم: تدَّعون أى: تكذبون. ويقال: تستعجلون

(١) الأنفال: ٣٢.

(٢) ص: ١٦.

**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾**

وتمترون وتختلفون. وقيل: تدعون تمنون. تقول العرب لغيره: ادع ماشئت أى: تمن، وهذا القول يقرب من القول الأول.

قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا﴾ قال أهل التفسير: كان الكفار يقولون: إن محمدا وأصحابه أكلة رأس، يهلكون عن قريب، وكل يرجون الأباطيل فى حق الرسول وأصحابه، فقال الله تعالى: ﴿قل أرايتم إن أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا﴾ يعنى: إن نجونا أو هلكنا [ ﴿فمن يجير الكافرين من عذاب أليم﴾ أى ][1]: فمن يجيركم من عذاب الله تعالى وقد كفرتم به.

قوله تعالى: ﴿قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو فى ضلال مبين﴾ أى: خطأ بين، وتباعد من الحق وضلال عنه.

قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا﴾ أى: غائرا، ومعناه: ذاهبا. قال قتادة: ويقال: لاتناله الدلاء، قاله سعيد بن جبير. وقيل: إن الآية نزلت فى بئر زمزم وبئر ميمون، وهما بمكة.

وقوله: ﴿فمن يأتيكم بماء معين﴾ قال ثعلب: أى ظاهر. وهو منقول عن الحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم. ويقال: بماء عذب، ويقال: بماء جار. يعنى: أن الله هو القادر أن يأتى به، ولا تصلون إليه بأنفسكم.

(١) من «ك».

بسم الله الرحمن الرحيم

# تفسير سورة القلم

وهى مكية فى قول الأكثرين. وعن بعضهم: أن بعضها مكية، وبعضها مدنية.

قوله تعالى: ﴿ ن ﴾ اختلف القول فيه؛ قال مجاهد: هى السمكة التى عليها قرار الأرضين. وفى تفسير النقاش: أن جميع المياه تنصب من شدقها.

والقول الثانى: أنه اسم من أسماء السورة.

والقول الثالث: أنه حرف من حروف التهجى. وعن ابن عباس: أن «الر» و«حم» و«ن» مجموع من اسم الرحمن.

والقول الرابع: أن النون هى الدواة، وهو قول الحسن وقتادة، وفيه خبر مأثور برواية أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «إن الله خلق أول ما خلق القلم، ثم خلق النون وهى الدواة، ثم قال للقلم: اكتب. فقال: وما أكتب؟! فقال: اكتب ما يكون وما كان من عمل وأجل ورزق إلى يوم القيامة. فكتب القلم وختم الله على فىِّ القلم فلم ينطق، ولا ينطق إلى يوم القيامة، ثم خلق العقل و قال له: ما خلقت خلقا أعجب إلىَّ منك، وعزتى لأكَمِّلنك فيمن أحببت، ولأنقصنَّك فيمن أبغضت، ثم قال النبى ﷺ: أكمل الناس عقلا أطوعهم لله وأعملهم بطاعته، وأنقص الناس عقلا أطوعهم للشيطان وأعملهم بطاعته»(١).

---

(١) رواه ابن عدى فى الكامل (٦/ ٢٦٩) وقال: وهذا بهذا الإسناد باطل منكر. وأيده الذهبى فى الميزان (٤/ ٦١)، وعزاه الحافظ فى اللسان (٧/ ٤١) للدارقطنى فى الغرائب - وانظر كلام الدارقطنى هناك - ومن طريقه رواه ابن عساكر كما فى اللآلئ (٢/ ١٣١). وعزاه السيوطى فى الدر للحكيم الترمذى مختصراً (٦/ ٢٧٦).

﴿ نۤ والْقلم وما يسْطُرُون ﴿١﴾ ما أنت بنعْمة ربّك بمجْنُونٍ ﴿٢﴾ وإنَّ لك لأجْرًا

قوله: ﴿ والقلم ﴾ فى التفسير: أنه خلق من نور، وطوله ما بين السماء والأرض. وفى خبر عبادة بن الصامت أن النبى ﷺ قال: «أول ما خلق الله القلم وقال له: اكتب. فقال: وما أكتب؟ قال: ما هو كائن إلى يوم القيامة»(١).

واختلف القول فى هذه الدواة والقلم، الأكثرون أنه الدواة والقلم الذى كتب به الذكر فى السماء.

و القول الثانى: أنه الدواة والقلم الذى يكتب به بنو آدم. ومعنى الآية هو القسم، ولله أن يقسم بما شاء من خلقه. وقال قتادة: لولا القلم ما قام لله دين، ولا كان للخلق عيش.

وقوله: ﴿ وما يسطرون ﴾ أى: ما يكتبون من أعمال بنى آدم يعنى: الملائكة. وحكى النقاش عن ابن عباس: أن الكفار لا يكتب لهم حسنات ولا سيئات، وإنما يكتب ذلك للمؤمنين وما يفعلون من الحسنات فى الدنيا ويكافئون عليها، وما يفعلون من السيئات، فالشرك أعظم من ذلك كله.

قوله تعالى: ﴿ ما أنت بنعمة ربك بمجنون ﴾ هذا موضع القسم، وهو جواب لقولهم على ما حكى الله تعالى عنهم: ﴿ وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾(٢).

وقوله: ﴿ بنعمة ربك ﴾ أى: برحمة ربك. ويقال: بإنعامه عليك، كأنه نفى عنه الجنون بما أنعم الله عليه، كما يقول القائل لغيره: أنت عاقل أو غنى بنعمة الله عليك.

وقوله: ﴿ وإن لك لأجرا غير ممنون ﴾ أى: غير منقطع. ويقال: غير محسوب. ويقال: غير ممتن به عليك.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الحجر: ٦.

غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾

وقوله: ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ أى: على الخلق الذى أدبك الله به مما نزل به القرآن من الإحسان إلى الناس، والعفو، والتجاوز، وصلة الأرحام، وإعطاء النَّصفة، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وما أشبه ذلك. وفى حديث سعد بن هشام أنه سأل عائشة - رضى الله عنها - عن خلق النبى ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»(١). أى: كان موافقا لما نزل به القرآن. وفى رواية أنها قالت: «لم يكن رسول الله فحاشا ولا متفحشا، ولايجزئ السيئة بمثلها، ولكن يعفو ويصفح»(٢). وقال السدى: وإنك لعلى خلق عظيم أى: على الإسلام. وقال زيد بن أسلم: على دين عظيم، وهو الدين الذى رضيه الله تعالى لهذه الأمة، وهو أحب الأديان إلى الله تعالى.

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى خلق مائة وسبعة عشر خُلُقًا، فمن جاء بواحدة منها دخل الجنة»(٣). وعنه ﷺ أنه قال: «بعثت لأتمم مصالح

---

(١) رواه مسلم (٦/٣٧ - ٤٢ رقم ٧٤٦)، وأبو داود (٢/٤٠ - ٤١ رقم ١٣٤٢)، والنسائى (٣/١٩٩ - ٢٠١ رقم ١٦٠١)، وأحمد (٦/٩١، ١٦٣)، والحاكم (٢/٤٩٩) وصححه على شرطهما، والبيهقى فى سننه (٢/٤٩٩ - ٥٠٠)، وفى الدلائل له أيضا (١/٣٠٨).

(٢) رواه الترمذى (٤/٣٢٤، رقم ٢٠١٦) وقال: حسن صحيح، وفى الشمائل (٢٧٤ رقم ٣٣٠)، وأحمد (٦/١٧٤، ٢٣٦، ٢٤٦)، والطيالسى (٢١٤ رقم ١٥٢٠)، والبيهقى فى الدلائل (١/٣١٥)، وابن عساكر فى تاريخه (٣/٣٨٠ - ٣٨٢ رقم ٧٣٦ - ٧٤٠).

(٣) رواه الطيالسى (١٤ رقم ٨٤)، والبزار (٢/٩١ رقم ٤٤٦)، وابن أبى الدنيا فى مكارم الأخلاق (٢٤ رقم ٢٧)، وابن الجوزى فى العلل (٢/٩٣٣ - ٩٣٤ رقم ١٥٥٧) من حديث عثمان بن عفان به. وقال البزار: لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه، وعبد الواحد بن زيد ليس بالقوى، وعبد الله بن راشد لا نعلم حدث عنه إلا عبد الواحد.

وذكره الدارقطنى فى العلل (٣/٣٨ - ٣٩ رقم ٢٧١) وقال: يرويه عبد الواحد بن زيد عن عبد الله بن راشد، عن عثمان، وخالفه الحسن بن ذكوان، رواه عن عبد الله بن راشد عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا. وهما بصريان ضعيفان، والحديث غير ثابت.

وعزاه الهيثمى فى المجمع (١/٤١) لأبى يعلى فى المسند الكبير وقال: وفي إسناده عبد الله بن راشد وهو ضعيف.

الأخلاق »(١).

وقيل: على خلق عظيم أى: طبع كريم.

قوله: ﴿ فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون ﴾ وقال أبو عبيدة الباء صلة. ومعناه: أيكم المفتون، وأنشد شعرا:

**نضرب بالسيف ونرجوا بالفرج**

أى: الفرج.

وأما الفراء والزجاج وسائر النحويين لم يرضوا هذا القول، وذكروا قولين آخرين: أحدهما: أن معنى قوله: ﴿ بأيكم المفتون ﴾ أى: بأيكم الفتنة يقال: ما لفلان معقول ولا مجلود أى: عقل ولا جلد.

والقول الثانى: بأيكم المفتون أى: فى أيكم المفتون (يعنى)(٢): فى الفرقة التى فيها رسول الله وأصحابه، أو فى الفرقة التى فيها أبو جهل وذووه. وحقيقة المعنى: أنكم تبصرون يوم القيامة، وتعلمون أن المجنون كان فيكم، لا فى رسول الله ﷺ وأصحابه أى: فى الفرقة التى فيها رسول الله وأصحابه. وذكر النحاس [ قولين ](٣) أيضا قال: معنى قوله: ﴿ بأيكم المفتون ﴾ أى: بأيكم [ فتنة ](٤) المفتون مثل قوله

---

(١) رواه البخارى فى الأدب (ص٨٤)، وفى التاريخ (٧/١٨٨)، وأحمد (٢/٣٨١)، ومالك فى الموطأ (٢/٩٠٤) بلاغا، وابن سعد فى الطبقات (١/١٥١)، وابن أبى الدنيا فى مكارم الأخلاق (٢١ رقم ١٣)، والحاكم (٢/٦١٣) وصححه على شرط مسلم، والبيهقى فى السنن (١٠/ ١٩١ - ١٩٢)، والقضاعى فى الشهاب (٢/١٩٢ - ١٩٣ رقم ١١٦٥)، وابن عساكر فى تاريخه (١٩/ ٢٥٢) عن أبى هريرة مرفوعا.
وقال ابن عبد البر: هو متصل من وجوه صحاح عن أبى هريرة وغيره مرفوعا. المقاصد الحسنة (١٨٠).

(٢) فى «ك»: أى.

(٣) فى «الأصل، وك»: قولان، وهو خلاف الجادة.

(٤) فى «الأصل، وك»: الفتنة.

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ

---

تعالى: ﴿ واسأل القرية ﴾(١) أى: أهل القرية(٢).

قوله تعالى: ﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ فلا تطع المكذبين ﴾ يعنى: المكذبين بآيات الله.

وقوله: ﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ أى: تضعف فى أمرك فيضعفون، أو تلين لهم فيلينون. والمداهنة معاشرة فى الظاهر، ومحالمة من غير موافقة الباطن. وقال القتيبى فى معنى الآية: إن الكفار قالوا للنبى ﷺ نعبد معك إلهك مدة، وتعبد معنا إلهنا مدة، فهو معنى قوله: ﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ أى: تميل إلى مرادهم فيميلون إلى مرادك.

قوله تعالى: ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين ﴾ قال ابن عباس: هو الوليد بن المغيرة. وعن مجاهد: هو الأسود بن عبد يغوث. وعن بعضهم: هو الأخنس بن شريق. وقيل: هو على العموم.

وقوله: ﴿ كل حلاف ﴾ أى: كثير الحلف.

قوله: ﴿ مهين ﴾ أى: حقير، ومعناه ها هنا: قلة الرأى والتمييز.

وقوله: ﴿ همار ﴾ أى: ( عتاب )(٣) مغتاب طعَّان فى الناس.

وقوله: ﴿ مشاء بنميم ﴾ أى: بالنميمة، وهو نقل الحديث من قوم إلى قوم. وقد ثبت عن النبى ﷺ برواية حذيفة أنه قال: «لا يدخل الجنة قتات»(٤) أى: نمام. وعنه

---

(١) يوسف: ٨٢.

(٢) لم يذكر القول الثانى، فليتنبه.

(٣) فى «ك»: عياب.

(٤) متفق عليه، رواه البخارى (١٠ / ٤٨٧ رقم ٦٠٥٦)، ومسلم (٢/١٤٨ - ١٥٠ رقم ١٠٥).

بنميمٍ ﴿١١﴾ منَّاعٍ لِّلْخيْر مُعْتدٍ أثيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ

عليه الصلاة والسلام أنه قال: « شرار الناس المشاءون بالنميمة الباغون للبراء العنت[1] »[2]. وعن يحيى بن أبى كثير قال: يفسد النمام فى يوم ما لا يفسده الساحر فى شهر.

وقوله: ﴿ منَّاع للخير ﴾ أى: بخيل: ويقال: مناع من الإسلام. وكان الوليد بن المغيرة قال لبنيه وأهله: من أسلم منكم قطعت منه رفدى ورفقى.

وقوله: ﴿ معتد ﴾ أى: متجاوز فى الظلم.

وقوله: ﴿ أثيم ﴾ أى: كثير الإثم.

قوله: ﴿ عتل ﴾ أى: الفاحش الخلق. وقيل: الجافى الغليظ. وقال ابن عباس: من يعمل السوء ويعرف به. أورده النقاش. وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: « ألا أنبئكم بأهل النار؟ كل جَعْظَرِىٍّ جَوّاظ صخاب بالأسواق، جيفة بالليل حمار بالنهار، وعالم بالدنيا جاهل بالآخرة »[3]. فمعنى الجعظرى: هو الأكول الشروب الظلوم، وهو كالعتل. والجواظ: هو الجَمَّاع المنَّاع، ذكره شداد بن أوس، وقال ثعلب: الجواظ: هو الكثير اللحم المختال فى مشيته. ويقال: فلان جظ، أى: ضخم.

---

(١) أى: الطالبون العيوب القبيحة والفساد والغلط للشرفاء المنزهين عن الفواحش. النهاية (٣/٣٠٦).

(٢) رواه أحمد (٦/٤٥٩)، وعبد بن حميد (٤٥٧ رقم ١٥٨٠)، وابن أبى الدنيا فى الغيبة (رقم ١١٩)، والطبرانى فى الكبير (٢٤/ ١٦٧ - ١٦٨ رقم ٤٢٣ - ٤٢٥)، والخرائطى فى مساوئ الأخلاق (٩٨ رقم ٢٣٢)، وأبو الشيخ فى التوبيخ (٢٣٧ - ٢٣٨ رقم ٢١٧) جميعهم من حديث شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد به. ورواه أحمد (٤/٢٢٧) عن شهر عن عبد الرحمن بن غنم به. ورواه أبو الشيخ فى التوبيخ (رقم ٢٣٣) عن شهر عن عبد الرحمن بن غنم عن أبى مالك الأشعرى به.

وقال العراقى فى المغنى (٢/١٦٣) رواه أحمد من حديث أسماء بسند ضعيف. وعزاه الهيثمى فى المجمع (٨/٩٦) للطبرانى من حديث عبادة بن الصامت، وفيه يزيد بن ربيعة، وهو متروك.

(٣) رواه ابن حبان فى صحيحه (١/٢٧٣ - ٢٧٤)، وأبو الشيخ فى الأمثال (١٤٦ رقم ٢٣٤)، والبيهقى (١٠/ ١٩٤) من حديث أبى هريرة به.

**بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ**

---

وفى بعض الغرائب من الأخبار أن النبى – عليه السلام – قال: «تبكى السماء من عبد أصحَّ الله جسْمَه، وأرحب جوفه، وأعطاه مقضما ثم يكون ظلوما، وتبكى السماء من شيخ زان، وتكاد الأرض لا تُقلّه»(١).

وقوله: ﴿بعد ذلك زنيم﴾ أى: دَعِىّ. وقيل: مُلْصَق بالقوم وليس منهم. ويقال: الذى له زَنَمة فى الشر يعرف بها مثل زَنَمة الشاة. قال حسان فى الزنيم:

**زنيمٌ تداعاه الرجال زيادة ... كما زيد فى عَرْضِ الأديم الأكارِع**

قوله تعالى: ﴿أن كان ذا مال وبنين﴾ وقرئ: «أأن كان». فقوله: ﴿أن﴾ أى: لأن كان ذا مال وبنين يفعل كذا ويقول كذا أى: لأجل أنه. وقوله: «أأن كان» أى: ولا تطعه، وإن كان ذا مال وبنين.

وقوله: ﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ قد بينا. والأساطير واحدها أسطورة. وقال الكسائى: ترهات من الكلام لا نظام لها.

وقوله تعالى: ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ قال أبو عبيدة والمبرد وغيرهما: الخرطوم: الأنف. ومعناه: يجعل على أنفه سمة يعرف بها أنه من أهل النار. قال جرير:

**لما وضعت على الفــرزدق ميسمى ... وعلى البعيث جدعْتُ أنف الأخْطل**

ويقال: معنى قوله: ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ أى: سنسود وجهه، (ووصف)(٢) الأنف موضع الوجه لأنه منه. وقيل: يلصق به عارا ومسبة وشينا لايفارقه أبدا.

قوله تعالى: ﴿إنا بلوناهم﴾ أى: أهل مكة، وذلك حين دعا رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٩ / ١٦) من رواية زيد بن أسلم عن النبى ﷺ مرسلا. وعزاه السيوطى فى الدر (٦ / ٢٧٩) لعبد الرزاق، وابن المنذر.

وقال الحافظ ابن كثير (٤ / ٤٠٤) بعد ما أورده من رواية الطبرى: وهكذا رواه ابن أبى حاتم من طريقين مرسلين.

(٢) كذا، ولعله: ووضع، فهو الأنسب للسياق.

**كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ﴿١٧﴾ ولا يستثنون ﴿١٨﴾ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ﴿١٩﴾**

وقال: «اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف؛ فأصابهم الجوع حتى أكلوا العلهز(١) والعظام المحترقة»(٢).

وقوله: ﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾ فى أكثر التفاسير أن هذا رجل شيخ باليمن كان له بنون، وله بستان يتصدق منه على المساكين، وينفق منه على نفسه وأولاده. ويقال: كان يتصدق بالثلث، وينفق على نفسه وأولاده الثلث، ويرد الثلث فى عمارة الجنة، فلما مات الشيخ قال بنوه: العيال كثير، والدخل قليل ولايفى بإعطاء المساكين، فتوافقوا على أن يذهبوا إلى البستان حين يصبحون على سدفة من الليل، فيصرموا ويقطعوا قبل أن يعلم المساكين. وكان المساكين قد اعتادوا الحضور عند الجذاذ والصرام؛ فحين اتفقوا على ذلك أرسل الله تعالى نارا من السماء فى تلك الليلة فاحترق البستان والأشجار، ويقال: إن هذا الرجل هو رجل من ثقيف.

وقوله: ﴿إذ أقسموا﴾ أى: حلفوا.

وقوله: ﴿ليصرمنها مصبحين﴾ أى: يقطعون فى الوقت الذى قلنا.

وقوله: ﴿ولايستثنون﴾ أى: لم يقولوا: إن شاء الله.

وقوله: ﴿فطاف عليها طائف من ربك﴾ أى: طرق طارق من العذاب، وهى النار التى أرسلها الله تعالى. والعرب لاتستعمل الطائف إلا فى العذاب. وفى بعض التفاسير: أن الله تعالى أمر ملكا حتى اقتلع تلك الجنة بأشجارها وغروسها فوضعها فى موضع الطائف اليوم.

وقوله: ﴿وهم نائمون﴾ ذكرنا.

---

(١) قال ابن الأثير فى النهاية: (٣/٢٧٣) هو شيء يتخذونه في سنى المجاعة. يخلطون الدم بأوبار الإبل ثم يشوونه بالنار ويأكلونه، وقيل فيه غير ذلك، راجع النهاية.

(٢) تقدم تخريجه.

فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾

قوله: ﴿ فأصبحت كالصريم ﴾ أى: كالليل المظلم. ويقال: كالنهار الذى لا شىء فيه.

والعرب تسمى العامر من الأرض نهاراً لبياضه، والغامر ليلا لسواده وخضرته. والصريم من الأضداد، هو اسم لليل والنهار جميعا؛ لأن كل واحد منهما يقطع عن صاحبه. و يقال: كالصريم أى: المصروم فاعل بمعنى مفعول يعنى: أنه لم يبق شىء فيها.

وقوله: ﴿ فتنادوا مصبحين ﴾ أى: نادى بعضهم بعضا عند الصباح.

وقوله: ﴿ أن اغدوا على حرثكم ﴾ أى: اقصدوا حرثكم. وفى القصة: أنه كانت لهم حروث وأعناب.

وقوله: ﴿ إن كنتم صارمين ﴾ أى: قاطعين. يقال: فى العنب الصرام، وفى الزرع الحصاد.

قال الشاعر:

**غدوت عليه غدوة فوجدته قعودا عليه بالصريم عواذله**

والصريم ها هنا: هو الجرة السوداء. وقد ذكره ابن فارس فى معنى الصريم الذى ذكرناه من قبل. وعن ابن جريج أنه قال: خرجتْ عنق من النار من جوف واديهم فأحرقت جنتهم.

وقوله: ﴿ إن كنتم صارمين ﴾ قال مجاهد: المراد منه صرام العنب. وكان حرثهم العنب.

قوله: ﴿ فانطلقوا وهم يتخافتون ﴾ أى: يتكلمون سرا وخفية، وكان كلامهم لايدخلنها اليوم عليكم مسكين أى: لا تتركوا المساكين [ يدخلون ](١) عليكم.

(١) فى «الأصل، وك»: يدخلوا، والصواب ما أثبتناه.

﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ

وقوله: ﴿وغدوا على حرد قادرين﴾ أشهر الأقاويل أن معناه: على حسد، وهو قول قتادة ومجاهد والحسن وجماعة. وعن الشعبى وسفيان أنهما قالا: على غضب. أى: على المساكين. وقال أبو عبيدة: «على حرد» أى: على منع. يقال: حاردَت السنة فليس فيها مطر، وحاردت الناقة إذا لم يكن بها لبن. ومعنى المنع هو ما عقدوه من منع المساكين. وعن الحسن فى رواية: على حرص. وقيل: على قصد. قال الشاعر:

أقبل سَيْلٌ جاء من أمر اللهْ يَحْرِدُ حَرْدَ الجنة المُغِلَّةْ

أى: يقصد. وعن السدى: أن الحرد اسم جنتهم.

وقوله: ﴿قادرين﴾ أى: قادرين عند أنفسهم على الصرام.

وقيل: «قادرين» أى: على أمر أسسوه بينهم.

قوله تعالى: ﴿فلما رأوها قالوا إنا لضالون﴾ يعنى: أنهم لما رأوا موضع الجنة وليس فيها شجر ولا نبات قالوا: إنا لضالون أى: أخطأنا طريق جنتنا.

وقوله: ﴿بل نحن محرومون﴾ معناه: أنهم تنبهوا على الأمر، وعرفوا أنهم لم يخطئوا الطريق فقالوا: بل نحن محرومون أى: نزل العذاب وحرمنا ثمار جنتنا.

قوله تعالى: ﴿قال أوسطهم﴾ أى: خيرهم وأعدلهم. ومثله قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾(١) أى: عدلا خيارا. وقال سعيد بن جبير: أعقلهم.

وقوله: ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾ أى: هلا قلتم إن شاء الله تعالى. ووضع التسبيح ها هنا موضع المشيئة؛ لأن التسبيح هو تنزيه الله تعالى عن كل سوء. وقوله: إن شاء الله فيه معنى التنزيه، وهو أنه لا يملك أحد فعل شىء إلا بمشيئة، فينزه أن

(١) البقرة: ١٤٣.

﴿٢٩﴾ فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ﴿٣٠﴾ قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين ﴿٣١﴾ عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون ﴿٣٢﴾ كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴿٣٣﴾ إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم ﴿٣٤﴾

يكون شيء في ملكه إلا أن يريده. وعن عكرمة: أنه كان استثناؤهم هو التسبيح يعني: أنهم كانوا يقولون مكان قولنا إن شاء الله: سبحان الله.

وقوله: ﴿قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين﴾ أي: بمنع المساكين.

وقوله: ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون﴾ أي: يلوم بعضهم بعضا، فيقول هذا لذاك: أنت فعلت والذنب لك، ويقول ذلك لصاحبه مثله.

وقوله: ﴿قالوا يا ويلنا﴾ دعوا بالويل على أنفسهم.

وقوله: ﴿إنا كنا طاغين﴾ أي: ظالمين.

وقوله: ﴿عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها﴾ هذا إخبار عن توبتهم وندامتهم، وسؤالهم من الله تعالى أن يبدلهم بجنتهم خيرا منها فيعطوا حق المساكين. وفي بعض التفاسير: أن الله تعالى قبل توبتهم وأعطاهم جنة خيرا منها. والله أعلم.

وقوله: ﴿إنا إلى ربنا راغبون﴾ أي: بسؤالنا.

وقوله: ﴿كذلك العذاب﴾ أي: كذلك عذاب الدنيا.

وقوله: ﴿ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ أي: عذاب الآخرة. ويقال: كما عذبنا هؤلاء وأنزلنا بهم، كذلك نعذب قريشا وننزله بهم. وروى في التفسير: أن الله تعالى أنزل العذاب بهم يوم بدر، فإنهم لما خرجوا إلى بدر قالوا: لنقتلنهم، ولنقتلن محمدا ولنأسرنهم، ونرجع إلى مكة فنطوف بالبيت، ونحلق رءوسنا، ونشرب الخمر، وتعزف على رءوسنا القيان، وحلفوا على ذلك، فأخلف الله ظنهم ونزل بهم ما نزل من القتل والأسر.

قوله تعالى: ﴿إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾ لما ذكر عذاب الكفار وما ينزله بهم ذكر ما وعده للمؤمنين في هذه الآية؛ فروى أن عتبة بن ربيعة قال لما نزلت

**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ**

هذه الآية: لئن أعطاكم الله تعالى فى الآخرة جنات النعيم فيعطينا مثل ما يعطيكم أو خيرا منها، فأنزل الله تعالى: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾ [أى][1]: نسوى بين المسلمين والمشركين فى إعطاء جنات النعيم، وهو مذكور على طريق الإنكار أى: لا يفعل كذلك.

وقوله: ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ أى: كيف تقضون؟ والمراد من الحكم هو حكمهم فى أنفسهم بالجنة.

وقوله: ﴿أم لكم كتاب فيه تدرسون﴾ أى: تدرسون ما تحكمون به. وقيل: ترددون النظر فيه، فتحكمون منه لأنفسكم ما حكمتم.

وقوله: ﴿إن لكم فيه لما تخيرون﴾ أى: تختارون، وهو بيان لذلك الحكم.

وقوله تعالى: ﴿أم لكم أيمان علينا بالغة﴾ أى: مؤكدة، ومعنى البالغة فى كلام العرب فى مثل هذه المواضع: هو بلوغ النهاية، يقال: هذا شىء جيد بالغ، أى: بلغ النهاية فى الجودة.

وقوله: ﴿إلى يوم القيامة﴾ يعنى: اللزوم والثبات، وقيل: ألكم أيمان مؤكدة ألا نعذبكم إلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿إن لكم لما تحكمون﴾ تفسير لما وقع عليه اليمين.

وقوله: ﴿سلهم أيهم بذلك زعيم﴾ أى: كفيل.

وقوله: ﴿أم لهم شركاء﴾ هذا على توسع الكلام. ومعناه: عندهم وفى زعمهم. وقيل: أم بهذا شهد الشركاء بمعنى الشهداء، ذكره النقاش.

---

(١) من «ك».

**فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**

وقوله: ﴿ فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين ﴾ أى: بشركاء فيهم على زعمهم على القول الأول، وعلى القول الثانى بشهاداتهم إن كانوا صادقين.

قوله تعالى: ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ قال عكرمة عن ابن عباس: عن الأمر الشديد، وفى هذه الرواية عن ابن عباس أنه قال: إذا أشكل عليكم القرآن فالتمسوه فى الشعر، فإنه ديوان العرب، وأنشد:

**وقامت الحرب بنا على ساق**

وهذا قول معروف، وقال ابن قتيبة: كانت العرب إذا اشتد بهم الأمر عبروا بهذا اللفظ؛ لأن الإنسان إذا وقع له الأمر وأخذه بجد وجهد يقول: شمر عن ساقه، فوضعت الساق موضع الشدة.

قال الشاعر:

**أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها ... وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا**

وقال دريد بن الصمة:

**كميش الإزار خارج نصف ساقه ... صبور على العوراء (طلاع)[1] أنجد**

وفى رواية أخرى عن ابن عباس: يوم يكشف عن ساق أى: عن هول وكربة وشدة، وهو بمعنى الأول. وقال مجاهد: هو أول ساعة من ساعات القيامة، وهى أفظعها وأشدها على الناس. هذا كله قول واحد.

وروى أبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة يكشف ربنا عن ساقه فيسجد كل مؤمن ومؤمنة، ويذهب المنافقون ليسجدوا فلا يستطيعون»[2]. وعن ابن مسعود أنه قال نحواً من هذا. وقال الحسن البصرى: يوم يكشف عن ساق أى: الستر بين الدنيا والآخرة. ويقال: الغطاء بين الدنيا والآخرة، ومعناهما قريب.

---

(١) فى «ك»: قلاع.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٨/٥٣١ رقم ٤٩١٩)، ومسلم (٣/٣٢ - ٤٣ رقم ١٨٣).

**ويُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فلا يستطيعُون ﴿٤٢﴾ خاشعةً أبصارُهُمْ ترهقُهُمْ ذلّةٌ وقد كانوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وهُمْ سالمُون ﴿٤٣﴾**

وقوله: ﴿ ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾ أى: لايستطيع المنافقون السجود. وفى الخبر: فيعقم أصلابهم - أى أصلاب المنافقين - وقوله: يعقم أى: يصير طبقا واحدا. وفى رواية: تصير كسفا قيد الحديد. وفى الخبر برواية أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة مُثّل لكل قوم ما كان [ يعبدونه ](١) فى الدنيا فيتبعونه، ويبقى أهل التوحيد فيقال لهم: قد ذهب الناس فماذا تنتظرون؟ فيقولون: إن لنا ربّاً كنا نعبده. فيقال لهم: هل تعرفونه لو رأيتموه؟ فيقولون: نعم. فيقال [ لهم ](٢): كيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون: إنه لا شبه له. فيكشف لهم الحجاب فيسجد كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى المنافقون فلا يستطيعون السجود، وتصير ظهورهم كصياص البقر. فيقول الله تعالى للمؤمنين: ارفعوا رءوسكم فقد جعلت بدل كل رجل [ منكم رجلا ](٣) من اليهود والنصارى فى النار»(٤).

وقوله: ﴿ خاشعة أبصارهم ﴾ أى: ذليلة أبصارهم، والمراد منه ذل الندامة والحسرة.

وقوله: ﴿ ترهقهم ذلة ﴾ أى: يغشاهم الذل والهوان.

وقوله: ﴿ وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ﴾ أى: يدعون إلى صلاة الجماعة وهم سالمون أى: معافون، والآن السجود لهم ( مهيات )(٥).

---

( ١ ) فى «الأصل ، وك» : يعبده.

( ٢ ) من « ك » .

( ٣ ) من « تفسير القرطبى » .

( ٤ ) رواه أبو الليث السمرقندى فى تفسيره، كما فى تفسير القرطبى ( ١٨ / ٢٤٩ - ٢٥٠ )، وابن عساكر عن أبى موسى به، وبنحوه عن أبى موسى أيضا رواه عبد بن حميد، والدارقطنى، وابن مردويه، كما فى الدر ( ٦ / ٣٢٤ ).

( ٥ ) كذا، ولعلها مهيبات، ويعنى أن السجود الآن لهم بعيد.

**فذرني ومن يُكذّبُ بهذا الْحديث سنستدْرجُهُم مَنْ حيْثُ لا يعْلمُون ﴿٤٤﴾ وأُملي لهُمْ إنَّ كيْدي متينٌ ﴿٤٥﴾**

---

وظاهر الآية أن معناها السجود فى الصلاة. وعن إبراهيم التيمى أنه قال: هو الصلاة المكتوبة. وقال سعيد بن جبير: يدعون إلى السجود بحى على الفلاح وهم سالمون فلا يجيبون.

قوله تعالى: ﴿ فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث ﴾ أى: خلنى وإياه وكلْهُ إلى لأجازيه بعمله. وقيل: ذرنى أى: لاتشغل قلبك به، ودعنى وإياه فإنى مجازيه ومكافئه، وهو بمعنى الأول. والعرب تقول مثل هذا القول، وإن لم يكن هناك أحد يمنعه منه، قال الشاعر:

**ذرينى والثعلب أم سعد تقلنى الأرض (أو بيتك)(١) أمالا(٢)**

وقوله: ﴿ سنستدرجهم من حيث لايعلمون ﴾ الاستدراج فى كلام العرب هو الأخذ قليلا قليلا، ومنه درج الصبى إذا مشى قليلا قليلا.

وروى عبد الرحمن بن داود الخريبى عن سفيان الثورى أنه قال: الاستدراج هو إسباغ النعم، ومنع الشكر. وقيل: هو أنه كلما جدد ذنبا جدد الله له نعمة. وعن عقبة بن مسلم قال: إذا كان العبد على معصية الله ثم أعطاه الله ما يحب، فليعلم أنه فى استدراج. وعن الحسن البصرى قال: كم من مستدرج يحسن الثناء عليه، ومغرور يستر الله عليه. (وقيل)(٣): سنستدرجهم أى: نمكر بهم من حيث لايعلمون.

وقوله: ﴿ وأملى لهم ﴾ أى: أمهلهم ولا أباغتهم جهرا، بل آخذهم وأمكر بهم قليلا قليلا. وقد بينا معنى الإمهال والإملاء من قبل.

وقوله: ﴿ إن كيدى متين ﴾ أى: شديد.

---

(١) فى «ك»: تقلن الأرض أوشك.

(٢) كذا.

(٢) فى «ك»: وقوله.

**أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ**

قوله تعالى: ﴿ أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون ﴾ أى: أجرا على تبليغ الرسالة فهم من الغرم مثقلون.

وقوله: ﴿ أم عندهم الغيب فهم يكتبون ﴾ أى: عندهم اللوح المحفوظ، وسماه غيبا لأنه كتب فيه ما غاب عن العباد.

وقوله: ﴿ فهم يكتبون ﴾ أى: يكتبون منه ما يحكمون لأنفسهم ويقع بشهواتهم.

قوله تعالى: ﴿ فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت ﴾ أى: فى الضجر وترك الصبر. ويقال: لا تغاضب كما غاضب صاحب الحوت، وهو ذو النون، واسمه يونس بن متى صلوات الله عليه.

وقوله: ﴿ إذ نادى وهو مكظوم ﴾ أى: مملوء كربا وغما. ويقال: كظم البعير بجرته إذا حبسها، والمعنى: أنه لم يجد للغم الذى فى قلبه نفاذا ومساغا فكظم عليه أى: حبسه.

وقوله: ﴿ لولا أن تداركه نعمة من ربه ﴾ أى: رحمة من ربه.

وقوله: ﴿ لنبذ بالعراء ﴾ العراء هو وجه الأرض. ويقال: المكان الخالى البارز.

وقوله: ﴿ وهو مذموم ﴾ أى: نبذ غير مذموم، ولولا رحمة ربه لكان مذموما.

قوله تعالى: ﴿ فاجتباه ربه ﴾ أى: اصطفاه واختاره.

وقوله: ﴿ فجعله من الصالحين ﴾ أى: من عباده الصالحين. وقد ذكرنا قصته من قبل.

قوله تعالى: ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم ﴾ قرأ ابن عباس:

﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

«ليزهقونك بأبصارهم» والزلق هو السقوط، والإزلاق: الإسقاط. وفى الآية قولان معروفان: أحدهما: ليزلقونك بأبصارهم أى: يعتانونك، ومعناه: يصيبونك بأعينهم. ذكره الكلبى ومقاتل وغيرهما، وذكره الفراء أيضا فى كتابه. وروى أن الرجل من العرب كان يجوع نفسه ثلاثة أيام، ثم يخرج فتمر عليه إبل جاره أو غنمه فيقول: ما أحسنها، وما أعظمها، وما أسمنها ومثل هذا؛ فيسقط (منها)[1] العدَّة فتهلك. وفى بعض التفاسير: أن هذا كان فى بنى أسد من العرب وكان الرجل يعتان إبل الواحد منهم أو الغنم، ثم يقول لغلامه: اذهب بمكتل ودرهم لتأخذ لنا من لحمه، وكان يتيقن أنه يسقط فينحر.

والقول الثانى فى الآية - وهو أحسن القولين - أن المراد منها هو أنهم ينظرون إليك نظر البغضاء و العدواة فيكادون من شدة نظرهم أى: يصرعونك ويسقطونك، وهذا على مذهب كلام العرب. تقول العرب: نظر فلان نظرا يكاد يصرعه أو يأكله، أو ينظر إلىَّ فلان نظرا يكاد يصرعنى أو يكاد يأكلنى به أى: لو أمكنه أن يصرعنى به يصرعنى أو يأكلنى به لأكلنى. وهذا اختيار الزجاج وغيره من أهل المعانى. وأنشدوا:

**يتلاحظون إذا التقوْا فى موطن نظَـراً يزيل (مواطـن)[2] الأقـدام**

وقوله: ﴿لما سمعوا الذكر﴾ أى: القرآن وكانت عداوتهم وبغضاؤهم تشتد إذا سمعوه ﷺ يقرأ القرآن.

وقوله: ﴿ويقولون إنه لمجنون﴾ اسم سموه به.

وقوله: ﴿وما هو إلا ذكر للعالمين﴾ أى: شرف للعالمين، وهو كناية عن الرسول. والأظهر أن القرآن ذكر للعالمين. وقيل: الرسول مذكر للعالمين، وقد بينا معنى العالمين من قبل.

---

(١) فى «ك»: فيها.

(٢) فى «ك»: مواطئ.

# تفسير سورة الحاقة

## وهى مكية

وذكر النقاش فى كتابه بروايته أن عمر - رضى الله عنه - قال: تعرضت لرسول الله ﷺ قبل أن أسلم - فمضيت إلى المسجد فوجدته قد سبقنى إليه، وقام يصلى فقمت خلفه - فقرأ سورة الحاقة، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن، وأقول: هو شاعر كما يقوله قريش حتى بلغ قوله تعالى: ﴿إنه لقول رسول كريم وماهو بقول شاعر﴾[1] إلى آخر السورة، فعلمت أنه ليس بشاعر، ووقع الإسلام فى قلبى.

(١) الحاقة: ٤٠ - ٤١.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿ الحاقة مالحاقة ﴾ وهى اسم للقيامة. وسميت القيامة حاقة؛ لأن فيها حواق الأمور، أى: حقائقها. ويقال: لأنها حققت على كل إنسان عمله من خير وشر، وتظهر جزاءه من الثواب والعقاب.

قال الأزهرى: سميت حاقة؛ لأنها تحق الكفار الذين حاقوا الأنبياء فى الدنيا إنكارا لها. تقول العرب: حاققت فلانا فحققته، أى: خاصمته فخصمته.

وقوله: ﴿ ما الحاقة ﴾ مذكور على وجه التعظيم والتفخيم.

قال امرؤ القيس:

**فدع عنك نهبا صيح فى حجراته ولكن حديث ما حديث الرواحل**

فما للاستفهام، وهو مذكور فى هذا الموضع لتعظيم أمر الرواحل. كذلك هاهنا.

وقوله: ﴿ وما أدراك ما الحاقة ﴾ قال ابن عباس: كل ما قال: «أدراك» فقد أعلم النبى ﷺ، وما قال: «ومايدريك» فلم يعلمه. وهو مذكور أيضًا على طريق التعظيم والتهويل. ومثله قول أبى النجم شعرًا:

**أنا أبو النجم وشعرى شعرى**

قوله تعالى: ﴿ كذبت ثمود وعاد بالقارعة ﴾ القارعة اسم للقيامة أيضًا. قال المبرد: سميت القيامة قارعة؛ لأنها تقرع القلوب، وتهجم عليها بالشدة والكرب.

وقوله: ﴿ فأما ثمود فأهلكوا بالطاغيه ﴾ قال مجاهد: بطغيانهم، وهو قول أبى

**وأمَّا عادٌ فأُهْلِكُوا بريحٍ صرْصرٍ عاتيةٍ ﴿٦﴾ سخَّرها عليْهِمْ سبْعَ ليالٍ وثمانية أيَّامٍ حُسُوماً فترى الْقوْمَ فيها صرْعَىٰ كأنَّهُمْ أعْجازُ نخْلٍ خاويةٍ ﴿٧﴾ فهلْ ترَىٰ لهُم مِّنْ باقيةٍ ﴿٨﴾**

عبيدة أيضاً. ويقال: بالطاغية أى: بالصيحة. (وقيل)[1]: بالرجفة. وسمى الصيحة طاغية؛ لأنها زادت على المقدار الذى تطيقه الأسماع.

وقوله: ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر﴾ أى: ذات برد شديد. وعلى هذا القول أخذ من الصِّر وهو البرد. وقيل: [هى][2] ذات صيحة. وعلى هذا مأخوذ من الصَّرَّة وهى الصيحة.

وقوله: ﴿عاتية﴾ أى: عتت على خُزَّانها. قال قبيصة بن ذؤيب: لم يرسل الله ريحاً إلا بقدر معلوم غير الريح التى أرسلها على عادٍ، فإنها خرجت بغير قدر معلوم غضباً بغضب الله تعالى. وقد روى هذا عن ابن عباس. ويقال: سمى هذه الريح عاتية؛ لأنها جاوزت المقدار.

وقوله: ﴿سخرها عليهم﴾ أى: سلطها وأرسلها عليهم ﴿سبع ليال وثمانية أيام حسوماً﴾ أى: متتابعة. وقيل: مشائيم. ويقال: سماها حسوماً؛ لأنها قتلتهم وأفنتهم، من الحسم وهو القطع.

وفى التفسير: أن ابتداءه كان من غداة يوم الأربعاء، ويقال: من غداة يوم الأحد.

وقوله: ﴿فترى القوم فيها صرعى﴾ أى: صرعوا وصاروا ﴿كأنهم أعجاز نخل﴾ أى أصول نخل منقطعة عن أماكنها. ﴿خاوية﴾ قال الأزهرى: سماه خاوية؛ لأنها إذا (انقلعت)[3] خلت أماكنها منها.

وقوله: ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾ أى: من نفس باقية. ويقال: من بقاء.

---

(١) فى «ك»: ويقال.

(٢) من «ك».

(٣) فى «ك»: انقطعت.

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿وجاء فرعون ومن قَبْلَهُ﴾ وقرئ: «ومن قِبَلَهُ» أى: الأمم الذين كانوا قبله.

وقوله: ﴿والمؤتفكات﴾ هى قريات لوط. فعلى هذا معناه: وأهل المؤتفكات. وقيل المؤتفكات: هم قوم لوط؛ لأنه ائتفك بهم.

وقوله: ﴿بالخاطئة﴾ أى: بالخطأ العظيم، أى: بالذنب العظيم.

وقوله: ﴿فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية﴾ أى: زائدة على الأخذات. ويقال: زاد العذاب على قدر أعمالهم.

قوله تعالى: ﴿إنا لما طغى الماء﴾ قال سعيد بن جبير: غضب بغضب الله فطغى. ويقال: طغى أى: جاوز المقدار. فيقال: إنه زاد كل شىء فى العالم خمسة [أذرع][1]. وقد قيل أكثر من ذلك.

وقوله: ﴿حملناكم فى الجارية﴾ أى: السفينة، وجمعها الجوارى وهى السفن.

وقوله: ﴿لنجعلها لكم تذكرة﴾ أى: عبرة وعظة. قال قتادة: أدرك أوائل هذه الأمة سفينة نوح، وكم من السفن قد هلكت، ولكن الله تعالى أبقى هذه السفينة تذكرة لهذه الأمة وعبرة لها. ويقال: جعلها لكم تذكرة، أى: تذكروا هذه القصة فتكون لكم ولمن سمعها عبرة وعظة.

وقوله تعالى: ﴿وتعيها أذن واعية﴾ أى: أذن عقلت أمر الله وعملت به. وروى مكحول أن هذه الآية لما نزلت قال النبى ﷺ لعلى رضى الله عنه: «سألت الله أن يجعلها أذنك». قال على: فما سمعت بعد ذلك شيئا فنسيته[2].

(١) فى «الأصل، وك»: ذراع. والصواب ما أثبتناه.

(٢) رواه ابن جرير الطبرى (٢٩ / ٣٥)، وابن أبى حاتم- (تفسير ابن كثير ٤ / ٤١٣- من رواية مكحول به مرسلا. ورويا أيضا من حديث ابن مرة الأسلمى به. ورواه ابن جرير من حديث بريدة به وقال الحافظ ابن كثير: ولا يصح أيضا.

**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ**

قوله تعالى: ﴿ فإذا نفخ فى الصور ﴾ قد بينا معنى الصور.

وقوله: ﴿ نفخة واحدة ﴾ أى: النفخة الأولى.

وقوله: ﴿ واحدة ﴾ أى: ليست لها مثنوية.

وقوله تعالى: ﴿ وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ﴾ أى: زلزلتا زلزلة واحدة. ويقال: فتتا فتة واحدة. وقيل: ضرب أحدهما بالآخر فانهدمتا وهلكتا.

وقوله: ﴿ فيومئذٍ وقعت الواقعة ﴾ أى: قامت القيامة.

وقوله: ﴿ وانشقت السماء فهى يؤمئذ واهية ﴾ أى: ضعيفة.

قال على بن أبى طالب: تنشق من المجرة. يقال: شقًا واهٍ أى: ضعيف متخرق.

ومن أمثالهم:

**خلِّ سبيل من وهى شقاؤه ... ومن هريق بالفلاة ماؤه**

وقيل: فهى يؤمئذ واهية، أى: منشقة منخرقة، لأن ماوهى ينشق ويتخرق.

وقوله: ﴿ والملك على أرجائها ﴾ أى: على أطرافها. قال الكسائى: على حافتها.

وقيل: على (مواضع)[1] شقوقها يتظرون إلى الدنيا.

وقوله: ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذٍ ثمانية يومئذ تعرضون ﴾ قيل: ثمانية صفوف من الملائكة. وفى جامع أبى عيسى الترمذى برواية الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب أن النبى ﷺ كان جالسًا فى عصابة من أصحابه، فمرت سحابة فقال: «هل تدرون ما اسم هذه؟ قالوا: نعم، هذا السحاب. قال رسول الله ﷺ: المزن؟ قالوا: والمُزْن. قال رسول الله: والعَنان؟ قالوا: والعنان. قال لهم رسول الله ﷺ:

(١) فى «ك»: موضع.

تدرون كم بُعْدُ ما بين السماء والأرض؟ قالوا: لا، والله ما ندرى. قال: فإن بُعْدُ ما بينهما إما واحدة وإما اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، والسماء التى فوقها كذلك حتى عدهن سبع سموات. قال: فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء إلى السماء، وفوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن ما بين سماء إلى السماء، ثم فوق ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه ما بين السماء إلى السماء، والله فوق ذلك. قال رضى الله عنه: أخبرنا بذلك والدى أبو منصور محمد بن عبد الجبار السمعانى، أخبرنا أبو العباس بن محبوب أخبرنا أبو عيسى الترمذى أخبرنا [عبد بن حميد][1] أخبرنا عبد الرحمن بن سعد، عن عمرو بن أبى قيس، عن سماك بن حرب، عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف ابن قيس، عن العباس بن عبد المطلب ... الخبر[2].

وفى بعض الأخبار: أن من جملة حملة العرش ملكا على صورة ديك، رجلاه فى تخوم الأرضين ورأسه تحت العرش، وجناح له بالمشرق وجناح بالمغرب، إذا سبح الله تعالى سبح له كل شىء. وروى الزهرى عن أنس أن النبى ﷺ قال لجبريل: «إنى أريد أن أراك فى صورتك. فقال: إنك لاتطيق ذلك، فقال: أنا أحب أن تفعل، قال: فخرج رسوله الله ﷺ إلى البطحاء، وأراه جبريل نفسه فى صورته التى خلقه الله تعالى عليها، وجناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب، ورأسه فى السماء، فغشى على النبى ﷺ ثم أفاق ورأسه فى حجر جبريل، وقد وضع إحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه، ثم قال: لو رأيت إسرافيل وله اثنا عشر جناحاً، والعرش على كاهله، وإنه ليتضاءل أحياناً من خشية الله حتى يصير مثل الوضع، فلا يحمل العرش

---

(١) فى «الأصل، وك»: أبو عبد بن حميد، وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه كما عند الترمذى ٥ / ٣٩٥ رقم ٣٣٢٠.

(٢) رواه أبو داود (٤ / ٢٣١ - ٢٣٢ رقم ٤٧٢٣ - ٤٧٢٥)، والترمذى (٥ / ٣٩٥ - ٣٩٦ رقم ٣٣٢٠) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (١ / ١٦٩ رقم ١٩٣)، وأحمد (١ / ٢٠٦ - ٢٠٧)، وابن خزيمة فى التوحيد (١٠١ - ١٠٢)، وابن أبى عاصم فى السنة (١ / ٢٥٣ رقم ٥٧٧)، والعقيلى (٢ / ٢٨٤)، والحاكم (٢ / ٥٠١)، وأبو الشيخ فى العظمة (رقم ٢٠٦، ٢٠٧)، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٥٢٦)، وابن عبد البر فى التمهيد (٧ / ١٤٠ - ١٤١)، والبغوى فى تفسيره (٤ / ٣٨٧ - ٣٨٨).

**تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ منكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾**

إلا عظمة الله »(١).

وقوله تعالى: ﴿ يومئذٍ تعرضون لاتخفى منكم خافية ﴾ أى: فعلة خافية، والمعنى: أنه لايخفى شيء على الله تعالى. وقد روى عن عمر- رضى الله عنه- أنه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتهيئوا للعرض الأكبر. وعن أبى موسى الأشعرى قال: فى القيامة ثلاث عرضات: عرضتان جدال ومعاذير، والعرضة الثالثة فيها تطاير الكتب. وقد روى هذا مرفوعًا(٢). وفى بعض الأخبار عن عائشة قالت: « يارسول الله، هل تذكرون أهاليكم يوم القيامة؟ قال: أما فى ثلاثة مواطن فلا، وذكر عند تطاير الكتب، وعند الميزان، وعلى الصراط »(١).

قوله تعالى: ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه ﴾ أى: تعالوا اقرءوا كتابيه. وقيل: خذوا. تقول العرب للواحد :هاءَ، وللاثنين هاؤما، وللجماعة هاؤموا. وقد روى « أن رجلا نادى رسول الله وقال: يا محمد. فقال النبى ﷺ: هاؤم »(٣).

وقوله: ﴿ إنى ظننت أنى ملاقٍ حسابيه ﴾ أى: أيقنت. قال الحسن البصرى: إن

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه ابن ماجه ( ٢ / ١٤٣٠ رقم ٤٢٧٧ )، وأحمد ( ٤ / ٤١٤ ) عن أبى موسى مرفوعا.
ورواه ابن جرير ( ٢٩ / ٣٨ ) موقوفا. وقال الدارقطنى فى العلل ( ٧ / رقم ١٣٣١ ): والموقوف هو الأصح.
ورواه الترمذى ( ٤ / ٥٣٣ رقم ٢٤٢٥ ) عن أبى هريرة. وقال: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبى هريرة. وقد رواه بعضهم عن على الرفاعى عن الحسن عن أبى موسى عن النبى ﷺ. ثم قال: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبى موسى.

(٣) رواه الترمذى ( ٥ / ٥١٠ - ٥١١ رقم ٣٥٣٦ ) وقال: حديث حسن صحيح. والطيالسى ( ص ١٦٠ رقم ١١٦٧ ). وصححه ابن حبان ( ٢ / ٣٢٢ رقم ٥٦٢ ) من حديث صفوان بن عسال به..

**فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾**

المؤمن أحسن الظن بالله فأحسن العمل، وإن المنافق أساء الظن بالله فأساء العمل.

وقوله: ﴿ فهو فى عيشة راضية ﴾ أى: ذات رضا. وقال أبو عبيدة: مرضية. ويقال: عيشة راضية: الجنة.

وقوله: ﴿ فى جنة عالية ﴾ أى: مرتفعة.

وقوله تعالى: ﴿ قطوفها دانية ﴾ قال البراء بن عازب: يتناولها قائمًا وقاعدًا ونائمًا، أى: مضطجعًا. ومعنى دانية: قريبة المتناول، لايمنع منها بُعْدٌ ولاشوك.

وقوله: ﴿ كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم ﴾ أى: قدمتم ﴿ فى الأيام الخالية ﴾ أى: الماضية، وهى فى الدنيا. وعن بعضهم: أن الآية فى الصائمين.

قوله تعالى: ﴿ وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه ﴾ أى: كتابى﴿ ولم أدر ماحسابيه ﴾. أى: لم أتق حسابى؛ لأنه لايرى لحسابه حاصلا، ويرى كل شىء عليه.

وقوله: ﴿ ياليتها كانت القاضية ﴾ أى: ياليت الميتة كانت قاضية أى: لم أحى بعدها، فقضت عَلىَّ الفناء أبداً. وقيل: ياليتها أى: ياليتنى مت الآن.

وقوله: ﴿ ما أغنى عنى ماليه ﴾ أى: مالى.

وقوله: ﴿ هلك عنى سلطانيه ﴾ أى: بطلت حُجتى، ولم يسمع عذرى، وإنما لايسمع لأنه لاعذر له. وسمى السلطان سلطانا؛ لأنه يقام عنده الحجج، أو لأنه حجة على الخلق ليقيموا أمورهم. قال قتادة: ليس هو أن يلى قرية فيجيبها، ولكنه أراد به سلطانه على نفسه، حيث ضيّع ماجعله الله له، وارتكب المعاصى، وضيّع الأوامر.

**خُذُوهُ فغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجحيم صلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ في سلْسلةٍ ذرْعُها سبْعُون ذراعا فاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إنَّهُ كان لا يُؤْمنُ باللَّه الْعظيم ﴿٣٣﴾ ولا يحُضُّ علىٰ طعام الْمسْكين ﴿٣٤﴾ فليْس لهُ الْيوْم هاهُنا حميمٌ ﴿٣٥﴾ ولا طعامٌ إلاَّ منْ غسْلينٍ ﴿٣٦﴾ لا يأْكُلُهُ إلاَّ الْخاطئُون ﴿٣٧﴾ فلا أُقْسمُ بما تُبْصرُون ﴿٣٨﴾ وما لا تُبْصرُون ﴿٣٩﴾**

قوله تعالى: ﴿ خذوه فغلوه ﴾ هو من غل اليد إلى العنق. وقيل: يشد قدمه برقبته، ثم يجر على وجهه.

وقوله: ﴿ ثم الجحيم صلوه ﴾ أى: اشوه.

وقوله: ﴿ ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا ﴾ قال نوف البكالى: كل ذراع سبعون باعًا، وكل باع من هاهنا إلى مكة، وكان بالكوفة يومئذٍ.

وروى نحوًا من ذلك عن سعيد بن جبير.

وقوله: ﴿ فاسلكوه ﴾ فى التفسير: أنها تدخل فى فيه حتى تخرج من دبره، فهو معنى قوله: ﴿ فاسلكوه ﴾.

وقوله: ﴿ إنه كان لايؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين ﴾ أى: لايحث. قال الحسن: أدركت أقوامًا يعزمون على أهليهم إذا خرجوا أن لايردوا سائلا، وأدركت أقوامًا كان الواحد منهم يخلف أخاه فى أهله أربعين عامًا.

وقوله: ﴿ فليس له اليوم هاهنا حميم ﴾ أى: قريب.

وقوله: ﴿ ولا طعام إلا من غسلين ﴾ الغسلين: صديد أهل النار. وعن الربيع بن أنس قال: هو شجرة تخرج طعامًا هو أخبث أطعمة أهل النار. وفى الخبر أن دلوًا من غسلين لو صب فى الدنيا لأنتن أهل الدنيا.

وقوله: ﴿ لايأكله إلا الخاطئون ﴾ أى: المشركون. ويقال: أهل المعصية.

وقوله تعالى: ﴿ فلا أقسم بما تبصرون ﴾ أى: أقسم، و «لا» صلة. وقيل معنى ﴿ ومالا تبصرون ﴾ أى: الملائكة. وفى التفسير: أن فى الآية ردا على المشركين

**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ولا بقول كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾**

حيث قال بعضهم: إن محمداً ساحر، وهو وليد بن المغيرة ومن تبعه، وقال بعضهم: هو شاعر، وهو أبو جهل ومن تبعه، وقال بعضهم: هو كاهن، وهو عقبة بن أبى معيط ومن تبعه.

وقوله: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ أى: رسول كريم على الله. وقيل: إنه جبريل. وقيل: إنه محمد ﷺ. فإن قال قائل: كيف قال: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ وإنما هو قول الله تعالى؟

والجواب من وجهين: أحدهما: أن معناه تلاوة رسول كريم، والثانى: قول الله وإبلاغ رسول كريم، فاتسع فى الكلام واكتفى بالفحوى.

وقوله: ﴿وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون﴾ أى: لاتؤمنون أصلا. يقول الرجل لغيره: قليلا ما تأتينى، أى: لاتأتينى أصلا.

وقوله: ﴿ولابقول كاهن﴾ الكاهن هو الذى يخبر عن الغيب كذبًا. وقيل: بظن وحدسٍ لا عن علم.

وقوله تعالى: ﴿قليلا ماتذكرون﴾ أى: لاتتعظون أصلا كما بينا.

وقوله: ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ولوتقول علينا بعض الأقاويل﴾ يعنى: أن محمداً لو تقول علينا بعض الأقاويل، أى: قال مالم نقله.

وقوله: ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ أى: بالقوة. أى: انتقمنا منه بقوتنا وقدرتنا، قاله مجاهد.

قال الشماخ:

ثم لقطعنا منه الوتين ﴿٤٦﴾ فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴿٤٧﴾ وإنه لتذكرة للمتقين ﴿٤٨﴾ وإنا لنعلم أن منكم مكذبين ﴿٤٩﴾ وإنه لحسرة على الكافرين ﴿٥٠﴾ وإنه لحق اليقين ﴿٥١﴾ فسبح باسم ربك العظيم ﴿٥٢﴾

رأيت عرابة الأوسى يسمو إلى الخيرات منقطع القرين

إذا مـارايـة رُفعـت لمجـد تلقـاها [ عـرابة ] باليمـين

أى: بالقوة. وقال مؤرج: قوله: ﴿ لأخذنا منه باليمين ﴾(١) وعن ثعلب: بالحق. وهو مروى عن السدى أيضا. وعن الحسن. لأخذنا منه باليمين، أى: أذهبنا قوته. ويقال: «لأخذنا منه باليمين» هو مثل قول القائل: خذ بيمينه إذا فعل شيئا-أى: بالقوة- يستحق العقوبة.

وقوله: ﴿ ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ أى: نياط القلب؛ فإذا انقطع لم يحى الإنسان بعده.

قال الشماخ أيضا مخاطبا لناقته:

إذا بلغتنى وحملت رحلى عرابةَ فاشرقى بديم الوتين

وقوله: ﴿ فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ يعنى. إنكم تنسبونه إلى الكذب على، ولو أخذته لم يقدر أحد منكم على دفعنا عنه.

وقوله: ﴿ وإنه لتذكرة للمتقين ﴾ أى: القرآن.

وقوله: ﴿ وإنا لنعلم أن منكم مكذبين ﴾ أى: بالقرآن وبالرسول.

وقوله: ﴿ وإنه لحسرة على الكافرين ﴾ أى: البعث حسرة على الكافرين.

وقوله: ﴿ وإنه لحق اليقين ﴾ أى: البعث محض اليقين وعين اليقين.

وقوله: ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ أى: نزه ربك العظيم، واذكره بأوصافه المحمودة اللائقة. وفيه دليل أن الاسم هو المسمى، ولافرق بينهما.

(١) سقط من «الأصل، وك» قول مؤرج.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾

# تفسير سورة المعارج

## وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ أى: واقع أى: دعا داع[1].

والآية نزلت فى النضر بن الحارث بن كلدة وأنه قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ بعذاب واقع ﴾ «الباء» صلة. ومعناه: دعا داع، والتمس ملتمس عذابا من الله تعالى.

وقوله: ﴿ واقع ﴾ أى: كائن حاصل فى حق الكافرين، وذلك يوم القيامة يقع بهم ذلك لامحالة. وقيل: هو فى الدنيا، وقد وقع ذلك بالنضر بن الحارث، حيث قتل صبراً يوم بدر. وهذا الذى ذكرنا معنى قول مجاهد وغيره.

والقول الثانى فى الآية: سأل سائل عن عذاب واقع، «فالباء» بمعنى «عن»، قاله الفراء وغيره. والمعنى: سأل سائل بمن يقع العذاب؟ وعلى من ينزل العذاب؟ فقال الله تعالى: ﴿ للكافرين ﴾ يعنى: على الكافرين. وقرئ فى الشاذ: «سال سائل» يقال: سال بمعنى سأل على الهمز. وقيل: سال سائل أى: واد فى جهنم يسيل على الكفار بالعذاب.

وقوله تعالى: ﴿ ليس له دافع ﴾ أى: لا يدفع العذاب عن الكافرين أحد، ولايمنعه منهم.

---

(١) يعنى أن السؤال بمعنى الدعاء، والمعنى: دعا داع بعذاب. القرطبى (١٨/٢٧٨).

مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾

وقوله: ﴿ من الله ذى المعارج ﴾ أى: ذى السموات، وسميت السموات معارج، لأن الملائكة يعرجون إليها. ويقال: ذى المعارج أى: ذى الفواضل. ويقال: ذى الدرجات على معنى إكرامه المؤمنين بالدرجات وإعطائها إياهم.

وقوله: ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ قد بينا معنى الروح. وقيل: هم فى خلق السماء يشبهون الآدميين، وليسوا بآدميين.

وقوله: ﴿ فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ قال ابن عباس: هو يوم القيامة، وهو أصح القولين. وروى الحسن مرسلا وأبو سعيد الخدرى مسنداً فى بعض الغرائب من الروايات: «أن الله تعالى يخففه على المؤمنين، فيجعله بقدر صلاة مكتوبة خفيفة»(١). وفى بعض الآثار: «بقدر مابين الظهر إلى العصر»(٢). وقال وهب بن منبه: من قرار الأرض إلى فوق العرش خمسين ألف سنة. وقيل معنى قوله: ﴿ فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ يعنى: لو عمل عامل أو حاسب محاسب مايعمل الله تعالى فى ساعة أو فى يوم واحد، لم ينقطع إلى خمسين ألف سنة. وعن ابن عباس فى بعض الروايات أن قوله تعالى: ﴿ فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ وقوله: ﴿ فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾(٣) آيتان لايعلم معناهما إلا الله. ومثله عن قتادة.

---

(١) رواه أحمد (٣/٧٥)، وأبو يعلى (٢/٥٢٧ رقم ١٣٩٠)، وابن جرير (٢٩/٤٥)، وابن أبى الدنيا فى الأهوال (١٣١ رقم ١٠٣)، وابن حبان فى صحيحه (١٦/ ٣٢٩ رقم ٧٣٣٤)، وابن عدى (٣/١١٤)، والبغوى فى تفسيره (٤/٣٩٢) جميعهم من طريق دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد. وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٣٤٠): رواه أحمد وأبو يعلى، وإسناده حسن على ضعف في راويه. وقال ابن كثير (٤/٤١٩): إلا أن دراجا وشيخه أبا الهيثم ضعيفان.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) السجدة: ٥.

فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ

وقوله: إن قوله: ﴿ألف سنة﴾ هو مسافة ما بين السماء والأرض صاعدا ونازلا.

وقوله: ﴿خمسين ألف سنة﴾ مسافة ما بين الأرض إلى العرش صاعدا. والله أعلم.

وقوله: ﴿فاصبر صبرًا جميلا﴾ أى: صبرا لا جزع فيه ولا شكوى. وعن قيس بن الحجاج فى قوله: ﴿فاصبر صبرًا جميلا﴾ قال: هو أن يكون صاحب المصيبة فى القوم ولا يُدْرَى من هو، وإنما أمره بالصبر؛ لأن المشركين كانوا يؤذونه، فأمره بالصبر إلى أن ينزل بهم عذابه.

وقوله: ﴿إنهم يرونه بعيدًا﴾ أى: العذاب.

وقوله: ﴿ونراه قريبا﴾ لكونه ووقوعه لا محالة.

قوله تعالى: ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ أى: كدُرْدى الزيت، ويقال: كعكر القطران. وعن ابن مسعود قال: هو المذاب من جواهر الأرض مثل النحاس والرصاص والفضة، فالكل مهل.

وقوله: ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ والعهن: الصوف المصبوغ، وشبهه به فى ضعفه ولينه.

وقوله: ﴿ولا يسأل حميم حميما﴾ أى: لا يسأل قريب عن حال قريبه لشغله بنفسه. وقرئ: «ولا يُسأل حميم حميما» أى: لا يُسأل أحد أين حميمك؟

وقوله: ﴿يبصرونهم﴾ أى: يعرفونهم. ومعناه: يعرف بعضهم بعضا، ولا يسأله عن حاله لشغله بنفسه. وقيل: يعرف بعضهم بعضا بالسمات والعلامات، فإن لأهل الجنة سمات وعلامات، وكذلك لأهل النار.

يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ

وقوله: ﴿يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذٍ ببنيه وصاحبته﴾ أى: امرأته.

﴿وأخيه﴾ هو الأخ المعروف.

وقوله: ﴿وفصيلته التى تؤويه﴾ أى: عشيرته التى يأوى إليهم، وقيل: أقربائه الأدنون. والفصيلة أحضر وأدنى من الفحل. ويقال: العباس هو من فصيلة الرسول.

وقوله: ﴿ومن فى الأرض جميعًا ثم ينجيه﴾ أى: لو يفتدى بمن فى الأرض جميعاً لينجو فلا ينجو.

وقوله: ﴿كلا﴾ هو ما بينا من المعنى. وعن عمر بن عبد الله مولى غفرة: أن كل ما جاء فى القرآن «كلا» هو بمعنى كذبت.

وقوله: ﴿إنها لظى﴾ اسم من أسماء جهنم. ويقال: «إنها لظى» عذاب لازم لا ينجو منها أبداً.

وقوله: ﴿نزاعة للشوى﴾ الأكثرون أن الشوى هو الأطراف مثل اليدين والرجلين وغير ذلك. وذكر الفراء أنها جلدة الرأس. وقيل: قحف الرأس. ويقال: الجلد واللحم حتى يبقى العظم. وقيل: الجلد واللحم والعظم إلى أن يصل إلى القلب، وهو نضيج، ذكره مجاهد.

وقوله: ﴿تدعو من أدبر وتولى﴾ أى: تُنادى من أدبر وتولى من الكفار فتقول: يا فلان وتذكر اسمه أقبل إلىَّ وتأخذه. وقال المبرد فى قوله: ﴿تدعو﴾ أى: تعذب. وروى عن النضر عن الخليل أنه سمع أعرابيا يقول لآخر: دعاك الله، أى: عذبك الله. وأما ثعلب فإنه قال: تناديهم واحداً واحداً بأسمائهم. وهو الأظهر.

وقوله: ﴿وجمع فأوعى﴾ أى: جمع المال فأوعاه، أى: جعله فى وعاء وأوكأ

﴿١٨﴾ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ

عليه، وهو كناية عن البخل ومنع الحق.

قوله تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعا﴾ أى: جزوعًا. قال ثعلب: سألنى محمد ابن عبد الله بن طاهر عن هذه الآية، فقلت: الهلع أسوأ الجزع. وقيل: هلوعًا: ضجرًا. وعن الحسن: ضعيفًا. وقال الضحاك: بخيلاً. وعن غيرهم: حريصًا. ويقال تفسيره هو قوله: ﴿إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا﴾ أى: إذا مسه الشر لم يصبر، وإذا مسه الخير لم يشكر.

وقوله: ﴿إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ هذا الاستثناء منصرف إلى ابتداء الكلام، ومعناه: أن هؤلاء ينجون من العذاب.

وروى سفيان عن منصور عن إبراهيم قال: الآية فى الصلوات المكتوبة. وقيل: إدامتها هو إقامتها فى أوقاتها. ويقال: ليست إدامتها أن يصلى أبداً، ولكن إدامتها أنه إذا صلى لم يلتفت يمينا ولا شمالا. ويقال: إدامة الصلوات: ألا يتركها، وهذا قول حسن. وعن بعض السلف هو ألا يؤخرها عن المواقيت؛ فأما إذا تركها كفر.

وقوله: ﴿والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل﴾ وهو الطواف الذى يسأل (عن)[1] الناس.

وقوله: ﴿والمحروم﴾ هو الذى لا يسأل، ويقال: هو المُحارَف، وقيل: المحدود. وكلاهما بمعنى واحد. يقال: فلان مجدود، وفلان محدود، والمجدود الذى يوافقه الجَدُّ، والمحدود المحروم. قال ابن عمر: المحروم هو الكلب. وعن الشعبى قال: أعيانى أن أعرف معنى المحروم. وقيل: هو الفقير الذى لا شىء له.

وقوله: ﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾ أى: يؤمنون به.

(١) كذا، والأولى حذفها.

يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾

وقوله: ﴿ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ﴾ أى: خائفون.

وعن معاذ بن جبل قال: إذا كان يوم القيامة ينادى مناد أين الخائفون؟ فيحشرون فى كنف الرحمن لا يحتجب الله منهم. ذكره أبو الحسين بن فارس فى تفسيره. وفى الخبر المعروف أن النبى ﷺ قال حاكيا عن الله تعالى: «لا أجمع على عبدى خوفين ولا أمنين، فإذا خافنى فى الدنيا أمنته فى الآخرة، وإذا أمننى فى الدنيا خوفته فى الآخرة»(١).

قوله: ﴿ إن عذاب ربهم غير مأمون ﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ﴾ قال ابن عيينة: من لام أحداً فيما ملكت يمينه وإن كثر، أو لامه فى نسائه إذا بلغ الأربع، فقد عصى الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿ فإنهم غير ملومين ﴾ وقال أيضا: من تزوج [بأربع](٢) نسوة، أو تسرى بمماليك، فلا خلل فى زهده فى

(١) رواه البزار (٢/٤٦٥ - ٤٦٦ رقم ٢٢٢٥ مختصر الزوائد)، وابن صاعد فى زوائده على الزهد لابن المبارك (٥١ رقم ١٥٨)، وابن حبان (٢٤٩٤ - الموارد)، والبيهقى فى الشعب (٣/٦٨- ٦٩ رقم ٧٥٩). وفى الآداب (٣٣٣ رقم ١٠٠٥) عن أبى هريرة به. وقال الحافظ ابن حجر: صحيح.

ورواه ابن المبارك فى الزهد (٥٠ - ٥١ رقم ١٥٧)، والبزار (٢/٤٦٥ رقم ٢٢٢٤) عن الحسن مرسلا. وقد رجح الدارقطنى فى العلل (٨/٣٨ رقم ١٣٩٦) الرواية المرسلة.

(٢) فى «الأصل، وك»: بأربعة، والصواب ما أثبتناه.

**وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾**

الدنيا، فإن عليا- رضى الله- عنه قتل عن أربع عقائل[ وتسع عشرة ][1] سرية وكان أزهد الصحابة. وفى الآية دليل على تحريم المتعة. وسئلت عائشة عن المتعة فقالت: بينى وبينكم كتاب الله، وتلت هذه الآية. وسئل ابن عمر عن ذلك فقال: هو زنا. فقيل: إن فلانا يبيحها، فقال: أفلا ترمرم به فى زمان عمر، والله لو أخذه فيها لرجمه.

وقوله: ﴿ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾ هو دليل على مابينا. والعادى والمتعادى واحد.

وقوله: ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾ أى: حافظون. وقيل: أصل الأمانة أن كلمة التوحيد ائتمن الله تعالى المؤمنين عليها.

وقوله: ﴿ والذين هم بشهادتهم قائمون ﴾ وقرئ: «بشهاداتهم» إحداهما بمعنى الجمع، والأخرى بمعنى الوحدان. ومعنى ﴿ قائمون ﴾ أى: يؤدونها على وجهها.

وقوله: ﴿ والذين هم على صلاتهم يحافظون ﴾ قد بينا المعنى.

وقوله: ﴿ أولئك فى جنات مكرمون ﴾ أى: بساتين يكرمهم الله بأنواع النعم.

وقوله تعالى: ﴿ فمال الذين كفروا قبلك مهطعين ﴾ أى: مسرعين. قال أبو جعفر النحاس: والآية فى المعنى مشكلة، والمراد والله أعلم: فما للذين كفروا يسرعون إليك لاستماع القرآن، ثم يتفرقون بلا قبول له والإيمان به. وفى التفسير: أنهم كانوا يأتون ويجلسون حول النبى ﷺ وينظرون إليه نظر البغضاء والعداوة، ويستمعون القرآن استماع الاستهزاء والتكذيب.

وقوله: ﴿ عن اليمين وعن الشمال عزين ﴾ أى: متفرقين حلقا حلقا. وروى أن

(١) في «الأصل، وك»: وتسعة عشر، والصواب ما أثبتناه.

**أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ**

النبى ﷺ خرج إلى المسجد وأصحابه متفرقون كل جماعة فى موضع، فقال: «مالى أراكم عزين»(١). والسنة أن يجلسوا حلقة واحدة، أو بعضهم خلف بعض، ولايتفرقون فى الجلوس.

قوله تعالى: ﴿أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم﴾ قال المفسرون: لما ذكر الله تعالى الجنة للمؤمنين قال الكفار: ونحن أيضاً ندخل معكم؛ فأنزل الله تعالى: ﴿كلا﴾ أى: لايكون الأمر كما يُطمع ويُظن.

وقوله: ﴿إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ أى: من الأقذار والنجاسات. والمعنى: أنه ليس إدخال من يدخل الجنة بكونه مخلوقاً؛ لأنه خلق من شىء نجس قذر، فلا يستحق دخول الجنة، وإنما يُستحق دخول الجنة بالتقوى والدين.

ويقال: إنا خلقناهم من أجل ما [يعلمون](٢)،وهو عبادة الله والإيمان به

قال الشاعر:

**أأزمعت من آل ليْلى ابتكارا ... وشطَّت على ذى هوى أن تُزارا**

أى: من أجل آل ليلى.

وقيل: ﴿إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ أى: ممن يعلمون. والقول الأصح هو الأول.

---

(١) رواه مسلم (٤/٢٠٠ - ٢٠١ رقم ٤٣٠)، وأبو داود (٤/٢٥٨ رقم ٤٨٢٣، ٤٨٢٤)، وأحمد (٥/٩٣، ١٠١، ١٠٧)، والطبرانى فى الكبير (٢/٢٠٢ - ٢٠٤ رقم ١٨٢٣، ١٨٣٠، ١٨٣١)، والبيهقى فى السنن (٣/٢٣٤) عن جابر بن سمرة به

وله شاهد عن أبى هريرة، رواه الطبرى (٢٩/٥٤)، وابن حبان فى صحيحه (٤/٥٣٤ - ٥٣٥ رقم ١٦٥٤)

(٢) فى «الأصل، وك»: يعلمون، والمثبت يقتضيه السياق.

وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿ فلا أقسم برب المشارق والمغارب ﴾ معناه: أقسم، وهو على مذهب العرب، وكانوا يقولون هكذا. وذكر هاهنا المشارق والمغارب؛ لأن الشمس فى كل يوم تشرق من مكان آخر غير ماكان فى اليوم الأول، وكذلك فى المغرب. وفى التفسير: أنها تطلع كل يوم من كوة أخرى، وتغرب فى كوة أخرى.

وقوله: ﴿ إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم ﴾ أى: أطوع لله منهم، وأمثل منهم.

وقوله: ﴿ وما نحن بمسبوقين ﴾ أى: معاجزين، وقد بينا من قبل.

قوله تعالى: ﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون ﴾ هو يوم القيامة. وهو مذكور على طريق التهديد لا على طريق الإطلاق والإذن.

وقوله تعالى: ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعا ﴾ أى: من القبور. والجَدَث: القبر، والأجداث الجمع.

وقوله: ﴿ كأنهم إلى نَصَبٍ يوفضون ﴾ أى: يخرجون سراعًا كأنهم إلى علم نصب لهم يسرعون، وقرئ: «نُصُبٍ يوفضون» بضم النون، والنُصُب والنَصَب بمعنى الأصنام، وقد كانوا يسرعون إلى أصنامهم إذا ذهبوا إليها، فيعظموها ويستلموها.

وقوله: ﴿ خاشعة أبصارهم ﴾ أى: ذليلة أبصارهم ﴿ ترهقهم ذلة ﴾ أى: مذلة.

وقوله: ﴿ ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون ﴾ أى: يقال لهم: هذا اليوم هو اليوم الذى وعدتم فى الدنيا. والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم

# تفسير سورة نوح
# عليه السلام
# وهى مكية

وهو نوح بن لمك بن مُتَوَشْلِخ بن أخنوخ. وعن ابن عباس: أنه بعث وهو ابن أربعين سنة. وعن عوف بن أبى شداد: أنه بعث وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة. ويقال: سمى نوحًا؛ لأنه كان ينوح على نفسه. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا نوحًا إلى قومه أن أنذر قومك﴾ معناه: بأن أنذر قومك إلا أنه حذف الباء. وفى قراءة ابن مسعود: ﴿أنذر قومك﴾ من غير «أَنْ» ومعناه: وقلنا له أنذر قومك.

وقوله: ﴿من قبل أن يأتيهم عذاب أليم﴾ قيل: هو الغرق فى الدنيا.

وقيل: هو النار فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿قال ياقوم إنى لكم نذير مبين﴾ أى: بيِّن النذارة.

وقوله: ﴿أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾ وهذا هو الذى بعث الله لأجله الرسل، فإن الله تعالى مابعث رسولا إلا ليعبدوه ويتقوه ويطيعوا رسوله.

وقوله: ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ أى: من ذنوبكم التى أوعدكم عليها العقوبة. وقد كانت لهم ذنوب أُخَر عفا الله عنها. وقال الفراء: «من» ليست هاهنا للتبعيض،

**مِن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾**

ولكنها للتخصيص على معنى تخصيص الذنوب بالغفران.

وقوله: ﴿ ويؤخركم إلى أجل مسمى ﴾ أى: إلى الموت. فإن قيل: هذه الآية تدل على أنه يجوز أن يكون للإنسان أجلان، وأن العقوبة تقع قبل الأجل المضروب للموت.

والجواب من وجهين: أحدهما: أنه يجوز أن يقال: إن الأجل أجلان: أحدهما: إلى سنة أو سنتين إن عصوا الله، والآخر: إلى عشر سنين أو عشرين سنة إن أطاعوا، الله فعلى هذا قوله تعالى: ﴿ إن أجل الله إذا جاء لايؤخر ﴾ أى: فى حالتى الطاعة والمعصية.

والوجه الثانى: أن الأجل واحد بكل حال.

وقوله ﴿ ويؤخركم إلى أجل مسمى ﴾ أى: يميتكم غير ميتة الاستئصال والعقوبة، وهو الموت الذى يكون بلاغرق ولاقتل ولاحرق. وقيل: يؤخركم إلى أجل مسمى، أى: عندكم، وهو الأجل الذى تعرفونه، وذلك موت من غير هذه الوجوه. وهذا القول أقرب إلى مذهب أهل السنة، فعلى هذا قوله: ﴿ إن أجل الله إذا جاء لايؤخر ﴾ هو الأجل المسمى المضروب لكل إنسان.

وقوله: ﴿ لو كنتم تعلمون ﴾ | أى |[1]: إن كنتم تعلمون.

قوله تعالى: ﴿ قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا ﴾ قال الفراء: أى: من كل وجه وفى كل زمان أمكنت فيه الدعوة من ليل أو نهار.

وقوله تعالى: ﴿ فلم يزدهم دعائى إلا فرارا ﴾ أى: فرارا من الإيمان.

---

(١) من «ك».

**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ**

وقوله: ﴿ وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم ﴾أى: ليؤمنوا فتغفر لهم، فكنى بالمغفرة عن الإيمان؛ لأن الإيمان سبب المغفرة.

وقوله: ﴿ جعلوا أصابعهم فى آذانهم ﴾ يعنى: فعلوا ذلك لئلا يسمعوا.

وقوله: ﴿ واستغشوا ثيابهم ﴾ أى: تغطوا بثيابهم لئلا يروا نوحًا، ولايسمعوا كلامه، وذكر النحاس قولا آخر وقال: إن معنى قوله: ﴿ واستغشوا ثيابهم ﴾ أى: أظهروا العداوة. ويقال: لبس فلان ثياب العداوة على معنى إظهار العداوة.

وقوله: ﴿ وأصروا ﴾ قال ( أبو عبيد )(١): [ أى ](٢): أقاموا عليه. والإصرار أن يفعل الفعل ثم لايندم. وفى بعض الغرائب من الآثار؛ «لاصغيرة مع الإصرار، ولاكبيرة مع الاستغفار»(٣).

وقوله: ﴿ واستكبروا استكباراً ﴾ أى: تكبروا تكبراً. وقد بينا أن الشرك وترك الإقرار بالتوحيد استكبار.

قوله تعالى: ﴿ ثم إنى دعوتهم جهاراً ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً ﴾ فإن قيل: أليس قد دخل هذا فى قوله تعالى: ﴿ رب إنى دعوت قومى ليلا ونهاراً ﴾؟ قلنا: يجوز أن يكون قال هذا على وجه التأكيد، والإعلان والجهر بمعنى واحد، وهو كلام بحيث يسمع الجماعة، وأن الإسرار هو أن يقوله مع الإنسان وحده فى خلوة.

والجواب الثانى: أن معنى قوله: ﴿ إنى دعوت قومى ليلا ونهاراً ﴾ إلى التوحيد، وأما قوله: ﴿ ثم إنى دعوتهم جهاراً ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً ﴾ هو دعاؤه إياهم إلى الاستغفار لما يتلوه من بعد، وهو قوله تعالى: ﴿ فقلت استغفروا

---

(١) في «ك»: أبو عبيدة.

(٢) من «ك».

(٣) تقدم تخريجه.

لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾

ربكم إنه كان غفارا﴾. وقوله: ﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ أى: ليرسل. ومدراراً، أى: متتابعاً. والسماء: المطر. وقيل: هو المطر فى إبانه. وفى بعض الأخبار: إذا أراد الله بقوم خيراً أمطرهم فى وقت الزرع، وحبس عنهم فى وقت الحصاد، وإذا أراد بقوم سوءاً أمطرهم فى وقت الحصاد، وحبس فى وقت الزرع.

وروى الشعبى أن عمر- رضى الله عنه- خرج (مرة)[1] للاستسقاء فلم يزد على الاستغفار ثم نزل. فقيل له: ياأمير المؤمنين، إنك لم تستسق! فقال: لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التى يستنزل بها المطر، وتلا قوله تعالى: ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً﴾.

وقوله: ﴿ويمددكم بأموال وبنين﴾ قال قتادة: علم أن القوم أصحاب دنيا، فحركهم بها ليؤمنوا. وعن بعضهم: أن الله تعالى أعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، وحبس عنهم المطر أربعين سنة، فهو معنى قول نوح: ﴿يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين﴾.

وقوله تعالى: ﴿ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾ أى: بساتين وأنهاراً تجرى فيما بينها.

قوله تعالى: ﴿ما لكم لاترجون لله وقارا﴾ أى: تخافون لله عظمة وقدرة. وقال قطرب: مالكم لاتبالون من عظمة الله تعالى.

وقيل: وقاراً، أى: طاعة، ومعناه: مالكم لاترجون طاعة الله، أى: لا تستعملونها. والقول الأول هو المعروف، ذكره الفراء والزجاج وغيرهما، وقد يذكر الرجاء بمعنى الخوف؛ لأنه لايكون الرجاء إلا ومعه خوف الفوت.

(١) فى «ك»: يوما.

**وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ**

قال الشاعر:

**إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها فى بيت نوب (عوامل)**(١)

وقال آخر:

**إذا أهل الكرامة أكرمونى فلا أرجو الهوان من اللئام**

أى: لا أخاف.

وقوله ﴿وقد خلقكم أطوارا﴾ قال أبو عبيدة: الطور: الحال. وذكره ابن الأنبارى أيضاً.

قال الشاعر:

**والمرء يخلق طورا بعد (أطوار)**(٢)

ومعنى الحالات هاهنا: أنه خلقه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظمًا ولحمًا إلى أن أتم خلقه.

قوله تعالى: ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿وجعل القمر فيهن نوراً﴾ فإن قال قائل: القمر إنما خلق فى سماء الدنيا، فكيف قال: ﴿فيهن نوراً﴾؟

والجواب من وجوه: أحدها: أنه يجوز فى لسان العرب أن (يقال)(٣): فيهن نوراً، وإن كان فى إحديهن، كالرجل يقول: توارى فلان فى دور فلان، وإن كان توارى فى إحديها. ويقول القائل: ونزلت على بنى تميم، وإن كان نزل عند بعضهم.

---

(١) أورده ابن جرير فى تفسيره (٢٩/ ٦٠) ونسبه لأبى ذؤيب ومثله فى لسان العرب (١٤/ ٣١٠) وفيهما: ... عواسل.

(٢) في «ك»: طور.

(٣) فى «ك»: يقول.

**فيهنَّ نُورًا وجعل الشَّمْس سراجًا ﴿١٦﴾ واللَّهُ أنْبتكُم مّن الأرْض نباتًا ﴿١٧﴾ ثم يُعيدُكُمْ فيها ويُخْرجُكُمْ إخْراجًا ﴿١٨﴾**

والوجه الثانى: ماقاله عبد الله بن عمرو بن العاص أن وجه القمر إلى السموات السبع وقفاه إلى الأرض، وكذا قال فى الشمس، فعلى هذا قوله: ﴿ فيهن نورا ﴾ أى: نوره فيهن.

والوجه الثالث: أن السموات فى المعنى كشىء واحد، فقال: ﴿ فيهن نورا ﴾ لهذا، وإن كان فى سماء واحد.

والوجه الرابع: أن معنى قوله: ﴿ فيهن نورًا ﴾ أى: معهن نورا.

قال امرؤ القيس:

**وهل ينعمن من كان آخر عهده ثلاثين شهـــرًا فى ثلاثة أحوال**

أى: مع ثلاثة أحوال.

وقوله: ﴿ وجعل الشمس سراجًا ﴾ أى: فيهن، والمعنى مابينا. وعن عبد الله بن عمرو أيضا قال: ماخلق الله شيئًا أشد حرارة من الشمس، ولولا أن السماء تحول بين الأرض وبين ضوئها وإلا (لأحرقت)[1] كل شىء فى الأرض. وروى أنه سئل لماذا يبرد الزمان فى الشتاء، وبم يكون الحر فى الصيف؟ فقال: تكون الشمس فى الصيف فى السماء الدنيا، وفى الشتاء فى السماء السابعة.

قوله تعالى: ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتا ﴾ يجوز فى اللغة إنباتا ونباتا. وقيل: أنبتكم فنبتم نباتا.

وقوله: ﴿ ثم يعيدكم فيها ﴾ أى: بالموت.

وقوله: ﴿ ويخرجكم إخراجا ﴾ عند النشور.

قوله تعالى: ﴿ والله جعل لكم الأرض بساطا ﴾ أى: بسطها بسطًا.

---

(١) فى «ك»: لاحترقت.

**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ**

وقوله: ﴿لتسلكوا منها سبلا فجاجًا﴾ أى: طرقاً واسعة. والسبيل قد يذكر ويؤنث.

قال الشاعر:

**تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد**

أى: بواحد.

وقوله: ﴿قال نوح رب إنهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلاخسارا﴾ يعنى: أن الضعفاء اتبعوا الأشراف والأكابر والرءوس من الكفار الذين لم تزدهم أموالهم وأولادهم إلاخسارا.

وقوله: ﴿ومكروا مكراً كباراً﴾ أى: كبيرا، وكبار فى اللغة أشد من الكبير.

وقوله: ﴿وقالوا لاتذرن آلهتكم﴾ أى: لا تذروا آلهتكم، ﴿ولاتذرن﴾ أى: ولاتذروا ﴿ودا ولاسواعًا ولايغوث ويعوق ونسراً﴾ هذه الأسماء أسماء أصنامهم التى كانوا يعبدونها. وفى التفسير: أن وداً كانت لكلب، والسواع كانت لهذيل، ويغوث كانت لبنى غطيف بن دارم، ويعوق كانت لهمدان، ونسرا كانت لحمير، وقد قيل على خلاف هذا. وكانت بقية هذه الأصنام لهم من زمان نوح قد غرقت، فاستخرجها لهم إبليس حتى عبدوها. وعن أبى عثمان النهدى قال: كانت يغوث من رصاص رأيته، وكانوا يحملونه على جمل أجْرَد إذا سافروا ولايهيجون الجمل ويجعلونه قدامهم، فإذا برك فى موضع نزلوا، وقالوا: رضى ربكم المنزل.

وعن محمد بن كعب القرظى قال: هذه الأسماء أسماء قوم صالحين قبل نوح، فلما ماتوا زين الشيطان لأبنائهم ليتخذوا أشخاصًا على صورهم، فيكون نظرهم إليها حثاً لهم على العبادة، ثم إنهم عبدوها من بعد لما تطاول لهم الزمان.

وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿ وقد أضلوا كثيراً ﴾ أى: ضل كثير من الناس بسببهم.

وقوله: ﴿ ولاتزد الظالمين إلا ضلالا ﴾ دعا عليهم هذا الدعاء عقوبة لهم، وهو مثل دعاء موسى على قوم فرعون ﴿ ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم ﴾(١).

قوله تعالى ﴿ مما خطيئاتهم ﴾ أى: من خطيئاتهم، ﴿ اغرقوا فادخلوا نارا ﴾ يعنى: اغرقوا فى الدنيا، وادخلوا نارًا فى الآخرة. وقيل: هو فى القبر. وعن الحسن قال: البحر طبق جهنم. وقيل: البحر نار ثم نار.

وقوله: ﴿ فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً ﴾ أى: أحداً يمنعهم من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿ وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا ﴾ أى: أحداً. وقيل: ديارًا أى: من ينزل دارًا، مأخوذ من الدار.

وقوله: ﴿ إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولايلدوا إلا فاجراً كفاراً ﴾ وهذا على ما أخبره الله تعالى عنهم ﴿ أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ﴾(٢) وعن مجاهد: أن الرجل منهم كان يأتى نوحًا فيضربه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: اللهم اغفر لقومى فإنهم لايعلمون. ثم إنه لما أخبر الله تعالى أنه لايؤمن أحد منهم دعا عليهم. وفى القصة: أن الرجل منهم كان يحمل ابنه على كتفه إليه ويقول: احذر هذا الشيخ المجنون، فإن أبى أحذرنى إياه كما حذرتك، ففعلوا كذلك حتى مضى سبعة قرون،

(١) يونس: ٨٨.

(٢) هود: ٣٦.

**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾**

فروى أن آخر من جاءه منهم قال كذلك لابنه، فقال ذلك الصبى: أنزلنى فأنزله، فجعل يرميه بالحجر حتى شجه، فغضب حينئذٍ ودعا عليهم.

قوله تعالى: ﴿رب اغفر لى ولوالدى﴾ قرأ سعيد بن جبير: «لوالِدِى» وفى بعض القراءات: «لوالَدَىَّ».

وقوله: ﴿ولمن دخل بيتى مؤمنا﴾ أى: سفينتى. وقيل: صومعتى. وقيل: بيتى الذى أسكنه.

وقوله: ﴿وللمؤمنين﴾ أى: لكل المؤمنين والمؤمنات إلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿ولاتزد الظالمين إلا تبارا﴾ أى: هلاكا.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ

# تفسير سورة الجن

## وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن ﴾ سبب نزول هذه الآية ماروى سعيد بن جبير عن ابن عباس « أن النبى ﷺ انطلق فى نفر من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، فمر بالنخلة، وقد كان الشياطين منعوا من السماء، وأرسلت الشهب عليهم، فقالوا لقومهم: قد حيل بيننا وبين خبر السماء، فقالوا: إنما ذلك لأمر حدث فى الأرض. وروى أنهم قالوا ذلك لإبليس، وأن إبليس قال لهم: اضربوا فى مشارق الأرض ومغاربها لتعرفوا ما الأمر الذى حدث؟ فمر نفر منهم نحو تهامة فرأوا النبى ﷺ يصلى بأصحابه صلاة الفجر ببطن نخلة، وهو يقرأ القرآن، فقالوا: هذا هو الأمر الذى حدث، ورجعوا إلى قومهم وأخبروهم بذلك، وأنزل الله تعالى هذه الآية »(١). وقد روى البخارى فى الصحيح نحوا ( من رواية )(٢) ابن عباس. وذكر ابن جريح فى تفسيره عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن ابن مسعود « أن النبى ﷺ انطلق إلى الجن ليقرأ عليهم القرآن ويدعوهم إلى الله، فقال لأصحابه: من يصحبنى منكم؟ وفى رواية: ليقم منكم رجل معى ليس فى قلبه حبة خردل من كبر. فسكت القوم. فقال ذلك ثانيا وثالثا، فقام عبدالله بن مسعود، قال ابن مسعود: فانطلقت مع رسول الله ﷺ قبل الحَجُون حتى دخلنا شعب أبى دُبٍّ، فقال: فخطَّ لى خطًّا فقال: لا تبرح هذا الخط، ونزل عليه الجن مثل الحَجَل. قال: فقرأ عليهم

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى « الأصل، وك » : من هذا هذا هو رواية، والصواب ما أثبتناه.

القرآن وعلا صوته، فلصقوا بالأرض حتى لا أراهم» وفى رواية: أنهم قالوا له: «ما أنت؟ ما أنت؟ قال: نبى. قالوا: ومن يشهد لك؟ فقال: هذه الشجرة، قال: فدعا الشجرة فجاءت تجر عروقها، لها قعاقع، وشهدت الشجرة له بالنبوة، ثم عادت إلى مكانها»(١) وفى هذا الخبر: «أنهم سألوه الزاد فأعطاهم العظم والبعر، فكانوا يجدون العظم أوفر ما يكون لحما، والبعر علفا لدوابهم، ونهى الرسول ﷺ حينئذ الاستنجاء بالعظم والروث»(١). قال جماعة من أهل التفسير: أن أمر الجن كان مرتين، مرة بمكة ومرة ببطن نخلة، فالذى رواه ابن عباس هو الذى كان ببطن نخلة، والذى رواه ابن مسعود هو الذى كان بمكة، فأما الذى كان ببطن نخلة فإنهم مروا بالنبى ﷺ واستمعوا القرآن، وأما الذى كان بمكة فإن الرسول انطلق إليهم، وقرأ عليهم القرآن ودعاهم إلى الإيمان، فهذا هو الجمع بين الروايتين. وقد روى أن عبد الله بن مسعود رأى بالعراق قوما من الزُط، فقال: أشبههم بالجن ليلة الجن. وفى رواية علقمة: أنه قال لعبد الله بن مسعود: هل كان منكم أحد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا، ما شهده منا أحد، وساق خبرا ذكره مسلم فى كتابه.

وفى الباب اختلاف كثير فى الروايات، وأما ما ذكرناه هو المختصر منها، ويحتمل أن ابن مسعود كان مع رسول الله ﷺ ليلة الجن إلا أنه لم يكن معه عند خطاب الجن وقراءة القرآن عليهم؛ فإنه روى أنه قال: «خط رسول الله ﷺ لى خطا وقال: لا تبرح هذا الخط وانطلق فى الجبل، قال: فسمعت لغطا وصوتا عظيما، فأردت أن أذهب فى أثره، فذكرت قول رسول الله ﷺ: لا تبرح الخط فلم أذهب، فلما رجع ذكرت له ذلك، فقال لى: لو خرجت من الخط لم ترنى أبدا»(١).

قوله تعالى: ﴿قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن﴾ قال الفراء: النفر اسم لما بين الثلاثة إلى عشرة. وحكاه ابن السكيت أيضا عن ابن زيد. يقولون: عشرة نفر، ولايقولون: عشرون نفرا، ولا ثلاثون نفرا. وقد روى أنهم كانوا تسعة نفر، وذكروا أسماءهم، وقد بينا. وروى عاصم عن زر أنه كان فيهم زوبعة.

---

(١) تقدم تخريجه.

**فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا**

وقوله تعالى: ﴿ فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا ﴾ أى: عجبا فى نظمه وتأليفه وصحة معناه، ولايصح قوله: ﴿ إنا سمعنا ﴾ إلا بالكسر.

قوله: ﴿ يهدى إلى الرشد ﴾ أى: إلى الصواب وطريق الحق.

وقوله تعالى: ﴿ فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ﴾ أى: لانجعل أحدا من خلقه شريكا له.

قوله تعالى: ﴿ وأنه تعالى جد ربنا ﴾ قرئ بالكسر وبالفتح، فمن قرأ بالكسر فهو أن الجن قالوا، ومن قرأ بالفتح فنصبه على معنى: آمنا وأنه تعالى جد ربنا، فانتصب بوقوع الإيمان عليه، والقراءة بالكسر أحسن القراءتين.

وقوله تعالى: ﴿ جد ربنا ﴾ أى: عظمة ربنا، هذا قول قتادة وغيره.

والجد: العظمة، وهو البخت أيضا، وهو أب الأب. وفى حديث أنس: كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدَّ فينا، أى: عَظُم [ فينا ](١).

وقوله عليه الصلاة والسلام: «ولاينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ»(٢) أى: لا ينفع ذا البخت منك بخته إذا أردت به سوءاً أو مكروها.

وعن الحسن قال: تعالى جد ربنا أى: غنى ربنا. وعن إبراهيم والسدى قالا: جد ربنا أى: أمر ربنا.

---

(١) من «ك».

(٢) رواه مسلم (٤/٢٥٨ - ٢٥٩ رقم ٤٧٧)، وأبو داود (١/٢٢٤ رقم ٨٤٧)، والنسائى (٢/١٩٨ - ١٩٩ رقم ١٠٦٨) وغيرهم من حديث أبى سعيد الخدرى به.

ورواه مسلم (٤/٢٦٠ - ٢٦١ رقم ٤٧٨)، وأبو عوانة (٢/١٧٦ - ١٧٧)، وابن حبان (٥/٢٣٢ رقم ١٩٠٦) وغيرهم من حديث ابن عباس مرفوعا به أيضا.

**ما اتخَّذَ صَاحِبَةً ولا ولَدًا ﴿٣﴾ وأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّن**

وقوله تعالى: ﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولدا﴾ أى: زوجة وولدا.

قوله تعالى: ﴿وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن السفيه هو إبليس عليه اللعنة، وهو قول مجاهد، والآخر: أنه كل عاص متمرد من الجن.

وقوله: ﴿شططا﴾ أى: كذبا. وقيل: جورا.

قوله تعالى: ﴿وأنا ظننا أن لن تَقُولَ الإنس والجن على الله كذبا﴾ وقرأ يعقوب: «أن لن تَقَوَّل الإنس والجن» أى: لن تقول، معناه ظاهر، كأنهم ظنوا أن كل من قال على الله شيئا فهو كما قال، وأنه لا (يجزى)[1] الكذب على الله

قوله تعالى: ﴿وأنه كان رجال من الإنس﴾ فإن قال قائل: قد قرئ هذا كله بالنصب، فما وجه النصب فيه؟ والجواب عنه: قد بينا وجه النصب فيما سبق، وباقى الآيات نصبت بحكم المجاورة والعطف، أو بتقدير آمنا أو ظننا أو شهدنا، والعرب قد تتبع الكلمة الكلمة فى الإعراب بنفس المجاورة والعطف مثل قولهم: جحر ضب خرب.

وقوله: ﴿يعوذون برجال من الجن﴾ فى التفسير: أن الرجل كان يسافر والقوم كانوا يسافرون، فإذا بلغوا مكانا قفرا من البرية وأمسوا قالوا: نعوذ بسيِّد هذا الوادى من سفهاء قومه. وحكى عن بعضهم - وهو السائب بن أبى كَرْدم - أنه قال: انطلقت مع أبى فى سفر ومعنا قطعة من الغنم، فنزلنا واديا قال: فجاء ذئب وأخذ حملا من الغنم، فقام أبى وقال: يا عامر الوادى، نحن فى جوارك، فحين قال ذلك أرسل الذئب الحمل، فرجع الحمل إلى الغنم فلم تصبه كدمة. فإن قال قائل: كيف برجال من

(١) كذا، ولعلها: يجترئ.

**الإنس يعُوذُونَ برِجالٍ مّنَ الْجنّ فزادُوهُمْ رهَقًا ﴿٦﴾ وأَنَّهُمْ ظَنُّوا كما ظننتُمْ أن لَّن يبْعث اللَّهُ أحدًا ﴿٧﴾ وأَنَّا لمسْنا السَّماء فوجدْناها مُلئتْ حرَسًا شديدًا وشُهُبًا**

الجن، والجن لايسمَّون رجالا؟ والجواب: قلنا يجوز على طريق المجاز، وقد ورد فى بعض أخبار العرب فى حكاية أن قوما من الجن قالوا: نحن أناس من الجن، فإذا جاز أن يسموا أناسا جاز أن يسموا رجالا.

وأما قوله: ﴿ فزادوهم رهقا ﴾ فيه قولان: أحدهما: إلا أن الإنس زادوا الجن رهقا أى: عظمة فى أنفسهم ،كأن الإنس لما استعاذوا بالجن ازدادوا الجن فى أنفسهم عظمة.

والقول الثانى: هو أن الإنس ازدادوا رهقا بالاستعاذة من الجن. ومعناه: طغيانا وإثما، كأن الإنس لما استعاذوا بالجن وأمنوا على أنفسهم ازدادوا كفرا، وظنوا أن أمنهم كان من الجن. وقيل: رهقا أى: غشيانا للمحارم. وقيل: مفارقة اللائم.

قال الأعشى:

**لاشىء ينفعنى من دون رؤيتها هل يشتفى عاشق مالم يُصب رهقا**

قوله تعالى: ﴿ وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً ﴾ فى الآية دليل على أنه كان فى الجن قوم لايؤمنون بالبعث كما فى الإنس.

قوله تعالى ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ﴾ أى: ملئت حرسا بالملائكة.

وقوله: ﴿ شهبا ﴾ جمع شهاب، وهو قطعة من النار، وقد ذكرنا من قبل صورة كيفية استراق الشياطين السمع من السماء، وأنهم كانوا يسمعون الكلمة فيضمون إليها عشرة ويلقونها إلى الكهنة، فلما كان فى زمان النبى ﷺ حرست السماء، ورمى الشياطين بالشهب. فإن قال قائل: لم يزل هذا الأمر معهودا قبل الرسول، وهو انقضاض الكواكب، وذكره شعراء الجاهلية فى أشعارهم، وقال بعضهم:

﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا
﴿٩﴾ وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾

فانقضَّ كالدُّرِّى يَتبعُه نَقْـعٌ (يثور)[١] تَخالُـه طُنُبـا

(قاله لاقوه إلا وروى)[٢]

وإذا كان هذا أمرا معهودا فى الجاهلية فما معنى تعليقه بنبوة محمد ﷺ، وعندكم أنه كان معجزة له وأساسا لنبوته؟ والجواب عنه من وجهين: أحدهما: أنه لم يكن هذا من قبل، وإنما حدث فى زمان نبوة الرسول ﷺ، والأشعار كلها منحولة على الجاهلية، أو قالوها بعد مولده حين قرب مبعثه. وذكر السدى: أن أول من تنبه للرمى بالشهب هو هذا الحى من ثقيف، فحافوا خوفا شديدا وظنوا أن القيامة قد قربت، فجعلوا يعتقون العبيد ويسيبون المواشى، فقال لهم ابن عبد ياليل: لاتعجلوا، وانظروا إلى النجوم المعروفة هل هى فى أماكنها؟ فقالوا: هى فى أماكنها. قال: فإن هذا لأمر هذا الرجل الذى خرج بمكة.

والجواب الثانى - وهو الأصح - أن الرمى بالشهب قد كان من قبل، ولكنه لما كان فى زمان الرسول كثر وقوى. قال معمر: قلت للزهرى: أكان الرمى بالشهب قبل الرسول فى الجاهلية؟ قال: نعم، ولكنه لما كان زمان الرسول كثر واشتد.

قوله تعالى: ﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع﴾ أى: مقاعد للاستماع.

وقوله: ﴿فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا﴾ أى: يجد شهابا أرصد له [وهىء][٣] ليرمى به.

قوله تعالى: ﴿وأنا لاندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا﴾ أى: أريد بهم الصلاح فى ذلك أو الفساد أو الخير أو الشر.

---

(١) من تفسير القرطبى (١٩/١٣).

(٢) كذا! وهى عبارة غير مفهومة.

(٣) في «الأصل، وك»: وهن.

**وأَنَّا منَّا الصَّالحُون ومنَّا دُونَ ذلك كُنَّا طَرائق قددًا ﴿١١﴾ وأَنَّا ظَنَنَّا أن لَّن نُّعْجز اللَّهَ في الأَرْضِ ولَن نُّعْجزَهُ هَربًا ﴿١٢﴾ وأَنَّا لَمَّا سَمعْنَا الْهُدَىٰ آمنَّا به فَمن يُؤْمن بربِّه فَلا يَخافُ بَخْسًا ولا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وأَنَّا منَّا الْمُسْلمُونَ ومنَّا الْقَاسطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئك تَحرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾**

قوله تعالى: ﴿ وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك ﴾ أى: سوى ذلك. قال الحسن البصرى: فى الجن قدرية ومرجئة وروافض وخوراج، وغير ذلك من الفرق، وفيهم العاصى والمطيع والمصلح، وغير ذلك من المؤمن والكافر.

وقوله ﴿ كنا طرائق قددا ﴾ أى: ذا أهواء مختلفة. وقددا معناه: متفرقة. قال الشاعر:

**القابض الباسط الهادى بطاعته ... فى فتنة الناس إذ أهواؤهم قِددُ**

أى: متفرقة.

قوله تعالى: ﴿ وأنا ظننا أن لن نعجز الله فى الأرض ﴾ معنى الظن هاهنا: اليقين أى: أيقنا أن لن نعجزه فى الأرض أى: لن نفوته، ولايعجز عنا بأخذه إيانا.

وقوله: ﴿ ولن نعجزه هربا ﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به ﴾ أى: بالهدى، والهدى هو القرآن لأنه يهدى الناس.

وقوله: ﴿ فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا ﴾ أى: نقصانا من حسناته ولازيادة فى سيئاته. وقيل: أى: ظلما.

قوله تعالى: ﴿ وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ﴾ أى: الجائرون هم الكفار. يقال: أقسط إذا عدل، وقسط إذا جار. فمن أقسط مقسط، ومن قسط قاسط.

قال الفرزدق.

**قومى هم قتلوا ابن هندٍ عنوةً ... عَمْراً وهم قَسَطُوا على النعمانِ**

**وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا**

أى: جاروا

وقوله: ﴿فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا﴾ أى: طلبوا الرشد (وتوخوا)[1] له. والمتحرى والمتوخى بمعنى واحد.

وقوله: ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ أى: الكافرون، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿وقودها الناس والحجارة﴾[2].

قوله تعالى: ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ فى الطريقة قولان: أحدهما: أنها الإيمان، وهذا قول مجاهد وقتادة وعكرمة وجماعة، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا﴾[3]. والقول الثانى: أن الطريقة ها هنا طريقة الكفر والضلالة، وهذا قول أبى مجلز لاحق بن حميد من التابعين، وهو قول الفراء وجماعة، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة﴾[4] الآية. فجعل تماديهم فى الكفر سببا لتوسيع النعم عليهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء﴾[5] الآية، ومعناه: أبواب كل شىء من الخيرات والنعم. قالوا: والقول الأول أولى؛ لأنه عرف الطريقة بالألف واللام، فينصرف إلى الطريقة المعروفة المعهودة شرعاً وهى الإيمان.

وقوله ﴿لأسقيناهم ماءً غدقا﴾ أى: كثيرا. تقول العرب: فرس غيداق إذا كان كثير الجرى واسعة. ومعناه: أكثرنا لهم المال والنعمة؛ لأن كثرة الماء سبب لكثرة المال.

وقوله: ﴿لنفتنهم فيه﴾ أى: لنبتليهم فيه، ونختبرهم فيه[6].

---

(١) فى «ك»: وتحروا.
(٢) البقرة: ٢٤، التحريم: ٦.
(٣) الأعراف: ٩٦.
(٤) الزخرف: ٣٣.
(٥) الأنعام: ٤٤.
(٦) فى «ك»: لنبتلينهم فيه ونختبرنهم فيه.

صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾

واستدل بهذا من قال: إن معنى الطريقة هو الكفر والضلالة؛ لأنه قال: ﴿لنفتنهم فيه﴾ وهذا لايلزم من قال بالقول الأول؛ لأن كثرة النعم فتنة للمؤمنين والكفرة جميعا.

وقوله: ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه﴾ أى: عن الإيمان بربه ﴿يسلكه عذابا صعدا﴾ أى: شاقا. والعذاب الشاق هو النار، ومعناه: يدخله النار. ومنه قول عمر رضى الله عنه: ماتصعَّدنى شيء ماتصعدتنى خُطبة النكاح. أى: شقت. وعن ابن عباس: أن قوله: ﴿صعدا﴾ هو جبل فى جهنم. وقيل: هو صخرة من نار يكلف الصعود عليها، فإذا صعد عليها وقع فى الدرك الأسفل.

قوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ اتفق القراء على فتح الألف فى هذه الآية، وعلة النصب أن معناه: ولأن المساجد لله، ثم حذفت اللام فانتصب الألف. وقيل: انتصبت لأن معناه: أوحى إلىَّ أن المساجد لله. وسبب نزول هذه الآية أن الجن قالوا للنبى ﷺ: نحن نود أن نصلى معك، فكيف نفعل ونحن ناءون عنك؟ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وأن المساجد لله﴾ ومعناه: أنكم أين صليتم فمقصودكم حاصل من عبادة الله تعالى، فلا تشركوا به أحدا، وهو معنى قوله: ﴿فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ ويقال: هو ابتداء كلام. والمعنى: أن اليهود والنصارى يشركون فى البيع والصوامع، وكذلك المشركون فى عبادة الأصنام، فأنتم أيها المؤمنون اعلموا أن الصلوات والسجود والمساجد كلها لله، فلا تشركوا معه أحدا. وفى المساجد أقوال: أحدها: أنها بمعنى السجود، وهى جمع مسجد. يقال: سجدت سجوداً ومسجداً والمعنى: أن السجود لله يعنى: هو المستحق للسجود. والقول الثانى: أن المساجد هى المواضع المبنية للصلاة المهيأة لها، وهى جمع مسجد، ومعنى قوله: ﴿لله﴾ نفى الملك عنها، أو معناه: الأمر بإخلاص العبادة فيها لله. والقول الثالث: أن المساجد هى الأعضاء التى يسجد عليها الإنسان من جبهته ويديه وركبتيه وقدميه، والمعنى: أنه لاينبغى أن يسجد على هذه الأعضاء إلا لله.

**وأنَّهُ لمَّا قامَ عبْدُ اللَّه يدْعُوهُ كادُوا يكُونُونَ عليْه لبدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إنَّما أدْعُو ربِّي ولا أُشْرِكُ به أحدًا ﴿٢٠﴾**

وقد روى ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم، وألا أكف ثوبا ولاشعرا»(١).

قوله تعالى: ﴿وأنه لما قام عبد الله﴾ فمن قرأ بالكسر ينصرف إلى قول الجن، ومعناه: قال الجن: ﴿وإنه﴾ وقيل: ينصرف إلى قول الله أى: قال الله تعالى: وإنه لما قام عبد الله ومن قرأ بالفتح معناه: أوحى إلى أنه لما قام عبد الله. فعلى القول الأول قوله: ﴿كادوا يكونون عليه لبدا﴾ ينصرف إلى أصحاب النبى ﷺ، وعبد الله هو الرسول ﷺ، والمعنى: أن الجن لما رأو النبى ﷺ وأصحابه خلفه وشاهدوا طواعيتهم له قالوا: كادوا يكونون عليه لبدا أى: يركب بعضهم بعضا من الطواعية. وعلى القول الثانى المعنى: هو أن الله تعالى حكى عن الجن أن الرسول ﷺ لما قرأ القرآن عليهم - يعنى: على الجن - كادوا يكونون عليه لبدا أى: على الرسول - عليه الصلاة والسلام - أى: يركب بعضهم بعضا لحب الإصغاء إلى قراءته والاستماع إليها. ويقال: إن الرسول ﷺ كان صلى بهم وازدحموا عليه، وكاد يركب بعضهم بعضا. وفى بعض التفاسير: كادوا يسقطون عليه. وأما على قراءة الفتح قوله: ﴿كادوا يكونون عليه لبدا﴾ ينصرف إلى الجن أيضا، و(هو)(٢) أظهر القولين أن الانصراف إلى الجن. ومن اللبد قالوا: تلبَّد القوم إذا اجتمعوا، ومنه اللِّبْد، لأن بعضه على بعض. وقيل: كادوا يكونون عليه لبدا أى: تلبدت الجن والإنس واجتمعوا على أن يطفئوا نور الله لما قام الرسول ﷺ يدعوه أى: يدعو الله، وقرئ: «لبدا» أى: كثيرا. واللُّبَد أيضا اسم آخر نسر من نسور (نعمان)(٣) بن عاد، وكان عاش سبعمائة سنة. وقيل فى المثل: طال لُبَد على أمد.

قوله تعالى: ﴿قل إنما أدعو ربى﴾ وقرئ: «قال إنما أدعو ربى» فى التفسير: أن

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٢/ ٣٤٤ - ٣٤٥ رقم ٨٠٩ وأطرافه: ٨١٠، ٨١٢، ٨١٥، ٨١٦)، ومسلم (٤/ ٢٧٥ - ٢٧٦ رقم ٤٩٠).

(٢) كذا، والأولى حذفها.

(٣) فى تفسير القرطبى (١٩/ ٢٤-٢٥): لقمان.

**قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلاَّ بَلاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**

النضر بن الحارث قال للنبي ﷺ : إنك جئت بأمر عظيم، وخالفت دين آبائك، وأن العرب لا يوافقونك على هذا، فارجع إلى دين آبائك فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ قل إنما أدعو ربى ﴾ أى: أوحد ربى ﴿ ولا أشرك به أحدًا ﴾ أى: معه أحدا. ويقال: إن هذا قاله مع الجن، وهو نسق على ماتقدم.

قوله تعالى: ﴿ قل إنى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا ﴾ يعنى: لا أملك ذلك بنفسى، وإنما هو من الله تعالى وبعونه وتوفيقه.

قوله تعالى: ﴿ قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ﴾ روى أن النضر بن الحارث قال له: ارجع إلى دين آبائك ولاتخف من أحد، فإنا نجيرك ونمنعك، فأنزل الله تعالى: ﴿ قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ﴾ أى: لن ينصرنى ويمنعنى من عذاب الله أحد. ويقال: إنه خطاب الجن نسقا على ماتقدم. وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس: أن ابن مسعود خرج مع النبي ﷺ ليلة الجن، فازدحم الجن على النبي ﷺ وتعاووا عليه، فقال واحد منهم يقال له وَرْدان: يا محمد، لا تخف فأنا أجيرك منهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ﴾.

وقوله: ﴿ ولن أجد من دونه ملتحدا ﴾ أى: ملجأ. وقيل: مهربا. ويقال: متعرجا.

وقوله: ﴿ إلا بلاغا من الله ﴾ أى: لا أملك شيئا من الضر والرشد إلا أن أبلغ رسالة ربى أى: ليس بيدى إلا هذا وهذا التبليغ. وقد قيل: ضرا ولا رشدا أى: لا أدفع عنكم ضرا، ولا أسوق إليكم خيرا، وليس بيدى إلا أن أبلغ رسالة ربى.

وقوله: ﴿ ومن يعص الله ورسوله فإن له نارجنهم خالدين فيها أبدا ﴾ أى: دائما.

قوله تعالى: ﴿ حتى إذا رأوا ما يوعدون ﴾ أى: القيامة، قاله سعيد بن جبير وغيره. وقيل: العذاب فى الدنيا، قاله قتادة وغيره.

**فإنَّ لهُ نار جهنَّم خالدين فيها أبداً ﴿٢٣﴾ حتَّىٰ إذا رأوا ما يُوعدُون فسيعلمُون من أضعفُ ناصراً وأقلُّ عدداً ﴿٢٤﴾ قُلْ إنْ أدْري أقريبٌ مَّا تُوعدُون أمْ يجعلُ لهُ ربي أمداً ﴿٢٥﴾ عالمُ الغيْبِ فلا يُظْهرُ علىٰ غيْبه أحداً ﴿٢٦﴾ إلاَّ من ارْتضىٰ من رسُول فإنَّهُ يسْلُكُ منْ بيْن يديْه**

وقوله: ﴿ فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا ﴾ أى: وأقل جندا وأعوانا. ويقال: معنى قوله: ﴿ وأقل عددا ﴾ أى: فى القيامة. وفى التفسير: أن الله تعالى يعطى المؤمنين من الأزواج والولدان والحور والقهارمة (و)[1] ومايكثر عددهم ويزيدوا على أهل بلدة كثيرة من بلاد الدنيا، فهو معنى قوله: ﴿ فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا ﴾ فإن المشركين كانوا يعيرون النبى ﷺ والمؤمنين بقلة الناصر وقلة العدد، فقال: ﴿ فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا ﴾ أى: فى القيامة، وإذا وصل كل أحد إلى مستقره.

قوله تعالى: ﴿ قل إن أدرى أقريب ماتوعدون أم يجعل له ربى أمدا ﴾ أى: مدة وغاية، والمعنى: لا أدرى أنه يعجل لكم العذاب أو يؤخره، ويعجل لكم مدة ومهلة. وقد روى أن المشركين كانوا يستعجلونه العذاب، ويقولون: إلى متى توعدنا العذاب؟ فأين العذاب؟ فأمره الله تعالى أن يكل ذلك إلى الله تعالى، وأن يقول: إنه بيد الله لابيدى.

قوله تعالى: ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ﴾ أى: هو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ﴿ إلا من ارتضى من رسول ﴾ فإنه يطلعه على غيبه بما ينزله عليه من الآيات والبينات.

وقوله: ﴿ فإنه يسلك من بين يديه ﴾ أى: يجعل من بين يديه ﴿ ومن خلفه رصدا ﴾ أى: حَفَظة. وروى سفيان عن منصور عن إبراهيم قال: ملائكة يحرسونه. وفى التفسير: أن الله تعالى مابعث وحيا من السماء إلا ومعه ملائكة يحرسونه. فإن قال قائل: ومن ماذا يحفظونه ويحرسونه؟ والجواب: أن الحفظ والحراسة لخطر شأن

(١) كذا، والأولى حذفها.

**ومن خلفه رصداً ﴿٢٧﴾ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً ﴿٢٨﴾**

الوحى ولتعظيمه فى النفوس، لابحكم الحاجة إلى الحراسة والحفظة. يقال: إن الحفظ والحراسة من المسترقين للسمع، لئلا يسرقوا شيئا من ذلك ويلقوه إلى الكهنة. وقد ورد فى الأخبار: «أن الله تعالى لما أنزل سورة الأنعام بعث معها سبعين ألف ملك يحرسونها»(١). وفى الآية دليل على أن من قال بالنجوم شيئا وادعى علما من الغيب بجهتها فهو كافر بالقرآن. وقد قال بعضهم: الطرق والجبت والكهان كلهم مضللون ودون الغيب أشاروا. وقد ورد فى الأخبار: «أن النبى ﷺ نهى عن النظر فى النجوم»(٢). والمعنى هو النظر فيها للقول بالغيب عنها، فأما النظر فيها للاهتداء أو للاعتبار أولمعرفة القبلة وما أشبه ذلك مطلق جائز.

وقوله تعالى: ﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾ وقرئ: «رسالة ربهم» وهى واحد الرسالات. واختلف القول فى قوله تعالى: ﴿ليعلم﴾ فأحد الأقوال هو أن معناه: ليعلم محمد أن الرسل الذين كانوا قبله قد أبلغوا رسالات ربهم على ماأنزل إليهم. والقول الثانى: أنه منصرف إلى الجن. وقرئ: «ليعلم الجن أن قد أبلغ الرسل رسالات ربهم على ما أنزل إليهم». والقول الثالث: ليعلم المؤمنون. والقول الرابع: ليعلم الله، أورده الزجاج وغيره. فإن قال قائل: مامعنى قوله: ليعلم الله، وهو عالم

---

(١) تقدم تخريجه فى تفسير سورة الأنعام.

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط (٧/١٣٦ رقم ٤١٩١ مجمع البحرين)، والعقيلى فى الضعفاء (٣/٣٥٣)، وابن عدى فى الكامل (٥/٢٧٨)، وابن حبان فى المجروحين (٢/١٩٩)، والخطيب فى تاريخه (٦/١٣٣ - ١٣٤) من حديث أبى هريرة مرفوعا.

واستنكره أبو حاتم الرازى فى الجرح والتعديل (٦/٣١٤)، وقال الهيثمى فى المجمع (٥/١١٩ - ١٢٠): رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه عقبة بن عبد الله الأصم، وهو ضعيف، وذكر عن أحمد أنه وثقه، وأنكر أبو حاتم عليه هذا الحديث.

وفى الباب عن على، وعائشة، والحسن بن على، انظر الدر (٣/٣٨ - ٣٩).

بالأشياء قبل كونها ووجودها؟ والجواب :أنا قد بينا الجواب فيما سبق فى مواضع كثيرة. وقد قيل: ليعلم الله تعالى أن قد أبلغ الرسل رسالات ربهم شهادة ووجودا، وقد كان يعلم ذلك غيبا.

وقوله: ﴿وأحاط بما لديهم﴾ أى: أحاط علمه بما عندهم.

وقوله: ﴿وأحصى كل شيء عددا﴾ أى: وأحصى كل شيء معدوداً.ويقال: عد كل شيء عددا، وهذا على معنى أنه لايخفى على الله شيء كثير أو قليل، جليل أو دقيق . والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٢﴾

## تفسير سورة المزمل

وهى مكية. وعند بعضهم هى مكية إلا قوله تعالى: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل﴾ إلى آخر السورة.

قوله تعالى: ﴿يا أيها المزمل﴾ معناه: يا أيها المتزمل، أدغمت التاء فى الزاى، ومثله قوله تعالى: ﴿يا أيها المدثر﴾[1] أى: يا أيها المتدثر، أدغمت التاء فى الدال.

قال ابن عباس: لما تراءى له جبريل- صلوات الله عليه- فى ابتداء الوحى فرق منه فرقًا شديدًا، فرجع إلى بيته وتزمل بثيابه؛ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿يا أيها المزمل﴾ ثم إن جبريل- عليه السلام- أكثر المجىء إليه حتى أنس. قال إبراهيم النخعى: وكان متزملا فى قطيفة. وعن الضحاك فى قوله: ﴿يا أيها المزمل﴾ يا أيها النائم. وفى بعض الروايات أن جبريل- عليه السلام- جاء إليه وهو نائم، فقال: يا أيها المزمل- أى: النائم- قم، واتخذ لنفسك ظلا يوم لا ظل إلا ظله. وفى بعض التفاسير عن عكرمة: ﴿يا أيها المزمل﴾ يا أيها المتزمل بالنبوة. وهو غريب. وأنشد فى المزمل:

**كأن ثبيراً فى عرانين وبلة ... كبير أناس فى بجاد مُزَمَّلِ**

وقرئ فى الشاذ: «يا أيها المُزَمَّل».

وقوله: ﴿قم الليل إلا قليلا﴾ أى: إلا شيئًا يسيراً منه.

قال الكلبى: هو الثلث، ومعناه: قم (ثلثى)[2] الليل. وعن وهب بن منبه: إلا

(١) فى «ك»: ثلث.

(٢) المدثر: ١.

نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴿٤﴾

قليلا هو دون السدس.

وقوله: ﴿نصفه﴾ يدل على الليل أى: قم نصفه إلا قليلا. وقيل فى القليل على هذا القول: نصف السدس.

وقوله: ﴿أو انقص منه قليلا﴾ أى: من النصف إلى الثلث.

وقوله: ﴿أو زد عليه﴾ أى: زد على النصف إلى الثلثين. والمَعْنى من الآية: إيجاب القيام عليه مع توسيع الأمر فى المقدار. وذكر النقاش أن قوله: «نصفه» معناه: أو نصفه.

وقوله: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾ أى: بيِّنه تبييناً. قال الضحاك: حرفًا حرفًا. وحقيقة الترتيل هو الترسل فى القراءة وإلقاء الحروف حقها من الإشباع بلا عجل ولا (هذرمة)(١). وروى أبو جمرة عن ابن عباس قال: لأن أقرأ سورة البقرة أرتل ترتيلا أحب إلى من أن أقرأ جميع القرآن هذرمة.

وعن أنس أنه سئل عن قراءة النبى ﷺ فقال: «كان يمد مدًا»(٢). وفى الحكايات عن صدقة المقابرى أنه قال: قمت ليلة وقرأت أحدر حَدْرًا فرأيت فى المنام كأنى أزرع شعيرًا، ثم رتلت فرأيت فى المنام كأنى أزرع حنطة، ثم حققت فرأيت فى المنام كأنى أزرع سمسمًا.

وقد صح برواية سعد بن هشام أنه قال: قلت لعائشة رضى الله عنها: أخبرينى عن قيام رسول الله ﷺ بالليل. فقالت: ألست تقرأ سورة المزمل؟ قلت: نعم. قالت:

(١) وهى كثرة الكلام، ويقال: هو السرعة فى القراءة والكلام. لسان العرب ١٢ / ٦٠٦.

(٢) رواه البخارى (٨/ ٧٠٩ رقم ٥٠٤٥ وطرفه ٥٠٤٦)، وأبو داود (٢/ ٧٣ رقم ١٤٦٥)، والنسائى (٢/ ١٧٩ رقم ١٠١٤)، وابن ماجه (١/ ٤٣٠ رقم ١٣٥٣)، وأحمد (٣/ ١٣١، ١٩٢، ٢٨٩) وغيرهم.

**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۝ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا**

«فرض الله تعالى قيام الليل على النبى ﷺ وأصحابه، فقاموا سنة حتى تورمت أقدامهم، ثم أنزل الله تعالى قوله: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل﴾ فنسخ قيام الليل»(١). وفى هذا الخبر أنه أنزل أول السورة وأمسك خاتمتها سنة. وفى بعض الروايات: ستة عشر شهراً. وفى بعض الغرائب من الروايات: عشر سنين.

قوله تعالى: ﴿إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا﴾ قال الحسن: ثقيلا العمل به. وقال الزجاج: هو الصلاة والصيام وسائر الأوامر والنواهى، لا يفعلها الإنسان إلا بتكلف يثقل عليه. وعن قتادة قال: ثقيل و الله حدوده وفرائضه. وقيل: ثقيلا فى الميزان يوم القيامة، قاله الحسن فى إحدى الروايتين. وقال الفراء: هو قول ثقيل، أى: ليس بخفيف ولا بسفساف، وهو ثقيل، أى: له وزن بصحته وبيانه وتقشعه. يقال: هذا كلام رزين صين أى: ليس بقول لا معنى له.

قوله تعالى: ﴿إن ناشئة الليل﴾ روى عن ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وسعيد ابن جبير: أنه الليل كله. وعن ابن عمر وأنس: هو ما بين المغرب والعشاء. وعن الكسائى: أول الليل. وعن بعضهم: من صلاة العشاء الأخيرة إلى الصبح، قاله الحسن والحكم بن عتيبة.

وعن ابن الأعرابى: هو أن يستقيظ بعد أن ينام. وناشئة الليل: ساعات الليل، وحقيقته هى أن ساعات الناشئة من الليل، أى: التى ينشأ بعضها فى إثر بعض.

وقوله: ﴿هى أشد وطأ﴾ وقرئ: «وطاءً» أما قوله: ﴿وطأ﴾ قال الأخفش سعيد ابن مسعدة: أشد قياماً. والوطء فى اللغة هو الثقل. قال النبى ﷺ: «اشدد وطأتك على مُضَر»(٢). يقال: اشتد وطء السلطان فى بلد كذا، أى: ثقله. فعلى هذا معنى

(١) تقدم تخريجه فى تفسير سورة «ن»، وهو جزء من حديث: «كان خلقه القرآن».

(٢) تقدم تخريجه.

﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً ﴿٧﴾﴾

قوله: ﴿أشد وطأ﴾ أى: ثقلا. والمعنى: أنه أثقل على البدن؛ لأنه وقت الراحة والسكون، فيكون القيام فيه أثقل، وإذا كان القيام أثقل فالثواب أعظم، فإن الجهد إذا كان أشد، والعمل أتعب، فالثواب أكبر، وهو المراد بالآية فى هذه القراءة. وأما القراءة الثانية أى: أشد مواطأة، ومعناه: موافقة بين السمع والبصر والقلب، وذلك لقلة الحركات وهَدْء الأصوات، فإن بالنهار تكون العين مشتغلة بالنظر، والأذن بالسمع، والقلب مشتغل بالتصرفات، فلا تقع الموافقة بالاستماع والتفهم. قال الفراء: ﴿أشد وطأ﴾ أى أجدر أن تحصوا مقادير قيامكم لفراغ قلوبكم.

وقوله: ﴿وأقوم قيلا﴾ قال الكلبى ومقاتل: أبين قولا. وعن أنس أنه قرأ قوله: ﴿أشد وطاء﴾ «أهيأ وطاء»(١) وهو قريب المعنى من الأول. وعن ابن مسعود أنه قال: ناشئة الليل هو جميع الليل بالحبشية، وهى معربة.

قوله تعالى: ﴿إن لك فى النهار سبحًا طويلا﴾ أى: فراغًا طويلا للاستراحة. وقال ابن قتيبة: سبحا طويلا، أى: تصرفًا وإقبالا وإدبارًا فى أمورك. وقرأ يحيى بن يعمر «سبخا طويلا» بالخاء المعجمة. قال ثعلب: السبح هو الاضطراب، والسبخ هو السكون. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة- رضى الله عنها - فى السارق منها: «لا تستبخى برأيك عليه»(٢)، أى: لا تخففى.

---

(١) كذا فى «الأصل، وك»، فى الدر المنثور (٦/ ٣٠٨ - ٣٠٩) قال: وأخرج أبو يعلى وابن جرير ومحمد بن نصر وابن الأنبارى فى المصاحف، عن أنس بن مالك أنه قرأ هذه الآية: «إن ناشئة الليل هى أشد وطاء وأصوب قيلا». فقال له رجل: «إنا نقرؤها: «وأقوم قيلا»! فقال: إن أصوب وأقوم وأهيا، وأشباه هذا واحد.

(٢) رواه أبو داود (٢/ ٨٠ رقم ١٤٩٧، ٤/ ٢٧٨ رقم ٤٩٠٩)، وابن أبى شيبة (١٠/ ٣٤٨ رقم ٩٦٢٦) عن عائشة قالت: «سرقت ملحفة لها فجعلت تدعو على من سرقها، فجعل النبى ﷺ يقول: لا تسبخى عنه». قال أبو داود: لا تسبخى، أي: لا تخففى عنه. واللفظ لأبى داود.

**واذْكُرِ اسْمَ ربِّك وتبتَّلْ إليْه تبْتيلا ﴿٨﴾ رَّبُّ الْمشْرقِ والْمغْرب لا إله إلاَّ هُو فاتَّخذْهُ وكيلاً ﴿٩﴾ واصْبرْ علىٰ ما يقُولُون واهْجرْهُمْ هجْرًا جميلاً ﴿١٠﴾ وذرْني**

وقوله: ﴿ واذكر اسم ربك ﴾ قال مقاتل: إذا قرأت فقل: بسم الله الرحمن الرحيم عند افتتاح السورة. وقيل: اذكر ربك.

وقوله: ﴿ وتبتل إليه تبتيلا ﴾ أى: انقطع إليه انقطاعا.

ومنه العذراء البتول لمريم، أى: المنقطعة إلى الله تعالى فى النسك.

وكذلك الزهراء البتول لفاطمة، أى: المنقطعة عن أقرانها فى الفضل، ومنه صدقة بتلة، أى: منقطعة خارجة من مال المتصدق بها.

وقيل ﴿ وتبتل إليه تبتيلا ﴾ أى: أخلص له إخلاصا. وذكر النقاش عن محمد بن على الباقر: أنه رفع اليدين فى الصلاة. وعن زيد بن أسلم: أنه رفض الدنيا، وطلب ما عند الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا ﴾ قال الفراء: كفيلا. وقيل: إلها. وقيل: كل أمورك(١).

قوله تعالى: ﴿ واصبروا على ما يقولون ﴾ وهذا فى ابتداء الإسلام قبل نزول آية السيف، وكذلك قوله تعالى: ﴿ واهجرهم هجراً جميلا ﴾ وقد نسخ بآية السيف. والهجر الجميل قيل: هو الذى لا جزع فيه.

قوله تعالى: ﴿ وذرنى والمكذبين ﴾ فإن قال قائل: أيش معنى قوله: ﴿ وذرنى والمكذبين ﴾ ولا حائل يحوله عنهم؟

والجواب: أن العرب تقول ذلك وإن لم يكن ثَمَّ حائل ولا مانع على ما بينا.

وقوله: ﴿ أولى النعمة ﴾ أى: التنعم. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ قال: «إن

(١) يعنى: كفيلا فى كل أمورك.

**والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا ﴿١١﴾ إن لدينا أنكالا وجحيما ﴿١٢﴾ وطعاما ذا غصة وعذابا أليما ﴿١٣﴾**

عباد الله ليسوا بمتنعمين »(١).

وقوله: ﴿ ومهلهم قليلا ﴾ أى: أمهلهم مدة قليلة. قالت عائشة رضى الله عنها: لم يكن بين نزول هذه الآية ووقعة بدر إلا شيئا (يسيرا)(٢). وقد قيل: إن الآية نزلت فى بنى المغيرة، وهو مغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. ويقال: إنها نزلت فى اثنى عشر رهطا من قريش، هم المطعمون يوم بدر.

قوله تعالى: ﴿ إن لدينا أنكالا ﴾ أى: قيودا. وقالت الخنساء:

**دعاك فقطعت أنكاله ولولاك يا صخر لم تقطع**

وقال أبو عمران الجونى: إن لدينا أنكالا أى: اللُجُم من النار.

وقوله: ﴿ وجحيما ﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿ وطعاما ذا غصة ﴾ قال مجاهد: هو الزقوم، وقيل: هو شوك يحصل فى الحلق، فلا ينزل ولا يخرج. وقيل: هو الضريع.

وفى الحكايات أن الحسن البصرى طوى ثلاث ليال ولم يفطر، وكان كلما قدم إليه الطعام ذكر هذه الآية فيأمر برفعه، حتى أكره من بعد على شربة سويق. وقد ورد فى بعض الغرائب من الأخبار « أن النبى ﷺ قرئ عنده هذه الآية فصعق صعقة »(٣).

(١) رواه أحمد (٥ / ٢٤٣)، وفى الزهد (٦)، وأبو نعيم فى الحلية (٥ / ١٥٥) عن معاذ بن جبل مرفوعا به. وقال المنذرى فى الترغيب (٣ / ١٤٢)، والهيثمى فى المجمع (١٠ / ٢٥٣): رواه أحمد، ورجاله ثقات. وقال الألبانى فى المشكاة (٢ / ٦٦٩ رقم ٥٢٦٢): إسناده جيد. (٢) فى « ك »: قليلا.

(٣) رواه ابن عدى فى الكامل (٢ / ٤٣٦)، ومن طريقه البيهقى فى الشعب (٣ / ١٦٦ - ١٦٨ رقم ٨٨٩) عن حمران عن أبى حرب بن أبى الأسود مرسلا.

وروى عن حمران مرسلا أيضا. رواه أحمد فى الزهد (٢٧)، وابن جرير الطبرى (٢٩ / ٨٥)، وابن عدى فى الكامل (٢ / ٤٣٦). ورواه الواحدى فى تفسيره الوسيط بإسناده إلى حمران عن عبد الله بن عمر. وانظر تخريج الكشاف للزيلعى (٤ / ١١١).

**يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا ﴿١٤﴾ إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا ﴿١٥﴾ فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا ﴿١٦﴾ فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا ﴿١٧﴾**

وهو غريب جدا.

قوله: ﴿وعذابا أليما﴾ أى: موجعا. وفى بعض الأخبار أن الله تعالى يحب النكل على النكل. أى: الرجل القوى المجرب على الفرس المجرب.

قوله تعالى: ﴿يوم ترجف الأرض والجبال﴾ أى: تتزلزل، ومنه الرجفة، أى: الزلزلة.

وقوله: ﴿وكانت الجبال كثيبا مهيلا﴾ أى: رملا سائلا.

ويقال: المهيل هو الذى إذا أخذ الطرف منه انهال الطرف الآخر.

قوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم﴾ وهو محمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولا﴾ هو موسى صلوات الله عليه.

وقوله: ﴿فعصى فرعون الرسول﴾ أى: خرج عن أمره.

وقوله: ﴿فأخذناه أخذا وبيلا﴾ أى: شديداً. يقال: طعام وبيل إذا أكله الإنسان فلم يستمرئه. وقيل وبيلا: ثقيلا.

قوله تعالى: ﴿فكيف تتقون إن كفرتم يوما﴾ أى: كيف تتقون [إن كفرتم من عذاب يوم ؟ ][1] ثم وصف اليوم فقال: ﴿يجعل الولدان شيبا﴾ وهذا على طريق كلام العرب فى ذكر شدة اليوم، فإنهم يقولون: هو يوم تشيب [فيه][1] النواصى، ويوم يبيض فيه القار. فالمراد من الآية هو الإخبار عن شدة الأمر. وفى التفسير: أنه يشيب فيه ولدان الكفار لا ولدان المؤمنين.

---

(١) من «ك».

**السماءُ مُنفطرٌ به كان وعدُهُ مفعولاً ﴿١٨﴾ إنَّ هذه تذكرةٌ فمن شاءَ اتَّخذ إلىٰ ربه سبيلاً ﴿١٩﴾ إنَّ ربَّك يعلمُ أنَّك تقومُ أدنىٰ من ثُلُثي اللَّيْلِ ونصفَهُ وثُلُثَهُ وطائفةٌ من**

وقوله: ﴿السماء منفطر به﴾ قد ورد عن كثير من السلف أن قوله: ﴿منفطر به﴾ أى: بالله، وهو نزول يوم القيامة لفصل القضاء بلا كيف. وقيل: السماء منفطر به أى: فيه، يعنى أن السماء منشقة فى يوم القيامة. ذكره أبو جعفر النحاس، وذكر أنه أحسن المعانى.

وقوله: ﴿كان وعده مفعولا﴾ أى: متحققاً كائنًا لا محالة.

قوله تعالى: ﴿إن هذه تذكرة﴾ أى: السورة تذكرة عبرة عظة.

قوله: ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾ أى: طريقا ووجهة إلى الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه﴾ وقرئ: «ونصْفه» فمن قرأ بفتح الفاء نصبه على تفسير الأدنى، ومن قرأ بكسر الفاء، أى: أدنى من نصفه.

وقوله: ﴿وثلثه﴾ معطوف [على][1] النصف فى القراءتين.

وقوله: ﴿وطائفة من الذين معك﴾ قد بينا أن النبى ﷺ وأصحابه قاموا حولا حتى تورمت أقدامهم. وفى التفسير: أنهم كانوا يقومون جميع الليل مخافة أن ينقصوا من المقدار المفروض. واختلف القول فى أنه كان القيام مفروضًا على النبى ﷺ وجميع أصحابه أو على النبى وحده؟

ففى أحد القولين: أنه كان مفروضًا عليه وعلى جميع أصحابه.

وفى قول آخر: كان مفروضًا عليه وحده [ذكره][2] أبو الحسن الماوردى، وذكر أيضا قولين فى أنه هل بقى عليه قيام الليل بعد النسخ؟

(١) من «ك» وفى «الأصل»: إلى.

(٢) فى «الأصل، ك»: وذكر.

**الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ**

فأحد القولين: أن النسخ كان فى حق الصحابة، وأما فى حقه بقى إلى أن توفاه الله تعالى.

والقول الثانى: أنه صار منسوخًا فى حقه والصحابة جميعًا، وإنما بقى التنفل والتطوع به فحسب.

وقوله: ﴿ والله يقدر الليل والنهار ﴾ أى: لا يفوت عن علمه ساعات الليل والنهار، فيعلم ما يقومون من ذلك وما يتركون.

وقوله: ﴿ علم أن لن تحصوه ﴾ أى: لن [ تطيقوه ][1]. والمعنى: أنه يشق عليكم معرفة مقدار المفروض والقيام بالأمر، وذلك لأن الإنسان إذا نام ثم استيقظ لا يدرى كم نام وكم بقى من الليل، وقد كان الله تعالى فرض قيام الليل على مقدار معلوم، وهو لا ينقص من الثلث، ويبلغ الثلثين إن أراد.

وقوله: ﴿ فتاب عليكم ﴾ أى: نسخه عليكم ورفضه، ومعنى التوبة هو الرفع والعفو هاهنا.

وقوله: ﴿ فاقرءوا ما تيسر من القرآن ﴾ فيه قولان:

أحدهما: صلوا ما تيسر من ( الصلاة )[2]، وهذا على طريق النافلة والتطوع لا على طريق الفرض. وقال الحسن وقتادة: يجب قيام الليل ولو حلب شاة لهذه الآية. والأصح هو القول الأول؛ «لأنه قد ثبت أن النبى ﷺ جاءه أعرابى ثائر الرأس يسمع دوى صوته، ولا يفهم ما يقول... الخبر إلى أن قال: هل على غيرهن؟ قال: لا، إلا أن

---

( ١ ) فى «الأصل، ك» : تطيقونه، والمثبت هو الثواب.

( ٢ ) فى «ك» : الصلوات.

**عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**

تطوع»[1]. فدل هذا الخبر أن قيام الليل ليس بمفروض، وفيه إجماع.

والقول الثانى: [أن][2] قوله: ﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾ أى: فاقرءوا فى الصلاة ما تيسر من القرآن من غير توقيف ولا تقدير. وهذا على قول الشافعى وعامة العلماء فيما وراء الفاتحة. وقد ذكر أبو [الحسن][3] الدارقطنى فى كتابه بإسناده عن قيس بن أبى حازم أنه قال: صليت خلف ابن عباس فقرأ الفاتحة فى الركعة الأولى، وقرأ الآية الأولى من سورة البقرة، ثم قام فى الركعة الثانية وقرأ الفاتحة والآية الثانية من سورة البقرة، فلما فرغ قرأ قوله تعالى: ﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾ يعنى: أنه الذى تيسر. قال على بن عمر وهو الدارقطنى: هو دليل على قول من يقول أن ما تيسر هو ما وراء الفاتحة.

وقوله: ﴿علم أن سيكون منكم مرضى﴾ أى: (ذوو)[4] مرض.

قوله: ﴿وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله﴾ أى: التجار وسائر المسافرين.

وقوله: ﴿وآخرون يقاتلون فى سبيل الله﴾ أى: الغزاة. والكل بيان وجوه المشقة فى قيام الليل.

---

(١) متفق عليه من حديث طلحة، رواه البخارى (١/ ١٣٠ - ١٣١ رقم ٤٦ وأطرافه ١٨٩١، ٢٦٧٨، ٦٩٥٦)، ومسلم (١/ ٢٣٣ - ٢٣٦ رقم ١١).

(٢) في «الأصل، ك»: إلى.

(٣) فى «الأصل، وك»: الحسين، وهو سبق قلم، وهو أبو الحسن على بن عمر بن أحمد البغدادى الدارقطنى الإمام المشهور صاحب العلل والسنن وغيرهما. تاريخ بغداد (١٢/ ٣٢ - ٤٠)، والسير (١٦/ ٤٤٩ - ٤٦١).

(٤) في «ك»: ذو.

**فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾**.

وقوله : ﴿ فاقرءوا ما تيسر منه ﴾ معناه على ما بينا.

وقوله : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ أى : الصلوات الخمس المفروضة، والزكاة المفروضة. وقيل بأن الزكاة هاهنا : زكاة الرءوس، وهى زكاة الفطر.

وقوله : ﴿ وأقرضوا الله قرضًا حسنا ﴾ قد ذكرنا من قبل.

وقيل : هو جميع النوافل ووجوه الصلاة. وقيل : هو قوله : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. ويقال : إنه النفقة على الأهل.

وقوله : ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ﴾ أى : ثوابه عند الله يوم القيامة.

وقوله : ﴿ هو خيراً وأعظم ﴾ نصبه على أنه مفعول ثان من تجدوه. وقيل : هو فصل كلام، ذكره الأزهرى.

وقوله : ﴿ وأعظم أجراً ﴾ معطوف على الأول.

وقوله : ﴿ واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ ظاهر المعنى والله أعلم.

# تفسير سورة المدثر

وهى مكية

وذكر جابر بن عبد الله أنها أول سورة أنزلت من القرآن.

وروى أن النبى ﷺ قال: «جاورت بحراء شهراً، فلما نزلت واستبطنت الوادى نوديت يا محمد، فنظرت من قدامى وخلفى ويمينى وشمالى فلم أر أحداً، فنوديت ثم نوديت ثم نوديت، فرفعت رأسى فإذا هو فى العرش فى الهواء. يعنى جبريل عليه السلام، فَجُئِثْتُ منه فَرَقًا، فرجعت إلى البيت وقلت: زمِّلونى دثِّرونى».

وفى رواية: «صبوا علىَّ ماءً بارداً، ثم جاءنى جبريل فقال: ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر﴾»(١). ومن المعروف أن أول ما نزل من القرآن سورة اقرأ، ونبين من بعد ويمكن الجمع بين الروايتين فيقال: إن سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن حين بدىء بالوحى، وسورة المدثر أول ما نزل بعد فتور الوحى، والله أعلم.

(١) متفق عليه بنحوه عن جابر، رواه البخارى (١/٣٧ رقم ٤، وأطرافه: ٣٢٣٨، ٤٩٢٢ - ٤٩٢٦، ٤٩٥٤، ٦٢١٤)، ومسلم (٢/٢٦٩ - ٢٧٣ رقم ١٦١).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾

قوله تعالى ﴿ يا أيها المدثر ﴾ معناه: يا أيها المتدثر، مثل قوله: ﴿ يا أيها المزمل ﴾ أى: المتزمل. والفرق بين الشعار والدثار، أن الشعار هو الثوب الذى يلى جلد الإنسان، والدثار هو الثوب الذى فوق ذلك. وقد روى معمر عن الزهرى عن أبى سلمة عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحى، فقال فى حديثه: «بينما أنا أمشى سمعت صوتا من السماء، فرفعت رأسى، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء [ جالساً ](١) على كرسى بين السماء والأرض، فجئثت منه رعبًا، فرجعت وقلت: زملونى دثرونى، فأنزل الله تعالى: ﴿ يا أيها المدثر ﴾، وهذا خبر متفق على صحته. قال رضى الله عنه: أخبرنا به أبو محمد عبد الله بن محمد ابن أحمد، أخبرنا أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار، أخبرنا أبو بكر محمد بن زكريا [ العذافرى ](٢)، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الدبرى أخبرنا عبد الرزاق عن معمر ... الخبر(٣).

قوله تعالى: ﴿ قم فأنذر ﴾ قال أبو الحسين بن فارس: القيام فى لغة العرب على وجهين: قيام جدٍ وعزم، وقيام انتصاب، فقيام الانتصاب معلوم، وقيام الجد والعزم فهو مثل قول الشاعر:

**قد رضيناه فقم فسمه**

قاله لبعض الخلفاء فى بعض ولاة العهد. وقال الضحاك: كان النبى ﷺ قائما فنزل

(١) في «الأصل، وك»: جالس. والصواب ما أثبتناه.

(٢) فى «الأصل، وك»: الغذافرى بالغين المعجمة، والصواب بالعين المهملة كما فى الأنساب (٤ / ١٧١).

(٣) تقدم فى الذى قبله.

وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾

﴿ يا أيها المدثر ﴾ أى: النائم.

﴿ قم فأنذر ﴾ أى: قم من النوم وأنذر الناس.

وقوله: ﴿ وربك فكبر ﴾ أى: عظمه، ودخلت الفاء بمعنى جواب الجزاء. وقيل: ربك فكبر، أى قل: الله أكبر.

وقوله: ﴿ وثيابك فطهر ﴾ قال مجاهد وقتادة معناه: لا تلبسها على غدر وفجور. وقال السدى: وعملك فأصلح.

وقال الشاعر فى القول الأول:

**وإنى بحمد الله لاثوب فاجر لبست ولامن غدرة أتقنع**

وقال السدى: تقول العرب فلان نقى الثياب إذا كانت أعماله صالحة، وفلان دنس الثياب إذا كانت أعماله خبيثة. وقيل: «وثيابك فطهر» أى: قلبك فأصلح.

قال امرؤ القيس:

**فإن يك قد ساءتك منى خليقة فسُلِّى ثيابى من ثيابك تنسُلِ**

وقال طاوس: وثيابك فطهر، أى: قصر، فإن الثوب إذا طال انجر على الأرض فيصيبه ما ينجسه. وقال عمر فى رجل يجر ثيابه: قصِّر من ثيابك فإنه أنقى وأبقى وأتقى. وعن ابن سيرين فى قوله: ﴿ وثيابك فطهر ﴾ أى: [اغسلها][1] من النجاسات. وهو قول مختار عند الفقهاء. وذكر الزجاج أن التطهير هو التقصير على ما ذكرنا عن طاوس.

وقيل: ونساءك فأصلح، أى: تزوج المؤمنات العفيفات. وقد بينا أن اللباس يكنى

(١) من «ك». وفى «الأصل»: اغسلها.

**والرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ ولا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ ولِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فإذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾**

به عن النساء، فكذلك يجوز فى الثياب.

وقوله: ﴿والرجز فاهجر﴾ قال مجاهد وإبراهيم معناه: فاهجر، أى: ابعد، والقول الثانى: فى الأوثان فاهجر، وهو قول معروف.

وقد قرئ: «والرجْزَ فاهجر» لهذا المعنى. وقال الفراء: الرِجْزَ والرُجْز بمعنى واحد. وقيل: الرجز هو الرجس، يعنى: اجتنب الرجاسات والنجاسات. وعلى هذا القول أبدلت السين بالزاى. ويقال: الرجْزُ هو العذاب، والمعنى: اجتنب ما يؤدى إلى العذاب.

وقوله ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ وقرأ ابن مسعود: «ولا تمنن أن تستكثر». قال الكسائى: سقطت «أن» فارتفع. وقال الحسن معناه: لا تمن بعطائك على أحد. وذكر الاستكثار لأنه إنما يمن إذا رآه كثيراً. والقول المعروف: لا تُعْط أحداً لتُعْطَى أكثر مما تُعْطى. قال إبراهيم: وهذا فى حق النبى ﷺ خاصة؛ لأن الله تعالى أمره بأشرف الآداب وأجل الأخلاق، فأما فى حق غيره فلا بأس به. رواه المغيرة بن مقسم الضبى عن إبراهيم. وقد حكى هذا الذى قلناه عن غير إبراهيم.

وقوله: ﴿ولربك فاصبر﴾ قال مجاهد: على ما أوذيت. وقيل: على الحق وإبلاغ الرسالة. وعن إبراهيم قال: ولربك فاصبر حتى تثاب على عملك. أورده النحاس عنه.

قوله تعالى ﴿فإذا نقر فى الناقور﴾ أى: الصور. ويقال: هو النفخة الأولى. ويقال: هو الثانية. وقد روى أن زرارة بن أبى أوفى كان يصلى بقوم فقرأ: ﴿فإذا نقر فى الناقور﴾ فخر مغشيا [عليه][1]. وقيل: إنه شبه البوق.

وقوله: ﴿فذلك يومئذ يوم عسير﴾ أى: شديد ﴿على الكافرين غير يسير﴾ أى:

(١) من «ك».

**ذرْني ومنْ خلقْتُ وحيدًا ﴿١١﴾ وجعلْتُ لهُ مالا ممْدودا ﴿١٢﴾ وبنين شُهُودًا ﴿١٣﴾**

غير هين ولا لين.

قوله تعالى: ﴿ ذرنى ومن خلقت وحيدا ﴾ قوله: ﴿ ذرنى ﴾ معناه: دعنى. وقد بينا وجه ذلك.

وقوله: ﴿ وحيدا ﴾ فيه قولان: أحدهما: خلقته وحده لا مال له ولا ولد. والثانى: خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه غيرى، وهو الوليد بن المغيرة على قول أكثر المفسرين.

وقوله: ﴿ وجعلت له مالا ممدودا ﴾ فيه أقوال كثيرة: أحدها: أنه ألف دينار، قاله ابن عباس. وعن سفيان: أربعة آلاف دينار، وقال قتادة: ستة آلاف دينار. وعن مجاهد فى بعض الروايات: مائة ألف دينار. والقول الأول معروف؛ لأن الحساب يمتد إليه فيقطع. وعن عمر بن الخطاب: غلة شهر بشهر. وقد ورد أنه كان له بستان بالطائف لا ينقطع دخله شتاء ولا صيفا. ويقال: هو المال الذى يستوعب جميع وجوه المكاسب من التجارة والزرع والضرع وغير ذلك. وعن ابن عباس فى بعض الروايات: كانت له الإبل المؤبلة والخيل المسومة والأنعام من الإبل والبقر والغنم والذهب والفضة وغير ذلك.

قوله تعالى: ﴿ وبنين شهودا ﴾ فى التفسير: أنه كان له [ عشرة ][1] بنين، وقيل: ثلاثة عشر. وقيل: غير ذلك.

وقوله: ﴿ شهودا ﴾ أى: حضوراً لا يغيبون عنه لحاجة أو لخوف. ( رواه مسلم )[2].

---

( ١ ) في «الأصل،ك» : عشر. والصواب ما أثبتناه.

( ٢ ) كذا! وأظنها مقحمة.

وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾

[ و ] من بنيه أسلم اثنان : خالد بن الوليد ، وهشام بن الوليد ، والباقون ماتوا فى الجاهلية .

وقوله : ﴿ ومهدت له تمهيدا ﴾ التمهيد هوالتهيئة والتوطئة . وقيل : وسعت عليه الأمر توسيعاً . ( ويقال )(١) : بسطت له ما بين اليمن والشام . أى : فى التجارة . وقيل : التمهيد هو تيسير أسباب المعيشة ، كأنه كان يتيسر عليه كل ما كان يطلبه ويريده من أسبابها .

وقوله : ﴿ ثم يطمع أن أزيد ﴾ وروى أن النبى ﷺ لما ذكر ما أعد الله تعالى للمسلمين من نعيم الجنة ، قال الوليد بن المغيرة : أنا أيسركم وأكثركم بنين ، فأنا أحق بالجنة منكم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ثم يطمع أن أزيد كلا ﴾ أى : لا أزيد . وقيل هذا فى الدنيا ، وقد أعسر من بعد واحتاج .

وقوله : ﴿ إنه كان لآياتنا عنيدا ﴾ أى : معاندا . وقيل : جاحداً .

وقوله : ﴿ سأرهقه صعودا ﴾ الإرهاق فى اللغة : هو حمل الرجل على ( الشىء )(٢) .

وقوله : ﴿ صعوداً ﴾ روى أبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « هو جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى به كذلك فيه أبداً »(٣) . ذكره أبو عيسى الترمذى فى كتابه ، وروى أنه صخرة من نار إذا وضع يده عليها ذابت ، وإذا رفعها عادت .

( ١ ) فى « ك » : وقيل .

( ٢ ) فى « ك » : المشى .

( ٣ ) رواه الترمذى ( ٥ / ٣٩٩ - ٤٠٠ رقم ٣٣٢٦ ) وقال : غريب ، وأحمد ( ٣ / ٧٥ ) ، وأبو يعلى ( ٢ / ٥٢٣ رقم ١٣٨٣ ) ، وابن جرير ( ٢٩ / ٩٧ ) ، والحاكم ( ٢ / ٥٠٧ ) وصححه ، والبيهقى فى البعث ( ٢٦٧ رقم ٥٣٧ ) كلهم من طريق دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد به .

**إنَّهُ فكّر وقدّر ﴿١٨﴾ فقُتل كيْف قدّر ﴿١٩﴾ ثُمّ قُتل كيْف قدّر ﴿٢٠﴾ ثُمّ نظر ﴿٢١﴾ ثُمّ عبس وبسر ﴿٢٢﴾**

قال الكلبى: يجر من قدامه بالسلاسل ويضرب من خلفه بالمقامع فإذا صعد عليها هوى هكذا أبداً. ويقال الصعود: العقبة الشاقة. وهذا القول قريب مما ذكرنا.

قوله تعالى: ﴿إنه فكر﴾ أى: تدبر.

وقوله: ﴿وقدر﴾ هو بمعنى التفكر أيضاً.

وقوله: ﴿فقتل كيف قدر﴾ أى: لعن كيف قدر. قال صاحب النظم معناه: لعن على أى حال قدر ما قدر.

وقوله ﴿ثم قتل كيف قدر﴾ على وجه التأكيد، ومعناه ما بينا.

وقوله ﴿ثم نظر﴾ أى: برأيه وعقله فى أمر النبى ﷺ. وروى إسحاق [بن][1] إبراهيم الحنظلى فى كتابه بإسناده عن مجاهد أن المشركين اجتمعوا عند الوليد بن المغيرة وقالوا: هذا الموسم يأتى ويقدم فيه الناس، ويسألوننا عن هذا الرجل، فإن سألونا نقول: إنه شاعر. فقال الوليد: إنهم يسمعون كلامه ويعلمون أنه ليس بشاعر. فقالوا: نقول: إنه مجنون: فقال: إنهم يسمعون حديثه فيعلمون أنه عاقل. فقالوا: نقول إنه كاهن. فقال: إنهم قد رأوا الكهنة فيعلمون أنه ليس بكاهن. قالوا: فماذا نقول؟ فحينئذٍ فكر وقدر ونظر.

وقوله تعالى: ﴿ثم عبس وبسر﴾ أى: قطّب وجهه.

يقال للقاطب: وجهه باسر. وقيل: العبوس بعد المحاورة، والبسور قبل المحاورة. والأصح أنهما بمعنى واحد، وإنما قال ذلك؛ لأن الإنسان إذا أهمه الأمر، وجعل يتفكر فيه، ويؤتى بعبس وجهه كالمتكاره بشىء. ثم إن الوليد لما فعل جميع ما فعل للقوم [قال]:[1] قولوا: إنه ساحر؛ فإن الساحر يبغض بين المتحابين، ويحبب بين

(١) سقط من الناسخ.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾

المتباغضين، وإن محمداً كذلك، فخرجوا واجتمعوا على هذا القول، وجعلوا يقولون لكل من يلقاهم: إنه ساحر، فهو معنى قوله تعالى: ﴿فقال إن هذا إلا سحر يؤثر﴾ أى: القرآن.

وقوله: ﴿يؤثر﴾ أى: يأثره عن غيره. كانوا يقولون: إنه يتعلم من غلام ابن الحضرمى، وقيل غيره.

وقوله: ﴿ثم أدبر واستكبر﴾ أى: تولى وتكبر.

قوله: ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ أى: القرآن قول البشر، ليس بقول الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿سأصليه سقر﴾ سأدخله، وسقر اسم من أسماء جهنم. قال ابن عباس: هو الدرك الخامس، والدركات سبع كلها فى القرآن: جهنم، لظى، والجحيم، وسقر، وسعير، والهاوية، والحطمة.

وقوله: ﴿وما أدراك ما سقر﴾ قاله تعظيما لأمر السقر.

وقوله: ﴿لا تبقى ولا تذر﴾ قال مجاهد: لا تبقى حيا فيستريح، ولا ميتا فيتخلص، وهو معنى قوله تعالى: ﴿لا يموت فيها ولا يحيى﴾(١).

ويقال: ﴿لا تبقى ولا تذر﴾ أى لا تبقى لحماً ولا عظماً ﴿ولا تذر﴾ أى: إذا أحرقت الكل لم تذر؛ لأنه يعود خلقاً جديداً. وقيل: لا تبقى أحداً من الكافرين، أى: تأخذ جميع الكافرين ولا تذرهم من العذاب وقتاً ما، أى: تحرقهم أبداً. وفى بعض التفاسير: أن كل شىء يسأم ويمل سوى جهنم.

وقوله: ﴿لواحة للبشر﴾ أى محرقة. قال أبو رزين: تحرقهم حتى يصيروا سوداً

(١) الأعلى: ١٣.

**لوّاحةٌ لّلْبشر ﴿٢٩﴾ عليْها تسْعة عشر ﴿٣٠﴾ وما جعلْنا أصْحاب النّار إلاّ ملائكة**

كالليل المظلم. وقيل: لواحة للبشر أى: تحرق اللحم حتى تلوح العظم. ويقال معناه: أن بشرة أجسادهم تلوح على النار، حكى هذا عن مجاهد. وقيل: لواحة للبشر، أى: معطشة للبشر، قال الشاعر:

**سقتنى على لوح من الماء شربة ... سقاها به الله الرباب والغواديا**

وقوله: ﴿عليها تسعة عشر﴾ أى: من الزبانية وخزنة النار.

وفى التفسير: أن من منكب أحدهم إلى المنكب الآخر مسيرة سنة، ويأخذ بكفه مثل عدد ربيعة ومضر، ويدفع فى النار بدفعة واحدة سبعين ألفا. وقيل: تسعين ألفا، وأعينهم كالبرق الخاطف، وأسنانهم كصياص البقر. وذكر الكلبى أن لهم من الأعوان والجند ما لا يعلم عددهم إلا الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ سبب نزول هذه الآية أن النبى ﷺ لما أخبر بعدد الزبانية، وقال أبو جهل: أرى محمداً يوعدكم بتسعة عشر وأنتم الدُّهم، أفلا تقرنون معهم ليعمد كل عشرة منكم إلى واحد فيدفعه.

وقال أبو الأسد بن كلدة - وكان رجلاً من بنى جمح -: أنا أتقدمكم على الصراط، فأدفع عشرة بمنكبى الأيمن، وتسعة بمنكبى الأيسر، ونمرُّ إلى الجنة. وقال كلدة بن أسيد: أنا أكفيكم سبعة عشر، فاكفونى أنتم اثنين؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ أى: هؤلاء التسعة عشر من الملائكة، وكيف تطيقونهم؟ وروى أن المسلمين لما سمعوا منهم هذا قالوا: تقيسون الملائكة بالحدادين؟ أى: (السجانين)[1].

---

(١) فى «ك»: الشحانين، وهو خطأ. والحداد هو السجان، كما فى لسان العرب (٣/ ١٤٢)، وأورد هذا الحديث.

**وما جعلنا عدتهم إلاَّ فتنةً للَّذين كفروا ليستيقن الَّذين أُوتوا الْكتاب ويزداد الَّذين آمنوا إيمانًا ولا يرتاب الَّذين أُوتوا الْكتاب والْمؤْمنون وليقول الَّذين في قُلوبهم مَّرضٌ والْكافرون ماذا أَراد اللَّه بهذا مثلاً كذلك يُضلُّ اللَّه من يشاءُ ويهْدي من يشاءُ وما يعْلم جُنُود ربك إلاَّ هو**

وقوله تعالى: ﴿ وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ﴾ أى: محنة وبلية حتى قالوا ما قالوا.

وقوله ﴿ ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ﴾ أى: ليستيقن الذين أوتوا الكتاب أن محمداً ﷺ قال ما قال من الله تعالى؛ فإنه وافق هذا العدد الذين ( وعدوا )(١) فى التوراة والإنجيل.

وقوله: ﴿ ويزداد الذين آمنوا إيمانا ﴾ أى: يزداد الذين آمنوا من أهل الكتاب إيمانًا. وقيل: يزداد جميع المؤمنون إيمانا إذا رأوا ما قاله النبى ﷺ موافقًا لما حكاه أهل الكتاب.

وقوله: ﴿ ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون ﴾ أى: لا يشكوا فى العدد إذا وجدوا التوراة والإنجيل والقرآن متفقة على هذا العدد.

وقوله: ﴿ وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ أى: كيف ذكر الله هذا العدد وخص الزبانية به؟ وهو تفسير قوله تعالى: ﴿ إلا فتنة للذين كفروا ﴾.

وقوله: ﴿ كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ﴾ يعنى: كما أضل الكفار بهذا العدد، وهدى المؤمنين لقبوله، كذلك يضل الله من يشاء، ويهدى من يشاء بما ينزل من القرآن.

وقوله تعالى: ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ روى أن الكفار لما سمعوا هذا العدد

(١) كذا فى «الأصل، وك»، ولعلها: عدوا.

﴿وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلاَّ وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيراً لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾﴾

قالوا: ما أقل هذا العدد؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ أى: له من الجنود سوى هذا العدد ما لا يعلم عددها إلا هو.

وقوله: ﴿وما هى إلا ذكرى للبشر﴾ أى: هذه الآية عظة وعبرة للبشر.

قوله تعالى: ﴿كلا والقمر﴾ كلا: هو رد لما قالوا.

وقوله: ﴿والقمر﴾ ابتداء قسم.

وقوله: ﴿والليل إذ أدبر﴾ وقرئ: ﴿إذا دَبَر﴾ أى: تولى وذهب.

وقوله: ﴿إذ أدبر﴾ أى: إذا جاء خلف النهار.

وروى أن عبد الله بن عباس سئل عن قوله: ﴿والليل إذا دبر﴾ فقال للسائل: امكث. فلما أذن المؤذن للصبح قال: هذا حين دَبَرَ الليلُ. وقد أنكر بعضهم هذه القراءة. وقالوا: إذا دبر، إنما يقال فى ظهر البعير. والصحيح ما بينا، وهما قراءتان معروفتان. وقال الكسائى والفراء: دبر وأدبر بمعنى واحد.

وقوله: ﴿والصبح إذا أسفر﴾ أى: تبين وأضاء. يقال: سفرت المرأة عن وجهها، (وسفر)(١) الرجل بيته إذا كنسه حتى كشف عن تراب البيت.

وقوله: ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ أى: القيامة لإحدى العظائم. ويقال: الكبر دركات جهنم. وقوله: ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ أى: سقر إحدى دركات جهنم، فينصرف (إلى ما)(٢) ذكرنا.

وقوله: ﴿نذيراً للبشر﴾ أى: إنذاراً للبشر. وذكر النحاس أنه رجع إلى قوله:

---

(١) فى «ك»: وتسفر.

(٢) فى «ك»: لما.

لمن شاءَ منكُمْ أن يتقدَّمَ أوْ يتأخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نفْسٍ بما كسبتْ رهينةٌ ﴿٣٨﴾ إلاَّ أصْحابَ الْيمينِ ﴿٣٩﴾ في جنَّاتٍ يتساءلُونَ ﴿٤٠﴾ عنِ الْمُجْرمينَ ﴿٤١﴾ ما سلككُمْ في سقَرَ ﴿٤٢﴾ قالُوا لَمْ نكُ منَ الْمُصلِّينَ ﴿٤٣﴾ ولَمْ نكُ نُطْعمُ الْمسْكينَ ﴿٤٤﴾ وكُنَّا نخُوضُ معَ الْخائضينَ ﴿٤٥﴾ وكُنَّا نُكذِّبُ بيوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حتَّىٰ أتانَا الْيقينُ ﴿٤٧﴾ فَما تنفعُهُمْ شفَاعةُ الشَّافعينَ ﴿٤٨﴾

﴿قم﴾ أى: قم نذيراً للبشر.

وقوله: ﴿لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾ أى: يتقدم إلى الإيمان أو يتأخر عنه.

وقوله: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ أى: مرتهنة.

وقوله: ﴿إلا أصحاب اليمين﴾ فليسوا بمرتهنين؛ لأنه ليست لهم ذنوب. قال زاذان عن علىٍّ: هم ولدان المسلمين. وقيل: هم الأنبياء. وقيل: هم الذين يعطون الكتاب بأيمانهم. وقيل: هم الذين أخذوا من صلب آدم من الجانب الأيمن، وقال الله تعالى لهم: هؤلاء فى الجنة ولا أبالى. وعن ابن عباس: أنهم الملائكة.

وقوله: ﴿فى جنات﴾ أى: بساتين.

وقوله: ﴿يتساءلون عن المجرمين ما سلككم فى سقر﴾ أى: ما أدخلكم فى سقر، وإنما سألوا عن ذلك؛ لأنهم لم يعرفوا الذنوب، وهذا يصح إذا حملنا على الملائكة وولدان المسلمين، وأما إذا حملنا على غيرهم، فهو سؤال مع المعرفة، ويجوز أن يسأل الإنسان عن غيره مع معرفة حاله.

قوله تعالى: ﴿قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين﴾ قال قتادة: كلما غَوَى قوم غَوَينا معهم.

وقيل: كنا نخوض مع الخائضين فى أمر محمد، وننسبه إلى السحر والشعر وغير ذلك.

وقوله: ﴿وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين﴾ أى: الموت.

وقوله: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ لأنهم كفرة، فلا يكون لهم شفيع ولو

فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾

كان لم ينفعهم. وفى التفسير: أن هذا حين يخرج قوم من المؤمنين من النار بشفاعة الأنبياء والرسل والملائكة والعلماء والصديقين، وكل هذا مروى[فى ](١) الأخبار، ويبقى الكفار فى النار على الخصوص.

وقوله: ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾ أى: العظة والعبرة.

وقوله: ﴿كأنهم حمر مستنفرة﴾ وقرئ: ﴿مستنفَرة﴾ بفتح الفاء. وقوله: ﴿مستنفرة﴾ نافرة.

وقوله: ﴿مستنفَرة﴾ أى: مذعورة.

وقوله: ﴿فرت من قسورة﴾ قال ابن عباس وأبو هريرة: هو الأسد. وقال ابن عباس: يقال بالعربية الأسد، وبالحبشية القسورة، وبالفارسية شير، وبالنبطية أريا. وعن أبى موسى الأشعرى فرت من قسورة: هم النقابون. وقيل: هم رماة النبل.

وقوله: ﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة﴾ روى أن الكفار قالوا: لا نؤمن بك يا محمد حتى تأتى كل واحد منا كتابا من الله أن آمن بمحمد فإنه رسولى.

وقوله: ﴿كلا﴾ أى: لا يؤتون هذه الصحف. وقيل: كلا أى: لو أوتوا هذه الصحف لم يؤمنوا.

وقوله: ﴿بل لا يخافون الآخرة﴾ أى: لو خافوا لم يطلبوا هذه الأشياء.

وقوله: ﴿كلا إنه تذكرة﴾ أى: القرآن عظة وعبرة.

وقوله: ﴿فمن شاء ذكره﴾ أى: اتعظ به واعتبر به، ثم رد المشيئة إلى نفسه فقال:

(١) زيادة يقتضيها السياق.

﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾

﴿ وما يذكرون إلا أن يشاء الله ﴾ أى: لا يعتبرون ولا يتعظون إلا بمشيئتى.

وقوله: ﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ أى: أهل أن أبقى خالداً فى الجنة من اتقى، ولم يجعل معى إلها. ﴿ وأهل المغفرة ﴾ أى: من اتقى ولم يجعل معى إلها فأنا أهل أن أغفر له. وفى هذا خبر مسند برواية أنس عن النبى ﷺ على نحو هذا المعنى ذكره أبو عيسى فى كتابه(١).

وعن محمد بن النضر بن الحارث فى هذه الآية أن قوله: ﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ المعنى: أنا أهل أن أتقى بترك الذنوب ﴿ وأهل المغفرة ﴾ أى: وأنا أهل أن أغفر للمذنبين إن لم يتقوا.

وذكر الأزهرى فى قوله: ﴿ بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفًا منشرة ﴾ قولا آخر: هو أن المشركين قالوا: كانت بنو إسرائيل إذا أذنب الواحد منهم ذنباً ظهر ذنبه مكتوباً على باب داره، فما بالنا لا يكون لنا ذلك إن كنا مذنبين؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأخبر على هذا المعنى، وأخبر أنه لا يفعل ذلك لهذه الأمة، وأن ذلك كان مخصوصاً ببنى إسرائيل. والله أعلم.

---

(١) رواه الترمذى (٥/٤٠٠ - ٤٠١ رقم ٣٣٢٨) وقال: غريب، وسهيل ليس بالقوى فى الحديث، وقد تفرد بهذا الحديث، والنسائى فى الكبرى (٦/٥٠١ رقم ١١٦٣٠)، وابن ماجه (٢/١٤٣٧ رقم ٤٢٩٩)، وأحمد (٣/٢٤٣)، وأبو يعلى (٦/٦٦ رقم ٣٣١٧)، والدارمى (٢/٣٩٢ رقم ٢٧٢٤)، والعقيلى فى الضعفاء (٢/١٥٤)، وابن عدى فى الكامل (٣/٤٥٠)، والحاكم (٢/٥٠٨) وصححه، والخطيب فى تاريخه (٥/٥٢)، والبغوى فى تفسيره (٤/٤٢٠).

وفى الباب عن أبى هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وانظر الدر (٦/٣١٨)، وتخريج الكشاف للزيلعى (٤/١٢٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾

# تفسير سورة القيامة

وهى مكية

وعن عمر- رضى الله - عنه أنه قال: من أراد أن يشاهد القيامة فليقرأ سورة القيامة. وعن المغيرة بن شعبة أنه قال: يقولون القيامة ومن مات فقد قامت قيامته. أورد هذين الأثرين النقاش فى تفسيره.

قوله تعالى: ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ قال سعيد بن جبير معناه: أقسم بيوم القيامة. وعنه أيضاً أنه سأل ابن عباس عن قوله: ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ فقال: إن ربنا تعالى يقسم بما شاء من خلقه. واختلفوا فى قوله: «لا» على أقوال: أحد الأقوال: أنها صلة، أى: زائدة على ماهو مذهب كلام العرب، وأنكر الفراء هذا وقال: الصلة إنما تكون فى أثناء الكلام، فأما فى ابتداء الكلام فلا، ومعنى قوله: ﴿ لا ﴾ أى: ليس الأمر كما يزعمون أن لا بعث ولا جنة ولا نار، ثم ابتدأ بقوله: ﴿ أقسم ﴾ وأجاب من قال بالقول الأول أن القرآن كله متصل بعضه بالبعض فى المعنى، فيصلح أن تكون «لا» صلة فى هذا الموصل وإن كان (عند)(١) ابتداء السورة. والقول الثالث أن معنى قوله: ﴿ لا ﴾ على معنى التنبيه، كأنه قال: ألا فتنبه ثم أقسم، ومثله قول الشاعر:

ألا وأبيكِ ابنةَ العامريِّ ... لا يَدَّعِى قومٌ أنى أفر

وقرأ ابن كثير: «لأقسم بيوم القيامة» وهى قراءة الحسن والأعرج. وأنكر النحويون

(١) فى «ك»: فى.

﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ ﴾

من البصريين هذه القراءة وزعموا أنها لحن، وقالوا: لابد من دخول النون إذا كان على هذا الوجه، والصحيح هى القراءة المعروفة، وأكثر القراء على هذا.

وقوله: ﴿ بيوم القيامة ﴾ سميت القيامة؛ لأن الناس يقومون فى هذا اليوم للحساب وجزاء الأعمال.

وقوله: ﴿ ولاأقسم بالنفس اللوامة ﴾ أى: أقسم. وعن الحسن أنه قال: أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوامة. والأصح أن القسم بهما. وفى اللوامة أقوال: أحدها: أنها الفاجرة تلام يوم القيامة، فمعنى اللوامة: الملومة هاهنا على هذا القول. والقول الثانى - وهو الأصح -: أنها المؤمنة تلوم نفسها على ماتفعل من المعاصى. قال مجاهد: المؤمن يلوم نفسه على المعاصى، والكافر يمضى قدما قدما فى المعاصى ولايفكر فيه. وفى التفسير: أنه مامن أحد إلا ويلوم نفسه يوم القيامة؛ إن كان محسنا يلوم ألا ازداد واستكثر من الإحسان، وإن كان مسيئا يلوم نفسه ألا أقلع عن الإساءة والمعاصى.

وقوله: ﴿ أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ﴾ أى: لن نحيى عظامه (فنجمعها)(١) للإحياء بعد تفرقها.

وقوله: ﴿ بلى ﴾ هو جواب القسم، وعليه وقع القسم.

وقوله: ﴿ قادرين ﴾ أى: بلى لنجمعنكم قادرين. وقيل: بلى نقدر قادرين.

وقوله: ﴿ على أن نسوى بنانه ﴾ أى: على تسوية بنانه، وهى أطراف الأصابع، وفيها عظام صغار، وخصها بالذكر؛ لأنه تعالى إذا قدر على جمع العظام الصغار فعلى الكبار أقدر على جمعها وإحيائها. وعن قتادة فى قوله: ﴿ على أن نسوى بنانه ﴾ أن

(١) فى «ك»: فلن نجمعها.

﴿ بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾

نجعل أصابعه بمنزلة خف البعير وحافر الحمار، وهذا قول مشهور فى التفاسير.

قوله تعالى: ﴿ بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ﴾ فى التفسير: أن معناه: يقدم الذنب ويؤخر التوبة. وهو بمعنى التسويف فى ترك المعاصى والتوبة إلى الله. وروى على بن أبى طلحة الوالبى عن ابن عباس أن معناه: هو التكذيب بالقيامة، والفجور هو الميل عن الحق، والكاذب مائل عن الصدق فهو فاجر. وحكى ابن قتيبه أن أعرابيًا جاء إلى عمر – رضى الله – عنه وقال: إن بعيرى قد دبر فاحملنى على بعير، فلم يحمله عمر، فولى الأعرابى وهو يقول:

**أقسمَ باللهِ أبو حفصٍ عُمَرْ ما مسه من نَقَبٍ ولا دَبَر**

**اغفر له اللهم إن كان فجر**

أى: كذب.

قال مجاهد فى قوله تعالى: ﴿ يفجر أمامه ﴾ أى: يمضى أمامه راكبا هواه لايفكر فى ذنب، ولايتوب عن معصية.

قوله تعالى ﴿ يسأل أيان يوم القيامة ﴾ أى: متى يوم القيامة، وكانوا يقولون ذلك على وجه الاستهزاء، وهو دليل على صحة القول الذى ذكرناه عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ فإذا برِقَ البصر ﴾ وقرئ: «بَرَقَ» بالفتح، فقوله: «بَرَقَ البصر» أى: شخص من الهول فلم يطرف. وقوله: «برق» أى: تحير وجزع، ويقال: غشيه مثل البرق.

وقوله: ﴿ وخسف القمر ﴾ أى: ذهب ضوءه. ومنه يقال: بئر منخسفة وغير منخسفة. وعن أبى حاتم محمد بن إدريس الرازى أنه قال: الكسوف أن يذهب بعض

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلاَّ لا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾

الضوء، والخسوف أن يذهب جميع الضوء. وهو قول مروى عن غيره أيضًا.

وقوله: ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ أى: فى الخسفة وإذهاب الضوء. قال ابن مسعود: يصيران كالبعيرين القرينين، ثم يلقيان فى النار فيصيران نارًا على الكفار، وهذا على معنى قوله. وعن مجاهد: وجمع الشمس والقمر أى: كور كلاهما.

وقوله: ﴿يقول الإنسان يومئذ أين المفر﴾ أى: أين المهرب؟ وقرئ: «أين المقر» أى: أين موضع القرار؟.

وقوله: ﴿كلا لا وزر﴾ أى: لا مهرب ولا فرار.

وأما قوله: ﴿لاوزر﴾ فيه أقوال: قال سعيد بن جبير: لا محيص. وقال عكرمة: لامنعة. وعن مجاهد: لا منجا. وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير، والضحاك: لاجبل. وهو قول مشهور، وقد كانت العرب إذا طرقتهم الخيل قالوا: الوزر الوزر، أى: الجبل الجبل.

قال الشاعر:

**لعمرك ماللفتى من وزر إذا الموت يدركه والكبر**

وهذا على المعنى المنجا.

وقوله: ﴿إلى ربك يومئذ المستقر﴾ أى: يظهر مستقر العباد فى الجنة أو النار.

وقوله: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ قال ابن مسعود وابن عباس: بما قدم من طاعة فعمل بها، وأخر من (سنة)(١) سيئة، فعُمِلَ بها بعده. ويقال: ﴿بما قدم وأخر﴾ بأول عمله وآخره. وهو محكى عن مجاهد وإبراهيم. وقيل: ﴿بما قدم وأخر﴾

(١) ليست فى «ك».

بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾

أى: يلقى جزاء جميع أعماله من طاعة ومعصية. وعن زيد بن أسلم: بما قدم من المال للصدقة، وأخر من المال للورثة.

وقوله: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ أى: شاهد، والمعنى: هو لزوم الحجة عليه كما يلزم بالشهادة، وما من أحد إلا وله من نفسه على نفسه حجة. وقيل: هو شهادة الجوارح عليه يوم القيامة. قال ابن عباس: تشهد عليه يداه ورجلاه وفرجه وغير ذلك. ودخلت التاء فى قوله: ﴿بصيرة﴾ للمبالغة مثل قولهم: علامة وراوية وما يشبهها.

وقوله: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ فيه قولان معروفان: أحدهما: ولو جاء بكل عذر، وأدلى بكل حجة أى: لايقبل منه ذلك؛ لأنه لاعذر له ولاحجة. والقول الثانى: أن قوله: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ أى: ستوره، واحدها معذار، قال الزجاج: وهو الستر. وقيل: هو لغة يمانية.

والمعنى: أنه وإن ستر جميع أعماله بالسُّتور، فإنما تظهر يوم القيامة ويجازى عليه.

قوله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ روى سفيان بن عيينة، عن موسى ابن أبى عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس «أن النبى ﷺ كان إذا نزل عليه الوحى يحرك به لسانه يريد أن يحفظه فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لاتحرك به لسانك لتعجل به﴾ قال: وحرك سعيد بن جبير شفتيه، وحرك ابن عباس شفتيه»(١). قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو على الشافعى، أخبرنا أبو الحسن بن (فراس)(٢)، أخبرنا أبو جعفر الديبلى، أخبرنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومى عن ابن عيينة. الحديث.

(١) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه فى تفسير سورة «طه».

(٢) في «الأصل، وك». فارس، وهو تحريف، وقد سبق التنبيه عليه فى أكثر من موضع.

إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾

واختلف القول أن النبى ﷺ لماذا كان يحرك لسانه؟ فأحد القولين: أنه كان يحركه مخافة الانفلات لكيلا ينساه، وهو المعروف. والقول الثانى: أنه كان يحرك لسانه حبًّا للوحى، ذكره الضحاك.

وقوله: ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾ أى: جمعه فى صدرك. و«قرآنه» أى: نيسر قراءته عليك؛ فالقرآن هاهنا بمعنى القراءة.

وقال قتادة: إن علينا جمعه وقرآنه فى صدرك وتآليفه على ما أنزلناه.

وقوله: ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ أى: إذا أنزلناه فاستمع له.

ويقال: إذا قرأه جبريل عليك فاتبع قرآنه، وقيل: فاتبع قرآنه أى: فاتبع القرآن بالعمل به فى الحلال والحرام والأمر والنهى.

وقوله: ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ أى: علينا أن نجمعه فى صدرك لتبينه للناس وتقرأه عليهم، وهو مذكور بمعنى تيسير الحفظ عليه وتسهيله بمعونه: الله تعالى، وقد كان يلقى من الحفظ شدة قبل ذلك، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية كان إذا قرأ عليه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأ كما أنزل.

قوله تعالى: ﴿كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة﴾ هى خطاب للكفار؛ لأنهم كانوا يعملون للدنيا ولايعملون للآخرة، فهذا هو معنى الآية.

وقوله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ قوله: ﴿ناضرة﴾ بالضاد أى: مسرورة طلقة هشة بشة. والنضرة: هى النعمة والبهجة فى اللغة.

وقوله: ﴿إلى ربها ناظرة﴾ هو النظر إلى الله تعالى بالأعين، وهو ثابت للمؤمنين فى الجنة بوعد الله تعالى وبخبر الرسول ﷺ.

قال رضى الله عنه: أخبرنا أبو الحسن بن النقور، أخبرنا أبو القاسم بن حبابة، أخبرنا البغوى، أخبرنا هدبة [بن](١) خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن عبدالرحمن بن أبى ليلى عن صهيب عن النبى ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فماأعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى الله تعالى»(٢). قال رضى الله عنه: أخبرنا أبو على الشافعى بمكة، أخبرنا أبو الحسن بن فراس بإسناده عن إسرائيل عن ثوير بن أبى فاختة عن ابن عمر – رضى الله عنهما – أن النبى ﷺ قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر فى ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى الله تعالى كل يوم مرتين». وفى رواية: «غدوة وعشيا، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾»(٣).

---

(١) فى «الأصل، وك»: بنت، وهو تحريف، وهو هدبة بن خالد بن الأسود القيسى أبو خالد البصرى. يروى عن حماد بن سلمة كما فى ترجمتيهما من تهذيب الكمال.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الترمذى (٥/ ٤٠٢ رقم ٣٣٣٠) وقال: غريب، وأحمد (٢/ ١٣، ٦٤)، وعبد بن حميد (٢٦ رقم ٨١٩)، وأبو يعلى (١٠ / ٧٦ – ٧٧ رقم ٥٧١٢، ٥٧٢٩)، وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (رقم ٩٦) فى السنة (رقم ٢٧٤، ٢٧٥)، والطبرى (٢٩/ ١٢٠)، وابن عدى فى الكامل (٢/ ١٠٦)، والآجرى فى الشريعة (٢٦٩)، والحاكم (٢/ ٥٠٩ – ٥١٠)، وأبو الشيخ فى العظمة (رقم ٦٠٦)، وأبو نعيم فى الحلية (٥/ ٨٧)، وفى صفة الجنة (رقم ٤٥١)، والبيهقى فى البعث (رقم ٤٧٧، ٤٧٨)، والبغوى فى تفسيره (٤/ ٤٢٤).

وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٤١٠): رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى، وفى أسانيدهم ثوير بن أبى فاختة، وهو مجمع على ضعفه. قلت: وبه أعله الذهبى فى تلخيصه على المستدرك.

﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ ﴾

والذى ذكرناه من النظر إلى الله هو قول عامة المفسرين، وهو مروى عن الحسن البصرى أيضا أنه حمل الآية على هذا، وذكره سائر الرواة. وحكى بعضهم عن مجاهد: إلى ثواب ربها ناظرة، وليس يصح؛ لأن العرب لاتطلق هذا اللفظ فى مثل هذا الموضع إلا والمراد منه النظر بالعين، ولعل القول المحكى عن مجاهد لا يثبت؛ لأنه لم يورده من يوثق بروايته.

وحمل بعضهم قوله: ﴿ ناظرة ﴾ أى: منتظرة، وهذا أيضا تأويل باطل؛ لأن العرب لاتصل قوله: «ناظرة» بكلمة «إلى» إلا بمعنى النظر بالعين، قال الشاعر:

**نظرت إليها بالمُحصَّب من منىً ... ولى نَظَرٌ ولولا التَّحَرُّج عارِمُ**

فأما إذا [أراد][1] الانتظار فانهم لايصلونها بإلى، قال الشاعر:

**فإنكما إن تَنْظُرانِىَ ساعةً ... من الدهر تَنْفَعنِى لَدَى أمِّ جُنْدُبِ**

أى: تنتظرانى، وعلى المعنى لايصح أيضا هذا التأويل؛ لأن الطلاقة والهشاشة والسرور إنما يكون بالوصول إلى المطلوب فأما مع الانتظار فلا، فإن فى الانتظار تنغصاً ومشقة.

وقوله: ﴿ ووجوه يومئذ باسرة ﴾ أى: كالحة عابسة.

وقوله: ﴿ تظن أن يفعل بها فاقرة ﴾ أى: تتيقن أن الذى يفعل بها فاقرة، والفاقرة هو الأمر الشديد الذى ينكسر معه فَقَار الظهر. وقيل: فاقرة: واهية، أو أمر عظيم.

قوله تعالى: ﴿ كلا إذا بلغت التراقى ﴾ المعنى: أنه ليس الأمر كما يظنون ويتوهمون، (ويستعملون)[2] ذلك إذا بلغت النفس التراقى. والتراقى جمع تَرْقُوة،

(١) فى «الأصل، وك»: أرادت.

(٢) كذا! ولعلها وسيعلمون.

وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾

وهو مقدم الحلق المتصل بالصدر، وهو موضع الحشرجة، ذكره أبو عيسى.

وقوله: ﴿ وقيل من راق ﴾ أى: هل من طبيب يشفى ويداوى، قاله قتادة. وقيل معناه: أن الملائكة يقولون من يرقى بروحه أى: تصعد ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب.

وقوله: ﴿ وظن أنه الفراق ﴾ قرأ ابن عباس: «وأيقن أنه الفراق». وهو صحيح عنه، وهو المعنى.

وقوله: ﴿ والتفت الساق بالساق ﴾ أى: [اتصلت](١) شدة الدنيا بشدة الآخرة. وقيل: يجتمع عليه كرب الموت وهول المطلع. قال الضحاك: هو فى أمر عظيم، الناس يجهزون بدنه، والملائكة يجهزون روحه. وعن الحسن: «والتفت الساق بالساق» أى: فى الكفن، وهو الساق المعروف، وعلى القول الأول الساق بمعنى الشدة. وقد ذكرنا من قبل.

وقوله: ﴿ إلى ربك يومئذ المساق ﴾ أى: السوق، فإنه يساق إما إلى الجنة، وإما إلى النار بأمر الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ فلا صدق ولا صلى ﴾ معناه: فلا صدق الكافر ولاصلى معناه: لم يصدق الكافر ولم يصل. قال المفسرون: نزلت الآية فى أبى جهل بن هشام.

قوله: ﴿ ولكن كذب وتولى ﴾ أى: كذب بآيات الله، وأعرض عن الحق.

وقوله: ﴿ ثم ذهب إلى أهله يتمطى ﴾ أى: يتبختر. ومشية المُطَيْطَاء هى مشية التبختر. وقيل: هو أن يولى مطاؤه، والمطا الظهر. وفى بعض التفاسير: أنه مشية بنى مخزوم. وقيل: التمطى: هو التمدد من كسل أو مرض، فأما من المرض فهو غير مذموم، وأما من الكسل إذا كان تثاقلا عن الحق فهو مذموم.

(١) فى «الأصل، ك»: اتصل.

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾

وقوله: ﴿أولى لك فأولى﴾ اختلف القول فى هذه اللفظة، فأحد الأقوال: أن معناها: الويل لك ثم الويل لك. والثانى: معناها: وليك المكروه وقارب منك، وهذا قول قتادة وجماعة. والقول الثالث: الذم أولى لك، ثم طرحت لفظ الذم للاستغناء عنها ولأنه معلوم، ذكره على بن عيسى. وفى التفسير: «أن النبى ﷺ لقى أبا جهل وهو يخرج من باب بنى مخزوم يتبختر، فأخذ بيده وهزه مرة أو مرتين، ثم قال له: أولى لك فأولى، فأخبر الله تعالى فى القرآن قول الرسول على ما قال»(١)، وهذا قول حسن؛ لأن أولى فى لغة العرب بمعنى كاد وهم، ولفظة كاد بالخلق أليق؛ فهو حكاية من الله تعالى لقول الرسول ﷺ. وأنشدوا فى كلمة أولى قول الخنساء:

هممتُ بنفسىَ بعض الهمومِ ... فأولى لنفسى أولى لها

سأحملُ نفسى على آلةٍ ... فإما عليها وإما لها

آلة أى: حالة.

قوله تعالى: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدا﴾ أى: مهملا لايؤمر ولاينهى. قاله مجاهد. وقيل: لايبعث ولايحاسب ولا يعاقب، قال الشاعر:

فَأُقْسِمُ بالله جهدَ اليمينِ ... ما تركَ اللهُ شيئًا سُدَى

وقوله: ﴿ألم يك نطفة من منى يمنى﴾ وقرئ بالتاء: «تمنى». والمنى ماء معروف يخلق منه الإنسان، فالقراءة بالياء تنصرف إلى المنى، والتاء تنصرف إلى معناه، وهو النطفة.

وقوله: ﴿يمنى﴾ أى: يقذف فى الرحم. وقيل: يقدر.

(١) رواه عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة مرسلا بنحوه، كما فى الدر (٦/ ٣٢٨).

﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾

قال الشاعر:

**مـا يَمْنـى لـك المانـى**

أى: ما يُقدِّر لك المقدر

قوله تعالى: ﴿ ثم كان علقة ﴾ أى: المنى علقة، وهو الدم المنعقد.

وقوله: ﴿ فخلق فسوى ﴾ أى: فخلق منه الإنسان فسوى خلقه.

وقوله: ﴿ فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ﴾ وقيل: من المنى الذكر والأنثى.

وقوله: ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ﴾ معناه: أليس الله الذى خلق الإنسان من النطفة بقادر على أن يحيى الموتى؟ يعنى: هو قادر. وعن ابن عباس أنه كان إذا بلغ هذه الآية قال: اللهم بلى. وفى رواية: سبحانك بلى. وقد روى هذا مرفوعا فى بعض المسانيد(١). والله أعلم وأحكم.

(١) فى الباب عن أبى هريرة وأبى أمامة وجابر، وانظر الدر المنثور (٦/٣٢٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ

## تفسير سورة الإنسان

وهى مكية فى قول بعضهم. مدنية فى قول بعضهم، وقيل: بعضها مكية وبعضها مدنية.

قوله تعالى: ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر ﴾ معناه: قد أتى على الإنسان حين من الدهر، قاله الفراء. وقيل: أتى على الإنسان حين من الدهر، والإنسان هو آدم على قول أكثر المفسرين. وعن ابن جريج: أنه كل إنسان من الآدميين.

وقوله تعالى: ﴿ حين من الدهر ﴾ هو أربعون سنة. قال محمد بن إسحاق: صور الله آدم - عليه السلام - ثم تركه أربعين سنة ينظر إليه، ثم نفخ فيه الروح. وفى رواية: خلقه من طين ثم بعد أربعين سنة صار صلصالا من غير أن تمسه النار. وفى رواية: كان أربعين سنة طينا، وأربعين سنة حمأ مسنونا، وأربعين سنة صلصالا.

وقوله: ﴿ لم يكن شيئا مذكورا ﴾ أى: كان شيئا إلا أنه لم يكن شيئا يذكر. وروى أنه قرأت هذه الآية عند عمر - رضى الله عنه - فقال: يا ليتها تَمَّتْ، أى: تلك الحالة.

قوله تعالى: ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج ﴾ أى: أخلاط. قال ابن مسعود: أمشاجها عروقها التى فى النطفة. وفى اللغة: أن الأمشاج واحدها مشيج، وهو الخلط. (والمعنى):(١) هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة، أو اختلاط الدم بالنطفة.

(١) فى «ك»: ومعناها.

نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾

وقيل: إن الله تعالى خلق الطبائع التى فى الإنسان فى النطفة من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، فهى الأمشاج، ثم عدلها ثم بنى البنية الحيوانية على هذه الطبائع المعدلة، ثم نفخ فيها الروح، ثم شق لها السمع والبصر، فسبحان من خلق هذا الخلق من نطفة مهينة أو علقة نجسة. وقيل: أمشاج أى: أطوار، فالنطفة طور، والعلقة طور، والمضغة طور، وكذلك ما بعدها. وقيل: أمشاج أى: ألوان. وفى الخبر: «أن ماء الرجل أبيض غليظ، وماء المرأة أصفر رقيق، فإذا علا ماء المرأة ماء الرجل آنَثَتْ، وإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أَذْكَرَتْ»(١).

وقوله: ﴿نبتليه﴾ أى: نختبره ونمتحنه. وقيل: فى الآية تقديم وتأخير، ومعناها: فجعلناه سميعا [بصيراً](٢) نبتليه ونختبره.

قوله تعالى: ﴿إنا هديناه السبيل﴾ أى: الخير والشر، وهو مثل قوله تعالى: ﴿وهديناه النجدين﴾(٣). وقيل: بينا له طريق الإيمان والكفر.

وقوله تعالى: ﴿إما شاكراً وإما كفوراً﴾ عند البصريين أن «إما» بمعنى «أو» وعند الكوفيين أن معناه: إما كان شاكراً وإما كان كفوراً. وقيل: إما شقيًّا، وإما سعيداً.

قوله: ﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيراً﴾ وقرئ: «سلاسل»(٤)، والأصل سلاسل لا تنصرف، وأما صرفه على (قراءة)(٥) من قرأ «سلاسلا وأغلالا

(١) رواه مسلم (٣/ ٢٩١ - ٢٩٤ رقم ٣١٥)، والنسائى فى الكبرى (٥/ ٣٣٧ - ٣٣٨ رقم ٩٠٧٣)، وابن حبان (١٦ / ٤٤٠ - ٤٤١ رقم ٧٤٣٢)، والحاكم (٣/ ٤٨١ - ٤٨٢) وغيرهم عن ثوبان مرفوعا به.

(٢) من «ك».

(٣) البلد: ١٠.

(٤) انظر النشر (٢/ ٣٩٤).

(٥) فى «ك»: قول.

إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝

وسعيرا» على موافقة قوله: ﴿أغلالا﴾ وذلك جائز على مذهب العرب. والأغلال جمع غل. وروى جبير بن نفير عن أبى الدرداء أنه قال: ارفعوا أيديكم إلى الله قبل أن تُغَلَّ بالأغلال.

وقوله: ﴿سعيراً﴾ أى: نارا موقدة. وفى بعض الأخبار برواية عطية، عن أبى سعيد الخدرى: أن الله تعالى يبعث سحابة فتقف على رءوس أهل النار، ويقال لهم: ما تريدون: فيقولون: الشراب، فيمطرهم الله منها السلاسل والأغلال والحميم.

قال الحسن: إن الله لا يغل الكفار عجزا عن حفظهم، ولكن حتى إذا خبت النار عنهم أرسبتهم [أغلالهم](١) فى أسفل النار.

قوله تعالى: ﴿إن الأبرار يشربون﴾ الأبرار: هم المطيعون.

وقيل: هم الذين بَرُّوا الآباء والأبناء. وعن الحسن: هم الذين لا يؤذون الذَّرَّ. وفى بعض الأخبار: «ما من ولد ينظر إلى والده نظر بر وعطف إلا كتب الله له به حجة، فقيل: يا رسول الله، وإن نظر فى اليوم مائة مرة! قال: الله أكبر وأطيب»(٢).

وقوله: ﴿من كأس﴾ قال الزجاج: العرب لا تذكر الكأس إلا إذا كانت فيها الخمر. قال الشاعر:

صرفتِ الكأسَ عنَّا أمّ عمرو ... وكان الكأسُ مَجْرَاها اليمينا

(١) فى «الأصل وك»: أغلاهم.

(٢) رواه ابن أبى الدنيا فى مكارم الأخلاق (٧٤ رقم ٢١٥)، والإسماعيلى فى معجمه (١/٣٥٦ - ٣٥٧ رقم ٧)، وذكره الديلمى فى الفردوس (٤/ ٢٠ رقم ٦٠٥٧)، وعزاه فى الكنز إلى الحاكم فى تاريخه، وابن النجار (١٦/ ٤٧٧)، وفى المشكاة (٢/ ٦٠٤) للبيهقى فى الشعب، وقال الألبانى فى تحقيقه للمشكاة: وما أراه إلا موضوعا.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾

وقوله: ﴿كان مزاجها كافورا﴾ أى: يُمزج بالكافور، وهو مزاج وجود الرائحة لا مزاج وجود الطعم. وقيل: إن الكافور والزنجبيل اسمان لعينين من عيون الجنة.

وقوله: ﴿عينا يشرب بها عباد الله﴾ النصب على المدح، أعنى عينا ﴿يشرب بها عباد الله﴾ أى: منها - عباد الله.

وقوله: ﴿يفجرونها تفجيرا﴾ أى: يجرونها [جراء](١) على ما يريدون ويشتهون. وقيل: إن الآية نزلت فى أبى بكر وعمر وعلى والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وأبى عبيدة. وفى بعض التفاسير: وابن مسعود وحذيفة وسلمان وأبى ذر.

قوله تعالى: ﴿يوفون بالنذر﴾ أى: يوفون بأقوالهم.

وقيل: هو نفس النذر. والأول أولى؛ لأن النذر مكروه على ما ورد فى بعض الأخبار: «أن النذر يستخرج به من البخيل»(٢). والمعنى: أن الجواد لا يحتاج إلى النذر، وعلى الجملة الوفاء بالنذر محمود.

وقوله: ﴿ويخافون يوما كان شره مستطيرا﴾ أى: فاشيًا. وقيل: ممتدًّا. وقيل: منتشرًا.

قال الشاعر:

وَهانَ على سَرَاة بنى لُؤىٍّ حَـــــريقٌ بالبُويرةِ مُسْتَطيرُ

أى: منتشر، وانتشار شر يوم القيامة فى السموات والأرض، أما فى السموات فبتكوير شمسها، وخسوف قمرها، وانتثار كواكبها، وطى السموات كطى السجل،

(١) فى «الأصل وك»: إجراء، ومعنى جراء: أى: جرى معه، لسان العرب (١٤ / ١٤١).

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (١١ / ٥٠٨ رقم ٦٦٠٨ وطرفاه ٦٦٩٢، ٦٦٩٣)، ومسلم (١١/ ١٤٢ - ١٤٣ رقم ١٦٤٠).

وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾

---

وما أشبه ذلك. وأما شره فى الأرض فبقلع جبالها، وطم أنهارها، وإخراب نباتها، وكسر بعضها على بعض، وما شبه ذلك من تبديل الأرض وإهلاك الخلق وغيره.

وقوله: ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ﴾ أى: على حب الطعام وشهوتهم إياه وحاجتهم إليه.

وقوله: ﴿ مسكينًا ﴾ هو المحتاج ﴿ ويتيمًا ﴾ هو الذى لا أب له ﴿ وأسيرًا ﴾ قال سعيد بن جبير: هو المحبوس المسجون.

وعن مجاهد وقتادة وجماعة: هو الأسير من المشركين. وعن أبى (سليمان)[1] الدارانى: على حب الله. واختلف القول فيمن نزلت هذه الآية، فأصح الأقاويل: أن الآية على العموم. والقول الثانى: أنها نزلت فى على وفاطمة والحسن والحسين، رواه عمرو بن عبيد، عن الحسن البصرى، وحكى عن ابن عباس ذلك فى بعض الروايات. وفى القصة: أن عليا وفاطمة أصبحا صائمين، فهيأت فاطمة ثلاثة أقراص من شعير لتأكل قرصا بنفسها، ويأكل علىٌ قرصًا، وللحسن والحسين قرص؛ فلما كان المساء جاء مسكين فأعطوه أحد الأقراص، ثم جاء يتيم فأعطوه القرص الثانى، ثم جاء أسير فأعطوه القرص الثالث وطووا. وفى رواية: أن عليا كان أجر نفسه من يهودى يستقى له بشىء من شعير، وحمل ذلك الشعير إلى فاطمة، وأخذت منه الأقراص الثلاثة. وفى بعض الروايات؟ أن ذلك كان فى ثلاث ليال. والله أعلم. وفى هذه القصة خبط كثير تركنا ذكره. وقيل: إن الآية نزلت فى أبى الدرداء.

قوله تعالى: ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً ﴾ أى: جزاء بالفعل، ولا ثناء بالقول. وفى التفسير: أنهم لم يقولوا هذا القول، ولكنه كان فى

---

(١) فى «ك»: سلمان، وهو تحريف.

إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِئِينَ

ضميرهم فأخبر الله تعالى على ما كان فى ضميرهم.

قوله: ﴿إنا نخاف من ربنا يومًا عبوسًا قمطريرًا﴾ لأن الوجوه تنعبس فيه، وأضاف العبوس إلى اليوم على طريق مجاز. ومعنى «نخاف من ربنا يوما» أى: من عذاب يوم. وقوله: ﴿قمطريرا﴾ أى: شديدا. يقال: يوم قمطرير وقُمَاطر إذا اشتد فيه الأمر.

قال الشاعر:

بنى عَمِّنَا هل تذكرون بَلاءَنا عليكمْ إذا ما كان يومٌ قُمَاطِرُ

وقوله تعالى: ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا﴾ أى: نضرة فى الوجه، وسرورا فى القلوب. والنضرة: هى الحسن فى الوجوه من النعمة، وهى التنعم.

وقوله: ﴿وجزاهم بما صبروا﴾ على الأمر والنهى. وقيل: على المحن والشدائد، وعلى الجوع مع الإيثار.

وقوله: ﴿جنة وحريرًا﴾ أى: البساتين والثياب من الديباج.

وقوله تعالى: ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ الأرائك: هى [السُّرُر](١) فى الحِجَال عليها الفرش، والعرب لا تسميها أريكة إلا إذا كانت فى حَجَلة.

وقوله تعالى: ﴿لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرًا﴾ أى: حرا ولا بردا.

قال الشاعر:

مُنعَّمةٌ طَفْلةٌ مهـــاة(٢) لم تر شمسًا ولا زمهرِيرا

(١) من «ك»، وفى «الأصل»: السرور.

(٢) كذا!

فيها عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فيها شَمْساً ولا زَمْهَرِيراً ﴿١٣﴾ ودَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها وذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً ﴿١٤﴾ ويُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴿١٦﴾ ويُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ﴿١٧﴾ عَيْناً فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿ودانية عليهم﴾ نصب «ودانية» عطفا على قوله: ﴿متكئين﴾. وقوله: ﴿عليهم ظلالها﴾ أى: ظلال الحجال.

وقوله: ﴿وذللت قطوفها تذليلا﴾ أى: أدنيت قطوفها إليهم. وفى التفسير: أنهم إذا قاموا ارتفعت إليهم، وإذا قعدوا نزلت إليهم، وإذا اضطجعوا دنت منهم، وقيل: لا يمنعهم منها بُعْدٌ ولا شوك.

وقوله تعالى: ﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب﴾ والأكواب هى الأباريق التى لا خراطيم لها، واحدها كوب.

وقوله تعالى: ﴿كانت قواريرا﴾ قال الشعبى: لها صفاء القوارير وبياض الفضة. وعن ابن عباس: أنه لو أخذت قطعة من فضة وجعلت فى الرقة كجناح ذُبَاب لم ير من داخله، وفضة الجنة يرى من داخلها، فهو فى صفاء القوارير على هذا المعنى. وعنه أيضا: أن القوارير فى الدنيا أصلها من الرمل، فإذا كان أصلها من الفضة فى الجنة فكيف تكون فى الحسن والصفاء. وعنه أيضا: أنه لا يشبه شىء فى الجنة شيئا فى الدنيا، وإنما فى الدنيا الأسامى مما فى الجنة فحسب.

وقوله: ﴿قوارير من فضة قدروها تقديرا﴾ أى: مقدرة على قدر الرى لا زيادة ولا نقصان. وقيل: على قدر الكف أى: على ما يسعه. وقيل: ممتلئة.

وقوله: ﴿ويسقون فيها كأسا﴾ أى: من كأس.

وقوله: ﴿كان مزاجها زنجبيلا﴾ كانت العرب تستطيب طعم الزنجبيل، فذكر ذلك على ما [اعتادوه](١). وقيل: الزنجبيل اسم العين لا أنه زنجبيل معروف فى الطعم

(١) فى «الأصل، و ك» :اعتاده، والمثبت هو الصواب.

## وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ

والرائحة. فعلى هذا قوله: ﴿ مزاجها زنجبيلا ﴾ أى: مزاجه من عين الزنجبيل.

وقوله: ﴿ عينا فيها تسمى سلسبيلا ﴾ يقال: إن السلسبيل هو عين الزنجبيل أيضا، ونصب على المدح، ومعناه: أعنى عينًا.

وقوله: ﴿ تسمى سلسبيلا ﴾ أى: سلسبيل الجَرْى فى حلوقهم. وفى بعض الآثار: أنها إذا أدنيت من أفواههم تسلسلت فى حلوقهم. ومن قال فى قوله: ﴿ سلسبيلا ﴾ سلنى سبيلا إليها فقد أبعد، وهو تأويل باطل، وليس هو من قول أهل العلم. وعن ابن الأعرابى قال: لم أسمع سلسبيلا إلا فى القرآن. وقيل: هو اسم العين على ما ذكرنا. فإن قيل: إذا جعلتم سلسبيل اسم العين فكيف ينصرف؟ والجواب: إنما انصرف؛ لأنه رأس آية، وقد بينا من قبل. وروى سفيان، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد قال: سلسبيلا أى: شديدة الجرى. وقال قتادة: سَلِسَة أى: تجرى فى حلوقهم على غاية السهولة. وقال ثعلب: سلسبيلا أى: لينا. وعن سعيد بن المسيب: السلسبيل عين تجرى تحت العرش فى قضيب من ذهب. وفى قوله: ﴿ كان مزاجها زنجبيلا ﴾ كلام آخر، وهو أنه تمزج لسائر أهل الجنة، ويشربه المقربون صرفا، وهو مثل التسنيم على ما يأتى من بعد.

وأنشدوا فى الزنجبيل:

**وكـأنَّ طَعْـمَ الزنجبيـلِ بـهِ ... إذْ ذُقتَـهُ وسلافـةَ الخَمْـرِ**

وهذا يدل على أنهم كانوا يستطيبون طعم الزنجبيل. وقيل فى السلسبيل أيضا: إنه يسيل عليهم فى قصورهم وغرفهم وعلى مجالسهم.

قوله تعالى: ﴿ ويطوف عليهم ولدان مخلدون ﴾ أى: غلمان مخلدون.

وقوله: ﴿ مخلدون ﴾ أى: لا يبلون ولا يفنون. وقيل: مخلدونُ مقرَّطون مُسوَّرون. قال الشاعر:

إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ

ومخلـدات باللجـين كأنمـا أعجازهـن أقـاوز الكثبـان

وقوله: ﴿إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا﴾ إنما شبه باللآلئ فى الصفاء والحسن والكثرة. وذكر منثورا لأن اللؤلؤ المنثور فى المجلس أحسن منه منظوما.

وفى تفسير النقاش: أنهم ينشرون فى الخدمة، فلهذا قال: ﴿لؤلؤا منثورا﴾ فلو كانوا صفا واحداً لقال منظوما.

قوله تعالى: ﴿وإذا رأيت ثم رأيت﴾ فيه حذف، والمعنى: إذا رأيت ما ثم رأيت ﴿نعيما وملكا كبيرا﴾ قال سفيان الثورى: بلغنا أنه تسليم الملائكة عليهم. وعن الكلبى ومقاتل وغيرهما أنهم قالوا: هو استئذان الملائكة للتسليم عليهم، فهو المُلْك الكبير. وفى بعض الأخبار برواية أبى سعيد الخدرى: «أن أدنى أهل الجنة منزلة يكون له ثمانون ألف خادم واثنتان وستون زوجة»(١). وفى بعض الأخبار أيضا: للواحد منهم سبعون قصرا، فى كل قصر سبعون دارا، فى كل دار سبعون بيتا، فى كل بيت خيمة طولها فى السماء فرسخ، وعرضها فرسخ فى فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب.

قوله تعالى: ﴿عَالِيَهِم﴾ وقرئ: «عَالِيَهُم» فمن قرأ بفتح الياء أى: فوقهم، ومن قرأ بسكون الياء فمعناه: عليهم. ويقال: عليهم أى: عال الحجال المذكورة من قبل.

وقوله: ﴿ثياب سندس خضر﴾ وخضر أى: ألوانها خضر. فمن قرأ بالرفع فينصرف إلى الثياب، ومن قرأ بالكسر فهو نعت السندس. والسندس هو ما رق من

(١) رواه الترمذى (٤/ ٥٩٩ رقم ٢٥٦٢) وقال: غريب، لا نعرفه إلا من حديث رشدين، وأحمد (٣/ ٧٦)، وأبو يعلى (٢/ ٥٣٢ رقم ١٤٠٤)، ونعيم بن حماد فى زوائده على الزهد (١٢٧ - ١٢٨ رقم ٤٢٢)، وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (رقم ٢١١)، وابن أبى داود فى البعث (رقم ٧٧)، وابن حبان (١٦/ ٤١٤ - ٤١٥ رقم ٧٤٠١) عن أبى سعيد به، وفيه: وسبعون زوجة.

وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾

---

الديباج، والاستبرق ما غلظ منه.

وقوله: ﴿وإستبرق﴾ وقرئ: «وإستبرقٍ» فعلى الرفع ينصرف إلى الثياب، وعلى الخفض على تقدير من إستبرق.

وقوله: ﴿وحلوا أساور من فضة﴾ الأساور والأسورة جمع السوار، فإن قيل: وأى زينة فى السوار والأغنياء لا يبالون بها؟ والجواب عنه: أنه قد ذكر الذهب واللؤلؤ فى موضع آخ،ر فيحلون من ذهب تارة، ومن فضة (تارة)[1]، ومن لؤلؤ تارة؛ ليكون أجمع لمحاسن الزينة. ويقال: الذهب للنساء، والفضة للرجال. وقيل: إن الذهب إنما يفضل الفضة فى الدنيا لكثرة الفضة وعزة الذهب، وهذا التفاوت لا يوجد فى الجنة، وإنما المقصود عين الزينة، والزينة توجد فيهما جميعا.

وقوله: ﴿وسقاهم ربهم شرابا طهورا﴾ قال الزجاج: ليس برجس كخمر الدنيا. وعن أبى قلابة وإبراهيم أنهما قالا: إذا فرغ أهل الجنة من الطعام يؤتون بالشراب الطهور، فيطهر أجوافهم، ويضمر بطونهم، ويوجد منهم جشاء ورشح له رائحة المسك فيشتهون الطعام مرة أخرى. وقيل: إن الشراب الطهور من عين على باب الجنة، فإذا شرب منها المسلمون طهرت أجوافهم من كل غل وخيانة وحسد، وهذا قول[2] لأن الطهور هو الطاهر المطهر على ما ذكر فى القصة. والدليل عليه قوله عليه الصلاة والسلام [حين][3] سئل عن التوضؤ بماء البحر فقال: «هو الطهور ماؤه» أى: المطهر ماؤه.

قوله تعالى: ﴿إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا﴾ الشكر المضاف

(١) فى «ك»: أخرى.

(٢) كذا. ولعله: هذا قول صحيح، أو حسن، وما يشبههما.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ﴾

إلى الرب تعالى هو بمعنى قبول الحسنات والعفو عن السيئات.

قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا﴾ فى التفسير: أن الآثم هو عتبة بن ربيعة، والكفور هو الوليد بن المغيرة.

وقيل: إن الآثم هو أبو جهل. وفى بعض التفاسير: أن الوليد بن المغيرة قال للنبى ﷺ: لم تركت دين آبائك؟ ولعلك إنما تركت للفقر، فارجع إلى دين آبائك وأعطيك نصف مالى. وقال أبو البخترى بن هشام: أنا أزوجك ابنتى، وهى أحسن النساء جمالا، وأفصحهن منطقا، وأعذبهن لسانا. وقد علمت قريش ذلك. فسكت النبى ﷺ. فقال: أبو مسعود الثقفى: إن كنت تخاف من الله فأنا أجيرك منه. فحين سمع النبى ذلك قام وذهب؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية، وهو قوله: ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا﴾ إلى آخر الآيتين. فإن قيل: هلا قال: آثما وكفورا؟ وأيش معنى «أو» هاهنا؟ والجواب عنه: أن لكلمة «أو» هاهنا زيادة معنى لا توجد فى الواو، وهو المنع من طاعة كل واحد منهما على الانفراد، فإن الرجل إذا قال لغيره: لا تطع فلانا وفلانا، فإذا أطاع أحدهما ما كان عاصيا على الكمال، وإذا قال: لا تطع فلانا ولا فلانا أو فلانا فإذا أطاع أحدهما كان عاصيا على الكمال. وهو مثل قولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين معناه: أيهما جالسته فأنت مصيب، وإذا قال: جالس الحسن وابن سيرين فلا تكون مصيبا إلا إذا جالستهما. وكذلك يقال: اقتد بمالك أو الشافعى على هذا المعنى.

قوله تعالى: ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا﴾ أى: بالغدو والعشى. وفى بعض الغرائب من الأخبار أن النبى ﷺ كان إذا صلى الغداة قال: «الله أكبر ثلاثا، وإذا صلى العصر قال: الله أكبر ثلاثا».

قوله تعالى: ﴿ومن الليل فاسجد له﴾ أى: صل له. وقيل: هو صلاة المغرب والعشاء.

لَيْلاً طَوِيلاً ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ﴿٢٩﴾

وقوله: ﴿ وسبحه ليلا طويلا ﴾ هو التطوع من بعد صلاة العشاء الأخيرة إلى الصبح، وهذا على الندب والاستحباب.

قوله تعالى: ﴿ إن هؤلاء يحبون العاجلة ﴾ معناه: إن هؤلاء الكفار يحبون العاجلة أى: الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿ ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ﴾ هو يوم القيامة، وتركهم له هو تركهم العمل والسعى له.

وقوله: ﴿ ثقيلا ﴾ يجوز أن يكون سماه ثقيلا لشدة الهول والفزع فيه، ويجوز أن يكون سماه ثقيلا لفصل القضاء فيه بين العباد وعدله معهم، وهو فى غاية الثقل عليهم إلا من تداركه الله بفضله.

قوله تعالى: ﴿ نحن خلقناهم وشددنا أسرهم ﴾ أى: قوينا خلقهم. وقيل: شددنا مفاصلهم. وقيل: هى الأوصال فشددها بالعروق والأعصاب. وعن مجاهد: أن الأَسْر هو الشَّرْج، وذلك مصر الإنسان ( تسترخيان )[1] عند الغائط ليسهل خروج الأذى، فإذا خرج انقبضا.

قوله تعالى: ﴿ وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا ﴾ أى: أهلكناهم وخلقنا خلقا غيرهم.

قوله: ﴿ إن هذه تذكرة ﴾ أى: الآيات التى أنزلناها تذكرة أى: موعظة وعبرة.

قوله تعالى: ﴿ فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ﴾ أى: من شاء منكم أيها المخاطبون أن يتخذ إلى ربه سبيلا فيسهل ذلك عليه لوجود الدلائل ورفع الأعذار، فليفعل.

---

( ١ ) فى «ك» : يستهلان.

وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

وقيل: هو بمعنى الأمر.

وقوله: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ رد مشيئتهم إلى مشيئته، والمعنى: لا يريدون إلا بإرادة الله، وهو موافق لعقائد أهل السنة، أنه لا يفعل أحد شيئا ولا يختاره ولا يشاؤه إلا بمشيئة الله. وفى بعض الأخبار: أن رجلا كان يقول: إلا ما شاء الله وشاء محمد؛ فسمع النبى - عليه السلام - ذلك فقال: «أمثلان؟ ثم قال: قل إلا ما شاء الله ثم شاء محمد».

وقوله: ﴿إن الله كان عليما حكيما﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿يدخل من يشاء فى رحمته﴾ أى: فى جنته، وقيل: فى الإسلام. والأول أفضل فى هذا الموضع، لأن الله تعالى قال عقيبه: ﴿والظالمين أعد لهم عذابا أليما﴾ أى: النار، ونصب الظالمين؛ لأن تقديره: وأعد للظالمين عذابا أليما. وأورد أبو الحسين بن فارس فى تفسيره فى آخر السورة برواية جابر الجعفى عن قيس مولى علىٍّ أن الحسن والحسين مرضا مرضاً شديداً، فنذر علىٌّ صيام ثلاثة أيام، ونذرت فاطمة كذلك، ونذر الحسن والحسين كذلك، فلما شفاهما الله تعالى ابتدءوا جميعا الصوم، فلما كان فى اليوم الأول خبزت فاطمة ثلاثة أقراص من شعير، وقدموها عند إفطارهم ليفطروا، فجاء مسكين وقال: يا أهل بيت الرسول، مسكين على الباب أطعموا مما أطعمكم الله. فأعطوه الأقراص وطووا، ثم (إنه)(١) لما كان فى اليوم الثانى اتخذت فاطمة - رضى الله عنها - مثل ما اتخذت فى اليوم الأول، وقدموه عند المساء ليفطروا، فجاء يتيم ودعا كما ذكرنا، فأعطوه وطووا، ثم لما كان فى اليوم الثالث اتخذت فاطمة ما بينا وقدموه [فى](٢) المساء ليفطروا، فجاء أسير وقال: يا

(١) فى «ك»: إنهم.

(٢) من «ك».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾

# تفسير سورة المرسلات

## وهى مكية

وعن ابن عباس وقتادة قالا: هى مكية إلا قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون﴾(١) وروى إبراهيم عن الأسود عن عبد الله بن مسعود قال: نزلت سورة والمرسلات على رسول الله ﷺ ونحن معه على جبل حراء، فأخذتها رطبا من فِيِّ رسول الله ﷺ، فخرجت حية من جحرها فقصدناها فدخلت جحره،ا فقال النبى ﷺ: «وُقيت شركم كما وُقيتم شرها»(٢). والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿والمرسلات عرفا﴾ قال أكثر المفسرين: على أنها الرياح ترسل عرفا أى: تتبع بعضها بعضا كعرف الفرس. وعن ابن مسعود وأبى هريرة قالا: هى الملائكة ترسل بالعرف أى: المعروف.

وقوله: ﴿فالعاصفات عصفا﴾ هى الرياح، وعصفها: شدة هبوبها، يقال: عصفت الريح وأعصفت إذا اشتدت، قاله ابن السكيت. يقال: الرياح عاصفات لأنها تأتى بالعصف أى: بورق الزرع. وقيل: إنها الملائكة تعصف بأرواح الكفار.

وقوله: ﴿والناشرات نشرا﴾ وهى الرياح أيضا تنشر السحاب. وقيل: إنها الملائكة تنشر الصحف على العباد يوم القيامة. وقال أبو صالح: هى الأمطار تنشر النبات. قال الأعشى:

---

(١) المرسلات: ٤٨.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٦/ ٤٠٩ رقم ٣٣١٧ وطرفاه ٤٩٣٠، ٤٩٣١)، ومسلم (١٤/ ٣٣٤ - ٣٣٥ رقم ٢٢٣٤).

فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾

لو (أسندت)[1] ميتا إلى صدرها ... عاش ولم ينقل إلى قابر
حتى يقول الناس (مما)[2] رأوا ... يا عجبا للميت الناشر

وقوله: ﴿فالفارقات فرقا﴾ فى قول أكثر المفسرين: هم الملائكة يأتون بالفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام. وقال قتادة: هى آى القرآن فرقت بين الحق والباطل والحلال والحرام.

وقوله: ﴿فالملقيات ذكرا﴾ هى الملائكة تلقى الوحى على الأنبياء والرسل. وقيل: إنهم الأنبياء، وكذلك فسرت الآية الأولى، وهى مثل قوله: ﴿فالفارقات فرقا﴾ فى بعض الأقوال، والإلقاء طرح الشىء على الشىء، وهو فى هذا الموضع للتبيين والإفهام؛ فالملائكة يلقون على الأنبياء، والأنبياء يلقون على الأمم، والعلماء يلقون على المتعلمين.

وقوله: ﴿عُذُرا أو نذرا﴾ وقرى: «عُذْرا»[3] بتسكين الذال. قال الفراء: إعذارا أو إنذارا. وقيل: للإعذار والإنذار. وقال الحسن: ليقيم عذره [على خلقه][4] بإقامة الحجة عليهم، وأنه عذبهم حين استحقوا العذاب بإنكارهم بعد إقامة الحجج. والعذر ظهور معنى يوضع اللوم عن الإنسان، وهذا الحد فى حق الخلق، فأما فى حق الله فلا. ونصب «عذرا» على أنه بدل من قوله: «ذكرا» وكأنه قال: فالملقيات عذرا أو نذرا.

قوله تعالى: ﴿إنما توعدون لواقع﴾ إلى هذا الموضع كان قسما.

وقوله: ﴿إنما توعدون لواقع﴾ عليه وقع القسم. وقيل: إن الله تعالى أقسم بهذه

(١) فى «ك»: اشتديت

(٢) فى «ك»: لما.

(٣) انظر النشر فى القراءات العشر (٢/ ٢١٥ - ٢١٧).

(٤) فى «الأصل وك»: مخلقة، وهو خطأ.

فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾

الأشياء، [ و ] له أن يقسم بما شاء من خلقه. وقيل: فى الآيات إضمار، ومعناه: ورب المرسلات عرفا، ورب العاصفات... إلى آخره، فيكون قد أقسم بنفسه.

قوله تعالى: ﴿ فإذا النجوم طمست ﴾ أى: محيت وأذهب ضوءها.

وقوله: ﴿ وإذا السماء فرجت ﴾ أى: شُقَّت.

وقوله: ﴿ وإذا الجبال نسفت ﴾ أى: قلعت من أماكنها.

وقوله: ﴿ وإذا الرسل أقتت ﴾ أى: جمعت لوقتها، وهو يوم القيامة؛ ليشهدوا على الأمم. وقيل: التوقيت تقدير الوقت لوقوع الفعل، فلما كانت الرسل - عليهم السلام- قد قدر إرسالهم لأوقات معلومة بحسب صلاح العباد (بها)[1]، كانت قد وقتت بكل الأوقات. وقرئ: «وُقِّتَتْ» و«وُقِتَت» و«أوقتت» بمعنى واحد، والواو إذا ضمت وابتدأ بها الكلمة أبدلت بالهمز، تقول العرب: ووجوه وأُجُوه، ووجدانا وأُجدانا. وقيل: «وإذا الرسل وقتت» أى: أجلت.

وقوله: ﴿ لأى يوم أجلت ﴾ أى: لأى يوم أخرت.

وقوله: ﴿ ليوم الفصل ﴾ أى: أخرت ليوم الفصل، وهو يوم القيامة.

وقوله: ﴿ وما أدراك ما يوم الفصل ﴾ قال الحسن: والله ما درى حتى أعلمه الله تعالى.

وقوله: ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ قال النعمان بن بشير: الويل واد فى جنهم فيه ألوان من العذاب. وهو مروى عن ابن مسعود أيضا.

---

(١) فى «ك»: لها.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ألم نهلك الأولين﴾ أى: قوم نوح وعاد وثمود ومن قرب من زمانهم.

وقوله: ﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾ أى: الذين كانوا بعد ذلك من فرعون وهامان وقارون ومن بعدهم.

وقوله: ﴿كذلك نفعل بالمجرمين﴾ أى: مشركى مكة ننزل بهم مثل ما نزل بهم، لأنهم عملوا مثل عملهم. وقيل: «ثم نتبعهم الآخرين» هم كفار قريش.

وقوله: ﴿كذلك نفعل بالمجرمين﴾ هم الذين يأتون بعدهم من الكفار إلى يوم القيامة. وقرأ ابن مسعود: «ثم سنتبعهم الآخرين» وقرأ الأعرج: «ثم نتبعْهم» بجزم العين.

وقوله: ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: ضعيف.

وقوله: ﴿فجعلناه فى قرار مكين﴾ قال عطاء وابن جريج والربيع بن أنس: هو الرحم، والماء المهين هو النطفة.

وقوله: ﴿إلى قدر معلوم﴾ أى: إلى وقت معلوم، وهو إشارة إلى مدة مكثه فى البطن فى رحم الأم.

قوله: ﴿فَقَدَرْنَا فنعم القادرون﴾ وقرئ: «فَقَدَّرنا» بتشديد الدال. قال القتيبى: هما بمعنى واحد. والعرب تقول: قَدَر وقَدَّر. ومنه قوله عليه السلام: «فإن غم عليكم فاقدروا له»[1] أى: قدِّروا له. (وقد اعترض على هذا القول، فقيل: لو كان قَدَّرنَا

(١) تقدم تخريجه.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾

بمعنى قَدَرْنَا)[1] لقال. فنعم المقدرون. والجواب: أنه جمع بين اللغتين، وقال الشاعر فى مثل هذا:

**وأَنْكَرتنِى وما كانَ الذى نَكِرَتْ ... من الحوادثِ إلا الشَّيْبَ والصَّلَعَا**

وقيل: فى الفرق بين قدَّرنا وقدَرنا، بالتخفيف معناه: ملكنا فنعم المالكون، ومعنى قدّرنا بالتشديد أى: قدرنا خلق الإنسان على تارات مختلفة من نطفة وعلقة ومضغة، وما بعد ذلك إلى أن جعلناه إنسانا سويا. وقيل: قدرنا شقيا وسعيدا، وصغيرا وكبيرا، وأسود وأبيض وغير ذلك.

قوله تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض كفاتا﴾ أى: كَفْتًا. وقيل: مجمعا، فالكَفْتُ هو الضم، ومعنى الكفات هاهنا: هو أن الأرض تضم الخلق أحياء وأمواتا، فالضم فى حال الحياة هو باكتنانهم واستقرارهم على ظهرها، وبعد الممات باكتنانهم فى بطنها وهو القبور، وكان بقيع الغرقد يسمى الَكفْتة.

وعن (ابن)[2] يحيى بن سعيد وربيعة: أن اللباس يقطع إذا أخرج الكفن ومن الحرز، وقرأ قوله تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا﴾ رواه سليمان بن (بليل)[3]. وعن الخليل بن أحمد: أن الكَفْتَ هو التقلب. وقوله: ﴿كفاتا﴾ أى: متقلبا.

قوله تعالى: ﴿وجعلنا فيها رواسى شامخات﴾ أى: مرتفعات. يقال: شمخ فلان بأنفه إذا رفع قدره، قال بعضهم:

**إذا كانت الأحرار أصلى ومنصبى ... وقام بأمرى خازم وابن خازم**

---

(١) ما بين القوسين ليس فى «ك».

(٢) كذا، والصواب بحذفها، وهو يحيى بن سعيد بن قيس الأنصارى النجارى قاضى المدينة، وربيعة هو ابن أبى عبد الرحمن المعروف بربيعة الرأى.

(٣) كذا، والصواب: بلال، وهو سليمان بن بلال القرشى التيمى فهو يروى عن يحيى بن سعيد الأنصارى وربيعة الرأى كما فى تراجمهم من تهذيب الكمال، والله أعلم.

وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾

**عطست بأنف شامخٍ وتناولت  يداى الثريا قاعداً غير قائم**(١)

وقوله: ﴿ وأسقيناكم ماء فراتا ﴾ أى: عذبا. وعن ابن عباس قال: أصول الأنهار العذبة أربعة: جَيْحان وهو نهر بلخ، ودجلة وفرات للكوفة، ونيل مصر. وذكر الكلبى أن فى الدنيا ثلاثة من الجنة: [الدجلة]، والفرات، ونهر الأردن، وأنشد الشاعر:

**إذا غاب عنا غاب فراتنا  وإن شهد إحدى نبله وفواضله**

قوله: ﴿ انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ﴾ فى التفسير: أن الناس يقفون على رءوس قبورهم أربعين عاماً إذا بعثوا، وتدنوا الشمس من رءوسهم ويزاد فى حرها حتى يأخذهم الكرب العظيم وحتى تأخذ بأنفاسهم ثم إن الله تعالى ينجى المؤمنين إلى ظل من ظله برحمته، ويبقى الكفار فيخرج لهم دخان من النار ويتشعب ثلاث شعب فيقال لهم: انطلقوا إلى ذلك الدخان فاستظلوا به فهو معنى قوله تعالى: ﴿ انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ﴾ وإنما قال: ﴿ ما كنتم به تكذبون ﴾ لأنهم كانوا يكذبون بالنار. وهذا دخان النار.

وقوله تعالى: ﴿ انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب ﴾ فهو ما ذكرنا وهو بيان الأول.

وقوله: ﴿ [لا](٢) ظليل ﴾ الظل: حجاب عال يدفع أذى الحر عن الإنسان فقوله: ﴿ لا ظليل ﴾ أى: لا يدفع الأذى فهو فى صورة ظل وليس له معنى الظل.

وقوله: ﴿ ولا يغنى من اللهب ﴾ أى: لا يدفع عنهم أذى اللهب، واللهب لهب النار. وعن قطرب قال: اللهب هو العطش.

(١) والشعر لإسحاق بن إبراهيم الموصلى، أورده ابن العديم فى بغية الطلب فى ترجمة إسحاق (٣/١٤١٦)، ونصه:

**إذا كانت الأحرار أصلى ومنصبى  ودافع ضيمى خازم وابن خازم**
**عطست بأنف شامخ وتناولت  يداى السماء قاعدا غير قائم**

(٢) فى «الأصل»: فى.

إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾

وقوله: ﴿إنها ترمى بشرر﴾ أى: يتطاير منها الشرر.

وقوله: ﴿كالقصر﴾ قال أبو عمرو: كالبناء العظيم. وقيل: كالخيمة من خيام العرب، والعرب تسمى ذلك قصراً. وقرأ ابن عباس: «كالقَصَر» بتحريك الصاد. وقيل: إنها أعناق النخيل. وقيل: أصول النخيل. وعن بعضهم أنه خشبة كان أهل الجاهلية يتنضدون بها نحو ثلاثة أذرع يسمونها القصر. وعن مجاهد: أن القصر بتسكين الصاد هو الجبل. وعن قتادة: أعناق الدواب وهو بنصب الصاد. (وعن ابن عباس فى رواية هو قلوس السفن. وقيل: حبال السفن][1]. وعن (المبرد)[2] قال: هو الجزل العظيم من الحطب.

وقوله: ﴿كأنه جمالات صفر﴾ أى: نوق سود، والجمالات جمع جمل. وقيل: إنها جمع الجمع كأنهم قالوا جمل وجمال وجمالات، وهو مثل قولهم: رجل ورجال ورجالات. وقرى بضم الجيم، وهى جُمال. وقرئ: «جُمَالَة» على الوحدان مثل حجر وحجارة وحمل وحمالة.

وقوله: ﴿صفر﴾ أى: سود وإنما سماها صفراً لأنه يشوبها لون من السود وإن كانت صفراً. ومنه يقال: [لبيض الظباء][3] أدم لأنه يشوبها شىء من الكدورة وإن كانت بيضاء. وقال الشاعر:

**تلك خيلى منها وتلك ركابى ... هن صفر (ألوانها)[4] كالزبيب**

(١) كذا!، وإنما قال ذلك فى تفسير قوله تعالى: ﴿جمالات صفر﴾ - كما فى تفسير بن جرير الطبرى (٢٩/١٤٨) وغيره.

(٢) فى «ك»: مجاهد.

(٣) فى «الأصل، وك»: للظباء البيض، وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه، كما فى تفسير البغوى والقرطبى وغيرهما.

(٤) فى «ك»: ألوانهن.

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾

أى: سود.

قوله تعالى: ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ فإن قال قائل: قد قال فى موضع آخر: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾[1] فكيف الجمع بين الآيتين؟ والجواب: بينا أن ليوم القيامة مواطن ومواقف.

وقوله: ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ لأنه لا عذر لهم فيعتذرون.

وقوله: ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين فإن كان لكم كيد فكيدون﴾ أى: إن كان لكم حيلة فاحتالوا.

قوله تعالى: ﴿إن المتقين فى ظلال وعيون﴾ قيل: ظلال القصور والأشجار. وقيل: إن الظل هو ما يدفع أذى الحر عن الإنسان. وهواء الجنة ينافى كل أذى فهو ظل على هذا المعنى وإن لم يكن هناك شمس.

وقوله: ﴿وفواكه مما يشتهون﴾ أى: يتمنون.

وقوله: ﴿كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون﴾ قد بينا من قبل.

وقوله: ﴿إنا كذلك نجزى المحسنين﴾ قال الحسن البصرى: المحسن من أدى جميع فرائض الله واجتنب جميع مناهى الله.

(١) الصافات: ٢٧.

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المرسلات: ١ - ٥٠]

قوله تعالى: ﴿ كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون ﴾ هذا على طريق التهديد والوعيد لا على طريق الأمر. ومعناه: افعلوا ما أنتم فاعلون فسينالكم رعب ذلك وعاقبته.

وقوله: ﴿ وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ﴾ معناه: إذا قيل لهم: صلوا لا يصلون. وقيل: إنها نزلت فى ثقيف استعفوا من الصلاة. وقيل: كانوا استعفوا من الركوع والسجود فقال النبى ﷺ: «لا خير فى دين ليس له ركوع ولاسجود»(١).

وقوله: ﴿ فبأى حديث بعده يؤمنون ﴾ أى: بأى كتاب بعد القرآن يؤمنون إن لم يؤمنوا بهذا الحديث بعد ظهور براهينه وقيام الدلائل على أنه من عند الله؟! فإن قال قائل: ما وجه التكرار فى قوله: ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ فى هذه السورة والمرة الواحدة تغنى عن المراد به؟ والجواب قد بينا هذا فى سورة الرحمن. ووجه ذلك أنه لما كرر ذكر النعم فى تلك السورة كرر الزجر عن كفرانها والنهى عنها بقوله: ﴿ فبأى آلا ربكما تكذبان ﴾(٢) ولما كرر ذكر الآيات فى هذه السورة لإقامة الحجج عليهم كرر ذكر العقوبة عليهم بذكر الويل ليكون أبلغ فى الإنذار والإعذار وهو على عادة كلام العرب فإن الرجل يقول لغيره: ألم أحسن إليك بأن فعلت لك كذا ؟ألم أحسن بأن خلصتك من المكاره؟ ألم أحسن بأن تشفعت لك إلى فلان؟ وغير ذلك فيحسن منه التكرير لاختلاف ما يقرره به. قال مهلهل بن ربيعة يرثى أخاه كليبًا على هذا المعنى:

**علىّ أن ليس عدلًا من كليب ... إذا طرد (اللئيم)(٣) عن الجزور**

**علىّ أن ليس عدلًا من كليب ... إذا ما ضيم جيران المجير**

(١) عزاه الزيلعى فى تخريج الكشاف (١٤ / ١٣٩) للثعلبى عن مقاتل موسلا. وروى بنحوه بدون نزول الآية عن الحسن عن عثمان بن أبى العاص، رواه أبو داود (٣ / ١٦٣ - ١٦٤ رقم ٣٠٢٦)، وأحمد (٤ / ٢١٨)، والطيالسى (١٢٦ رقم ٩٣٩) وغيرهم. وذكر الزيلعى عن عبد الحق قوله: لايعرف للحسن سماع من عثمان، وليس طريق الحديث بقوى.

(٢) الرحمن: ١٣، وفى مواضع أخرى من السورة.

(٣) كذا، ولعل الصواب: اليتيم.

عـلىّ أن ليـس عِدْلًا من كليـب إذا خرجت[1] مخبأة الخـــدور
عـلى أن ليس عِدْلًا من كليـب غـــداة بلائك الأمـــر الكـــبير
على أن ليـس عِـدْلًا من كليـب إذا ما ضـام[2] جار المستـــجير

والله أعلم

(١) فى «ك»: صرخت، وفى لسان العرب (١١ / ٤٣٢- مادة: عدل): برزت.

(٢) فى «ك»: جار.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً ﴿٦﴾

## تفسير سورة النبأ

وهى مكية

قوله تعالى ﴿ عم يتساءلون عن النبأ العظيم ﴾ معناه: عن ما يتساءلون فأدغمت النون فى الميم، وأسقطت الألف فصار عمَّ. قال الزجاج: لفظه لفظ الاستفهام، والمعنى تفخيم القصة مثل القائل: أى شىء زيد؟

وفى التفسير: أن رسول الله ﷺ لما بعث ودعا المشركين إلى التوحيد جعل بعضهم يسأل بعضًا فبماذا بعث محمد؟ وإلى ماذا يدعو؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية. ومعنى يتساءلون أى: يسأل بعضهم بعضًا.

وقوله: ﴿ عن النبأ العظيم ﴾ قيل معناه: عن النبأ العظيم: واختلف القول فى النبأ العظيم: روى أبو صالح عن ابن عباس: أنه القرآن، وعن قتاده: أنه البعث، وهو قول أبى العالية والربيع بن أنس وجماعة، وعن الحسن أنه قال: هو النبوة، والقولان الأولان معروفان.

وقوله: ﴿ الذى هم فيه مختلفون ﴾ أى: منهم المصدق، ومنهم المكذب.

وقوله: ﴿ كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون ﴾ قال الحسن: هو تهديد بعد تهديد. وعن الضحاك قال: قوله: ﴿ كلا سيعلمون ﴾ أى: الكفار.

وقوله: ﴿ ثم كلا سيعلمون ﴾ أى: المؤمنون، والظاهر أنهما جميعًا للكفار.

قوله تعالى: ﴿ ألم نجعل الأرض مهادًا ﴾ لما أخبر الله تعالى باختلافهم فى القرآن والقيامة – وكان اختلافهم فى البعث بالتصديق والتكذيب – واختلافهم فى القرآن

﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾

أنه سحر أو شعر أو كهانة، فذكر الله تعالى الدلائل عليهم فى التوحيد، وأن ماأنزله حق وصدق، وعدد نعمه عليهم، ليعترفوا به ويشكروه.

قوله تعالى: ﴿مهاداً﴾ أى: بساطًا وفراشًا والنعمة فى تذليلها وتوطئتها لهم.

وقوله: ﴿والجبال أوتاداً﴾ قال ابن عباس: لماخلق الله تعالى الأرض جعلت تكفأ- وحرك ابن عباس يده- فخلق الله الجبال وأرساها بها - أى: أثبتها- فهى أوتاد الأرض، كما يثبت الشيء على الحائط بالوتد.

وقوله: ﴿وخلقناكم أزواجًا﴾ أى: أصنافًا وموضع النعمة هى سكون بعضهم إلى بعض، فالرجل والمرأة زوج، وكذلك السماء والأرض، والليل والنهار، وغير ذلك من الخلق، وقيل: أزواجًا أى: متآلفين، تألفون أزواجكم، وتألفكم أزواجكم.

وقوله: ﴿وجعلنا نومكم سباتًا﴾ قال ثعلب: قطعًا لأعمالكم، وأصل السبات هو التمدد والسكون.

والمعنى: أنهم ينقطعون عن الحركة بالليل فيسكنون ويستريحون، وقيل: سباتًا أى: راحة.

وقال الشاعر:

**ومطوية (الأقتاب)[1] أما نهارها فسبت وأما ليلها فزميل**

أى قطيع[2].

وقوله تعالى: ﴿وجعلنا الليل لباسًا﴾ أى: سترًا لكم، وهو مذكور على طريق المجاز، ووجهه أن ظلمة الليل لما غشيت كل إنسان كما يغشاه اللباس، سماه لباسًا

(١) وفى لسان العرب (٢ / ٣٨ مادة: سبت): الأقراب.

(٢) كذا !، والسبت هنا يعنى السير السريع، وقيل: سير سهل لين، وانظر المرجع السابق.

وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾

على طريق المجاز.

وقوله: ﴿ وجعلنا النهار معاشًا ﴾ أى: مبتغى معاش ومطلب معاش، والمعنى: أنه الزمان الذى يعيشون وينصرفون فيه.

وقوله: ﴿ وبنينا فوقكم سبعًا شدادًا ﴾ أى: السماوات السبع.

وقوله: ﴿ شدادًا ﴾ أى: صلبة، وفى الآثار: أن غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام.

وقوله: ﴿ وجعلنا سراجا وهاجا ﴾ أى: جعلنا الشمس وقادًا متلألئًا.

وقوله: ﴿ وأنزلنا من المعصرات ماء ﴾ قال ابن عباس: هى الرياح، وتسميتها بهذا الاسم؛ لأن الرياح تلقح السحاب ليكون فيه المطر، فكأن المطر كان من الرياح، والقول الثانى: أن المعصرات هى السحاب، وهو مروى عن ابن عباس أيضا، وهو قول مجاهد وجماعة. قال المبرد: تسميته بالمعصرات، لأنه ينعصر بالمطر شيئًا فشيئًا، وقيل: من المعصرات أى: بالمعصرات ماء ثجاجا.

وقوله[1]: ﴿ ثجاجًا ﴾ أى: منصبًا بعضه فى إثر بعض. وعن النبى ﷺ أنه قال: «أفضل الحج العج والثج»[2] فالعج رفع الصوت بالتلبية، والثج إراقة الدماء. وعن

(١) من «ك».

(٢) رواه الترمذى (٣ / ١٨٩رقم ٨٢٧)، وابن ماجه (٢ / ٩٧٥ رقم ٢٩٢٤)، والدارمى (٢ / ٤٩ رقم ١٧٩٧)، وأبو يعلى فى مسنده (١ / ١٠٨-١٠٩رقم ١١٧)، والبزار (١ / ١٤٢- ١٤٤ رقم ٧١، ٧٢)، وابن خزيمة (٤ / ١٧٥ رقم ١٢٦٣١، والمروزى فى مسند أبى بكر (رقم ٢٥، ١١٦، ١١٧)، والدار قطنى فى العلل (رقم ٧١)، والحاكم (١ / ٤٥٠-٤٥١) وصححه، والبيهقى (٥ / ٤٢-٤٣)، جميعهم من حديث أبى بكر الصديق به. وفى الباب عن عبد الله بن مسعود، رواه أبو يعلى(٩ / ١٩ رقم ٥٠٨٦)، وأعله الهيثمى فى المجمع (٣ / ٢٢٧) براوٍ ضعيف.

لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾

قتادة: أن المعصرات هو السماء، وهو قول غريب.

قوله: ﴿لنخرج به حبا ونباتًا وجنات ألفافًا﴾ أى: ملتفة، وواحد الألفاف لفّ، والملتفة هى الداخل بعضها فى بعض.

قوله تعالى: ﴿إن يوم الفصل كان ميقاتًا﴾ أى: ميعادًا للخلائق، وهو يوم القيامة.

وقوله: ﴿يوم ينفخ فى الصور﴾ ذكر النقاش فى تفسيره: أن إسرافيل - عليه السلام- ينزل فيجلس على صخرة بيت المقدس، وتجعل الأرواح فى الصور كأمثال النحل، وإستدارة فم الصور كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، ثم ينفخ فتخرج الأرواح منها، وترجع إلى أجسادها.

وقوله: ﴿فتأتون أفواجًا﴾ قال مجاهد: زمرًا زمرًا.

وقوله: ﴿وفتحت السماء﴾ أى: جعلت طرقًا، وقيل: فتحت أبواب السماء لنزول الملائكة.

وقوله: ﴿فكانت أبوابًا﴾ أى كانت طرقا على مابينا.

وقوله: ﴿وسيرت الجبال فكانت سرابًا﴾ أى: هباء منبثًّا، وقيل: هو يصير كالسراب ترى أنه شىء وليس بشىء.

وقوله: ﴿إن جهنم كانت مرصادا﴾ قال أهل اللغة: كل شىء كان أمامك فهو رصد، والمراد [1] أنه المكان الذى يرصد فيه الكفار لنزول العذاب بهم. وعن بعضهم: ياصاحب الرصد، اذكر الرصد، وقيل: مرصادًا أى: يرصدون بالعذاب أى: على معنى أنه يعدُّ لهم.

وقوله: ﴿للطاغين مآبا﴾ أى: منقلبًا، يقال: آب إلى مكان كذا أى: رجع وانقلب.

(١) فى «الأصل، وك»: المكان، وما أثبتناه هو الأليق للسياق.

**لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ﴿٢٤﴾**

وقوله: ﴿لابثين فيها أحقابًا﴾ الحِقْبة فى اللغة قطعة من الزمان مثل الحين. قال متمم بن نويرة يرثى أخاه مالكًا:

**وكنا كندمانى جذيمة حقبة من الدهـر حتى قيـل لن يتصدعـا**

أى: قطعة، وأما المنقول فى التفاسير عن السلف فى معنى الحُـقب: فأظهر الأقوال أنه ثمانون سنة، كل سنة ثلثمائة وستون يوما، كل يوم ألف سنة، وهو مروى عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن جبير، وقتادة وغيرهم، ومثله عن أبى هريرة. وعن بعضهم: أنه ثلثمائة سنة كل، سنة ثلثمائة وستون يوما، كل يوم مثل مدة الدنيا، وعن بعضهم: بضع وثمانون عامًا، فإن قيل: هذه الآية تدل على أن عذاب الكفار ينقطع عند مضى الأحقاب؟ والجواب من وجوه: (أحدها)[1]: أن معناه لابثين فيها أحقابًا لايذوقون فيها بردًا ولا شرابًا أى: يعذبون بهذا النوع من العذاب أحقابًا، وثَمَّ أحقاب أخر لسائر أنواع العذاب، قاله المبرد. والوجه الثانى: وهو أن معنى لابثين فيها أحقابا لاتخبو عنهم النار، فإذا خبت النار وزيدوا سعيرًا لبثوا أبدًا والوجه الثالث: ما قاله ابن كيسان، وهو أن معناه لابثين فيها أحقابا إلى أحقاب لاتنقطع أبدا. قال النحاس: وهو أبين الأقوال.

وقوله: ﴿لايذوقون فيها بردًا﴾ قال ثعلب: نومًا، وتقول العرب: منع البرد، والبرد أى: نوم، وقال الشاعر:

**فإن شئت حرمت النساء سواكم وإن شئت لم أطعم نقاخا ولابردا**

النُّقَاخ الماء الزلال وقيل: «بردا» أى: (راحة)[2]، وقيل: «بردا» لايبرد عنهم حر السعير ولهبه.

وقوله: ﴿ولاشرابًا﴾ أى: لايسكن منهم العطش.

(١) فى «ك»: أحدهما.

(٢) فى «ك»: راحته.

إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا ﴿٣٠﴾

وقوله: ﴿إلاحميمًا وغساقًا﴾ قال أبو عبيدة: الحميم الماء الحار، ومنه الحمى، ومنه قوله تعالى: ﴿وظل من يحموم﴾(١) وقيل: الحميم هو أنه تجمع دموعهم فيسقون.

وقوله: ﴿وغساقًا﴾ أى: القيح الغليظ، وقيل: [هو](٢) صديد أهل النار، وقيل: الحميم ماهو فى نهاية الحر، والغساق ماهو فى نهاية البرد وهو الزمهرير، فيعذبون بكل واحد من العذابين.

وقوله: ﴿جزاءً وفاقًا﴾ أى: جزاء يوافق أعمالهم.

قال ابن زيد: عملوا شرًا، فجوزوا شرًا.

قوله تعالى: ﴿إنهم كانوا لايرجون حسابًا﴾ أى: لايخافون، وقد بينا الرجاء بمعنى الخوف فيما سبق.

وقوله: ﴿وكذبوا بآياتنا كذابًا﴾ أى: تكذيبًا، قال الفراء: هى لغة فصيحة يمانية.

وقوله: ﴿وكل شىء أحصيناه كتابا﴾ هو مثل قوله تعالى: ﴿وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين﴾(٣) أى: بيناه فى اللوح المحفوظ.

وقوله: ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا﴾ أى: يقال لهم: فذوقوا العذاب فهو غير منقطع عنكم، ولاتزادون إلا العذاب.

قال الشاعر:

(١) الواقعة: ٤٣.

(٢) من «ك».

(٣) يس: ١٢.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا

فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كِذَابُهْ.

قوله تعالى: ﴿إن للمتقين مفازاً﴾ أى: فوزاً، والمفاز: موضع الفوز.

وقوله: ﴿حدائق وأعنابًا﴾ ظاهر المعنى، وقد بينا.

وقوله: ﴿وكواعب أترابا﴾ الكواعب: هى النواهد، يقال: جارية كاعب أى خرج ثديها مثل الكعب وهى ناهد.

وقوله: ﴿أترابًا﴾ أى لدات، وقيل: هى بنات ثلاث وثلاثين سنة.

وقوله: ﴿وكأسًا دهاقًا﴾ أى ممتلئة، قاله مجاهد، وقال عكرمة: صافية، وعن بعضهم: متتابعة، والقول الأول أظهر، وهو محكى عن ابن عباس، وعنه أنه قال: كثيراً سمعت العباس يقول: اسقينى ياجارية الكأس وادهقى، وعنه أيضا: أنه دعا بكأس فجاءت به الجارية ملآن فقال: هذا هو الدهاق.

وقوله: ﴿لايسمعون فيها لغواً ولاكذابًا﴾ اللغو: هو الكلام المطرح.

وقوله: ﴿كذابًا﴾ أى: لايكذب بعضهم بعضًا، وقرئ: «كذابًا» بالتخفيف ومعناه: الكذب لاغير، قال الشاعر:

فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه

أى: كذبه.

وقوله تعالى: ﴿جزاءًمن ربك عطاءً حسابًا﴾ أى: عطاء كافيًا يقال: أعطانى فلان حتى أحسبنى، يعنى: حتى قلت حسبى، وقال قتادة: عطاء حسابًا أى: كثيرا، وقال الشاعر فى المعنى الأول.

ونقفى وليد الحى إن كان جائعا ونحسبه إن كـــان ليس بجائع

وقوله: ﴿جزاءً من ربك عطاءً﴾ أى: جوزوا جزاء، وأعطوا عطاء.

﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ

قوله تعالى: ﴿ربُّ السماوات والأرض ومابينهما الرحمنُ﴾ كلاهما بالرفع، وقرئ: «رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن» الأول بالجر، والآخر بالرفع. وقرىء كلاهما بالكسر: «ربِّ السماوات والأرض ومابينهما الرحمنِ»(١) فوجه القراءة الأولى أن قوله: ﴿رب السماوات والأرض﴾ رفع بالابتداء والرحمن خبره، ووجه القراءة الثانية أن قوله: ﴿رب السماوات والأرض﴾ مخفوض اتباعا لقوله: ﴿من ربك﴾وقوله: ﴿الرحمن﴾ ابتداء، ووجه القراءة الثالثة، أن كليهما مخفوض اتباعا لقوله: ﴿من ربك﴾.

وقوله تعالى: ﴿لايملكون منه خطابًا﴾ أى:لايتكلمون مع الله، ويمنعون من الكلام معه، وقيل: لايملكون منه خطابا أى: لايشفعون لأحد إلابإذنه، على ماقال من بعد قوله تعالى:﴿يوم يقوم الروح﴾ قال مجاهد: الروح خلق يشبهون بنى آدم، وليسوا بنى آدم، وقيل: هو جبريل- عليه السلام- وقيل: هو خلق من خلق الله لم يخلق بعد العرش أعظم منه يقوم يوم القيامة صفًّا وجميع الملائكة صفًّا، وقيل: صفًّا، أى: صفوفًا وموضع صلاة العبد يسمى صفًّا، لأنه موضع الصفوف.

وقوله: ﴿لايتكلمون﴾ أى:لايشفعون، أى: الملائكة وقيل: لايتكلمون مطلقًا.

قوله: ﴿إلا من أذن له الرحمن﴾ أى: بالشفاعة والكلام.

وقوله: ﴿وقال صوابًا﴾ أى:حقا،وقيل: هولا إله إلا الله، والمعنى: أنهم لايتكلمون إلا بإلاذن أو كلامًا صوابًا، وهو لا إله إلا الله.

قوله تعالى ﴿ذلك اليوم الحق﴾ أى: القيامة هو اليوم الحق، ومعنى الحق هاهنا: أنه

(١) انظر النشر (٢/٣٩٧).

فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

كائن لامحالة.

وقوله ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا﴾ أى منقلبا حسنا بالطاعة والعبادة.

وقوله تعالى ﴿إنا أنذرناكم عذابا قريبا﴾ أى النار وكل آت فهو قريب.

وقوله ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ أى ماقدمت يداه من الخير والشر.

وقوله ﴿ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا﴾ روى [جعفر بن برقان][1] عن ابن الأحم عن ابن عباس أن الله تعالى يجمع الخلق يوم القيامة من الدواب والطيور والناس والجن فرذا نزل الثقلين منازلهم، قال للطيور والبهائم والدواب: كونى ترابا، فتكون ترابا فحيئذ يقول الكافر: ياليتنى كنت ترابا. قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو محمد عبدالله بن أحمد أخبرنا أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البراز أخبرنا أبو بكر محمد بن زكريا الغدافرى أخبرنا الدبرى هو إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبد الرازق عن معمر عن جعفر بن برقان.. الحديث.

وقيل: إن الكافر ها هنا هو أبو جهل. وذكر النقاش فى تفسيره عن الحسن بن واقد قال: إن الكافر يقول: ياليتنى كنت خنزيرا فأصير ترابا، فيقول التراب له: لا ولاكرامة لك - يعنى لايكون مثلى. وحكى مثل هذا عن السدى أيضا. وعن بعضهم أن معنى قوله ﴿ياليتنى كنت ترابا﴾ أى ياليتنى لم أبعث.

وقد ورد فى الحقب الذى ذكرنا أثران عن ابن عمر أنه قال: ليعمل أحدكم بالطاعة ولايتكلمن على أنه يدخل النار ثم يخرج منها فإنه لايدخل النار أحد فيخرج منها إلابعد أن يمكث أحقابا وذكر الحقب كما بينا من ذكر الثمانين.

---

(١) فى «الأصل»: روى أبو جعفر بن برقان، وفى«ك»: روى أبى جعفر بن برقان، وكلاهما خطأ، والصواب روى جعفر بن برقان، وهو من رجال التهذيب شيخ معمر ويروى عن يزيد بن الأصم كما فى ترجمته من تهذيب الكمال (٥ / ١١-١٨) وسيأتى على الصواب فى إسناد المصنف لهذا الحديث.

والأثر الثانى ماروى عن ابن مسعود فى بقاء النعيم لأهل الجنة والعذاب لأهل النار وهو ماروى السدى عن مرة عن عبدالله أنه قال: لو علم أهل النار أنهم يمكثون فى النار عدد الحصى سنين ثم يخرجون منها لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يمكثون عدد الحصى سنين ثم يخرجون منها لحزنوا. والأثران غريبان.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢﴾

# تفسير سورة والنازعات

وهى مكية، والله أعلم

قوله تعالى: ﴿والنازعات غرقًا﴾ فيه أقوال: أظهرها: أنها الملائكة تنزع أرواح الكفار بشدة، وهو قول ابن عباس وجماعة وروى مثله عن ابن مسعود فى رواية مسروق.

قوله: ﴿غرقاً﴾ أى: إغراقا يقال: أغرق فى النزع إذا بلغ الغاية. وعن الحسن: أنها النجوم تنزع من أفق إلى أفق، أى: تطلع وتغرب، وعن عطاء بن أبى رباح: أنها القسى وهو من نزع القوس والإغراق فيه.

وقوله: ﴿والناشطات نشطًا﴾ على القول الأول هى الملائكة أيضًا تنشط أرواح الكفار أى: تجذبها بسرعة، قال الشاعر:

**أمست همومى تنشط المناشطا  الشام بى طوراً وطوراً واسطا**

والنشط فى اللغة: هو الجذب، ويقال: تجذب روح الكفار كما يجذب السفود[1] من الصوف الرطب، وقيل: إن معنى الناشطات أخذ الملائكة أرواح المؤمنين بسهولة كما ينشط البعير من العقال.

وفى الأخبار: أن الملائكة تأخذ روح الكفار بغاية الشدة، فإذا بلغت ترقوته ردوا الروح فى جسده، ثم نزعته هكذا مرات عقوبة له، وتأخذ روح المؤمن سرعة وسهولة، والقول الثانى: أن الناشطات هى النجوم على ماذكرنا عن الحسن، والمراد سرعة

(١) السفود - بالتشديد -: الحديدة التى يشوى بها اللحم.

﴿ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾

سيرها، ويقال: رجوعها من المغرب إلى مطالعها، وذلك فى السبع السيارة، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿ فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ﴾[1] على ماسنبين، ذكره النقاش.

والقول الثالث: أنها الأوهاق.

وقوله تعالى: ﴿ والسابحات سبحًا ﴾ على القول الأول هى الملائكة، وسبحها سيرها بين السماء والأرض، وعلى القول الثانى أنها النجوم، وسبحها فى الفلك، والقول الثالث: أنها الخيل، وسبحها سرعة جريها، يقال للفرس الجواد: سابح.

وقوله: ﴿ فالسابقات سبقًا ﴾ على القول الأول هى الملائكة، وسبقها مبادرتها إلى الأعمال الصالحة والخيرات.

ويقال: سَبْقُها: هو المسابقة إلى تبليغ الوحى قبل استراق الشياطين السمع، وعلى القول الثانى هى النجوم تسبق بعضها بعضًا فى السير، وعلى القول الثالث هى الخيل أيضا يسبق بعضها بعضًا عند المسابقة، ويقال: إنها النفوس تسبق إلى الخروج عند الموت.

وقد ذكر السدى أيضًا أن معنى النازعات: هى النفوس والأرواح تنزع عند الموت.

وقوله تعالى: ﴿ فالمدبرات أمرًا ﴾ هى الملائكة فى قول الجميع، إلاماروى فى رواية غريبة برواية خالد بن معدان، عن معاذ بن جبل: أنها النجوم. فمعنى التدبير من الملائكة هو ماجعل الله إليها من الأمور. قال عبد الرحمن بن سابط: فإلى جبريل الجنود، وإلى ميكائيل القطر والنبات، وإلى عزرائيل قبض الأرواح، وإلى إسرافيل إنزال

(١) التكوير: ١٥-١٦. (٢) الوهق: هو الحبل تشدبه الإبل والخيل لئلا تند، (لسان العرب، مادة: وهق).

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ﴾

لأمور إليهم فى هذه الأشياء [إلى][1]: الملائكة، وأما إذا حملناه على النجوم، فيجوز أن يعلق الله تعالى على مطالعها ومغاربها وسيرها أشياء، وأضاف التدبير إليها على طريق المجاز.

واختلف القول فى المقسم به والمقسم عليه: فأحد القولين: أنه أقسم بهذه الأشياء، ولله أن يقسم من خلقه بماشاء، والقول الثانى: أن معناه: ورب النازعات، فذكر الرب مضمر فى هذه الكلمات، وإنما أقسم بنفسه لابهذه الأشياء.

وأما الذى وقع عليه القسم ففيه قولان: أحدهما: أنه محذوف، والمعنى: لتبعثن ولتحاسبن، ومأشبه ذلك. والقول الثانى: أن الذى وقع عليه القسم هو قوله تعالى: ﴿إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى﴾[2].

قوله تعالى: ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ الرجف والراجفة هى الاضطراب والزلزال الشديد، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾[3] وقيل: الراجفة هى الصيحة الأولى التى يميت بها الخلائق.

وقوله: ﴿تتبعها الرادفة﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها القيامة، والآخر: أنها الصيحة الثانية. وعن ابن عباس :أن بينهما أربعين سنة، وتمطر السماء فى هذه الأربعين فتهتز الأرض، وتنبت الناس فى القبور، ثم ترد إليهم أرواحهم فى الصيحة الثانية.

وقوله تعالى: ﴿قلوب يومئذ واجفة﴾ أى: مضطربة، يقال: وجف يجف، ووجب يجب بمعنى واحد وقيل: واجفة أى: وجلة.

وقوله: ﴿أبصارها خاشعة﴾ أى: ذليلة.

وقوله: ﴿يقولون﴾ هذا إخبار عن قولهم فى الدنيا أى: يقولون فى الدنيا: ﴿أئنا

(١) فى «الأصل، وك»: أى، وهو تحريف. (٢) النازعات: ٢٦. (٣) الزلزلة: ١.

أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾

لمردودون فى الحافرة ﴾ أى: إلى أول أمرنا، والمعنى: أنرد أحياء بعد أن متنا على طريق الإنكار، يقال: رجع فلان على حافرته إذا رجع من حيث جاء. العرب تقول: النقد عند الحافرة أى: عند أول كلمة، أى: فى السوم. وقال الشاعر:

**أحافرة على صلع وشيب معـاذ الله من سفه وعار**

وقال السدى: ﴿ أئنا لمردودون فى الحافرة ﴾ أى: إلى الحياة، وهو على ماقلنا، وقيل: إلى النار.

وقوله تعالى: ﴿ أئذا كنا عظاما نخرة ﴾ وقرئ: «ناخرة»، قال الفراء: هما واحدة، وهى البالية الفانية. وعن أبى عمرو بن العلاء: أن النخرة هى التى قد بليت، والناخرة هى التى لم تبل بعد، وعن وكيع قال: هى التى تدخل الريح فى جوفها فتنخر، وهو منقول أيضًا عن أهل اللغة.

وقوله: ﴿ قالوا تلك إذا كرة خاسرة ﴾ أى: رجعة ذات خسران، والمعنى: أنا نكون فى خسار إن رجعنا، ويجوز أن يكون المراد أنهم يخسرون إذا رجعوا. وعن الحسن قال: خاسرة أى: كاذبة يعنى: ليست بكائنة.

وقوله: ﴿ فإنما هى زجرة واحدة ﴾ هو إخبار عن سهولة الأمر على الله فى الفهم، والزجرة: الصحية.

وقوله: ﴿ فإذا هم بالساهرة ﴾ القول المعروف أنها وجه الأرض يعنى: أنهم يخرجون من بطنها إلى ظهرها، وسميت الأرض ساهرة، لأن عليها سهر الخلق ونومهم، وقال النخعى «فإذا هم بالساهرة» أى: فوق الأرض. وعن وهب بن منبه أنه قال: الساهرة جبل بجنب بيت المقدس، قال الشاعر فى الساهرة:

**فإنما قصـرك ترب الساهرة ثم تعـود بعدها فى الحافرة**

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾

**من بعد ماكُنَّا عظامًا ناخرة**

قوله تعالى: ﴿ هل أتاك حديث موسى ﴾ أى: قد أتاك.

وقوله: ﴿ إذ ناداه ربه بالواد المقدس ﴾ أى: المطهر.

وقوله: ﴿ طوى ﴾ أى: طوى بالبركة والتقديس مرتين، وقيل: سماه طوى لأن موسى وطئه بقدمه، وقيل: إنه اسم الوادى وقيل: هو الأرض التى بين المدينة ومصر. وقرأ الحسن: «طوى» بكسر الطاء، والمعروف طوى، وهو غير مصروف لأنه اسم البقعة من الوادى وهو معروف وعن الزجاج قال: يجوز أن يكون معدولا من طاوٍ، فلهذا لم يصرف مثل: عمرو معدول عامر، وقرئ: مصروفًا وأنشدوا:

**أعاذل إن اللوم فى غير كنهه  على طوى من غيك المتردد**

وقول: ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾ قد بينا، والطغيان هو مجاوزة الحد.

وقوله: ﴿ فقل هل لك إلى أن تزكى ﴾ وقرئ: «تَزَكَّى» بالتشديدين. قال أبو عمرو ابن العلاء: لايجوز بالتشديدين، ويجوز بالتخفيف؛ لأن تزكى هو من إعطاء الزكاة.

وقوله: ﴿ تَزَكَّى ﴾ هو الدخول فى طهارة الإسلام، وتابعه أبو عبيد على هذا [وذكر] (١) النحاس فى تفسيره: أن هذا غلط، وتَزَكَّى وتزَكَّى بمعنى واحد، فتزكى مدغم، وتزكى محذوف منه يقال: زكاه الله أى: طهره بالإسلام فتزكى ويقال أيضا لمن أعطى زكاة ماله: تزكى.

وقوله: ﴿ وأهديك إلى ربك فتخشى ﴾ أى: إذا أصبت الهداية حسنت منك.

وقوله: ﴿ فأراه الآية الكبرى ﴾ يقال: (هى) (٢) العصا، وقيل: إنها اليد البيضاء، ويقال: كلاهما.

---

(١) فى «الأصل وك»: وذكره،  (٢) فى «ك»: أنه.

فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾

وقوله: ﴿ فكذب وعصى ثم أدبر يسعى ﴾ أى: أعرض وجعل يسعى فى إبطال أمر موسى.

وقوله: ﴿ فحشر فنادى ﴾ الحشر هو الجمع من كل جهة.

وقوله: ﴿ فنادى ﴾ أى ناداهم، وقال لهم: ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ أى: لارب فوقى. قال الحسن: كان فرعون علجا من أهل أصبهان طوله أربعة أشبار، وعن مجاهد: علج من أهل همذان، وعن بعضهم: أنه من أهل اصطخر. وفى القصة: أن موسى قال لفرعون: لك ملك لايزول، وشباب لاهرم فيه، ولك الجنة فى الآخرة فقل: هو ربى وأنا عبده فقال: حتى استشير هامان، فلما استشاره قال: أتصير عبداً بعد أن كنت معبوداً، لا تقل هذا. فأبى أن يقول. ذكره النقاش فى تفسيره.

وقوله: ﴿ فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ﴾ أى: أخذه أخذاً نكالا لمقالته الآخرة والأولى، فمقالته الأولى قوله: ﴿ ماعلمت لكم من إله غيرى ﴾[1]، ومقالته الآخرة، قوله ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ ويقال: نكل به وعاقبه فى الدنيا والآخرة، ففى الدنيا هو الغرق، وفى الآخرة هو النار.

وقوله: ﴿ إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى ﴾ أى: اعتباراً لمن يخاف الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ أأنتم أشد خلقاً ﴾ استدل عليهم بهذه الآيات فى قدرته على البعث، والمعنى بأن إعادتكم خلقا جديدا أشد أم خلق السماء؟ وهو مثل قوله تعالى: ﴿ لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾[2].

وقوله: ﴿ أم السماء بناها ﴾ معناه: أم السماء التى بناها؟ وقيل المعنى: أأنتم أشد

(١) القصص: ٣٨.

(٢) غافر: ٥٧.

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾

خلقا أم السماء؟ وتم الكلام ثم قال: ﴿بناها﴾ أى: بناها الله تعالى.

وقوله: ﴿رفع سمكها فسواها﴾ هو فى معنى قوله تعالى: ﴿هل ترى من فطور﴾[1] أى: من شقوق وفروج، وقيل: معنى التسوية هاهنا هو أنه ليس بعضها أرفع من بعض ولا أخفض من بعض، والسمك الارتفاع.

وقوله: ﴿وأغطش ليلها وأخرج ضحاها﴾ أى: أظلم ليلها. وقوله: ﴿وأخرج ضحاها﴾ أى: أبرز نهارها، وقيل: أظهر ضوءها، وأضاف الظلمة والضوء إلى السماء، لأنهما يظهران من جانب السماء عند طلوع الشمس وغروبها ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ أى: بسطها.

قال أمية بن أبى الصلت:

**وبث الخلق فيها إذ دحاها ... فهم قطانها حتى التنادى**

وقال سعيد بن زيد:

**أسلمت بوجهى لمن أسلمت ... له الأرض تحمل صخراً ثقالا**

**دحاها فلما استوت شدها ... وأرسى عليها جبالا**[2]

وقوله: ﴿بعد ذلك﴾ أى: مع ذلك، وقيل: إنه خلق الأرض قبل السماء على ماقال فى «حم السجدة»، ثم بسطها بعد خلق السماء. وفى الأثر عن ابن عباس: أنه لم يكن إلا العرش والماء، فخلق على الماء حجراً كالفهر، ثم خلق عليه دخانا ملتصقا به، ثم خلق موجًا على الماء، ثم رفع الدخان من الحجر، وخلق من الحجر الأرض، ومن الدخان السماء، ومن الموج الجبال.

---

(١) الملك: ٣.

(٢) أورده ابن هشام فى سيرته (٢٤٦) وفيه:

**دحاها فلما رآها استوت ... على الماء أرسى عليها الجبالا.**

دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾

وقوله: ﴿ أخرج منها ماءها ومرعاها ﴾ أى: أخرج من الأرض الماء لحياة النفوس، والمرعى للأنعام.

وقوله: ﴿ والجبال أرساها ﴾ أى: أثبتها.

وقوله: ﴿ متاعًا لكم ﴾ أى: إمتاعًا لكم ﴿ ولأنعامكم ﴾ وإنما انتصب لأن معناه: للإمتاع، ثم نزعت اللام الخافضة فانتصب

قوله تعالى: ﴿ فإذا جاءت الطامة الكبرى ﴾ الطامة فى اللغة: هى الداهية العظيمة، وقيل: هى الأمر الذى لايستطاع ولايطاق، يقال: طم الوادى إذا جاء منه مالايطاق وعلا كل شيء، وعن ابن عباس: أن الطامة اسم القيامة، وسميت القيامة طامة؛ لأنها تطم كل شيء أى: فوق كل شيء. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «مامن طامة إلا وفوقها طامة»(١) وهو خبر غريب.

وقوله: ﴿ يوم يتذكر الإنسان ماسعى ﴾ أى: يذكر.

قوله: ﴿ وبرزت الجحيم لمن يرى ﴾ وفى التفسير: أن الحكمة فى إظهار الجحيم مشاهدة الكفار مكان عقوبتهم، وليعلم المؤمنون من أى عذاب نجوا.

وقوله: ﴿ فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا ﴾ أى: على الآخرة. وحكى أبو الحسين بن فارس فى تفسيره عن حذيفة: أن من أكل على مائدة ثلاثة ألوان من الطعام، فقد آثر الحياة الدنيا، وأورد فى خبر مرفوع أن النبى ﷺ قال: «من آثر الحياة الدنيا على الآخرة شتت الله عليه همه، ثم لم يبال بأيها هلك».

وقوله: ﴿ فإن الجحيم هى المأوى ﴾ أى: مأواه الجحيم، وهو معظم النار.

(١) عزاه السخاوى فى المقاصد (٢٤٠) لابن لال فى المكارم، من حديث ابن عباس.

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾

وقوله: ﴿ وأما من خاف مقام ربه ﴾ أى: قيامه عند ربه للحساب. وقوله: ﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾ أى: عما هواه ويشتهيه على خلاف الشرع. وقوله: ﴿ فإن الجنة هى المأوى ﴾ أى: منزله ومأواه الجنة، وفى بعض التفاسير: أن الآية الأولى نزلت فى النضر بن الحارث وأمية بن خلف وعقبة وعتبة ابنى أبى لهب وجماعة، والآية الثانية نزلت فى مصعب بن عمير، وكان قد وقى رسول الله ﷺ بنفسه يوم أحد حتى دخلت المشاقص فى جوفه، واستشهد فى ذلك اليوم، وكان صاحب لواء المهاجرين.

قوله تعالى: ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ﴾ أى: متى قيامها؟ ومرساها: منتهاها، والمعنى: عن ماهيتها.

وقوله: ﴿ فيم أنت من ذكراها ﴾ أى: مالك ومعرفة وقت قيام الساعة؟ وفى بعض التفاسير: «أن النبى ﷺ كان يسأل كثيراً جبريل متى الساعة، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية، ارتدع وكف ولم يسأل بعد ذلك»(١) وهو مثل قول القائل لغيره: مالك وهذا الأمر؟ وفيه زجر إياه عن السؤال. قوله: ﴿ إلى ربك منتهاها ﴾ أى: منتهى علم قيامها، وقيل معناه: أن كل من يسأل عنه يقول: الله أعلم، فيرد علمها إلى الله.

وقوله: ﴿ إنما أنت منذر من يخشاها ﴾ أى: تنذر بعذاب يوم القيامة من يخشى القيامة.

---

(١) رواه البزار (٢ / ١١٥، رقم ١٥٢٤ مختصر زوائد البزار)، وابن جرير (٣٠ / ٣١) والحاكم (٢ / ٥١٣-٥١٤) وصححه على شرطهما جميعهم من حديث عائشة بنحوه. وقال الهيثمى فى المجمع (٧ / ١٣٦): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. وقال الحافظ ابن حجر فى مختصر البزار: صحيح. وذكره ابن حاتم فى العلل (٢ / ٦٨رقم ١٦٩٣) ونقل عن أبى زرعة أن الصحيح مرسل. وروى عن طارق بن شهاب، وعروة كلاهما مرسلا، وانظر الدر (٦ / ٣٤٩).

(٢) الأحقاف: ٣٥

كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

وقوله: ﴿ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلاعشية أوضحاها ﴾ أى: أول نهار أو آخر نهار، فأول النهار من طلوع الشمس إلى ارتفاعها، وآخر النهار من العصر إلى غروبها، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ كأن لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ ﴾[٢] فإن قيل: كيف أضاف ضحى النهار إلى عشيته، وإنما ضحى النهار يضاف إلى النهار فبأى وجه تستقيم هذه الإضافة؟ والجواب: أنه يجوز مثل هذا فى كلام العرب، وهم يفعلون كذلك ويريدون بمثل هذه الإضافة، الإضافة إلى النهار.

قال الشاعر:

**نحن صبحنا عامراً فى دارها عشية الهلال أوسرارها**

وقيل معنى ذلك: كأن لم يلبثوا إلاعشية أو ضحاها أى: يوماً من الأيام، فالمراد من العشية هو اليوم، والضحى هو اليوم أيضاً، فإن قيل: كيف يصح هذا الظن، وعندكم أنهم يعذبون فى قبورهم؟ والجواب: أنهم يخفتون خفتة بين النفختين، فإذا بعثوا ظنوا مابينا، لأنهم نسوا العذاب فى تلك الخفتة، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾

# تفسير سورة عبس

## وهى مكية، والله أعلم

قوله تعالى: ﴿عبس وتولى﴾ هو الرسول ﷺ فى قول الجميع، ومعنى عبس: كلح وجهه، وتولى أى: أعرض، والمعنى: أظهر الكراهة.

وقوله: ﴿أن جاءه الأعمى﴾ قال الزجاج معناه: لأن جاءه الأعمى، ونصب على أنه مفعول، وهو عبد الله بن أم مكتوم فى قول [الجميع](١).

وسبب نزول الآية «هو أن النبى ﷺ كان يكلم رجلا من أشراف المشركين، ويدعوه إلى الإسلام - قال عطاء: كان عتبة بن ربيعة، وقال قتادة: كان أبى بن خلف، وقال مجاهد: كان عتبة وشيبة ابنى ربيعة وأبى بن خلف - وكان يدعوهم إلى الإسلام، ويقرأ عليهم القرآن، وفى بعض الروايات: أنه كان عنده جماعة من أشراف قريش، وكان يدعوهم إلى الإسلام، واشتد طمعه فيهم، فجاء عبد الله بن أم مكتوم، وجعل يقول: يارسول الله، علمنى مما علمك الله، أرشدنى. وفى رواية، أنه جاء مع قائده، فأشار النبى ﷺ إلى قائده أن كفه، فدفع فى ظهر قائده، وأقبل النبى ﷺ»(٢).

(١) فى «الأصل، وك»: جميع.

(٢) روى نحوه عن عائشة رضى الله عنها، رواه الترمذى (٥/٤٠٢ - ٤٠٣ رقم ٣٣٣١) وقال: غريب وذكر أن بعضهم رواه عن عروة مرسلا، وابن حبان (٢/٢٩٣ - ٢٩٤ رقم ٥٣٥) والحاكم (٢/٥١٤) وصححه على شرطهما وقال: أرسله جماعة عن هشام بن عروة [عن أبيه] وقال الذهبى: وهو الصواب - يعنى من رواه مرسلا - والواحدى فى أسباب النزول (٣٣٢)، وابن المنذر وابن مردويه، كما فى الدر (٦/٣٥٠) وانظر الدر المنثور.

وفى الباب عن أنس، وابن عباس وغيرهما.

ورواه مالك فى الموطأ (١/٢٠٧)، وابن سعد فى الطبقات (٤/١٥٧) عن عروة مرسلا.

وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾

وفى بعض الروايات عن سفيان الثورى أن الذى كان يكلمه ويدعوه إلى الإسلام كان العباس بن عبد المطلب، فلما دخل ابن أم مكتوم فى خطابه، وجعل يكرر عليه قوله: علمنى أرشدنى، كره رسول ﷺ ذلك حتى ظهرت الكراهة فى وجهه، وعبس وأعرض عنه، فأنزل الله تعالى هذه الآية معاتبًا له فيما فعله. وفى بعض الروايات: أنه عليه السلام قام وذهب.

وقوله: ﴿ وما يدريك لعله يزكى ﴾ أى: يتزكى، والمراد منه ابن أم مكتوم.

وقوله: ﴿ يزكى ﴾ أى: يقبل ما تذكره به وتعلمه، وقيل: يتطهر.

وقوله: ﴿ أو يذكر ﴾ معناه: أو يتذكر.

وقوله: ﴿ فتنفعه الذكرى ﴾ أى: تنفعه التذكرة والعظة. والمعنى: أنك تعرض عنه إعراض من لا ينفعه تعليمه وتذكيره، ولا تدرى لعله ينفعه التعليم والتذكير، فعليك أن تعلمه وتذكره.

وقوله: ﴿ أما من استغنى ﴾ يعنى: من أظهر الاستغناء عنك.

وقوله: ﴿ فأنت له تصدى ﴾ أى: تتعرض وتقبل عليه، وقيل: إن أصله تصدد فقلبت إحدى الدالين ياء.

قوله: ﴿ وما عليك ألا يزكى ﴾ أى: وما عليك ألا يسلم، والمعنى: أنه لو لم يسلم ذلك الذى أقبلت عليه، لم يكن عليك من ذلك شىء.

وقوله: ﴿ وأما من جاءك يسعى ﴾ أى: يطلب الخير.

وقوله: ﴿ وهو يخشى ﴾ أى: يخاف الله تعالى.

وقوله: ﴿ فأنت عنه تلهى ﴾ أى: تعرض، وقيل: تشتغل عنه بغيره. ومن هذا ما

فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾

روى عن عمر بن عبد العزيز – رضى الله عنه – أنه قال: إذا رأيت الله استأثر عليك بشيء فَالْهَ عنه – أى: اتركه وأعرض عنه، وقد قال سفيان بن عيينة: «كان النبى ﷺ بعد ذلك إذا جاءه عبد الله بن أم مكتوم بسط رداءه وقال: يا من عاتبنى فيه ربى». واستخلفه على المدينة مرتين، وقيل مرات حين خرج إلى الغزو. وفى بعض التفاسير: «أن النبى ﷺ ما رئى بعد ذلك متصديا لغنى، ولا معرضا عن فقير»(١).

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ قال الحسن: حقا، وقيل: المعنى هو للردع والزجر يعنى: ليس ينبغى أن يكون الأمر على هذا، وهو ما سبق ذكره.

وقوله: ﴿إنها تذكرة﴾ أى: هذه السورة تذكرة، وقيل: الأنباء والقصص تذكرة.

وقوله: ﴿فمن شاء ذكره﴾ أى: فمن شاء الله ألهمه وذكَّره.

وقوله: ﴿فى صحف﴾ يعنى: القرآن، وقيل: الأنباء والقصص، فعلى القول الأول قوله ﴿فمن شاء ذكره﴾ ينصرف إلى القرآن. والصحف جمع صحيفة.

وقوله: ﴿مكرمة﴾ أى: كريمة على الله، وقيل: مكرمة لأنها نزلت من رب كريم.

وقوله: ﴿مرفوعة﴾ يجوز أن يكون المعنى مرفوعة فى المكان، ويجوز أن يكون المعنى مرفوعة القدر والمنزلة عند الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿مطهرة﴾ قال الحسن: مطهرة من كل دنس، وقيل: مطهرة أى: مصونة من أن تنالها أيدى الكفار الأنجاس.

وقوله: ﴿بأيدى سفرة﴾ السفر هى الملائكة الذين يسفرون بالوحى بين الله وبين رسوله، ويقال للكتاب سفر، وللمصلح بين الجماعة سفير، وهو مأخوذ من تبين الأمر وإيضاحه، يقال: سفرت المرأة عن وجهها إذا كشفته، ويقال: أسفر الصبح إذا أضاء،

(١) رواه ابن أبى حاتم عن الحكم مرسلا به. الدر المنثور (٦/ ٣٥٠).

مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾

ومنه قول نوبة بن حمير:

**إذا ماجئت ليلى تبرقعت فقد  رابنى منهـا الغداة سفورها**

أى: ظهورها. وقال قتادة والضحاك: ﴿بأيدى سفرة﴾: هم القراء الذين يقرءون الآيات. وقال الفراء فى قوله: ﴿مرفوعة مطهرة﴾ سماها مرفوعة مطهرة؛ لأنها أنزلت من اللوح المحفوظ. وقيل: سفرة هم ملائكة موكلون بالأسفار من كتب الله تعالى، ومنه أسفار موسى، واحدها سفر. وقال الشاعر:

**فما أَدَعُ السِّفارة بين قومى  وما أمشى بغـش إن مشيت**

وسمى السفير بين الاثنين سفيراً؛ لأنه يظهر عما فى قلب هذا وعما فى قلب الآخر ليصلح بينهما.

وقوله: ﴿كرام برة﴾ فقوله: ﴿كرام﴾ صفة الملائكة أى: كرام على الله، وقوله: ﴿برة﴾ أى: مطيعين، وهو فى معنى قوله: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[1] وفى بعض الكتب أن فى السماء ملائكة بأيديهم الصحف يقرءون القرآن وعبادتهم ذلك، وهذا راجع إلى ما بينا من قبل قول الضحاك.

قوله تعالى: ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾ ثم بين الله تعالى من العبر والآيات فى الآدمى ما لا ينبغى أن يكفر معها.

وقوله: ﴿قتل﴾ أى: لعن، والإنسان هو الكافر، وقيل: هو الوليد بن المغيرة، وقيل: أمية بن خلف. وروى الضحاك عن ابن عباس «أن الآية نزلت فى عتبة بن أبى لهب لما أنزل الله تعالى سورة «والنجم» قال عتبة: أنا أكفر بالنجم إذا هوى، فقال النبى ﷺ: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك»، وروى أنه قال: «اللهم سلط عليه أسد الغاضرة» - والغاضرة موضع - ثم إنه خرج بعد ذلك فى رفقة، فلما بلغ ذلك

(١) التحريم: ٦.

**مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾**

الموضع ذكر قول الرسول ﷺ، فأمر أهل الرفقة أن يحرسوه تلك الليلة ففعلوا، وجاء الأسد ووثب وثبة وصار على ظهره وافترسه»(١).

وقوله: ﴿ما أكفره﴾ ويجوز أن يكون أيضًا على وجه التوبيخ، وإن كان اللفظ لفظ الاستفهام فالمعنى: أى شيء أكفره بالله، وقد أراه من قدرته ما أراه.

وقوله: ﴿من أى شيء خلقه﴾ معناه: أفلا يتفكر هذا الكافر من أى شيء خلقه الله تعالى، ثم بين من أى شيء خلقه، وقوله: ﴿من نطفة خلقه﴾، وقوله تعالى: ﴿فقدره﴾ قال الكلبى: سوى خلقه من يديه ورجليه وعينيه وسائر جوارحه الظاهرة والباطنة، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿خلقك فسواك﴾(٢) وقيل: فقدره أى: وضع كل شيء موضعه، وهيأ له ما يصلحه.

وقوله: ﴿ثم السبيل يسره﴾ أكثر أهل التفسير على أن المراد منه هو الخروج من الرحم، وقيل معناه: يسر له سبيل الخير، وقيل: بين له سبيل الشقاوة والسعادة، قاله مجاهد، والذى تقدمه قول الحسن.

وقوله: ﴿ثم أماته فأقبره﴾ أى: جعل له قبرًا يدفن فيه، يقال: قبرت فلانًا إذا دفنته، وأقبرته إذا جعلت له موضعًا يدفن فيه. قال الأعشى:

**لو أسندت مَيتًا إلى نحرها ... عـــاش ولم يُنْقَل إلى قَابِر**

وقوله: ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾ أى: أحياه وبعثه.

قال الأعشى:

**حتى يقول الناس مما رأوا ... يا عجبا للميت الناشر**

(١) عزاه السيوطى فى الدر (٦ / ١٣٥) لأبى نعيم فى الدلائل، وابن عساكر فى تاريخه ،عن عروة بن الزبير، عن هبار بن الأسود بنحوه.

(٢) الانفطار: ٧.

كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾

وقوله: ﴿ كلا لما يقض ما أمره ﴾ يعنى: لم يفعل ما أمره الله تعالى. قال مجاهد: ليس أحد من الخلق يفعل كل ما أمره الله تعالى.

وعن ابن عباس: ﴿ كلا لما يقض ما أمره ﴾ أى: ما أخذ عليه من العهد يوم الميثاق.

وقوله تعالى: ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه ﴾ أى: فلينظر الإنسان إلى الطعام والعلف الذى خلقه الله تعالى لحياة الخلق، وعن ابن عباس معناه: فلينظر الإنسان إلى طعامه أى: إلى ما يخرج منه كيف انقلب من الطيب إلى الخبيث. وعن الحسن: أن الله تعالى وكل ملكا فإذا جلس الإنسان على حاجته ثنى رقبته لينظر إلى ما يخرج منه ذكره النقاش.

وأورد أيضًا: أن أبا الأسود الدؤلى سأل عمران بن الحصين لِمَ ينظر الإنسان إلى ما يخرج منه؟ فلم يدر عمران ما يجيبه به، ثم ذهب عمران إلى المدينة، فذكر ذلك لأبى بن كعب فقرأ هذه الآية: ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه ﴾ ثم قال: ينظر ليعلم إلى ما صار ما بخل به.

وقوله: ﴿ أنا صببنا الماء صبا ﴾ قرئ بكسر الألف وفتحها؛ فقوله بالكسر «إنا» على الابتداء، وقوله: ﴿ أنا ﴾ بالفتح منصوب على البدل من الطعام كأنه قال: فلينظر الإنسان إلى أنا صببنا، ذكره الفراء. وقيل معناه: فلينظر الإنسان إلى طعامه لأنا صببنا.

وقوله: ﴿ صببنا الماء صبًا ﴾ أى: أجريناه إجراءً.

وقوله: ﴿ ثم شققنا الأرض شقًا ﴾ أى: بخروج النبات.

وقوله: ﴿ فأنبتنا فيها حبًّا ﴾ هو البر والشعير، وكل ما هو قوت الناس.

وقوله: ﴿ وعنبًا ﴾ هو العنب المعروف.

وقوله: ﴿ وقضبًا ﴾ هو القت بلغة أهل مكة، وعن ابن عباس: هو الرطبة - وهو

﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾

قول معروف - وسمى قضبًا؛ لأنه يقضب أى: يقطع وينبت، ثم يقطع وينبت هكذا.

وقوله: ﴿وزيتونًا﴾ هو الزيتون المعروف.

وقوله: ﴿ونخلا وحدائق غلبًا﴾ الحديقة كل بستان يتحوط عليه، وما لا يكون محوطا عليه لا يكون حديقة.

وقوله: ﴿غلبًا﴾ أى: غلاظ الأعناق، يقال: رجل أغلب إذا كان شديداً غليظ الرقبة. وقيل: «غلبا» ملتفة أى: دخل بعضها فى بعض.

وقوله: ﴿وفاكهةً وأبًّا﴾ الفاكهة هى الثمار، والأب هى الكلأ. قال ابن عباس ومجاهد: الأب مرعى الأنعام، وقيل: الأب للبهائم بمنزلة الفاكهة للناس. وقال (الضحاك)[1]: الأب التين، وعن الحسن: أن الفاكهة ما طاب واحلو لى من الثمار[2].

ومن المعروف أن عمر - رضى الله عنه - قرأ قوله تعالى: ﴿وفاكهةً وأبا﴾ ثم قال: قد عرفت الفاكهة فما الأب؟ ثم قال: يا ابن الخطاب، هذا والله هو (التكذيب)[3]، وألقى العصا من يده.

وقوله: ﴿متاعًا لكم ولأنعامكم﴾ أى: منفعة لكم ولأنعامكم.

وقوله: ﴿فإذا جاءت الصاخة﴾ هى اسم من أسماء يوم القيامة، ذكره ابن عباس مثل الطامة والحاقة والقارعة وأشباهها، وقيل: الصاخة هى الداهية التى يعجز عنها الخلق، وقيل: الصاخة الصاكة، يقال: صخ فلانًا إذا صكه.

---

(١) فى «ك»: مالك.

(٢) أخرجه عبد بن حميد كما فى الدر (٦/ ٣٥٣).

(٣) كذا فى «الأصل، وك»، وقد روى ابن جرير الطبرى وغيره هذا الأثر وفيه: «... هذا والله هو التكلف..».

يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾

قال الشاعر:

**يا جارتى هل لك أن تجالدى جلادة كالصخ بالجلامد**

أى: كالصك، وقيل: إن الصاخة صيحة إسرافيل تصك الأسماع، وعن بعضهم: أن الصاخة ما يصخ له كل شيء أى: ينصت يقال: رجل أصخ أى أصم.

وقوله: ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾ يفر منهم لأنه لا يمكنه أن ينفعهم وينتفع بهم. قيل: يفر لئلا يروا الهوان الذى ينزل فيه، وقيل: يفر منهم ضجرا لعظم ما هو فيه، وفى بعض التفاسير: أن قوله: ﴿من أخيه﴾ قابيل من هابيل.

وقوله: ﴿وأمه﴾ هو الرسول ﷺ من أمه.

وقوله: ﴿وأبيه﴾ هو إبراهيم – صلوات الله عليه – من أبيه.

وقوله: ﴿وصاحبته﴾ هو لوط – عليه السلام – من زوجته.

وقوله: ﴿وبنيه﴾ هو آدم – عليه السلام – من بنيه المفسدين، وقيل: هو نوح – عليه السلام – من ابنه.

وقوله: ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ أى: شيء يكفيه ويشغله، وقال القتيبى: شيء يصرفه عن غيره، والشأن: هو الأمر العظيم، يقال: فلان فى شأن، أى: فى أمر عظيم.

وقرئ فى الشاذ: «يعنيه» من عنى يعنى بالعين غير معجمة.

قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾ أى: [ذات][1] فرحة مسرورة، وقيل: نيرة، وقيل: هو فى معنى قوله تعالى: ﴿يوم تبيض وجوه﴾[2] أى: وجوه يومئذ تبيض.

---

(١) من «ك».

(٢) آل عمران: ١٠٦.

ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

وقوله: ﴿ ضاحكة مستبشرة ﴾ أى: من السرور والفرح.

وقوله: ﴿ ووجوه يومئذ عليها غبرة ﴾ أى: كسوف وسواد.

وقوله: ﴿ ترهقها قترة ﴾ أى: تعلوها الكآبة والحزن، وقيل: هو فى معنى قوله تعالى: ﴿ وتسود وجوه ﴾[1] عن عطاء الخرسانى: ﴿ وجوه يومئذ مسفرة ﴾ لكثرة ما أغبرت فى الدنيا بالحق.

وقوله: ﴿ ووجوه يومئذ عليها غبرة ﴾ من كثرة ما ضحكت فى الباطل.

وقوله: ﴿ أولئك هم الكفرة الفجرة ﴾ يعنى: أصحاب الوجوه هم الذين كفروا بالله وفجروا، والله أعلم.

(١) آل عمران: ١٠٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾

## تفسير سورة (كورت)[١]

وهى مكية

روى عبد الرزاق، عن عبد الله بن بجير، عن عبد الرحمن بن يزيد الصنعانى قال: سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين ذلك اليوم فليقرأ: ﴿إذا الشمس كورت﴾ و﴿إذا السماء انفطرت﴾[٢] و﴿إذا السماء انشقت﴾[٣]. قال رضى الله عنه أخبرنا بهذا الحديث أبو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد القفال، أخبرنا أبو العباس السنجى الطحان[٤]، أخبرنا العباس بن عبد العظيم العنبرى، أخبرنا عبد الرزاق[٥].

قوله تعالى: ﴿إذا الشمس كورت﴾ قال ابن عباس: ذهب ضوؤها. وروى سفيان الثورى، عن أبيه، عن الربيع بن خثيم قال: كورت رمى بها. وعن سعيد بن جبير كورت: غُوِّرَت، وقال: كُوِّر: كوز، وقيل: اضمحلت، وقيل: لُفَّتْ وجمعت، ومنه كور العمامة، والمعنى: أنها لفت وجمعت وطرح بها.

وقوله: ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ أى: تناثرت وتساقطت، وفى بعض التفاسير: أن النجوم فى قناديل من نور معلقة بالسماء الدنيا بسلاسل فى أيدى الملائكة، فإذا جاء

---

(١) فى «ك»: التكوير. (٢) الانفطار: ١. (٣) الانشقاق: ١.

(٤) وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج السنجى الطحان. انظر الأنساب (٣/٣١٨).

(٥) رواه الترمذى (٥/٤٠٣ رقم ٣٣٣٣) وقال: حسن غريب، وأحمد (٢/٢٧، ٣٦، ١٠٠)، وابن أبى الدنيا فى الأهوال (رقم ١٩)، والحاكم (٤/٥٧٦) وصححه، وأبو نعيم فى الحلية (٩/٢٣١).

وقال الهيثمى فى المجمع (٧/١٣٧): رواه أحمد بإسنادين ورجالهما ثقات، ورواه الطبرانى بإسناد أحمد. وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٨/٥٦٤): حديث جيد.

وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾

يوم القيامة تساقطت السلاسل من أيدى الملائكة، وانتثرت النجوم. وروى أن أهل الأرضين يسمعون إدَّة عظيمة من وقوع النجوم على الأرض.

وقوله: ﴿ وإذا الجبال سيرت ﴾ أى: سيرت وكانت سراباً، وقيل: دقت دقا، وصارت بمنزلة الهباء، والآية فى معنى قوله تعالى: ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ﴾[1].

وقوله: ﴿ وإذا العشار عطلت ﴾ العشار واحدها عشراء، وهى الناقة التى أتت عشرة أشهر على حملها، وهى أحسن ما يكون من النوق، وأعزها على أربابها، وتعطيلها إهمالها وتركها بلا راع يرعاها، ولا يفعل ذلك إلا يوم القيامة، والمعنى: أن كل إنسان يشتغل بنفسه عن كل شيء، وإن كان عزيزاً عنده.

وقوله: ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى ماتت، والحشر هو الجمع، فكأنها جمعت فى الموت، والقول الثانى: وهو الأظهر أن حشرها إحياؤها يوم القيامة.

وقد ورد فى الخبر المشهور عن النبى ﷺ أنه قال: «يقتص للجماء من القرناء»[2]. وعن ابن عباس قال: يحشر كل شيء حتى الذباب.

وقوله: ﴿ وإذا البحار سجرت ﴾ قال الحسن: يبست، وعنه أنه قال: فاضت أى: أدخل بعضها فى بعض. وعن كعب الأحبار سجرت أى: ملئت ناراً. وقال شمر بن عطية: تسجر كما يسجر التنور.

---

(١) النمل: ٨٨.

(٢) رواه مسلم (١٦ / ٢٠٥ رقم ٢٥٨٢)، والبخارى فى الأدب المفرد (رقم ١٨٣)، والترمذى (٤ / ٥٣٠ رقم ٢٤٢٠) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢ / ٣٥، ٣٠١، ٣٧٢، ٤١١)، وأبو يعلى (١١ / ٣٩٥ رقم ٦٥١٣)، وابن حبان (١٦ / ٣٦٣ - ٣٦٤ رقم ٧٣٦٣)، والبيهقى (٦ / ٩٣) جميعهم من حديث أبى هريرة مرفوعا به.

﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾

وعن سعيد بن المسيب أن عليًّا - رضى الله عنه - سأل رجلا من اليهود عن جهنم؟ فقال: هو البحر، فقال: ما أراه إلا صادقًا، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ وإذا البحار سجرت ﴾. وعن بعضهم: أن بحر الروم وسط الأرض، وفى أسفله آبار من نحاس مطبقة، فإذا كان يوم القيامة سجرت نارًا، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ والبحر المسجور ﴾[1] وقد بينا، ويجوز أن يجمع بين هذه الأقاويل، فيقال: إن البحار يدخل بعضها فى بعض فتصير بحرًا واحدًا، ثم يفيض وييبس ثم يملأ نارًا.

وقوله: ﴿ وإذا النفوس زوجت ﴾ قال الشعبى: الأبدان بالأرواح، وقيل: قرنت بأعمالها. وعن عمر - رضى الله عنه - قال: الصالح مع الصالح، والفاجر مع الفاجر. وعن بعضهم: المؤمنون يقرنون بالحور العين، والكفار بالشياطين.

﴿ وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت ﴾ الموءودة: هى الولد، كان أهل الجاهلية يقتلونه، وكان الواحد منهم إذا ولد له ابن تركه، وإذا ولد له بنت دفنها حية. وذكر بعضهم. أن المرأة كانت إذا أخذها المخاض حفرت حفيرة، وجلست عليها فإن ولدت ابنًا حبسته، وإن ولدت بنتًا ألقتها فى الحفيرة، وقد كان بعضهم يترك الجارية حتى تصير شديدة، ثم يقول لأمها: طيبيها زينيها، وقد حفر بئرًا فى الصحراء، ويحملها مع نفسه، ويأمرها أن تطلع فى البئر، ثم يدفعها من خلفها فى البئر، ويهيل التراب، وكانوا يفعلون ذلك إما خشية الإملاق، أو [ دفعا ] للعار وأنفة عن أنفسهم.

وقوله: ﴿ سئلت بأى ذنب قتلت ﴾ هو سؤال توبيخ للوائد؛ لأن من جواب هذا السؤال أن يقول: قتلت بغير ذنب. وقرأ ابن عباس والضحاك وجماعة: « وإذا الموءودة سألت بأى ذنب قتلت » والمعنى معلوم. وذكر بعضهم فى تفسيره: أنها تأتى متلطخة بالدماء، وتتعلق بثدى أمها وتقول: يارب، هذه أمى وقد قتلتنى.

واعلم أنه ورد كثير من الأخبار فى أن أولاد المشركين خدم أهل الجنة[2].

---

(١) الطور: ٦.

(٢) تقدم تخريجه.

وكان ابن عباس يقول: من قال الموءودة فى النار فقد كذب، وتلا هذه الآية. وعن النبى ﷺ أنه قال: «سألت ربى عن اللاهين من ذرية البشر فأعطانيهم»(١). وعنه عليه الصلاة والسلام: «أنه سئل عن أطفال المشركين؟ فقال: هم خدم أهل الجنة»(٢). وقد ورددت أخبار أخر أن أولاد المشركين فى النار، وقد ذكرنا بعض ذلك فيما سبق، وعنه ﷺ أنه قال لعائشة: «لو شئت أسمعتك تضاغيهم فى النار»(٣)، وعنه عليه - الصلاة والسلام - أنه قال: «الوائدة والموءودة فى النار»(٤)، وقد ثبت برواية أبى هريرة أن النبى ﷺ سئل عن أطفال المشركين؟ فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»(٥).

فالأولى أن يتوقف، ويوكل علم ذلك إلى الله تعالى، وهم على مشيئته يفعل بهم ما يشاء. واعلم أنه قد كان فى العرب من يحيى الأطفال الموءودة، وذلك بأنهم (يفرون)(٦) من آبائهم.

وقال الفرزدق يفتخر:

**ومنا الذى منع الوائدا ت فأحيـــا الوئيد فلم يوأد**

قاله فى جده صعصعة بن مجاشع.

---

(١) رواه أبو يعلى (٦/ ٢٦٧، ٣١٦ رقم ٣٥٧٠، ٣٦٣٦، ٧/ ١٣٨ رقم ٤١٠١، ٤١٠٢)، وابن عدى (٥/ ١٥١، ٦/ ٢٠)، وابن الأعرابى فى معجمه (٢/ ١٢٦ رقم ٨١٤)، وأبو نعيم فى أخبار أصبهان (١/ ٣٤٤)، وابن الجوزى فى العلل (٢/ ٩٢٦ رقم ١٥٤٥) عن أنس بن مالك به.
وحسن الحافظ فى الفتح (٣/ ٢٩٠) إسناده، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٢٢٢): رواه أبو يعلى من طرق ورجال أحدهما رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن المتوكل وهو ثقة.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الإمام أحمد (٦/ ٢٠٨)، ولوين (رقم: (٣١) بتحقيقنا)، وابن عدى (٧/ ٢٠٧)، وابن الجوزى فى العلل (٢/ ٩٢٤ رقم ١٥٤١) وقال: لا يصح، جميعهم عن عائشة مرفوعا به.

(٤) رواه أبو داود (٤/ ٢٣٠ رقم ٤٧١٧)، والطبرانى فى الكبير (١٠/ رقم ١٠٠٥٩، ١٠٢٣٦)، والبزار فى مسنده (٥/ رقم ١٥٩٦، ١٦٠٥، ١٨٢٥)، وابن حبان فى صحيحه (١٦/ ٥٢١ - ٥٢٢ رقم ٧٤٨٠)، وفي المجروحين (٢/ ٢٦١)، والشاشى فى مسنده (٢/ ١١٨ - ١١٩ رقم ٦٤٨) عن ابن مسعود مرفوعا به.
وقد أطال الدارقطنى الكلام عليه فى العلل (٥/ ١٦٠ - ١٦٣ رقم ٧٩٤) فراجعه.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) كذا، ولعله: يشترونهن. انظر القرطبى (١٩/ ٢٣٢ - ٢٣٣).

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أُقْسِمُ

قوله تعالى: ﴿وإذا الصحف نشرت﴾ يعنى: على الخلائق، فمنهم من يعطى بيمينه، ومنهم من يعطى بشماله.

وقوله: ﴿وإذا السماء كشطت﴾ وقرأ ابن مسعود: «قُشِطَت» وهما بمعنى واحد، كالكافور والقافور.

وقوله: ﴿كشطت﴾ أى: قلعت، وقيل: نزعت.

وقوله: ﴿وإذا الجحيم سعرت﴾ أى: أوقدت، وهى توقد مرة بعد مرة فاستقام على هذا الكلام. قال قتادة: سَعَّرَهُ غضب الله وخطايا بنى آدم.

وقوله ﴿وإذا الجنة أزلفت﴾ أى: قربت وأدنيت، وهى للمتقين.

وقوله: ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ قال الربيع بن خثيم: إلى هذا جرى الكلام، وحكى معنى هذا عن ابن عباس. والمعنى: أنه إذا كانت هذه الأشياء علمت نفس ما أحضرت يعنى: من الخير والشر.

قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بالخنس﴾ قال على - رضى الله عنه - هى خمسة كواكب: بهرام، وعطارد، وزحل، والزهرة، والمشترى، وذكر بعضهم الشمس والقمر فى ذلك. وعن بعضهم: أنها جميع النجوم.

وقوله: ﴿الخنس﴾ أى: تغيب فى سيرها، وقيل: تغيب فى النهار، وتظهر بالليل، وقيل: ترجع فى مسيرها من المغرب، وذلك ظاهر فى الكواكب الخمسة.

وقوله: ﴿الجوار الكنس﴾ أى: النساء السائرات الكنس، والكنس المستترات عن الأبصار. وقيل: بالغروب، وقيل: بالنهار. وهذه الكواكب هى الكواكب التى يسميها المنجمون المتحيرة، وقد تفردت حيث تسير بخلاف سائر الكواكب؛ لأن سائر الكواكب تسير من المشرق إلى المغرب، وهى تسير من المغرب إلى المشرق، ويحيلون

﴿بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾

عليها الأفعال فى العالم، ونحن نتبرأ إلى الله تعالى من هذا الاعتقاد، ونحيل الجميع على الله تعالى، وإنما النجوم آيات ودلائل ومسخرات خلقت لمعانى ذكرناها من قبل، وفى الآية قول آخر: وهو أن الخنس هى بقر الوحوش. قال عمرو بن شرحبيل: قال لى عبد الله بن مسعود: أنتم قوم عرب، فما معنى ﴿الخنس الجوار الكنس﴾؟ قال عمرو: هى بقر الوحش، قال ابن مسعود: وأنا أرى ذلك وهو أيضًا إحدى الروايتين عن ابن عباس، والقول الأول هو المشهور.

والخنس على هذا القول: هى صغار الأنف، والكنس من استتارها فى كنسها.

وقوله: ﴿والليل إذا عسعس﴾ أى: أقبل بظلامه، وقيل: أدبر، وهو من الأضداد. والأول هو المعروف.

وقوله: ﴿والصبح إذا تنفس﴾ أى: ظهر وطلع، وقيل: ارتفع.

وقوله: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ أى قول أنزله رسول كريم أى كريم على مرسله وهو جبريل صلوات الله عليه. وحمل الآية على ما جاء به جبريل عليه السلام على الرسول ﷺ من غير القرآن. فعلى هذا يجوز أن يقال: هو قول جبريل. وقيل: إن قوله ﴿رسول كريم﴾ وهو محمد ﷺ والقول الأول هو المشهور.

وقوله ﴿ذى قوة عند ذى العرش مكين﴾ فى الخبر أن النبى ﷺ سأل جبريل عن قوته وأمانته؟

فقال: «أما قوتى فإن الله تعالى أرسلنى إلى مدائن لوط، وهى أربع مدائن فى كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذرية فأدخلت جناحى تحتها ورفعتها إلى السماء الدنيا حتى سمع أهل السماء الدنيا نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبتها. وأما أمانتى فإنى لم أعد ما أُمرت به إلى غيره[1].

(١) عزاه السيوطى فى الدر (٦/٣٥٧) لابن عساكر عن معاوية بن قرة به.

﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾

وقوله ﴿مكين﴾ هو بمعنى المكانة أو المنزلة عند الله تعالى. وذى العرش: هو الله تعالى.

وقوله ﴿مطاع ثم أمين﴾ فى التفسير أن الملائكة يطيعونه فيما يأمرهم به. وقد قيل: إن معناه أنه قال: لرضوان خازن الجنان ليلة المعراج: افتح الباب لمحمد ففتحه. وقال لمالك خازن النار: افتح الباب لمحمد ففتحه.

وقوله ﴿أمين﴾ قد ذكرنا. وقيل فى معنى الأمانة، أنه يرفع سبعين سرادقاً من غير استئذان. وقيل: يلج سبعين حجاباً من نور من غير استئذان.

وقوله تعالى ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ معنى الرسول ﷺ. وعن عطية أن نبى الله ﷺ سأل جبريل أن يريه نفسه على ما يكون فى السماء؟ فقال: ليس ذلك إلى حتى أستأذن ربى، فأذن الله تعالى له فى ذلك. فلما رأى جبريل على ما خلقه الله من العظمة وكثرة الأجنحة على ما ذكرنا غشى عليه، فلما رآه قريش مغشيا عليه قالوا: مجنون مجنون فأنزل الله تعالى ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾.

وقوله ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ فى التفسير أنه عند مطلع الشمس، والذى رآه جبريل، وقد بينا هذا فى سورة والنجم.

وقوله ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ قرئ بالضاد والظاء. قال إبراهيم النخعى: بظنين بالظاء، بمتهم، وبضنين بالضاد، ببخيل. أورده النحاس وهو قول جماعة من المفسرين والغيب: هو الوحى.

وقوله ﴿وما هو بقول شيطان رجيم﴾ قال: هذا لأنهم كانوا يقولون أن محمداً يقول ما يقول عن الشيطان.

وقوله: ﴿فأين تذهبون﴾ أى: أين تذهبون عن هذا الحق الذى ظهر بدلائله؟.

إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

وقوله: ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ أى: تذكرة وعظة للعالمين.

وقوله: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ فى التفسير أنه لما نزلت هذه الآية، قال أبو جهل: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله تعالى قوله، ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ ردا عليه. وفى الباب أحاديث كثيرة منها ما روى مالك عن زيد بن أبى أُنَيْسة أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهنى أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - سئل عن هذه الآية ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم﴾[1] إلى أن قال: ﴿ألست بربكم﴾[1] الآية. فقال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها؟ فقال: «إن الله خلق آدم فمسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل أهل الجنة، فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت، وهو على عمل أهل النار فيدخله به النار، وقال الله تعالى ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله﴾[2]. وقال تعالى ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾[3] قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو محمد هياج بن عبيد الخطيبى بمكة قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن جميع، أخبرنا جدى، أخبرنا محمد بن عبدان القزاز، أخبرنا أبو مصعب عن مالك الحديث[4]. والله أعلم.

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) الأنعام: ١١١.

(٣) يونس: ١٠٠.

(٤) تقدم تخريجه فى تفسير سورة الأعراف.

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا

## تفسير سورة ( انفطرت )(١)

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿إذا السماء انفطرت﴾ معناه: انشقت، ومنه انفطر ناب البعير.

وقوله: ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ أى: تساقطت.

وقوله: ﴿وإذا البحار فجرت﴾ قال الحسن: يبست. وعن غيره: ملئت، والمعروف فجر بعضها فى بعض، العذب فى المالح، والمالح فى العذب، وقيل: فجرت أى: جعلت بحراً واحداً، وذلك بتفجير بعضها فى بعض.

وقوله: ﴿وإذا القبور بعثرت﴾ أى: بحثرت وبحثت، والمعنى: قلبت ترابها، وأخرج ما فيها من الموتى. وفى الخبر: أن الأرض تلقى أفلاذ كبدها يوم القيامة، فتخرج كنوزها وموتاها وكل ما فيها.

ومن المعروف أن النبى ﷺ قال: «يوشك أن يحسر الفرات على جبل من ذهب، فيقتتل الناس عليه»(٢).

قال القفال: يجوز أن يكون ما ذكره الله تعالى من هذه الأشياء قبل قيام الساعة، ويجوز أن يكون بعد قيام الساعة.

وقوله: ﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾ أى: ﴿ما قدمت﴾ فعملت من عمل ﴿وأخرت﴾ أى: ترك من العمل، وقيل: ما قدمت وأخرت أى: ما عملت من قديم

(١) فى «ك»: الانفطار.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (١٣ / ٨٤ رقم ٧١١٩)، ومسلم (٢٨ / ٢٦-٢٧ رقم ٢٨٩٤).
وفى الباب عن أبى بن كعب، رواه مسلم (٢٨ / ٢٧ رقم ٢٨٩٥)، وأحمد (٥ / ١٣٩) وغيرهما.

## الإنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾

وحديث، وقيل فى قوله: ﴿ وأخرت ﴾ أى: من سنة سيئة عمل بها بعده.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ﴾ قيل: نزلت الآية فى الوليد بن المغيرة، وقيل: فى أبى جهل، وقيل: فى غيرهما.

وقوله: ﴿ ما غرك بربك الكريم ﴾أى: أى شىء غرك وجرأك وسول لك حتى ارتكبت ما ارتكبت؟

وقوله: ﴿ بربك الكريم ﴾ يتجاوز عنك، وذلك فى الدنيا. وفى بعض التفاسير: أن الآية نزلت فى أبى الأسد، وكان قد ضرب النبى ﷺ، فلم يعاقبه الله تعالى فى الدنيا، فهو معنى قوله: ﴿ بربك الكريم ﴾ الذى تجاوز عنك، ولم يعاقبك فى الدنيا.

قال رضى الله عنه: أخبرنا محمد بن عبد العزيز الجنوجردى: أخبرنا أبو إسحاق الثعالبى: أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن فنجويه: أخبرنا أبو على بن حبش المقرئ: أخبرنا أبو القاسم بن الفضل المقرئ: أخبرنا أبو على بن الحسين: أخبرنا المقدمى، أخبرنا كثير بن هشام: أخبرنا جعفر بن برقان قال: حدثنى صالح بن مسمار، قال: «بلغنى أن النبى ﷺ تلا هذه الآية: ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ﴾ قال: جهله»(١).

وعن ابن مسعود – رضى الله عنه – أنه قال: ما منكم من أحد إلا سيخلوا الله به يوم القيامة فيقول: يا ابن آدم، ما غرك بى؟ يا ابن آدم، ماذا عملت فيما علمت؟ يا ابن آدم، ماذا أجبت المرسلين؟ وعن السدى (بن المفلس)(٢) قال: غره رفقه به.

وعن إبراهيم بن الأشعث أن الفضيل بن عياض قيل له: لو قال الله تعالى لك: ما غرك بى فماذا تقول له؟ قال: أقول ستورك المرخاة. ونظم ذلك بعضهم:

(١) عزاه الزيلعى فى تخريج الكشاف (٤ / ١٦٧) للثعلبى وعنه الواحدى فى تفسير الوسيط، وقال: ورواه أبو عبيد فى كتاب فضائل القرآن إلا أنه قال: غره حلمه. وعزاه السيوطى فى الدر (٦ / ٣٥٩) لعبد بن حميد فقط.

(٢) كذا! وأظنها مقحمة، وقد أورده البغوى (٤ / ٤٥٥) عن السدى قوله.

الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾

يا كاتم الذنب أما تستحى ... والله فى الخلوة ثانيكا

غرك من ربك إمهاله ... وستره طول مساويكا

وعن يحيى بن معاذ قال: لو يقول الله تعالى: ما غرك بربك؟ فأقول: تركك لى سالفًا وآنفًا. وعن أبى بكر الوراق قال: أقول غرنى كرم الكريم. وعن منصور بن عمار قال: أقول غرنى ما علمت من سابق أفضالك. وقال بعضهم:

يا من خلا فى الغى والتيه ... وغره طول تماديه

أملى لك الله فبارزته ... ولم تخف غب معاصيه

وقوله: ﴿الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة﴾ قال عطاء: جعلك قائمًا معتدلا حسن الصورة، وقيل: سواك أى: سوى بين يديك ورجليك وعينيك وأذنيك،[ و ](١) ووضع كل شىء موضعه، وهو أيضًا معنى قوله: ﴿فعدلك﴾ ذكره الكلبى وغيره. وقيل: عدلك أى عَدَّل خلقك، وهو على ما بينا. وقرئ بالتخفيف أى: صرفك فى أى صورة شاء من حسن وقبيح، وطويل وقصير. وفى بعض الغرائب من الأخبار: «أن الله تعالى إذا أراد خلق عبد أحضر خلقه كل عرق كان بينه وبين آدم، فيخلقه على ما يريد من الشبه بمن شاء»(٢). وقد قيل: فعدل فى أى صورة ما شاء ركبك أى: من شبه أب وأم وعم وخال، وقال أبو على الفارسى: معنى عدلك

(١) فى «ك»: فى.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير (١٩ / ٢٩٠رقم ٦٤٤)، وفى الأوسط (٦ / ٨٣ رقم ٣٤١١ مجمع البحرين) وفى الصغير (١ / ٨٢ رقم ١٠٦) عن مالك بن الحويرث مرفوعًا به. وقال الهيثمى فى المجمع (٧ / ١٣٧): رواه الطبرانى فى الثلاثة ورجاله ثقات، ونسبه ابن رجب فى جامع العلوم والحكم (١ / ١٥٤-١٥٥) للطبرانى وابن منده فى التوحيد، وذكر عن ابن منده قوله: إسناده متصل مشهور على رسم أبى عيسى والنسائى وغيرهما. وقال السيوطى فى الدر (٦ / ٣٦١): أخرج الحكيم الترمذى والطبرانى وابن مردويه بسند جيد والبيهقى فى الأسماء والصفات، فذكره. وفى الباب عن موسى بن على بن رباح عن أبيه عن جده، وانظر جامع العلوم والحكم، والدر.

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ

بالتخفيف أى: فى عدل بعضك ببعض، فكنت معتدل الخلق مناسبها فلا تفاوت فيها.

قوله تعالى: ﴿كلا بل تكذبون بالدين﴾ أى: بيوم القيامة، وقيل: بالحساب.

وقوله: ﴿وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين﴾ فى بعض الأحاديث «أن النبى ﷺ قال: أكرموا الكرام الكاتبين فإنهم معكم، إلا عند الجنابة والتبرز للحاجة»(١). وقد ورد عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿كرام بررة﴾(٢) أنهم الملائكة، يكرموا أن يكونوا مع ابن آدم عند خلوته بأهله، وعند حاجته.

وقوله: ﴿كاتبين﴾ هم الملائكة يقعدون عن يمين الإنسان ويساره، فيكتبون ما عليه وله، وقيل: واحد عن يمينه، وواحد عن يساره، فالذى عن يمينه يكتب الحسنات، والذى عن يساره يكتب السيئات، وقيل: إن الذى عن يمينه أمين على الذى على يساره لا يكتب إلا بإذنه. وفى الخبر برواية أبى هريرة عن النبى ﷺ: «إن العبد إذا هم بحسنة يكتب له الملك حسنة، فإذا عملها كتب له عشر حسنات، وإذا هم بسيئة لم تكتب عليه شيئًا، فإذا عملها كتب سيئة»(٣).

وقوله: ﴿يعلمون ما تفعلون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿إن الأبرار لفى نعيم﴾ فى الخبر أن النبى ﷺ قال: «هم الذين بروا آباءهم وأبناءهم»(٤). وظاهر المعنى أنهم المطيعون.

(١) رواه الترمزى (٥ / ١٠٤ رقم ٢٨٠٠) وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفى الباب عن ابن عباس ومجاهد مرسلا.

(٢) عبس: ١٦.

(٣) متفق عليه، رواه البخارى (١٣ / ٤٧٣ - ٤٧٤رقم ٧٥٠١) ومسلم (٢ / ١٩٤ رقم ١٢٨).

(٤) رواه ابن عدى (٤ / ٣٢٣) ضمن منكرات عبيد الله الوصافى عن محارب عن ابن عمر، وقال: ولايتابع عليه. وعزاه الحافظ ابن كثير فى تفسيره (٤ / ٤٨٢) لابن عساكر فى تاريخه.
وقال الهيثمى فى المجمع (٨ / ١٤٩): رواه الطبرانى وفيه عبيد الله الوصافى وهو ضعيف.

﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

وقوله: ﴿وإن الفجار لفى جحيم﴾ هى النار، نعوذ بالله منها. وفى الحكايات: أن سليمان بن عبد الملك حج، فلقى أبا حازم سلمة بن دينار فقال: يا أبا حازم، كيف القدوم على الله؟ فقال: أما المحسنون فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسىء فكالعبد الآبق يرد إلى سيده، فبكى سليمان، ثم قال: ليت شعرى نعلم ما حالنا عند الله؟ فقال أبو حازم: اعرضها على كتاب الله تعالى، فقال: وعلى أى ذلك أعرض؟ فقال على قوله تعالى: ﴿إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم﴾ قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: قريب من المحسنين.

قوله تعالى: ﴿يصلونها يوم الدين﴾ أى: يدخلونها يوم القيامة.

وقوله: ﴿وما هم عنها بغائبين﴾ أى: مبعدين.

وقوله: ﴿وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾ هو على معنى تفخيم الأمر وتعظيمه.

وقوله: ﴿يَوْمَ لا تملك نفس لنفس شيئًا﴾ أى: لا تغنى نفس عن نفس شيئًا .ويوم منصوب على الظرف، وقرئ «يَوْمُ» بالرفع، وهو ظاهر.

وقوله: ﴿والأمر يومئذ لله﴾ أى: الأمر يوم القيامة لله ليس لأحد معه أمر، والله أعلم.

تفسير بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾

## سورة المطففين

وهى مدنية

قال ابن عباس: هى أول سورة نزلت بالمدينة، قدم رسول الله ﷺ المدينة، وهم أخبث الناس كيلاً ووزنًا، فأنزل الله تعالى هذه السورة، فاستقاموا، فهم أوفى الناس كيلا ووزنًا إلى (اليوم) (١).

قوله تعالى: ﴿ ويل للمطففين ﴾ الويل: هو الدعاء بالشدة والهلاك. وعن السدى هو واد فى جهنم، يسيل فيه صديد أهل النار.

وقوله: ﴿ للمطففين ﴾ هم الذين لا يوفون الكيل والوزن ويبخسون. قال الزجاج: سمى مطففًا، لأنه لا يُطف بهذا الفعل بالشيء الطفيف أى: اليسير وقد بينا أنها نزلت فى أهل المدينة، وقيل: نزلت فى أبى جهينة، كان رجلا من أهل المدينة له صاعان يكيل بأحدهما على الناس أى: عن الناس ويقال: اكتلت على فلان أى: استوفيت ما عليه.

وقوله: ﴿ يستوفون ﴾ أى: يستوفون حقوقهم على الكمال، وقيل: يستوفونه راجحًا.

وقوله ﴿ وإذا كالوهم ﴾ كالوا لهم. وكذلك: ﴿ أو وزنوهم ﴾ أى: وزنوا لهم. [قاله](٢) أبو عبيدة والأخفش والفراء - والأخفش هو سعيد بن [مسعدة](٣)، وهو الأخفش الكبير(١) - وقال الفراء: هو لغة حجازية، سمعت بعضهم بمكة يقول: إذا

(١) فى «ك»: يوم القيامة.

(٢) فى «الأصل، وك»: قال.

(٣) فى «الأصل، وك»: سعد، والصواب مسعدة، وانظر طبقات النحويين واللغويين ص٧٢ والسير (١٠ / ٢٠٦)، وغيرهما.

﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾

صدر الناس أتينا التاجر، فكال المد والمدين إلى العام المقبل أى: كال لنا.

و﴿ يخسرون ﴾ أى: ينقصون.

وقوله: ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ﴾أى:ألا يستيقنوا أولئك أنهم مبعوثون. وعن ابن عباس أنه قال:خمس بخمس: ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكم قوم بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، وما نقصوا من المكيال والميزان إلا منعوا النبات وأجدبوا بالسنين، وما منع قوم الزكاة إلا حبس عنهم القطر.

وعن مالك بن دينار قال: دخلت على جارٍ لى أعوده، وقد نزل به الموت، فجعلت ألقنه كلمة الشهادة، وهو يقول: جبلان من نار، جبلان من نار. فما زال يقول حتى مات، فسألت عنه؟ قالوا: كان له مكيال وميزان يطفف بهما.

وقيل فى قوله: ﴿ ألا يظن ﴾ يعنى: أنهم لا يعملون عمل من يظن أنهم مبعوثون.

وقوله:﴿ ليوم عظيم ﴾ هو يوم القيامة. سماه عظيماً لعظم ما فيه وشدته.

وقوله:﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ روى ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال: «يقومون مائة سنة على رءوس قبورهم»، وعن بعض الصحابة: ثلثمائة سنة، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص: يقومون ألف عام فى الظلمة.

وروى حماد بن سلمة، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبى ﷺ أنه قال فى قوله تعالى ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ قال:« يقومون حتى يبلغ الرشح

(١) كذا قال، والمعروف أن الأخفش سعيد بن مسعدة هو الأخفش الأوسط، كما فى ترجمته فى السير وغيره، وأما الأخفش الكبير فهو أبو الخطاب البصرى، واسمه عبد المجيد بن عبد المجيد، كما فى السير (٧ / ٣٢٣) وغيره.

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾

أطراف آذانهم »[1] . قال رضى الله عنه : أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسين بن النقور، أخبرنا أبو طاهر المخلص .[2] أخبرنا ابن بنت منيع – هو أبو القاسم البغوى – أخبرنا أبو نصر التمار، أخبرنا حماد بن سلمة، الحديث . خرجه مسلم فى صحيحه عن أبى نصر التمار، وذكر البخارى هذا الحديث بإسناده، وذكر أنهم يقومون حتى يبلغ الرشح أنصاف آذانهم، وروى سليم بن عامر، عن المقداد بن الأسود أن النبى ﷺ قال : « تُدْنَى الشمس من رءوس الخلائق، حتى تكون على قدر ميل من رءوسهم » قال سليم : فلا أدرى أراد ميل المسافة أم ميل الذى يكتحل به – قال : « فتصهرهم الشمس، فيكونون فى العرق على قدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه العرق إلى كعبيه، ومنهم إلى ركبتيه، ومنهم إلى حقوه، ومنهم من يلجمه إلجاماً، ووضع رسول الله ﷺ يده على ( فمه )[3] »[4] .

وفى بعض الأخبار : « أن العرق يذهب فى الأرض سبعين ذراعا »[5] والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ كلا إن كتاب الفجار لفى سجين ﴾ كلا ردع وزجر وتنبيه، كأنه يقول : ليس الأمر كما تزعمون فارتدعوا . وقوله : ﴿ إن كتاب الفجار لفى سجين ﴾ فيه قولان : أحدهما : أنه كتاب الأعمال، والآخر : أنه أرواح الكفار، والأظهر هو الأول .

( ١ ) متفق عليه، رواه البخارى ( ٨ / ٥٦٥ رقم ٤٩٣٨ وطرفه ١٦٥٣١ ) ومسلم ( ١٧ / ٢٨٤ – ٢٨٥ رقم ٢٨٦٢ ) .

( ٢ ) فى « الأصل وك » : أبو طاهر بن المخلص، وهو أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس أبو طاهر البغدادى

( ٣ ) فى « ك » : فيه .

( ٤ ) رواه مسلم ( ١٧ / ٢٨٥ – ٢٨٦ رقم ٢٤٦٤ )، والترمذى ( ٤ / ٦١٤ رقم ٢٤٢ )، وأحمد ( ٦ / ٣–٤ )، والطبرانى فى الكبير ( ٢٠ / ٢٥٥رقم ٦٠٢ )، وابن حبان ( ١٦ / ٣٢٥ رقم ٧٣٣٠ )، والبغوى فى تفسير ( ٤ / ٤٥٨ ) .

( ٥ ) متفق عليه من حديث أبي هريرة، رواه البخارى ( ١١ / ٤٠٠ رقم ٦٥٣٢ )، ومسلم ( ١٧ / ٢٨٥ رقم ٢٨٦٣ ) . الملقب بالمخلص وهو مخلص الذهب من الغش .

وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ

وقوله: ﴿لفى سجين﴾ هو فعيل من السجن، قال عطاء الخراسانى: هو الأرض السفلى فيها إبليس وذريته. وعن مجاهد: صخرة تحت الأرض السابعة تقلب، ويجعل تحتها كتاب الفجار. وعن الحبر أنه قال فى قوله: ﴿إن كتاب الفجار لفى سجين﴾: هو روح الكافر تُقبض ويصعد به إلى السماء ،فتأبى السماء أن تقبله، ثم يهبط به إلى الأرض، فتأبى الأرض أن تقبله، فيهبط به تحت الأرضين، فيجعل تحت خد إبليس. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ :« أن الفلق جُبٌ فى جهنم مغطى، والسجين جب فى جهنم مفتوح »(١).

وقوله :﴿ وما أدراك ما سجين ﴾ قال الزجاج: لم يعلمه رسول الله حتى أعلمه الله.

وقوله: ﴿ كتاب مرقوم ﴾ أى كتاب الفجار، وقال بعضهم: كتاب مرقوم يرجع إلى السجين، والأصح ما بينا.

قوله: ﴿ ويل يومئذٍ للمكذبين ﴾ قد بينا.

وقوله :﴿ الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به إلا كل معتد أثيم إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾ أى: أباطيل الأولين وأكاذيبهم.

قوله تعالى :﴿ كلا بل ران على قلوبهم ﴾أى: غلب على قلوبهم. قال الفراء: استكثروا من المعاصى والذنوب فأحاطت بقلوبهم. وروى القعقاع بن حكيم، عن أبى صالح، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ أنه قال: « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة، فإن هو نزع واستغفر وتاب صُقلت، وإن عاد زيد فيها حتى يغلق قلبه، فهو

(١) رواه ابن جرير الطبرى ( ٣٠ / ٦١، ٢٢٥ )، واستنكره الحافظ ابن كثير فى تفسيره ( ٤ / ٥٧٣، ٤٨٥ ) وقال فى الموضع الأول: حديث مرفوع منكر. إسناده غريب ولايصح رفعه.

آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ

لرَّين الذى قال الله تعالى: ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ »[1]. قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث الشريف أبو نصر محمد بن محمد بن على الزينبى، أخبرنا أبو طاهر المخلص، أخبرنا البغوى، أخبرنا زغبة، عن الليث، عن ابن عجلان، عن القعقاع بن حكيم الحديث.

ويقال: ران أى: غطى وغشى، وهو قريب من الأول.

قال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يسود قلبه، وروى نحو هذا عن مجاهد.

قوله تعالى: ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون ﴾ فى الآية دليل على أن المؤمنين يرون الله تعالى، وقد نقل هذا الدليل عن مالك والشافعى -رحمة الله عليهما- قال مالك: لما حجب الله الفجار عن رؤيته دل أنه ليتجلى للمؤمنين حتى يروه. ومثل هذا رواه الربيع بن سليمان، عن الشافعى، قال الربيع: قلت للشافعى: أيُرى الله بهذا؟ فقال: لو لم أوقن أن الله يرى فى الجنة لم أعبده فى الدنيا. وقد رُوى هذا الدليل عن (أحمد بن يحيى بن ثعلب الشيبانى ابن عباس)[2]. وعن الحسن البصرى قال: لو عرف المؤمنون أنهم لا يرون الله فى الآخرة، لانزهقت أرواحهم فى الدنيا.

وفى الآية أبين دليل من حيث المعنى على ما قلنا،لأنه ذكر قوله: ﴿ كلا إنهم عن

(١) رواه الترمذى (٥ / ٤٠٤ رقم ٣٣٣٤) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦ / ١١٠ رقم ١٠٢٥١، ١١٦٥٨)، وابن ماجه (٢ / ١٤١٨ رقم ٤٢٤٤)، وأحمد (٢ / ٢٩٧)، وابن أبى الدنيا فى التوبة (رقم١٩٨)، وابن جرير الطبرى فى تفسيره (١ / ٨٧، ٣٠ / ٦٢)، وابن حبان فى صحيحه (٣ / ٢١٠رقم ٩٣٠)، والحاكم (٢ / ٥١٧) وصححه على شرط مسلم، والبيهقى (١٠ / ١٨٨) وفى الآداب أيضا (رقم ١٠١٦) وغيرهم.

(٢) كذا فى «الأصل وك»، وهو خطأ، والصواب: أحمد بن يحيى بن يزيد أبو العباس ثعلب كما فى ترجمته من تاريخ بغداد (٥ / ٢٠٤- ٢١٢)، وطبقات النحويين (١٤١-١٥٠)، والسير(١٤ / ٥ - ٧).

يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ

ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ فى حق الكفار عقوبة لهم، فلو قلنا: إن المؤمنين يحجبون، لم يصح عقوبة الكفار به. وقد ذكر الكلبى فى تفسيره عن ابن عباس فى هذه الآية: أن المؤمنين يرونه فى الجنة، ويحجب الكفار. وعن الحسين بن الفضل قال: كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده، كذلك فى الآخرة عن رؤيته.

وقوله: ﴿ ثم إنهم لصالوا الجحيم ﴾ أى: لداخلوا الجحيم.

وقوله: ﴿ ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون ﴾ يقال لهم ذلك على طريق التوبيخ والتعيير.

قوله تعالى: ﴿ كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين ﴾ قال الفراء: ارتفاع بعد ارتفاع. وقال كعب: يقبض روح المؤمن فيصعد به إلى السماء، فتتلقاه الملائكة إلى أن تبلغ السماء السابعة، فيوضع تحت العرش.

يقال: إن الكتاب هو كتاب الأعمال، وقد بينا أنه أظهر القولين، والمعنى: أنه يوضع فى أعلى الأمكنة إظهاراً لخسة عمل الفجار.

وقوله: ﴿ وما أدراك ما عليون ﴾ قال الزجاج: لم يدر حتى أعلمه الله.

وقوله: ﴿ كتاب مرقوم يشهده المقربون ﴾ أى كتاب مكتوب، أو كتاب عليه علامة القبول، يشهده الملائكة، وقيل: يشهده مقربو كل سماء.

قوله تعالى: ﴿ إن الأبرار لفى نعيم ﴾ أى: فى نعيم الجنة.

وقوله: ﴿ على الأرائك ينظرون ﴾ الأرائك جمع أريكة، وهى السرر فى الحجال كما بينا.

وقوله: ﴿ تعرف فى وجوههم نضرة النعيم ﴾ أى: بهجة النعيم وحسنها. وهو

﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ

مثل قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾(١).

وقوله: ﴿يسقون من رحيق مختوم﴾ روى مسروق عن ابن مسعود، وسعيد بن جبير عن ابن عباس أنهما قالا: الرحيق هو الخمر وقيل: هو الشراب الذى لا غش فيه.

وقوله: ﴿مختوم﴾ أى: لم تمسسه الأيدى.

وقوله: ﴿ختامه مسك﴾ قال إبراهيم النخعى وسعيد بن جبير: آخره رائحة المسك، وطعمه طعم ألذ الأشربة. وعن جماعة من المفسرين أنهم قالوا: إذا بلغ آخر الشرب وجد رائحة المسك والمعنى: أن الشراب الذى يكون فى الدنيا يكون فى آخره الكدر، وما تكرهه النفس، فذكر الله تعالى أن شراب الآخرة على خلافه.

وقرأ على- رضى الله عنه- «خاتمه مسك» وقرأ عيسى بن عمر «خاتِمه مسك» بكسر التاء، وقيل فى معنى قوله تعالى: «خاتَمَهُ مسك» بفتح التاء أى: (طينته)﴾(٢) مسك، وفى قوله: «خاتِمَهُ مسك» بكسر التاء أى: آخره وعاقبته.

وقوله ﴿وفى ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ أى: فليتبادر المتبادرون، والمنافسة إظهار شدة الطلب، وقيل: هى المسابقة إلى التحصيل.

وقوله: ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ قال سعيد بن جبير عن ابن عباس، وعلقمة عن ابن مسعود: هو أشرف شراب لأهل الجنة يشربه المقربون صرفًا، ويمزج للأبرار، ومثله رواه منصور عن مالك بن الحارث.

وقيل فى التسنيم: هو عين تتسنم على أهل الجنة من الغرف، وقيل: هو عين من ماء.

وقوله: ﴿عينًا يشرب بها المقربون﴾ قد بينا، ونصب عينًا بمعنى: أعنى عينًا، أو أريد عينًا.

(١) فى «ك»: طيبه.

(٢) القيامة: ٢٢ - ٢٣.

الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

وقوله: ﴿ بها ﴾ أى: منها.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين أجرموا ﴾ هم الكفار. وقيل: هذا فى قوم مخصوصين من قريش، منهم أبو جهل والوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث، والنضر بن الحارث وغيرهم.

وقوله: ﴿ كانوا من الذين آمنوا يضحكون ﴾ قيل: إنه فى قوم مخصوصين من المؤمنين منهم خباب وبلال وأبو ذر وعمار وغيرهم من فقراء الصحابة.

وقوله: ﴿ وإذا مروا بهم يتغامزون ﴾ أى: يشيرون بالأعين والحواجب.

وقوله: ﴿ وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين ﴾ أى معجبين بأفعالهم. وقيل: طيبين الأنفس مستبشرين. والعرب تقول: رجل فكه وفاكه إذا كان ضحوكا طيب النفس.

وقوله: ﴿ وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ﴾ أى: أخطأوا الحق وطريق الرشد واتبعوا الباطل.

وقوله: ﴿ وما أرسلوا عليهم حافظين ﴾ أى ما أرسلوا عليهم ليحفظوا أعمالهم. أى ما أرسل الكفار على المؤمنين، والمعنى: أنهم ما وكلوا بالمؤمنين ليحفظوا عليهم ما يفعلون. وقيل: إن هذه الآية نزلت فى المنافقين. وقيل: إنها نزلت فى أبى جهل وأصحابه.

وقوله: ﴿ من الذين آمنوا ﴾ على رضى الله عنه وأصحابه. وهو قول بعيد.

وقوله: ﴿ فاليوم الذين آمنوا ﴾ هم المؤمنون من أصحاب الرسول ﷺ.

عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

وقوله :﴿ من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون ﴾ فى بعض التفاسير إن للجنة كوى إلى أهل النار متى شاء أهل الجنة فتحوا الكوى ونظروا إلى النار وضحكوا منهم. وقد بينا معنى الأرائك من قبل.

وقوله ﴿ هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾ أى هل جوزى الكفار ما كانوا – أى بما كانوا – يفعلون.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾

# تفسير سورة الكدح

وهى مكية، والله أعلم

قوله تعالى: ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ هو فى معنى قوله: ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾[1] ويقال: انشقت بالغمام، مثل قوله تعالى: ﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام ﴾[2] وقد ذكرنا، وقيل: انشقت لنزول الملائكة. وفى تفسير النقاش: انشقت لنزول الرب عز اسمه، وهو بلا كيف، وقيل: ( مزقت )[3]. وعن على - رضى الله عنه - أنه قال: تنشق السماء من المجرة، ويقال: هى باب السماء.

وقوله: ﴿ وأذنت لربها وحقت ﴾ أى: واستمعت لأمر ربها، وحق لها أن تستمع.

قال الشاعر:

القلب تعلل بَدَدَنْ إن همى فى سماع وأَذَنْ[4]

وقال بعضهم: صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به، وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا، أى: استمعوا. وفى الخبر عن النبى ﷺ: « ما أذن الله بشىء كإذنه لنبى يتغنى بالقرآن »[5]. وأما استماع السماء فيجوز أن يكون على الحقيقة، ويجوز أن يكون استماعها انقيادها لما تؤمر به، والله أعلم.

وقوله: ﴿ وإذا الأرض مدت ﴾ أى: مدت مد الأديم لايبقى عليها جبل ولاشىء إلا

---

( ١ ) الانفطار: ١ ( ٢ ) الفرقان: ٢٥. ( ٣ ) فى « ك »: فرقت.

( ٤ ) والبيت فى لسان العرب ( ١٣ / ١٠ مادة أذن ) ونسبه لعدى، وأوله: ياأيها القلب .. فذكره.

( ٥ ) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى ( ٨ / ٦٨٦ رقم ٥٠٢٣ وأطرافه ٥٠٢٤، ٧٤٨٢، ٧٥٤٤ )، ومسلم ( ٦ / ١١٢-١١٤ رقم ٧٩٢ ).

**وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾**

دخل فى جوفها، وقيل: زيد فى سعتها لتسعهم.

وعن بعضهم :غيرت عن هيئتها بالتبديل، وغير ذلك،فهو معنى قوله: ﴿ مدت ﴾.

وقوله :﴿ وألقت مافيها وتخلت ﴾ أى :وألقت مافى جوفها، من الكنوز والموتى فخلى جوفها، ويقال: ألقت بما استودعت، وتخلت عما استحفظت، وكأنها ألقت ما على ظهرها، وتخلت عما فى جوفها.

وقوله ﴿ وأذنت لربها وحقت ﴾ قد بينا.

فإن قيل: أين جواب قوله: ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ وهو يقتضى جوابا؟ والجواب من وجوه: قال الفراء: جوابه محذوف، والمعنى: إذا السماء انشقت وكان كذا، رأى كل إنسان ماوجد من الثواب والعقاب، ويقال: علم كل منكر للبعث أنه كان فى ضلالة وخطأ.

والوجه الثانى: أن الجواب قوله: ﴿ وأذنت ﴾ والواو زائدة، فالجواب: أذنت.

والوجه الثالث: أن الجواب قوله: ﴿ فملاقيه ﴾ أى: يلقى عمله من خير وشر.

والوجه الرابع: أن فى الآية تقديمًا وتأخيرًا، والمعنى: ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا فملاقيه إذا السماء انشقت.

قوله تعالى: ﴿ ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا فملاقيه ﴾ قال قتادة: عامل لربك عملاً. والكدح هو السعى بتعب ونصب.

قال الشاعر:

**ومضت بشاشة كل عيش صالح وبقيت أكدح للحياة وأنصب**

ويجوز أن يكون ذكر الواحد هاهنا بمعنى الجمع، فيكون بمعنى ياأيها الناس. وكان الحسن البصرى يقول: ياأيها الرجل ، وكلكم ذلك الرجل.

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾

وقوله تعالى: ﴿ فملاقيه ﴾ قال قتادة: أى: فملاقٍ عملك من خير وشر.

ويقال: ملاقٍ ربك.

وقوله: ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا ﴾. أى هينًا، وقيل فى اليسير: هو أن يقبل الحسنات، ويتجاوز عن السيئات. وقد ثبت برواية أبى مليكة(١) عن عائشة أن النبى ﷺ قال: «من نوقش فى الحساب هلك، قلت: يارسول الله، فإن الله عز وجل يقول: ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا ﴾ قال: ذلك العرض»(٢) قال رضى الله عنه أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسين ابن النقور، أخبرنا أبو طاهر (بن)(٣) المخلص، أخبرنا أبو محمد يحيى بن صاعد،(٤) أخبرنا الحسن بن الحسين المروزى، عن عبد الله بن المبارك، عن عثمان بن الأسود، عن ابن أبى مليكة الخبر.

وأورد أبو عيسى برواية (ابن عمر)(٥) أن النبى ﷺ قال: «من حوسب عذب»(٦)، وهو بإسناد غريب. وفى رواية ثالثة عن عائشة - رضى الله عنها- أن النبى ﷺ رآها، وقد رفعت يديها وهى تقول: اللهم حاسبنى حسابًا يسيرًا. فقال: «ياعائشة، أتدرين

(١) كذا فى «الأصل و ك»، والصواب ابن أبى مليكة، وهو عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة من رجال التهذيب، وهوالراوى عن عائشة -رضى الله عنها- وسيأتى على الصواب فى إسناد المصنف للحديث.

(٢) تقدم تخرجه.

(٣) كذا، وهو أبو طاهر المخلص، وقد سبق التنبيه عليه.

(٤) فى «الأصل، وك»: أبو محمد بن يحيى ..والصواب أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد بن كاتب الإمام الحافظ المجود المشهور، فهو يروى عن المروزى، وعنه أبو طاهر المخلص كما فى ترجمته من سير الأعلام (١٤ / ٥٠١ - ٥٠٧).

(٥) كذا، وإنما هو عن أنس بن مالك.

(٦) رواه الترمذى (٥ / ٤٠٦ رقم ٣٣٣٨) وقال: غريب، وابن عدى فى الكامل (٥ / ١٨٢) عن أنس به. وعزاه فى كشف الخفاء أيضا للضياء فى المختارة (٢ / ٣٣٨).

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾

ما ذلك الحساب؟ قالت عائشة: فقلت ذكر الله فى كتابه: ﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسير﴾ فقال رسول اللهﷺ: من حوسب خصم، وذلك الممر بين يدى الله تعالى». وذكر الحاكم أبو عبد الله الحافظ فى المستدرك على الصحيحين بإسناده عن أبى هريرة أن النبىﷺ قال: «ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابًا يسيرًا، وأدخله الجنة برحمته. قال أبو هريرة: قلت يارسول الله، لمن ذلك؟ قال: «أن تصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطى من حرمك»(١).

وقوله: ﴿وينقلب إلى أهله مسرورًا﴾ أى: فرحًا مستبشرًا، ويجوز أن ينقلب إلى أهله من الحور العين، ويجوز أن يكون المعنى ينقلب إلى أهله الذين كانوا له فى الدنيا، وقيل: نزلت فى أبى سلمة بن عبد الأسد، وكان زوج أم سلمة، وهو أول من هاجر إلى المدينة.

وقوله: ﴿وأما من أوتى كتابه وراء ظهره﴾ نزلت فى الأسود بن عبد الأسد.

قوله تعالى: ﴿وأما من أوتى كتابه وراء ظهره﴾ قال مجاهد: يخلع يده اليمنى، ويجعل يده اليسرى وراء ظهره، فيوضع كتابه فيها.

وقال الكلبى: تغل يده اليمنى، ويوضع كتابه فى شماله من وراء ظهره. وروى أبو

(١) رواه البزار (٢ / ٢٤٦ رقم ١٧٩٥–مختصره)، وابن أبى الدنيا فى مكارم الأخلاق (رقم٢١)، والطبرانى فى الأوسط (٥ / ١٦٦–١٦٧ رقم ٢٨٥٦–مجمع البحرين)، وابن عدى(٣ / ٢٧٦–٢٧٧)،والحاكم (٢ / ٥١٨) وصححه ،وتعقبه الذهبى بقوله: سليمان – يعنى ابن داود اليمامى– ضعيف، والبيهقي (١٠ / ٥٣٤). قلت: وأعله الحافظ ابن حجر فى مختصر البزار بسليمان بن داود وقال: ليس بالقوى، ولايتابع على حديثه، ومثله الهيثمى فى المجمع (٨/ ١٥٧). وقال: سليمان بن داود متروك وكذلك المنذرى فى الترغيب(٣ / ٣٠٨) وقال: سليمان واه.

فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾

موسى الأشعرى -وهو عبد الله بن قيس -أن النبى ﷺ قال: «يكون فى القيامة ثلاث عرضات: فعرضتان جدال ومعاذير، والعرضة الثالثة عند تطاير الصحف، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله»(١). وذكر النقاش فى تفسيره بإسناده أن النبى ﷺ قال: «من حاسب نفسه فى الدنيا هون الله عليه الحساب فى الآخرة».

﴿فسوف يدعو ثبوراً﴾ معناه: يقول واثبوراه، ومعنى قوله: واثبوراه: واهلاكاه. يقال: رجل مثبور أى: هالك.

وقوله: ﴿ويصلى سعيراً﴾ أى: يقاسى النار، ويقال: يدخل، ومنه قوله تعالى ﴿اصلوها﴾(٢) أى: ادخلوها، وقرئ: «ويُصلى سعيراً» أى: يكثر عذابه بنار جهنم، ذكره الأزهرى.

قوله تعالى: ﴿إنه كان فى أهله مسرورا﴾ **أى**: لم يحزن للتقصير فى أوامر الله تعالى، ولم يتعب، ولم ينصب فى العمل بطاعة الله، ذكره القفال. ويقال: كان فى أهله مسروراً، أى: راكبًا هواه، متبعًا شهوته.

وقوله ﴿إنه ظن أن لن يحور﴾ أى: أن لن يرجع إلى الله تعالى، وهو إخبار عن إنكاره بالبعث.

وقوله: ﴿يحور﴾ يرجع، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «أعوذ بالله من الحُور بعد الكور»(٣) أى: النقصان بعد الزيادة. وفى رواية: «من الحَوْر بعد الكور» أى: من انتشار أمره بعد أن كان مجتمعًا، أو من فساد أمره بعد أن كان صالحًا.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) يس: ٤٦، الطور: ١٦.

(٣) رواه مسلم (٩ / ١٥٩-١٦٠ رقم ١٣٤٣)، والترمذى (٥ / ٤٦٤ رقم ٣٤٣٩) وقال: حسن صحيح، والنسائى (٨ / ٢٧٢ رقم ٥٤٩٨، ٥٤٩٩)، وابن ماجه (٢ / ١٢٧٩ رقم ٣٨٨٨)، وأحمد (٥ / ٨٣)، وابن خزيمة (٤ / ١٣٨ رقم ٢٥٣٣) جميعهم عن عبد الله بن سرجس به.

﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾

وقال الشاعر:

**وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يحورُ رماداً بعد إذ هو ساطع**

وقوله: ﴿بلى إن ربه كان به بصيراً﴾ أى: عالمًا.

وقوله تعالى: ﴿فلا أقسم بالشفق﴾ أى: أقسم بالشفق، قال مجاهد: هو النهار كله(١). والمعروف أن الشفق هو الحمرة من عند غروب الشمس إلى العشاء الآخرة. قال الفراء: سمعت العرب تقول على فلان ثوب كأنه الشفق، وكان عليه ثوب مصبوغ بالحمرة. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «الشفق هو الحمرة»(٢). وهو قول جماعة من الصحابة وجماعة من التابعين منهم: ابن عمر، وسعيد بن المسيب، وغيرهما.

وعن أبى هريرة: أن الشفق هو البياض، وهو قول عمر بن عبد العزيز.

قوله: ﴿والليل وماوسق﴾ أى: وما جمع ولف، وضم الأشياء بعد انتشارها، وإنما قال ذلك؛ لأنه إذا كان الليل آوى كل شىء إلى مأواه، وَرَجَعَ كل إنسان إلى منزله، وإذا كان النهار انتشروا فى التصرف.

وقوله: ﴿والقمر إذا اتسق﴾ أى: إذا اجتمع ضوءه، ويقال: امتلأ نوراً، وهو ليلة الثالث عشر من الشهر والرابع عشر والخامس [عشر](٣).

---

(١) فى «الأصل»: وكله.

(٢) رواه الدار قطنى (١ / ٢٦٩)، والبيهقى (١ / ٣٧٣) عن ابن عمر مرفوعا وموقوفا به. وقال البيهقى: والصحيح موقوف.

(٣) من «ك».

لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾

قال الشاعر:

**إن لنا قلائصا حقائقا  مستوسقات (لو)[1] يجدن سائقًا**

وقوله ﴿لَتَرْكَبُنَّ طبقا عن طبق﴾ وقرئ: «**لَتَرْكَبُنَّ**» على الوحدان، فمن قرأ على الجمع فمعناه: لتركبن أيها الناس حالاًبعد حال، والحال هو بمعنى الطبق.

قال الشاعر:

**فبينا المرء فى عيش لذيذ ناعم  خفض أتاه طبق يومًا على منقلب دحض**

ومعنى حال بعد حال: هو أنه يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم ينفخ فيه الروح، وبعد ذلك تتبدل أحواله، ويختلف على المعهود المعلوم من طفولية، وشباب، وهرم، وغير ذلك. ويقال: لتركبن طبقًا عن طبق أى: شدة على شدة، والمعنى: أنه حياة ثم موت ثم بعث ثم جزاء.

فأما القراءة على الوحدان ففيه قولان:

أحدهما: أن المراد منه السماء، والمعنى: أنه ينشق ويكون مرة كالدهان، ومرة كالمهل، ومرة مشقوقة، ومرة صحيحة، وهو مروى عن ابن مسعود وغيره.

والقول الثانى: أنه خطاب للنبى ﷺ، والمعنى لتركبن أطباق السماء طبقًا على طبق، وذلك ليلة الإسراء، ويقال: لتركبن طبقًا عن طبق يعنى: أصلاب الآباء، وذلك للرسول ﷺ. قال العباس فى مدح النبى ﷺ:

**من قبلها طبت فى الصلاب  وفى مستودع حين يخصف الورق.**

**تنقل من صالب إلى رحم  إذا مضى عالم بدا طبق**

(١) فى «ك»: لم.

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

وقوله ﴿ فما لهم لايؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون ﴾ فى التفسير :أن النبى ﷺ سجد وأصحابه، والكفار على رؤوسهم يصفقون ويصفرون فأنزل الله تعالى ﴿ فما لهم لايؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون ﴾ وقد ثبت برواية أبى هريرة « أن النبى ﷺ سجد سجد فى هذا الموضع »(١) .

وقوله ﴿ بل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون ﴾ أى: يكتمون ويجمعون فى صدورهم.

قوله ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ أى أجعل لهم النار موضع البشارة للمؤمنين بالجنة.

وقوله ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ﴾ أى غير منقوص ولامقطوع. ويقال: لايمتن عليهم أحد غير الله تعالى فيكدره عليهم المنة والله أعلم.

(١) متفق عليه، رواه البخارى ( ٢ / ٢٩٢ رقم ٧٦٦ وأطرافه٧٦٨، ١٠٧٤، ١٠٧٨ )ومسلم ( ٥ / ١٠٦ – ١٠٩ رقم ٥٧٨ ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾

# تفسير سورة البروج

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ أى: النجوم العظام. قال عكرمة: ذات القصور. ويقال: ذات الخلق الحسن، ويقال: ذات المنازل، وهى منازل القمر، وهى ثمانية وعشرون منزلا ذكرناها من قبل.

وقوله: ﴿ واليوم الموعود ﴾ وهو يوم القيامة بالاتفاق.

وقوله: ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ فيه أقوال: روى أبو إسحاق، عن الحارث، عن على- رضى الله عنه -أن الشاهد هو يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة. قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الأثر أبو محمد عبد الله بن محمد الصريفينى، أخبرنا أبو القاسم بن حبابة أخبرنا أبو القاسم البغوى، عن على بن الجعد، عن شريك، عن [أبى][1] إسحاق

الأثر. والقول الثانى: الشاهد يوم النحر، والمشهود يوم عرفة، قاله إبراهيم النخعى. والقول الثالث: أن الشاهد هو الملائكة، والمشهود هو الإنسان، قاله السدى، والقول الرابع: أن الشاهد هو محمد ﷺ، والمشهود يوم القيامة، وهو مروى عن الحسن بن على، وابن عمر، وابن الزبير - رضى الله عنهم- والقول الخامس: الشاهد هو الله،

(١) فى «الأصل و ك»: ابن، وهو تحريف، وهوابو إسحاق الهمدانى عمرو بن عبد الله بن عبيد السبيعى الراوى عن الحارث الأعور، كما فى ترجمته من تهذيب الكمال، وقد سبق على الصواب فى أول الأثر.

## قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴿٤﴾

والمشهود هو يوم القيامة، والقول السادس: أن الشاهد هو عيسى ابن مريم، والمشهود يوم القيامة، والقول السابع: أن الشاهد هو الجوارح، والمشهود هو نفس الإنسان، والقول الثامن: أن الشاهد يوم الاثنين، والمشهود يوم الجمعة، وشهادة الأيام شهادتها على الأعمال ومعنى المشهود فى الأيام هو أنه يشهدها الناس، وهو فى يوم القيامة على معنى أنه تشهده الملائكة وجميع الخلائق.

قوله تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ والأخدود جمع خد، وهو شق فى الأرض، واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية؟. قال على: فى قوم من الحبشة، وعن مجاهد: فى قوم من نجران، وعن ابن عباس: فى قوم من اليمن، وعن بعضهم قوم بالروم، وقيل غير ذلك.

وفى التفسير: أنه كان بنجران قوم على شريعة عيسى بن مريم - صلوات الله عليه- يدينون بالتوحيد، فجاءهم ذو نواس وأحضرهم - وهو ملك من ملوك اليمن - وخيرهم بين اليهودية والإحراق بالنار، فاختاروا الإحراق بالنار ،فخدَّ لهم أخدوداً، وأضرم فيها النار، وأمرهم بالتهود أو يلقوا أنفسهم فيها، فألقوا أنفسهم فيها حتى احترقوا.

وفى بعض التفاسير: أنه كان فى آخرهم امرأة ومعها صبى رضيع، فلما بلغت النار توقفت فتكلم الصبى وقال: يا أماه، سيرى ولا تنافقى، فإنما هى غميضة. وقد ذكر مسلم فى الصحيح فى هذا قصة طويلة، وكذلك أبو عيسى على غير هذا الوجه الذى ذكرنا، وذكرا فيه حديث الملك والراهب والساحر، وهو ما روى عن ثابت البنانى، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن صهيب قال: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر همس، والهمس فى بعض قولهم تحرك شفتيه كأنه يتكلم، فقيل له: إنك يا رسول الله إذا صليت العصر همست قال: إن نبيا من الأنبياء كان أعجب بأمته،مَنْ يقوم لهؤلاء؟ فأوحى الله إليه أن خيرهم بين أن أنتقم منهم وبين أن أسلط

عليهم عدوهم، فاختاروا النقمة، فسلط عليهم الموت فمات منهم فى يوم سبعون ألفا قال: وكان إذا حدث بهذا الحديث حَدَّثَ بهذا الحديث الآخر، قال: كان ملك من الملوك، وكان لذلك الملك كاهن يكهن له، فقال (الكاهن)[1]: انظروا لى غلاما (فهما)[2] - أو قال فَطِنًا لَقِفًا - فأعلمه علمى هذا، فإنى أخاف أن أموت فينقطع منكم هذا العلم، ولا يكون فيكم من يعلمه. قال: فنظروا له على ما وصف، وأمروه أن يحضر ذلك الكاهن وأن يختلف إليه. قال: فجعل يختلف إليه، وكان على طريق الغلام راهب فى صومعةٍ - قال معمر: أحسب أن أصحاب الصوامع كانوا يومئذ مسلمين- قال: فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلَّما مر به، فلم يزل به حتى أخبره، فقال: إنما أعبدُ اللهَ. قال: فجعل الغلام يمكث عند الراهب، ويبطئ عن الكاهن، فأرسل الكاهن إلى أهل الغلام إنه لا يكاد يحضرنى، فأخبر الغلام الراهب بذلك، فقال له الراهب: إذا قال لك الكاهن: أين كنت؟ فقل: عند أهلى، فإذا قال لك أهلك: أين كنت؟ (فأخبرهم أنك)[3] كنت عند الكاهن. قال فبينما الغلام على ذلك إذ مر بجماعة من الناس كثير قد حبستهم دابة- وقال بعضهم: إن الدابة كانت أسدا- قال: فأخذ الغلام صخرًا وقال: اللهم إن كان ما يقول الراهب حقًّا فاسألك أن أقتله، ثم رمى فقتل الدابة. فقال الناس: من قتلها؟ فقالوا: الغلام، ففزع الناس وقالوا: قد علم هذا الغلام علمًا لم يعلمه أحد. قال: فسمع به أعمى، وقال له: إن أنت رددت بصرى فلك كذا كذا. فقال له: لا أريد منك هذا، ولكن إن أنت شرطت إن رجع إليك بصرك أن تؤمن بالذى رده عليك فعلت؟ قال: فدعا الله فرد عليه بصره، فآمن الأعمى، فبلغ الملك أمرهم، فبعث إليهم، فأُتىَ بهم فقال: لأقتلن كل واحد منكم قتلة لا أقتل [بها][4] صاحبه، فأمر بالراهب والرجل الذى كان أعمى فوضع المنشار على مفرق أحدهما فقتله، وقتل الآخر بقتلة أخرى، ثم أمر بالغلام فقال: انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا فألقوه من رأسه، فلما انتهوا إلى ذلك المكان الذى أرادوا أن يلقوه منه جعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ويتردَّون، حتى لم يبق منهم إلا

(١) فى «ك»: للملك.
(٢) فى «ك»: فيهما.
(٣) فى «ك»: فقل.
(٤) فى «الأصل وك»: به.

الغلام. قال: ثم رجع، فأمر به الملك أن ينطلقوا به إلى البحر فيلقوه فيه، فانطلقوا إلى البحر، فغرَّق الله الذين كانوا معه وأنجاه، فقال الغلام: إنك لا تقتلنى حتى تصلبنى وترمينى، وتقول إذا رميتنى: باسم الله ربِّ هذا الغلام. قال: فأمر به فصلب ثم رماه، وقال: باسم الله رب هذا الغلام. قال: فوضع الغلام يده على صدغه حين رمى به ثم مات، فقال الناس: لقد علم هذا الغلام علماً ما علمه أحد، فإنا نؤمن برب الغلام. قال: فقيل للملك: [أجزعت][1] إن خالفك ثلاثة، فهذا العالم كلهم قد خالفوك. قال: فخدَّ أخدوداً، ثم ألقى فيها الحطب والنار، ثم جمع الناس. فقال: من رجع عن دينه تركناه، ومن لم يرجع ألقيناه فى هذه النار، فجعل يُلقيهم فى تلك الأخدود. قال: يقول الله تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود﴾ حتى بلغ ﴿ذو العرش المجيد﴾ قال: فأما الغلام فإنه دفن. قال: فذكر أنه أخرج فى زمن عمر بن الخطاب، وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل»[2]. قال أبو عيسى: حديث حسن غريب (صحيح)[3]. قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو عبد الرحمن ابن عبد الله بن أحمد، أخبرنا أبو العباس بن سراج، أخبرنا أبو العباس [المحبوبى][4]، أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر... الخبر. وذكر مسلم هذا الخبر فى كتابه، وخالف فى مواضع أخر منه.

وفى بعض الروايات: أن اسم ذلك الغلام كان عبد الله بن التامر. قال محمد بن إسحاق: حفر فى زمن عمر -رضى الله عنه- حفيرة، فوجدوا عبد الله بن التامر، ويده على صدغه فكان كلما أخروا يده عن ذلك الموضع (انثعب)[5] دما، وإذا تركوا

(١) فى «الأصل وك»: أفزعمت، وهو خطأ والتصويب من جامع الترمذي (٥ / ٤٠٨) وهى الرواية التى ينقل عنها المصنف هذا الحديث.

(٢) رواه مسلم (١٨ / ١٧٧-١٨٠ رقم ٣٠٠٥)، والترمذي (٥ / ٤٠٧-٤٠٩ رقم ٣٣٤٠) وقال: حسن غريب، والنسائى فى الكبرى (٦ / ٥١٠-٥١٢ رقم ١١٦٦١)، وأحمد (٦ / ١٧-١٨)، وعبد الرازق (٥ / رقم ٩٧٥١)، والطبرانى فى الكبير (٨ / ٤١-٤٥رقم ٧٣١٩، ٧٣٢٠).

(٣) كذا، ولعلها مقمحة، فالذى فى تحفة الأشراف(٤ / ١٩٩) وفى سنن الترمذي: حسن غريب.

(٤) فى «الأصل وك»: محبوب، وهو خطأ، وهو أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب المحبوبى المروزى. (٥) فى «ك»: انتقب.

النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾

اليد ارتدت إلى مكانها، وكان فى أصبعه خاتم حديد مكتوب عليه: ربى الله، فأمر عمر أن يرد إلى ذلك الموضع كما وجد.

وعن الحسن البصرى أن النبى ﷺ كان إذا ذكر هذه القصة قال: «اللهم إنى أعوذ بك من جهد البلاء» (١). وقد ذكر بعض أهل المعانى أن قوله: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ هو جواب القسم.

قوله: ﴿النار ذات الوقود﴾ على قول البدل من الأخدود كأنه قال: «قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود، والوقود» ما يوقد به النار، وقيل: ذات الوقود أى: ذات التوقد، وهو الأصح.

قوله: ﴿إذ هم عليها قعود﴾ أى: جلوس، وفى القصة: أن الملك وأصحابه كانوا قد قعدوا على كراسى عند الأخاديد.

وقوله: ﴿وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾ فعل ما فعل بالمؤمنين بحضورهم.

وقوله: ﴿وما نقموا منهم﴾ قال ابن عباس: وما كرهوا. وعن غيره: وما عابوا. وذكر الزجاج: ما أنكروا. قال عبد الله بن قيس (بن)(٢) الرقيات:

**ما نقموا من بنى أمية إلا ... أنهم يحلمون إن غضبوا**

**وأنهم سادة الملوك ... فلا يصلح إلا عليهم العرب**

وقوله: ﴿إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ والمعنى أنهم ما أنكروا عليهم إلا إيمانهم بالله.

(١) رواه ابن أبى شيبة (١٣ / ٢٢٧ رقم ١٦١٨٠)، وعبد بن حميد-كما فى الدر (٦ / ٣٧١) عن الحسن بنحوه.

(٢) كذا، والصواب أن الرقيات لقب لعبد الله بن قيس كما فى الألقاب لابن حجر (١ / ١٢٨-٣٢٩) وغيره.

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ

وقوله: ﴿ العزيز الحميد ﴾ أى: الغالب بقدرته، الحميد فى أفعاله.

قوله تعالى: ﴿ الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء شهيد ﴾ ظاهر المعنى. قال الزجاج: والمراد من الآية أن الله تعالى ذكر قومًا بلغت بصيرتهم فى الدين أن خيروا بين الكفر وبين الإحراق بالنار، فصبروا حتى أحرقوا بالنار. وقد ورد فى بعض الأخبار عن النبى ﷺ قال: «لا تشرك بالله وإن قتلت وأحرقت»(١).

قوله تعالى: ﴿ إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ﴾ أى: أحرقوا، يقال: فتنت الذهب بالنار إذا أدخلته فيها، ويقال: حرة فتين إذا كانت سوداء كالمحترقة ( ﴿ ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴾ )(٢) بكفرهم ونوعا من العذاب بإحراقهم المؤمنين. وعن الربيع بن أنس: أن النار التى أحرقوا المؤمنين فيها ارتفعت من الأخدود، فأحرقت الملك وأصحابه، فهو معنى قوله: ﴿ ولهم عذاب الحريق ﴾.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير ﴾ أى: العظيم، وهذا على ما جرى أمر القرآن، فإنه إذا ذكر الوعد للكفار يذكر الوعد للمؤمنين بجنبه، وهو ظاهر فى أكثر القرآن.

قوله تعالى: ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ البطش هو الأخذ بعنف وشده.

قوله تعالى ﴿ إنه هو يبدئ ويعيد ﴾ أى: يبدئ الخلق فى الدنيا، ثم يعيدهم فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ وهو الغفور الودود ﴾ الغفور هو الستور بذنوب عباده، الودود هو

(١) رواه ابن ماجه ( ٢ / ١٣٣٩رقم ٤٠٣٤ ) عن أبى الدرداء. وقال الحافظ فى تلخيص الحبير ( ٢ / ٢٣٩رقم ٨١٠ ): وفى إسناده ضعف وفى الباب عن معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وثوبان، وأم أيمن. ضعف. وأميمة مولاة النبى ﷺ. وراجع تلخيص الحبير.

(٢) سقط تفسير آخر الآية، وهى من قوله: ﴿ ثم لم يتوبوا.....الحريق ﴾.

﴿الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾

المحب للمؤمنين، وقيل: المتودد إلى المؤمنين بجميل أفعاله وكثير إحسانه. وذكر الأزهرى: أنه يجوز أن يكون الودود، بمعنى المودود كالحلوب والركوب بمعنى المحلوب والمركوب، فعلى هذا فى قوله: ﴿الودود﴾ معنيان: أحدهما: أنه المحب لعباده المؤمنين. والآخر: الذى يحبه المؤمنون.

وقوله: ﴿ذو العرش المجيد﴾ قرأ أكثر القراء بالرفع، وقرأ حمزة والكسائى بالخفض. والعرش هو السرير فى اللغة، وأما فى القرآن هو العرش المعروف فوق السماوات. وفى التفسير: أنه لا يقدر قدره. وعن بعضهم: ذو العرش ذو الملك، يقال: كل عرش فلان أى: ملك فلان، ويقال: تبوأ فلان على سرير ملكه أى: استقر ملكه، وإن لم يكن ثم سرير فى ذلك الوقت، حكاه القفال، والقول الصحيح الأول. وأما قراءة الرفع فهو صفة الله تعالى، وذلك بمعنى العلو والعظمة، وأما قراءة الخفض ففيه أقوال: أحدهما: أنه صفة العرش، ومعنى المجيد فيه العالى الرفيع، والقول الثانى: أنه صفة الله تعالى إلا أنه خفض بالجوار، والقول الثالث: أنه راجع إلى قوله: ﴿إن بطش ربك﴾ كأنه قال: إن بطش ربك المجيد لشديد، أورده النحاس. وعن بعضهم: أن جواب القسم قوله: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ وهو قول الأكثرين.

وقوله تعالى: ﴿فعال لما يريد﴾ أى: ما يشاء ويختار.

وفى بعض الآثار أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه مرض فدخل القوم يعودونه فقالوا له: ألا ندعو لك طبيبا؟ فقال: قد دعوته. فقالوا: فماذا قال؟ قال أبو بكر: فقال أنا فاعل لما أريد.

قوله تعالى ﴿هل أتاك حديث الجنود﴾ أى قد آتيك حديث الجنود.

وقوله ﴿فرعون وثمود﴾ أى جنود فرعون وثمود. وذكر النقاش أن فرعون لما أتبع بنى إسرائيل كانوا خمسة آلاف وخمسمائة ألف.

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

وقوله ﴿ بل الذين كفروا فى تكذيب ﴾ أى فى تكذيب الرسل.

وقوله ﴿ والله من وراءهم محيط ﴾ أى محيط بأفعالهم وأقوالهم.

وقوله ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ فى بعض التفاسير أن الرسول لما قرأ عليهم ما ذكرنا من الآيات قالوا له : لعلك غلطت أو سهوت؟ ولعل الذى ينزل عليك ليس من قبل الله؟ فأنزل الله تعالى ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ هو المتجمع بخصال الخير. وقرأ محمد اليمامى: « بل هو قرآن مجيد » على الإضافة معنى قرآن رب مجيد.

وقوله ﴿ فى لوح محفوظ ﴾ قرئ بالرفع والخفض مع التنوين فيهما، ففى الرفع ينصرف إلى القرآن، وفى الخفض ينصرف إلى اللوح. وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن اللوح المحفوظ من درة بيضاء دفتاه ياقوت أحمر كتابته نور وقلمه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يميت ويحيى، ويعز ويذل، ويفقر ويغنى، ويفعل ما يشاء.

وفى بعض الأخبار: أنه مكتوب فى صدره لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله إلا الله محمد رسول الله. وذكر الحفظ هاهنا ليبين أن ما يوحى إليه من القرآن هو محفوظ من السهو والغلط، وأن ما يقوله النبى ﷺ يقوله عن الله سبحانه وتعالى. وعن فرقد السبخى: أن قوله: ﴿ فى لوح محفوظ ﴾ هو قلب المؤمن، وهو قول ضعيف، والله أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾

# تفسير سورة الطارق
## وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ والسماء والطارق ﴾ الطارق هاهنا هو النجم، وأما فى لغة العرب فالطارق هو كل ما يطرق ليلا، وقد قيل: هو الذى يطرق ليلا كان أو نهاراً.

وأما قول القائل:

**نحن بنـــات طـــارق**

أى: بنات النجوم شرفًا وعلواً.

وقال جرير:

**طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت المقـامة فارجعى بســلام**

وقوله: ﴿ وما أدراك ما الطارق ﴾ إنما قال ذلك؛ لأن الطارق يتناول النجم وغيره، فذكر هاهنا قوله: ﴿ وما أدراك ما الطارق ﴾ لأن الرسول ﷺ لم يدر أى طارق أراد.

وقوله: ﴿ النجم الثاقب ﴾ قال ابن عباس: المضىء. وعن مجاهد: هو المتوهج. وعن بعضهم: هو المستدير. وعن بعضهم: الثاقب النجم الذى يثقب الشياطين بالنار. وذكر الفراء: أنه زحل، وهو أكبر النجوم. وقد حكى هذا القول عن على. وعن بعضهم: أنه نجم خلقه الله فى السماء السابعة، لم يخلق فيها غيره، يطرق

إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾

السموات ثم يرجع إلى مكانه. وعلى القول الذى قلنا [أن زحل هو الثاقب][1]، يعنى أنه يثقب السموات بضيائه. وعن ابن زيد: أنه الثريا. والعرب إذا أطلقت النجم عنت به الثريا.

وقوله: ﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾ هو جواب القسم. وقد قرئ بالتشديد والتخفيف، فمعنى التشديد: إلا عليها حافظ، ومعنى التخفيف: لعلها حافظ، و«ما» زائدة، والحافظ: هو الملك، وعن بعضهم: قرينه الذى يحفظ عليه عمله، وقيل: الحافظ هو الله تعالى يحفظ عليهم أعمالهم.

وقوله تعالى: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾ أى: من أى شىء خلق.

وقوله: ﴿خلق من ماء دافق﴾ أى: مدفوق مثل قوله تعالى: ﴿فى عيشة راضية﴾[2] أى: مرضية، وقيل: ﴿ماء دافق﴾ أى: منصب جار.

وقوله: ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ أى: من صلب الرجل، وترائب المرأة. وفى الخبر: أنه يخرج من كل خرزة من صلبه، والترائب ثمانية أضلاع: أربعة يمنة، وأربعة يسرة، وقيل: هو الصدر، وقيل: بين الثديين، وقيل: ما دون الترقوة.

وقوله: ﴿إنه على رجعه لقادر﴾ فيه أقوال: أحدها: على رد النطفة فى الإحليل لقادر، قاله مجاهد وإبراهيم وعكرمة، والقول الثانى: هو قادر أن يرده إلى حالة الطفولية، وقيل: يرد من (الشيخوخية)[3] إلى الكهولة، ومن الكهولة إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصغر، ومن الصغر إلى الطفولية، ومن الطفولية إلى رحم المرأة، ومن الرحم إلى الصلب، فهو معنى قوله: ﴿إنه على رجعه لقادر﴾.

والقول الثالث - وهو أولى الأقاويل- أن المراد منه، أنه على إحيائه بعد الإماتة لقادر، ذكره الفراء والزجاج وغيرهما.

---

(١) فى «الأصل، ك»: الذى زحل معنى الثاقب!

(٢) الحاقة: ٢١.

(٣) فى «ك»: الشيخوخة.

يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿يوم تبلى السرائر﴾ أى: تختبر وتمتحن، وقيل: تظهر، وهو الأولى. وفى التفسير: أنه يظهر سر كل إنسان ،ويبدو أثره على وجهه، فتبيض بعض الوجوه، وتسود بعض الوجوه.

وقوله: ﴿فما له من قوة ولا ناصر﴾ أى: قوة يتقوى بها، وناصر ينصره، فيدفع به العذاب عن نفسه.

وقوله تعالى: ﴿والسماء ذات الرجع﴾ أى: المطر، وهو القول المعروف، وسمى المطر رجعًا؛ لأنه يرجع مرة بعد أخرى.

والقول الثانى : أنه الشمس والقمر والنجوم، وسميت رجعًا؛ لأنها تطلع وتغيب، وترجع من المغرب إلى المشرق.

وقوله: ﴿والأرض ذات الصدع﴾ أى: النبات، وهو قول الجميع، وسمى صدعًا؛ لأن الأرض تنصدع به.

وقوله: ﴿إنه لقول فصل﴾ أى: ذو فصل، وهو الفصل بين الحق والباطل.

وقوله: ﴿وما هو بالهزل﴾ أى: باللعب والعبث، والمعنى: أنه قول جد.

قوله تعالى: ﴿إنهم يكيدون كيداً﴾ أى: يمكرون مكراً، والكيد فى اللغة هو صُنع يصل به إلى الشيء على الخفية والاستتار.

﴿وأكيد كيداً﴾ الكيد من الله هو الاستدراج من حيث لا يعلمون الكفار، والاستدراج هو الأخذ قليلا قليلا، وقيل: هو الأخذ من حيث يخفى عليهم، وقيل: ﴿وأكيد كيداً﴾ أى: أعاقبهم عقوبة كيدهم.

وقوله: ﴿فمهل الكافرين﴾ أى: أمهل الكافرين، وهذا قبل آية السيف.

فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

وقوله: ﴿أمهلهم رويداً﴾ أى: أمهلهم قليلا، والعرب تقول: رويدك يا فلان أى: كن على أودة ورفق، وأما هاهنا فهو بمعنى القليل على ما بينا. وقد أخذهم يوم بدر بالسيف، وسيأخذهم بعذاب الآخرة عن قريب.

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴿١﴾

# تفسير سورة الأعلى

## وهى مكية

وفى رواية الضحاك أنها مدنية، والأصح هو الأول، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ أى: عظم ربك الأعلى، وقيل: نزه، وتنزيه الله - عز اسمه - ألا يوصف بوصف لا يليق به. وروى أبو صالح، عن ابن عباس أن معناه: صل بأمر ربك، وقيل: صل لربك المتعالى. وفى الآية دليل أن الاسم والمسمى واحد؛ لأن المعنى سبح اسم ربك الأعلى وفى قراءة أُبَى: «سبحان ربك الأعلى».

وقال الشاعر:

**إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر**

أى: ثم السلام عليكما. وروى إسرائيل، عن ثوير بن أبى فاختة، عن أبيه، عن على - رضى الله عنه - «أن النبى ﷺ كان يحب سورة سبح اسم ربك الأعلى»(١).

قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابى، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حمويه، أخبرنا إبراهيم بن خزيم الشاشى، أخبرنا عبد ابن حميد، أخبرنا وكيع، عن إسرائيل الخبر.

---

(١) رواه أحمد (١/٩٦)، والبزار (٣/٢٧-٢٨ رقم ٧٧٥، ٧٧٦)، وابن عدى فى الكامل (٢/١٠٦) من حديث ثوير به. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/١٣٩): رواه أحمد وفيه ثوير، وهو متروك.

الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾

وفى حديث عائشة – رضى الله عنها – «أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى الركعة الأولى من الوتر ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾، وفى الثانية: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ وفى الثالثة: سورة الإخلاص والمعوذتين»(١).

وعن على وابن عباس وابن عمر أنهم كانوا إذا قرءوا سبح اسم ربك الأعلى قالوا: سبحان ربى الأعلى امتثالا للأمر. [والأولى](٢) أن يقول كذلك.

[و]من المعروف عن عقبة بن عامر أنه قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ قال النبى ﷺ: «اجعلوه فى سجودكم، ولما نزل قوله: «سبح اسم ربك العظيم» قال: اجعلوه فى ركوعكم»(٣).

وقوله: ﴿الذى خلق فسوى﴾ أى: خلقك وجعلك رجلا سويا. وهو فى معنى قوله: ﴿الذى خلقك فسواك﴾(٤) على ما بينا.

وقوله: ﴿والذى قدر فهدى﴾ قال السدى: قدر خلق الذكر والأنثى، وهدى أى:

---

(١) رواه أبو داود (٢/٦٣ رقم ١٤٢٤)، والترمذى (٢/٣٢٦– ٣٢٧ رقم ٤٦٣) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (١/٣٧١ رقم ١١٧٣)، وابن حبان (٦/١٨٨ رقم ٢٤٣٢)، والعقيلى (٤/٣٩٢)، والدارقطنى (٢/٣٥)، والطحاوى فى شرح معانى الآثار (١/٢٨٥)، والبيهقى (٣/٣٧، ٣٨) وفى الشعب (٥/٤٦٥ رقم ٢٢٩٦)، والبغوى فى تفسيره (٤/٤٧٧).

وفى الباب عن على بن أبى طالب، وأبى بن كعب، وابن مسعود، وابن عباس، وأبى أمامة وغيرهم، وانظر تفسير ابن كثير (٤/٤٩٩).

(٢) فى «الأصل وك»: الأول.

(٣) رواه أبو داود (١/٢٣٠ رقم ٨٦٩)، وابن ماجه (١/٢٨٧ رقم ٨٨٧)، وأحمد (٤/١٥٥)، والطيالسى (١٣٥ رقم ١٠٠٠)، والدارمى (١/٣٤١ رقم ١٣٥)، وابن خزيمة (١/٣٠٣ رقم ٦٠٠، ٦٠١، ٦٧٠)، وابن حبان (٥/٢٢٥ رقم ١٨٩٨)، والطبرانى فى الكبير (١٧/ رقم ٨٨٩ – ٨٩١)، والحاكم (١/٢٢٥) وصححه وتعقبه الذهبى بأن فى إسناده إياس – يعنى ابن عامر – وليس بالمعروف، والبيهقى (٢/٨٦).

(٤) الانفطار: ٧.

﴿ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾

هدى الذكر إلى الأنثى. وقيل: قدر خلق كل شيء، وهداه إلى ما يصلحه، وهذا فى الحيوانات. وقيل: هداه إلى رزقه، كالطفل يهتدى إلى الثدى، ويفتح فاه حين يولد طلبا للثدى، والفرخ يطلب الرزق من أمه وأبيه، وكذلك كل شيء. وقال مجاهد: هدى الإنسان لسبيل الخير ،والشر والسعادة والشقاوة. ويقال: فى الآية حذف، والمعنى: وهدى وأضل.

وقوله: ﴿ والذى أخرج المرعى ﴾ أى: مرعى للأنعام. قال الشاعر:

**وقد ينبت المرعى على دِمنِ الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا**

وقوله: ﴿ فجعله غثاء أحوى ﴾ فى الآية تقديم وتأخير، والمعنى: أخرج المرعى أحوى.

﴿ فجعله غثاء ﴾ أى: يابسًا. والغثاء هو ما حمله السيل من النبات اليابس والحشيش، والطفاط ما ألقاه القدر من الزبد، والأحوى الأسود، والحوة (السواد)(١). وإنما سماه أحوى؛ لأن كل أخضر يضرب إلى السواد إذا اشتدت خضرته.

قال ذو الرمة:

**لميـــاء فى شفتيها حـوة لعس ... وفى اللثات وفى أنيابها شنب**

ويقال: أخرج المرعى أخضر، ثم جعله أحوى، ثم جعله غثاء.

قوله: ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾ ذكر [ابن](٢) أبى نجيح بروايته عن ابن عباس أن النبى ﷺ: «كان إذا قرأ عليه جبريل سورة من القرآن فيحرك شفتيه بقراءتها مخافة أن

(١) فى «ك»: السواد.

(٢) سقط من «الأصل وك».

إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾

يتفلت منه، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾»[1]. والمعنى: أنك كفيت النسيان، (فلم ينس)[2] بعد ذلك.

وقوله: ﴿ إلا ما شاء الله ﴾ يعنى: إلا ما شاء الله أن ينساه، والمراد منه نسخ التلاوة، وقيل: النسيان هاهنا بمعنى الترك، أى: لا يترك إلا ما شاء الله أن يترك بالنسخ. وعن بعضهم: أن قوله: ﴿ إلا ما شاء الله ﴾ ذكر مشيئته على التعليم حتى يقرن لفظ المشيئة بجميع أقواله مثل قوله: ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله [آمنين][3] ﴾[4] قد قال: ﴿ إلا ما شاء الله ﴾ يعنى: أن تنسى، ولم يشأ. مثل قوله تعالى: ﴿ خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ﴾[5] ولم يشأ، ذكره ابن فارس.

وقوله: ﴿ إنه يعلم الجهر وما يخفى ﴾ أى: السر والعلن، ويقال: ما فى القلب، وما على اللسان.

وقوله: ﴿ ونيسرك لليسرى ﴾ اليسرى فُعْلَى من اليسر، ومعناه: للأيسر من الأمور.

وقوله: ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ﴾ فإن قال قائل: كيف قال: إن نفعت الذكرى، وهو مأمور بالتذكير على العموم نفعت أو لم تنفع؟

والجواب من وجهين: أحدهما: أن معنى قوله: ﴿ إن نفعت الذكرى ﴾ إذ نفعت الذكرى، مثل قوله تعالى: ﴿ وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾[6] ومعناه: إذ كنتم مؤمنين.

---

(١) رواه الطبرانى (١٢/ ١٢٠ رقم ١٢٦٤٩)، وابن مردويه - كما فى الدر (٦/ ٣٧٨) - عن ابن عباس مرفوعا بنحوه، وأعله الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٣٩) بأن فى إسناده جويبر وهو ضعيف. وأصل الحديث فى الصحيحين، وقد تقدم تفسير سورة القيامة.

(٢) فى «ك»: فلا تنس.
(٣) فى «الأصل»: تعالى، والمثبت من «ك».
(٤) سورة الفتح: ٢٧.
(٥) هود: ١٠٧، ١٠٨.
(٦) آل عمران: ١٧٥.

سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ

والوجه الثانى: ذكر بكل حال، فقد نفعت الذكرى، فهو تعليق بمتحقق والمعنى: إن نفعت، وقد نفعت.

قوله تعالى: ﴿سيذكر من يخشى﴾ يقال: نزل هذا فى عبد الله بن أم مكتوم. وقيل: هو على العموم والمعنى: من يخشى الله.

وقوله: ﴿ويتجنبها الأشقى الذى يصلى النار الكبرى﴾ يقال: هو الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة.

وقوله: ﴿يصلى النار الكبرى﴾ أى: يدخل النار الكبرى. قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: هو الطبق الأسفل من جهنم.

وقوله: ﴿ثم لا يموت فيها ولا يحيى﴾ أى: لا يموت فيستريح، ولا يحيا حياة فيها راحة، ويقال: لا يموت، ولا يجد (روح الحياة)(١).

قوله تعالى: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ أى: تطهر بالعمل الصالح، ويقال: فلان تزكى بقول لا إله إلا الله.

وقال سعيد بن جبير: آمن ووحد ربه. وعن عطاء: أى أعطى زكاة ماله. [و] قال ابن مسعود من لم يزك لم تقبل الصلاة منه. وعن ابن عمر: أنها صدقة الفطر. وهو قول عمر بن عبد العزيز. وكان ابن عمر يقول لنافع حين يصبح يوم العيد: أخرجت زكاة الفطر؟ فإن قال: نعم، توجه إلى الصلاة، وإن قال: لا، يأمره بالإخراج، ثم يتوجه، وهذا على القول الذى قلنا أن السورة مدنية، فأما إذا قلنا: مكية، وهو الأصح، فلا يرد هذا القول؛ لأن صدقة الفطر لم تكن واجبة بمكة، وإنما وجبت بالمدينة، وكذلك صلاة العيد، إنما صليت بالمدينة.

وقوله: ﴿وذكر اسم ربه فصلى﴾ أى: ذكر ربه فصلى، ويقال: الذكر هو التكبير،

(١) فى «ك»: راحة.

﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

والصلاة هى الصلاة المعروفة، وقيل: صلاة العيد.

قوله تعالى: ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾ أى: تختارون. قال ابن مسعود: عجلت لهم الدنيا، وغيبت عنهم الآخرة، فاختاروا الدنيا على الآخرة، ولو عاينوا الآخرة ما اختاروا عليها شيئًا. وروى أبو موسى الأشعرى عن النبى ﷺ أنه قال: «من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى»(١).

وقوله: ﴿والآخرة خير وأبقى﴾ أى: أدوم [وأبقى](٢).

وقوله: ﴿إن هذا لفى الصحف الأولى﴾ أى: ما ذكره الله فى هذه السورة، وقيل: من قوله - تعالى -: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ إلى قوله: ﴿وأبقى﴾ قال قتادة: فى جميع كتب الأولين أن الآخرة خير وأبقى.

وقوله: ﴿صحف إبراهيم وموسى﴾ أى: الكتب التى أنزلها الله تعالى على إبراهيم وموسى، وقد أنزل على إبراهيم صحفًا، وأنزل على موسى التوراة، فهى المراد بالآية، والله أعلم.

---

(١) رواه أحمد (٤/٤١٢)، وابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا (رقم ٨)، وابن أبى عاصم فى الزهد (رقم ٤٥١)، وابن حبان (٢/٤٨٦ رقم ٧٠٩)، والحاكم (٤/٣٠٨، ٣١٩) وصححه وأعل الذهبى الموضع الأول بالانقطاع، والبيهقى (٣/٣٧٠)، وفى الزهد (رقم ٤٥١)، وفى الآداب (رقم ٩٩٣)، والقضاعى فى مسند الشهاب (١/٢٥٨-٢٥٩ رقم ٤١٨) عن أبى موسى به، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٢٥٢): رواه أحمد والبزار والطبرانى ورجالهم ثقات.

(٢) من «ك».

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾

## تفسير سورة الغاشية

### وهى مكية بالإجماع

قوله تعالى: ﴿ هل أتاك حديث الغاشية ﴾ أى: القيامة، وسميت غاشية؛ لأنها تغشى كل شيء بالأهوال، ويقال: تغشى كل كافر وفاجر بالعذاب، والغاشية هى المجللة، ومعنى هل أتاك: قد أتاك.

وقوله: ﴿ وجوه يومئذ خاشعة ﴾ أى: ذليلة لما ترى من سوء العاقبة، والمعنى: ركبها الذل.

وقوله: ﴿ عاملة ناصبة ﴾ أى: عملت فى الدنيا لغير الله، فنصبت وتعبت فى الآخرة بعذاب الله. وعن السدى وجماعة: أنهم الرهبان وأصحاب الصوامع من النصارى واليهود. وقد روى عن عمر أنه لما قدم الشام فمر بصومعة راهب فناداه، فاطلع عليه، وقد تنحل من الجوع والضر والعبادة، وعليه برنس، فبكى عمر – رضى الله عنه – فقالوا: يا أمير المؤمنين، ومايبكيك؟! فقال: مسكين طلب أمرًا، ولم يصل إليه، وسلك طريقًا وأخطأه، ثم قرأ قوله: ﴿ عاملة ناصبة ﴾ الآية.

وقوله: ﴿ تصلى نارًا حامية ﴾ أى: تقاسى حرها.

وقوله ﴿ تسقى من عين آنية ﴾ أى: انتهت فى الحر.

قال الحسن البصرى: أوقدت عليها جهنم منذ خلقت، فدفعوا إليها وردًا، أى: عطاشًا.

تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ

قال النابغة:

**ويخضب نحبة (غدرت)[1] وهانت بأحمر من جميع الجوف آنِ**

وفى بعض التفاسير: أنهم إذا دنوا ذلك من وجوهم سلخت وجوههم، فإذا شربوا منها قطعت أمعاءهم.

وقوله: ﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع﴾ هو شجر يسمى بالحجاز: الشبرق، له شوك كثير، فإذا يبس يسمى الضريع. قال ابن قتيبة: الضريع شيء إذا وقعت عليها الإبل فأكلته هلكت هزلا. ويقال: الضريع هو الحجارة، وهو مروى عن سعيد بن جبير وغيره، وهو قول غريب. ويقال: نبت فيه سم.

وفى التفسير: أن أهل النار سلط الله عليهم الجوع حتى يعدل بما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بالضريع، ثم يستغيثون فيغاثون بطعام [ذى][2] غصة، ثم يذكرون أنهم كانوا فى الدنيا يدفعون الغصة بالماء، فيستغيثون فيتركون ألف سنة يستسقون ثم يسقون الحميم.

وقوله: ﴿لا يسمن ولا يغنى من جوع﴾ روى أن المشركين قالوا: إن إبلنا تسمن على الضريع، وقد كذبوا فى ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿لا يسمن ولا يغنى من جوع﴾.

قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾ أى: ذات نعمة.

وقوله: ﴿لسعيها راضية﴾ أى: مرضية.

وقوله: ﴿فى جنة عالية لاتسمع فيها لاغية﴾ أى: لغواً فاعلة بمعنى المصدر، وهو

---

(١) فى «ك»: عذرى.

(٢) فى «الأصل وك»: ذا.

﴿١٠﴾ لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلا

فى معنى قوله: ﴿ لاتسمع فيها لغواً ولا تأثيماً ﴾(١).

وقوله: ﴿ فيها عين جارية ﴾ قد بينا من قبل.

وقوله: ﴿ فيها سرر مرفوعة ﴾ أى: مرتفعة عن أرض الجنة. ويقال فى التفسير: السرر مرتفعة، عليها فرش محشوة، كل فرش كجنبذ(٢). وفيه أيضاً أنها تتطامن للمؤمن، فإذا صعد عليها ارتفعت.

وقوله: ﴿ وأكواب موضوعة ﴾ قد بينا معنى الأكواب، وهى الأباريق التى لاخراطيم لها.

وقوله: ﴿ ونمارق مصفوفة ﴾ أى: وسائد صف بعضها إلى بعض، قال الشاعر:

**وإنا لنجرى الكأس بين شروبنا وبين أبى قابوس فوق النمارق**

وقوله: ﴿ وزرابى مبثوثة ﴾ أى: بسط، واحدها زُرْبية.

وقوله: ﴿ مبثوثة ﴾ متفرقة، ومعنى المتفرقة: أنها قد فرقت فى المجالس، وفرشت المجالس بها.

وقوله تعالى: ﴿ أفلا ينظرون ﴾ فإن قيل: كيف يليق هذا بالأول؟

والجواب: أن النبى ﷺ لما ذكر لهم ما أوعده الله للكفار، ووعده للمؤمنين، استبعدوا ذلك غاية الاستبعاد.

وقالوا: لا نفهم حياة بعد الموت، ولاندرى وعداً ولاوعيداً، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وذكر لهم من الدلائل ماهى مجرى أبصارهم. قال أبو سليمان الخطابى - رضى الله عنهم - ذكر الله تعالى هذه الأربع وهى الإبل، والسماء، والأرض، والجبال، وخصها بالذكر من بين سائر الأشياء؛ لأن الأعرابى إذا ركب بعيره، وخرج إلى البرية،

(١) الواقعة: ٢٥.

(٢) الجنبذة: هو ما ارتفع من الشيء واستدار كالقبة، انظر لسان العرب (٣/ ١٨٢) مادة: جنبذ.

﴿ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلاَّ مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ ﴾

فلا يرى إلا بعيره الذى هو راكبه، والسماء التى فوقه، والأرض التى تحته، والجبال التى هى نصب عينه.

وقوله: ﴿ إلى الإبل كيف خلقت ﴾ فى الإبل من أعجوبة الخلق ماليس فى غيرها؛ لأنها مع كبرها وعظمها تنقاد لكل واحد يقوده، وأيضا فإنها تبرك ويحمل عليه الحمل الثقيل، وتقوم من بروكها، ولايوجد هذا فى غيره، والطفل الصغير يقوده فينقاد، وينخه فيستنخ. وفى بعض الحكايات: أن فارة جرت بزمام بعير، ودخلت جحرها، فنزل البعير، وجَرَّت الفأرة الزمام، فوضع فاها على الجحر.

قوله تعالى: ﴿ وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ أى: بسطت. وعن أبى عمرو بن العلاء: أن قوله: ﴿ إلى الإبل كيف خلقت ﴾ أنها السحاب، وهو قول شاذ، ويجوز أن يحمل هذا على هذا إذا شدد ومد. وقرئ فى الشاذ بالتشديد. وقال المبرد: قد قيل الإبل: القطع العظام من السحاب، يقال: فلان يوبل على فلان أى: يكبر عليه ويعظم.

قوله تعالى: ﴿ فذكر إنما أنت مذكر ﴾ فى التفسير: أنه عظة للمؤمن، وحجة على الكافر، ويقال: ذَكِّر أى: اذكر دلائل توحيد الله تعالى، وما أنعم عليه من النعمة.

وقوله: ﴿ لست عليهم بمسيطر ﴾ أى: بمسلط، وقيل: إن هذا قبل آية السيف، فأما بعد نزولها فقد سلط عليهم.

وقوله: ﴿ إلا من تولى وكفر ﴾ استثناء منقطع كأنه قال: لكن من تولى وكفر ﴿ فيعذبه الله العذاب الأكبر ﴾.

وقوله: ﴿ إن إلينا إيابهم ﴾ أى: رجوعهم، يقال: آب يَئُوب إذا رجع، قال الشاعر:

**وكل ذى غيبة يَئُوب ... وغائب الموت لايؤوب**

الْعَذَابَ الأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

وقوله: ﴿ ثم إن علينا حسابهم ﴾ أى: فى القيامة.

فإن قيل: قال: ﴿ ليس لهم طعام إلا من ضريع ﴾، وقال فى موضع آخر: ﴿ فليس له اليوم هاهنا حميم ولاطعام إلا من غسلين ﴾(١) فكيف وجه الجمع بينهما؟

والجواب من وجوه: أحدها: أن الضريع والغسلين واحد.

والوجه الثانى: أن هذا لقوم، وذاك لقوم آخرين.

والوجه الثالث: أن الغسلين طعام لاينفع، ولايغنيهم من شىء، فوضع الضريع موضع ذلك؛ لأن الكل بمعنى واحد، ذكره النحاس، والله أعلم.

(١) الحاقة: ٣٥-٣٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾

# تفسير سورة الفجر

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿والفجر﴾ روى أبو صالح عن ابن عباس: أنه فجر المحرم، وذلك أول يوم منه، وفى رواية أخرى عنه: أنه فجر يوم النحر، ويقال: هو الفجر فى كل الأيام.

وقوله: ﴿وليال عشر﴾ أكثر الأقاويل: أنها عشر ذى الحجة، وعن ابن عباس فى رواية: أنها العشر الأخير من رمضان، وعن مسروق: أنها العشر التى قال الله تعالى فى قصة موسى: ﴿وأتممناها بعشر﴾[1] وعن بعضهم: أنها العشر الأول من المحرم.

وقوله: ﴿والشفع والوتر﴾ روى عمران بن حصين عن النبى ﷺ: «(أنه)[2] الصلاة، منها شفع، ومنها وتر» رواه أبو عيسى فى جامعه[3].

والقول الثانى: أن الشفع هو يوم نحر، والوتر يوم عرفة، وروى بعضهم هذا مرفوعًا

---

(١) الأعراف: ١٤٢.

(٢) فى «ك»: أنها.

(٣) رواه الترمذى (٥/٤٠٩ رقم ٣٣٤٢) وقال: غريب، لا نعرفه إلا من حديث قتادة، وأحمد (٤/٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤٢)، وابن جرير (٣٠/١٠٩)، والطبراني (١٨/٢٣٢- ٢٣٣ رقم ٥٧٨، ٥٧٩)، والحاكم (٢/٥٢٢) وصححه. وزاد السيوطي فى الدر أيضا (٦/٣٨٦): عبد بن حميد، وابن أبى حاتم، وابن مردويه.

وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾

إلى النبى ﷺ (١) . وهو مروى عن ابن عباس أيضاً . وهو قول معروف . وعن ابن الزبير: أن الشفع هو قوله تعالى : ﴿فمن تعجل فى يومين﴾(٢) فاليومان الأولان من أيام الرمى شفع، واليوم الثالث وتر.

وروى هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم أن الشفع هو الزوج، والوتر هو الفرد . قال مجاهد : هو العدد كله، منه الشفع، ومنه الوتر، وهو قريب من قول إبراهيم . وعن عطاء قال : الشفع هو عشر ذى الحجة، والوتر أيام التشريق . وعن جماعة أنهم قالوا : الشفع هو الخلق، والوتر هو الله تعالى .

ويقال : الشفع هو آدم وحواء، والوتر هو الله . وقرئ : « والوتر » بالفتح، وقال أهل اللغة : بالفتح والكسر بمعنى واحد .

وقوله : ﴿ والليل إذا يسر﴾ قال أبو العالية : إذا أقبل، وقال إبراهيم : إذا استوى، وعن بعضهم : « إذا يسر » يعنى : إذا يُسرى فيه، فيذهب بعضه فى إثر بعض، وقيل : يُسرى فيه . وقد أول بليلة جمع، وهى ليلة يوم النحر .

وقوله : ﴿ هل فى ذلك قسم لذى حجر﴾ أى : لذى عقل .

وقال الفراء : « لذى حجر » أى : لمن كان ضابطًا لنفسه قاهرًا لهواه . ويقال : « لذى حجر » أى : لذى حكم، والحَجْر فى اللغة : هو المنع، والحِجْر مأخوذ منه، وسمى

---

(١) رواه النسائى فى الكبرى ( ٦ / ٥١٤ رقم ١١٦٧٢، ١١٦٧٣ )، وأحمد ( ٣ / ٣٢٧ )، وابن جرير الطبرى ( ٣٠ / ١٠٨ )، والحاكم ( ٤ / ٢٢٠ ) وصححه على شرط مسلم، جميعهم عن جابر به .

وقال الهيثمى فى المجمع ( ٧ / ١٤٠ ) : رواه البزار وأحمد ورجالهما رجال الصحيح غير عياش بن عقبة وهو ثقة .

وقال ابن كثير ( ٤ / ٥٠٥ ) : وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم، وعندى أن المتن فى رفعه نكارة، والله أعلم .

(٢) البقرة : ٢٠٣ .

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧﴾

العقل حِجرًا؛ لأنه يمنع الإنسان من القبائح، وهذا لتأكيد القسم، وليس بمقسم عليه.

قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم﴾ هو أبو عاد؛ لأنهم قالوا: هو عاد ابن إرم بن عوص بن سام بن نوح، ومنهم من قال: هو اسم بلدة، ولهذا لم يصرف، فإن قلنا: هو اسم رجل، فلم نصرفه؛ لأنهاسم أعجمى.

وعن مالك بن أنس: أن إرم كورة دمشق.

وعن محمد بن كعب القرظى: أنه الإسكندرية.

وقوله: ﴿ذات العماد﴾ أى: ذات البناء الرفيع، هذا إذا قلنا: إن إرم اسم بلدة.

والقول الثانى: أن قوله: ﴿ذات العماد﴾ أى: ذات الأجسام الطوال. يقال: رجل معمد إذا كان طويلا، فعلى هذا عاد اسم القبيلة، فقوله: ﴿ذات العماد﴾ منصرف إلى القبيلة. وفى القصة: أن طول الطويل منهم كان خمسمائة ذراع، والقصير ثلثمائة. وعن أبى هريرة قال: كان الواحد منهم يتخذ المصراع من الحجر، فلا ينقله خمسمائة نفر منكم، وقال مجاهد: ذات عماد أى: ذات عمود، والمعنى: أنهم أهل خيام لايقيمون فى موضع واحد، بل ينتجعون لطلب الكلأ أى: ينتقلون من موضع إلى موضع، وقال الضحاك: ذات العماد أى: ذات القوة، مأخوذ من قوة الأعمدة. وفى القصة: أن عاج بن عوج كان منهم. وذكر النقاش: أن طول موسى كان سبعة أذرع، وعصاه سبعة أذرع، ووثب سبعة أذرع، فأصاب كعب عاج بن عوج فقتله.

وفيما نقل فيه أيضًا فى القصص: أن ضلعًا من أضلاعه جسر أهل مصر كذا كذا سنه أى: كان جسرًا لهم وهو على النيل، وفى التفسير: أن عادًا اثنان: عادًا الأولى، وعادًا الأخرى، فعاد الأولى عاد إرم، وعاد الثانية هو عاد المعروفة، وهو الذى أرسل إليهم هود النبى عليه السلام. قال ابن قيس الرُّقَيات:

الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

مجداً تليداً بناه أوله  أدرك عاداً وقبله إرما

وقوله: ﴿ التى لم يخلق مثلها فى البلاد ﴾ أى: لم يخلق مثل (أجسامهم)[1] فى البلاد. وفى رواية أبى بن كعب وابن مسعود: «الذين لم يخلق مثلهم فى البلاد».

وقوله: ﴿ وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ﴾ قطعوا ونقبوا، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿ وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين ﴾[2].

وقوله: ﴿ وفرعون ذى الأوتاد ﴾ يقال: كان له أربعة أوتاد، فإذا غضب على إنسان وعذبه زند يديه ورجليه على الأرض بتلك الأوتاد. فى القصة: أنه عذب امرأته آسية[3] بمثل هذا العذاب، ووضع على صدرها صخرة حتى ماتت، وعن بعضهم: أنه كان له أربع أساطين، يشد الرجل بيديه ورجليه بها.

وقيل: ذى الأوتاد أى: ذى الملك الشديد، قال الشاعر:

فى ظل ملك ثابت الأوتاد

وقوله: ﴿ الذين طغوا فى البلاد ﴾ أى: جاوزوا الحد بالمعاصى، ويقال: تمادوا فيها.

وقوله: ﴿ فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ﴾ أى: عذبهم، وقيل: إنه جعل عذابهم موضع السوط فى العقوبات، وعن بعضهم: أنهم كانوا يعدون الضرب بالسياط إلى أن يموت أشد العذاب، فذكر العذاب بذكر السوط هاهنا، على معنى أنه بلغ النهاية فى عذابهم.

وقوله: ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ أى: إليه مرجع الخلق ومصيرهم، والمعنى: أنه

(١) فى «ك»: أجسادهم.
(٢) الحجر: ٨٢.
(٣) فى «الأصل»: آيسية، وما أثبتناه من «ك».

فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾

لايفوت منه أحد، وعن الحسن: أنه بمرصاد أعمال العباد، وعن ابن عباس أن قوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ أى: يسمع ويرى، وعنه أيضا: أن على جهنم سبع قناطر، فيسأل على القنطرة الأولى عن الإيمان، وعلى الثانية عن الصلاة، وعلى الثالثة عن الزكاة، وعلى الرابعة عن صيام رمضان، وعلى الخامسة عن الحج والعمرة، وعلى السادسة عن صلة الرحم، وعلى السابعة عن المظالم.

وقوله: ﴿إن ربك لبا لمرصاد﴾ وقع القسم.

قوله تعالى: ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن﴾ نزلت الآية فى أمية بن خلف الجمحى، ويقال: هذا على العموم.

وقوله: ﴿فيقول ربى أكرمن﴾ أى: أنا كريم عليه حيث أعطانى هذه النعم.

وقوله: ﴿وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه﴾ أى: ضيق عليه.[ وقوله ][1] ﴿فيقول ربى أهانن﴾ أى: فعل مافعل بى لهوانى عليه، والمعنى: أنهم زعموا أن الله يكرم بالغنى، ويهين بالفقر.

وقوله: ﴿كلا﴾ رد لما قالوا، يعنى: أن الله لايكرم بالغنى، ولايهين بالفقر، وإنما يكرم بالطاعة، ويهين بالمعصية، وعن كعب الأحبار قال: إنى لأجد فى بعض الكتب أن الله تعالى يقول: لولا أنه يحزن عبدى المؤمن، لكللت رأس الكافر بالأكاليل، فلا يصدع، ولا ينبض منه عرق بوجع.

وقوله: ﴿بل لاتكرمون اليتيم﴾ ذكر مايفعله الكفار، واستحقوا به العذاب فى قوله: ﴿لاتكرمون اليتيم﴾ فيه قولان: أحدهما: هو أكل مالهم أى: اليتامى.

والقول الثانى: أنه ترك الإحسان إليهم.

وقوله: ﴿ولايحضون على طعام المسكين﴾ أى: لايحثون، وقرئ: «ولاتحاضون

(١) من «ك».

وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾

على طعام المسكين» أى: لايحض بعضهم بعضًا.

وقوله: ﴿وتأكلون التراث أكلالـمًا﴾ التراث والوراث بمعنى واحد، وهو الميراث.

وقوله: ﴿أكلا لـمًّا﴾ أى: بخلط الحلال بالحرام. وقال مجاهد: ﴿لـمًّا﴾ أى: سفًّا، فيجمع البعض إلى البعض ويسف سفا.

وقوله: ﴿وتحبون المال حبا جما﴾ أى: كثيرًا، وقرئ بالتاء والياء، فمن قرأ بالياء فعلى الخبر، ومن قرأ بالتاء فهو على الخطاب.

قوله تعالى: ﴿كلا إذا دكت الأرض دكا دكا﴾ أى: فتت ودقت.

وقوله: ﴿وجاء ربك﴾ وهو من المتشابه الذى يؤمن به ولايفسر، وقد أول بعضهم: وجاء أمر ربك، والصحيح ماذكرنا.

وقوله: ﴿والملك صفا صفا﴾ أى: صفوفًا.

وقوله: ﴿وجىء يومئذٍ بجهنم﴾ وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ: «أنه يجاء بجهنم مزمومة بسبعين ألف زمام، ويقودها الملائكة، فتقام على سائر العرش فحينئذٍ يجثوا الأنبياء على ركبهم، ويقول كل واحد: نفسى، نفسى». والخبر غريب، وهو معروف عن غير الرسول.

قوله: ﴿يومئذٍ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى﴾ أى: يتعظ، وأنى له الاتعاظ، أى: نفع الاتعاظ.

وقوله: ﴿يقول ياليتنى قدمت لحياتى﴾ أى: لآخرتى، وهو فى معنى قوله: ﴿وإن الدار الآخرة لهى الحيوان﴾(١) أى: الحياة الدائمة، والمعنى هاهنا: لحياتى فى الآخرة.

وقوله: ﴿فيومئذٍ لايعذب عذابه أحد ولايوثق وثاقه أحد﴾ بالكسر، وهو الأشهر

(١) العنكبوت: ٦٤.

فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾

من القراءتين، ومعناه: لايعذب أحد فى الدنيا بمثل مايعذبه الله فى الآخرة، ولايوثق أحد فى الدنيا مثل ما يوثقه الله فى الآخرة، وقرئ: «فيومئذٍ لايُعَذَّب عذابه أحد» بفتح الذال، ومعناه: لايعذب أحد مثل عذاب هذا الكافر، أو لايعذب أحد مثل عذاب هذا الصنف من الكفار، وكذلك قوله: ﴿يوثَق﴾ بفتح الثاء.

قوله تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ أى: المؤمنة الساكنة، ويقال: المطمئنة إلى وعد ربها، وقيل: إن المراد بالنفس هو الروح هاهنا، ويقال: هو جملة الإنسان إذا كان مؤمناً.

وقوله: ﴿ارجعى إلى ربك راضية مرضية﴾ أى: رضيت عن الله، وأرضاها الله تعالى عن نفسه. وفى بعض الآثار: أن ملكين يأتيان المؤمن عند قبض روحه، فيقولان: أخرج أيها الروح إلى روح وريحان، ورب غير غضبان.

وقوله: ﴿فادخلى فى عبادى﴾ أى: مع عبادى.

﴿وادخلى جنتى﴾ وهذا القول يوم القيامة.

وقرئ فى الشاذ: «فادخلى فى عبدى» أى: يقال للنفس - أى: الروح - ادخلى فى عبدى أى: فى جسده، وادخلى فى جنتى، وذلك عند البعث. وعن عكرمة: أنه لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر: إن هذا لخير كثير، فقال النبى ﷺ: «أما إن الملك سيقولها لك»(١). وعن (أبى بريدة)(٢): أن الآية نزلت فى حمزة بن عبد المطلب.

(١) رواه ابن أبى حاتم - كما فى تفسير ابن كثير (٤ / ٥١٠) - وابن مردويه (الدر٦ / ٣٩٠) كلاهما عن ابن عباس مرفوعا به.

وروى عن سعيد بن جبير مرسلا، رواه عبد بن حميد، وابن جرير - (٣٠ / ١٢٢) - وابن أبى حاتم، وابن مردويه، وأبو نعيم فى الحلية - كما فى الدر (٦ / ٣٩٠) - وقال ابن كثير فى تفسيره: وهذا مرسل حسن.

(٢) كذا! والصواب: بريدة، وهو ابن الحصيب الأسلمى الصحابى الجليل، وعزاه السيوطى فى الدر لابن المنذر وابن أبى حاتم عن بريدة قوله. الدر (٦ / ٣٩١).

وعن بعضهم: أنها نزلت فى خُبَيَب بن عدى، وهو الذى أسر وصلب بمكة، وهو أول من سن الصلاة ركعتين عند الصلب، وهو القائل:

**فلست أبالى حين أقتل مسلمـــًا  على أى جنب كان فى الله مصرعى**

**وذلك فى ذات الإلـــــه وإن يشأ  (يبارك فى شلو الأديم الممزع)**[1]

وعن عامر بن قيس: أنه وفد على عثمان - رضى الله عنه - فجلس على بابه، فخرج عليه عثمان فرأى أعرابيًا فى بَتٍّ، فلم يعرفه، فقال: أين ربك يا أعرابى؟ قال: بالمرصاد. فافحم عثمان، وهذا على قوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾والله أعلم.

(١) كذا.

بسم الله الرحمن الرحيم

لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾

## تفسير سورة البلد

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾ معناه: أقسم، و «لا» صلة. قال الفراء: وهو على مذهب كلام العرب، يقولون: لاو الله لا أفعل كذا. أى: والله، وكذلك لا والله لأفعلن كذا، أى: والله، فيجوز أن تكون «لا» صلة، ويجوز أن يكون ردا لقول سابق، وابتداء القسم من قوله والله، فكذلك قوله: ﴿ لاأقسم ﴾ يجوز أن يكون «لا» صلة، ويجوز أن يكون ردا لزعمهم من إنكار البعث أو إنكار نبوة الرسول ﷺ، والقسم من قوله: ﴿ أقسم ﴾ وقال الفراء: هذا الثانى أولى.

وقوله: ﴿ بهذا البلد ﴾ هو مكة فى قول الجميع، ذكره مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم.

وقوله ﴿ وأنت حل بهذا البلد ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أى: حلال لك أن تقاتل فى هذا البلد، ولم يحل لأحد قبلك، وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: «إن مكة حرام، حرمها الله يوم خلق السموات والأرض، لم تحل لأحد قبلى، ولاتحل لأحد بعدى، وإنما أحلت لى ساعة من نهار»(١).

والقول الثانى: أن قوله: ﴿ وأنت حل بهذا البلد ﴾ أى: استحلوا منك ما حرمه الله من الأذى، وإيصال المكروه إليك مع اعتقادهم حرمة الحرم، ذكره القفال.

والقول الثالث: ﴿ وأنت حل بهذا البلد ﴾ أى: نازل بهذا البلد، وهو إشارة إلى زيادة حرمة وشرف للبلد لمكان النبى ﷺ فيه.

(١) تقدم تخريجه.

## ووالدٍ وما ولد ﴿٣﴾

وقوله: ﴿ووالد وما ولد﴾ قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وأبو صالح معناه: آدم وولده، وعن أبى عمران [الجونى][1]: هو إبراهيم وولده. وروى عكرمة عن ابن عباس أن قوله: ﴿ووالد وماولد﴾ هو الوالد والعاقر، معنى الذى يلد، والذى لايلد، فتكون ما للنفى.

وقوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان فى كبد﴾ على هذا وقع القسم، (ومعنى القسم)[2] ومعنى الكبد: الشدة.

وروى شريك، عن عاصم، عن زر عن، على فى قوله: ﴿ووالد وماولد﴾ آدم وذريته، على ما ذكرنا. قال رضى الله عنه: أخبرنا بذلك أبو محمد الصريفينى، أخبرنا أبو القاسم بن حبابة، أخبرنا أبو القاسم البغوى، أخبرنا على بن الجعد، عن شريك ... الأثر.

وأما الكبد بينا أنه الشدة. وروى على بن الجعد، عن على بن على الرفاعى، عن الحسن البصرى قال: ليس أحد يكابد من الشدة ما يكابده الإنسان. وقال سعيد: «خلقنا الإنسان فى كبد» أى: فى مضائق الدنيا وشدائد الآخرة. قال رضى الله عنه: أخبرنا بما ذكرنا عن الحسن: الصريفينى، عن [ابن][3] حبابة، عن البغوى، عن على ابن الجعد. وقيل فى تفسير الكبد: هو أنه يكابد ضيق الرحم، وعسر الخروج من بطن الأم، ثم يكون فى الرباط والقماط، ثم نبات الأسنان، ثم الختان، ثم إذا بلغ التكليفات والأوامر والنواهى، ثم يكابد أمر معيشته، والأحوال المنقلبة عليه إلى أن

---

(١) فى «الأصل وك»: الجزي، وهو تحريف، وهو أبو عمران الجونى عبد الملك بن حبيب من رجال التهذيب، وقد أخرج هذا الأثر عنه ابن جرير وابن أبى حاتم، كما فى الدر المنثور (٦/٣٩٣).

(٢) كذا! ولعلها وأظنها مقحمة من الناسخ.

(٣) فى «الأصل وك»: عن أبى، والصواب ما أثبتناه، وهو أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن إسحاق بن سليمان بن حبابة البغدادى البزاز، وهو يتكرر فى إسناد المصنف كثيراً كما فى الإسناد السابق. وانظر ترجمته فى السير (١٦/٥٤٨).

لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾

يموت، ثم بعد ذلك مايعود إلى أهوال القبر وأهوال القيامة، إلى أن يستقر فى إحدى المنزلتين.

وقال لبيد فى الكبد:

**ياعين هلابكيت أربد إذ ... قمنا وقام الخصوم فى كبد**

أى: فى شدة.

وقال إبراهيم ومجاهد وعبد الله بن شداد: فى كبد أى: فى انتصاب، والمعنى: أنه خلق منتصبًا فى بطن أمه، غير منكب على وجهه بخلاف سائر الحيوانات. وفى تفسير النقاش: أن الله تعالى وكل ملكًا بالولد فى بطن الأم، فإذا قامت المرأة، أو اضطجعت رفع رأس الولد؛ لئلا يغرق فى الدم.

قوله تعالى: ﴿أيحسب الإنسان أن لن يقدر عليه أحد﴾ نزلت الآية فى [أبى][1] الأشدين، فكان رجلا من بنى جمح من أقوى قريش وأشدهم، وكان يبسط له الأديم العكاظى، فيقوم عليه، ويجتمع القوم على الأديم، فيجذبونه من تحت قدمه فينقطع ولاتزول قدمه، وكان شديداً فى عداوة النبى ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية فيه. ومعناه: أيظن أن لن يقدر عليه الله، وقال ذلك لأنه كان مغترًّا بقوته وشدته.

وقوله: ﴿يقول أهلكت مالا لبدا﴾ أى: أنفقت مالا كثيراً فى عداوة محمد، و«لبداً» أى: بعضه على بعض. قال الكلبى: وكان يكذب فى ذلك، فقال الله تعالى: ﴿أيحسب أن لم يره أحد﴾ أيحسب أن الله لم ير ما أنفقه، ويقال: أيحسب أن لم يطلع الله على فعله فيكذب، ولايعلم الله كذبه.

قال معمر: قرئت هذه الآية عند قتادة، فقال: أيحسب أن لن يسأله الله تعالى من أين جمعه، وأين أنفقه؟. وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «يؤتى بالعبد يوم

(١) فى «الأصل وك»: ابن، والمثبت من تفسير ابن جرير الطبرى (٣٠/١٢٦)، وسماه فى الكشاف: أبو الأشد.

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾

القيامة، فيقال له: ماذا عملت بمالك؟ فيقول: أنفقت، وزكيت طلبًا لرضاك، فيقول: كذبت إنما أنفقت وأعطيت، ليقال: فلان سخى، وقد قيل ذلك، فجروه إلى النار»(١). والخبر طويل صحيح خرجه مسلم.

ومن المعروف أن النبى ﷺ قال: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربعة: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين كسبه وأين وضعه؟»(٢).

قوله تعالى: ﴿ألم نجعل له عينين﴾ قال أهل التفسير: ثم إن الله تعالى ذكر نعمه عليه وعظيم قدرته، ليعرف أن الله تعالى قادر على إعادته يوم القيامة خلقًا جديدًا، وأنه مسئول عما يفعل.

وقوله: ﴿ولسانا وشفتين﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿وهديناه النجدين﴾ قال ابن مسعود: سبيل الخير وسبيل الشر. وروى عكرمة عن ابن عباس أن قوله: ﴿وهديناه النجدين﴾ أى: اليدين. والقول الأول أشهر، وهو قول أكثر المفسرين. وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إنما هما نجدان، نجد خير، ونجد شر، فلا تجعل نجد الشر أحب السبيل من نجد الخير»(٣).

---

(١) رواه مسلم (١٣/٧٥-٧٦ رقم ١٩٠٥)، والترمذى (٤/٥١٠-٥١٢ رقم ٢٣٨٢) وقال: حسن غريب، والنسائى (٦/٢٣-٢٤ رقم ٣١٣٧)، وابن حبان (٢/١٣٥-١٣٦ رقم ٤٠٨)، والبيهقى فى السنن (٩/١٦٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير (٨/٢٦١-٢٦٢ رقم ٨٠٢٠)، والقضاعى فى مسند الشهاب (٢/٢٣٥-٢٣٦ رقم ١٢٦٣) عن أبى أمامة مرفوعا به. وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٢٥٩): رواه الطبرانى من حديث فضال، عن أبى أمامة، وفضال ضعيف.

وفى الباب عن أنس، والحسن وقتادة كلاهما مرسلا، وانظر الدر (٦/٣٩٤).

فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾

وقوله: ﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾ أى: فهلا أنفق ماله الذى أنفقه فى عداوة محمد فى اقتحام العقبة، ويقال: ﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾ أى: لم يقتحم العقبة، ومعناه: لم يجاوزها، وقيل: إن العقبة جبل فى النار، ويقال: هبوط وصعود، مصعد سبعة آلاف سنة، ومهبط ألف سنة.

وقيل: مصعد ألف عام، وفيها غياض ممتلئة من الأفاعى والحيات والعقارب. قال الحسن البصرى فى العقبة: إنها مجاهدة النفس والهوى والشيطان. فعلى هذا ذكر العقبة تمثيل؛ لأن العقبة يشق صعودها، كذلك الإنسان يشق عليه مجاهدة النفس والشيطان.

وقوله: ﴿ وما أدراك ما العقبة ﴾ أى: فما أدراك (ما تجاوز بها)(١) العقبة، ثم فسَّر فقال: ﴿ فك رقبة ﴾ وفك الرقبة اعتاقها. وروى عقبة بن عامر: أن النبى ﷺ قال: «من أعتق رقبة، كانت فكاكه من النار»(٢). ومن المعروف أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال: «يا رسول الله، علمنى عملا يدخلنى الجنة، فقال: لئن أقصرت الخطبة فقد أعرضت فى المسألة، أعتق النسمة، وفك الرقبة، فقال: أوليسا واحداً يارسول؟ قال: لا، عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين فى ثمنها، وعليك بالفىء على ذى الرحم الظالم، فإن لم يكن ذلك، فأطعم الجائع، واسق الظمآن، وأْمُرْ بالمعروف، وانه

(١) فى «ك»: ما تجاوزها.

(٢) رواه أحمد (٤/١٤٧)، والطيالسى (١٣٦ رقم ١٠٠٩)، وأبو يعلى (٣/٢٩٦-٢٩٧ رقم ١٧٦٠)، والطبرانى فى الكبير (١٧/٣٣٢-٣٣٣ رقم ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠)، والحاكم (٢/٢١١) وصححه.

وقال الهيثمى فى المجمع (٤/٢٤٥): رواه أحمد، أبو يعلى والطبرانى، ورجاله رجال الصحيح خلا قيس الجذامى، ولم يضعفه أحد.

وقال المنذرى فى الترغيب (٣/٣٠): رواه أحمد بإسناد صحيح.

أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾

عن المنكر، فإن لم تطق ذلك، فكف لسانك إلا من خير»(١).

وورد - أيضًا - عن النبى ﷺ أنه قال: «من أعتق رقبة مسلمة، أعتق الله بكل عضوٍ منها عضواً منه من النار»(٢). والخبر صحيح.

وقرئ: «فكَّ رقبةً»، فمن قرأ بالرفع فمعناه: هى فك رقبة، ومن قرأ بالنصب فمعناه: لا يقتحم العقبة إلا من فكَّ رقبة.

وقوله ﴿أو إطعام فى يوم ذى مسغبة﴾ أى: إطعام مسكين فى يوم ذى جوع، والسغب: الجوع، والمسغبة: المجاعة.

قال الشاعر:

**فلو كنت جارًا يابن قيس بن عاصم ... لما بت شبعانًا وجارك ساغب**

أى: جائع.

وقوله تعالى: ﴿يتيمًا ذا مقربة﴾ أى: ذا قرابة، واليتيم هو الذى لاوالد له، ويقال: هو الذى ليس له أبوان.

قال قيس بن الملوح:

**إلى الله أشكو فقد ليلى كما شكا ... إلى الله فقد الوالدين يتيم**

وقوله: ﴿أو مسكينًا ذا متربة﴾ أى: لصق بالتراب من الفقر. قال مجاهد: لايحول بينه وبين التراب شىء. وقيل: ذا متربة، أى: ذا زمانة، وقيل: ذا متربة أى: ليس له أحد من الناس.

---

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد (رقم ٦٩)، وأحمد (٤/ ٢٩٩)، والطيالسى (١٠٠ رقم ٧٣٩)، وابن حبان فى صحيحه (كما فى موارد الظمآن)، والدارقطنى (٢/ ١٣٥)، والحاكم (٢/ ٢١٧) وصححه، والبيهقى (١٠/ ٢٧٢ - ٢٧٣)، والبغوى فى تفسيره (٤/ ٢٩٠) عن البراء بن عازب مرفوعا به.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٥/ ١٧٤ رقم ٢٥١٧ وطرفه: ٦٧١٥)، ومسلم (١٠/ ٢١٢ - ٢١٣ رقم ١٥٠٩).

أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾

وقوله: ﴿ ثم كان من الذين آمنوا ﴾ يعنى: يقتحم العقبة من فَعَلَ هذه الأشياء، فكان من الذين آمنوا. فإن قيل: كلمة « ثم » للتراخى باتفاق أهل اللغة، فكيف وجه المعنى فى الآية، وقد ذكر الإيمان متراخيًا عن هذه الأشياء؟

والجواب: قال النحاس: هو مشكل، وأحسن ماقيل فيه أن معناه: ثم أخبركم أنه كان من الذين آمنوا حين فعل هذه الأشياء، وقد قيل: إن « ثم » بمعنى الواو، وليس يصح.

وقوله: ﴿ وتواصوا بالصبر ﴾ أى: بالصبر عن معاصى الله، وقيل: بالصبر على طاعة الله، وقيل: بالصبر عن لذات الدنيا وشهواتها.

وقوله: ﴿ وتواصوا بالمرحمة ﴾ أى: مرحمة بعضهم على بعض، وتواصوا بالمرحمة هو وصية البعضِ البعضَ.

وقوله: ﴿ أولئك أصحاب الميمنة ﴾ أى: أصحاب اليمين، وهم الذين استخرجوا من شق آدم الأيمن، ويقال: الذين [ يعطون ](١) الكتاب بأيمانهم، وقيل: الميامين على أنفسهم.

وقوله: ﴿ والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة ﴾ أى: المشائيم على أنفسهم، ويقال: هم الذين يعطون الكتاب بشمالهم، وكذلك القول الأول.

وقوله: ﴿ عليهم نار مؤصدة ﴾ أى: مطبقة، يقال: وصدت الباب، وأصدته إذا أطبقته، ويقال: مؤصدة أى: مبهمة لاباب لها.

قال الشاعر:

**قوم يصالح شدة أبنائهم ... وسلاسلا حلقًا وبابًا مؤصدًا**

أى: مطبقًا.

---

(١) فى « الأصل وك » : يعطى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا

## تفسير سورة والشمس

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ والشمس وضحاها ﴾ أى: وضوئها، وقيل: هو النهار كله.

وقوله: ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ أى: تبعها، وهو قول مجاهد وقتادة وعامة المفسرين، وهو مروى أيضًا عن ابن عباس، ومعنى تبعها: يعنى أن الشمس إذا غربت يليها القمر فى الضوء، ويقال: هو فى الأيام البيض إذا غربت الشمس طلع القمر، وقيل: هو فى أول ليلة من الشهر، إذا غربت الشمس رئى الهلال، وعلى الجملة القمر أحد النيرين، وهو يتلو الشمس إذا استدار واستتمه فى إضاءة الدنيا.

وقوله: ﴿ والنهار إذا جلاها ﴾ فيه قولان: أحدهما: جلا الظلمة فكنى عن الظلمة من غير ذكرها، وهو كثير فى كلام العرب، والقول الآخر: جلاها أى: جلا الشمس؛ لأن النهار إذا ارتفع أضاءت الشمس وانبسطت.

وقوله: ﴿ والليل إذا يغشاها ﴾ يعنى: إذا يغشى الشمس أى: يستر ضوءها.

وقوله: ﴿ والسماء وما بناها ﴾ معناه: ومن بناها، وقيل: والذى بناها. وعن ابن الزبير أنه سمع صوت الرعد فقال: سبحان ما سبحت له، أى: الذى سبحت له، ويقال: وما بناها أى: وبنائها.

وقوله: ﴿ والأرض وما طحاها ﴾ أى: ومن بسطها، وقيل: الأرض وطحوها أى: وبسطها.

وقوله: ﴿ ونفس وما سواها ﴾ أى: ومن سواها، وقد بينا معنى التسوية، وقيل: هو

سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾

اعتدال القامة.

وقوله: ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ أى: عرفها وأعلمها، وقال مجاهد والضحاك وغيرهما: جعل فى قلبه فجورها وتقواها، وهو أولى من القول الأول؛ لأن الإلهام فى اللغة فوق التعريف والإعلام. وقال الزجاج: عدلها للفجور، ووفقها للتقوى ﴿قد أفلح من زكاها﴾ على هذا وقع القسم، والمعنى: قد أفلحت نفس زكاها الله.

وقوله: ﴿وقد خاب من دساها﴾ أى: وخاب نفس دساها الله، وقيل: أفلح من زكى نفسه وأصلحها، وخاب من أخمد نفسه ودسها، فعلى هذا قوله: ﴿دساها﴾ أى: دسيها.

يقول الشاعر:

**يقضى البازى إذا البازى انكسر**

أى: يقضض البازى. قال الفراء: العامل بالفجور خامل عند الناس غامض الشخص، منكسر الرأس، والمتقى عال مرتفع. وقال ثعلب: «من دساها» أى: أغواها، وعنه أنه قال: دساها أى: دس نفسه فى أهل الخير وليس منهم. قال الشاعر:

**وأنت الذى دسيت عمرا فأصبحت حلائله منه أرامل ضُيَّعا**

وقوله: «دساها» ها هنا: أهلكت، فعلى هذا معنى قوله: ﴿وقد خاب من دساها﴾ أى: أهلكها بالمعاصى.

وروى نافع بن عمر الجمحى، عن ابن أبى مليكة قال: قالت عائشة - رضى الله عنها - انتبهت ليلة فوجدت رسول الله ﷺ وهو يقول: «أعط نفس تقواها، وزكِّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»(١). قال رضى الله عنه: أخبرنا بذلك أبو

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٦/٢٠٩). وقال الهيثمى فى المجمع (٢/١٣١): رواه أحمد ورجاله ثقات. وقال أيضا (١٠/١١٣): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، غير صالح بن سعيد الراوى، عن عائشة وهو ثقة.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا

الغنائم عبد الصمد بن على العباسى، أخبرنا أبو القاسم عيسى بن على بن عيسى، أخبرنا البغوى، أخبرنا داود بن عمرو الضبى، عن نافع بن عمر ... الحديث.

وقوله: ﴿ كذبت ثمود بطغواها ﴾ أى: بطغيانها، ويقال: بأجمعها.

وقوله: ﴿ إذا انبعث أشقاها ﴾ هو قدار بن سالف، وقد بينا من قبل. وروى رشدين، عن يزيد بن عبد الله بن سلامة، عن عثمان بن صهيب، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لعلى: «من أشقى الأولين؟ قال: عاقر الناقة، قال: صدقت، قال: فمن أشقى الآخرين؟ قال: قلت: لا أعلم يا رسول الله. قال: الذى يضربك على هذه، وأشار بيده إلى يافوخه»(١).

قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا كريمة بنت أحمد قالت: أخبرنا أبو على زاهر بن أحمد، أخبرنا محمد بن إدريس [السامى](٢)، أخبرنا سويد بن سعيد، عن رشدين.. الخبر وهو غريب.

وقوله: ﴿ فقال لهم رسول الله ﴾ ﷺ، وهو صالح.

وقوله: ﴿ ناقة الله وسقياها ﴾ أى: ذروا ناقة الله وسقياها، ومعنى سقياها: شربها على ما قال فى موضع آخر: ﴿ لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ﴾(٣).

وقوله: ﴿ فكذبوه فعقروها ﴾ أى: فكذبوا صالحًا، وعقروا الناقة.

---

(١) رواه أبو يعلى (١/ ٣٧٧-٣٧٨ رقم ٤٨٥)، والطبرانى فى الكبير (٨/ ٣٨ رقم ٧٣١١) عن صهيب به.
وقال الهيثمى فى المجمع (٩/ ١٣٩): رواه الطبرانى وأبو يعلى، وفيه رشدين بن سعد وقد وثق، وبقية رجاله ثقات. وله شواهد عن عمار وعلى بن أبى طالب، وجابر بن سمرة وغيرهم.

(٢) فى «الأصل، وك»: الشافعى، وهو تحريف، وهو محمد بن إدريس السامى أبو لبيد السرخسى شيخ زاهر بن أحمد السرخسى ويروى عن سويد بن سعيد، كما في ترجمته من السير (١٤/ ٤٦٤ - ٤٦٥).

(٣) الشعراء: ١٥٥.

فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

وقوله: ﴿فدمدم عليهم ربهم بذنبهم﴾ عن ابن الزبير: أنه «فرمرم عليهم ربهم»، وهو معنى القراءة المعروفة، ويقال: دمدم أى: غضب عليهم ربهم، يقال: فلان يدمدم إذا كان يتكلم بغضب. والقول المعروف أن معنى قوله: ﴿فدمدم عليهم﴾ أى: أطبق عليهم بالعذاب يعنى: عمهم ولم يبق منهم أحداً، ويقال: الدمدمة هو الهلاك باستئصال.

وقوله: ﴿بذنبهم فسواها﴾ أى: سواهم بالأرض، فلم يبق منهم أحداً صغيراً ولا كبيراً. ويقال: سوى بينهم بالعذاب.

وقوله: ﴿ولايخاف عقبيها﴾ وقرئ: «فلا يخاف عقباها» وفيه قولان: أحدهما: أن الله تعالى لايخاف أن يتبعه أحد بما فعل، قاله الحسن وغيره، والقول الثانى: لم يخف عاقر الناقة عاقبة فعله، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ ﴾

# تفسير سورة والليل

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ قال قتادة: يغشى الأفق بظلمته، وفى رواية عنه: يغشى مابين السماء والأرض بظلمته. وقيل: ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ أى: أظلم. ويقال: يغشى النهار.

وقوله: ﴿ والنهار إذا تجلى ﴾ معناه: إذا أضاء وانكشف، ويقال: جل الظلمة فكأنه قال: تجلت الظلمة بها.

وقوله: ﴿ وما خلق الذكر والأنثى ﴾ قرأ ابن مسعود وأبو الدرداء: «والذكرِ والأنثى» وقد صح هذا بروايتهما عن النبى ﷺ أنه قرأ كذلك(١)، وأما القراءة المعروفة: ﴿ وما خلق الذكر والأنثى ﴾ وفيه قولان: أحدهما: وماخلق الذكر والأنثى مثل قوله: ﴿ والسماء وما بناها ﴾(٢) أى: فمن بناها.

والقول الثانى: وماخلق من الذكر والأنثى. وذكر الفراء والزجاج: أن الذكر والأنثى هو آدم وحواء. وقد قيل: إنه على العموم، ولله أن يقسم بما شاء من خلقه، وقد ذكرنا أن القسم على تقديره ذكر الرب، وكأنه قال: ورب الليل، ورب النهار إلى آخره.

وقوله: ﴿ إن سعيكم لشتى ﴾ على هذا وقع القسم، والمعنى: إن عملكم

---

(١) متفق عليه من حديث أبى الدرداء مرفوعا، رواه البخارى (٨/٥٧٧ رقم ٤٩٤٣، ٤٩٤٤)، ومسلم (٦/١٥٦ - ١٥٩ رقم ٨٢٤).

(٢) الشمس: ٥.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾

مختلف، وقيل: إن سعيكم لشتى أى: منكم المؤمن والكافر، والصالح والطالح، والشكور والكفور، وأمثال هذا.

قال الشاعز:

**سعى الفتى لأمور ليس يدركها ... فالنفس واحدة والهم منتشر**

**والمرء ماعاش ممدود له أثر ... لاينتهى العمر حتى ينتهى الأثر**

قوله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ ذهب أكثر المفسرين إلى أن هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق، رضى الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿أعطى واتقى﴾ أى: بذل المال بالصدقة، وحاذر من الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وصدق بالحسنى﴾ أى: بالخلق من الله تعالى [قاله][1] عكرمة عن ابن عباس، وهو أشهر الأقاويل.

والقول الثانى: وصدق بالحسنى أى: بالجنة، قاله مجاهد.

وقيل: بالثواب، وقال أبو عبد الرحمن السلمى وعطاء: صدق بالحسنى أى: بلا إله إلا الله.

وقوله: ﴿فسنيسره لليسرى﴾ أى: للحالة اليسرى والمعنى: يسهل عليه طريق (الطاعات)[2]، والأعمال الصالحة. قال الأزهرى: ييسر عليه ما لا ييسر إلا على المسلمين.

قوله تعالى: ﴿وأما من بخل واستغنى﴾ يقال: نزلت الآية فى أمية بن خلف، وقيل: فى أبى سفيان بن حرب.

---

(١) فى «الأصل وك»: قال. وانظر الدر (٦/ ٤٠٠).

(٢) فى «ك»: الطاعة.

﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾

وقوله: ﴿ بخل ﴾ أى: بخل بماله، واستغنى أى: عن ثواب ربه.

وقوله: ﴿ وكذب بالحسنى ﴾ هو ما بينا.

وقوله: ﴿ فسنيسره للعسرى ﴾ أى: يسهل عليه طريق الشر، وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: يحول بينه وبين الإيمان بالله وبرسوله. قال الفراء: فإن سأل سائل قال: كيف يستقم قوله: ﴿ فسنيسره للعسرى ﴾ وكيف ييسر العسير؟ أجاب عن هذا: أن هذا مثل قوله تعالى: ﴿ فبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴾ فوضع البشارة موضع الوعيد بالنار، وإن لم تكن بشارة على الحقيقة، كذلك وضع التيسير فى هذا الموضع، وإن كان تعسيراً فى الحقيقة.

وقد ذكر عطاء الخراسانى أن الآية نزلت فى رجل من الأنصار كان له حائطٌ، وله نخلة تتدلى فى دار جاره، ويأكل جاره مما يسقط من ثمارها، فمنعه الأنصارى، فشكى ذلك الفقير إلى رسول الله ﷺ، فقال النبى للأنصارى: «بِعْنى هذه النخلة بنخلة لك فى الجنة، فأبى أن يبيع، فاشتراها منه أبو الدحداح بحائط له، وأعطاها ذلك الفقير، فأنزل الله تعالى فيهما هذه الآيات[1]. والأصح أن الآية نزلت فى أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - لأن السورة مكية على قول الجميع، فلا يستقيم أن تكون الآية منزلة فى أحد من الأنصار. وقد (ورد)[2] فى الآيتين خبر صحيح، وهو ماروى منصور بن المعتمر، عن سعد بن عبيدة، عن أبى عبد الرحمن السلمى، عن على بن أبى طالب قال: «كنا فى جنازة بالبقيع، فأتى النبى ﷺ فجلس وجلسنا معه، ومعه عود ينكت به فى الأرض، فرفع رأسه إلى السماء وقال: مامن نفسٍ منفوسة إلا وقد كتب مدخلها، فقال القوم: يارسول الله، أفلا نتكل على كتابنا، فمن كان من أهل السعادة فإنما يعمل للسعادة، ومن كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء، قال:

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى «ك»: روى.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾

بل اعملوا فكلٌ ميسر، أما من كان من أهل السعادة فإنه ييسر لعمل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فإنه ييسر بعمل الشقاء، ثم قرأ: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾»(١).

قال رضى الله عنه: أخبرنا بذلك أبو على الشافعى بمكة، أخبرنا أبو الحسن بن فراس، أخبرنا الديبلى أخبرنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومى، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن منصور الحديث.

قوله تعالى: ﴿وما يغنى عنه ماله إذا تردى﴾ معناه: إذا هلك، يقال: تردى أى: سقط فى النار، وهو الأصح؛ لأن التردى فى اللغة هو السقوط، يقال: تردى من مكان كذا أى: سقط.

وقوله: ﴿إن علينا للهدى﴾ قال الزجاج: علينا بيان الحلال والحرام، والطاعة والمعصية. ويقال: من سلك سبيل الهدى، فعلينا هداه مثل قوله: ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾(٢) أى: بيان السبيل لمن قصد.

وقوله: ﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾ أى: ملك الآخرة والأولى، وقيل: ثواب الآخرة والأولى.

وقوله: ﴿فأنذرتكم نارًا تلظى﴾ أى: تتلظى، ومعناه: تتوهج.

وقوله: ﴿لايصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى﴾ أى: كذب بالله، وأعرض عن طاعته. وفى الآية سؤال للمرجئة والخوارج، فإن الله تعالى قال: ﴿لايصلاها إلا الأشقى﴾ أى: لايقاسى حرها، ولايدخلها إلا الأشقى الذى كذب وتولى، فدل أن

---

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٣/٢٦٧ رقم ١٣٦٢ وأطرافه: ٤٩٤٥ - ٤٩٤٩، ٦٢١٧، ٦٦٠٥، ٧٥٥٢)، ومسلم (١٦/٢٩٩ - ٣٠٢ رقم ٢٦٤٧).

(٢) النحل: ٩.

﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾

المؤمن وإن ارتكب الكبائر لايدخل النار، هذا للمرجئة، وأما الخوارج قالوا: قد وافقتمونا أن صاحب الكبائر يدخل النار، فدل أنه كفر بارتكاب الكبيرة، والتحق بمن كذب وتولى حيث قال الله تعالى: ﴿لايصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى﴾.

والجواب من وجوه: أحدها: أن معناه: لايصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى، فالأشقى هم أصحاب الكبائر، والذى كذب وتولى هم الكفار. والعرب تقول: أكلت خبزًا لحمًا تمرًا. أى: ولحمًا وتمرًا، وحذفوا الواو، وكذلك هاهنا، وأنشد أبو زيد الأنصارى:

**كيف أصبحت كيف أمسيت فما يثبت الود فى فؤاد الكريم**

أى: وكيف أمسيت؟

والوجه الثانى: أن للنار دركات، والمراد من الآية دركة بعينها، لايدخلها إلا الكفار، قال الله تعالى: ﴿إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار﴾[1] دلت الآية أنه مخصوص للمنافقين، وهذا جواب معروف.

والوجه الثالث: أن المعنى: لا يصلاها، لايدخلها خالدًا فيها إلا الأشقى الذى كذب وتولى، وصاحب الكبيرة وإن دخلها لايخلد فيها.

وقوله: ﴿وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى﴾ أى: يعطى ماله ليصير زاكيا طاهرًا، وهو وارد فى أبى بكر الصديق على قول أكثر المفسرين، ويقال: إن الآية الأولى نزلت فى أمية بن خلف، وأما إيتاؤه المال فهو أنه أعتق سبعة نفر كانوا يعذبون فى الله، منهم بلال الخير، وعامر بن فهيرة، والنهدية، وزنيرة، وغيرهم. وروى أنه لما اشترى الزنيرة وأعتقها - وكانت قد أسلمت - عميت عن قريب، فقال المشركون: أعماها اللات والعزى، فقالت: أنا أكفر باللات والعزى، فرد الله عليها بصرها.

ومن المعروف أن النبى ﷺ مر على بلال، وهو يعذب فى رمضاء مكة، وهو يقول: أحد أحد، فقال النبى ﷺ: «سينجيك أحد، ثم إنه أتى أبا بكر وقال: رأيت بلالا

(١) النساء: ١٤٥.

وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

يعذب فى الله، فذهب أبو بكر إلى بيته، وأخذ رطلا من ذهب، وجاء إلى أمية بن خلف واشتراه منه وأعتقه، فقالت قريش: إنما أعتقه ليَدٍ له عنده، فأنزل الله تعالى: ﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ﴾ أى: إلا طلب رضاء ربه المتعالى.

وقوله: ﴿ ولسوف يرضى ﴾ أى: يرضى ثوابه فى الآخرة، والمعنى: يعطيه الله حتى يرضى. وذكر النقاش فى تفسيره: «أن جبريل - عليه السلام - أتى النبى ﷺ فقال: قل لأبى بكر يقول الله تعالى: أنا عنك راضٍ، فهل أنت عنى راضٍ؟، فذكر ذلك لأبى بكر [فبكى][1] وخر ساجداً، وقال: أنا عن ربى راضٍ، أنا عن ربى راضٍ»[2].

وروى علىٌّ أن النبى ﷺ قال: «رحم الله أبا بكر، زوجنى ابنته، وحملنى إلى دار الهجرة، واشترى بلالا وأعتقه»[3].

(١) فى «الأصل»: ويكى.

(٢) تقدم.

(٣) رواه الترمذى (٥/٥٩٢ رقم ٣٧١٤) وقال: غريب، وابن أبى عاصم فى السنة (٢/٥٦٣ رقم ١٢٣٢)، والعقيلى (٤/٢١٠ - ٢١١)، وابن حبان فى المجروحين (٣/١٠)، وابن عدى فى الكامل (٦/٤٤٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾

# تفسير سورة الضحى

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ والضحى ﴾ أقسم بالنهار كله، وقيل: بوقت الضحوة، وهو وقت ارتفاع الشمس. قال مجاهد: سجى: استوى، وقال عكرمة: سكن الخلق فيه، وقيل: استقرت ظلمته. قال الأصمعى: سجو الليل: تغطية النهار، يقال: ليل داج، وبحر ساج، وسماء ذات أبراج، قال الراجز:

**ياحبذا القمراء والليل (الداج)[1]  وطرق مثل ملاء النَّسَّاج**

وقال آخر:

**فما ذنبنا أن جاش بحر ابن عمكم  وبحرك ساج (ما)[2] يوارى الدعامصا**

وقوله: ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾ قال أهل التفسير: أبطأ جبريل عن الرسول ﷺ مرةً؛ فقالت قريش: ودعه ربه وقلاه. وروى أن امرأة قالت له: يا محمد، أرى أن شيطانك قد تركك؛ فأنزل الله تعالى هذه السورة، وأقسم بما ذكرنا أنه ما ودَّعه وما قلاه.

وروى زهير، عن الأسود بن قيس، عن جندب البجلى قال: كنت مع النبى ﷺ فى غازية، فدميت أصبعه، فقال النبى ﷺ:

---

(١) أورده ابن منظور فى لسان العرب (١٤/ ٣٧١ - مادة: سجا) ونسبه للحارثى، وفيه: الساج، ومثله فى ابن جرير الطبرى (٣٠/ ١٤٧).

(٢) فى اللسان: «لا» (١٤/ ٣٧١).

«هل أنت إلا أصبع دُميت وفى سبيل الله ما لقيت»

قال: فأبطأ جبريل - عليه السلام - فقال المشركون: قد وُدع محمد ﷺ؛ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾»(١) قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو محمد المكى بن عبد الرزاق الكشميهنى، أخبرنا جدى أبو الهيثم الفربرى، أخبرنا البخارى، أخبرنا أحمد بن يونس، عن زهير بن معاوية بن حديج الحديث.

وذكر بعضهم: أن الآية نزلت حين سأل اليهود رسول الله ﷺ عن خبر أصحاب الكهف وعن ذى القرنين، وعن الروح فقال: سأخبركم غداً، ولم يقل: إن شاء الله، فتأخر جبريل - عليه السلام - سبعة عشر يوماً، وقيل: أقل أو أكثر، فقال المشركون: قد ودعه ربه وقلاه؛ فأنزل الله تعالى هذه السورة»(٢).

وقد قرئ فى الشاذ بالتخفيف، والمعروف بالتشديد أى: ما قطع عنك الوحى، (وقيل)(٣): ما أعرض عنك. وبالتخفيف معناه: ما تركك، تقول العرب: دع هذا، وذر هذا، واترك هذا بمعنى واحد.

وقوله: ﴿وما قلى﴾ أى: ما قلاك بمعنى: ما أبغضك، (وقيل)(٣): ما تركك منذ قبلك، وما أبغضك منذ أحبك. قال الأخطل:

المهديات هو من بيته والمحسنات لمن قلين مقالاً

أى: أبغضن.

---

(١) رواه الترمذى (٥/ ٤١١-٤١٢ رقم ٣٣٤٥)، وقال: حسن صحيح. والحديث قسمه البخارى ومسلم إلى قسمين: فالأول: رواه البخارى (٦/ ٢٣ رقم ٢٨٠٢ وطرفه ٦١٤٦)، ومسلم (١٢/ ٢١٥- ٢١٦ رقم ١٧٩٦).

والثانى: رواه البخارى (٨/ ٥٨٠ - ٥٨١ رقم ٤٩٥٠، ٤٩٥١)، ومسلم (١٢/ ٢١٦ - ٢١٨ رقم ١٧٩٧).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) فى «ك»: أى.

وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾

وقوله: ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾ يعنى: ثواب الله خير لك من نعيم الدنيا، وقد روى أن عمر - رضى الله عنه - دخل على النبى ﷺ فرآه مضجعًا على حصير، قد أثر الحصير فى جنبه، فبكى عمر - رضى الله عنه - فقال رسول الله ﷺ: «وما يبكيك يا عمر؟ فقال: ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من النعيم، وذكرت حالك وأنت رسول الله. فقال له النبى ﷺ: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا»(١).

وقوله: ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ أى: من الثواب والكرامة والمنزلة حتى [ترضى](٢)، وفى بعض التفاسير: هو ألف قصر من اللؤلؤ وترابها المسك، والقول الثالث: أنه الشفاعة لأمته، وعن محمد بن على الباقر قال: إنكم تقولون: إن أرجى آية فى كتاب الله تعالى قوله: ﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾(٣) الآية، ونحن نقول: أرجى آية فى كتاب الله تعالى هو قوله: ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ يعنى: أنه يشفعه فى أمته حتى يرضى.

قوله تعالى: ﴿ ألم يجدك يتيما فآوى ﴾ سماه يتيمًا؛ لأن أباه توفى وهو حَمْل، وقيل: بعد ولادته بشهرين، وتوفيت أمه وهو ابن ست سنين، وكفله جده عبد المطلب، ثم مات وهو ابن ثمان سنين، وكفله عمه أبو طالب، ومعنى قوله: ﴿ فآوى ﴾ أى: جعل لك مأوى، وهو أبو طالب، والمعنى: يأوى إليه، وتوفى أبو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين.

وقوله: ﴿ ووجدك ضالا فهدى ﴾ أى: عن الشرائع والإسلام فهداك إليها، ويقال: عن النبوة، وقيل: ووجدك ضالا أى: غافلا عما يراد بك فهداك إليه، وهو أحسن

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى «الأصل وك»: ترى.

(٣) الزمر: ٥٣.

﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾

الأقاويل. وقيل: ضالا عن طريق الحق فهداك إليه. وعن بعضهم: وجدك فى قوم ضالٍ، وأولى الأقاويل أن يكون محمولا على الشرائع، وما أنزل الله مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ﴾[1] أو يكون المعنى وجدك ضالا أى: غافلا عن النبوة والوحى الذى أنزل إليه مثل قوله فى قصة موسى - صلوات الله عليه -: ﴿ قال فعلتها إذًا وأنا من الضالين ﴾[2] أى: من الغافلين.

وقوله: ﴿ ووجدك عائلاً فأغنى ﴾ أى: فقيراً فأغناك بمال خديجة.

[وقال الكلبى[3] ومقاتل]: أغناك بالرضا والقناعة بما أعطاك، وهو أولى القولين، وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى القلب»[4]، وأنشد بعضهم:

**فما يدرى الفقير متى غناه وما يدرى الغنى متى يعيل**

أى: يفتقر. ويقال: ﴿ ووجدك عائلا ﴾ أى: ذا عيال، فأغنى أى: كفاك مؤنتهم، ومن المعروف أن النبى ﷺ قال: «يارب، إنك اتخذت إبراهيم خليلا وموسى كليمًا، وسخرت مع داود الجبال، وفعلت كذا وكذا، فما فعلت بى؟ فأنزل الله تعالى ﴿ ألم يجدك يتيمًا فآوى ﴾ والسورة الأخرى، وهى قوله تعالى: ﴿ ألم نشرح لك

---

(١) الشورى: ٥٢.

(٢) الشعراء: ٢١.

(٣) فى «الأصل، وك»: الكبرى ومقاتل ويقال، والصواب ما أثبتناه، وانظر القرطبي (٢٠ / ٩٩).

(٤) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (١١/ ٢٧٦ رقم ٦٤٤٦)، ومسلم (٧/ ١٩٨ رقم ١٠٥١).

وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

صدرك﴾[1] وفى هذا الخبر أن الرسول ﷺ قال: «وددت أنى لم أقل ما قلت»[2].

قوله سبحانه وتعالى: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ أى لاتحتقره، والمعروف: لا تظلمه أى: تأخذ حقه وتتقوى به، وقد كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك فى أموال اليتامى. وقرأ ابن مسعود: «فلا تكهر» أى: لا تزجره.

وقوله: ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ أى: رد برفق ولين، فإما أن تعطيه، وإما أن ترده بالرفق وتدعو له، وحكى عن الحسن البصرى أنه قال: محمول على سائل العلم دون سائل الطعام، وعن أبى الدرداء - رضى الله عنه - أنه كان إذا جاءه طالب علم قال: مرحبًا بأحبة رسول الله ﷺ، وعن إبراهيم بن أدهم - قدس الله روحه - قال: إنى أظن أن الله تعالى يصرف العقوبة عن أهل الدنيا برحلة أصحاب الحديث فى طلب العلم.

وقوله تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ أى: بالنبوة. وقوله: ﴿فحدث﴾ أى: ادع الناس إليها، وقد كان يكتم زمانًا ثم أظهرها، وقيل: هو القرآن فعلى هذا قوله: ﴿فحدث﴾ أى: اتله على الناس، ويقال: جميع النعم. وقوله: ﴿فحدث﴾ أى: أظهر بالشكر، وعن الحسن بن على - رضى الله عنهما - أنه قال: إذا أصبت خيرًا أو نعمةً فحدث به الثقات من إخوانك. وعن عمرو بن ميمون أنه قال: من قام لورده فى الليل فلا بأس أن يحدث به الثقة من إخوانه، ويقول: رزقنى الله كذا وكذا. وفى

---

(١) الشرح: ١.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير (١١/٤٥٥ رقم ١٢٢٨٩)، وفى الأوسط (٦/١٤٧ - ١٤٨ رقم ٣٥١٣ مجمع البحرين)، والحاكم (٢/٥٢٦) وصححه، والبيهقى فى الدلائل (٧/٦٢-٦٣)، والبغوى فى تفسيره (٤/٤٩٩) عن ابن عباس مرفوعا به.

وقال الهيثمى فى المجمع (٨/٢٥٧): رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط.

بعض الأخبار: «أن إظهار النعمة شكر، والسكوت عنها كفر»[1] والله أعلم.

وقرأ ابن كثير - رحمه الله عليه - من هذا الموضع بالتكبير فى خواتم السور إلى آخر القرآن، وذكر أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وقرأ مجاهد على ابن عباس - رضى الله عنهما - فأمره بذلك، وقرأ ابن عباس على أبى بن كعب - رضى الله عنهما - فأمره بذلك، وقرأ (ابن مسعود) على النبى ﷺ فأمره بذلك[2]. والتكبير هو قوله: الله أكبر، قالوا: وسبب هذا أن المشركين لما قالوا للنبى ﷺ إن ربه ودعه وقلاه، وفى رواية أنهم قالوا: قد هجره شيطانه، فلما أنزل الله تعالى هذه السورة وفيها قوله تعالى: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾ كبر النبى ﷺ فرحا بنزول هذه السورة، فصار سنة إلى آخر القرآن. والله أعلم.

---

(١) روى مرفوعا عن النعمان بن بشير، ولفظه «والتحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر». رواه الإمام أحمد فى مسنده (٤/٢٧٨)، وعبد الله ابنه فى زوائده (٤/٣٧٥)، وابن أبى الدنيا فى الشكر (رقم ٦٣)، والبغوى فى تفسيره (٤/٥٠٠)، وضعف إسناده ابن كثير فى تفسيره (٤/٥٢٣)، والسيوطى فى الدر (٦/٤٠٥).

(٢) رواه أبو يعلى الخليلى فى الإرشاد (١/٤٢٧ - ٤٢٨)، وابن شاهين فى الأفراد (الجزء الخامس رقم ٨٣)، والحاكم (٣/٣٠٤) وصححه، وتعقبه الذهبى وقال: البزى قد تكلم فيه، والبيهقى فى الشعب (٥/٤٣-٤٤ رقم ١٩١٣، ١٩١٤)، والبغوى فى تفسيره (٤/٥٠٠- ٥٠١) من حديث ابن عباس عن أبى مرفوعا.

وقال أبو حاتم فى العلل (٢/٧٧): هذا حديث منكر، وكذا استنكره الذهبى فى الميزان (١/١٤٤ - ١٤٥)، وانظر النشر لابن الجزرى (٢/٤١٢ - ٤١٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾

## تفسير سورة ألم نشرح

## وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ معناه: ألم نفتح لك صدرك؟ وقيل: ألم نوسع لك صدرك، والقول الأول، قاله مجاهد والحسن. وقال السدى: ألم نلين لك قلبك، وقال الحسن فى رواية أخرى: ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ معناه: أنه ملىء حكمة وإيمانًا. وقد ورد فى الأخبار برواية قتادة، عن أنس، [عن](١) مالك بن صعصعة، أن نبى الله ﷺ قال: «بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلا يقول: هو بين الثلاثة، فأتيت بطست من ذهب فيه ماء زمزم، فشرح الله صدرى إلى كذا وكذا. قال قتادة: قلت: ما تعنى؟ قال: إلى أسفل بطنى، فاستخرج قلبى وغسله بماء زمزم، ثم أعاده إلى مكانه، ثم حشاه إيمانًا وحكمةً». وفى الحديث قصة طويلة، قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث القاضى الإمام أبو الدرداء، أخبرنا أبو العباس بن سراج، أخبرنا أبو العباس بن محبوب أخبرنا أبو عيسى الحافظ، أخبرنا محمد بن بشار، أخبرنا محمد بن جعفر، وابن أبى عدى، عن سعيد بن أبى (عروبة)(٢)، عن قتادة، عن أنس بن مالك الحديث. وهو حديث صحيح(٣).

وورد أيضًا فى الأخبار أن النبى ﷺ قال: «إذا دخل النور فى قلب المؤمن انشرح وانفسح. فقيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة؟ قال التجافى عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل حلول الموت»(٣).

---

(١) فى «الأصل، وك»: بن، وهو تحريف، والحديث متفق عليه من حديث قتادة، عن أنس، عن مالك بن صعصعة به مرفوعًا.

(٢) فى الأصل: «عروة» وهو تحريف.

(٣) تقدم تخريجه.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾

وقوله: ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ قال مجاهد: أى: غفرنا لك، وهو فى معنى قوله تعالى ﴿ليغفر لك الله ما تقدم ما ذنبك وما تأخر﴾(١)

وقوله: ﴿وزرك﴾ قال مجاهد: أى: ثقلك. وعن بعضهم: ووضعنا عنك وزرك، أى: حططنا عنك ثقلك. وفى رواية ابن مسعود: وحللنا عنك وقرك.

وقوله: ﴿الذى أنقض ظهرك﴾ قال الزجاج: أى: أثقلك ثقلا، يسمع منه نقيض ظهرك، وهذا على طريق التشبيه والتمثيل، يعنى: لو كان شيئًا يثقل، يسمع من ثقله نقيض ظهرك. فإن قال قائل: وأيش كان وزره؟ وهل كان على دين قومه قبل النبوة أو لا؟

والجواب: قد ورد فى التفسير: أنه كان على دين قومه قبل ذلك، ومعنى ذلك: أنه كان يشهد مشاهدهم، ويوافقهم فى بعض أمورهم من غير أن يعبد صنمًا أو يعظم وثنًا، وقد كان الله عصمه عن ذلك، فما ذكرنا هو الوزر الذى أنقض ظهره.

وقوله ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ فيه أقوال: أحدها: ورفعنا لك ذكرك بالنبوة والرسالة.

والآخر: رفعنا لك ذكرك أى: جعلت طاعتك طاعتى، ومعصيتك معصيتى، والقول المعروف فى هذا أنى لا أذكر إلا ذكرت معى، قال ابن عباس: فى الأذان والإقامة والتشهد وعلى المنابر فى الجمع والخطب فى العيدين ويوم عرفة وغير ذلك.

وقال قتادة: ما من متشهد ولا خطيب ولا صاحب صلاة إلا وهو ينادى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

وقد ورد فى بعض الأخبار هذا مرفوعًا إلى جبريل - عليه السلام - برواية أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال لى: «إن جبريل قال: قال الله عز وجل: إذا ذكرتُ ذكرتَ معى».(٢)

(١) الفتح: ٢ (٢) رواه أبو يعلى (٢ / ٥٢٢ رقم ١٣٨٠)، وابن جرير (٣٠ / ١٥١)، وابن حبان (٨ / ١٧٥ رقم ٣٣٨٢)، والخلال فى السنة (٢٦٢ رقم ٣١٨))، والبغوى (٤ / ٥٠٢). وقال الهيثمى فى المجمع (٨ / ٢٥٧): رواه أبو يعلى، وإسناده حسن.

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾

و قال حسان بن ثابت يمدح النبى ﷺ :

**أغر عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهود يلوح ويشهد**

**وضم الإله اسم النبى مع اسمه ... إذا قال فى الخمس المؤذن أشهد**

**وشق له من اسمه ليجله[1] ... فذو العرش محمود وهذا محمد**

قوله تعالى: ﴿فإن مع العسر يسرا﴾ أى: مع العسر يسراً. فى التفسير: أن المشركين عيروا النبى ﷺ وأصحابه، وقالوا: لو شئت جمعنا لك شيئًا من المال لترجع عن هذا القول، فأكربه ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

والمعنى: إن مع الفقر غنى، ومع الضيق سعة، وإن مع الحزونة سهولة، ومع الشدة رخاء. وقد حقق الله ذلك فى الدنيا بما فتح على النبى - عليه الصلاة والسلام - وعلى أصحابه، فإن الله تعالى فتح للنبى ﷺ الحجاز، وتهامة، وما والاها، وعامة بلاد اليمن، وكثيراً من البوادى إلى [قريب][2] من العراق والشام، وفتح على أصحابه ما فتح وأغنمهم كنوز كسرى وقيصر، وقد صار حال النبى ﷺ فى آخر أمره أنه كان يهب المائين من الإبل، والألوف من الغنم، ويدخر لعياله قوت سنة، فهذا الذى ذكرناه هو معنى الآية. وقد روى معمر (عن أيوب)[3] عن الحسن «أن النبى ﷺ خرج يوماً مسروراً إلى أصحابه وقال: أبشروا لن يغلب عسر يسرين، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً﴾»[4] قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد، أخبرنا سهل بن عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أخبرنا العذافرى، أخبرنا الدبرى، عن عبد الرزاق، عن معمر... الحديث.

(١) فى« الأصل » : كى يجله.

(٢) فى «الأصل، ك». قريباً.

(٣) ليست فى «ك».

(٤) رواه بن جرير (٣٠/١٥١) والحاكم (٢/٥٢٨) عن الحسن مرسلا، وزاد السيوطى فى الدر (٦/٤٠٧): عبد بن حميد، وبن مردويه.

فإن قال قائل: ما معنى قوله: لن يغلب عسر يسرين، وقد كرر كلاهما؟

والجواب عنه: أن الفراء ذكر أن النكرة إذا كررت نكرة، فالثانى غير الأول، والنكرة إذا أعيدت معرفة فالثانى هو الأول تقول العرب: كسبت اليوم درهماً، وأنفقت الدرهم. فالثانى هو الأول. ونقول: وعلى معنى هذا ورد قوله تعالى: ﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول﴾[1] وعن ابن مسعود قال: لو دخل العسر فى جحر لتبعه اليسر حتى يستخرجه. وفى معنى اليسرين قولان: أحدهما: يسر الدنيا، والآخر يسر الآخرة، فعلى هذا معنى الخبر، إن غلب العسر يسر الدنيا، فلا يغلب يسر الآخرة.

والقول الثانى: أن اليسر الأول هو للرسول ﷺ، واليسر الثانى لأصحابه. قال رضى الله عنه: أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن عبد العزيز الجنوجردى قال: أخبرنا أبو إسحاق الثعلبى الحسن بن محمد النيسابورى قال: سمعت محمد بن عامر البغدادى قال سمعت عبد العزيز بن يحيى قال: سمعت عمر قال العتبى يقول: كنت ذات ليلة فى البادية، فألقى فى روعى بيت من شعر، فقلت:

**أرى الموت لمن أصبـ ـح مغموماً أروح**

فلما جن الليل سمعت هاتفاً يهتف من الهواء:

**ألا أيها المرء الـ ـذى الهم به يبرح**
**وقد أنشد بيتا لم يزل فى فكره يسنح**
**إذا اشتدت بك العسرى ففكر فى ألم نشرح**
**فعسر بين يسرين إذا أبصرته فافرح**

قال: فحفظت الأبيات، وفرج الله غمى.

قال رضى الله عنه: وأنشدنا أبو بكر قال: أنشدنا أبو إسحاق قال أنشدنا الحسن بن محمد بن الحسن قال: أنشدنا أحمد بن محمد بن إسحاق الحيرى قال: أنشدنا

(١) المزمل: ١٥ - ١٦.

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾

إسحاق بن بهلول القاضى :

**فلا تيأس وإن أعسرت يوما ... فقد أيسرت فى دهر طويل**

**ولا تظنن بربك ظن سوء ... فإن الله أولى بالجميل**

**وإن العسر يتبعه يسار ... وقول الله أصدق كل قيل**

قال رضى الله عنه : وأنشدنا أبو بكر قال : أنشدنا أبو إسحاق قال : أنشدنا الحسن قال : أنشدنا الحسن بن محمد قال : أنشدنى محمد بن سليمان بن معاذ ( الكرخى )[1] قال أنشدنا أبو بكر بن الأنبارى :

**إذا بلغ العسر مجهوده ... فثق عند ذاك بيسر سريع**

**ألم تر نحس الشتاء النطيع ... يتلوه سعد الربيع البديع**

قال رضى الله عنه : وأنشدنا أبو بكر، أنشدنا أبو إسحاق، أنشدنى عيسى بن زيد الطفيلى أنشدنى سليمان بن أحمد الرقى :

**توقع إذا ما عدتك الخطوب ... سروراً يسردها عندك فسرا**

**ترى الله يخلف ميعاده ... وقد قال إن مع العسر يسرا**

قوله تعالى ﴿ فإذا فرغت فانصب ﴾ قال مجاهد وقتادة والضحاك و الكلبى ومقاتل : إذا فرغت من الصلاة فانصب للدعاء، وارغب إلى الله فى المسألة . وقال الشعبى : إذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك . وروى نحو ذلك عن الزهرى وعن ابن مسعود : إذا فرغت من الفرائض فانصب لقيام الليل .

وعن بعضهم إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب لجهاد الكفار .

وقوله : ﴿ وإلى ربك فارغب ﴾ هو الحث على الدعاء [ و ] المسألة . وقال الزجاج : إلى ربك فارغب وحده، ولا تكن رغبتك إلى أحد سواه . والله أعلم .

( ١ ) فى « ك » : الكوفى .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾﴾

## تفسير سورة التين

وهى مكية

وقد ثبت برواية البراء بن عازب أن النبى ﷺ قرأ هذه السورة فى صلاة المغرب خرجه مسلم فى كتابه.

قوله تعالى: ﴿والتين والزيتون﴾ قال مجاهد والحسن: هو التين الذى يؤكل والزيتون الذى يعصر. والمعنى: ورب التين والزيتون. وقال قتادة: التين هو الجبل الذى عليه دمشق، والزيتون هو الجبل الذى عليه بيت المقدس. وقال كعب: هو دمشق وبيت المقدس. وحكى الفراء أنهما جبلان مابين حلوان إلى همذان. ويقال: أراد منابت التين والزيتون. قال النحاس: وهذا قول يخالف ظاهر الآية، ولم ينقل عمن يكون قوله حجة.

وقوله: ﴿وطور سنين﴾ أكثر المفسرين أنه الجبل الذى كلم الله عليه موسى. وقد ثبت عن عمر أنه قرأ: «وطور سَيْنَاء»، وفى حرف ابن مسعود: «وطور سِيْنَاء» بكسر السين. وقال الحسن: الطور هو الجبل، وسنين: المبارك. وعن الأخفش: طور: اسم الجبل وسنين: اسم الشجر.

وقوله ﴿وهذا البلد الأمين﴾ هو مكة بالإجماع، ومعنى الأمين أى: آمن من فيه.

وقوله ﴿لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾ هو جواب القسم. قال مجاهد وإبراهيم وجماعة: فى أحسن تقويم أى: فى أحسن صورة. وقيل: فى أحسن تقويم: هو أعتداله واستواؤه.

وقوله: ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ قال مجاهد والحسن: إلى النار إلا من آمن. فعلى هذا تكون الآية فى الكفار. وقد قيل: إنه ورد فى كافر بعينه فيقال: إنه أبو

إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

جهل. وقيل: إنه الوليد بن المغيرة. وقيل غيرهما. وقال إبراهيم والضحاك وجماعة: ثم رددناه أسفل سافلين: هو أرذل العمر، والسافلون هم الضعفاء والمرضى والشيوخ العجزة.

وقوله: ﴿إلا الذين آمنوا﴾ الاستثناء مشكل فى هذه السورة، فعلى قول الحسن ومجاهد يكون الاستثناء ظاهراً والمعنى: رد الناس إلى النار إلا من آمن وعمل صالحًا فإنه لايرد إلى النار، ومعنى الإنسان: الناس. وأما على قول إبراهيم والضحاك فالاستثناء مشكل على هذا القول، قاله النحاس. والمعنى على هذا إلا الذين آمنوا فلا يردون إلى أرذل العمر، ومعناه: أنه يكتب لهم أعمالهم الصالحة بعد الهرم على ماكانوا يعملونها فى حالة الشباب وإن عجزوا عنها، فكأنهم لم يردوا إلى أرذل العمر، وقد حكى معنى هذا عن إبراهيم، وروى ذلك مرفوعا فى بعض الأخبار إلى الرسول ﷺ.

وقوله ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ فيه قولان: أحدهما: لايمتن به عليهم أحد – سوى الله – منَّة تكدر النعمة عليهم. والقول المعروف: غير مقطوع وهو مؤيد لما ذكرناه من التأويل.

قوله تعالى: ﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾ المعنى: فما يكذبك أيها الشاك بيوم الحساب بعد ما شاهدت من قدرة الله تعالى ما شاهدت، هذا هو القول المعروف. وفى الآية قول آخر: أن معناه: فمن يكذبك بعد بالدين على خطاب النبى ﷺ أى: من الذى يكذبك بيوم الحساب بعد أن ظهر من البراهين والآيات ماظهر، ذكره أبو معاذ النحوى، القول الأول أولى؛ لأن ما بمعنى من، يبعد فى اللغة.

وقوله: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ هو استفهام بمعنى التحقيق وهو مثل قول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

أى: أنتم كذلك. وقد ورد عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا إذا ختموا السورة قالوا: اللهم بلى، وفى رواية: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين؛ منهم أبو هريرة وابن عباس رضى الله عنهما.

بسم الله الرحمن الرحيم

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾

# تفسير سورة العلق

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ أكثر أهل العلم [ أن ] هذه السورة أول سورة أنزلت من القرآن، وهو مروى عن على، وابن عباس، وعائشة، وابن الزبير. وروى محمد بن إسحاق، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة «أن أول سورة أنزلت من القرآن، سورة اقرأ باسم ربك الذى . . . » قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث الحاكم أبو عمرو ومحمد بن عبد العزيز القنطرى، أخبرنا أبو الحارث على بن القاسم الخطابى أخبرنا أبو لبابة محمد بن المهدى، أخبرنا أبو عماد بن الحسين بن بشر، عن [ سلمة ](١) بن الفضل عن محمد بن إسحاق. الخبر.

وعن جابر: أن أول سورة أنزلت سورة المدثر، [ و ] قد بينا، والأصح هو القول الأول، وقد ثبت برواية عائشة - رضى الله عنها - قالت: «أول مابدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا ( الصادقة )(٢) فى النوم، فكان لايرى رؤيا إلاجاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يأتى حراء فيتحنث فيه الليالى ذوات العدد- وهو التعبد - ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها، حتى ( فجئه )(٣) الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال النبى ﷺ قلت: ما أنا بقارئ. قال:

---

( ١ ) فى « الأصل ، وك »: مسلمة، وهو تحريف والصواب سلمة وهو ابن الفضل الأبرش الأنصارى، يروى عن بن إسحاق، كما فى ترجمتيهما من تهذيب الكمال ( ١١ / ٣٠٥ - ٣٠٧ ، ٢٤ / ٤٠٥ - ٤١١ ).

( ٢ ) فى« ك » : الصالحة.

( ٣ ) فى« ك »: جاءه.

خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾

فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم، أرسلنى، فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى، فقال اقرأ، فقلت ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى، فقال: اقرأ باسم ربك الذى خلق... حتى بلغ مالم يعلم». والخبر طويل مذكور فى الصحيحين.(١)

وقوله: ﴿باسم ربك﴾ أى: اقرأ مفتتحًا باسم ربك، وقيل: اقرأ اسم ربك، والباء زائدة، قاله أبو عبيدة، ومثله قول الشاعر:

هن الحرائر لاربات أخمرة  سود المحاجر لايقرأن بالسور

أى: السور، والباء زائدة. وقيل: اقرأ على اسم ربك، كما يقال: سر باسم الله أى: على اسم الله، والقولان الأولان هما المعروفان.

وقوله: ﴿الذى خلق﴾ يعنى: خلق الناس.

وقوله: ﴿خلق الإنسان من علق﴾ أى: العلقة وهى الدم، وذكرها هنا العلقة؛ لأنها من الأمشاج، فدل بها على غيرها.

وقوله: ﴿اقرأ وربك الأكرم﴾ أى كريم، ومن كرمه أن يحلم عن ذنوب العباد، ويؤخر عقوبتهم، وعن بعضهم: من كرمه أن يعبد الآدمى غيره، ولايقطع عنه رزقه.

وقوله: ﴿الذى علم بالقلم﴾ أى: الكتابة بالقلم ،وهى نعمة عظيمة، قال قتادة: القلم نعمة من الله عظيمة، لولا ذلك لم يقم دين، ولم يصلح عيش ،واختلف القول فى المراد بالتعليم، فأحد القولين هو آدم صلوات الله عليه،والقول الآخر: كل آدمى يخط بالقلم.

وقوله: ﴿علم الإنسان مالم يعلم﴾ قد بينا، وهو ظاهر المعنى.

قوله: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى﴾ نزل فى أبى جهل، وقد ورد فى بعض الأخبار

(١) وقد تقدم.

أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ

عن النبى ﷺ أنه قال: «إن لكل أمة فرعون، وفرعون هذه الأمة أبو جهل»(١). وهو خبر غريب. وقوله: ﴿ليطغى﴾ أى: يجاوز الحد فى العصيان، قال الكلبى: من الطغيان أن يتنقل من منزلة إلى منزلة فى اللباس والطعام. وفى بعض التفاسير: هو أنه إذا كثر ماله زاد فى طعامه وشرابه وثيابه (ومركبه)(٢). وعن ابن مسعود أنه قال: منهومان لايشبعان، طالب علم، وطالب مال لايستويان، أما طالب العلم فيبتغى رضا الرحمن، وأما طالب المال فيطلب رضا الشيطان.

وقوله: ﴿أن رآه استغنى﴾ أى: رأى نفسه غنيًا.

وقوله: ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ أى: الرجوع والمرجع.

وقوله تعالى: ﴿أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى﴾ هو أبو جهل أيضًا، والعبد الذى يصلى هو الرسول ﷺ، وقد ثبت برواية ابن عباس(٣) أن أبا جهل قال: إن رأيت محمداً يصلى لأطأنَّ على رقبته، فذكر له أنه يصلى فجاء ليطأ على رقبته، فلما قرب منه نكص على عقبيه، فقيل له: ما لك يا أبا الحكم؟ فقال: رأيت بينى وبينه خندقًا من نار، وهؤلاء ذوو أجنحة، فقال النبى ﷺ: «لو دنى منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» خرجه مسلم فى كتابه(٤). وقوله: ﴿أرأيت﴾ هو تعجيب للسامع، وقيل

(١) رواه الشاشى فى مسنده (٢/ ٣٣١ - ٣٣٢ رقم ٩٢٢) عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه به. وقد رواه الإمام أحمد (١/ ٤٠٣) فى قصة قتل بن مسعود لأبى جهل بنحوه.

(٢) فى «ك»: ومركوبه.

(٣) رواه البخارى (٨/ ٥٩٥ رقم ٤٩٥٨)، والترمذى (٥/ ٤١٣ رقم ٣٣٤٨) وقال: حسن صحيح غريب. والنسائى فى الكبرى (٦/ ٣٠٨ رقم ١١٠٦١، ١١٦٨٥)، وأحمد (١/ ٢٤٨، ٣٦٨) وغيرهم.

(٤) كذا قال، وإنما خرجه مسلم من رواية أبى هريرة، وحديث أبى هريرة، رواه مسلم (١٧/ ٢٠٣ - ٢٠٤ رقم ٢٧٩٧)، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٥١٨ رقم ١١٦٨٣)، وأحمد (٢/ ٣٧٠)، وبن حبان (١٤/ ٥٣٢ - ٥٣٣ رقم ٦٥٧١) وغيرهم.

﴿١٥﴾ ناصية كاذبة خاطئة ﴿١٦﴾ فليدع ناديه ﴿١٧﴾ سندع الزبانية ﴿١٨﴾ كلا لا تطعه واسجد واقترب ﴿١٩﴾

معناه: أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى، كيف يأمن عذابى؟ وقيل معناه أمصيب هو؟ يعنى: ليس بمصيب، وفى قول سيبويه معناه: أرأيت من كان هذا عمله، أخبرنى عن أمره فى الآخرة؟ وهو إشارة إلى أنه يصير إلى عقوبة الله فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى﴾ يعنى: محمداً ﷺ.

وقوله: ﴿أرأيت إن كذب وتولى﴾ يعنى: أبا جهل، والمعنى: أن من كذب وتولى ونهى عبداً إذا صلى، كيف يكون كمن آمن بربه واتقى وصلى!

وقوله: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ هو تهديد ووعيد.

قوله تعالى: ﴿كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية﴾ أى: لَنَجُرَّن بناصيته إلى النار، وقيل: لنسودنَّ وجهه، وذكر الناصية ليدل على الوجه، وقيل: لنسمنَّ موضع الناصية بالسواد، فاكتفى به من سائر الوجه. وفى اللغة: الأسفع: الثور الوحشى الذى فى خديه سواد، وأنشدوا على القول:

**قوم إذا سمعوا الصريخ رأيتهم ... من بين ملجم مهره أوسافع**

أراد وآخذ بناصيته.

وأنشدوا على القول الثانى:

**وكنت (إلى)[1] نفس الغوى نزت به ... سفعت على العرنين منه بميسم**

أراد وسمته على عرنينه.

وقوله: ﴿ناصية كاذبة خاطئة﴾ أى: ناصية صاحبها كاذب خاطئ.

وقوله تعالى: ﴿فليدع ناديه﴾ روى: «أن أبا جهل لما أنكر على النبى ﷺ صلاته،

(١) فى «ك»: على. وقد أورده بن منظور فى لسان العرب (٨/١٥٨) مادة: (سفع) وفيه: وكنت إذا نفس الغوى...

انتهره النبى – عليه الصلاة والسلام – فقال له أبو جهل: أتنهرنى يامحمد، وما بها أكثر ناديًا منى؛ أعمر مجلسًا وأكثر قومًا، فأنزل الله تعالى: ﴿فليدع نادية﴾»(١) أى قومه الذى يتعزز بهم، وهم أهل مجلسه.

وقوله: ﴿سندع الزبانية﴾ هم الملائكة الذين قال الله تعالى فى وصفهم: ﴿عليها ملائكة غلاظ شداد﴾(٢) وقيل: هم أعوان ملك الموت. (وواحد الزبانية زبنية فى قول الكسائى زبانى، وعن بعضهم: زبان)(٣).

وقوله: ﴿كلا لا تطعه واسجد واقترب﴾ أى: واسجد لله واقترب منه بالطاعة، وقيل: واسجد يامحمد واقترب يا أبا جهل، لترى عقوبة الله، وهو قول غريب.

---

(١) رواه الترمذى (٥/٤١٤ رقم ٣٣٤٩) وقال: حسن غريب صحيح، والنسائى (٦/٥١٨ رقم ١١٦٨٤ – الكبرى) وأحمد (١/٢٥٦، ٣٢٩)، وابنه عبد الله (١/٢٥٦)، والطبرى (٣٠/١٦٤) عن بن عباس بنحوه.

(٢) التحريم: ٦.

(٣) كذا فى «الأصل وك» والذى فى لسان العرب أن واحد الزبانية عند الكسائى زِبْنِىٌّ، وعند الزجاج زِبْنِية، وقال الأخفش: قال بعضهم: واحد الزبانية زَبَانِىّ، وقال بعضهم: زابنٌ، وقال بعضهم: زبنية مثل عِفْرية» انظر اللسان (١٣/١٩٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾

# تفسير سورة القدر

وهى مدنية

قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ أى: القرآن، وقد ذكرنا أن الله تعالى أنزل جميع القرآن فى ليلة القدر إلى السماء الدنيا، ثم أنزله تفاريق على الرسول ﷺ، بعضه فى إثر بعض، والهاء كناية عن القرآن، وإن لم يكن القرآن مذكوراً، وصح ذلك لأنه معلوم. وليلة القدر: هى ليلة الحكم. قال مجاهد فى التفسير: إن الله تعالى يقسم فيها [الأرزاق](١) والأعمال.

واختلفوا فى ليلة القدر، فحكى عن بعضهم: أنها رفعت حين توفى النبى ﷺ، وليس بصحيح، بل هى باقية إلى قيام الساعة. وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال: فى الحول، ومن يقم حولا يصيبها. والصحيح أنها فى العشر الأخير من رمضان، وقد ثبت برواية زر بن حبيش أنه قال لأبى بن كعب: «إن أخاك عبد الله بن مسعود يقول: إنها فى الحول، فقال أبى بن كعب: يرحم الله أبا عبد الرحمن! لقد علم أنها فى العشر الأخير من رمضان، وعلم أنها ليلة السابع والعشرين، ولكن أراد أن لايتكل الناس على ذلك، ثم حلف أبى بن كعب، ولم يستثنِ أنها ليلة السابع والعشرين، قال زر: فلما رأيته يحلف، قلت: يا أبا المنذر، بم تعرف ذلك؟ قال بالعلامة التى ذكرها لنا رسول الله ﷺ، وهى أن تطلع الشمس فى صبيحتها ولاشعاع لها»(٢).

---

(١) فى «الأصل»، «ك» أرزاق.

(٢) رواه مسلم (٦/ ٦٢ - ٦٤ رقم ٧٦٢، ٨/ ٩١ - ٩٣ رقم ٧٦٢)، وأبو داود (٢/ ٥١ رقم ١٣٧٨). والترمذى (٥/ ٤١٥ رقم ٣٣٥١).

وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾

وقد ثبت أيضاً عن النبى ﷺ أنه قال: «تحروها فى العشر الأواخر من رمضان»(١). أى: اطلبوها، وفى بعض الروايات: «اطلبوها فى الأفراد»(٢)، وفى رواية أبى سعيد الخدرى: «أنها ليلة الحادى والعشرين»(٣). وقيل غير ذلك، وأصح الأقاويل وأشهرها أنها ليلة السابع والعشرين، ومن قام العشر أدركها قطعا وحقيقة.

وقوله: ﴿وما أدراك ماليلة القدر﴾ قد بينا أن ماورد فى القرآن على هذا اللفظ، فقد أعلمه الله تعالى.

وقوله: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ أى: ثواب العمل فيها أكثر من ثواب العمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وذكر أبو عيسى الترمذى فى جامعه برواية يوسف بن سعد، أن الحسن بن على - رضى الله عنهما - لما بايع معاوية، وسَلَّمَ إليه الخلافة، قال له رجل: يامسود وجوه المؤمنين، أو يامذل المؤمنين، فقال: لاتقل بها، فإن رسول الله ﷺ أُرِىَ بنى أمية على منبره، فساءه ذلك، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾(٣)، وأنزل أيضاً: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾، وقال: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ أى: خير من ألف شهر يملك فيها بنو أمية»(٤). قال أبو عيسى: وهو غريب. وفى بعض التفاسير: أن النبى ﷺ قال: «إن رجلا من بنى

(١) متفق عليه من حديث بن عمر، رواه البخارى (٤/٣٠١ رقم ٢٠١٥)، ومسلم (٨/٨٢-٨٥ رقم ١١٦٥). ومن حديث عائشة، رواه البخارى (٤/٣٠٥ رقم ٢٠١٧) وطرفاه ٢٠١٩، ٢٠٢٠)، ومسلم (٨/٩١ رقم ١١٦٩).

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٢/٣٤٧ رقم ٨١٣ وطرفاه ٢٠١٦، ٢٠١٨)، ومسلم (٨/٨٦ - ٩٠ رقم ١١٦٧) وفيه قصة.

(٣) الكوثر: ١.

(٤) رواه الترمذى (٥/٤١٤) وقال: غريب، وابن جرير (٣٠/١٦٧)، والطبرانى (٣/٨٩ - ٩٠ رقم ٢٧٥٤)، والحاكم (٣/١٧٠ - ١٧١، ١٧٥) وصححه، والبيهقى فى الدلائل (٦/٥٠٩ - ٥١٠).
وقال الحافظ بن كثير (٤/٥٣٠): هذا الحديث على كل تقدير منكر جدا، قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج المزى: هو حديث منكر. وقال الذهبى فى تلخيص المستدرك: ما أدرى آفته من أين.

تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾ .

إسرائيل جاهد أعداء الله ألف شهر، وكان مع ذلك يقوم بالليل، ويصوم النهار، فاغتم من ذلك لقصر أعمار أمته، وقلة أعمالهم، فأنزل الله تعالى هذه السورة، وأخبر أنه أعطاه ليلة يكون العمل فيها خيراً من عمل ذلك الرجل ألف شهر»(١). وقد ثبت فى فضلها عن النبى ﷺ أنه قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه»(٢).

وقوله: ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها ﴾ أى: جبريل فيها.

وقوله: ﴿ بإذن ربهم من كل أمر ﴾ أى: لكل أمر، وهو ماذكرنا من مقادير الأشياء.

وقوله: ﴿ سلام هى ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن المراد منه تسليم الملائكة على من يذكر الله تعالى فى تلك الليلة.

والقول الثانى: ﴿ سلام ﴾ أى: سلامة، والمعنى: أنه لا يعمل فيها داء ولا سحر ولا شىء من عمل الشياطين والكهنة.

وقوله: ﴿ حتى مطلع الفجر ﴾ وقرئ: «مطلع الفجر» بكسر اللام، فالبفتح على المصدر وبالكسر على وقت الطلوع.

(١) رواه الواحدى فى أسباب النزول (٣٣٩ - ٣٤٠) عن مجاهد مرسلا. وعزاه السيوطى فى الدر (٦/ ٤١٥) لابن المنذر، وابن أبى حاتم، والبيهقى.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٤/ ٣٠٠ رقم ٢٠١٤)، ومسلم (٦/ ٦٠ رقم ٧٦٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ

# تفسير سورة لم يكن

وهى مكية فى قول بعضهم،

(مدنية فى قول بعضهم، والله أعلم)(١)

قوله تعالى: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ قرأ أبى بن كعب: «ماكان الذين كفروا» وهو شاذ، والمعروف هو الأول.

وقوله تعالى: ﴿من أهل الكتاب والمشركين منفكين﴾ أى: منتهين، ومعناه: أن الكفار من أهل الكتاب والمشركين ماكانوا منتهين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة أى: حتى أتاهم الرسول، مستقبل بمعنى الماضى، وقيل: البينة هى القرآن، وهذا قول معروف معتمد، والقول الثانى: أن أهل الكتاب والمشركين الذين سمعوا منهم لم يزالوا على إقرار بالنبى ﷺ قبل ظهوره، فلما ظهر اختلفوا، فأقر بعضهم، وأنكر البعض، وقوله: ﴿رسول من الله﴾ أى: هو رسول من الله، وقيل: حتى أتاهم رسول من الله.

وقوله: ﴿يتلو صحفاً مطهرة﴾ أى: مافى الصحف، وقوله: ﴿مطهرة﴾ أى: من التغيير والتبديل والإدناس والإنجاس.

وقوله: ﴿فيها كتب قيمة﴾ أى: أحكام مستقيمة عادلة، والكتاب يأتى بمعنى الحكم، والكتب بمعنى الأحكام، وفى قصة العسيف أن النبى ﷺ قال: «لأقضين بينكما بكتاب الله»(٢) أى: بحكم الله.

(١) ليست فى «ك».

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، وزيد بن خالد، رواه البخارى (٤/٥٧٤ رقم ٢٣١٤، ٢٣١٥، وأطرافه: ٢٦٤٩، ٢٦٩٥، ٢٦٩٦، ٢٧٢٤، ٢٧٢٥، ٦٦٣٣، ٦٦٣٤ وغيرهم)، ومسلم (١٠/٢٩٣ - ٢٩٥ رقم ١٦٩٧ - ١٦٩٨).

﴿ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

وقوله: ﴿ وما تفرق الذين أوتوا الكتاب ﴾ أى: فى أمر النبى ﷺ وما جاء به.

وقوله: ﴿ إلا من بعد ما جاءتهم البينة ﴾ أى: البينات والبراهين والدلائل.

قوله تعالى: ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾ قد ذكرنا معني الحنيف، وقيل: إذا كان مسلمًا فهو الحاج، وإذا كان غير مسلم فهو الإسلام، والمعنى: أمروا أن يكونوا حنفاء، فإن كان الخطاب مع المسلمين فالمراد منه أن يكونوا حجاجًا وإن كان الخطاب مع الكفار فالمراد أن يكونوا مسلمين.

وقوله: ﴿ ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ أى: ذلك الملة القيمة، وقيل: دين الأمة المستقيمة على الحق، وقيل: دين الملة القيمة.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ﴾ قرئ بالهمز وترك الهمز، فالقراءة بالهمز من برأ الله الخلق، وبترك الهمزة من البَرَى، وهو التراب أى: شَرُّ مَنْ خَلَقَ مِنَ البَرَى، والعرب تقول: بفيك البرى والثرى.

وقوله: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصلحات أولئك هم خير البرية ﴾ قد ذكرنا، وروى سفيان الثورى، عن المختار بن فلفل، عن أنس بن مالك: «أن رجلا قال للنبى ﷺ ياخير البرية قال: ذاك إبراهيم - صلوات الله عليه »[1] أورده أبو عيسى الترمذى فى جامعه، وقال: هو صحيح غريب.

(١) رواه مسلم (١٥/ ١٧٨ - ١٧٧ رقم ٢٣٦٩)، وأبو داود (٤/ ٢١٨ رقم ٤٦٧٢)، والترمذى (٥/ ٤١٥ - ٤١٦ رقم ٣٣٥٢) وقال: حسن صحيح. والنسائى فى الكبرى (٦/ ٥٢٠ رقم ١١٦٩٢). وأحمد (٣/ ١٧٨، ١٨٤).

**جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾**

وقوله: ﴿ جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى ﴾ قال ابن عمر: خلق الله أربعة أشياء بيده: القلم، والعرش، وجنة عدن، وآدم - صلوات الله عليه، وقال لسائر الأشياء: كونى فكانت.

وقوله: ﴿ تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ أى: رضى أعمالهم، ورضوا ثوابه.

وقوله: ﴿ ذلك لمن خشى ربه ﴾ أى: خاف ربه.

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴿١﴾

# تفسير سورة إذا زلزلت

وهى مكية، وقيل: مدنية.

وقد روى أنس أن النبى ﷺ قال: « من قرأ: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ عدلت له بنصف القرآن، ومن قرأ: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾[1] عدلت له بربع القرآن، ومن قرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾[2] عدلت له بثلث القرآن »[3] أورده أبو عيسى فى جامعه وقال: هو حديث غريب.

وأورد - أيضا - برواية سلمة بن وردان عن أنس بن مالك قال: إن النبى ﷺ قال لرجل من أصحابه: « هل تزوجت يا فلان؟ قال: لا والله، ولا عندى ما أتزوج به، فقال: أليس معك ﴿قل هو الله أحد﴾[2]؟ قال: بلى، قال: ثلث القرآن، قال: أليس معك ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾[4]؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: أليس معك ﴿قل يا أيها الكافرون﴾؟ قال: بلى. قال: ربع القرآن، قال: أليس معك ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: تزوج تزوج »[5].

---

(١) الكافرون: ١.

(٢) الإخلاص: ١.

(٣) رواه الترمذى (٥/١٥٢ رقم ٢٨٩٣) وقال: غريب، لانعرفه إلا من حديث هذا الشيخ الحسن بن سلم، والعقيلى (١/٢٤٣)، والبيهقى فى الشعب (٥/٤٥٤ - ٤٥٥ رقم ٢٢٨٦) وقال: هذا العجلى مجهول. وقال الذهبى فى الميزان (١/٤٩٣): هذا منكر، والحسن لايعرف.

(٤) النصر: ١.

(٥) رواه الترمذى (٥/١٥٣ رقم ٢٨٩٥) وحسنه، وأحمد (٣/٢٢١)، وابن حبان فى المجروحين (١/٣٣٢ - ٣٣٣)، وابن عدى فى الكامل (٣/٣٣٣ - ٣٣٤)، والبيهقى فى الشعب (٥/٤٥٣ - ٤٥٤ - رقم ٢٢٨٥)، وأعله الهيثمى فى المجمع (٧/١٥٠) بقوله: رواه أحمد، وسلمة ضعيف.

**وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾**

قوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ قال ابن عباس: حركت من أسفلها. والزلزال هو التحريك الشديد، وعن ابن عباس أنه عقيب النفخة الأولى. وفى التفسير: أن إسرافيل إذا نفخ فى الصور النفخة الأولى يكسر كل شيء على وجه الأرض من شدة نفخته، ويدخل فى جوف الأرض، فإذا نفخ النفخة الثانية أخرجت جميع ما فى جوفها، وألقتها على (وجهها)[1].

وقوله: ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ هو ما ذكرنا، وذلك عقيب النفخة الثانية، قال مجاهد وقتادة: كنوزها وموتاها.

وقوله: ﴿وقال الإنسان ما لها﴾ أى: وقال الكافر ما لها؟ يعنى: ما للأرض أخرجت أثقالها. وإنما قال الكافر ذلك؛ لأنه لم يكن يؤمن بالبعث.

وقوله: ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ أى: تحدث بما عمل عليها من خير وشر - يعنى الأرض - وروى سعيد بن أبى أيوب، عن يحيى بن أبى سليمان، عن سعيد المقبرى، عن أبى هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ قال: أتدرون ما أخبارها؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا فى يوم كذا وكذا، قال: فهذه أخبارها»[2]. قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسين بن النقور، أخبرنا أبو طاهر (بن)[3] المخلص، أخبرنا يحيى بن محمد بن صاعد، أخبرنا [الحسين

(١) فى «ك»: وجه الأرض.

(٢) رواه الترمذى (٤/٥٣٥ رقم ٢٤٢٩) وقال: حسن غريب، (٥/٤١٦ رقم ٣٣٥٣) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦/٥٢٠ رقم ١١٦٩٣)، وأحمد (٢/٣٧٤)، وابن حبان (١٦/٣٦٠ رقم ٧٣٦٠)، والحاكم (٢/٢٥٦، ٥٣٢) وصححه، وتعقبه الذهبى بأن فى إسناده يحيى وهو منكر الحديث، والبغوى فى تفسيره (٤/٥١٥).

(٣) كذا، وهو أبو طاهر المخلص، وقد سبق التنبيه عليه.

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

بن الحسن](٤) المروزى، أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن سعيد بن أبى أيوب .. الحديث، ويقال: المعنى: وقال الإنسان ما لها؟ أى: ما للأرض تحدث أخبارها.

قوله: ﴿ بأن ربك أوحى لها ﴾ أى: أوحى إليها أن تحدث. قال الشاعر:

**أوحى لها القرار فاستقرت**

أى: إليها. والمعنى: أن الأرض أخبرت بوحى الله إليها. قال أبو جعفر النحاس: الوحى على وجهين: أحدهما: وحى الله إلى أنبيائه عليهم السلام، والآخر: بمعنى الإلهام، مثل قوله تعالى: ﴿ وأوحى ربك إلى النحل ﴾(٢)، ومثل هذه الآية، وهو قوله تعالى: ﴿ بأن ربك أوحى لها ﴾ أى: ألهمها أن تحدث.

قوله تعالى: ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتا ﴾ أى: متفرقين.

يقال: شتان ما بين فلان وفلان أى: ما أشد التفرقة بينهما.

وقوله: ﴿ ليروا أعمالهم ﴾ أى: أعمالهم التى عملوها.

وقوله: ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ قال ابن مسعود: هذه الآية أحكم آية فى القرآن.

وروى أن عمر بن الخطاب سأل قومًا: أى آية فى كتاب الله أحكم؟ فقالوا: ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ فقال: أفيكم ابن أم عبد؟ فقالوا: نعم، وأراد أن هذا جائز منه. وروى أن صعصعة عم الفرزدق أتى النبى ﷺ فأسلم، فسمع هذه الآية: ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ قال: حسبى لا أبالى ألا أسمع من القرآن غيرها. رواه الحسن مرسلا.

(١) فى «الأصل» و«ك»: الحسن بن الحسين، وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه وهو الحسين بن الحسن بن حرب أبو عبد الله المروزى صاحب ابن المبارك. انظر ترجمته فى التهذيب، وسير أعلام النبلاء (١٢ / ١٩٠) وغيرهما.

(٢) النحل: ٦٨.

وروى المغيرة بن قيس عن ابن الزبير، عن جابر قال: «قلت يا رسول الله، إلى ما ينتهى الناس يوم القيامة؟ قال: إلى أعمالهم؛ من عمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن عمل مثقال ذرة شرا يره»(١).

وفى الذرة قولان: أحدهما: أنها النملة الحمراء الصغيرة - وهو قول معروف، والآخر: هى ما يعلق بيد الإنسان إذا وضع يده على الأرض، وقيل: هى الذرة التى ترى فى الكوة منبثًا فى الهواء فى ضوء الشمس، وذكر النقاش عن بعضهم: أن الذرة جزء من ألف وأربعة و(عشرين)(٢) جزءاً من شعيرة. وعن بعضهم: أنه بسط ذرات كثيرة على وجه إحدى كفتى الميزان، فلم تمل عين الميزان.

وعن ابن عباس قال: [يرى المؤمن حسناته وسيئاته فيرد عليه حسناته وتأخر سيئاته](٣). وعن بعضهم: أن ذكر الذرة على طريق التمثيل والتشبيه، والمعنى أنه يلقى عمله الصغير والكبير، فما أحب الله أن يغفر غفر، وما أحب الله أن يؤاخذ به أخذ والله أعلم.

(١) عزاه الحافظ فى المطالب (٣/ ٢١ رقم ٢٧٦٦) للحارث بن أبى أسامة عن طريق داود بن المحبر.

(٢) فى «ك»: عشرون، وهو خلاف الجادة.

(٣) كذا فى «الأصل، وك» وفى العبارة سقط وخطأ، وقد روى هذا الأثر ابن جرير فى تفسيره (٣٠/ ١٧٣)، والبيهقى فى البعث (رقم: ٥٩) عن ابن عباس قال: ليس مؤمن ولا كافر عمل خيراً ولا شراً فى الدنيا إلا أراه الله إياه، وأما المؤمن فيريه حسناته وسيئاته، فيغفر له من سيئاته، ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فيريه حسناته وسيئاته فيرد عليه حسناته، ويعذبه بسيئاته» واللفظ للبيهقى.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ ﴾

## تفسير سورة العاديات

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ والعاديات ضبحا ﴾ قال على وابن مسعود: هى الإبل. قال على: لم يكن يوم بدر إلا فرسان: أحدهما للمقداد، والآخر للزبير. وقال ابن عباس: هى الخيل. وهذا القول أظهر. وأقسم بالخيل العادية فى سبيل الله، وضبيحها. صوت أجوافها، وقيل: صوت أنفاسها عند العدو. قال ابن عباس: ليس بصهيل ولاحمحمة.

وقوله: ﴿ فالموريات قدحا ﴾ قال ابن مسعود: هى الإبل تقدح بمناسمها، وعلى قول ابن عباس: هى الخيل تقدح الأحجار بحوافرها، فتورى النار.

وقوله: ﴿ فالمغيرات صبحا ﴾ قال ابن مسعود: هى الإبل حين يفيضون من جمع، وعلى قول بن عباس: هى الخيل تغير فى سبيل الله، قال قتادة: أغارت حين أصبحت.

قوله تعالى: ﴿ فأثرن به نقعا ﴾ على قول ابن مسعود أثرن بالوادى فكنى عنه وإن لم يكن مذكوراً، وعلى قول ابن عباس بالمكان المغار. قال مجاهد عن ابن عباس: النقع التراب، وقال قتادة: هو الغبار.

وقوله تعالى: ﴿ فوسطن به جمعا ﴾ فعلى قول ابن مسعود أى: جمع المزدلفة، وعلى قول ابن عباس جمع العدو، فأقسم الله تعالى برب هذه الأشياء، وقيل: بهذه الأشياء بأعيانها، وقيل: إن النبى ﷺ كان بعث سرية إلى بنى كنانة فأغاروا عند الصباح، وتوسطوا جمع العدو، وكانوا أصحاب خيل، فأقسم الله تعالى بهم.

وقوله: ﴿ إن الإنسان لربه لكنود ﴾ على هذا وقع القسم.

وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾

وقوله: ﴿لكنود﴾ أى: لكفور، وقيل: هو البخيل السيء الخلق. وفى بعض الأخبار مرفوعا إلى النبى ﷺ برواية أبى أمامة عن النبى ﷺ فى قوله: ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ قال: «هو الذى يأكل وحده، ويمنع رفده ويضرب عبده».(١) قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث الحاكم محمد بن عبد العزيز القنطرى، أخبرنا محمد بن الحسين [الحدادى](٢)، أخبرنا محمد بن يحيى، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا (المؤتمن)(٣) بن سليمان، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبى أمامة الحديث.

وقوله: ﴿وإنه على ذلك لشهيد﴾ أى: وإن الله على ذلك لشهيد أى: على كفره. وقال عطاء عن ابن عباس: وقوله: ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾ معناه: إن الإنسان لأجل حب المال لبخيل. يقال: شديد ومشدد أى: بخيل. قال طرفة:

**أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد**

أى: البخيل

(١) رواه ابن جرير الطبرى (٣٠ / ١٨٠)، وابن أبى حاتم (تفسير بن كثير ٤ / ٥٤٢)، والطبرانى فى الكبير (٨ / ١٨٨ رقم ٧٧٧٨، ١٨ / ٢٤٥ رقم ٧٩٥٨)، وابن حبان فى المجروحين (١ / ٢١٢).

وأعله الحافظ ابن كثير بجعفر بن الزبير، وقال: هو متروك. وقال ابن حبان فى المجروحين: روى جعفر ابن الزبير، عن القاسم، عن أبى أمامة نسخة موضوعة أكثر من مائة حديث، ثم ذكر هذا الحديث.

وقال السيوطى فى الدر (٦ / ٤٣٠): أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه والبيهقى وبن عساكر بسند ضعيف عن أبى أمامة فذكره.

(٢) فى «الأصل، وك»: الحذارى، وهو تصحيف، والصواب ما أثبتناه وهو أبو الفضل محمد ابن الحسين ابن محمد ابن موسى بن مهران الحدادى المروزى له ترجمة فى الأنساب (٢ / ١٨٢ - ١٨٣ مادة: الحدادى)، والجواهر المضية (٣ / ١٤٤ - ١٤٥)،.

(٣) كذا، وهو تحريف، والصواب معتمر ابن سليمان، فهو يروى عن جعفر ابن الزبير وهو الحنفى كما فى ترجمة جعفر فى تهذيب الكمال (٥ / ٣٢ - ٣٣)، وهو شيخ إسحاق ابن إبراهيم، وهو ابن راهويه، كما فى ترجمتيهما من تهذيب الكمال.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور﴾ أى: أخرج، وقرأ ابن مسعود: «بحث»، وعن غيره وهو أبى بن كعب: «بحثر» أى: قلب.

قوله: ﴿وحصل ما فى الصدور﴾ أى: أظهر ما فيها. وقيل: جُمِعَ يعنى: ما فى صحائف الأعمال.

وقوله: ﴿إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ أى: عالم، ويقال: أى: يجازيهم بأعمالهم، ومثله قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يعلم الله مافى قلوبهم﴾[1] أى: يجازيهم الله بما فى قلوبهم. وكذلك قوله: ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾[2] أى: يجازى عليه، وقيل فى قوله: ﴿وحصل ما فى الصدور﴾ أى: ميز ما فيها من الخير والشر، والله أعلم.

(١) النساء: ٦٣

(٢) البقرة: ١٩٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ

## تفسير سورة القارعة

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ القارعة ما القارعة ﴾ هى القيامة، سميت قارعة؛ لأنها تقرع القلوب بالهول والشدة.

وقوله: ﴿ ما القارعة ﴾ مذكور على وجه التعظيم والتهويل، وكذلك ﴿ وما أدراك ما القارعة ﴾.

قوله تعالى: ﴿ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ﴾ الفراش هو صغار الحيوان من البق والبعوض والجراد وما يجتمع عند ضوء السراج، والمبثوث سماه مبثوثا؛ لأنه يركب بعضه بعضا، وقيل: يمرج بعضه فى بعض، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾(١) وشبه الناس عند الحشر به؛ لأنه يمرج بعضهم فى بعض.

وقوله: ﴿ وتكون الجبال كالعهن ﴾ أى: الصوف الذى يدف، والعهن هو الصوف المصبوغ، وهو أرخى ما يكون من الصوف، وذكر هذا على معنى أن الجبال من هول يوم القيامة مع صلابتها وقوتها تصير كالعهن المنفوش.

قوله تعالى: ﴿ فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ﴾.

قال الفراء والزجاج: أى ذات رضا. وقيل: مرضية.

وقوله: ﴿ وأما من خفت موازينه ﴾ فى بعض التفاسير: أن لكل إنسان ميزانا على حدة لعمله من الخير والشر.

وقوله: ﴿ فأمه هاوية ﴾ أى مرجعه إلى الهاوية، وسماها أمه؛ لأن الإنسان يأوى إلى

(١) القمر: ٧.

مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

أمه؛ فالهاوية تؤوى الكفار، فهى أمهم، وفى بعض الأخبار فى نعت النار: فبئست الأم، وبئست المربية، ويقال: الهاوية كل موضع يهوى فيه الإنسان ويهلك.

وقوله: ﴿وما أدراك ما هيه﴾ الهاء فى قوله: ﴿ما هيه﴾ هاء الوقف على فتحة الياء.

وقوله: ﴿نار حامية﴾ أى: حامية على الكفار محرقة لهم، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ

# تفسير سورة التكاثر

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ أى: شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد عما أمرتم به.

وقوله: ﴿ حتى زرتم المقابر ﴾ فيه قولان: أحدهما: حتى متم، والقول الثانى: هو أنه تفاخر حيان من قريش، وهما بنو عبد مناف، وبنو الزهرة، وقيل: بنو زهرة وبنو جمح - وهو الأصح - فعدوا الأحياء فكثرتهم بنو زهرة فعدوا الأموات فكثرتهم بنو جمح، فهو معنى قوله تعالى: ﴿ حتى زرتم المقابر ﴾ أى: عددتم من فى القبور. وروى شعبة، عن قتادة، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «ألهاكم التكاثر» قال: يقول ابن آدم: مالى مالى، وما لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟»(١). قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو محمد عبد الله بن محمد الصريفينى المعروف بابن هزارمرد، أخبرنا أبو القاسم بن حبابة، أخبرنا البغوى، أخبرنا على بن الجعد، عن شعبة.. الحديث، خرجه مسلم عن بندار، عن غندر، عن شعبة.

وقوله تعالى: ﴿ كلا سوف تعلمون ﴾ تهديد ووعيد.

وقوله: ﴿ ثم كلا سوف تعلمون ﴾ تهديد بعد تهديد، ووعيد بعد وعيد، والمعنى: ستعلمون عاقبة تفاخركم وتكاثركم إذا نزل بكم الموت.

(١) رواه مسلم (١٨/١٢٥ - ١٢٦ رقم ٢٩٥٨)، والترمذى (٤/٤٩٤ - ٤٩٥ رقم ١٣٤٢، ٥/٤١٦ - ٤١٧ رقم ٣٣٥٤) وقال: حسن صحيح، والنسائى (٦/٢٣٨ رقم ٣٦١٣)، وابن جرير (٣٠/١٨٣).

## لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾ جوابه محذوف، والمعنى: كلا لو تعلمون علم اليقين لارتدعتم عما تفعلون، وقيل: ما ألهاكم التكاثر.

وقوله: ﴿لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين﴾ قال بعضهم: الثانى تأكيد للأول، والمعنى فيهما واحد، وقال بعضهم: لترون الجحيم عن بعد إذا أبرزت، ثم لترونها عين اليقين إذا دخلتموها. وعن قتادة قال: كنا نتحدث أن علم اليقين أن يعلم أن الله باعثه بعد الموت. ويقال: لترون الجحيم فى القبر، ثم لترونها عين اليقين فى القيامة.

وقوله: ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار، يسأل الله تعالى عباده يوم القيامة فيم استعملوها؟ وهو أعلم بذلك منهم.

وعن ابن مسعود: أنه الأمن والصحة. وعن قتادة: هو المطعم الهنى والمشرب الروى.

وروى أبو هريرة مرفوعا إلى النبى ﷺ «أنه الظل البارد والماء البارد»(١). وروى عمر بن أبى سلمة أن النبى ﷺ وأبا بكر وعمر أتوا منزل أبى الهيثم بن التيهان، وأكلوا عنده لحمًا وتمرًا، ثم قال النبى ﷺ: «هذا من النعيم الذى تسألون عنه».

وروى أن عمر قال: «يا رسول الله، نسأل عن هذا؟ قال: نعم إلا كسرة يسد الرجل بها جوعه، وخرقة يستر بها عورته، وجحرًا يدخل فيه من الحر والقر»(٢).

وروى ابن أبى نجيح عن مجاهد قال: كل لذات الدنيا. وعن بعضهم: النوم مع العافية.

---

(١) رواه الترمذى (٤/ ٥٠٤ - ٥٠٥ رقم ٢٣٦٩) وفى الشمائل (٢٩٠ - ٢٩١ رقم ٣٥٤)، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٥٢١ - ١١٦٩٧)، وابن جرير (٣٠/ ١٨٥)، والحاكم (٤/ ١٣١) وصححه على شرطهما. والبغوى (٤/ ٥٢١ - ٥٢٢) عن أبى هريرة مطولا، وفيه قصة أبى الهيثم مطولا، ماعدا النسائى فهو عنده مختصر.

(٢) رواه أحمد (٥/ ٨١)، وابن جرير (٣٠/ ١٨٥ - ١٨٦)، وابن عدى فى الكامل (٢/ ٤٤١)، وأبو نعيم فى الحلية (٢/ ٢٧ - ٢٨).

## ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

وذكر أبو عيسى أخباراً فى هذه، منها ما روينا من حديث مطرف، وقال: هو حديث حسن صحيح، ومنها حديث المنهال بن عمرو، عن زر بن حبيش، عن على قال: ما زلنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت ﴿ألهاكم التكاثر﴾. قال أبو عيسى: وهو حديث غريب.

ومنها حديث يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن عبد الله بن الزبير بن العوام، عن أبيه قال: «لما نزلت ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ قال الزبير: يا رسول الله، وأى النعيم يسأل عنه، وإنما هما الأسودان: التمر والماء؟ قال: أما إنه سيكون»(١) قال: وهو حديث حسن.

وروى عن محمد بن عمرو، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ قال الناس: يا رسول الله، عن أى النعيم نسأل، وإنما هما الأسودان، والعدو حاضر، وسيوفنا على عواتقنا؟ قال: إن ذلك سيكون»(٢).

روى عن الضحاك بن عبد الرحمن [بن](٣) عرزم الأشعرى قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة - يعنى العبد من النعيم - أن يقال له: ألم نصحح لك جسمك، ونروك من الماء البارد»(٤). قال: وهو حديث غريب، والله أعلم.

---

(١) رواه الترمذى (٥/٤١٧ رقم ٣٣٥٦) وحسنه، وابن ماجه (٢/١٣٩٢رقم ٤١٥٨)، وأحمد (١/١٦٤)، والحميدى (١/٣٣ رقم ٦١)، والبزار (٣/١٧٨ رقم ٩٦٣)، وأبو يعلى (٢/٣٧ رقم ٦٧٦).

(٢) رواه الترمذى (٥/٤١٧ - ٤١٨ رقم ٣٣٥٧)، وعبد بن حميد وابن مردويه كما فى الدر (٦/٤٣٤).

(٣) سقط من الناسخ، وهو الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب ويقال: عرزم، وهو من رجال التهذيب.

(٤) رواه الترمذى (٥/٤١٨ رقم ٣٣٥٨) وقال: غريب، وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد (٣١)، وابن جرير (٣٠/١٨٦)، وابن حبان (١٦/٣٦٤ - ٣٦٥ رقم ٧٣٦٤)، وفى مسند الشاميين (١/٤٤٢ رقم ٧٧٩)، والحاكم (٤/١٣٨) وصححه، والخطيب فى تاريخه (٧/٢٢٤ - ٢٢٥) وغيرهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

## تفسير سورة العصر

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ والعصر إن الإنسان ﴾ قال ابن عباس: هو الدهر، وفيه العبرة لمرور الليل والنهار أنهما على ترتيب واحد. وعن الحسن وقتادة: أنه العشى. قال الشاعر:

**تروح بنا عمر وقد قصر العصر وفى الروحة الأولى المثوبة والأجر**

والعصران: هما الليل والنهار، ويقال: هما الغداة والعشى. وقال مقاتل: العصر هو صلاة العصر. وعن بعضهم: أنه عصر النبى ﷺ أقسم به، وحكى أن فى حرف عَلِىٍّ: «العصر ونوائب الدهر إن الإنسان لفى خسر. وهو فيه إلى آخر العمر».

وقال الزجاج: والمعنى: ورب العصر.

وقوله: ﴿ إن الإنسان لفى خسر ﴾ معناه: لفى غبن، ويقال: فى شر، ويقال: فى هلاك، والخسران هو ذهاب رأس المال، ورأس مال الآدمى هو عمره ونفسه، فإذا كفر فقد ذهب رأس ماله، والإنسان هو الكافر، وقيل: واحد بمعنى الجمع، وقيل: هو فى كافر بعينه، فقيل: إنه أبى بن خلف، وقيل: وليد بن المغيرة، وقيل: أبو جهل بن هشام.

وقوله: ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أى: بالطاعات.

وقوله: ﴿ وتواصوا بالحق ﴾ قال الحسن وقتادة: أى بالقرآن واتباعه، وقيل: بالتوحيد. وعن السدى: بالله أى: تواصوا بالله، وعن الفضيل بن عياض قال: يحث بعضهم بعضاً على طاعة الله.

وقوله: ﴿وتواصوا بالصبر﴾ عن المعاصى، وقيل: بالصبر على الطاعة، وقد ورد خبر غريب برواية أبى أمامة أن قوله: ﴿إن الإنسان لفى خسر﴾ هو أبو جهل بن هشام.

وقوله: ﴿إلا الذين آمنوا﴾ هو أبو بكر ﴿وعملوا الصالحات﴾ هو عمر ﴿وتواصوا بالحق﴾ هو عثمان ﴿وتواصوا بالصبر﴾ هو على، رضى الله عنهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴾

## تفسير سورة الهمزة

وهى مكية، والله أعلم

قوله تعالى: ﴿ ويل لكل همزة ﴾ قد بينا معنى الويل.

وقوله: ﴿ همزة لمزة ﴾ قال ابن عباس: الهمزة الذى يطعن فى الناس ويعيبهم، واللمزة هو الذى يغتابهم ومثله عن مجاهد، وقيل على العكس، فالهمزة هو المغتاب، واللمزة الذى يطعن فى الناس، قاله السدى وغيره، وعن بعضهم: أن الهمزة هو الذى يؤذى الناس بلسان أو يد، واللمزة هو الذى يؤذيهم بحاجب (وعين)،[1] وهو قول غريب، وعن ابن عباس فى رواية: أن الآية نزلت فى الأخنس بن شريق الزهرى، وهو قول معروف، وأنشدوا فى الهمزة واللمزة:

تدلى بودى إذا لاقيتنى كذبا ... وإن تغيبت كنت الهامز اللمزة

وقوله: ﴿ الذى جمع مالا وعدده ﴾ بالتشديد والتخفيف، فقوله: ﴿ جمع ﴾ بالتخفيف معلوم، وبالتشديد فالمعنى: أنه جمَّع من كل وجه شيئًا فشيئًا.

وقوله: ﴿ وعدّده ﴾ أى أعده لنفسه ولحوادثه، وقرئ: «وعَدَده» بالتخفيف، ومعناه: جمع عددا أى: قومًا وأنصارًا يتقوى بهم.

وقوله: ﴿ يحسب أن ماله أخلده ﴾ أى: يبقى حتى بقيته، قاله الحسن، وقال بعضهم: أى: يمنع الموت عنه.

وقوله: ﴿ كلا لينبذن فى الحطمة ﴾ هو اسم من أسماء جهنم، وقرأ ابن مصرف:

(١) فى «ك»: عينه.

﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

«لينبذن فى الحطمة» يعنى: نفسه وماله، وسميت النار حطمة؛ لأنها تأكل كل شيء. يقال: رجل حُطَمة أى: أكول، وقيل: لأنها تكسر كل شيء من الحَطْم وهو الكسر.

وقوله: ﴿وما أدراك ما الحطمة﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة﴾ يعنى: يصل ألمها ووجعها إلى الفؤاد. قال محمد بن كعب القرظى: تأكل النار أجسادهم، فإذا وصلت النار إلى القلب أعيدوا كما كانوا، وتعود النار إلى أكلهم فهكذا أبدا.

وقوله: ﴿إنها عليهم مؤصدة﴾ قال ابن عباس وأبو هريرة: مطبقة، وقيل: مغلقة. يقال: أصدت الباب أى أغلقته.

وقوله: ﴿فى عُمَدٍ﴾ وقرئ: «فى عمد ممددة» بفتح العين ورفعه، وقرأ الأعمش وطلحة ويحيى بن وثاب: «بعُمد ممدة» وهو معنى القراءة المعروفة، وعن بعضهم: أن العمد الممدة هى الأغلال فى أعناقهم، وعن بعضهم: [هو] القيود فى أرجلهم، وعن بعضهم: قيود على قبرهم من نار يعذبون فيها، وأولى الأقاويل هو أنها مطبقة بعمد يعنى: مسدودة لا يخرج منها غمر، ولا يدخلها روْح. وعن قتادة: يعذبون بالعُمُد، وهى جمع عمود. وعن أبى جعفر القارئ: أنه بكى مرة حين قرئت هذه السورة عليه، فقيل له: ما يبكيك يا أبا جعفر؟ فقال: أخبرنى زيد بن أسلم أن أهل النار لا يتنفسون فذلك أبكانى.

وقوله: ﴿ممدة﴾ وقيل: مطولة، ويقال: ممدودة. وذكر النقاش فى تفسيره: أنه يبقى رجل من المؤمنين فى النار ألف سنة يقول: يا حنان، يا منان، وهو فى شعب من شعاب النار، فيقول الله لجبريل: أخرج عبدى من النار، فيجيء جبريل - عليه السلام - فيجد النار مؤصدة أى: مطبقة، فيعود ويقول: يا رب، إنى وجدت النار مؤصدة،

فيقول: يا جبريل عد وفكها، وأخرج عبدى من النار، فيعود جبريل ويخرجه، وهو مثل الخلال (أسود)[1] فيلقيه على ساحل الجنة حتى ينبت الله له شعرًا ولحمًا ودمًا ويدخله الجنة. رواه عن سعيد بن جبير، وذكر أن النار تطبق عليهم ليئسوا من الخروج منها، والله أعلم.

(١) فى «ك»: الأسود.

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾

# تفسير سورة الفيل

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ الفيل دابة معلومة، ومعنى قوله: ﴿ألم تر﴾ أى: ألم تعلم؟ وقيل: ألم تر آثار ما فعل ربك بأصحاب الفيل؟ وأصحاب الفيل هم جند من الحبشة أميرهم أبرهة بن الصباح أبو يكسوم، وقيل: غيره. غزوا الكعبة، وقصدوا تخريبها وهدمها، وأصح ما حكى فى سببه أن أبرهة كان نصرانيًا بنى بيعة بصنعاء اليمن، وزينها بالفاخر من الثياب والجواهر، وقال: بنيت هذا، يحجه العرب وأكفهم عن حج الكعبة، وأمر الناس بذلك وأجبرهم عليه، فجاء رجل من العرب - وقيل: إنه كان من بنى كنانة - ودخل البيعة، وأحدث فيها وهرب، فذكر ذلك لأبرهة فغضب غضبًا شديدًا وحلف بالنصرانية والمسيح ليغزون الكعبة، وليهدمنها حجرًا حجرًا، ثم إنه غزا الكعبة مع جيش عظيم. وفيه قصة طويلة، وساق مع نفسه فيلا يقال له: محمود، وقيل: كانت ثمانية من الفيلة أكبرها هذا الفيل، ولقى فى الطريق جندًا من العرب وهزمهم، وقتل منهم حتى أتى الطائف، ثم إنه توجه من الطائف إلى مكة، ودليله أبو رغال، فمات أبو رغال فى الطريق فقبره هو القبر الذى ترجمه العرب، وهو بين مكة والطائف، ونزل أبرهة والجند بالمغمس، وسمع أهل مكة بذلك، وسيدهم يومئذ عبد المطلب بن هاشم، وأغار الجند على ماوجدوا من أموال أهل مكة وإبلهم، وأخذوا مائتى بعير لعبد المطلب ثم إنه جاء عبد المطلب، إلى أبرهة فى طلب بعيره - وكان رجلاً جسيمًا وسيمًا - فلما رآه أبرهة أعجبه حسنه وجماله فقال: ماحاجتك؟ فقال: أن ترد على إبلى. فقال لترجمانه: قل

## ألم يجعل كيدهم في تضليل ﴿٢﴾

له: أعجبنى ما رأيت من هيئتك، ثم رغبت عنك حين سمعت كلامك، فقال عبد المطلب: وما الذى رغب الملك عنى؟ فقال: جئت لأهدم شرفك وشرف آبائك، فتركت ذكره وسألتنى إبلا أخذت لك! فقال له عبد المطلب: أنا رب الإبل، وإن للبيت ربا يمنعه، فأمر برد الإبل عليه، فعاد عبد المطلب، وأمر أهل مكة حتى تنصرف فى رءوس الجبال، وقال: قد جاءكم مالاقبل لكم به. ثم أخذ عبد المطلب بحلقة الكعبة وقال:

**يارب، لا أرجو لهم سواكا  يارب، فامنع منهم حماكا**

**إن عدو البيت من عاداك**

ومن المعروف أيضا أنه قال:

**يارب إن المرء يمنـــ  ـنع حله فامنع حلالك**

**لايغلبن صليبهـــم  ومحالهم أبدا محالك**

والمحال: العقوبة.

**إن كنت تاركهم وكعبتنا  فـــامر مـــا بدالـــك**

ثم خرج مع القوم وخلوا مكة، فروى أن الفيل كان إذا أحس التوجه قبل مكة امتنع، فإذا وجه نحو اليمن أسرع وهرول، وحبس الله الفيل عن البيت، وهو معنى ماثبت عن النبى ﷺ أنه قال يوم الحديبية حين بركت ناقته - وهى القصواء - وقال الناس: خلأت القصواء فقال النبى ﷺ: «لا، لكن حبسها حابس الفيل»(١) ثم إن الله تعالى بعث عليهم طيراً خرجت من قبل البحر، قال ابن عباس: لها خراطيم الطير وأنف الكلاب، وقيل: كانت سوداء، وقيل: حمراء، ومع كل طير ثلاثة أحجار: حجران فى كفيه، وحجر فى منقاره، وفى القصة: أن الحجر كان دون الحمص وفوق

(١) تقدم تخريجه.

**وأرسل عليهم طيراً أبابيل ﴿٣﴾ ترميهم بحجارة من سجيل ﴿٤﴾ فجعلهم كعصف مأكول ﴿٥﴾**

العدس، فجاءت الطير ورمتهم بالأحجار، وفى القصة: أن الحجر كان يصيب رأس الإنسان، فيخرج من دبره، فيسقط ويموت، وكان إذا وقع على جانب منه خرج من الجانب الآخر، وهرب القوم وتساقطوا فى الطريق. وقيل: إن الحجر إذا أصاب الواحد منهم نفط موضعه وأصابه الجدرى، فهو أول ما رئى الجدرى فى ديار العرب، والله أعلم. وأما أبرهة فتساقط فى الطريق أنملة أنملة، ثم إنه انصدع صدره عن قلبه[1] ومات.

وعام الفيل هو العام الذى ولد فيه النبى ﷺ، وقد قيل: إنه ولد بعد ذلك بسنتين، والصحيح هو الأول، وقال أهل العلم: كان ذلك إرهاصًا لنبوه النبى ﷺ وتأسيسًا بها.

قوله تعالى: ﴿ألم يجعل كيدهم فى تضليل﴾ أى: أبطل مكرهم وسعيهم، ويقال: قوله: ﴿فى تضليل﴾ أى: ضل عنهم، وفاتهم ماقصدوا.

وقوله: ﴿وأرسل عليهم طيراً أبابيل﴾ قال أبو عبيدة: جماعات فى تفرقة، وعند أبى عبيدة والفراء: لا واحدلها، وعند الكسائى: واحدها: أبول مثل عجاجيل وعجول. ويقال: طيراً أبايل أى: كثيرة، ويقال: أقاطيع يتبع بعضها بعضًا.

وقوله: ﴿ترميهم بحجارة من سجيل﴾ قال ابن عباس: السجيل بالفارسية (سنك)[2] كل، ويقال: من سجيل من السماء، وهو اسم سماء الدنيا. وقوله: ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ العصف: هو ورق الزرع، ومعناه: كعصف قد أكل مافيه، وقيل: كل ثمره. والمعنى: أن الله تعالى شبههم بالزرع الذى أكلته الدواب وراثته وتفرقت، ولم يبق من ذلك شىء فشبه هلاكهم بذلك، والله أعلم.

---

(١) فى الأصل: قبله.

(٢) فى «ك»: شك، وهو تصحيف.

بسم الله الرحمن الرحيم

لإيلافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾

# تفسير سورة لإيلاف

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿لإيلاف قريش﴾ روى سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله: ﴿لإيلاف قريش﴾ قال: نعمتى على قريش بإيلافهم رحلة الشتاء والصيف. والإيلاف فى اللغة هو ضد الإيجاش، وهو نظير الإيناس، فإن قال قائل: ما معنى ابتداء السورة باللام؟ والجواب من وجهين: أحدهما أن معناه: اعجبوا لإيلاف قريش وتركهم الإيمان بى، كأنه يذكر نعمته عليهم، ويذكر كفرانهم لنعمته بترك الإيمان، والوجه الثانى أن معناه: أن هذا متصل فى المعنى بالسورة المتقدمة، وكأنه قال: ﴿فجعلهم كعصف(١) مأكول لإيلاف قريش﴾ أى: ليبقى لهم ما ألفوه من رحلتى الشتاء والصيف. وذكر القتيبى فى معنى السورة: أن القوم لم يكن لهم زرع ولاضرع إلا القليل، وكانت معايشهم من التجارة، وكانت لهم رحلتان: رحلة فى الصيف إلى الشام، ورحلة فى الشتاء إلى اليمن، وقيل: غير هذا، وكانوا إذا خرجوا من مكة لا يتعرض لهم أحد، فإذا لقيهم قوم قالوا: نحن أهل الله فيكفون عنهم ولا يحاجون. وروى أنهم كانوا يقولون: نحن من حرم الله، فتقول العرب: هؤلاء أهل الله فيكفون عنهم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم﴾(٢) فذكر الله تعالى فى هذه السورة والسورة المتقدمة منته عليهم فى دفع أصحاب الفيل عنهم، ليبقى لهم ما ألفوه من التجارة فى رحلتى الشتاء والصيف. وأما قريش: فهم أولاد النضر بن كنانة، فكل من كان من أولاد النضر بن كنانة فهو

(١) الفيل: ٥.

(٢) العنكبوت: ٦٧.

إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

قرشى واختلفوا فى اشتقاق هذا الاسم، فقال الأكثرون: سموا قريشًا للتجارة، وكانوا أهل تجارة، والقرش: الكسب، يقال: كان فلان يقرش لعياله ويقترش أى: يكتسب. وعن ابن عباس: أنه سميت قريش قريشًا بدابة تكون فى البحر، يقال لها: القرش، لاتمر بغث ولاسمين إلا أكلته وأنشدوا فى ذلك:

وقريش هى التى تسكن البحـ ـر وبها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولاتتـ ـرك فيه لذى الجناحين ريشا
هكذا فى البلاد هى قريش يأكلون البلاد أكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبى يكثر القتل فيهم والخموشا

وقوله: ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع ﴾ قال ذلك لأنهم كانوا يجلبون الطعام من المواضع البعيدة وكان هو الذى يسهل لهم ذلك، ويرزقهم إياها بتيسير أسبابها لهم.

وقوله: ﴿ وآمنهم من خوف ﴾ أى: من خوف الغارة والقتل على ماقلنا، وقيل: من خوف الجذام، والأصح هو الأول. وفى بعض التفاسير: أن أول من جمع قريشًا على رحلتى الشتاء والصيف هاشم بن عبد مناف، وكانوا يأخذون فى بضائعهم باسم الفقراء شيئًا معلومًا فإذا رجعوا أعطوهم ذلك تقربًا إلى الله.

وقال الشاعر فى هاشم:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف
الخالطين فقيرهم بغنيهم حتى يصير فقيرهم كالكاف

بسم الله الرحمن الرحيم

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾

## تفسير سورة أرأيت

وهى مكية

وقيل: إنها مدينة، وقيل: نصفها مكية، ونصفها مدنية، فالنصف الأول إلى قوله ﴿ **فويل للمصلين** ﴾ مكية، والنصف الباقى مدنية، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ أرأيت الذى يكذب بالدين ﴾ أى: بالجزاء، وقيل: بالحساب، قاله مجاهد، والمعنى: أرأيت من يكذب بالدين أمخطئ هو أم مصيب؟ يعنى: أنه مخطئ فلا توافقه ولاتتبعه.

وقوله: ﴿ فذلك الذى يدع اليتيم ﴾ وورد فى الحديث أن النبى ﷺ قال: «من ضم يتيما من بين المسلمين إلى نفسه، وجبت له الجنة»(١).

وقرئ فى الشاذ: «يَدعُ اليتيم» أى: يترك العطف عليه والرحمة له.

وقوله تعالى: ﴿ ولايحض على طعام المسكين ﴾ قيل: لايطعم بنفسه، ولا يأمر به غيره.

قوله تعالى: ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ قال قتادة: غافلون. وروى المغيرة عن إبراهيم قال: مضيعون للوقت، وهذا قول معروف، وهو وارد عن جماعة من التابعين، وذكروا أن المراد بالسهو هاهنا هو تأخير الصلاة عن وقتها، والقول الثالث: وهو أن الآية وردت فى المنافقين.

ومعنى قوله: ﴿ الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ يعنى: أنهم إن صلوها لم يرجوا

(١) رواه أحمد (٤/٣٤٤، ٥/٢٩)، وأبو يعلى (٢/٢٢٧ رقم ٩٢٦)، والطبرانى فى الكبير (١٩/٢٩٩ - ٣٠٠ رقم ٦٦٧ - ٦٧٠) عن عمرو بن مالك القشيرى، وحسنه الهيثمى فى المجمع (٤/٢٤٦، ٨/١٦٤)، والمنذرى فى الترغيب (٣/٣٤٨).

﴿ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

ثوابًا، وإن تركوها لم يخافوا عقابًا. قال ابن زيد: هم المنافقون صلوها، وليست الصلاة من شأنهم. وروى الوالبى عن ابن عباس قال: هم المنافقون، كانوا إذا حضروا صلوها رياءً، وإذا غابوا تركوها. وقال محمد بن كعب القرظى: هو المنافق، إذا رأى الناس صلى، وإذا لم ير الناس لم يصل. وقيل: ساهون أى: لاهون، والمعنى أنهم يشتغلون بغيره عنها.

وقوله: ﴿ الذين هم يراءون ﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿ ويمنعون الماعون ﴾ قال على: هو الزكاة، حكاه مجاهد عنه، وهذا القول محكى أيضًا عن الحسن وإبراهيم التيمى. وقال ابن عباس: هو العارية، وسميت ماعونًا؛ لأن الناس يعين بعضهم بعضًا. وقد ورد فى الخبر: أنه مثل الماء والملح والفأس والقدر والمقدحة وما أشبه ذلك.

وفى بعض الأخبار عن عائشة - رضى الله عنها - أنها سألت النبى ﷺ ما الذى لايحل منعه؟ قال: «الماء والملح والنار»(١). وفى بعض الروايات زيادة: «والحجر والدلو».

وحكى أبو الحسين بن فارس عن أبيه فارس، أن الماعون هو الماء، حكاه عن أهل اللغة، وقد ذكره النحاس أيضًا فى كتابه. وأنشدوا:

يمـــج صبيرة الماعـــونَ مـجـــا

وأنشدوا فى الماعون بمعنى الزكاة:

قـــوم عـــلى الإســـلام لَمَّا يمنعـــوا ماعُـــونَهـــمْ ويُضَيِّـــعوُا التَهليـــلا

(١) رواه بن ماجه (٢/ ٨٢٦ - ٨٢٧ رقم ٢٤٧٤)، والطبرانى فى الأوسط (٣/ رقم ١٤٣٦، ١٤٤٠ - مجمع البحرين). وقال الهيثمى فى المجمع (٣/ ١٣٦): رواه بن ماجه باختصار، والطبرانى فى الأوسط، وفيه زهير بن مرزوق قال البخارى: مجهول، منكر الحديث.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾

# تفسير سورة الكوثر

وهى مكية

روى المختار بن فُلْفُل عن أنس قال: «بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذا أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسمًا، فقلت: ما أضحكك يارسول الله؟ فقال: أنزلت علىَّ آنفًا سورة» فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر﴾ ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: فإنه نهر وعدنيه ربى خيرًا كثيرًا، هو حوضى ترد عليه أمتى يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتى، فيقول: إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك»(١). رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة، عن على بن مسهر عن المختار بن فُلْفُل.

قوله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ قد بينا.

وروى همام، عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا أسير فى الجنة إذا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقلت: ماهذا ياجبريل؟ فقال: هذا الكوثر الذى أعطاك ربك، فضرب الملك بيده، فإذا طينه مسك أذفر»(٢). قال رضى الله عنه:

(١) رواه مسلم (٤/١٤٨ - ١٤٩ رقم ٤٠)، وأبو داود (١/٢٠٨ رقم ٧٨٤، ٤/٢٣٧ رقم ٤٧٤٧)، والنسائى (٢/١٣٣ - ١٣٤ رقم ٩٠٤)، وأحمد (٣/١٠٢)، وابن أبى شيبة فى مصنفه (١١/٤٣٧ - ٤٣٨ رقم ١١٧٠)، وهناد فى الزهد (١/١٠٨ - ١٠٩ رقم ١٣٣)، وابن أبى عاصم فى السنة (٢/٣٥٥ رقم ٧٦٤)، وابن جرير الطبرى (٣٠/٢١١).

(٢) رواه البخارى (١٠/٤٧٢ رقم ٦٥٨١)، والترمذى (٥/٤١٨ - ٤١٩ رقم ٣٣٦٠) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦/٥٢٣ - ٥٢٤ رقم ١١٧٠٦)، وأحمد (٣/١١٥، ٢٦٣)، وابن أبى شيبة (١١/٤٣٧ رقم ١١٧٠، ١٣/١٤٧ رقم ١٥٩٥٢)، وابن جرير (٣٠/٢٠٩) وغيرهم.

## فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾

أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسن بن النقور، أخبرنا أبو القاسم بن حَبَابَة، أخبرنا البغوى، أخبرنا هُدْبَة، عن همام.... الحديث. وأخرجه البخارى عن هدبة، وذكره أبو عيسى فى كتابه بروايته عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول اللهﷺ: «بينا أنا أسير فى الجنة إذا عرض [لى][1] نهر حافتاه قباب اللؤلؤ، قلت للملك: ماهذا؟ قال: هذا الكوثر الذى أعطاكه الله، قال: ثم ضرب بيده إلى طينه فاستخرج مسكًا، ثم رفعت لى (سدرة المنتهى)[1] فرأيت عندها نورًا عظيمًا»[2].

قال: وهو حديث حسن صحيح، وروى أيضًا بطريق [مُحَارب][3] بن دِثار عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول اللهﷺ: «الكوثر نهر فى الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، [و][4] تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج»[5]. قال: هو حديث حسن.

وفى بعض التفاسير برواية عائشة - رضى الله عنها - أن النبىﷺ قال: «من أراد أن يسمع خرير الكوثر، فليدخل أصبعه فى أذنيه»[6]. وهو غريب جدا.

وفى الكوثر قول آخر، وهو أنه الخير الكثير، فهو فَوْعَل من الكثرة، وقد أعطى الله

(١) المثبت من جامع الترمذى.

(٢) تقدم تخريجه فى الحديث السابق.

(٣) فى «الأصل، وك»: محار، وهو خطأ.

(٤) من «ك».

(٥) رواه الترمذى (٥/٤١٩ رقم ٣٣٦١) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢/١٤٥٠)، وابن أبى شيبة (١١/رقم ١١٧٠٨، ١٣/ رقم ١٥٩٤٥)، وهناد فى الزهد (١/رقم ١٣٢)، وابن جرير الطبرى فى تفسيره (٣٠/٢١٠) وغيرهم.

(٦) عزاه السخاوى فى المقاصد الحسنة للدارقطنى (المقاصد ٨٩)، وكذا السيوطى فى الجامع (٥٥٣). وحكم عليه الشيخ ناصر - حفظه الله - بالوضع فى ضعيف الجامع، وكذا الشيخ محمد عمرو - حفظه الله - فى تكميل النفع (١/ ١٠ رقم ١).

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴿٣﴾

رسوله محمداً ﷺ من الخير مالا يحصى ولايعد كثرة فى الدنيا والآخرة، وقال الحسن البصرى: هو القرآن، وقيل: العلم والقرآن.

وقوله: ﴿فصل لربك وانحر﴾ أى: صل الصلوات الخمس، وانحر البدن، وقيل: صل بَجْمعٍ[1]، وانحر بمنى، قاله مجاهد وعطاء، وعن على - رضى الله عنه - أن معنى قوله: ﴿وانحر﴾ هو وضع اليمين على الشمال فى الصلاة على النحر. وقيل: وانحر واستقبل القبلة بنحرك. قال الشاعر:

أبا حكم هل أنت عم مجالد وسيد أهل الأبطح المتناحر

أى: المتقابل.

وروى مقاتل بن حيان، عن الأصبغ بن نباتة، عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - قال: «لما نزلت على النبى ﷺ: ﴿إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر﴾ قال النبى ﷺ لجبريل - عليه السلام -: ماهذه النحيرة التى أمرنى بها ربى؟ قال: إنها ليست بنحيرة، ولكنه يأمرك إذا (تحرمت)[2] بالصلاة، أن ترفع يديك إذا كبرت، وإذا ركعت، وإذا رفعت رأسك من الركوع، فإنها من صلاتنا وصلاة الملائكة فى السموات السبع»[3]. وعن محمد بن كعب القرظى: أن قوماً كانوا يصلون وينحرون

(١) جمع: أى: المزدلفة. (٢) فى «ك»: أحرمت.

(٣) رواه بن أبى حاتم - (تفسير ابن كثير (٤/٨٥٨) وابن حبان فى المجروحين (١/١٧٧ - ١٧٨)، وابن الأعرابى فى معجمه (٢/٢٢٧ رقم ٩٦٧)، والحاكم (٢/٥٣٧ - ٥٣٨)، والبيهقى (٢/٧٥ - ٧٦) عن مقاتل به.

قال ابن حبان: هذا متن باطل إلا ذكر رفع اليدين فيه، وهذا خبر يرويه عمر بن صبيح عن مقاتل، وعمر يضع الحديث، فظفر عليه إسرائيل بن حاتم فحدث به عن مقاتل.

وقال الذهبى فى تلخيصه على المستدرك: إسرائيل صاحب عجائب لايعتمد عليه، وأصبغ شيعى متروك عند النسائى. واستنكره الحافظ ابن كثير فى تفسيره، وقال: حديث منكر جدا.

لغير الله، فقال الله تعالى: ﴿فصل لربك وانحر﴾ أى: اجعل صلاتك ونحرك لله.

وقوله: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ أكثر المفسرين أن المراد به هو العاص بن وائل السهمى، كان إذا ذكر له رسول الله ﷺ قال: دعوا ذكره، فإنه أبتر يعنى: أنه لاولد له، فإذا مات انقطع ذكره، واسترحتم منه، وكانت قريش تقول لمن مات ابنه، أو لم يكن له ابن: أبتر.

فقال الله تعالى: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ يعنى: مبغضك هو الأبتر أى: الذى انقطع خيره وذكره فى الدنيا والآخرة والبتر هو القطع. وقيل: إن الآية فى عقبة بن أبى معيط وقيل: إن المراد به كعب بن الأشرف، قدم مكة، فقالت له قريش: ماتقول أيها الحبر فى هذا (الصنبور)[1]؟ أهو خير أم نحن؟ إنه سب ألهتنا، وفرق جمعنا، ونحن أهل حرم الله وحجيج بيته وسدنته، فقال: بل أنتم خير منه، فأنزل الله تعالى: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ فيه.

(١) فى «ك»: الصنبور. والطنبور هو الفرد الضعيف الذى لاعقب ولا ناصر له. (لسان العرب: مادة صنبر).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ ﴾

## تفسير سورة (قل يا أيها الكافرون)(١)

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ قال المفسرون: لما قرأ رسول الله ﷺ سورة والنجم، وألقى الشيطان على لسانه عند ذكر أصنامهم: وإن شفاعتهن لترتجى، فقال الكفار: يامحمد، نصطلح تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة، ونعظم إلهك، وتعظم آلهتنا، وذكروا من هذا النوع شيئًا كثيرًا، فحزن النبى ﷺ لمقالتهم، ورجع إلى بيته حزينًا، فأنزل الله تعالى هذه السورة، وهى ﴿ قل يا أيها الكافرون لا أعبد ماتعبدون ﴾ أى: اليوم. ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ اليوم. ﴿ ولا أنا عابد ما عبدتم ﴾ فى المستقبل. ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ فى المستقبل. ﴿ لكم دينكم ولى دين ﴾ لكم جزاء عملكم، ولى جزاء عملى. قالوا: وهذا فى قوم بأعيانهم، منهم الوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وقد كان الله أخبر أنهم يموتون على الكفر. وقيل: إن هذه السورة نزلت قبل آية السيف، ثم نسخت بآية السيف. وقد ورد فى الخبر: أن قراءة هذه السورة براءة من الشرك. روى أبو خيثمة، عن ابن اسحاق، عن فروة بن نوفل، عن أبيه أنه أتى النبى ﷺ وقال: جئت يارسول الله ﷺ لتعلمنى شيئًا أقوله عند منامى، فقال: «إذا أخذت مضجعك فاقرأ: ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ ثم نم على خاتمتها، فإنها براءة من الشرك»(٢). وعن

(١) فى «ك»: الكافرون.

(٢) رواه أبو داود (٤/٣١٣ رقم ٥٠٥٥)، والترمذى (٥/٤٤٢ رقم ٣٤٠٣)، والنسائى فى الكبرى (٦/٢٠٠ رقم ١٠٦٣٦ - ١٦٠٤٠، ٦/٥٢٤ رقم ١١٧٠٩)، وأحمد (٥/٤٥٦)، وابن أبى شيبة (١٠/٢٤٩)، والدارمى (٢/٥٥١ رقم ٣٤٢٧)، وابن حبان فى صحيحه (٣/٧٠ رقم ٧٩٠)، والحاكم (١/٥٦٥، ٢/٥٣٨) وصححه، وغيرهم. وفى الباب عن أنس.

## ولي دين ﴿٦﴾

بعضهم قال: «كنت أمشى مع النبى ﷺ فى ليلة ظلماء، فسمع رجلا يقرأ: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ فقال: أما هذا فقد برئ من الشرك، وسمع رجلا يقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾ فقال: أما هذا فقد غفر له»(١).

وفى السورة سؤال معروف، وهو السؤال عن معنى التكرير؟ وقد أجبنا، ويقال: إنهم كرروا عليه الكلام مرة بعد مرة، فكرر الله تعالى عليهم الإجابة.

وفى السورة سؤال آخر، وهو فى قوله: ﴿قل﴾ كيف قرئت هذه الكلمة، وهى أمره بالقراءة؟ وكذلك فى قوله: ﴿قل هو الله أحد﴾. والجواب عنه: أن قوله ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ جميعه قرآن، ونحن أمرنا بتلاوة القرآن على ما أنزل، فنحن نتلو كذلك. وفى السورة سؤال ثالث وهو أنه قال: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ ولم يقل: من أعبد؟

والجواب عنه أنه قال ذلك على موافقة قوله: ﴿ولا أنا عابد ماعبدتم﴾ وقد قيل: إن «ما» بمعنى «من» هاهنا، والله أعلم.

---

(١) رواه النسائى فى الكبرى (٦/١٧٧ رقم ١٠٥٤٠)، وأحمد (٤/٦٤، ٦٥، ٥/٣٧٦، ٣٧٨)، والدارمى (٢/٥٥١ رقم ٣٤٣٦)، وسعيد بن منصور فى تفسيره (٢/٤٠٢ رقم ١٢٩)، والبيهقى فى الدلائل (٧/٨٦) عن رجل من الصحابة لم يسم به.

وقال الهيثمى فى المجمع (٧/١٤٨): رواه أحمد بإسنادين فى أحدهما شريك، وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح. وفى الباب عن ابن مسعود.

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

## تفسير سورة النصر

وهى مدنية

قوله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ أجمعوا على أن الفتح هو فتح مكة، وقيل: إن النصر فيه أيضًا، ويقال: إن النصر هو يوم الحديبية، والأول هو الأظهر والأشهر.

وقوله: ﴿ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا﴾ أى: زمرًا زمرًا، وفوجًا فوجا. وفى التفسير: أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة قال المشركون: إن محمدًا قد نصره الله على قريش، وهم أهل الله وأهل حرمه، فقد منع الله الفيل عنهم فلا يدان لأيد [أحد] (١) بمحمد يعنى: لا قوة، فدخلوا فى دينه أفواجًا وكانت القبيلة بأسرها تسلم، ووفد عليه الوفود من الجوانب، ودخل أكثر ديار العرب فى الإسلام، ولم يبق إلا القليل، وقد كان قبل ذلك يدخل الواحد والاثنان على خوف شديد، فهو معنى قوله تعالى: ﴿ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا﴾.

وقوله: ﴿فسبح بحمد ربك﴾ أى: صل حامدا لربك.

والأصح أن معناه: اذكره بالتحميد والشكر لهذه النعمة العظيمة ،فإن التسبيح هو بمعنى الذكر فصار معنى الآية على هذا: فاذكر ربك بالتحميد والشكر.

وقوله: ﴿واستغفره﴾ أى: اطلب التجاوز والعفو عنه.

وقوله :﴿إنه كان توابًا﴾ أى: توابًا على عباده، ويقال: التواب هو المسهل لسبيل التوبة، ويقال: هو القابل لها.

(١) فى «الأصل»: لأحد.

وقد ثبت عن ابن عباس أن فى السورة نعى النبى ﷺ إلى نفسه، وأمره بالتسبيح والاستغفار ليكون؛ آخر أمره وخاتمة عمله على زيادة الطاعة والذكر لله.

وورد أيضًا أن عمر -رضى الله عنه- كان إذا أحضر المهاجرين واستشارهم فى شىء، أحضر معهم عبد الله بن عباس، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن لنا أولادًا مثله - يعنى أنك لا تحضرهم - فقال: إنه من حيث تعلمون، ثم إنه سألهم مرة عن هذه السورة فقالوا: إن الله تعالى أمر رسول الله بالتسبيح والاستغفار حين جاءه الفتح، ودخل الناس فى الدين أفواجا، فسأل عبد الله بن عباس عن معنى السورة فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى نعى إلى رسول الله نفسه بهذه السورة، وأمره بزيادة العمل والذكر؛ ليكون خاتمة عمره عليه فقال لسائر المهاجرين: إنما أحضره لهذا وأمثاله ،أو كلام هذا معناه، واللفظ المذكور فى الصحيح فى هذا الخبر أن ابن عباس قال: إنما هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه إياه فقال له عمر: والله لا أعلم منها إلا ما تعلم.

وقيل: إن السورة نزلت فى أوسط أيام التشريق.

وقيل: إن رسول الله ﷺ لم يعش بعد هذه السورة إلا ثمانين ليلة.

وقد قيل: إنها آخر سورة نزلت من القرآن كاملة، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾

# تفسير سورة تبت

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ تبت يدا أبى لهب وتب ﴾ سبب نزول هذه السورة هو ما روى أبو معاوية [ الضرير محمد بن خازم ] (١) عن الأعمش، عن عمرو بن مرة ،عن سعيد ابن جبير،عن ابن عباس أن النبى ﷺ صعد ذات يوم الصفا وقال: « ياصباحاه » فاجتمعت قريش فقالوا له: مالك؟ فقال: « ( أرأيتم )(٢) لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أوممسيكم، أما ( تصدقوننى؟ )(٣) » قالوا: بلى. قال: « فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » فقال أبو لهب: تبًا لك، ألهذا دعوتنا جميعًا فأنزل الله تعالى: ﴿ تبت يدا أبى لهب وتب ﴾ إلى آخر السورة »(٤).

قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو محمد المكى بن عبد الرزاق، أخبرنا جدى أبو الهيثم، أخبرنا الفربرى، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا ( محمد )(٥) بن سلام، عن [ أبى ](٦) معاوية.. الحديث.

---

(١) فى « الأصل،وك »: أبو معاوية النضر بن محمد حازم، وهو خطأ والصواب أبو معاوية الضرير محمد بن خازم الكوفى أحفظ الناس لحديث الأعمش، وعنه محمد بن سلام وهو البيكندى ، والحديث رواه البخارى فى صحيحه عن البيكندى عنه به، وانظر تهذيب الكمال ( ٢٥ / ١٢٣ – ١٣٣، ٣٤٠ – ٣٤٤ ).

(٢) فى « ك »: أرأيتكم .

(٣) فى « ك »: مصدقى.

(٤) تقدم.

(٥) فى « ك »: أبو محمد، وهو خطأ، والصواب محمدوهو ابن سلام البخارى البيكندى، وقد تقدم.

(٦) فى « الأصل » : ابن وهو خطأ، وقد تقدم التنبيه عليه.

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾

قوله ﴿ وتب ﴾ قال مقاتل وغيره: خسرت، والتباب فى اللغة هو الهلاك، وهو الخسران أيضًا. قال الفراء: الأول دعاء، والثانى إخبار، فالأول هو قوله: ﴿ تبت يدا أبى لهب ﴾ والثانى قوله: ﴿ وتب ﴾ على ما معنى الخبر أى: وقد خسر وهلك، وفى قراءة ابن مسعود: «وقد تبت».

وقوله: ﴿ ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾ أى: لا يدفع عنه ماله وولده شيئًا من عذاب الله، فيكون قوله: ﴿ وما كسب ﴾ بمعنى وما ولد على هذا القول. قال أبو جعفر النحاس: ويبعد أن تكون ما بمعنى من فى اللغة.

فقوله: ﴿ وما كسب ﴾ أى: وما كسب من جاء ومايشبهه وأما أبو لهب فهو عم النبى ﷺ واسمه عبد العزى، ويقال: سمى أبو لهب لتلهب وجهه حسنا. وذكره الله تعالى بكنيته؛ لأنه كان معروفا بذلك أو لأن اسمه كان عبد العزى فكره أن تنسب عبوديته إلى غيره.

وفى تفسير النقاش: أن أبا لهب انتفى بنى هاشم، وانتسب إلى أبى أمية، وقال: لا أكون من قوم فيهم كذاب مثل محمد. ومن المعروف عن طارق المحاربى أنه قال: «كنت بسوق ذى المجاز فإذا أنا بشاب يقول: أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، وإذا الرجل خلفه يرميه بالحجر، وقد أدمى (عقبيه)، وهو يقول: أيها الناس، لا تصدقوه فإنه كذاب. قال: فسألت عنهما، فقيل: إن الشاب محمد ﷺ، والرجل الذى خلفه عمه أبو لهب»(٢).

(١) فى «ك»: عقبه.

(٢) رواه ابن أبى شيبة (١٤/ ٣٠٠ رقم ١٨٤١٤)، والطبرانى فى الكبير (٨/ ٣١٤ - ٣١٥ رقم ٨١٧٥)، وابن حبان فى صحيحه (١٤/ ٥١٧-٥١٩)، والدارقطنى فى سننه (٣/ ٤٤-٤٥)، والحاكم (٢. ٦١١-٦١٢) وصححه، والبيهقى فى سننه (١/ ٧٦، ٦/ ٢٠/ ٢٠-٢١) وفى الدلائل (٥/ ٣٨٠-٣٨١).

وقال الهيثمى فى المجمع (٦/ ٢٦): رواه الطبرانى وفيه أبو جناب الكلبى وهو مدلس، وقد وثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح.

وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

ويقال فى قوله: ﴿ ما أغنى عنه ماله ﴾: أى: أى شىء أغنى عنه ماله ﴿ وما كسب ﴾ إذا دخل النار؟.

وقوله: ﴿ سيصلى نارا ذات لهب ﴾ يقال: صلى الشىء إذا قاسى شدته وحره. ويقال: صليته أى شويته، ومنه: شاة مصلية أى مشوية والمعنى: سوف يصلى أى يدخل ناراً ذات لهب أى: ذات التهاب وتوقد.

وقوله: ﴿ وامرأته ﴾ أى: تصلى امرأته أيضا.

وقوله: ﴿ حمالة الحطب ﴾ فيه قولان: أحدهما: ما رواه الضحاك عن ابن عباس أنها كانت تحمل الشوك فتلقيه على طريق النبى ﷺ لتعقر رجله. قال عطية: كانت تلقى العضاة فى طريق النبى ﷺ. وكانت كالكثيب من الرمل لقدم النبى ﷺ، والقول الثانى: أن قوله: ﴿ حمالة الحطب ﴾ معناه: الماشية بالنميمة. قال الشاعر:

**إن بنى الأجرم حمالوا الحطب هم الوشاة فى الرضا وفى الغضب**

**عليهم اللعنة تترى والحرب**

وامرأته هى أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان. وقد قرئ: «حمالةَ الحطب» بالنصب فالبرفع على معنى حمالة الحطب، وبالنصب على معنى أعنى حمالة الحطب.

وقوله: ﴿ فى جيدها حبل من مسد ﴾ فيه قولان: أظهرهما أنه السلسلة التى ذكر الله تعالى فى كتابه: ﴿ فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا ﴾[1] والمسد هو الفتل والإحكام قال: لأنه أحكم من الحديد، والقول الثانى: إن المراد من الآية أنها كانت تحمل الحطب بحبل من مسد فى عنقها فذكر الله تعالى ذلك على أحد وجهين: إما

(١) الحاقة: ٣٢.

لبيان تخسيسها وتحقيرها، أو لأنها عيرت رسول الله بالفقر فابتلاها الله تعالى بما هو من عمل الفقراء، وقيل: حبل من مسد أى: حبل من شعر أحكمت فتله، وقيل: من ليف أحكم فتله. وروى «أن هذه السورة لما نزلت وسمعتها امرأة أبى لهب أخذت (فهراً)(١) بيدها، وجاءت تطلب النبى ﷺ وتقول:

**مذم أبينا ودينه قلبينا وأمره عصينا**

وتعنى بمذم محمدا - عليه الصلاة والسلام - لأن كفار قريش كانوا يشتمونه مذمما، فلما جاءت، قال أبو بكر للنبى ﷺ: إن هذه المرأة قد جاءت، فقال: إنها لا ترانى فدخلت ولم تر رسول الله ﷺ، فقالت لأبى بكر: أين صاحبك؟ فقال: ما شأنك؟ فقالت: بلغنى أنه هجانى، فجئت لأكسر رأسه بهذا الحجر، فقال أبو بكر: إنه ما هجاك، فرجعت وعثرت فى مرطها، فقالت: تعس مذم ومضت»(٢).

(١) الفهر: هو الحجر مل الكف. النهاية لابن الأثير (٣ / ٤٨١).

(٢) تقدم تخريجه.

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾

# تفسير سورة الإخلاص

## وهى مدنية

وقيل: إنها مكية

يزيد بن كيسان، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «احشدوا أقرأ عليكم ثلث القرآن فخرج رسول الله ﷺ، فقرأ عليهم: ﴿قل هو الله أحد﴾ ثم دخل بيته قال: فقال القوم: قال لنا رسول الله ﷺ: احشدوا أقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾ ثم دخل، ما هذا إلا شىء[1]؟ قال: فسمعها فخرج إلينا فقال: إن هذه السورة تعدل ثلث القرآن» رواه مسلم فى كتابه عن محمد بن حاتم ويعقوب الدورقى، عن يحيى بن سعيد، عن (يزيد)[2] بن كيسان.. الحديث[3].

وروى إسماعيل بن أبى (زياد)[4] عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: دخلت اليهود على نبى الله ﷺ فقالوا: يا محمد، صف لنا ربك، وانسبه لنا فقد وصف نفسه فى التوراة ونسبها فارتعد رسول الله ﷺ حتى خر مغشيًّا عليه، فقال: «كيف تسألوننى عن صفة ربى ونسبه، ولو سألتمونى أن أصف لكم الشمس لم أقدر عليه»، فهبط جبريل - عليه السلام - فقال: يا محمد، قل لهم: الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أى: ليس بوالد ولا بمولود، وليس له

(١) كذا، وفى صحيح مسلم: فقال بعضنا لبعض: إنى أرى هذا خبر جاءه من السماء، فذاك الذى أدخله.

(٢) فى «ك»: زيد، وهو تحريف.

(٣) رواه مسلم (٦/١٣٧ - ١٣٨ رقم ٨١٢)، والترمذى (٥/١٥٥ رقم ٢٩٠٠)، وأحمد (٢/٤٢٩)، والبيهقى فى الشعب (٥/٤٧٨ - ٤٧٩ رقم ٢٣٠٦).

(٤) فى «ك»: دثار، وهو تحريف، وسيأتى على الصواب بعد قليل.

اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾

شبيه من خلقه». قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث الشيخ العفيف أبو على بن بندار بهمدان بإسناده عن إسماعيل بن أبى زياد.. الحديث. وفى بعض (الأخبار):(١) أن سورة قل يا أيها الكافرون وسورة قل هو الله أحدهما المقشقشتان أى: تبرئان من الشرك والنفاق، ويقال: قشقش المريض من علته إذا برأ، وسميت السورة سورة الإخلاص لأنه ليس فيها إلا وصف الرب عن اسمه وليس فيها أمر ولا نهى ولا وعد ولا وعيد. وذكر أبو عيسى الترمذى فى كتابه برواية أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس، عن أبى العالية، عن أبى بن كعب أن المشركين قالوا: يا رسول الله، انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد﴾ لأنه ليس شىء يولد إلا سيموت، وليس شىء يموت إلا سيورث، وإن الله لا يموت ولا يورث، ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ قال: لم يكن له شبيه ولا عدل، وليس كمثله شىء.

قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ أى: قل هو الله الواحد، أحد بمعنى الواحد، وقد فرق بين الأحد والواحد. وقيل: إن الأحد أبلغ من الواحد، يقال: فلان لا يقاومه أحد نفيا للكل، ويقال: لا يقاومه واحد، ويجوز أن يقاومه اثنان، وأيضًا فإن الواحد يكون الذى يليه الثانى والثالث فى العدد، والأحد لا يكون بمعنى هذا الحال، وأكثر المفسرين أنه بمعنى الواحد.

وقوله: ﴿هو﴾ الابتداء فيه اسم مضمر، كأنه أشار إلى أن الذى سألتمونى عنه هو الله الواحد، فيكون قوله: ﴿الله أحد﴾ تبيينًا وكشفًا لاسم المضمر فى قوله: ﴿هو﴾.

وقوله: ﴿الله الصمد﴾ فيه أقوال: أحدها: أنه الذى يصمد إليه فى الحوائج، والآخر: أنه هو الذى انتهى فى السؤدد وبلغ كماله. قال الشاعر:

**ألا بكر الناعى بخير لى بنى أسد ... بعمر وابن مسعود وبالسيد الصمد**

(١) فى «ك»: الأحاديث.

وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

وقال آخر :

**علوته بحســـــامٍ ثم قلت له  خذها حذيف فأنت السيد الصمد**

والقول الثالث: أنه الذى ليس له جوف أى لا يأكل، والقول الرابع: أن تفسيره قوله: ﴿لم يلد ولم يولد﴾ وقيل: إنه الباقى الذى لا يفنى، وقيل: إنه الدائم الذى لا يزول.

وقوله: ﴿لم يلد ولم يولد﴾ أى: ليس له والد ولا ولد. وقيل: إنه نفى لقول اليهود والنصارى: عزير بن الله، والمسيح ابن الله، ونفى لقول المشركين: إن الملائكة بنات الله. فهذا كله فى قوله: ﴿لم يلد﴾.

وقوله: ﴿ولم يولد﴾ فيه نفى لقول النصارى: إن مريم - عليها السلام - ولدت إلهًا، وهو المسيح.

وقوله: ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ أى لم يكن أحد نظيرا له ولا شبيهًا، فهو على التقديم والتأخير كما ذكرنا، ومعنى أحد فى آخر السورة غير معنى أحد فى أول السورة.

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾

# تفسير سورة الفلق

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ فيه أقوال: أحدها - وهو الأظهر - : أن الفلق هو الصبح، قال الله تعالى: ﴿ فالق الإصباح ﴾[1]، والقول الثانى: أنه جميع الخلق، والقول الثالث: أنه بيت فى النار، إذا فتح بابه صاح أهل جهنم من شدة حره، قاله كعب الحبر، والقول الرابع: جب فى جهنم، قاله مجاهد.

وقوله: ﴿ من شر ما خلق ﴾ أى: من شر جميع ما خلق.

وقوله: ﴿ ومن شر غاسق إذا وقب ﴾ فيه أقوال أيضا: أحدها: من شر الليل إذا أظلم، فالغاسق هو الليل، قاله الحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة، ويقال: من شر الليل إذا أقبل. يقال: وقب: دخل، وقيل: أقبل، ومعنى الاستعاذة من الليل؛ (لأن)[2] فيه يكون تحرك الهموم وهجوم كل ذى شر بقصد، والقول الثانى: أن قوله: ﴿ ومن شر غاسق إذا وقب ﴾ هو القمر، وفيه خبر معروف روى ابن أبى ذئب، عن الحارث بن عبد الرحمن، عن أبى سلمة، عن عائشة قالت: «أخذ رسول الله ﷺ بيدى، وأشار إلى القمر وقال: تعوذى بالله من شر هذا، هو الغاسق إذا وقب»[3]. وذكره أبو عيسى

(١) الأنعام: ٩٦.

(٢) فى «ك»: لأنه.

(٣) رواه الترمذى (٥/ ٤٢١ - ٤٢٢ رقم ٣٣٦٦) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٨٣ - ٨٤ رقم ١٠١٣٧، ١٠١٣٨)، وأحمد (٦/ ٦١، ٢٠٦، ٢١٥، ٢٣٧، ٢٥٢)، والطيالسى (٢٠٨ رقم ١٤٨٦)، وأبو يعلى (٧/ ٤١٧ رقم ٤٤٠)، وعبد بن حميد (رقم ١٥١٧)، وابن جرير (٣٠/ ٢٢٧)، والحاكم (٢/ ٥٤٠ - ٥٤١) وصححه، والجوزقانى فى الأباطيل (٢/ ٣٠٨ رقم ٧٢٢) وصححه، والبغوى في تفسيره (٤/ ٥٤٧)، وحسن إسناده الحافظ فى الفتح (٨/ ٦١٣).

## وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

فى جامعه وقال: هو حديث صحيح. قال النحاس: يجوز أن تكون الاستعاذة من القمر، لأن قوماً أشركوا بسببه، فنسب إليه الاستعاذة على المجاز. قال القتيبى: من شر غاسق إذا وقب: هو القمر إذا دخل فى شاهوره - أى: فى غلافه - وهو إذا غاب. وذكر بعضهم: أن الاستعاذة من القمر؛ لأن أهل البرية يتحينون وجه القمر - أى غروبه - وهم اللصوص وأهل الشر والفساد، والقول الثالث: أن الغاسق هو الثريا.

وقوله: ﴿ إذا وقب ﴾ إذا غاب، وذكر ذلك إذا غاب الثريا ظهرت العاهات والبلايا، وإذا طلع الثريا رفعت العاهات والبلايا.

وقد ورد عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا طلع النجم رفعت العاهة عن كل بلد».(١) وذلك مثل الوباء والطواعين والأسقام وما يشبهها.

وقيل: «من شر غاسق إذا وقب» أى: من شر الشمس إذا غربت.

وذكر النقاش بإسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: من شر غاسق إذا وقب: من شر الذكر إذا دخل، قال النقاش: فذكرت ذلك لمحمد بن إسحاق بن خزيمة، وقلت: هل يجوز أن تفسر القرآن بهذا؟! قال: نعم، قال النبى ﷺ: «أعوذ بك من شر منيى»(٢)، وهو خبر معروف، وهو أن النبى ﷺ قال: «أعوذ بك من شر سمعى ومن شر بصرى» فعدد أشياء، وقال فى آخرها: ومن شر منيى»(٢).

وقوله: ﴿ ومن شر النفاثات فى العقد ﴾ أى: السواحر، والنفث هو النفخ بالفم،

---

(١) رواه الطبرانى فى الصغير (١/ ٨١ رقم ١٠٤)، وأبو الشيخ فى العظمة (رقم ٧٠٠)، وأبو نعيم فى الحلية (٧/ ٣٦٧)، وفى أخبار أصبهان (١/ ١٢١) وأبو يعلى فى الإرشاد (١/ ٣١٩ رقم ٥٤) وقال: رواه الخلق عن أبى حنيفة يتفرد به ولايتابع عليه، وتمام الرازى فى فوائده (١/ ٣٠٩ رقم ٧٧١) عن أبى هريرة به.

(٢) رواه أبو داود (٢/ ٩٢ رقم ١٥٥١)، والترمذى (٥/ ٤٨٩ رقم ٣٤٩٢) وقال: حسن غريب، والنسائى (٨/ ٢٦٧ رقم ٥٤٨٤)، وأحمد (٣/ ٤٢٩)، وابن أبى حاتم فى العلل (٢/ ٢٠٣ رقم ٢١٠٠)، والحاكم (١/ ٥٣٢ - ٥٣٣) وصححه جميعهم عن شتير بن شكل، عن أبيه به.

والتفل هو إذا كان معه ريق.

وقوله: ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ الحسد هو تمنى زوال النعمة عن المنعم عليه، وقد ذكرنا فى الحسد أشياء من قبل، وقيل: من شر حاسد إذا حسد أى: إذا ظلم. واعلم أن المفسرين قالوا: إن هذه السورة والتى تليها نزلتا حين سحر النبى ﷺ، سحره لبيد بن أعصم اليهودى.

والنفاثات فى العقد يقال: إنهن بناته. وكان لبيد قد سحر النبى ﷺ، وجعل ذلك فى بئر (ذى أروان)[1] (فاعتل)[2] النبى ﷺ، واشتدت علته وكان يخيل إليه أنه يفعل الشىء ولا يفعله، ثم إن جبريل - عليه السلام - أنزل المعوذتين. وروى أنه قال لعائشة: «هنا [و] أنا نائم نزل علىّ ملكان، فقعد أحدهما عند رأسى، والآخر عند رجلى، فقال أحدهما لصاحبه: ما حال الرجل؟ فقال: مطبوب، فقال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودى، فقال: وأين ذلك؟ فقال: فى مشط ومشاطة تحت راعونة فى بئر (ذى أروان)[1]، ثم إن النبى ﷺ بعث عليًّا، وقيل: إنه بعث عماراً، وقيل: بعث أبا بكر وعمر حتى استخرجوا ذلك السحر، وأنزل الله تعالى هاتين السورتين، وكان على ذاك الشىء [إحدى عشرة][3] عقدة، فقال له جبريل: اقرأ آية فانحلت عقدة، وكان كلما قرأ آية انحلت عقدة، حتى انحلت العقد كلها، وقام النبى ﷺ كأنما أنشط من عقال»[4].

(١) فى «ك»: ذروان.

(٢) فى «ك»: فاغفل.

(٣) فى «الأصل، وك»: أحد عشر، وهو خلاف الجادة.

(٤) تقدم تخريجه.

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

# تفسير سورة الناس

وهى مدنية

قوله تعالى :﴿ قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس ﴾ هو الشيطان، والمعنى من شر الشيطان ذى الوسواس، ويقال: سمى وسواسًا؛ لأنه يجثم ، فإن ذكر العبد ربه خنس – أى تأخر – وإن لم يذكر: وسوس. وفى رواية: التقم ووسوس أى القلب. وفيه خبر صحيح على هذا المعنى.

وقوله: ﴿ الخناس ﴾ معناه ما قلنا يعنى: إذا ذكر العبد ربه وسبح رجع أى: تأخر وخنس وتنحى.

وقوله: ﴿ الذى يوسوس فى صدور الناس ﴾ هو الشيطان.

وقوله: ﴿ من الجنة ﴾ أى: من الجن.

وقوله: ﴿ والناس ﴾ أى: ومن الناس. والمعنى: أنه أمره بالاستعاذة من شياطين الجن والإنس، والشيطان كل متمرد سواء كان جنيًا أو إنسيًا، وقد ورد فى الأخبار المعروفة «أن النبى ﷺ كان إذا أراد أن ينام قرأ سورة الإخلاص والمعوذتين ،وينفث فى كفيه، ثم يمسح بكفيه ما استطاع من جسده، ويبدأ بوجهه ورأسه»(١) .وروى أنه ﷺ كان يعوذ بهما الحسن والحسين –رضى الله عنهما–. وذكر أبو عيسى الترمذى برواية إسماعيل بن أبى خالد قال: حدثنى قيس بن أبى حازم، عن عقبة بن عامر الجهنى،

(١) رواه البخارى ( ٨ / ٦٧٩ – ٦٨٠ رقم ٥٠١٧ وطرفاه ٥٧٤٨ ، ٦٣١٩ )، وأبو داود ( ٤ / ٣١٣ رقم ٥٠٥٦ ) ، والترمذى ( ٥ / ٤٤١ رقم ٣٤٠٢ ) ، والنسائى فى الكبرى ( ٦ / ١٩٧ رقم ١٠٦٢٤ ) ، وابن ماجه ( ٢ / ١٢٧٥ رقم ٣٨٧٥ ) .

عن النبى ﷺ أنه قال: «قد أنزل الله تعالى علىّ آيات لم ير مثلهن ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ إلى آخر السورة، و﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ إلى آخر السورة»(١) قال: وهو حديث حسن صحيح. قال رضى الله عنه: أخبرنا بذلك أبو عبد الله عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد أخبرنا أبو العباس بن سراج السبخى، أخبرنا أبو العباس بن محبوب أخبرنا أبو عيسى الحافظ، أخبرنا (٢)محمد بن بشار، أخبرنا يحيى بن سعيد القطان، عن إسماعيل بن أبى خالد.. الحديث.

فإن قال قائل: لمَ لمْ يكتب ابن مسعود هاتين السورتين فى مصحفه؟ وهل يجوز أن يشتبه على أحد أنهما من القرآن أو ليستا من القرآن؟ والجواب عنه: أن حماد بن سلمة روى عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش قال: قلت لأبى بن كعب: إن ابن مسعود لم يكتب فى مصحفه المعوذتين! فقال أبى: قال رسول الله ﷺ: «قال جبريل - عليه السلام - ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ فقلتها، وقال: ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ فقلتها» فنحن نقول: يقول رسول الله ﷺ. كأن أبيًا وافق ابن مسعود(٣). قال رضى الله عنه :أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسين بن النقور ،أخبرنا أبو القاسم بن حبابة، أخبرنا البغوى، أخبرنا هدبة، عن حماد بن سلمة.. الحديث خرجه مسلم فى الصحيح فيجوز أن ابن مسعود وأبيًا من كثرة ما سمعا النبى ﷺ يقرأ هاتين السورتين ويتعوذ بهما ظنا أنهما عوذة، فلم يثبتاهما فى المصحف، وقد قيل: إنهما مكتوبتان فى مصحف أبى.

---

(١) رواه مسلم (٦ / ١٣٩ - ١٤٠ رقم ٨١٤)، والترمذى (٥ /١٥٧ رقم ٢٩٠٢)، والنسائى (٢ /١٥٨ رقم ٩٥٤، ٨/٢٥٤ رقم ٥٤٤٠)، وأحمد (٤ / ١٤٤، ١٥٠، ١٥١، )، والدارمى (٢ / ٥٥٤ رقم ٣٤٤١).

(٢) فى «ك» : أبو محمد، والصواب مافى الأصل،

(٣) رواه البخارى (٨ / ٦١٤ رقم ٤٩٧٧)، وأحمد (٥ / ١٢٩ - ١٣٠)، والحميدى (١ / ١٨٥ رقم ٣٧٤)، والبيهقى (٢ / ٣٩٣ - ٣٩٤)، وابن حبان رقم (٧٩٧).

وذكر بعضهم أن عبد الله بن مسعود لم يشتبه عليه أنهما من القرآن، ولكن لم يكتبهما لشهرتهما ،كما ترك كتبة سورة الفاتحة لشهرتها، والله أعلم وأحكم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

*وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وسلم تسليما كثيرًا*

(١) تم بعون الله وتوفيقه تفسير أبى المظفر السمعانى، ويتلوه إن شاء الله تعالى الفهارس العلمية.

# الفهارس العلمية

( ١ ) فهارس مسائل العقيدة .

( ٢ ) فهرس المسائل الفقهية .

( ٣ ) فهرس أطراف الحديث .

( ٤ ) فهرس الشعر .

## ( ١ ) فهرس مسائل العقيدة


| المسألة | العنوان |
|---|---|
| **الإيمان والتوحيد** | |
| مسألة في تعريف الإيمان | ١/ ٤٣ |
| مسألة في الرد على من يخرج الاعتقاد من جملة الإيمان | ١/ ٤٧ |
| مسألة في الرد على المرجئة في إخراج العمل من مسمى الإيمان | ١/ ١٥٠ |
| مسألة في معنى الإسلام | ١/ ٣٠٢ |
| مسألة في أن الترحم على السلف من علامات الإيمان. | ٥/ ٤٠٧-٤٠٨ |
| مسألة اجتماع الإيمان مع الشرك في قلب العبد. | ٣/ ٧١ |
| مسألة في أن الإتيان بتوحيد الربوبية لايكفي للحكم بالإيمان. | ٣/ ٧١، ٣/ ٨٦، ٣/ ١٩٣ |
| مسألة في الرد على أصحاب الطبيعة. | ٣/ ٧٧ |
| مسألة في تعريف العبادة. | ١/ ٣٧ |
| مسألة في توحيد الألوهية. | ١/ ٥٦، ٥٧ |
| مسألة في الاستعانة. | ١/ ٧٤ |
| مسألة في أن كل المخلوقات مطيعة لله إلا عصاة الثقلين. | ٣/ ١٧٣-١٧٧، ٤٢٧-٤٢٨ |
| مسألة في أن سجود الموات ثابت بنص الكتاب ومذهب أهل السنة. | ٥/ ٣٢٣ |
| مسألة في محبة العبد لله، ومحبة الله للعبد. | ١/ ٣١٠-٣١١ |
| مسألة في معنى الموالاة. | ١/ ٣٠٨-٣٠٩ |
| مسألة في نفي الضد أو الند عن الله - تعالى. | ٣/ ١١٧ |
| مسألة في وجوب رد المسائل المتنازع فيها إلى الله ورسوله. | ١/ ٤٤١ |
| مسألة في تعريف الكفر وبيان أنواعه. | ١/ ٤٥، ٤٦ |
| مسألة في الجبت والطاغوت | ١/ ٤٣٦ |

| | |
|---|---|
| ماجاء فى السحر والسحرة | ١/ ١١٦- ١١٩ |
| مسألة فى جواز النطق بكلمة الكفر عند الإكراه. | ١/ ٣٠٩ |
| مسألة فى الرياء والنفاق. | ١/ ٤٩٤ |
| مسألة فى الرد على القائلين بتخليد أهل الكبائر فى النار. | ١/ ٤٦٤-٤٦٥ |
| مسألة فى حد الكبيرة. | ١/ ٤١٩-٤٢٠ |
| مسألة فى توبة صاحب الكبيرة عند أهل السنة. | ٣/ ١٠ |
| مسألة فى توبة قاتل المؤمن عمداً عند أهل السنة. | ١/ ٤٦٣-٤٦٤، ٣/ ١٠ |
| مسألة فى توبة المرتد. | ١/ ٤٩٠-٤٩١ |


## الأسماء و الصفات


| | |
|---|---|
| مسألة فيما جاء فى اسم الله الأعظم. | ١/ ١٦١ |
| مسألة فى معنى البارئ. | ٥/ ٤١٥ |
| مسألة فى معنى الجبار. | ٥/ ٤١٥ |
| مسألة فى معنى الحى القيوم. | ١/ ٢٥٧، ٢٩١ |
| مسألة فى من أسماء الله الحسنى الله والرحمن والرحيم. | ١/ ٣٣-٣٤ |
| مسألة فى معنى السلام. | ٥/ ٤١٤ |
| مسألة فى معنى العزيز. | ١/ ١٤١، ٥/ ٤١٤ |
| مسألة فى معنى القدوس. | ٥/ ٤١٣-٤١٤ |
| مسألة فى تفسير مالك أو ملك. | ١/ ٣٦-٣٧ |
| مسألة فى معنى المتكبر. | ٥/ ٤١٥ |
| مسألة فى معنى المصور. | ٥/ ٤١٥-٤١٦ |
| مسألة فى معنى المؤمن. | ٥/ ٤١٤ |
| مسألة فى معنى الواحد القهار. | ٣/ ٨٧ |
| مسألة فى معنى اللطيف. | ٣/ ٦٨، ٥/ ٧١ |

| | |
|---|---|
| مسألة فى معنى الواحد . | ١/ ١٦١ |
| مسألة فى معنى الوارث . | ٣/ ١٣٦ |
| مسألة فى معنى الودود . | ٢/ ٤٥١ |
| مسألة فى معنى الوكيل . | ٣/ ٤٧ |
| ماجاء فى أن الله هو الدهر . | ٥/ ١٤٣ |
| مسألة فى أنه لايجوز أن يسمى الله قائماً على الإطلاق . | ٣/ ٩٦ |
| مسألة فى أن الله علماً هو صفته خلافاً للمعتزلة . | ١/ ٥٠٤ |
| ماجاء فى أن لله – تعالى – فى الموات والجمادات علماً لايقف عليه الناس | ٥/ ٤١٣ |
| مسألة فى إثبات اليد لله – تعالى – بلا كيف . | ٢/ ٥١ |
| مسألة فى صفة الوجه لله – تعالى . | ١/ ١٢٩ |
| مسألة فى الاستواء . | ١/ ٦٣، ١/ ٣٢٠ |
| ماجاء فى علو الله من غير تكييف . | ٢/ ٣٦٤، ٣/ ١٧٧ |
| مسألة فى تكليم الله عبده ورسوله موسى – عليه السلام – حقيقة . | ١/ ٩٧، ٥٠٣ |
| مسألة فى صفة إتيان الله – تعالى . | ١/ ٢١٠–٢١١ |
| مسألة فيما جاء فى الكرسى . | ١/ ٢٥٨–٢٥٩ |
| مسألة فى ما جاء فى اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ . | ٣/ ٦٦–٦٧ |


## الإيمان بالملائكة


| | |
|---|---|
| مسألة فى خلق الملائكة بلا شهوة . | ٣/ ٣٩ |
| مسألة فى تفضيل البشر على الملائكة . | ٣/ ٢٦٣ |
| مسألة فى الرد على من ذهب إلى تفضيل الملائكة على البشر . | ١/ ٥٠٦–٥٠٧ |

## الإيمان بالرسل


مسألة فى عصمة الأنبياء. ٣/١٠-١١، ٣/٢٠-٢٣

مسألة فى الإيمان بأولى العزم من الرسل. ٥/١٦٤-١٦٥


## الإيمان باليوم الآخر


مسألة فى الإيمان بالمعاد وقيام الساعة. ١/٤٣

مسألة فيما جاء فى سؤال القبر وعذابه. ٣/١١٥-١١٦

ما جاء فى صفة أرض المحشر. ٣/١٢٥-١٢٦

ماجاء فى صفة الميزان ومايوزن فيه. ٣/٣٨٣-٣٨٤

ماجاء فى الجنة. ١/٦٠

ماجاء فى أن الجنة مخلوقة فى السماء. ٥/٢٩١

مسألة فى دخول مؤمنى الجن الجنة. ٥/٣٣٦

ماجاء فى رؤية المؤمنين ربهم فى الجنة. ١/٢،٧٥/١٣٢-١٣٣، ٦/١٠٦-١٠٨

مسألة فى رؤية النبى ربه ليلة الإسراء. ٥/٢٩٠-٢٩٢

ماجاء فى النار وأنها مخلوقة. ١/٥٩


## الإيمان بالقدر


مسألة فى معنى قضاء الله. ٣/١٢١

مسألة فى الإرادة الكونية. ١/٩٠

مسألة فى معنى الهداية. ١/٣٨

ماجاء فى الفطرة التى خلق الله الناس عليها. ٤/٢٠٩-٢١٢

مسألة فى أن الله لايعذب الخلق قبل بعثة الرسل. ١/٥٠٣

مسألة فى أن مذهب أهل السنة أن أفعال العباد مخلوقة. ١/٣٦٧

ماجاء فى أن الله يمحو ما يشاء ويثبت. ٣/٩٩-١٠٠

مسألة فى الحذر لايرد القدر. ٣/٤٧-٤٨

الرد على القدرية فى مسألة الهداية والضلال، وخلق الخير والشر ١/٤٥١، ٢/١٥٢-١٥٣، ٢/١٩٦، ٣/٨٣، ٩١، ١٣١، ٥/٩٦-٩٧

مسألة فى الرد على القدرية فى احتجاجهم بالقدر. ٣/١٧١

مسألة فى أن مذهب أهل السنة أن تكفير الصغائر معلق بالمشيئة ١/٤٢١

مسألة فى أن مذهب أهل السنة أن الأجل فى القتل والموت واحد ١/٣٦٩

تأويل نسبة الحسن البصرى لإنكار القدر. ٣/٢٣١

## ( ٢ ) فهرس المسائل الفقهية


| المسألة | العزو |
|---|---|
| **كتاب الطهارة** | |
| وجوب غسل الرجلين فى الوضوء. | ٢/١٦-١٨ |
| الوضوء لكل صلاة. | ٢/١٥-١٦ |
| تعيين التراب للتيمم. | ١/٤٣٢ |
| التيمم للجنب. | ١/٤٣١-٤٣٢ |
| الرخصة فى اجتياز الجنب المسجد. | ١/٣٤١ |
| سنن الفطرة. | ١/١٣٤ |
| تغيير الشيب وكراهية السواد. | ١/٤٨٣ |
| **كتاب الصلاة** | |
| تعريف الصلاة، وبيان حقيقتها. | ١/٤٣-٤٤ |
| المواقيت: الفجر فجران | ١/١٨٨-١٨٩ |
| هيئات الركوع. | ١/٧٣ |
| ما ورد فى الصلاة الوسطى. | ١/٢٤٢-٢٤٣ |
| حكم قيام الليل. | ٦/٨٣-٨٥ |
| حد السفر. | ١/٤٣١ |
| ما جاء هل سفر المعصية يبيح الرخصة. | ١/١٦٩ |
| اختيار القصر، وجواز الإتمام. | ١/٤٧١-٤٧٢ |
| تطوع المسافر على راحلته حيث توجهت به. | ١/١٢٩ |
| كيفية صلاة الخوف. | ١/٤٧٢-٤٧٣ |

حكم صلاة الخوف بعد الرسول ﷺ. ١/ ٤٧٢

عدد ركعات القصر فى الخوف. ١/ ٤٧٢ - ٤٧٣

التكبير فى العيدين. ١/ ١٨٥


## كتاب الزكاة


تعريف الزكاة. ١/ ٧٣

الحث على الزكاة والتشديد فى منعها. ١/ ٣٨٣-٣٨٤

مصارف الزكاة. ٢/ ٣١٨-٣٢٠

تحريم الصدقة على بنى هاشم ومواليهم. ١/ ٧٧


## كتاب الصيام


معنى الصيام لغة وشرعاً. ١/ ١٧٧

فرضية الصيام. ١/ ١٧٧

حد المرض، والسفر المبيحين للفطر. ١/ ١٧٩

فى المسافر أيقضى وإن صام؟ ١/ ١٧٩

ما جاء فى الشيخ والشيخة. ١/ ١٨٠-١٨١

من أدرك الشهر وهو مقيم، ثم سافر. ١/ ١٨٣-١٨٤

ما يباح للصائم فى ليلته. ١/ ١٨٦

جواز الاعتكاف فى كل المساجد. ١/ ١٩٠

باب ما لايجوز للمعتكف. ١/ ١٨٩


## كتاب المناسك


وجوب الحج والعمرة، وثوابهما. ١/ ١٩٦

تعريف التمتع. ١/ ١٩٧-١٩٨

المواقيت الزمانية للحج. ١/ ١٩٩

صحة حج الجمال ١/ ٢٠١

من لم يجد الهدى، ماذا يفعل؟ ١/١٩٨
ما جاء فى فدية الأذى. ١/١٩٧
ما جاء فى الهَدْى ١/١٩٦-١٩٨
وجوب السعى بين الصفا والمروة. ١/١٥٨-١٦٠
بيع دور مكة، وتجارتها. ٣/٤٣٢

## كتاب البيوع

التشديد فى الربا. ١/٢٨٠-٢٨١

## كتاب القرض

حكم كتابة الدين. ١/٢٨٣

## كتاب الضمان

حكم ما أفسدت الماشية. ٣/٣٩٥-٣٩٦

## كتاب التفليس

ما يحل لولى اليتيم من ماله. ١/٣٩٨-٣٩٩

## كتاب الوصايا

النهى عن الحيف فى الوصية. ١/١٧٦-١٧٧
لاوصية لوارث. ١/١٧٥
فى أن الوصية لاتزيد على الثلث. ١/١٧٥

## كتاب الفرائض

توريث النساء ١/٣٩٩
ماجاء فى ميراث الأخ والأخت. ١/٤٠٥
ماجاء فى ميراث الكلالة. ١/٤٠٤-٤٠٥

| | |
|---|---|
| ماجاء فى ميراث الزوج والزوجة. | ١/٤٠٤ |
| ما جاء فى ميراث الأم. | ١/٤٠٢ |
| ما جاء فى ميراث البنت والبنتين. | ١/٤٠١-٤٠٢ |
| استحباب إعطاء اليتامى والمساكين وأولى القربى من التركة. | ١/٣٩٩-٤٠٠ |
| حكم التوارث بالتبنى وبالحلف. | ١/٤٢٢ |


## كتاب النكاح


| | |
|---|---|
| التعريض بالخطبة فى العدة. | ١/٢٣٩-٢٤٠ |
| لانكاح إلا بولى. | ١/٢٣٥ |
| تحريم نكاح المشركات. | ١/٢٢٢ |
| العدد المباح للحر، والعبد وما خص به النبى ﷺ. | ١/٣٩٥-٣٩٦ |
| الزواج بالزانية. | ٣/٥٠٠-٥٠١ |
| تحريم الاستمناء. | ٣/٤٦٤ |
| جواز نكاح الحرة الكتابية، وتحريم الأمة الكتابية. | ٢/١٤-١٥ |
| هبة المرأةُ زوجها صداقها أو بعضه. | ١/٣٩٧ |
| وجوب الصداق للمرأة. | ١/٣٩٧ |
| نكاح الأمة. | ١/٤١٥-٤١٦ |
| المحرمات من النساء. | ١/٤١١-٤١٤ |
| تحريم مباشرة الحائش فى الفرج وما يباح منها. | ١/٢٢٣-٢٢٤ |
| التسمية عند الجماع. | ١/٢٢٦ |
| النهى عن إتيان المرأة فى دبرها. | ١/٢٢٦ |
| المرأة تهب يومها لضرتها أو تصالح الزوج على إسقاطه. | ١/٤٨٦ |
| ما جاء فى نكاح المتعة وبيان نسخه. | ١/٤١٥ |

## كتاب الطلاق


الإشهاد فى الطلاق والرجعة. ٥/٤٦١

الاعتداد بالأقراء وتفسيرها. ١/٢٢٩-٢٣٠

العِدَد ٥/٤٥٧-٤٦٤

هل الخيار طلاق أم لا؟ ٤/٢٧٧

المتعة للمطلقة. ١/٢٤١

العود فى الظهار. ٥/٣٨٣-٣٨٤

هل يجوز للحكمين الحكم بالتفريق أم لا؟ ١/٤٢٥

الإيلاء. ١/٢٢٨-٢٢٩

الخلع. ١/٢٣٢-٢٣٣


## كتاب الرضاع


يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب. ١/٤١٤

مدة الرضاع. ٥/١٥٤


## كتاب الدماء


تعريف القتل العمد وحكمه. ١/٤٦٣

حكم القتل الخطأ، واختلاف الفقهاء فى الرقبة المؤمنة. ١/٤٦١

على مَنْ تكون الدية فى القتل الخطأ. ١/٤٦١

من أمسك رجلا وقتله آخر. ١/٧٤

ما جاء فى قتل الحر بالعبد، والرجل بالمرأة. ١/١٧٣

التخيير بين القصاص والدية. ١/١٧٤


## كتاب الحدود


حد الأمة إذا زنت ١/٤١٥-٤١٦

جلد الزانى. ٣/ ٤٩٨

ماجاء فى رجم الزانى المحصن وجلد البكر وتغريبه. ١/ ٤٠٦-٤٠٨

النهى عن الشفاعة فى الحد. ١/ ٤٥٥

## كتاب الجهاد والسير

حكم الجهاد. ١/ ٢١٥

مسألة فى أن الجهاد فرض كفاية. ١/ ٤٤٦-٤٤٧

ما جاء فى فضل الشهادة فى سبيل الله - تعالى. ١/ ٣٧٨-٣٧٩

الكف عن قصد النساء والصبيان والرهبان والشيخ الفانى بالقتل ١/ ٧٨

تولى المسلم عملاً لكافر. ٣/ ٤٠-٤١

## كتاب السبق والرمى

النهى عن صبر البهائم. ١/ ٧٤

## كتاب الصيد والذبائح والأطعمة

حل صيد غير الكلب. ٢/ ١٣

وجو ب الكفاره على المحرم إذا أصاب صيداً ولو سهواً. ٢/ ٦٦

حل أكل لحوم الخيل. ٣/ ١٦١

حرمة لحم الخنزير. ١/ ١٦٩

الميتة للمضطر. ١/ ١٦٩

تحريم الخمر ونسخ إباحتها المتقدمة. ١/ ٢١٨-٢١٩

## كتاب الأيمان

ماجاء فى اليمين اللغو، وكفارته. ١/ ٢٢٧-٢٢٨، ٢/ ٦٠

كفارة اليمين. ٢/ ٦٠-٦١

كفارة تحريم الحلال. ٥/ ٤٧١-٤٧٢

## كتاب الأقضية والأحكام

النهى عن كتمان الشهادة. ١/ ٤٨٨-٤٨٩

هل يجوز للإنسان أن يزكى نفسه؟ ٣/ ٤١

# (٣) فهرس أطراف الحديث

| الحديث | الراوى | العزو |
|---|---|---|
| - حرف الهمزة - | | |
| آلى شهر واعتزل فى غرفة | | ٤/ ٢٧٥-٢٧٦ |
| آلى كُلٌّ مؤمن تقى | أنس | ١/ ٧٧ |
| ائتدموا بالزيت، وادهنوا منه | عمر | ٣/ ٥٣١ |
| أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون | عبد الله بن عمر | ٢/ ٣٢٢ |
| إبراهيم كذب ثلاث كذبات. | أبو هريرة | ٣/ ٣٨٨ |
| أبشر يا كعب بن مالك. | | ٢/ ٣٥٥ |
| أبشروا لن يغلب عسر يسرين. | الحسن | ٦/ ٢٥٠ |
| أبو بكر صاحبى فى الغار، وصاحبى على الحوض. | | ٢/ ٣٠٩ |
| أبوك حذافة. | | ٢/ ٧١ |
| أبى الله أن يكون لقاتل المؤمن توبة. | أنس | ١/ ٤٦٣ |
| أتانى الليلة آتيان فانطلقا بى. | سمرة بن جندب | ٢/ ٣٤٢-٣٤٣ |
| أتدرون ما أخبارها. | أبو هريرة | ٦/ ٢٦٧ |
| أتدرون ما الكوثر. | | ٦/ ٢٩٠ |
| أتريدين أباك. | ابن عباس | ٤/ ٢٧٦ |
| أتريدين أن ترجعى إلى رفاعة؟ | | ١/ ٢٣٣-٢٣٤ |
| أتضحكون وبين أيديكم النار. | | ٣/ ١٤٢ |
| أتعبتنى أيها الرجل، أنا انتظرك منذ ثلاث. | | ٣/ ٢٩٨-٢٩٩ |
| اتق الله حيثما كنت. | معاذ | ٢ / ٤٦٤، ٤ / ١٦٢ |

| | | |
|---|---|---|
| اتقوا الله فى النساء فإنهن عندكم عوان. | | ١/٤١٠ |
| اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله. | أبو سعيد الخدرى | ٣/١٤٧ |
| أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار. | | ٣/٢١٥ |
| أجر موسى نفسه بطعمة بطنه وعفة فرجه. | | ٤/١٣٤ |
| اجعلوه فى ركوعكم. | عقبة بن عامر | ٦/٢٠٧ |
| اجعلوه فى سجودكم. | عقبة بن عامر | ٦/٢٠٧ |
| أجل إن شاء الله. | | ٥/١٠١ |
| أحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود. | | ٤/٤٢٩ |
| احبوا الله بما يغذوكم به من نعمه. | | ٢/٤٥١ |
| أحبوا العرب لثلاث: لأنى عربى. | ابن عباس | ٣/٦ |
| احتجبا... أعمياوان أنتما. | | ٣/٥٢٠ |
| احترسوا من الناس بسوء الظن. | أنس | ٥/٢٢٤ |
| احثوا التراب فى وجوه المداحين. | المقداد | ٥/٢٩٩ |
| احشدوا أقرأ عليكم ثلث القرآن. | أبو هريرة | ٦/٣٠٢ |
| احفظ الله يحفظك.... | ابن عباس | ٢/٩٢،٥/٦٠ |
| أخبر تقله. | | ٥/١٨٦ |
| أخبرونى عن شجرة هى مثل المؤمن | ابن عمر | ٣/١١٣ |
| أخذ على رسول الله كما أخذته عليك. | ابن عمر | ٤/٢٢٢ |
| اخرج يافلان، فإنك منافق. | | ٢/٣٤١ |
| إخصاء أمتى الصوم. | | ٢/٥٩ |
| الأخلاء أربعة: مؤمنان، وكافران. | | ٥/١١٥ |
| أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك. | | ١/٤٣٩ |
| إذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان. | | ١/٤٠٧ |
| إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان. | | ١/٤٠٧ |

| | | |
|---|---|---|
| إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون. | | ٢ / ١٧٥ |
| إذا أحب الله عبداً. | أبو هريرة | ٣ / ٣١٦ |
| إذا أخبركم أهل الكتاب بشيء لم تعرفوه فلا تصدقوه، ولا تكذبوه. | | ٤ / ١٨٥ |
| إذا أخذ أحدكم مضجعه. | | ٤ / ٢١٢ |
| إذا أخذت مضجعك فاقرأ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾. | نوفل | ٦ / ٢٩٤ |
| إذا أخذتم الساحر فاقتلوه. | جندب بن عبد الله | ٣ / ٣٤١ |
| إذا أدناه من وجه شوى وجهه. | | ٣ / ١٠٩ |
| إذا أراد أحدكم البول فليتمخر الريح. | | ٣ / ١٦٣ |
| إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له. | أبو موسى | ٣ / ٥١٧ |
| إذا استقرت النطفة فى رحم المرأة. | جذيفة بن أسيد | ٥ / ٤٥٣ |
| إذا اغتاب أحدكم أخاه فليستغفر له. | | ٥ / ٢٢٦ |
| إذا افتتحت القراءة فقل: أعوذ بالله من الشيطان | أبو سعيد الخدرى | ٣ / ٢٠٠ |
| إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا. | | ١ / ١٨٩ |
| إذا أكلتم فاسألوا. | | ١ / ٥٨ |
| إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب. | | ٣ / ٣٤ |
| إذا خلص المؤمنون على الصراط حبسوا على قنطرة. | أبو سعيد | ٢ / ١٨١ |
| إذا دخل أحدكم على سلطان. | ابن مسعود | ٣ / ٣٣٢ |
| إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تعالى. | صهيب | ٢ / ٣٧٦ |
| إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار. | أبو سعيد، أبو هريرة | ٣ / ٢٩٣ |
| إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى | صهيب | ٦ / ١٠٧ |
| إذا دخل النور فى قلب المؤمن انشرح | | ٤ / ٦٥، ٤٦٥ / ٦، ٢٤٨ |
| إذا ذكر أصحابى فأمسكوا. | | ٥ / ٤٠٨ |

| | | |
|---|---|---|
| إذا ذكر النجوم فأمسكوا. | | ٥ / ٤٠٨ |
| إذا رأيتم الذين يجادلون فى الآيات فاحذروهم | عائشة | ١ / ٢٩٥ |
| إذا رأيتم الظالم فخذوا على يديه. | أبو بكر الصديق | ٢ / ٧٣ |
| إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها. | | ١ / ٤١٧ |
| إذا سجد ابن آدم اعتزل الشيطان. | أبو هريرة | ٢ / ٢٤٣ |
| إذا سمعتم صوت الرعد فاذكروا الله. | | ١ / ٥٤ |
| إذا طلع النجم رفعت العاهة عن كل بلد. | | ٦ / ٣٠٦ |
| إذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكر بإذن الله. | | ١ / ١١٢ |
| إذا كان أول ليلة من رمضان. | | ١ / ١٨٢ |
| إذا كان المضر قيظا. | | ٣ / ٨٠ |
| إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق. | أبو موسى | ٢ / ٤٥٤ |
| إذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كان يعبدونه. | | ٦ / ٢٩ |
| إذا كان يوم القيامة نادى مناد. | عائشة | ٥ / ٣١٩ |
| إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى. | أبو سعيد | ٣ / ٤١٧-٤١٨ |
| إذا كان يوم القيامة يكشف ربنا عن ساقه. | أبو سعيد | ٦ / ٢٨ |
| إذا كانت أمراؤكم خياركم. | أبو هريرة | ٥ / ٨١ |
| إذا كنتم خلفى فلا تقرءوا إلا بأم القرآن. | عبادة بن الصامت | ٢ / ٢٤٢ |
| إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث. | | ٣ / ٢٧٨ |
| إذا مكثت النطفة فى رحم الأم أربعين يوما. | حذيفة بن أسيد | ٣ / ٤٢٠ |
| إذا نهق الحمار فإنه قد رأى شيطانا. | | ٤ / ٨٤ |
| إذا وقعت النطفة فى الرحم. | حذيفة بن أسيد | ٣ / ٩٩ |
| اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس | | ٥ / ٢٢٧ |
| أذنت لك. | | ٣ / ٥٥٣ |
| اذهب فقد غفر الله لك ما أصبت. | أبو أمامة | ٢ / ٤٦٣ |

| | | |
|---|---|---|
| اذهبى فاقتصى منه. | | ١/٤٢٢-٤٢٣ |
| أراد أن يطلق جماعة من نسائه. | | ٤/٢٩٩ |
| أرأيت أرضا مخلاء ثم أرأيتها خضراء. | | ٥/٣٧٨ |
| أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم. | ابن عباس | ٦/٢٩٨ |
| أربع بعد الزوال قبل الظهر يعدلن مثلهن من السحر. | عمر بن الخطاب | ٣/١٧٦ |
| أربعة أشياء من خصال قوم قارون. | | ٤/١٥٨ |
| اربعوا على أنفسكم. | | ٢/١٨٧ |
| ارتفاعها ما بين السماء والأرض. | أبو سعيد | ٥/٣٥٥ |
| ارجع إلى قومك فقد مطرتم. | | ٥/٧٦-٧٧ |
| ارجع فأحسن الوضوء. | | ٢/١٧ |
| ارجع فلست بمنافق ولا مرتاب. | | ٣/٥٥٤ |
| ارفعوا السيف إلا خزاعة. | | ٢/٢٩١ |
| ارفق بهذا الرجل من أصحابى. | جعفر بن محمد عن أبيه | ٤/٢٥٤ |
| اركبها ويلك. | | ٣/٤٣٨ |
| ارم فداك أبى وأمى. | | ١/٣٧٠ |
| أرواح الشهداء فى حواصل طير. | | ٣/٢٧٤ |
| أريت عذابكم دون هذه الشجرة. | | ٢/٢٧٨ |
| اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات. | معاذ | ٤/٤٥٢-٤٥٣ |
| استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى. | عبد الله بن مسعود | ٢/٣٥٠ |
| استقيموا ولن تحصوا. | | ٢/٤٦١ |
| استمتع بها. | | ٣/٥٠١ |
| اسرعكن بى لحوقًا أطولكن يدًا. | | ٤/٢٨٨-٢٨٩ |

| | | |
|---|---|---|
| اسق ارضك الماء ثم أرسله إلى جارك. | عبد الله بن الزبير، عروة بن الزبير | ١/ ٤٤٤ |
| اسق أرضك واحبس الماء. | عبد الله بن الزبير، عروة بن الزبير | ١/ ٤٤٤ |
| اسقه عسلا. | أبو سعيد الخدرى | ٣/ ١٨٦ |
| الإسلام أو الحرب أو الجزية. | | ١/ ٣٢٨ |
| الإسلام علانية، والإيمان فى القلب. | | ٥/ ٢٣١ |
| أسلموا. | | ١/ ٣٢٦ |
| اسلموا قبل أن ينزل بكم مانزل بالمشركين. | | ١/ ٢٩٨ |
| اسم الله الأعظم فى آيتين من سورة البقرة. | أسماء بنت يزيد الأشهلية | ١/ ١٦١ |
| أشترط لربى ألاتشركوا به شيئًا. | الشعبى | ٥/ ٢٠١ |
| اشترطى لهم الولاء. | | ٢/ ٤١ |
| أشد الناس عذابا يوم القيامة. | أبو عبيدة بن الجراح | ١/ ٣٠٥ |
| أشدد وطأتك على مضر. | | ٦/ ٧٨ |
| الإشراك بالله ثم عقوق الوالدين. | ابن مسعود | ٣/ ٢٣١ |
| اشفعوا تؤجروا. | أبو موسى الأشعرى | ١/ ٤٥٥ |
| أشهد أنى صليت هذه الصلاة مع رسول الله ﷺ. | | ١/ ١٥٢ |
| أشهد لقد عدلت شهادة الزور بالشرك | | ٣/ ٤٣٦ |
| اشهدوا، اشهدوا. | | ٥/ ٣٠٦ |
| اصبر واتق الله. | | ٥/ ٤٦٢ |
| أصبروا الصابر، واقتلوا القاتل. | | ١/ ٧٤ |
| أصدق الحديث كتاب الله. | | ٢/ ١٥٨ |
| أصدق كلمة قالت العرب قول لبيد. | | ٤/ ١٨٧ |

| | | |
|---|---|---|
| أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم. | | ٢/ ١٢٩ |
| اصنعوا كل شيء إلا الوطء. | | ١/ ٢٢٤ |
| اطلب منهم كلمة واحدة. | | ٤/ ٤٢٥ |
| اطلبوها فى الأفراد. | | ٦/ ٢٦١ |
| اعتدى أين شئت. | | ٣/ ٣٩٥ |
| اعتق رقبة. | | ٥/ ٣٨٤ |
| اعط الابنتين الثلثين والمرأة الثمن. | | ١/ ٤٠١ |
| اعط نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها. | عائشة | ٦/ ٢٣٣ |
| أعطى نبينا قوة سبعين شابًا. | | ١/ ٤٣٧ |
| أعطيت السبع الطول مكان التوراة. | ثوبان | ٥/ ٢١٢ |
| اعملوا. | عبد الله بن عمرو ابن العاص | ٥/ ٦٤-٦٥ |
| أعنى على نفسك بكثرة السجود. | ربيعة بن كعب الأسلمى | ٢/ ٢٤٣ |
| أعوذ بالله من الحور بعد الكور. | | ٦/ ١٩٠ |
| أعوذ بالله من الرجس النجس. | | ٢/ ٦٢ |
| أعوذ بالله من الشيطان من همزه ونفثه ونفخه. | | |
| أعوذ بالله من طمع يدنى إلى طبع. | | ٢/ ٢٢٣-٢٢٤ |
| أعوذ بك من شر سمعى ومن شر بصرى. | | ٢/ ١١٤ |
| اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة | | ٣/ ٤٧ |
| افد نفسك وابنى أخيك. | | ٢/ ٢٧٩ |
| أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر. | | ١/ ٣٠٩، ٤/ ٢٣٣ |
| أفضل الحج العج والثج. | | ٦ / ١٣٨ |

| | | |
|---|---|---|
| أفضل الشهداء بعد شهداء أحد. | | ١/ ٣٤٨ |
| أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى. | | ١/ ٢٢٠ |
| أفضل العبادة الفقه. | | ٢/ ٣٥٨ |
| أفضل الكلام سبحان الله وبحمده. | | ٥/ ٣٦٣ |
| أفلا أكون عبداً شكورا | | ٥/ ١٩٠ |
| أفى شك أنت يا ابن الخطاب. | | ٥/ ١٥٧ |
| أقتلت رجلا يقول لا إله إلا الله. | | ١/ ٤٦٦ |
| اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم. | | ١/ ٧٨، ٣/ ١٠٤ |
| اقرأ علىَّ القرآن. | ابن مسعود | ١/ ٤٢٩ |
| اقسمه بين الفقراء قرابتك. | | ١/ ٣٤٠ |
| أكبر الكبائر الإشراك بالله. | | ١/ ٤١٩ |
| اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. | | ٥/ ٢٠٦ |
| اكتب ﴿ غير أولى الضرر ﴾. | زيد بن ثابت | ١/ ٤٦٧ |
| أكذب الحديث هو الظن. | | ٥/ ٢٩٥ |
| أكرموا الكرام الكاتبين. | | ٦/ ١٧٥ |
| أكرموا النخلة فإنها عمتكم. | | ٣/ ١١٣ |
| أكلنا لحم فرس على عهد رسول الله ﷺ. | أسماء بنت أبى بكر | ٣/ ١٦١ |
| أكملهما واتمهما. | | ٤/ ١٣٤-١٣٥ |
| ألا أدلك على صدقة هى خير لك من حمر النعم. | | ١/ ٤٧٨ |
| ألا أدلكم على ما يمحو الله به السيئات. | | ١/ ٣٩١ |
| ألا أعلمك كلمات تنتفع بهن فى الدنيا والآخرة. | ابن عباس | ٢/ ٩٢ |
| ألا أقرئك آية أنزلت على. | أبو بكر الصديق | ١/ ٤٨٣ |
| ألا أنبئكم بالشديد. | | ٥/ ٨٠ |
| ألا إن الجيران أربعون دارا | | ١/ ٤٢٦ |

| | | |
|---|---|---|
| ألا إن الدين النصيحة. | تميم الدارى | ٤/١٢٦ |
| ألا إن الزمان قد استدار | | ١/٢٠٠، ٢/٣٠٦، ٣٠٧ |
| ألا إن العمى عمى القلب. | | ٣/٤٤٥ |
| ألا إن القوة الرمى. | عقبة بن عامر | ٢/٢٧٣ |
| ألا أنبئكم بأهل النار. | | ٦/٢١ |
| ألا تأكله يا ابن عمر. | ابن عمر | ٤/١٩١ |
| ألا ترون إلى ماقال ربكم. | أبو هريرة | ٥/٣٦٦ |
| ألا ترونهم قد قدموا. | ابن عباس | ١/٤٦٩-٤٧٠ |
| ألا تصفون كما تصف الملائكة. | | ٤/٣٩١ |
| إلا الدين، سارنى به جبريل. | | ٣/٣٩٥ |
| ألا قالت لهم كانوا يسمون باسم أنبيائهم. | المغيرة بن شعبة | ٣/٢٨٨ |
| إلا من أشرك. | | ٤/٤٧٦ |
| الذى يشرب فى آنيه الذهب والفضة. | | ١/٤٠٠ |
| الذى يضربك على هذه. | صهيب | ٦/٢٣٤ |
| الذين إذا رءوا ذكر الله. | | ٢/٣٩١ |
| ألست تنصب؟ ألست تحزن. | أبو بكر الصديق | ١/٤٨٣ |
| ألقى روح القدس فى روعى. | | ٢/٤٤٢-٤٤٣ |
| الله أعلم بما كانوا عاملين. | | ٥/١٦٧، ٢٧٣ |
| الله أكبر، خربت خيبر. | | ٤/٤٢١ |
| الله أكبر، هذا مثل ما قال قوم موسى لموسى. | | ٢/٢٠٨ |
| الله أكبر، وأطيب | | ٦/١١٤ |
| الله ( من يحاسبنا يوم القيامة؟ ). | | ٣/٤٩٥ |
| الله ( من يمنعك منى؟ ). | | ٢/٢٠ |

| | | |
|---|---|---|
| اللهم اجعل سنيهم كسنى يوسف. | | ٢/٣٥٧، ٣/٤٨٥، ٦/٢٣ |
| اللهم اجعلها رياحًا، ولاتجعلها ريحًا. | | ٤/٢٤ |
| اللهم إذا أردت بقوم فتنة. | | ٣/٣٤٨ |
| اللهم اشدد وطأتك على مضر. | | ٥/١٢٢-١٢٣ |
| اللهم العن عصاة بنى آدم. | | ١/١٦٠ |
| اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض. | | ٢/٢٤٨ |
| اللهم أنج سلمة بن هشام، وعياش بن أبى ربيعة. | | ٤/١٦٦ |
| اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام. | ابن عباس | ١/٤٦٩-٤٧٠ |
| اللهم انجزنى ما وعدتنى. | | ٢/٢٤٨ |
| اللهم إنك تتوفاها، فإن أمسكتها. | | ٤/٤٧٠-٤٧١ |
| اللهم إنى أعوذ بعفوك من عقابك. | | ٢/١١٤ |
| اللهم إنى أعوذ بك من جهد البلاء. | | ٦/١٩٨ |
| اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفثه. | | ٣/٢٠١ |
| اللهم إنى بشر أغضب كما يغضب البشر. | | ٢/٢٢٣، ٣/٣٦٧ |
| اللهم سلط عليه أسد الغاضرة. | | ٦/١٥٨ |
| اللهم سلط عليه كلبا من كلابك. | ابن عباس | ٦/١٥٨ |
| اللهم صل على آل أبى أوفى. | عبد الله بن أبى أوفى | ٢/٣٤٤، ٥/٢٤ |
| اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل. | | ١/٢٩٦ |
| اللهم فمزق ملك فارس. | | ٥/١٩٨ |
| اللهم قنعنى بما رزقتنى. | | ٣/٢٠٠ |
| اللهم لاتقتلنا بغضبك ولاتهلكنا بعذابك. | | ١/٥٤ |
| اللهم لاتكلنى إلى نفسى طرفة عين. | مجاهد | ٣/٢٦٦ |
| اللهم من أحبنى فارزقه العفاف، والكفاف. | | ٤/٣٣٦ |

| | | |
|---|---|---|
| اللهم هذا قسمى فيما أملك. | | ١/٤٨٧ |
| اللهم هذه قريش أقبلت. | | ٢/٢٦٨، ٢٦٩ |
| اللهم هؤلاء أهل بيتى. | أم سلمة | ٤/٢٨١ |
| ألم تسمعى ما قلت | | ٥/٣٨٦-٣٨٧ |
| ألهاكم التكاثر | عبد الله بن الشخير | ٦/٢٧٥ |
| إلى أعمالهم. | جابر | ٦/٢٦٨-٢٦٩ |
| إلى أقربهما بابًا. | عائشة | ١/٤٢٨ |
| إلى أين يا أبا ليلى. | | ٥/١٠١ |
| أليس معك ﴿قل هو الله أحد﴾. | أنس | ٥/٢٦٦ |
| أما إن الروم سيغلبون فارس. | ابن عباس | ٤/١٩٦ |
| أما أنا فلا آكل متكئًا. | | ٣/٢٦ |
| أما إن الملك سيقولها لك. | | ٦/٢٢٣ |
| أما إنه سيكون. | الزبير بن العوام | ٦/٢٧٧ |
| أما إنى أنام وأقوم، وأفطر وأصوم. | السدى | ٢/٥٩ |
| أما ترضى أن تعيش حميداً وتموت شهيداً. | | ٥/٢١٤ |
| أما ترضى أن تكون لهم الدنيا. | | ٦/٢٤٤ |
| أما ترضى أن تكون مثل رسول الله. | أبو أمامة الباهلى | ٢/٣٢٨-٣٢٩ |
| أما فى ثلاث مواطن فلا. | | ٢/١٦٤ |
| أما هذا فقد برئ من الشرك. | رجل من الصحابة | ٦/٢٩٥ |
| أما هذا فقد غفر له. | رجل من الصحابة | ٦/٢٩٥ |
| أمتى غر محجلون من آثار الوضوء. | | ٢/١٨، ٥/٢٠٩ |
| أمر الله المؤمنين بما أمر به المرسلين. | | ١/١٦٨ |
| الأمراض والأوجاع رسل الموت. | أنس | ٤/٢٤٦ |
| أمرت أن أسجد على سبعة أعظم. | ابن عباس | ٦/٧١ |

| | | |
|---|---|---|
| أمسك عليك زوجك. | | ٤/ ٢٨٦ |
| أن أبا مرثد الغنوى كانت له حبيبة بمكة. | | ١/ ٢٢٢ |
| أن إبراهيم - صلوات الله عليه - أول من قص الشارب | | ١/ ١٣٥ |
| أن إبليس لما رأى الصورة فوجده أجوف. | | ٥/ ٣٢٥ |
| إن ابنى هذا سيد يصلح الله به بين فئتين. | | ٤/ ٢٩٠ |
| إن أحدكم إذا مات يعرض عليه مقعده. | ابن عمر | ٥/ ٢٣ |
| إن اخترتم الفداء أصيب منكم. | | ١/ ٣٧٧ |
| إن أخوف ما أخاف عليكم شحا. | | ٤/ ١٤٥ |
| إن أدنى أهل الجنة منزلا يكون له. | أبو سعيد | ٦/ ١٢٠ |
| إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر فى ملكه. | ابن عمر | ٦/ ١٠٧ |
| إن الأرض إذا أجدبت يلعن كل شىء عصاة بنى آدم | | ١/ ١٦٠ |
| إن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر. | | ١/ ١٥٦، ٣٧٩ |
| إن الإسلام ليسبك الرجل. | | ٣/ ٤٢٤ |
| إن الإسلام يجب ما قبله. | | ٥/ ٤٢٥ |
| إن اسم الله الأعظم فى ثلاث آيات من آخر سورة الحشر | ابن عباس | ٥/ ٤١٦ |
| إن إظهار النعمة شكر، والسكوت عنها كفر. | | ٦/ ٢٤٧ |
| إن أفضل الشهداء بعد شهداء أحد. | | ١/ ٣٠٩ |
| إن الذى أمشاهم على أرجلهم. | أنس | ٤/ ١٩ |
| إن الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا. | عائشة | ٤/ ٢١٣ |
| إن الله اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا. | | ١/ ٤٨٥ |
| إن الله إذا أراد خلق عبد. | | ٦/ ١٧٤ |
| إن الله تعالى اطلع عليهم اطلاعة. | | ١/ ٣٧٨ |
| إن الله تعالى أنزل أربعة أنهار من الجنة. | | ٣/ ٤٦٨ |
| إن الله تعالى تجلى للجبل بقدر أنملة الخنصر. | أنس | ٢/ ٢١٠ ٢١١ |

| | | |
|---|---|---|
| إن الله تعالى حرم مكة منذ خلق السموات والأرض. | | ٢/٦٨ |
| إن الله تعالى خلق آدم بيده، وغرس جنة عدن بيده. | | ٣/٤٦٥ |
| إن الله تعالى خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده. | | ٢/٢١٢ |
| إن الله تعالى خلق الأرض. | | ٤/٢٢٧-٢٢٨ |
| إن الله تعالى خلق الأرواح. | | ٣/٢٧٤ |
| إن الله تعالى خلق الجنة وخلق لها أهلا بأسمائهم. | | ٢/٢٣٢ |
| إن الله تعالى خلق الجنة وخلق لها أهلا خلقهم لها. | عائشة | ٥/٤٥٤ |
| إن الله تعالى خلق الفردوس. | | ٣/٤٦٥-٤٦٦ |
| إن الله تعالى خلق مائة وسبعة عشر خلقا. | | ٦/١٨ |
| إن الله تعالى خلق الملائكة من نور العزة. | | ٣/١٣٩ |
| إن الله تعالى خلق ملكا فى السماء. | | ٤/٣٤٥ |
| إن الله تعالى خلق نهراً تحت العرش. | | ٥/٢٦٧-٢٦٨ |
| إن الله تعالى خلق يحيى سعيداً فى بطن أمه. | | ٥/٤٥٣ |
| إن الله تعالى رضى لهذه الأمة باليسر. | محجن بن أدرع | ١/١٨٤ |
| إن الله تعالى عرض مفاتيح الجنة على محمد ﷺ | خيثمة | ٤/٩ |
| إن الله تعالى عفى عن أمتى ما حدثت به أنفسها. | | ١/٢٨٧ |
| إن الله تعالى قال لى: بعثتك لأبتليك وابتلى بك. | | ٤/١٨٦ |
| إن الله تعالى قال ليعقوب: | أنس | ٣/٥٩ |
| إن الله تعالى قال: يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألونى | | ٤/١٤٣ |
| إن الله تعالى قد أعطى كل ذى حق حقه. | | ١/١٧٥ |
| إن الله تعالى قد صدقك. | زيد بن أرقم | ٥/٤٥٠ |
| إن الله تعالى قرأ سورة طه ويس. | أبو هريرة | ٣/٣١٨ |
| إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا. | أبو هريرة | ٥/٢٩٧ |

| | | |
|---|---|---|
| إن الله تعالى كتب عليكم السعى. | | ١/١٥٩ |
| إن الله تعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق آدم. | | ٤/١٤٤ |
| إن الله تعالى لم يخلق فى قلوب الزبانية شيئا من الرحمة | | ٥/٤٧٦ |
| إن الله تعالى لما أنزل سورة الأنعام. | | ٦/٧٤ |
| إن الله تعالى لما خلق القلم قال: اكتب. | | ١/٣٩٠ |
| إن الله تعالى مسح ظهر آدم. | عمر بن الخطاب | ٢/٢٢٧ |
| إن الله تعالى وضع عن أمتى ماحدثت بها نفسها. | | ٣/٢٦٥ |
| إن الله تعالى يأمر بعبد من عبيده إلى النار. | | ٥/٤٧ |
| إن الله تعالى يأمر من ينادى يوم القيامة. | أبو سعيد الخدرى | ٤/٤٨٢ |
| إن الله تعالى يبعث الخلق فأكون أول من يرفع رأسه. | | ٤/٤٨١ |
| إن الله تعالى يحشر العباد مفدمين بالفدام. | | ٥/٤٦ |
| إن الله تعالى يرفع ذرية المؤمن إلى درجته. | ابن عباس | ٥/٢٧٢ |
| إن الله تعالى يعمر الكفار ويكثر أموالهم. | | ١/٣٩٤ |
| إن الله تعالى يقصره يوم القيامة على المؤمن. | | ٤/٢٤٣ |
| إن الله تعالى يقول: أنا عند ظن عبدى بى. | | ١/١٥٥ |
| إن الله تعالى يقول: لو أن عبادى أطاعونى أسقيتهم | | ٣/٨٣ |
| إن الله تعالى يقول: يا أهل الجنة. | أبو سعيد الخدرى | ٢/٣٢٦ |
| إن الله تعالى يقول يوم القيامة: ألا ليقم من أجره على الله. | | ٥/٨٣ |
| إن الله تعالى يقول يوم القيامة للكافر: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا. | | ٤/٤٧٣ |
| إن الله تعالى يميتك ثم يبعثك ثم يدخلك نار جهنم | | ٤/٣٨٩ |
| إن الله تعالى ينظر فى الكتاب الذى عنده لثلاث ساعات يبقين من الليل. | | ٣/١٠٠ |

| | | |
|---|---|---|
| إن الله خالق كل شيء، صانع وصنعته | حذيفة | ٥/٢٦٢ |
| إن الله خلق آدم فمسح ظهره بيمينه فاستخرج منه | عمر | ٦/١٧١ |
| إن الله خلق أول ما خلق القلم ثم خلق النون. | أبو هريرة | ٦/١٦ |
| إن الله خلق الإيمان وحفه بالسماحة والحياء. | ابن عباس | ٥/٢٦٣ |
| إن الله خلق التربة يوم السبت. | | ٥/٤٠ |
| إن الله خلق جنة عدن، وخلق فيها ما لا عين رأت. | ابن عباس | ٣/٤٦٥ |
| إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا. | عائشة | ٢/٢٣٢ |
| إن الله فضلنى على سائر الرجال. | | ٣/٣٠٢ |
| إن الله قدر المقادير قبل خلق السموات والأرض. | عبد الله بن عمرو | ٢/٣٩٠ |
| إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم. | ابن مسعود | ٣/٢٢٩، ٥/١٠٠ |
| إن الله كتب عليكم الحج أيها الناس فحجوا. | | ١/٣٤٤ |
| إن الله كتب كتابا قبل خلق السموات والأرض فهو | | ٢/٩١ |
| إن الله لايستحى من الحق، لاتأتوا النساء فى أدبارهن. | | ١/٢٢٦ |
| إن الله يبغض البذخين الفرحين المرحين. | | ٥/٣٢ |
| إن الله يحب أن تؤ تى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه. | | ١/١٨٤/٢٠٧ |
| إن الله يحب الحيى المتعفف. | | ٥/١٨٦ |
| إن الله يخففه على المؤمنين، فيجعله بقدر صلاة مكتوبة خفيفة. | أبو سعيد، والحسن البصرى | ٦/٤٥ |
| إن الله يخير لعبده، فإن كان الخيرة له فى التوسع وسع عليه. | | ٤/٤٧٤ |

| | | |
|---|---|---|
| إن الله يدفع البلاء بالرجل الصالح عن مائة بيت. | | ١ / ٢٥٥ |
| إن الله يعتذر لآدم يوم القيامة بثلاثة معاذير. | | ٢ / ٩٧ - ٩٨ |
| إن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لايحب. | ابن مسعود | ٥ / ١٠٠ |
| إن الله يقبض الأرض ويطوى السماء بيمينه. | ابن عمر | ٤ / ٤٨٠ |
| إن الله يكره الشيخ الغربيب. | | ٤ / ٣٥٦ |
| إن الله يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته. | أبو موسى الأشعرى | ٢ / ٤٥٥ |
| إن أنهار الجنة تجرى فى غير أخدود. | | ١ / ٦٠ |
| إن أهل إذا دخلوا الجنة يقول الله تعالى. | | ١ / ٣٠١ |
| إن أهل الجنة مائة وعشرون صفًا، ثمانون من هذه الأمة. | | ٤ / ٣٥٠ |
| إن أول أشراط الساعة طلوع الشمس من مغربها. | | ٥ / ١٧٦ |
| إن أول أشراط الساعة نار تخرج من المشرق. | | ٥ / ١٧٦-١٧٧ |
| إن أول ما خلق الله تعالى القلم. | | ٥ / ٩١ |
| إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة من النعيم. | أبو هريرة | ٦ / ٢٧٧ |
| إن الأول والثانى تركا من التحية شيئًا. | | ١ / ٤٥٦-٤٥٧ |
| إن أولاد المؤمنين يكونون مع آبائهم فى الجنة. | | ٥ / ٢٧٢ |
| إن الآية نزلت فى سودة بنت زمعة أراد النبى ﷺ أن يطلقها... | | ١ / ٤٨٦ |
| إن بصر جلد الكافر فى النار أربعون ذراعًا. | | ١ / ٤٣٨ |
| أن بعض إخوان يعقوب زاره فقال له: يايعقوب. | أنس بن مالك | ٣ / ٥٧ |

| | | |
|---|---|---|
| إن بين النفختين أربعين عاماً. | | ٢/١٨٨ |
| أن تجعل لله نداً وهو خلقك. | | ٤/٣٢ |
| أن تدعو لله نداً وهو خلقك. | | ١/٤١٩ |
| أن تصلح بين الناس إذا تفاسدوا. | | ١/٤٧٨ |
| أن تعبد الله كأنك تراه. | | ٤/٢٢٥ |
| إن تغفر اللهم فاغفر جماً. | | ٥/٢٩٨ |
| أن تنام عيناه ولا ينام قلبه. | | ١/١١٢ |
| إن جبريل - عليه السلام - قال: كنت عند ربى. حين قال فرعون هذا، فنشرت جناحى وتهيأت. | | ٤/٤٢ |
| إن جبريل قال لى: قال الله عز وجل: إذا ذُكرتُ ذكرتَ معى | أبو سعيد الخدرى | ٦/٢٤٩ |
| إن جبريل عليه السلام قال ليوسف حين قال: ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب.... | | ٣/٢٣، ٣٩ |
| إن جبريل عليه السلام قال: يامحمد لو رأيتنى وأنا آخذ من حال البحر | ابن عباس | ٢/٤٠٠ |
| إن جبريل قال: يامحمد ما أبغضت أحداً من خلق الله مثل ما أبغضت فرعون | | ٢/٤٠٠-٤٠١ |
| إن جبريل لما استوى فى الأفق على صورته غشى على النبى ﷺ | | ٥/٢٨٦ |
| إن جبريل يغتسل كل يوم فى نهر ثم ينتفض. | | ٤/٣٤٤ |
| إن خلق أحدكم يجمع فى رحم أمه أربعين يوماً | ابن مسعود | ٣/٤١٩-٤٢٠ |
| إن ذلك سيكون. | أبو هريرة | ٦/٢٧٧ |
| إن ربى خيرنى، وقد اخترت. | | ٢/٢٣٢ |

| | | |
|---|---|---|
| إن الرجل إذا استغفر للمؤمنين والمؤمنات رد الله تعالى | | ٥ / ١٧٩ |
| إن الرجل لايكون متقياً حتى يدع ما ليس به بأس | | ٥ / ٣٢٠ |
| إن الرجل ليرفع لقمته فلا يضعها فى فيه حتى تقوم الساعة. | أبو هريرة | ٤ / ١٨٨ |
| إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لايكون بينه | ابن مسعود | ٢ / ١٧٥ |
| إن الرجل يكون من أهل الجهاد وأهل الصيام ويأمر بالمعروف. | | ٦ / ١٠ |
| إن رجلاً قال: يانبى الله. | | ١ / ٨٧ |
| إن رجلاً كان يتبختر فى جلة له فخسف الله به | | ١ / ٤٢٧ |
| إن رجلا من بنى إسرائيل جاهد أعداء الله ألف شهر | | ٦ / ٢٦١ - ٢٦٢ |
| إن رسول الله ﷺ دخل على أم سلمة، وكانت فى | أبو جعفر الباقر | ١ / ٢٤٠ |
| أن رسول الله ﷺ سافر إلى المدينة لايخاف إلا الله | | ١ / ٤٧١ |
| أن رسول الله ﷺ سئل عن أفضل الصلاة؟ فقال: | | ١ / ١٣٠ |
| أن رسول الله ﷺ طفئ سراجه | | ١ / ١٥٧ |
| أن رسول الله ﷺ كان يخطب إلى جذع | أنس، وسهل بن سعد | ١ / ٩٦ |
| أن رسول الله ﷺ كان يصلى على راحلته أينما توجهت به راحلته | عمر | ١ / ١٢٩ |
| أن رسول الله ﷺ كان يلعن فى القنوت قوماً | ابن عمر | ١ / ٣٥٥ |
| أن رسول الله ﷺ نزل بعسفان وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد | | ١ / ٤٧٣ |
| أن الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة | | ١ / ١٣٧ |
| إن روح القدس نفس فى روعى أن لن تموت نفس حتى | | ٤ / ١٩٢ |
| أن الساعة تقوم والرجل يسقى ماشيته | | ٤ / ٣٨١ |

| | | |
|---|---|---|
| أن السموات و الأرض فى جنب الكرسى كحلقة | | ١/٢٥٨ |
| إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لصاحبها | أبو هريرة | ٦/٥ |
| إن شعيبًا بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره | شداد بن أوس | ٤/١٣٥ |
| أن شهداء أحد قالوا: من يبلغ نبينا، وإخواننا | | ١/٣٧٩ |
| أن الشياطين يركب بعضهم بعضًا إلى السماء | | ٣/١٣٢-١٣٣ |
| إن الصدقة تقع فى يد الله قبل أن تقع فى يد الفقير | | ٢/٣٤٤ |
| أن طعمة بن أبيرق سرق درعاً | | ١/٤٧٥ |
| إن طلاق أم أيوب لحوب | | ١/٣٩٥ |
| أن ظل شجرة واحدة فى الجنة يسير الراكب فيها | | ٣/٩٧ |
| إن عباد الله ليسوا بمتنعمين | | ٦/٨٠-٨١ |
| إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة | أبو هريرة | ٦/١٨٠-١٨١ |
| إن العبد إذا هم بحسنة يكتب له الملك حسنة | أبو هريرة | ٦/١٧٥ |
| إن العرق يذهب فى الأرض سبعين ذراعًا | | ٦/١٧٩ |
| إن على الباطل ظلمة، وإن على الحق نوراً | | ٣/٤٢٣ |
| إن الفلق جب فى جهنم مغطى والسجين جب | | ٦/١٨٠ |
| إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام | | ٥/٣٥٤ |
| إن فى الجنة يكون الآب على الدرجة العالية | | ١/٤٠٣ |
| إن فيكم مغربين | | ٣/٤٥٩ |
| إن قرآن الفجر – صلاة الفجر – تشهده ملائكة الليل | أبو هريرة | ٣/٢٦٨ |
| إن كان فى أخيك ما تقوله فقد اغتبته | أبو هريرة | ٥/٢٢٦ |
| إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم | أبو هريرة | ٣/٥ |
| إن الكفار يوم أحد لما انهزموا | أبو هريرة | ١/٤٧٤ |
| إن كلتا يديه يمين | | ٥/٣٥٣ |

| | | |
|---|---|---|
| إن الكنز يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها | | ٢/ ٣٠٥ |
| إن لباس التقوى هو الحياء | | ٣/ ١٧٣ |
| إن لبيد بن الأعصم اليهودى سحر النبى ﷺ | | ١/ ١١٥-١١٦ |
| إن لك فى الجنة كنزا، وإنك ذو قرنيها | على | ٣/ ٥١٩ |
| إن لكل أمة فرعون، وفرعون هذه الأمة أبو جهل | | ٦/ ٢٥٧ |
| إن لكل شيء قلبا، وإن قلب القرآن يس | أنس | ٤/ ٣٦٦ |
| إن لكل نبى دعوة مستجابة | | ٣/ ٢٧٠ |
| إن لكل واحد منزلاً فى الجنة ومنزلاً فى النار | | ٢/ ١٨١ |
| إن للتوبة بابا قبل المغرب عرضه سبعون ذراعًا | صفوان بن عسال | ٢/ ١٥٧ |
| إن لله تسعًا وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة | | ٢/ ٢٣٣ |
| إن لله تعالى أرضًا بيضاء خلقها | | ٣/ ١٦٢ |
| إن لله غرفًا فى الجنة | أبو مالك الأشعرى | ٤/ ١٩٠ |
| إن لله ملائكة يتعاقبون بينكم | أبو هريرة | ٣/ ٨١ |
| إن ماء الرجل أبيض غليظ، وماء المرأة أصفر رقيق | | ٦/ ١١٣ |
| إن المدينة قرية تأكل سائر القرى | | ٢/ ١٢٥ |
| إن المرأة خلقت من ضلع أعوج | | ١/ ٣٩٣ |
| إن المرسلين من الأنبياء مائة وخمسة عشر جمعا غفيراً | | ٥/ ٨٧-٨٨ |
| إن المسلم ليجاهد بيده ولسانه | كعب بن مالك | ٤/ ٧٣ |
| إن المشركين سائرو ن إليكم | | ٤/ ٢٧٠-٢٧١ |
| إن الملائكة تسمع صوت الوحى | أبو هريرة | ٤/ ٣٣١ |
| إن الملك يأتيهم فيفتح أفواههم ويلقمهم الحجر | | ١/ ٤٠٠-٤٠١ |
| إن الملك يصعد بروح المؤمن ولها ريح طيبة | | ٢/ ١٧٩ |
| إن من الشعر لحكمة | أبى بن كعب | ٤/ ٧٤ |

| | | |
|---|---|---|
| إن من عباد الله عباداً ليسوا بانبياء يغبطهم | عمر بن الخطاب | ٢/ ٣٩٠ |
| إن موسى عليه السلام قال: يارب ألك نوم؟ | | ١/ ٢٥٧ |
| إن المؤمن إذا بعث يؤتى بعمله على أحسن صورة | | ٣/ ٣١٤ |
| إن المؤ من فى الجنة إذا ود أن يلقاه أخاه المؤمن | | ٣/ ١٤٢ |
| إن المؤمن يخدع بالله | | ٢/ ١٦٩ |
| إن المؤمن يدخل الجنة ويقول: أين صديقى فلان | جابر | ٤/ ٥٦-٥٧ |
| إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم | | ٥/ ٣٦٢ |
| إن الناس يحشرون ثلاثة أصناف صنف ركبانًا | | ٤/ ١٩ |
| إن النبى ﷺ اجتهد فى العبادة حتى جعل يراوح | | |
| بين الرجلين | ابن عباس | ٣/ ٣١٩ |
| إن النبى ﷺ أجل المشركين الذين كان بينهم وبينه | | |
| عهد | | ٢/ ٢٨٦ |
| إن النبى ﷺ أعتق رقبة. | | ٥/ ٤٧٢ |
| إن النبى ﷺ انشد يوماً | | ٤/ ٣٨٦-٣٨٧ |
| إن النبى ﷺ أولم على زينب بنت جحش | أنس | ٤/ ٣٠٠ |
| أن النبى ﷺ اخذ بيد الحسن والحسين | سعد بن أبى وقاص | ١/ ٣٢٧ |
| إن النبى ﷺ أذن فى لحوم الخيل | جابر | ٣/ ١٦١ |
| إن النبى ﷺ أرى فى أمته ما يصيرون إليه | | ٥/ ١٠٤ |
| أن النبى ﷺ انطلق فى نفر من أصحابه عامدين إلى | ابن عباس | ٦/ ٦٢ |
| أن النبى ﷺ بعد ما قدم المدينة صلى إلى بيت | | |
| المقدس ستة عشر شهراً | جابر | ١/ ١٥٠-١٥١ |
| أن النبى ﷺ حض الناس على الجماعة | الربيع بن أنس | ٣/ ١٣٦ |
| أن النبى ﷺ خرج معتمراً فى ذى القعدة | | ١/ ١٩٣ |
| أن النبى خطب عند مغيربان الشمس | أنس | ٥/ ٣٠٦ |

| | | |
|---|---|---|
| أن النبى ﷺ دخل على جابر وهو مريض | | ١/٥٠٨ |
| أن النبى ﷺ دعا عبد الله بن نبتل | | ٥/٣٩١ |
| أن النبى ﷺ سأل جبريل عن قوته وأمانته | | ٦/١٦٩ |
| أن النبى ﷺ قرأ سورة الرحمن على أصحابه | | ٥/٣٢٤ |
| أن النبى ﷺ طلق حفصة | أنس | ٥/٤٥٧ |
| أن النبى ﷺ قرأ فى الركعة الأولى من ركعتى الفجر هذه الآية قوله ﴿آمنا بالله﴾ إلى آخرها | | ١/١٤٤ |
| أن النبى ﷺ قرأ ﴿قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله﴾ | أسماء بنت يزيد | ٤/٤٧٦ |
| أن النبى ﷺ قرئ عنده هذه الآية فصعق صعقة | | ٦/٨١ |
| أن النبى ﷺ كان إذا نزل عليه الوحى يحرك به لسانه | ابن عباس | ٦/١٠٥ |
| أن النبى ﷺ كان على ثبير والكفار يطلبونه | | ١/٩٦ |
| أن النبى ﷺ كان يسأل كثيراً جبريل متى الساعة | | ٦/١٥٣ |
| أن النبى ﷺ كان يستفتح بصعاليق المهاجرين | | ١/١٠٨ |
| أن النبى ﷺ لقى آدم فى السماء الأولى | | ١/٣٢٥ |
| أن النبى ﷺ لم يمد يده إلى شىء من ذلك العير | عروة بن الزبير | ١/٢١٧ |
| أن النبى ﷺ لما فتح خيبر حاصر بنى قريظة | | ١/٩٨ |
| أن النبى ﷺ لما هاجر إلى المدينة رأى اليهود يصومون | معاذ بن جبل | ١/١٧٨ |
| أن النبى ﷺ نهى عن التبقر فى الأهل والمال | | ١/٩١ |
| أن النبى ﷺ نهى عن التصدق على المشركين | | ١/٢٧٦ |
| أن النبى ﷺ يستفتح بصعاليك المهاجرين | | ٣/١٠٨ |
| أن النبى ﷺ قتل سبعين يوم بدر وأسر سبعين | | ٢/٢٧٧ |

| | | |
|---|---|---|
| أن النبى ﷺ كان يأكل مع عائشة حياً | | ٤/٣٠٠ |
| أن النبى ليلة أسرى به اجتمع مع إبراهيم وموسى | | |
| وعيسى | ابن مسعود | ٣/٤٠٩ |
| أن نبيا كان يخط | | ٥/١٣٩ |
| أن نبيا من الأنبياء كان أعجب بأمته من يقوم لهؤلاء | صهيب | ٦/١٩٥-١٩٧ |
| أن النذر يستخرج به من البخيل | | ٦/١١٥ |
| إن نوحاً أول نبى بعث إلى أهل الأرض | أنس | ٤/١٧١ |
| إن هذا الرجل ذكرنى فى آية كنت نسيتها | عائشة | ١/١٢٢ |
| إن هذه السحابة لتستهل بنصر خزاعة | | ٢/٢٨٩-٢٩٠ |
| إن هذه السورة تعدل ثلث القرآن | أبو هريرة | ٦/٣٠٢ |
| إن الويل واد فى جهنم | | ١/١٠٠ |
| إن يأجوج وماجوج قد خرجوا فيغلبون على أهل | | |
| الأرض | | ٣/٤٠٩ |
| إن يده تسبقه إلى الجنة | | ٢/٣٣٨ |
| إن اليهود افترقوا على إحدى وسبعين فرقة | | ٤/٢١٣ |
| إن يهودياً أتى النبى قال: إذا كان يوم القيامة يضع | | |
| الله | ابن مسعود | ٤/٤٧٩-٤٨٠ |
| إن يوسف أعطى شطر الحسن | | ٣/١٩، ٢٧ |
| إن يوسف لما قال هذا قال له جبريل: ولاحين | | |
| هممت | | ٣/٢٣، ٣٩ |
| إن يوسف لو لم يطلب لولاه فى الحال | أنس | ٣/٤١ |
| أنا أحق بإحياء سنة أماتوها | | ٢/٣٨ |
| أنا أخشاكم | | ٤/٧٩ |
| أنا أعلم كلمة إذا قالها العبد مخلصاً من نفسه | عمر | ٥/٢٠٦-٢٠٧ |

| | | |
|---|---|---|
| أنا أمين الله فى السماء والأرض. | أبو رافع | ٣/ ١٥٢ |
| أنا أول النبيين خلقًا وآخرهم بعثًا | أبو هريرة | ٤/ ٢٦١ |
| أنا أولى بعيسى ابن مريم ليس بينى وبينه نبى | | ١/ ٣٢٥ |
| أنا أولى بكل مؤمن ومؤمنة من نفسه | | ٤/ ٢٥٩ |
| أنا دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى | | ١/ ١٤٠ |
| أنا سيد الأنبياء إذا بُعثوا | | ٣/ ٢٦٩ |
| أنا سيد ولد آدم ولا فخر | | ٣/ ٤١ |
| أنا فرطكم على الحوض | | ٣/ ١٨٢ |
| إنا لله وإنا إليه راجعون | | ١/ ١٥٧ |
| إنا نبايعكن على ألاتشركن بالله شيئًا | | ٥/ ٤٢٥ |
| أنا النبى لاكذب، أنا بن عبد المطلب | البراء | ٢/ ٢٩٦-٢٩٧ |
| أنا وبنى المطلب شىء واحد | جبير بن مطعم | ٢/ ٢٦٥ |
| أنا وكافل اليتيم كهاتين | | ١/ ٣١٣ |
| انبعث لها رجل عزيز فى قومه مثل أبى زمعة | | ٥/ ٣١٤ |
| أنت رحمتى أرحم بك من شئت | | ٢/ ٤٦٦ |
| أنت زيد الخير | | ٤/ ٤٣٩ |
| أنت عذابى أعذب بك من شئت | | ٢/ ٤٦٦ |
| أنت الفاروق | | ١/ ٤٤١-٤٤٢ |
| أنت من أهل الجنة | | ٥/ ٢١٤ |
| أنت من ذلك القليل | | ١/ ٤٤٥ |
| أنت ومالك لأبيك | | ٣/ ٥٥٠ |
| أنتم تعلمون أنى رسول الله | | ١/ ٥٠٤ |
| أنتم خاصتى | | ٤/ ٧٠ |
| أنزل الله علىَّ أمانين لأمتى | أبو موسى | ٢/ ٢٦٠ |

| | | |
|---|---|---|
| أنزل خمسة أنهار من عين فى الجنة | | ٣/٤٦٨-٤٦٩ |
| أنزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من رمضان | واثلة بن الأسقع | ١/١٨٣ |
| أنزلت علىّ آنفا سورة فقرأ ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ | أنس | ٦/٢٩٠ |
| أنزلت علىّ سورة الأنعام جملة واحدة | | ٢/٨٥ |
| أنزلت علىّ سورة ما أنزلت فى التوراة والإنجيل | أبى بن كعب | ٣/١٤٩-١٥٠ |
| أنزلت عليهم المائدة وعليها الخبز و اللحم | عمار بن ياسر | ٢/٨١ |
| أنشد يومًا: كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً | | ٤/٣٨٦-٣٨٧ |
| انصرفوا؛ فإن الله يعصمنى | عائشة | ٢/٥٣ |
| انطلقوا إلى روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب | | ٥/٤١٧-٤١٨ |
| انظر إلى رافع رجل فى المسجد عندك | | ٥/٢٢٢ |
| انظر إلى أوضع رجل فى المسجد عندك | | ٥/٢٢٢ |
| انظروا يامعشر الأنصار مايقول سيدكم | | ٣/٥٠٥ |
| إنك إلى خير | أم سلمة | ٤/٢٨١ |
| إنك تعيش قرنًا | عبد الله بن بسر | ٢/٨٨، ٤/٣٧٥ |
| إنك لزهيد | | ٥/٣٩٠ |
| إنك لعريض القفا إنما هو بياض النهار من سواد الليل | عدى بن حاتم | ١/١٨٨ |
| إنك لعريض الوساد | عدى بن حاتم | ١/١٨٨ |
| إنكم تحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا | ابن عباس | ٣/٤١٢ |
| إنكم تعجلون، وقد كان فيمن قبلكم ينشر بالمناشير | | ٤/١٦٦ |
| إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأعدلها | | ١/١٤٩ |
| إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر | جرير بن عبد الله | ٢/١٣٢ |
| إنكم سترون ربكم مثل هذا | جرير بن عبد الله | ٣/٣٦٣-٣٦٤ |
| إنكم لاتسألونى عن شىء فى مقامى هذا إلا أنبأتكم | | ٢/٧١ |
| إنك لتجبنونى، وتبخلونى، وتجهلونى | | ٢/٢٥٧ |

| | | |
|---|---|---|
| إنكم لتختصمون إلى، ولعل بعضكم ألحن بحجته | | ٥/١٨٣ |
| إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلون عند الطمع | | ٤/٢٦٩، ٥/٤٠٧ |
| إنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير | | ٣/٤٢٦ |
| إنما أمرت أن أصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل | عائشة | ٥/١٦٥ |
| إنما أنا رحمة مهداة | | ٣/٤١٣ |
| إنما هما نجدان: نجد خير، ونجد شر | | ٦/٢٢٨ |
| إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت | أنس | ٤/٢٨١ |
| أنه خار كما يخور الثور حتى ارتج المسجد | | ١/٩٦ |
| أنه رأى يوسف فى السماء الثالثة | أبو سعيد الخدرى | ٣/٢٧ |
| أنه سئل عن أفضل الصلاة فقال: طول القنوت | | ١/٣١٨ |
| أنه سافر فى رمضان فلما بلغ كراع الغميم أفطر | جابر | ١/١٨٤ |
| أنه (أى إبراهيم) اختتن بعد ثمانين سنة بالقدوم | | ١/١٣٥ |
| أنه ﷺ شج رأسه يوم أحد وكسرت رباعيته | أنس | ١/٣٥٥-٣٥٦ |
| أنه ﷺ لما قرأ قوله تعالى: ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾ | | ١/٤٣٥ |
| أنه ﷺ لما نزل المشركون أحدا رأى فى منامه أن بقرا ينحر | | ١/٣٧٧ |
| أنه صلى صلاة الخوف فجعل أصحابه فرقتين | خوات بن جبير | ١/٣٧٤ |
| إنه قد شهد بدرا، ولعل الله اطلع على أهل بدر | | ٥/٤١٧-٤١٨ |
| إنه كان إذا رأى الرؤيا جاءت مثل فلق الصبح | | ٣/٣٥ |
| إنه لم نزل قوله تعالى ﴿أتى أمر الله﴾ قام | | ٣/١٥٨ |
| إنه المسيح يعيش بعد ذلك فى الأرض سبع سنين | | ١/٣٢٤ |
| إنه من بقية آبائى | | ١/١٤٣ |
| إنه يبعث أمة على حدة | | ١/٤٥٤ |

| | | |
|---|---|---|
| إنه يقتل الدجال بباب لدّ | | ١/ ٣٢٤ |
| إنه يؤجر بأرواثها وأبوالها | | ١/ ٢٧٩ |
| إنه يوضع لإبليس منبر من نار فيصعد عليه | | ٣/ ١١١ |
| إنها بضعة منى | | ٣/ ١٧ |
| إنها تذهب وتستأذن فى السجود | أبو ذر | ٤/ ٣٧٧ |
| إنها لن ترانى | عائشة | ٣/ ٢٤٥، ٦/ ٣٠٠ |
| | | ٣٠١ |
| إنها ( ليلة القدر ) ليله الحادى والعشرين | | ٦/ ٢٦١ |
| إنها من الطوافين عليكم والطوافات | | ٣/ ٥٤٧ |
| إنهم استحلوا ما أحلوا، وحرموا ما حرموا. | عدى بن حاتم | ٢/ ٣٠١ |
| إنهم كانوا يجلسون على الطريق ويخذفون بالناس | | ٤/ ١٧٧ ١٧٨ |
| إنهم لو لم يقولوا إن شاء الله ما اهتدوا أبدا | | ١/ ٩٣ |
| إنهم يقولون لكل واحد منهم السلام عليكم | | ٣/ ١٧٠ |
| إنهن حق فادرسوهن ونعلموهن | معاذ | ٤/ ٤٥٢ ٤٥٣ |
| إنى أحبك وأريد أن أؤمن بك والله يعلم ما فى | | |
| قلبى | | ١ ٢٠٧ |
| إنى أخشى أن يقتلوك | | ٤ ٣٧٤ |
| إنى أريد أن أراك فى صورتك | أنس | ٦/ ٣٨ |
| إنى أعلم آية نزلت على لم تنزل على نبى بعد | | |
| سليمان | بريدة | ٤/ ٩٣ ٩٤ |
| إنى قمت من الليل وتطهرت وصليت | معاذ | ٤/ ٤٥٢ ٤٥٣ |
| إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة | | ٥ ٣٥٠ |
| إنى لأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة | أبو هريرة | ٥/ ١٧٨ |
| إنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة | حذيفة | ٥/ ١٧٩ |

| | | |
|---|---|---|
| إنى ما بعثت لأعذب بعذاب الله أحد | | ٥ / ١٦٨ |
| اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ | | ٣ / ٦٦ |
| اهجهم – أو هاجمهم – وروح القدس معك | البراء بن عازب | ٤ / ٧٤–٧٥ |
| أهل الكفور هم أهل القبور | | ٢ / ٣٣٨ |
| أو تسريح بإحسان | | ١ / ٢٣١ |
| أوتيت بإناءين ليلة المعراج فى أحدهما خمر | | ٥ / ١٧٣ |
| أوتيت القرآن ومثله | | ١ ٢ / ١٠١ |
| أو غير ذلك يا عائشة | | ٥ / ٤٥٤ |
| أوصى رجل بنيه : إذا مت فأحرقونى | | ٥ / ٣٣٣ |
| أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا | | ٦ / ٢٥٥ – ٢٥٦ |
| أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب | | ٣ / ٢٥٢، ٦ / ١٧ |
| أول ما دخل النقص فى بنى إسرائيل | | ٢ / ٥٧ |
| أول ما يقضى الله تعالى بين الخلق فى الدماء | | ٥ / ١٢ |
| أول ما يقضى الله تعالى فيه بين الخلق هو الدماء | | ٤ / ٤٨٢ |
| أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا | | ٥ / ١٥٧ |
| أولئك الملأ من قريش لو رأيتهم هبتهم | | ١ / ٢٤٨ |
| أولاد المشركين يكونون خدم أهل الجنة | | ٥ / ٢٧٣ |
| أولى لك فأولى | | ٦ / ١١٠ |
| أو مسلم | | ٥ / ٢٣١ |
| أى آية أعظم فى القرآن؟ | أبى بن كعب | ١ / ٢٥٩ |
| أى عم، قل لا إله إلا الله | المسيب بن حزن | ٢ / ٣٥٠ |
| إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث | أبو هريرة | ٥ / ٢٢٤ |
| إياكم والغلو فى الدين | ابن عباس | ١ / ٥٠٥ |
| إياكم والغيبة، فإن الغيبة أشد من الزنا | | ٥ / ٢٢٦ |

| | | |
|---|---|---|
| أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عهداً | ابن مسعود | ٣ / ١١٣ |
| أيما داع دعا إلى الهدى فاتبع فله أجره | | ٣ / ١٦٦ |
| أيما رجل أيقظ امرأته من الليل فقاما | أبو سعيد | ٤ / ٢٨٤ – ٢٨٥ |
| الإيمان يمان، والحكمة يمانية | | ٢ / ٤٧ |
| أين الأسير | سودة بنت زمعة | ٣ / ٢٢٢ |
| أين المال الذى دفعته إلى أم الفضل | | ٢ / ٢٧٩ |
| أين أنت من الاستغفار | حذيفة | ٥ / ١٧٩ |
| أينما أدركتك الصلاة فصل فإنه لك مسجد | أبو ذر | ١ / ٣٤١ |
| أيها الناس، إن الله أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتعاظمها بالآباء. | ابن عمر | ٥ / ٢٣٣ |
| أيها الناس، إن الله فضلنى على سائر الرجال | | ٤ / ٣٠٢ |
| أيها الناس توبوا إلى الله، فإنى أتوب كل يوم مائة مرة. | الأغر المزنى | ٣ / ٥٢٤ |
| أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا | طارق المحاربى | ٦ / ٢٩٩ |


## – حرف البـاء –


| | | |
|---|---|---|
| بئس الشعب شعب جياد | | ٤ / ١١٤ |
| بئس عبد الله هذا، فيقول جبريل كفيناكه | | ٤ / ١٥٤ – ١٥٥ |
| بئسما صنعت | | ١ / ٢٢٢ – ٢٢٣ |
| بادروا بالأعمال ستًا | حكيم بن حزام | ٥ / ١٢٣ |
| بايعت رسول الله ﷺ ألا أخر إلا مسلمًا | ابن عباس | ٣ / ٤٣٧ |
| بايعت رسول الله ﷺ لا أخر إلا قائمًا | | ٤ / ٢٤٨ |

| | | |
|---|---|---|
| بت عند خالتي ميمونة فنام رسول الله ﷺ وأهله | | ١ / ٣٨٨ |
| بتكذيبك الله وتكذيبك رسوله | | ٥ / ١١٤ |
| البذاء والبيان شعبتان من النفاق | | ٤ / ٢٦٨ |
| البر يزيد في العمر | | ٣ / ٢٣٢ |
| بعث خالد بن الوليد ليهدم العزى | | ٥ / ٢٩٣ - ٢٩٤ |
| بعثت إلى الأحمر والأسود | | ٣ / ١٠٣، ٤ / ٣٣٣ |
| بعثت بالحنيفية السمحة السهلة | | ١ / ٤١٨ |
| بعثت بالسمحة السهلة الحنيفية | | ١ / ٤١٨ |
| بعثت داعيًا، وليس إلي من الهداية شيء | | ١ / ٤٨٠ |
| بعثت لأتمم صالح الأخلاق | | ٦ / ١٨ - ١٩ |
| بعثت والساعة كهاتين | | ٥ / ١٧٦ |
| بعني هذه النخلة بنخلة لك في الجنة | عائشة | ٦ / ٢٣٨ |
| البغي مصرعة | | ٢ / ٣٧٣ |
| بل أنا وارأساه | عمر | ٣ / ٤٠٠ |
| بل لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم وآلهتهم. | عبد الله بن مسعود | ٥ / ١١١ |
| بل في أمر قد فرغ منه | أنس | ٢ / ٤٥٧ |
| بل للمسلمين عامة | أنس | ٢ / ٤٦٣ |
| بم كنت تدعو؟ | مالك بن صعصعة | ١ / ٢٠٥ |
| بينا أنا أسير في الجنة | جابر | ٦ / ٢٩٠ |
| بينا أنا قاعد إذ أتاني جبريل فلكزني بين كتفي | مالك بن صعصعة | ٥ / ٢٨٧ |
| بينما أنا أمشي سمعت صوتًا من السماء | جابر | ٦ / ٨٨ |
| بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان | | ٦ / ٢٤٨ |
| بينما أهل الجنة في نعيمهم | | ٤ / ٣٨٤ |
| بينما رجل يتبختر في حلة له فخسف به الأرض | | ٣ / ١٧٥ |

| | | |
|---|---|---|
| البينة وإلا فحد فى ظهرك | ابن عباس | ٣ / ٥٠٥ |


## - حرف التاء -


| | | |
|---|---|---|
| التأنى من الله، والعجلة من الشيطان | | ١ / ٤٦٥، ٢ / ١٨٦، ٥ / ٢١٧ |
| تبدل جلودهم فى كل ساعة سبعين مرة | عمر بن الخطاب | ١ / ٤٣٨ |
| تبكى السماء من عبد أصح الله جسمه | | ٦ / ٢٢ |
| تتابع الآيات بعضها فى إثر بعض | | ٥ / ١٧٧ |
| التجافى عن دار الغرور | | ٤ / ٤٦٥، ٦ / ٢٤٨ |
| تجىء البقرة وآل عمران يوم القيامة | | ١ / ٢٩٠ |
| تحاجت الجنة والنار | | ٤ / ٢٤٧ |
| تحريم الخمر بآية المائدة | ابن عمر | ١ / ٢١٩ |
| تحشرون يوم القيامة حفاة | | ٣ / ٢٦٤ |
| تخرج الدابة ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان | أبو هريرة | ٤ / ١١٤ - ١١٥ |
| تدرون كم بعد ما بين السماء والأرض | العباس | ٦ / ٣٧ - ٣٨ |
| تدنى الشمس من رءوس الخلائق حتى تكون | المقداد بن الأسود | ٦ / ١٧٩ |
| تركت فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتى | | ٥ / ٣٢٩ |
| تركها النبى ﷺ - أى زينب - حتى انقضت | | ٤ / ٢٨٨ |
| تزوج، تزوج | أنس | ٦ / ٢٢٦ |
| تسود وجوه الخوارج | أبو أمامة | ١ / ٣٤٧ |
| تطلع الشمس فى صبيحتها | أبى بن كعب | ٥ / ٢٦٠ |
| تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم | | ٥ / ١٤١ |
| تعلموا البقرة وآل عمران فإنهما الزهروان | | ١ / ٢٩٠ |
| تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة | بريدة | ١ / ٤٠ |
| تعوذ بالله من شياطين الإنس | أبو ذر | ٢ / ١٣٧ |
| تعوذى بالله من شر هذا | عائشة | ٦ / ٣٠٥ |
| تفضل المرأة الصالحة فى الحسن على الحور | | ٥ / ٣٥٥ |
| تفكروا فى الخلق، ولا تتفكروا فى الخالق | | ١ / ٣٨٨، ٥ / ١٣٧ |
| تفكروا فى خلق الله، ولا تتفكروا فى الله | | ٤ / ١٩٨ |

| | | |
|---|---|---|
| تكلمى | ابن عباس | ٤ / ٢٧٦ |
| تكون كذلك | | ٥ / ٢١٤ |
| تلك الخطفة يخطفها الجنى فيلقيها فى | عائشة | ٤ / ٧١ |
| تلك سورة رفعت بتلاوتها وأحكامها | أبو أمامة بن سهل | ١ / ١٢١ |
| تلك عاجل بشرى المؤمن | أبو ذر | ٢ / ٣٩٢، ٣ / ٣٤ |
| تلك عبادتهم | عدى بن حاتم | ٢ / ٣٠١ |
| تلك العزى، لا تعبد بعد اليوم | | ٥ / ٢٩٣ - ٢٩٤ |
| تنزيه الله عن كل سوء | | ٣ / ٢١٢ - ٢١٣ |
| تهادوا تحابوا | | ٤ / ٩٥ |


## - حرف الثـاء -


| | | |
|---|---|---|
| ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم | | ١ / ٣٧٤ |
| ثلاث من فعلهن فهو مجرم | معاذ | ٤ / ٢٥٢ |
| ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابًا يسيرًا | أبو هريرة | ٦ / ١٨٩ |
| ثلاثمائة وخمسة عشر جمًا غفيرًا | أبو ذر | ١ / ٥٠٣ |
| ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة | | ١ / ٣٣٤ |
| ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين | | ٤ / ١٤٧ |
| ثلاثة يؤتون أجورهم مرتين | | ٥ / ٣٨٥ |
| ثلث القرآن. | أنس | ٦ / ٢٦٦ |
| الثلثان من أمتى. | ابن عباس | ٥ / ٣٥٢ |


## - حرف الجيـم -


| | | |
|---|---|---|
| جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا | | ٣ / ٢٧١ |
| جاورت بحراء شهرًا. | عبد الله بن مسعود<br>جابر | ٦ / ٨٧ |

| | | |
|---|---|---|
| جعل إخلاف الوعد ثلث النفاق | | ٣ / ٢٩٩ |
| جلدتها بكتاب الله، ورجمتها بسنة رسول الله | على | ٤ / ٤٩٨ |
| جمع بين أربع صلوات يوم الخندق بوضوء واحد | | ٢ / ١٥ |
| جمع بين خمس صلوات يوم فتح مكة بوضوء واحد | | ٢ / ١٥ - ١٦ |
| جمع فيه ( يوم الجمعة ) خلق آدم | | ٥ / ٤٣٩ |
| الجمعة إلى الجمعة والصلوات الخمس كفارة | | ١ / ٤٢٠ |
| الجنة ( فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ ) | الشعبى | ٥ / ٢٠١ |
| الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين خمسمائة | أبو هريرة | ٣ / ٢٣٠ |
| جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان | أبو موسى | ٥ / ٣٣٣ |
| جهله | صالح بن مسمار | ٦ / ١٧٣ |


## - حرف الحـــاء -


| | | |
|---|---|---|
| حجابه النور | | ٣ / ٢١٢ |
| حرام تعليم المغنيات وبيعهن وشرائهن | أبو أمامة الباهلى | ٤ / ٢٢٦ |
| الحرب خدعة | | ٥ / ٤١٨ |
| حرق نخيل بنى النضير وقطعها | | ٥ / ٤٠٣ |
| الحسب: المال، والكرم: التقوى | | ٥ / ٢٣٣ |
| حسبنا الله ونعم والوكيل، ولم يمتنعوا من | | ١ / ٣٨١ |
| حفظت لكم عن رسول الله ﷺ ستًا | على بن أبى طالب | ١ / ١٠٢ |
| حكمت بحكم الله من فوق عرشه | | ٤ / ٢٧٥ |
| حكمت بحكم الملك | | ٤ / ٢٧٥ |
| حللت للأزواج | أم سلمة | ٥ / ٤٦٤ |
| حلوان الكاهن خبيث، ومهر البغى خبيث | | ٢ / ٧٠ |
| الحمد لله الذى جعله عذبًا فراتًا | | ٥ / ٣٦١ |

| | | |
|---|---|---|
| الحمد لله أم الكتاب، والسبع المثانى، والقرآن العظيم | أبو هريرة | ٣ / ١٤٩ |
| الحمى كى من فيح جهنم | | ٣ / ٣٠٨ |
| الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء | | ٣ / ٣٠٨ |
| حديث ابن مسعود فى نزول قوله تعالى: ﴿ ويسألونك عن الروح ﴾ | | ٣ / ٢٧٣ |
| حديث انتهار النبى لأبى جهل | | ٦ / ٢٥٨ - ٢٥٩ |
| حديث أنس بن النضر وقصة استشهاده | أنس بن مالك | ٤ / ٢٧١ |
| حديث التكبير من أول سورة الضحى | أبى بن كعب | ٦ / ٢٤٧ |
| حديث العرنيين | | ٢ / ٣٣-٣٤ |
| حديث عائشة فى حد النبى لمن قذفها | | ٣ / ٥١١ |
| حديث فى الإذن بالجهاد | | ١ / ٣، ٤٤٨ / ٤٤١ |
| حديث فى مناقب عائشة | | ٣ / ٥١٥ |
| حديث فى قصة إسلام وحشى | | ٤ / ٣٢ |
| حديث مالك الأرحام | | ٢ / ٤٥٧ |


## - حرف الخـاء -


| | | |
|---|---|---|
| خالفتم ملة أبيكم إبراهيم | | ١ / ٣١٠ |
| خدعها إبليس مرتين | | ٤ / ٢٣٧ |
| خذوا عنى، خذوا عنى، قد جعل الله لهن سبيلا | عبادة | ١ / ٤٠٦ |
| خذوها يا بنى طلحة خالدة تالدة | | ١ / ٤٤٠ |
| خطب زينب لزيد بن حارثة مولاه | | ٤ / ٢٨٥ |
| خطب عند مغيربان الشمس حتى كادت تغرب | أنس | ٥ / ٣٠٦ |
| الخلافة بعدى ثلاثون سنة | سفينة | ٣ / ٥٤٤ |

| | | |
|---|---|---|
| الخمر أم الخبائث | | ٢ / ٦٤ |
| خير الدعاء الخفى، وخير الرزق ما يكفى | | ٣ / ٢٧٦ |
| خير الدين النمط الأوسط | | ١ / ١٤٩ |
| خير العمل لا إله إلا الله | | ٥ / ١٧٩ |
| خير المال سكة مأبورة، وفرس مأمورة | | ٤ / ٢١١ |
| خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم | | ٢ / ٨٨ |
| خير النساء من إذا دخلت عليها سرتك | | ١ / ٤٢٤ |
| خيرنا رسول الله فاخترناه أفكان طلاقًا | | ٤ / ٢٧٧ |


## - حرف الدال -


| | | |
|---|---|---|
| دخل عليها - أى زينب - بغير إذن، وأولم عليها. | نعمان بن بشير | ٤ / ٢٨٨ |
| الدعاء هو العبادة. | | ٥ / ٢٨ |
| دعوة السر تفضل دعوة العلانية بسبعين درجة. | | ٣ / ٢٧٦ - ٢٧٧ |
| الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر. | | ١ / ٤٦٥، ٣ / ٥٢٩ |
| دونكم الرجل. | | ٢ / ٧ |
| الديك الأبيض صديقى، وصديق صديقى. | | ٤ / ٨٣ |


## - حرف الذال -


| | | |
|---|---|---|
| ذاك إبراهيم. | أنس بن مالك | ٦ / ٢٦٤ |
| ذاك هو الله. | على | ٥ / ٢١٥ |
| ذرونى ما تركتكم. | | ٢ / ٧١ |
| ذلك بأن منهم صديقين ورهبانا. | عائشة | ٢ / ٥٨ |
| ذلك العرض. | | ٦ / ١٨٨ |
| ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. | | ٥ / ٤٣٧ |

| | | |
|---|---|---|
| ذلك مستقر لها | أبو ذر | ٤ / ٤٧٧ |
| ذكرك أخاك بما يكره ( الغيبة ) | أبو هريرة | ٥ / ٢٢٦ |


## - حرف الـراء -


| | | |
|---|---|---|
| رأس العلم خشية الله | | ٤ / ٣٥٧ |
| رأى جبريل وله ستمائة جناح | ابن مسعود | ٥ / ٢٩١ |
| رأى فى منامه كأن أولاد الحكم بن أبى العاص | ابن عباس | ٣ / ٢٥٥ |
| رأى فى النوم أنه قد دخل مكة | | ٣ / ٢٥٤ |
| رأيت ابنى الخالة عيسى ويحيى فى السماء الثانية | | ١ / ٣٢٤ |
| رأيت إدريس ليلة المعراج فى السماء الرابعة | أنس | ٣ / ٣٠٠ |
| رأيت جبريل وله ستمائة جناح | | ٤ / ٣٤٤ |
| رأيت ربى فى أحسن صورة | ابن عباس | ٥ / ٢٩١ |
| رأيت على كل ورقة منها ملكًا قائمًا يسبح | | ٥ / ٢٩٢ |
| رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار | | ٢ / ٣٧٠ |
| رأيت فى المنام سوارين من ذهب فى يدى | | ٢ / ١٢٧ |
| رأيت فى منامى كأن على رأس جبريل | جابر بن عبد الله | ٢ / ٣٧٥ ٣٧٦ |
| رأيت ليلة أسرى بى فى السماء أقواما تقرض | أنس | ١ / ٧٣ ٧٤ |
| رأيت ليلة المعراج سدرة المنتهى، وإذا يخرج | | ٥ / ١٠٨ |
| رأيت ليلة المعراج نهرًا، ورأيت وراءه حجابًا | أبو العالية | ٥ / ٢٩٢ |
| رأيت المسيح ابن مريم يطوف بالبيت | | ١ / ٣٢٥ |
| رأيت موسى آدم طوالا جعد الشعر | | ٤ / ٢٥٣ |
| رأيت موسى ليلة أسرى بى | | ٣ / ٢١٥ ٢١٦ |
| رأيت النار؛ فرأيت عمرو بن لحى يجر قصبة فى النار | | ٢ / ٧٣ |

| | | |
|---|---|---|
| رأيت النبى ﷺ يثب فى درعه ويقول: سيهزم الجمع ويولون الدبر | عمر | ٥ / ٣١٧ - ٣١٨ |
| رأيت هذين الصبيين يعثران فى قميصهما | بريدة | ٥ / ٤٥٩ |
| راجعها ثم أمسكها حتى تطهر | ابن عمر | ٥ / ٤٥٨ |
| رب زد أمتى | | ٤ / ٤٦٢ |
| ربح البيع يا أبا يحيى | سعيد بن المسيب | ١ / ٢٠٩ |
| ربع القرآن | أنس | ٦ / ٢٦٦ |
| رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر | | ٣ / ٤٥٨ |
| رحم الله أبا بكر زوجنى ابنته وحملنى | على | ٦ / ٢٤١ |
| رحم الله أخى لوطًا؛ لقد كان يأوى إلى ركن شديد | أبو هريرة | ٢ / ٤٤٦ |
| رحم الله أخى يوسف؛ لقد كان ذا حلم وأناة | | ٣ / ٣٧ |
| رحم الله موسى؛ لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر | | ٤ / ٣٠٩ |
| ردوا علىّ أبى كيلا تفعل به قريش | | ١ / ١٤٣ |
| الرعد ملك | | ٣ / ٨٣ |
| رغم أنفه، رغم أنفه، رغم أنفه | أبو هريرة | ٣ / ٢٣٣ |
| رفع لى البيت المعمور فى السماء السابعة | | ٥ / ٢٦٧ |
| رفعت لى سدرة المنتهى فإذا نبقها كقلال هجر | | ٥ / ٢٨٩ |
| ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها | | ٥ / ٢٨٢ |
| رهبانية أمتى الجلوس فى المساجد | | ٢ / ٥٩ |
| رهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله | | ٥ / ٣٨٤ |
| الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة | | ٢ / ٣٩١ |
| الريح من روح الله تأتى مرة بالعذاب ومرة بالرحمة | | ٥ / ١٣٥ |
| الريح من روح الله فاسألوا الله من خيرها | | ٢ / ٣٧٢ |

## - حرف الزاى -


| | | |
|---|---|---|
| الزاد والراحلة | الحسن | ١ / ٣٤٣ |
| الزانى المجلود لا ينكح إلا زانية مجلودة | أبو هريرة | ٣ / ٥٠٠ |
| زعموا مطية الكذب | | ٢ / ٩٤ |


## - حرف السين -


| | | |
|---|---|---|
| سأخبركم غدا | | ٦ / ٢٤٣ |
| سألت الله أن يجعلها أذنك | مكحول | ٦ / ٣٦ |
| سألت ربى عن اللاهين من ذرية البشر فأعطانيهم | | ٦ / ١٦٧ |
| سبأ اسم رجل ولد عشرة من الذكور | فروة بن مسيك | ٤ / ٣٢٤ ٣٢٥ |
| سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين | ابن عمر | ٥ / ٩٣ ٩٤ |
| سبحان الله امكثى فى بيتك حتى يبلغ الكتاب | | ٣ / ٣٩٥ |
| سبحان الله، والله أكبر | عثمان | ٤ / ٤٧٨ |
| سبحان الله وبحمده | | ٤ / ٢٠١ |
| سبحان الله وبحمده صلاة أهل السماوات | | ٤ / ٢٠٢ |
| سبحان الله ما تطيق ذلك هلا قلت : | أنس | ١ / ٢٠٥ |
| سبحان الله يخرج الحى من الميت | عبيد الله | ٤ / ٢٠٣ |
| سبحان ربى العظيم | | ٢ / ٨٥ |
| سبحان مقلب القلوب | | ٤ / ٢٨٦ |
| سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح | ابن عباس | ١ / ٣٨٩ |
| سبحانك اللهم علامة بين أهل الجنة والخدم | | ٢ / ٢٦٦ |
| سبحانك فبلى | ابن عباس | ٦ / ١١١ |

| | | |
|---|---|---|
| سجد رسول الله شكرا ( لما نزل جبريل بفضل | | |
| الصلاة عليه ) | | ٤ / ٣٠٤ |
| سجد فى الانشقاق | أبو هريرة | ٦ / ١٩٣ |
| سددوا وقاربوا وأبشروا | أبو سعيد | ٣ / ٤١٧ - ٤١٨ |
| سرعة المشى تذهب بهاء الوجه | | ٤ / ٢٣٤ |
| السلام اسم من أسماء الله تعالى | | ٥ / ٤١٤ |
| السلام سنة، ورده فريضة | الحسن | ١ / ٤٥٧ |
| سلمان وأصحابه | | ١ / ٤٨٨ |
| سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد | على | ٤ / ٢٠٢ |
| سمعت النبى ﷺ يقرأ فى المغرب سورة الطور | جبير بن مطعم | ٥ / ٢٦٦، ٢٦٩ |
| سنوا بهم سنة أهل الكتاب | | ١ / ٣٦٠ |
| سوداء ولود خير من حسناء عقيم | | ٤ / ١٩٩ |
| سورة الملك تجادل عن صاحبها يوم القيامة | حميد بن عبد الرحمن | ٦ / ٥ |
| سوموا فإن الملائكة قد سومت | | ١ / ٣٥٤ |
| سياحة أمتى الجهاد | | ٢ / ٣٥٠ |
| سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله | | ٢ / ٥٩ |
| سياحة أمتى الصيام | | ٢ / ٣٤٩ |
| سيد إدام أهل الجنة اللحم | | ٣ / ٤٧٠ |
| سيد الشهداء يوم القيامة حمزة | | ٤ / ٢٣٣ |
| سيد الشهور شهر رمضان | | ١ / ١٨١ |
| سيكون أقوام يعتدون فى الطهور والدعاء | | ٢ / ١٨٧ |
| سينجيك أحد | | ٦ / ٢٤٠ - ٢٤١ |


## - حرف الشين -


| | | |
|---|---|---|
| شاهت الوجوه | | ٢ / ٢٥٣ |

| | | |
|---|---|---|
| شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم | | ١/ ٩٣ ٩٤ |
| شرار الناس المشاءون بالنميمة الباغون | | ٦/ ٢١ |
| شربت عسلا عند زينب | | ٥/ ٤٧٠ ٤٧١ |
| الشعث التفل | ابن عمر | ١/ ٣٤٣ |
| شغلونا عن صلاة الوسطى ملأ الله بطونهم وقبورهم | | ١/ ٢٤٢ |
| شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى | | ١/ ١٣٤، ٣/ ٢٧٠ |
| الشفع يوم نحر، والوتر يوم عرفة | | ٦/ ٢١٧ ٢١٨ |
| الشفق هو الحمره | | ٦/ ١٩١ |
| الشهر هكذا، وهكذا، وهكذا | | ١/ ١٩٩ |
| شيبتنى هود وأخواتها | | ٢/ ٤٦١ |


## - حرف الصـاد -


| | | |
|---|---|---|
| الصبر نصف الإيمان | | ٤/ ٢٣٨ |
| صدق الله، وكذب بطن أخيك | أبو سعيد الخدرى | ٣/ ١٨٦ |
| صدقت | | ٥/ ١٨١ |
| صدقت | صهيب | ٦/ ٢٣٤ |
| صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته | عمر بن الخطاب | ١/ ٤٧١ |
| صدقة السر تطفئ غضب الرب | | ١/ ٢٧٥ |
| صدقة السر تفضل صدقة العلانية بسبعين ضعفا | | ١/ ٢٧٥ |
| صدقة العلانية تفضل صدقة السر بخمس وعشرين | | ١/ ٢٧٥ |
| صلِّ قائمًا ، فإن لم تستطع فقاعدا | ابن مسعود، وعمران ابن الحصين | ١/ ٣٨٩ |
| صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عن من ظلمك | | ٢/ ٢٤٠ |

| | | |
|---|---|---|
| الصلاة منها شفع ومنها وتر | عمران بن حصين | ٦ / ٢١٧ |
| الصلاة وما ملكت أيمانكم | | ١ / ٤٢٧ |
| صلوا على أخ لكم مات وهو أصحمة النجاشى | | ١ / ٣٩١ |
| صم شهرين متتابعين | | ٥ / ٣٨٤ |
| الصوم جنة | معاذ بن جبل | ٤ / ٢٤٩ |


## - حرف الضـاد -


| | | |
|---|---|---|
| ضربت ( النار ) بالماء مرتين | | ٥ / ٣٦٢ |
| ضعه فى سورة كذا | عثمان | ٢ / ٢٨٢ |
| ضمن الله لمن خرج فى سبيله | أبو هريرة | ٢ / ٣١٥ |
| الضيافة ثلاثة أيام، فما زاد فهو صدقة | | ١ / ٤٢٧ |
| الضيافة ثلاثة أيام، وجائزته يوم وليلة | | ٤ / ٢١٥ |


## - حرف الطـاء -


| | |
|---|---|
| طلقها . . . استمتع بها | ٣ / ٥٠١ |


## - حرف الظـاء -


| | |
|---|---|
| الظل البارد والماء البارد | ٦ / ٢٧٦ |


## - حرف العـين -


| | |
|---|---|
| عباد الله إلى إلى أنا رسول الله | ١ / ٣٦٨ |
| عبد الله ورسوله | ١ / ٢٩٥ |
| عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن | ٦ / ٢٢٩ - ٢٣٠ |
| عجب ربكم من إلكم وقنوطكم | ٤ / ٣٩٣ - ٣٩٤ |

| | | |
|---|---|---|
| عجب ربكم من شاب ليس له صبوة | | ٤ / ٣٩٤ |
| العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم | | ٥ / ٤٠٣ |
| العدة عطية | قباث بن أشيم | ٣ / ٢٩٩ |
| العرش من ياقوتة حمراء | | ٢ / ٣٦١ |
| عرض علىَ بطحاء مكة ذهبا، فاخترت | | ٤ / ٩ |
| عرض لى الليلة شيطان | أبو هريرة | ٤ / ٤٤٤ |
| عشرة من الفطرة | | ٤ / ٢١٢ |
| عشرة من الفطرة: خمس فى الرأس، وخمس فى الجسد | | ١ / ١٣٤ |
| عشرون ألفا | | ٤ / ٤١٧ |
| علامة المنافق ثلاث إذا قال كذب | | ٢ / ٣٢٣ |
| علق السوط حيث يراه أهلك | | ٥ / ٣٧٥ |
| على جسر جهنم | عائشة | ٤ / ٤٨٠ |
| على الصراط | عائشة | ٣ / ١٢٦، ٤ / ٤٨٠ |
| على ملة إبراهيم | | ١ / ٣٠٥ |
| على وفاطمة وولدهما | | ٥ / ٧٤ |
| عليك بالشكر؛ فإنه زيادة | | ٣ / ١٠٥ |
| عليك بالشهود | ابن مسعود | ٣ / ٥٠٥ ٥٠٦ |
| عليكم بلا إله إلا الله | أبو بكر | ٥ / ١٠٢ |
| عليكم بالصدق فإنه يهدى إلى البر | | ١ / ٣٤٠ |
| عليكم بصلاة الليل | | ٤ / ٢٤٩ |
| عم الرجل صنو أبيه | | ٣ / ٧٨ |
| العمرتان تكفران ما بينهما، والحج المبرور | | ١ / ١٩٦ |
| العنكبوت شيطان مسخ فاقتلوه | | ٤ / ١٨٢ |

| | | |
|---|---|---|
| العين حق تدخل الجمل القدر، والرجل القبر | | ٣ / ٤٧ |


## - حرف الغين -


| | | |
|---|---|---|
| غزا موضع كذا، فلم يلق كيدا | | ٣ / ٣٨٦ |


## - حرف الفاء -


| | | |
|---|---|---|
| فأقول ما قال العبد الصالح | | ٢ / ٧٧ - ٧٨ |
| فإذا جاء الليل فأين يذهب النهار؟ | | ١ / ٣٥٧ |
| فإن أخبارها أن تشهد على | أبو هريرة | ٦ / ٢٦٧ |
| فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس | | ٥ / ٢٤٨ |
| فإن غم عليكم فاقدروا له | | ٣ / ٤٠٣ |
| فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا | | ٤ / ١٣ |
| فإني نذير لكم بين يدى عذاب | ابن عباس | ٦ / ٢٩٨ |
| فاتحة الكتاب وآية الكرسى وآيتان من آل عمران | على | ١ / ٣٠٧ |
| فارقنى جبريل، وهدأت الأصوات | | ٥ / ٢٨٧ |
| فرأيت وجهه كالقمر ليلة البدر | أبو سعيد الخدرى | ٣ / ٢٧ |
| فرض الله تعالى الصلاة على لسان نبيه فى الحضر | ابن عباس | ١ / ٤٧١ - ٤٧٢ |
| فرض الله تعالى قيام الليل على النبى ﷺ وأصحابه | عائشة | ٦ / ٧٧ - ٧٨ |
| فرغ ربكم من خلقه، فريق فى الجنة | عبد الله بن عمرو بن العاص | ٥ / ٦٤ - ٦٥ |
| فروى أن رجلا يقال له صرمة أبو قيس | | ١ / ١٨٧ - ١٨٨ |
| فضحك النبى وقرأ ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ | ابن مسعود | ٤ / ٤٨٠ |
| فضل كلام الله على كلام خلقه كفضله على خلقه | | ٤ / ٤٦٦ |
| فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد | | ٢ / ٣٥٨ |

| | | |
|---|---|---|
| فلم أر عبقريا يفرى فريه | | ٥ / ٣٣٩ |
| فمن يعدل إن لم أعدل | | ٢ / ٣١٧ |
| فهذه أخبارها | أبو هريرة | ٦ / ٢٦٧ |
| فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء إلى السماء | العباس | ٦ / ٣٧ - ٣٨ |
| فى الجنة ( أين أكون غدا؟ ) | | ٢ / ٧١ |
| فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين ما بين السماء والأرض | | ١ / ٤٦٨ |
| فى الحج سجدتان من لم يسجدهما فلا يقرأها | عقبة بن عامر | ٣ / ٤٥٧ |
| فى الزنا ست خصال | على | ٣ / ٢٣٨ |
| فى عماء ما فوقه هواء، وما تحته هواء | أبو رزين العقيلى | ٢ / ٤١٣ |
| فى القيامة ثلاث عرضات | أبو موسى | ٦ / ٣٩ |
| فى النار ( أين أكون غداً؟ ) | - | ٢ / ٧١ |


## - حرف القـاف -


| | | |
|---|---|---|
| قال الله تعالى : أنا أهل التقوى وأهل المغفرة | أنس | ٦ / ١٠٠ |
| قال الله تعالى : أنا عند ظن عبدى بى | | ٥ / ٤٧ |
| قال الله تعالى : جزاء ما أنعمت عليه بالتوحيد | | ٥ / ٣٣٦ |
| قال الله تعالى : لا أجمع على عبدى خوفين ولا أمنين | | ٦ / ٤٩ |
| قال الله تعالى : وعزتى وجلالى ما قرأكن عبد | | ١ / ٣٠٧ |
| قال جبريل عليه السلام ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ | أبى بن كعب | ٦ / ٣٠٩ |
| قال - فيما يحكى عن ربه - أنه قال : خلقت عبادى حنفاء فاجتالتهم الشياطين | | ٤ / ٢٠٩ |
| قتل رسول الله ﷺ من قريظة أربعمائة وخمسين | | ٤ / ٢٧٣ |

| | | |
|---|---|---|
| قتلت بنو إسرائيل اثنين وأربعون نبيًا فى ساعة | أبو عبيدة بن الجراح | ١ / ٣٠٥ |
| قد أنزل الله تعالى على آيات لم ير. | عقبة بن عامر | ٦ / ٣٠٩ |
| قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب | عبادة بن الصامت | ٣ / ٤٩٨ |
| قد قال قوم ولم يستقيموا عليه | أنس | ٥ / ٥٠ |
| قد كان فى الأمم السابقة محدثون فإن يكن فى أمتى | | ٣ / ٤٤٧ |
| قد يكون ذلك | عبد الله بن جراد | ٣ / ٢٠٣ |
| قدم رسول الله المدينة ولأحدنا الاسم والاسمان | أبو جبيرة الأنصارى | ٥ / ٢٢٣ |
| قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ | أبو هريرة | ٦ / ٢٦٧ |
| قرأ سورة التين فى المغرب | البراء | ٦ / ٢٥٣ |
| قرأ سنورة الرحمن على أصحابه، فلم يجيبوا بشىء | جابر | ٥ / ٣٢٤ |
| قرأ «والذكر والأنثى» | ابن مسعود وأبو الدرداء | ٦ / ٢٣٦ |
| قرأ سورة والنجم فسجد فيها | ابن مسعود | ٥ / ٣٠٥ |
| قرأ فى المغرب بطول الطولين | | ٢ / ١٦١ |
| قرأ ﴿والأرض جميعا قبضته..﴾ | عائشة | ٤ / ٤٨٠ |
| القرآن حبل ممدود طرف بيد الله وطرف بأيديكم | | ١ / ٣٤٥ |
| قرن ينفخ فيه | عبد الله بن عمرو | ٤ / ٤٨١ |
| قسم سهم ذوى القربى بين بنى هاشم وبنى المطلب. | جبير بن مطعم | ٢ / ٢٦٥ |
| قصوا الشوارب واعفوا اللحى | | ٢ / ١٩٨ |
| قصة الغرانيق | | ٣ / ٤٤٨، ٥ / ٢٩٤ - ٢٩٥ |
| قضى بأن حفظ الماشية على أربابها ليلا | البراء | ٣ / ٣٩٥ |

| | | |
|---|---|---|
| قطع الله يدك | سودة بنت زمعة | ٣ / ٢٢٣ |
| قل ربي الله ثم استقم | سفيان بن عبد الله | ٥ / ٥٠ |
| قل لأبي بكر : يقول الله تعالى : أنا عنك راض | | ٦ / ٢٤١ |
| قليل يكفيك خير من كثير لا تقوم بحقه | أبو أمامة | ٢ / ٣٢٨ ٣٢٩ |
| قولوا لا إله إلا الله | | ٤ / ٤٢٥ |
| قولوا الله مولانا ولا مولى لكم | | ٥ / ١٧٢ |
| قولوا اللهم صلى على محمد وآل محمد | كعب بن عجرة | ٤ / ٣٠٤ |
| قوموا إلى سيدكم | | ٤ / ٢٧٥ |


## - حرف الكاف -


| | | |
|---|---|---|
| كان إذا أراد غزوا وري بغيره | | ٥ / ٤١٨ |
| كان إذا أصاب أهله حير أمرهم بالصلاة | سلمان الفارسي | ٣ / ٣٦٥ |
| كان إذا أكل طعاما شكر الله تعالى، وسأل أن يرزقه | | |
| خيرا منه إلا اللبن | | ٥ / ١٧٤ |
| كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة | عائشة | ٣ / ١٥٥ |
| كان إذا خرج إلى سفر أقرع بين نسائه | عائشة | ٣ / ٥٠٧ |
| كان إذا دخل الخلاء يقول : اللهم إني أعوذ بك من | | |
| الرجس النجس الخبيث المخبث من الشيطان الرجيم | | ٢ / ١٤٣ |
| كان إذا أراد أن ينام | | ٦ / ٣٠٨ |
| كان إذا صلى أو انصرف من مجلسه قال : سبحان | أبو سعيد | |
| ربك رب العزة | | ٤ / ٤٢٢ |
| كان إذا صلى على ميت وقف على قبره ودعا | | ٢ / ٣٣٣ |
| كان إذا صلى الغداة قال : الله أكبر ثلاثا | | ٦ / ١٢٢ |
| كان إذا قرأ عليه جبريل سورة من القرآن يحرك | | |

| | | |
|---|---|---|
| شفتيه بقراءتها مخافة أن يتفلت منه | عائشة | ٦/ ٢٠٨ - ٢٠٩ |
| كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن تلا أول الآية قبل | | |
| أن يفرغ جبريل | ابن عباس وغيره | ٣/ ٣٥٧ |
| كان إذا نزل الوحى على رسول الله سمع عند وجهه | عمر بن الخطاب | |
| دوى كدوى النحل | | ٣/ ٤٦١ |
| كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ ربنا آتنا فى الدنيا | | |
| حسنة | | ١/ ٢٠٥ |
| كان حجر يسلم على بمكة قبل أن أبعث | | ١/ ٩٦ |
| كان خلقه القرآن | عائشة | ٦/ ١٨ |
| كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر همس | صهيب | ٦/ ١٩٥ - ١٩٧ |
| كان رسول الله ﷺ أمن جميع الناس إلا نفرا منهم | | ٤/ ٢٣٩ |
| كان رسول الله عهدها - أى أم شريك - جميلة | | |
| فسأل عنها | | ٤/ ٢٩٧ |
| كان زكريا نجارا | أبو هريرة | ٣/ ٢٧٨ |
| كان شعيب خطيب الأنبياء | | ٢/ ٤٥١ |
| كان عليه السلام يقبل الهدية ويثيب عليها | | ١/ ٤٥٩ |
| كان فى مرض موته يدور على نسائه | | ٤/ ٢٩٨ |
| كان فيمن قبلكم رجل يداين الناس | أبو هريرة | ١/ ٢٨٢ |
| كان لا يدخر شيئا لغد | أنس | ٤/ ١٩١ |
| كان لا ينام حتى يقرأ ﴿الم تنزيل الكتاب﴾ | جابر | |
| و﴿تبارك الذى بيده الملك﴾ | | ٦/ ٥ |
| كان لا ينام كل ليلة حتى يقرأ ﴿الم تنزيل﴾ | جابر | |
| السجدة | | ٤/ ٢٤١ |
| كان ملك من الملوك وكان لذلك الملك كاهن يكهن | صهيب | |
| له | | ٦/ ١٩٥ - ١٩٧ |

| | | |
|---|---|---|
| كان الملك يرد عليه حين سكت، فلما أجبت | | ٥ / ٨٢ |
| ذهب | | |
| كان موسى رجلا حييا | | ٤ / ٣٠٩ - ٣١٠ |
| كان النبى ﷺ أمر زيد بن حارثة، فإن استشهد | | |
| فجعفر بن أبى طالب | | ٥ / ٤٢٩ - ٤٣٠ |
| كان يبعث السرايا بعد غزوة تبوك | | ٢ / ٣٥٧ |
| كان يتعوذ من بوار الأيم | | ٤ / ١٢ |
| كان يحب التيامن فى كل شىء | على | ٥ / ٢٤٠ |
| كان يحب سورة سبح اسم ربك الأعلى | | ٦ / ٢٠٦ |
| كان يحب الفأل ويكره الطيرة | | ٤ / ١٠٤ |
| كان يدخر منها قوت سنة لعياله | | ٥ / ٤٠٤ |
| كان يستعيذ بالله من الجبن | | ٢ / ٢٦٧ |
| كان يصغى الإناء للهرة | | ٥ / ٤٧٣ |
| كان يصلى، وبجوفه أزيز كأزيز المرجل | | ٣ / ٣١٣ |
| كان يعوذ بهما الحسن والحسين | | ٦ / ٣٠٨ |
| كان يقبل الهدية، ويرد الصدقة | عائشة | ٤ / ٩٥ |
| كان يقبل وهو صائم، وكان أملككم لإربه | | ٣ / ٥٢٣ |
| كان يقرأ فى الركعة الأولى من الوتر ﴿ سبح اسم | عائشة | |
| ربك الأعلى ﴾ | | ٦ / ٢٠٧ |
| كان يقرأ فى صلاة الصبح من يوم الجمعة سورة | | |
| السجدة | أبو العالية | ٤ / ٢٤١ |
| كان يقسم الغنيمة على خمسة أسهم | الشعبى | ٢ / ٢٦٣ - ٢٦٤ |
| كان يكتب أولا باسمك اللهم | أنس | ٤ / ٩٣ |
| كان يمد مداً | | ٦ / ٧٧ |

| | | |
|---|---|---|
| كان يمر بعد نزول هذه الآية على بيت فاطمة بستة أشهر | أنس | ٤/ ٢٨١ |
| كذب النسابون | | ٣/ ١٠٦ |
| كذبتم يمنعكم من ذلك ثلاث قولكم إن الله اتخذ ولداً | أبو رزين | ١/ ٣٢٦ |
| كذلك يُحيى الله الموتى | | ٤/ ٣٤٨ |
| كسرت رباعيته يوم أحد | | ٤/ ٢٧٠ |
| كفى بالمرء إثمًا أن يضيع مَنْ يقوته | ابن عمر | ١/ ٤٥٥ – ٤٥٦ |
| كل الذباب فى النار إلا النحل | | ٣/ ١٨٥ |
| كل سبب ونسب ينقطع إلا سببى ونسبى | | ٣/ ٤٩١ |
| كل شيء بقدر حتى الكيس والعجز | عثمان | ٥/ ٣١٨ – ٣١٩ |
| كل صلاة تكفر ما بينها وبين الصلاة الأخرى | | ٢/ ٤٦٣ |
| كل كلام ابن آدم عليه إلا ثلاثة | | ١/ ٤٧٨ |
| كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به | | ٢/ ٣٩ |
| كل ما أذى المؤمن فهو مصيبة له | أبو هريرة | ١/ ١٥٧ |
| كل مولود يولد على الفطرة | | ٤/ ٢٠٩، ٢١٠ |
| كلتا يديه يمين | | ٢/ ٥١ |
| كلمة أعرفها لا يقولها أحد فى كرب إلا فرج عنه | سعد بن أبى وقاص | ٣/ ٤٠٥ |
| كلمتان خفيفتان على اللسان | أبو هريرة | ٤/ ٢٠١ |
| كله أنت وعيالك | | ٥/ ٣٨٤ |
| كم تقدر فى الصدقة؟ | | ٥/ ٣٩٠ |
| كم من نخلة مدلاة لأبى الدحداح فى الجنة | | ٥/ ٣٧٣ |
| الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين | | ١/ ٨٢ |
| كما تنامون تموتون، وكما تستيقظون تبعثون | | ٤/ ٤٧٠ |

| | | |
|---|---|---|
| كن أبا خيثمة | | ٢ / ٣٣٧ - ٣٣٨ |
| كنا إذا احمرَّ الباس اتقينا برسول الله | | ١ / ٤٢ |
| كنا نتحدث أن عدد أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر | البراء بن عازب | ١ / ٢٥٣ |
| كنا فى سفر فاشتبهت علينا القبلة فصلى كل واحد منا إلى جهة | جابر | ١ / ١٢٩ |
| كنت رديف رسول الله ﷺ | ابن عباس | ١ / ٢١٦ |
| كنت قائمًا فى الحجر فرفع لى بيت المقدس | محمد بن على الباقر | ٣ / ٢١٦ |
| كنت نائمًا فى الحجر فأتانى جبريل وحركنى | عبد الله بن عمر | ٣ / ٢١٣ |
| الكوثر نهر فى الجنة | | ٦ / ٢٩١ |
| كونوا علماء حلماء | أبو أمامة الباهلى | ١ / ٣٣٥ |
| كية ... كيتان | | ٢ / ٣٠٤ |
| الكيس من دان نفسه | | ٤ / ٢٤٠، ٥ / ٢٩٦ |
| الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت | | ٢ / ٢٢٦ |
| كيف ابن سلام فيكم | أبو سعيد | ٥ / ١٥١ |
| كيف أنعم والتقم صاحب القرن | | ٤ / ٤٨١ |
| كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى بأذنه | | ٣ / ٤٩٠ |
| كيف بك إذا أتاك ملكان؟ | ابن عباس | ٣ / ١١٦ |
| كيف تسألونى عن صفة ربى | أنس | ٦ / ٣٠٢ |
| كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم؟ | | ١ / ٣٥٥ |


## - حرف اللام -


| | | |
|---|---|---|
| لأقضين بينكما بكتاب الله | | ٦ / ٢٦٣ |

| | | |
|---|---|---|
| لألقين أحدكم يوم القيامة وعلى رقبته فرس له حمحمة | | ١ / ٣٧٤ |
| لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره | | ١ / ٢٧٨ |
| لئن أقصرت الخطبة فقد أعرضت فى المسألة أعتق النسمة وفك الرقبة | | ٦ / ٢٢٩ ، ٢٣٠ |
| لئن قدرت عليك خارج الحرم لأريقن دمك | | ٥ / ١١٤ |
| لئن قدرت عليهم لأمثلن بسبعين منهم | | ٣ / ٢١٠ ، ٢١١ |
| لا، أرأيت إن قتلت صابرا محتسبا هل يحجزنى من الجنة شىء؟ | | ٣ / ٣٩٥ |
| لا أزال أشفع حتى يسلم إلى صكاك | | ٣ / ٢٧٠ |
| لا أسأل قد اكتفيت | ابن عباس | ٥ / ١٠٥ |
| لا أعود إلى شربه أبدا | | ٥ / ٤٧١ |
| لا، أفى كل عام يا رسول الله؟ | على | ٢ / ٧١ |
| لا آكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله | | ٤ / ١٦ |
| لا إله إلا الله: كلمة التقوى | | ٥ / ٢٠٦ |
| لا إله إلا الله، والله أكبر | ابن عمر | ٥ / ٦٧ |
| لا إله إلا الله وحده لا شريك له | | ٤ / ٣٤٥ |
| لا إله إلا أنا خلقت الشر، وخلقت من يجرى على يده | | ٥ / ٢٦٢ ، ٢٦٣ |
| لا إله أن تضوع | | ٦ / ٨٤ ، ٨٥ |
| لا إيمان لمن لا أمانة له | ابن عباس | ١ / ٤٣٩ ، ٤ / ٣١٢ |
| لا بل أنتم العكارون | ابن عمر | ٢ / ٢٥٢ |
| لا تبرح هذا الخط | ابن مسعود | ٦ / ٦٣ |
| لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله | ابن مسعود | ٢ / ١٥٥ |

| | | |
|---|---|---|
| لا تحزن إن الله معنا | | ٢ / ٣٠٩ |
| لا تخبرى بذلك أحداً | | ٥ / ٤٧٢ |
| لا تخبرى بذلك عائشة | | ٥ / ٤٧٠ |
| لا تدابروا | | ١ / ٤٥٢ |
| لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه | أنس، وأبو هريرة | ٥ / ٢٤٤ - ٢٤٥ |
| لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق | | ٥ / ١٦٩ |
| لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يُسأل عن أربعة | | ٦ / ٢٢٨ |
| لا تزول قدما بنى آدم يوم القيامة حتى يُسأل | | ٤ / ٣٩٦ |
| لا تسبخى برأيك عليه | عائشة | ٦ / ٧٩ |
| لا تسبوا أصحابى | أبو سعيد الخدرى | ٢ / ٣٤٠ |
| لا تسبوا تبعًا؛ فإنه كان قد أسلم | | ٥ / ١٢٩، ٢٣٨ |
| لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر | أبو هريرة | ٥ / ١٤٢ - ١٤٣ |
| لا تسكنوهن الغرف، ولا تعلموهن الكتابة | عائشة | ٣ / ٤٩٧ |
| لا تشرك بالله وإن قتلت وأحرقت | | ٦ / ١٩٩ |
| لا تفكوه إلا بعد يومين | عروة بن الزبير | ١ / ٢١٦ - ٢١٧ |
| لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا | أنس | ٥ / ٢٢٥ |
| لا تقبل الصلاة إلا بالزكاة | | ٣ / ٤٥٩ |
| لا تقل هذا؛ فإنه أواه | أبو ذر | ٢ / ٣٥٢ |
| لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبًا من ثلاثين | | ٤ / ٢٩١ |
| لا تنحن | أم سلمة | ٥ / ٤٢٦ - ٤٢٧ |
| لا خير فى دين ليس له ركوع ولا سجود | | ٦ / ١٣٣ |

| | | |
|---|---|---|
| لا داء أدوى من البخل | | ١ / ٢٧٣ |
| لا دين لمن لا عهد له | ابن عباس | ١ / ٤٣٩ |
| لا رهبانية فى الإسلام | | ٥ / ٣٨٤ |
| لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار | | ٢ / ٤١٠، ٦ / ٥٥ |
| لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق | | ٤ / ١٦٨ |
| لا طلاق قبل النكاح | | ٤ / ٢٩٥ |
| لا طلاق قبل النكاح، ولا عتاق فى غير الملك | على بن أبى طالب | ١ / ١٠٢ |
| لا عدوى ولا طيرة | | ٤ / ١٠٣ - ١٠٤ |
| لا غفر الله لك | | ١ / ٤٦٧ |
| لا، لكن حبسها حابس الفيل | | ٦ / ٢٨٤ |
| لا، المؤمن يكذب؟ | عبد الله بن جراد | ٣ / ٢٠٣ |
| لا نصرت إن لم أنصركم | | ٢ / ٢٨٩ |
| لا هجرة بعد الفتح | | ١ / ٤٦٩ |
| لا هجرة بعد اليوم | | ٢ / ٢٨٠ |
| لا ، هل شربت خمراً قط؟ | على | ٥ / ٨٨ |
| لا ، هل عبدت وثنا قط؟ | على | ٥ / ٨٨ |
| لا ، وما زلت أعرف أن ما هم عليه باطل | على | ٥ / ٨٨ |
| لا يا ابنة الصديق، بل هم الذين يصلون ويصومون | عائشة | ٣ / ٤٨٠ |
| لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه | أبو الدرداء | ٢ / ٣١٤ |
| لا يبلغ الناس أن محمداً يقتل أصحابه | | ٥ / ٤٤٩ |
| لا يبلغ هذه الآيات إلا رجل منى | | ٢ / ٢٨٤ |
| لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به | | ٣ / ٦٨ - ٦٩ |
| لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب | | ٥ / ٤٠١ |

| | | |
|---|---|---|
| لا يحبك إلا مؤمن تقى، ولا يبغضك إلا منافق | | ٣ / ٣١٧ |
| لا يحجن بعد هذا العام مشرك | | ٢ / ٢٨٤ |
| لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث | | ٢ / ٣٣، ١٥٤، ٣ / ٣٣٨، ٤ / ٣١ |
| لا يحضد شجرها | | ٥ / ٣٥٣ |
| لا يدخل الجنة أحد فى قلبه ذرة من كبر | | ٣ / ١٦٥ |
| لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة | على | ٢ / ٢٨٤ |
| لا يدخل الجنة قتات | حذيفة | ٦ / ٢٠ |
| لا يدخل رعب المسيح الدجال المدينة أبدا | | ٢ / ٥٤ |
| لا يدعون أحدكم على ابنه أن يوافق قدرا | | ١ / ٥٠٨ |
| لا يزال أحدكم راكبا ما دام متنعلا | | ٢ / ٣٣٦ |
| لا يسب أحدكم والديه | | ٢ / ١٣٥ |
| لا يصحبنا ملعون | | ٢ / ٤٣٥ |
| لا يصلين أحد منكم العصر إلا فى بنى قريظة | | ٤ / ٢٧٤ |
| لا يطوفن بالبيت عريان | على | ٢ / ٢٨٤ |
| لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة | أبو بكرة | ٤ / ٨٩ - ٩٠ |
| لا يقبل الله صلاة أحدكم حتى يضع الطهور مواضعه | | ٢ / ١٧ |
| لا يمس القرآن إلا طاهر | عمرو بن حزم | ٥ / ٣٦٤ |
| لا ينح ابن آدم من ثلاث: من الظن، والحسد، والطيرة | | ٤ / ١٠٤ |
| لا يؤخر الله صاحب بغى | | ٢ / ٣٧٣ |
| لبنة منها (الجنة) فضة، ولبنة ذهب | | ٥ / ٣٤٩ |
| لتأخذوا عنى | عبادة بن الصامت | ٣ / ٤٩٨ |

| | | |
|---|---|---|
| لتأمرون بالمعروف، ولتنهون عن المنكر | | ١ / ٣٤٨ |
| لتتبعن سنن من قبلكم حتى لو دخل أحدهم جحر | | |
| ضب ليدخلنه أحدكم | | ٢ / ٣٢٤ |
| لست بنبيء الله، إنما أنا نبى الله | | ١ / ٨٧ |
| لعن الله اليهود؛ حرم عليهم الشحوم فجملوها | | |
| وباعوها وأكلوا ثمنها | | ٢ / ١٥١ |
| لقتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا | | ١ / ٤٦٣ |
| لقد اغتبتيها | | ٥ / ٢٢٦ |
| لقد أقبل بوجه كافر، وأدبر بقفا غادر | | ٢ / ٧ |
| لقد أنزلت البارحة على سورة هى أحب إلى من | | |
| الدنيا وما فيها | عمر بن الخطاب | ٥ / ١٨٨ |
| لقد حمدت الله على نعمة عظيمة | | ١ / ١٥٤ |
| لقد عجب الله من صنيعكم البارحة | | ٥ / ٤٠٦ - ٤٠٧ |
| لقى آدم موسى فقال: يا آدم أنت الذى أشقيتنا | أبو هريرة | ٣ / ٣٥٩ |
| لكل شيء دعامة، ودعامة الدين العقل | | ٦ / ١٠ |
| لكم من العنب خمسة حلال: العصر، والزبيب | | ٣ / ١٨٤ |
| لكن الله يدرى وسيقضى بينهما | أبو ذر | ٢ / ١٠٢ |
| لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يضل بعيره | أبو هريرة | ٥ / ٧٥ |
| لله ما أخذ، ولله ما أعطى | | ٥ / ٣٨٢ |
| لم أفشيت سرى | ابن عباس | ٣ / ٢٥٥ |
| لم تحل الغنائم لأحد سود الرءوس قبلكم | أبو هريرة | ٢ / ٢٧٨ |
| لم ير ضاحكا إلى أن خرج من الدنيا | | ٥ / ٣٠٤ |
| لم يكن رسول الله فحاشًا ولا متفحشًا، ولا يجزى | | |
| السيئة مثلها | | ٦ / ١٨ |

| | | |
|---|---|---|
| لما ابتدأ به المرض الذى توفى فيه خرج إلى أحد | | |
| واستغفر لشهداء أحد | | ٥ / ١٧٨ |
| لما أنزل الله تعالى هذه الآيات تعلقن بالعرش وقلن :يارب | | ١ / ٣٠٧ |
| لما بلغ الحديبية معتمرًا فصده المشركون تحلل وذبح هنالك | | ١ / ١٩٧ |
| لما توفى دخل أبو بكر ووضع فمه بين عينيه | | ٣ / ٣٧٩ |
| لما خلق الله القلم قال له : اكتب | | ٥ / ٣٨١ |
| لما رآه ﷺ على هذه الصورة – أى جبريل على صورته – صعق | | ٤ ٣٤٤ |
| لما سبا رسول الله ﷺ سبايا أوطاس هرب الرجال | أبو سعيد الخدرى | ١ / ٤١٤ |
| لما طرح إبراهيم فى النار بعث الله جبريل إليه وبعث معه بطنفسة من طنافس الجنة | | ٣ / ٣٩١ |
| لما فتح مكة خطبنى | أم هانئ | ٤ / ٢٩٦ |
| لما قرأت هذه الآية قرأ رسول الله ﷺ ﴿وكنت عليهم شهودًا . . .﴾ | ابن مسعود | ١ / ٤٢٩ |
| لما وقف ليصلى عليه أخذ جبريل بطرف ثوبه ومنعه من الصلاة | أنس | ٢ / ٣٣٢ – ٣٣٣ |
| لموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها | | ١ / ٣٩٠ |
| لن يخبل الجن آدميًا فى داره فرس عتيق | | ٢ / ٢٧٣ |
| لن ينجى أحدًا منكم عمله | | ٥ / ٢٧٤ |
| لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه خمس مرات . | | ٢ / ٤٦٣ |
| لو تلا عنوا لصاروا قردة وخنازير | عائشة | ١ / ٣٢٨ |
| لو تلا عنوا لم يبق فى الدنيا نصرانى | | ١ / ٣٢٨ |
| لو تمنوا ذلك لأخذهم الموت فى الحال | | ١ / ١١١ |

| | | |
|---|---|---|
| لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير | | ٤ / ١٩٢ |
| لو جاز أن يسجد أحد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها | | ١ / ٤٢٤ |
| لو خرجت لم تلقنى أبداً | | ٥ / ١٦٣ – ١٦٤ |
| لو دنى منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا | ابن عباس | ٦ / ٢٥٧ |
| لو شئت أسمعتك تضاغيهم فى النار | | ٦ / ١٦٧ |
| لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا | أبو ذر | ٢ / ٤٦٠ |
| لو عمل المؤمن فى صخرة ليس لها باب | | ٢ / ٣٤٥ |
| لو قال فرعون قرة عين لى لهداه الله تعالى كما هدى امرأته | | ٤ / ١٢٤ |
| لو كان الدين معلقًا بالثريا لناله رجال من فارس | | ٥ / ١٨٧ |
| لو كان الدين معلقًا بالثريا لناله رجال من قوم هذا | | ٥ / ٤٣٦ – ٤٣٧ |
| لو كتم النبى شيئًا من الوحى لكتم هذه الآية | عائشة | ٢ / ٢٨٧ |
| لو كنت خارج الحرم لضربت عنقك | | ٤ / ١٧ |
| لو لبثت فى السجن ما لبث يوسف ثم دعيت | أبو هريرة | ٣ / ٥، ٣٧ |
| لو لحق آخرهم أولهم لاضطرم الوادى عليهم نارًا | الحسن | ٥ / ٤٤٢ |
| لو نجا أحد من عذاب القبر لنجا سعد ابن معاذ | | ٣ / ١١٦ |
| لو نزل العذاب ما نجا أحد سواك | | ٢ / ٢٧٨ |
| لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا | | ٣ / ٢٥١ |
| لو يعلم المؤمن ما عند الله من الرحمة ما تورع عن ذنب | أبو هريرة | ٣ / ١٤٣ |
| لو يعلم المؤمن ما عند الله من العذاب | | |
| لم يطمع فى جنته أحد | | ٢ / ٧٠ |
| لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها | | ٤ / ٣٥٥ |
| لولا أن الكلاب أمة لأمرتكم بقتلها | | ٢ / ١٠١ |
| لولا فضل الله وتجاوزه ما هنئ أحد العيش | سعيد بن المسيب | ٣ / ٧٩ |
| لولا مشايخ ركع وبهائم رتع، وصبيان رضع | | ١ / ٢٥٥ |

| | | |
|---|---|---|
| لى خمسة أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد | جبير بن مطعم | ٥ / ٤٣١ |
| ليت شعرى ما فعل أبواى | محمد بن كعب القرظى | ١ / ١٣٢ |
| ليتخذ أحدكم قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا | ثوبان | ٢ / ٣٠٤ |
| ليس الأمر كما تظنون، إنما الظلم ها هنا الشرك | ابن مسعود | ٢ / ١٢١ |
| ليس الخبر كالمعاينة | | ١ / ٢٦٦ |
| ليس الدين بالتمنى ولا بالتحلى | | ١ / ٤٨٢ |
| ليس عندى شىء | ابن مسعود | ٣ / ٢٣٦ |
| ليس الغنى عن كثرة العرض | | ٦ / ٢٤٥ |
| ليس لفاسق غيبة | | ٥ / ٢٢٧ |
| ليس لك منهم فضل إلا بالتقوى | | ٥ / ٢٢٩ |
| ليس للمؤمن أن يذل نفسه | حذيفة | ٤ / ٢٣٢ - ٢٣٣ |
| ليس منا من لم يتغن بالقرآن | | ٣ / ١٥٢ |
| ليس موضع قدم فى السماء إلا وفيه ملك قائم أو راكع | | ٤ / ٤٢٠ |
| ليس هو طلب دنيا، وإنما هو عيادة مريض أو شهود جنازة | | ٥ / ٤٤١ |
| ليظهرن الله هذا الدين حتى تخرج الظعينة من الحيرة تؤم البيت | عدى بن حاتم | ٣ / ٥٤٥ |
| ليفتحنها الله على أمتى. | | ٤ / ٢٦٥ |
| ليقم منكم رجل معى ليس فى قلبه حبة خردل من كبر | ابن مسعود | ٦ / ٦٢ - ٦٣ |
| ليقم منكم معى رجل ليس فى قلبه مثقال خردل من كبر | | ٥ / ١٦٣ - ١٦٤ |
| لينزلن ابن مريم حكما مقسطًا يكسر الصليب | | ٥ / ١١٣ |
| ليهبطن عيسى ابن مريم حكمًا مقسطًا | | ١ / ٣٢٤ |
| ليهنئك العلم أبا المنذر | أبى بن كعب | ١ / ٢٥٩ |

## - حرف الميم -


| | | |
|---|---|---|
| ما أبقت الفرائض فالأولى رجل ذكر | | ٤ / ٤٣٤ |
| ما أحد أغير من الله، وما أحد أحب إليه الحمد من الله | | ٥ / ٤٥٥ - ٤٥٦ |
| ما أذن الله بشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن | | ٦ / ١٨٦ |
| ما أراك إلا وقد حرمت عليه | محمد بن كعب القرظي | ٥ / ٣٨٢ |
| ما أصر من استغفر، وإن عاد في اليوم سبعين مرة | | ١ / ٣٥٩، ٢ / ٤١ |
| ما أصيب العبد المؤمن بمصيبة إلا كفر عنه | | ١ / ١٥٧ |
| ما اطمأنت إليه نفسك | النواس بن سمعان | ١ / ١٠٤ |
| ما أمرني الله بجمع المال وأن أكون من التاجرين، ولكن أمرني | جبير بن نفيع | ٣ / ١٥٦ |
| ما أنا بقارئ | عائشة | ٦ / ٢٥٥ |
| ما انتجيته أنا، ولكن الله انتجاه | | ٥ / ٣٩٠ |
| ما أو لم على أحد من نسائه ما أولم على زينب بنت جحش | أنس | ٤ / ٢٨٨ |
| ما بقي من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من هذا اليوم فيما مضى منه | | ٥ / ٣٠٦ |
| ما بين المشرق والمغرب قبلة | ابن عمر | ١ / ١٥٢ |
| ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء | أسامة | ٣ / ٥٤٩ |
| ما توفي حتى أحل له النساء | | ٤ / ٢٩٩ |
| ما حاجتك | أبو موسى | ٤ / ٤٩ |
| ما حاك في صدرك | النواس بن سمعان | ١ / ١٠٤ |

| | | |
|---|---|---|
| ما خلات ولا هو لها بخلق، ولكنها حبسها حابس الفيل | | ٥/ ٢٠٠ |
| ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم اصبعه فى اليم | | ١/ ٤٤٩، ٢/ ٣٠٨، ٣/ ٩١ |
| ما رئى بعد ذلك متصديًا لغنى، ولا معرضًا عن فقير | | ٦/ ١٥٧ |
| ما رُئى مستجمعًا ضاحكًا منذ رأى هذه الرؤيا | | ٣/ ٢٥٥ |
| ما رفع رجل عقيرته بالغناء إلا | أبو أمامة | ٤/ ٢٢٦ |
| ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه | | ١/ ٤٢٦ |
| ما شانهم | | ٢/ ٣٤٢ |
| ما ضر عثمان ما يفعل بعد هذا | | ٥/ ٣٧٢ |
| ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل | أبو أمامة | ٥/ ١١٢ |
| ما ظننت أنه يعرف هذا، وأمر بإخراجه | عائشة | ٣/ ٥٢٣ |
| ما عبد تحت ظل السماء شيء، وهو أبغض عند الله من هوى | | ٥/ ١٤١ |
| ما كنت جديراً بهذا يا عمر | عمر | ١/ ١٨٨ |
| ما لك تشتمنى وتؤذينى | | ٥/ ٣٩١ |
| مالك يا أبا بكر؟ فقلت: كيف النجاة بعد هذه الآية | أبو بكر الصديق | ١/ ٤٨٣ |
| مالى أرى عزين | | ٦/ ٥١ |
| مالى أراك حزينًا إن الله تعالى لم يكلم أحداً إلا من وراء حجاب | | ١/ ٣٧٩ |
| مالى أراكم سكوتًا، للجن أحسن منكم رداً | جابر | ٥/ ٣٢٤ |

| | | |
|---|---|---|
| مالى وللدنيا يا عائشة | عائشة | ٥ / ١٦٥ |
| ما مس بيده يد امرأة قط إلا يد امرأة يملكها | عائشة | ٥ / ٤٢٧ |
| ما مسَّ عبداً نعمة فعلم أنها من الله إلا وقد شكر الله | ابن عمر | ٣ / ١٧٨ |
| ما من أحد إلا وله منزل فى الجنة، ومنزل فى النار | أبو هريرة | ٣ / ٤٦٤ |
| ما من أحد يأتى الله يوم القيامة إلا وقد أذنب | | ٣ / ٢٧٩ |
| ما من أحد يسمع بى فلا يؤمن إلا أدخله الله النار | أبو موسى | ٢ / ٤١٧ |
| ما من بيت مدر، ولا وبر فى الأرض إلا ويدخله الله الإسلام كرهًا | | ٣ / ٥٤٤ – ٥٤٥ |
| ما من خدش أو عثرة قدم أو اختلاج عرق إلا بذنب | | ٥ / ٧٨ |
| ما من رجل يتوضأ فيغسل وجهه إلا خرجت خطاياه | | ٢ / ١٧ |
| ما من ساعة تمر على العبد المسلم لا يذكر الله فيها إلا كانت عليه ترة | | ٥ / ١٨٥ |
| ما من ساعة تمضى إلا والسحاب يمطر فيها | | ٤ / ٢٥٥ |
| ما مَنْ عبد يذنب ذنبًا فتوضأ وصلى ركعتين واستغفر الله إلا غفر الله له | أبو بكر الصديق | ١ / ٣٥٩ |
| ما من صباح إلا وينادى ملكان | أبو هريرة | ٤ / ٣٣٧ |
| ما من طامة إلا وفوقها طامة | | ٦ / ١٥٢ |
| ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة | أبو فاطمة | ٢ / ٢٤٣ |
| ما من عبد يقول: يا رب إلا قال الله تعالى: لبيك عبدى | | ١ / ١٨٦ |
| ما من مسلم إلا وله بابان فى السماء | أنس بن مالك | ٥ / ١٢٦ |
| ما من مسلم يصيبه وصب، أو نصب | أبو سعيد الخدرى | ١ / ٤٢ |

| | | |
|---|---|---|
| ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب مدخلها | على | ٦ / ٢٣٨ - ٢٣٩ |
| ما من ولد ينظر إلى والده نظر بر وعطف إلا كتب له | | |
| به حجة | | ٦ / ١١٤ |
| ما من ولد يولد إلا ويطعن الشيطان فى خاصرته | أبو هريرة | ١ / ٣١٣ |
| ما من يوم تطلع فيه الشمس إلا وبجنبتيها ملكان | | ٢ / ٣٧٥ |
| ما من يوم ولا ليل إلا وينادى منادٍ يا طالب الخير | | |
| هلم | | ٢ / ٣٧٥ |
| ما منعك أن تجيبنى | أبو هريرة | ٢ / ٢٥٥ |
| ما منكم من أحد تصيبه مصيبة إلا كفر عنه | أبو هريرة | ١ / ٤٨٣ |
| ما هذا؟ احلق رأسك، واذبح شاة | كعب بن عجرة | ١ / ١٩٧ |
| ما هذه النحيرة التى أمرنى. | على بن أبى طالب | ٦ / ٢٩٢ |
| ما ورائك | | ٣ / ٢٠٤ |
| ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة | | ١ / ٩٤ |
| ما وضعت امرأة نبتًا إلا وضع الملك يده على رأسها | | |
| وقال: | | ٣ / ١٨٠ |
| ما يسرنى بهذه الآية الدنيا وما فيها | ثوبان | ٤ / ٤٧٥ |
| الماء والملح والنار | عائشة | ٦ / ٢٨٩ |
| مائة وأربعة وعشرون ألفًا | أبو الدرداء | ١ / ٥٠٣ |
| ماذا تريدون | | ٢ / ٨٧ |
| ماذا يبكيك | | ٥ / ١٥٧ |
| مثل أهل بيتى كمثل سفينة نوح | | ٣ / ٤٧٢ |
| مثل الحواميم فى القرآن مثل الحبرات فى الثياب | | ٥ / ٥ |
| مثل المنافق كمثل الشاة الغائرة بين ربيضين | ابن عمر | ١ / ٤٩٤ |
| مثلك مثل إبراهيم | | ٢ / ٢٧٧ |

| | | |
|---|---|---|
| مثلك مثل نوح | | ٢ / ٢٧٧ |
| مثلك يا محمد مثل ملك بنى داراً | جابر | ٢ / ٣٧٥ - ٣٧٦ |
| مثلى ومثل الأنبياء قبلى | جابر بن عبد الله | ٤ / ٢٩١ |
| مدمن الخمر كعابد الوثن | | ٢ / ٦٤ |
| مر رسول الله ﷺ بظبى حاقف | | ٥ / ١٥٨ |
| مررت بإناء مغطى . وهو ملآن | | ٣ / ٢١٧ |
| مره فليراجعها | ابن عمر | ٥ / ٤٥٨ |
| مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر | أبو ثعلبة الخشنى | ٢ / ٧٤ |
| مستقرها تحت العرش | أبو ذر | ٤ / ٣٧٧ |
| المسجد الحرام ، قلت : ثم أى؟ قال : المسجد الأقصى | أبو ذر | ١ / ٣٤١ |
| المسجد سوق من أسواق الجنة | | ٢ / ٢٩٣ |
| المسلم أخو المسلم لا يظلمه | جابر | ٥ / ٢٢٠ |
| مضر كان قد أسلم | ابن عمر | ٤ / ٣٦٧ |
| مفاتيح الغيب خمسة | | ٤ / ٢٤٠ |
| مقاليد السماوات سبحان الله | أبو هريرة | ٤ / ٤٧٨ |
| المقسطون يوم القيامة عن يمين الرحمن | عثمان | ٥ / ٢٢٠ |
| مكتوب على صدر كل جراده جند الله الأعظم | | ٢ / ٢٠٦ |
| ملك اليمين أمير على ملك الشمال | أبو أمامة | ٥ / ٢٤٠ |
| من آثر الحياة الدنيا على الآخرة شتت الله عليه همه | | ٦ / ١٥٢ |
| من آمن بالكتب المتقدمة وآمن بالقرآن | | ١ / ٤٤ |
| من أبكى يتيماً فحق على الله أن يبكى عينيه يوم القيامة | | ١ / ٤٠١ |
| من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد | | ٤ / ٧٢ |

| | | |
|---|---|---|
| من أحب دنياه أضر بآخرته | أبو موسى | ٦ / ٢١١ |
| من أحب فطرتي فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح | | ٣ / ٥٢٥ |
| من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه | | ٥ / ٣٦٧ - ٣٦٨ |
| من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد | عائشة | ٣ / ٣٧٦ |
| من أخذته قشعريرة من خوف الله | | ٤ / ٤٦٦ |
| من أراد أن يسمع خرير الكوثر | | ٦ / ٢٩١ |
| من أراد الجنة لا شك فلا يخاف في الله لومة لائم | ابن مسعود | ٢ / ٤٧ |
| من أزلت إليه نعمة فليشكرها | | ١ / ٢١٠ |
| من استطاع منكم الباءة فليتزوج | | ٣ / ٥٢٥ |
| من أشرك بالله وجبت له النار | جابر | ٢ / ٥٥ |
| من أشراط الساعة: ولا يأتون الصلاة إلا دبراً | | ١ / ٤٥٢ |
| من أشقى الأولين | صهيب | ٦ / ٢٣٤ |
| من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أحبني فقد أحب الله | | ١ / ٤٥١ |
| من أعان على قتل أخيه بشطر كلمة لم يجد عرف الجنة | | ٥ / ١٧٠ |
| من أعتق رقبة كانت فكاكه من النار | عقبة بن عامر | ٦ / ٢٢٩ |
| من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منها عضو منه من النار | | ٦ / ٣٣٠ |
| من اغتسل يوم الجمعة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة | أبو هريرة | ٥ / ٤٤٣ |
| من اغتسل يوم الجمعة غسلت ذنوبه وخطاياه | أبو بكر الصديق | ٥ / ٤٤٣ |
| من اغتسل يوم الجمعة من الجنابة ولبس من صالح ثيابه | | ٥ / ٤٤٣ - ٤٤٤ |

| | | |
|---|---|---|
| من امتلأ غيظًا وكظمه خيرَّه الله فى الحور العين | | ١ / ٣٥٨ |
| من أمتى قوم يعلمون الناس التوسم | أنس | ٣ / ١٤٧ |
| من أنت؟ | | ٤ / ٤٣٩ |
| من أنظر معسرًا أظله الله فى ظله | أبو اليسر | ١ / ٢٨٢ |
| من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة | | ٥ / ٤٦٢ |
| مَنْ أوتى القرآن فظن أن أحدًا أعطى أفضل مما أعطى فقد صغَّر عظيمًا | | ٣ / ١٥١ |
| من أوتى قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وامرأة صالحة | | ١ / ٢٠٤ |
| من بنى الله مسجدًا بنى الله له مثله فى الجنة | | ٢ / ٢٩٣ |
| من بنى مسجدًا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتًا فى الجنة | عائشة | ٢ / ٢٩٤ |
| من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه | عبادة بن الصامت | ١ / ٤٠٨ |
| من ترك الجمعة ثلاث مرات من غير عذر طبع الله على قلبه | | ٥ / ٤٤٤ |
| من تطير، أو تكهن، أو تعرَّف لم ينظر إلى الجنة يوم القيامة | | ٢ / ١٠ |
| من تقوف ما ليس له به علم حبس فى ردغة الخبال | | ٣ / ٢٤١ |
| من تقول علىَّ ما لم أقل فإنه يوم القيامة بين عينى جهنم | | ٤ / ٩ |
| من توضأ فأحسن الوضوء، وصلى ركعتين | | ٥ / ٢٣٩ |
| من جاء يوم القيامة بثلاث لم يصد وجهه عن الجنة شىء | | ٣ / ٤٢٢ |
| من حاسب نفسه فى الدنيا هون الله عليه الحساب فى الآخرة | | ٦ / ١٩٠ |

| | | |
|---|---|---|
| مَنْ حج هذا البيت، ولم يرفث، ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه | | ١ / ٢٠٦ |
| من حق المسلم على المسلم أن يدعوه بأحب أسمائه إليه | | ٥ / ٢٢٣ |
| من حوسب عذب | ابن عمر | ٦ / ١٨٨ |
| من حلف على يمين، فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه | | ٢ / ٦ |
| من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها مال امرئ مسلم | ابن مسعود | ١ / ٣٣٣ - ٣٣٤ |
| من دعا إلى ضلالة فاتبع عليها فعليه وزر من اتبعه | | ٤ / ١٧٠ |
| من دعى إلى طعام فليجب | | ١ / ٤٣ |
| من ذب عن عرض أخيه المسلم | أم الدرداء | ٤ / ٢١٩ |
| من رأيتموه يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان | أبو سعيد الخدرى | ٢ / ٢٩٣ |
| من ركب البحر حين يلج، فقد برئت منه الذمة | | ٣ / ٥٣٧ |
| من زهد فى الدنيا نور الله قلبه | | ٤ / ١٩٤ |
| من سأل وعنده أوقية فقد ألحف | | ١ / ٢٧٨ |
| مَنْ سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار | | ١ / ٣٨٧ |
| من سره أن يكون الناس له صفونًا فليتبوأ مقعده من النار | | ٤ / ٤٣٩ |
| من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين ذلك اليوم | ابن عمر | ٦ / ١٦٤ |
| من سقى مؤمنًا شربة ماء بعده الله من جهنم شوط فرس | | ٢ / ١٨٤ |
| من سن سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها | | ٤ / ٣٧٠ |
| مَنْ شفع فى حد من حدود الله تعالى فقد ضاد الله فى ملكه. | | ١ / ٤٥٥ |

| | | |
|---|---|---|
| من صام بالليل فقد تعب ولا أجر له | | ١ / ١٨٩ |
| من صلى على مرة صلى الله عليه عشرًا | | ٤ / ٣٠٤ |
| من ضم يتيمًا من بين المسلمين | | ٦ / ٢٨٨ |
| من طلب الدنيا تعففًا عن السؤال، وصيانة للولد | | ٥ / ٣٨٠ |
| من عجز عن الليل أن يكابده وجبن عن العدو | | ٤ / ٢٩٣ |
| من عصى أميرى فقد عصانى | | ١ / ٤٤٠ |
| من عمره الله ستين سنة | أبو هريرة | ٤ / ٣٦١ |
| من غدا أو راح إلى المسجد أعد الله له نزلاً كلما غدا أو راح | أبو هريرة | ٢ / ٢٩٣ |
| من غصب شبرًا من أرض طوقه الله من سبع أراضين | | ٥ / ٤٦٨ |
| من غموم الدنيا، وغمرات الموت، وشدائد الآخرة | ابن عباس | ٥ / ٤٦١ |
| من قال: إن محمد كتم شيئًا من الوحى فقد أعظم على الله الفرية | عائشة | ٢ / ٥٢ |
| من قال أنا خير من موسى فقد كذب | أبو هريرة | ٤ / ٤٨١ |
| من قال سبحان الله والحمد لله | ابن عباس | ٤ / ٢٨٤ |
| من قام بالحواميم فى ليلة غفر الله له | | ٥ / ٥ |
| من قام ليلة القدر إيمانًا | | ٦ / ٢٦٢ |
| من قتل قتيلاً فله كذا، ومن أسر أسيرًا فله كذا | | ٢ / ٢٤٥ |
| من قتل وزغًا فكأنما قتل كافرًا | | ٣ / ٣٩١ |
| من قدم من المولد لم يلج النار إلا تحلة القسم | | ٣ / ٣٠٨ |
| من قرأ: ﴿إذا زلزلت الأرض...﴾ | أنس | ٦ / ٢٦٦ |
| من قرأ سورة البقرة، وآل عمران والنساء | | ١ / ٢٩٢ |
| من قرأ فى ليلة بآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه | | ١ / ٢٨٩ |

| | | |
|---|---|---|
| من قرأ: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ | أنس | ٦ / ٢٦٦ |
| من قرأها فى ليلة ( سورة الأنعام ) استغفر له سبعون ألف ملك | | ٢ / ٨٥ |
| من كان بينه وبين رسول الله عهد فمدته إلى أربعة أشهر | على | ٢ / ٢٨٤ |
| من كان له فى بنى إسرائيل خادم وامرأة ودابة كان ملكًا | أبو سعيد | ٢ / ٢٥ |
| من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره | | ١ / ٤٢٦ |
| من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه | أبو شريح وغيره | ١ / ٤٢٧، ٤ / ٢١٥، ٥ / ٢٥٦ |
| من كرامة الكتاب ختمه | ابن عباس | ٤ / ٩٢ |
| من كنت مولاه ؛ فعلى مولاه | | ٢ / ٤٨، ٥ / ١٣٠ |
| من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة | عمر بن الخطاب | ٣ / ٤٣١، ٤ / ١٦٠ |
| مَنْ لبس نعلاً صفراء لم يزل فى سرور حتى ينزعها | | ١ / ٩٢ |
| من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدًا | | ٤ / ١٨٣ |
| من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة | عثمان | ٥ / ١٧٨ |
| من مشى سبعة أقدام إلى شاعر فهو من الغاوين | | ٤ / ٧٢ |
| من ملك نفسه عند الغضب | | ٥ / ٨٠ |
| مَنْ منع الزكاة جاء يوم القيامة فيمثل له ما له شجاعًا أقرع | | ١ / ٣٨٤ |
| من منكم يذهب فيأتى بخبر القوم | | ٤ / ٢٦٤ |
| من نسى صلاة فليصلها إذا ذكرها ذلك وقتها | أنس | ٣ / ٣٢٤ |
| من نظر إلى محاسن امرأة وغض بصره | أبو أمامة | ٣ / ٥١٩ - ٥٢٠ |

| | | |
|---|---|---|
| من نزل منزلاً فقال: رب أنزلنى منزلاً مباركًا وأنت خير المنزلين | | ٢ / ٤٧٣ |
| من نوقش الحساب عذب | عائشة | ٣ / ٨٨ - ٨٩، ٣٦٧ / ٣ |
| من نوقش الحساب هلك | | ٣ / ٨٩ |
| من وحد الله لا يشرك به شيئًا وجبت له الجنة | جابر | ٢ / ٥٥ |
| من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين | | ٢ / ٣٥٨ |
| من ينتدب إلى الخروج؟ | | ١ / ٣٨٠ |
| منازلكم، منازلكم تكتب آثاركم | أبو سعيد الخدرى | ٤ / ٣٧٠ |
| مواتهم أجداثهم | | ٥ / ٣٠٩ |
| المؤمن مألفة، ولا خير فيمن لا يؤلف، ولا يألف | | ٢ / ٢٧٤ - ٢٧٥ |
| المؤمنون كنفس واحدة | | ٣ / ٥١٠، ٥ / ٢٢٠ |
| المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا | | ٥ / ٢٢٠ |
| المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف | | ١ / ٣٧٢ - ٣٧٣ |


## - حرف النون -


| | | |
|---|---|---|
| النار ( من للصبية؟ ) | | ٥ / ١١٤ |
| نبله منه غيرك | | ٥ / ٣٩٣ |
| نحروها فى العشر الأواخر | | ٦ / ٢٦٠ - ٢٦١ |
| نحن الآخرون السابقون أول الناس دخولاً الجنة | | ١ / ٢١٤ |
| نحن أحق بالشك من إبراهيم | | ١ / ٢٦٦ |
| نحن أمة أمية لا نكتب، ولا نحسب | ابن عمر | ٥ / ٤٣٥ |
| نحن بنو النضر بن كنانة | | ٣ / ٢٤١ |

| | | |
|---|---|---|
| نزل هذا فى ثقيف وبنى مخزوم تنازعوا إلى عتّاب | | |
| ابن أسيد | | ١ / ٢٨٠ |
| النصارى ( من الضآلون ) | عدى بن حاتم | ١ / ٣٩ |
| نضر الله وجه امرئ سمع منى مقالة فوعاها ثم بلغها | | ٢ / ٩٣ |
| فرب مبلغ أوعى من سامع | | |
| نصرت بالرعب مسيرة شهر | | ١ / ٥,٣٦٥ / ٤٠١، |
| نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور | | ٢ / ٢٦٨، ٣ / ٦٣، ٤ / ٢٦٣، ٥ / ٢٦٠ |
| نعم ( أأقتل من بين هؤلاء يا محمد ) | | ٤ / ١٧ |
| نعم ( أطعم ستين مسكينًا؟ ) | | ٥ / ٣٨٤ |
| نعم ( أفتح هو؟ ) | | ٥ / ١٨٨ – ١٨٩ |
| نعم ( ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ ) | | ٣ / ٤٨٥ |
| نعم، إلا كسرة يسد الرجل بها | عمر | ٦ / ٢٧٦ |
| نعم ( إن ربك يقول : وتشتاق إلى مكة وتحن إليها؟ ) | | ٤ / ١٦٢ |
| نعم إنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما | عامر بن ربيعة | ٣ / ٢٣٣ |
| نعم ( أيكرر علينا ما كان بيننا؟ ) | الزبير بن العوام | ٤ / ٤٦٨ – ٤٦٩ |
| نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى بالليل | | ٤ / ٢٤٩ |
| نعم المال الصالح للرجل الصالح | عمرو بن العاص | ١ / ٢٧٤ |
| نعم ( هم يدخل مؤمنوا الجن الجنة | خارجة | ٤ / ٢٤٧ |
| نعم ( ومن الإنس شياطين ) | أبو ذر | ٢ / ١٣٧ |
| نعم ( يا محمد، أتزعم أن ما يعبد من دون الله يدخلون النار ) | | ٣ / ٤١٠ |
| نعم ( يا محمد أتزعم أن هذا يحيى ويبعث ) | | ٤ / ٣٨٩ |

| | | |
|---|---|---|
| نم نومة العروس | | ٥ / ٣٦٧ |
| نهى عن الأيمة | | ٣ / ٥٢٦ |
| نهى أن تسمى المدينة يثرب | | ٤ / ٢٦٥ |
| نهى عن الدابة المصبورة | | ١ / ٧٤ |
| نهى عن كل ذى ناب من السباع وعن كل ذى مخلب من الطير | | ٢ / ١٥٠ |
| نهى عن المجثمة | | ٢ / ٤٣٩ |
| نهى عن النظر فى النجوم | | ٦ / ٧٤ |
| نهى عن نكاح المتعة | سبرة الجهنى، على ابن أبى طالب | ١ / ٤١٥ |
| نور أنى أراه | أبو ذر | ٥ / ٢٩٢ |


## - حرف الهاء -


| | | |
|---|---|---|
| هاتان أيسر | | ٢ / ١١٤ |
| هاؤم | | ٦ / ٣٩ |
| هدايا الأمراء غلول | | ٤ / ٩٥ |
| هذا جبريل يقرئك من ربك السلام | ابن عمر | ٥ / ٣٧٢ |
| هذا حلو، وهذا حامض، وهذا دقل، وهذا فارس | أبو هريرة | ٣ / ٧٧ - ٨٨ |
| هذا السجود وأين البكاء | | ٣ / ٣٠١ |
| هذا فى الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ يوم أحد | زيد بن ثابت | ١ / ٤٥٨ |
| هذا كتاب فيه أسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم | عبد الله بن عمرو بن العاص | ٥ / ٦٤ - ٦٥ |
| هذا موضعك | | ٥ / ٣٦٧ |
| هذا من النعيم | عمر بن أبى سلمة | ٦ / ٢٧٦ |

| | | |
|---|---|---|
| هذا وأصحابه | عياض الأشعرى | ٢ / ٤٦ |
| هذا يارب فيمن رأيته، فكيف بمن لم أره | ابن مسعود | ١ / ٤٢٩ |
| هذا يوم القيامة أفضل من ملء الأرض من هذا | | ٥ / ٢٢٢ |
| هذه إدام هذه | | ٣ / ٤٧٠ |
| هذه أمى آمنة بنت وهب | عبد الله بن مسعود | ٢ / ٣٥٠ – ٣٥١ |
| هذه بتلك | عائشة رضى الله عنها | ٣ / ١٥ |
| هذه صلاة الإشراف | ابن عباس | ٤ / ٤٣٠ |
| هذه القبلة وأشار إلى البيت | | ١ / ١٥١ |
| هذه يد عثمان، وهذه يدى | | ١ / ٣٧١ |
| هكذا أقرأنيه رسول الله ﷺ | ابن مسعود | ٣ / ٣١٨ |
| هكذا أنزل | عمر | ٣ / ٤٦٧ |
| هل أنت إلا أصبع دميت | جندب البجلى | ٦ / ٢٤٢ – ٢٤٣ |
| هل أنتم معطى كلمة إن أنتم قلتموها | | ٢ / ١٣٤ – ١٣٥ |
| هل تدرون ما اسم هذه | العباس | ٦ / ٣٧ – ٣٨ |
| هل تدرون ما فيها | عبد الله بن عمرو بن العاص | ٥ / ٦٤ – ٦٥ |
| هل تزوجت يا فلان؟ | أنس | ٦ / ٢٦٦ |
| هل لك فى جلاد بنى الأصفر | | ٢ / ٣١٣ |
| هل لكم عهد هل لكم أيمان؟ | عبد الله بن مغفل المزنى | ٥ / ٢٠٤ |
| هل مررت قط بأرض قحل | أبو رزين العقيلى | ٤ / ٣٤٨ |
| هم الذين بروا آباءهم وأبناءهم | | ٦ / ١٧٥ |
| هم قوم غزوا بغير إذن آبائهم | | ٢ / ١٨٢ |

| | | |
|---|---|---|
| هم النبى بدفع السرقة عنه [ طعمة بن ابيرق ] | | ١ / ٤٧٥ |
| هما آيتان أنزلتا على من كنز تحت العرش | | ١ / ٢٨٩ |
| هنا وأنا نائم نزل على | عائشة | ٦ / ٣٠٧ |
| هؤلاء فى الجنة ولا أبالى | | ٢ / ٤٠٣ |
| هؤلاء من هذه الأمة، وقد كان فيمن قبلكم | قتادة | ١ / ٢,٣٢٢ / ٢٣٤ |
| هو ابن عمتى وحوارى من أمتى | | ٥ / ٤٣٣ |
| هو الذى يأكل وحده | أبو أمامة | ٦ / ٢٧١ |
| هو أن تتقلص شفته العليا | أبو سعيد | ٣ / ٤٩٢ |
| هو جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا | أبو سعيد الخدرى | ٦ / ٩٢ |
| هو رجل ولد عشرة من البنين | | ٤ / ٨٨ – ٨٩ |
| هو شىء قضى عليهم | عمران بن حصين | ٣ / ٣٧٤ – ٣٧٥ |
| هو الغاسق إذا وقب | عائشة | ٦ / ٣٠٥ |
| هو فى النار إنه لم يقل يوما: رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين | عائشة | ٤ / ٥٤ |
| هو فى النار، فطلب فإذا هو قد غل عباءة من المغنم | | ١ / ٣٧٥ |
| هو فى هذه الأمة مثل صاحب يس | | ٤ / ٣٧٤ |
| هو قول لا إله إلا الله | أنس | ٣ / ١٥٣ |
| هو مسجدى هذا | أبو سعيد الخدرى | ٢ / ٣٤٦ – ٣٤٧ |
| هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى | أبو هريرة | ٣ / ٢٦٩ |
| هو الحرير لهم فى الدنيا، ولنا فى الآخرة | | ٤ / ٣٦٠ |
| هى أحب إلى من جميع الدنيا | أنس | ٥ / ١٨٨ |
| هى أحسن الحسنات | | ٢ / ١٥٩ |
| هى رملة فلسطين | | ٣ / ٤٧٧ |

| | | |
|---|---|---|
| هى الرؤيا الصالحة يراها المؤمن | أبو الدرداء، عبادة بن الصامت | ٢ / ٣٩١ |
| هى طلوع الشمس من مغربها | ابن مسعود، وأبو سعيد | ٢ / ١٥٧ |
| هى لى ولكم إلا ما فضلت به من النبوة | | ٥ / ١٥١ |
| هى المنجية هى المانعة تنجيه من عذاب القبر | ابن عباس | ٦ / ٥ |
| الوائدة والموءودة فى النار | | ٦ / ١٦٧ |
| والذى نفسى بيده ما من عبد يتصدق بصدقة | أبو هريرة | ٢ / ٣٤٤ |
| والله لأزيدن على السبعين | الحسن البصرى | ٢ / ٣٣٠ |


## - حرف الواو -


| | | |
|---|---|---|
| وإن كان فى قضيب من أراك | | ١ / ٣٣٤ |
| وإن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه | ابن مسعود | ٢ / ١٥٥ |
| وإنى أحلف أن لا أحلهم | | ٢ / ٣٤٢ |
| وددت أنى لم أقل ما قلت | | ٦ / ٢٤٦ |
| وددت لو حولنى الله إلى الكعبة | جابر | ١ / ١٥٠ - ١٥١ |
| الوسيلة درجة فى الجنة ليس فوقها درجة | | ٢ / ٣٥ |
| وعلى أن لا تسرقن | | ٥ / ٤٢٥ |
| وعليكم السلام ورحمة الله | | ١ / ٤٥٦ |
| وقيت شركم كما وقيتم شرها | ابن مسعود | ٦ / ١٢٥ |
| وكأنى بالحجر ندبًا من أثر ضربه أربعًا | | ٤ / ٣١٠ |

| | | |
|---|---|---|
| وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته | | ٣/ ٤٦٤ |
| ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه | | ٥/ ٢٧٤ |
| ولا ينفع ذا الجد منك الجد | | ٢/ ٢٥٧، ٦/ ٦٤ |
| الولد مبخلة مجبنة محزنة مجهلة | | ٥/ ٤٥٨ |
| ولقد رأيتها | | ٤/ ٢٦٥ |
| ولو يعلم الكافر ما عند الله من عقوبة | أبو هريرة | ٣/ ١٤٣ |
| وما يبكيك يا عمر | | ٦/ ٢٤٤ |
| وهل ترك لنا عقيل من دار | | ٥/ ٢٤٤ |
| ويأتيك من لم تزور بالأخبار | | ٤/ ٣٨٧ |
| ويل للأعقاب من النار | | ٢/ ١٧ |
| ويل لقوم يقسم لهم ربهم ثم لا يصدقونه | الحسن | ٥/ ٢٥٥ |
| ويلك قطعت عنق أخيك | | ٥/ ٢٩٩ |


## - حرف اليـاء -


| | | |
|---|---|---|
| يأتى الإيمان والشرك يوم القيامة فيجثون | صفوان بن عسال | ٤/ ١١٩ |
| يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء | | ٣/ ١٠٣ |
| يأتى على الناس زمان لا يبقى إلا من هو أصعر | | ٤/ ٢٣٣ |
| يا أبا بكر زد فى الخطر وأبعد فى الأجل | | ٤/ ١٩٦ - ١٩٧ |
| يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما | | ٢/ ٣٠٩ |
| يا أبا ذر أتدرى أين تذهب | أبو ذر | ٤/ ٣٧٧ |
| يا أبا ذر أتدرى فيما تنتطحان | أبو ذر | ٢/ ١٠٢ |
| يا أخا تنوخ أسلم | سعيد بن أبى راشد | ٤/ ١٤٩ |
| يا إخوة القردة والخنازير | | ١/ ٩٨ |

| | | |
|---|---|---|
| يا أصحاب سورة البقرة | البراء | ٢ / ٢٩٦ – ٢٩٧ |
| يا أيها ، لا تسألوا الله الآيات | جابر | ٢ / ١٩٣ |
| يا أيها الناس، إن الله لا يقبل إلا الطيب | أبو هريرة | ٣ / ٤٧٨ |
| يا أيها الناس توبوا إلى ربكم من قبل | جابر | ٥ / ٤٤٢ |
| يا بنى فلان، يا بنى فلان، إنى نذير لكم | | ٢ / ٢٣٤ |
| يا ثابت، انظر فى القوم | | ٥ / ٢٢٩ |
| يا ثابت، انظر من القوم فليس لك | | ٥ / ٣٨٨ |
| يا جبريل، أجدنى مغموما | | ٣ / ٣٩٩ |
| يا جبريل، إلى أين | | ٤ / ٢٧٤ |
| يا جبريل، قد كنت مشتاقا | | ٣ / ٣٠٤ |
| يا جبريل، لو زرتنا أكثر مما | ابن عباس | ٣ / ٣٠٤ |
| يا رب، إنى أخاف أن يثلغوا رأسى | | ٢ / ١٦٢ |
| يا رب، إنى اتخذت إبراهيم خليلا | | ٦ / ٢٤٥ – ٢٤٦ |
| يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة | | ١ / ٣٤ |
| يا صباحاه | ابن عباس | ٤ / ٦٩ – ٧٠، ٦ / ٢٩٨ |
| يا عائشة، أتدرين ما ذلك الحساب | عائشة | ٦ / ١٨٨ – ١٨٩ |
| يا عائشة، إن الله لا يحب الفحش | | ٥ / ٣٨٦ – ٣٨٧ |
| يا عائشة، إن كنت ألممت بذنب | | ٣ / ٥٠٧ |
| يا عائشة، إنى ذاكر لك أمرا | عائشة | ٤ / ٢٧٦ |
| يا عائشة، أو غير ذلك ، إن الله تعالى خلق النار | عائشة | ٥ / ٢٧٣ |
| يا عتبة، يا شيبة، ويا أبا جهل | | ٢ / ١٩٣ |
| يا على ويا فاطمة قد أنزل الله تعالى قوله ﴿ من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت ﴾ | مكحول | ٤ / ١٦٧ |

| | | |
|---|---|---|
| يا غلام ارض بما قدر الله لك | ابن عباس | ١ / ٢١٦ |
| يا عم، اشهد أن لا إله إلا الله | | ٤ / ١٤٩ |
| يا عم، قل : لا إله إلا الله | أبو هريرة | ٤ / ١٤٨ |
| يا فلان، قم، ويا فلان قم وتأخر | | ٥ / ٣٨٩ |
| يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد | معاذ بن جبل | ١ / ٤٢٥ |
| يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله تعالى لا | أبو هريرة | |
| أغنى عنكم من الله شيئا | | ٤ / ٦٩ |
| يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك | أم سلمة | ١ / ٢٩٧ |
| يبعث كل عبد على ما مات عليه | | ٥ / ١٤٠ |
| يتصدقون بدينار | | ٥ / ٣٩٠ |
| يجاء بجهنم مزمومة بسبعين ألف زمام | | ٦ / ٢٢٢ |
| يجاء بصاحبها يوم القيامة | ابن مسعود | ١ / ٣٠٣ |
| يجاء بالموت يوم القيامة على هيئة كبش | | ٣ / ٢٤٧ |
| يجاء بالناس يوم القيامة مقدمة أفواههم | | ٤ / ٣٨٥ |
| يجعل الذهب والفضة صفائح | | ٢ / ٣٠٤ |
| يحبس المؤمنون على قنطرة بين النار والجنة | | ٣ / ١٤١ |
| يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب | | ١ / ٤١٢ |
| يحشر الأنبياء على دواب فى الجنة | أبو هريرة | ٣ / ٣١٤ |
| يحشر الخلق يوم القيامة | | ٤ / ١١١ |
| يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا | ابن عباس | ٣ / ٤١٢ |
| يحشر الناس يوم القيامة فمن كان منهم براً | | ٢ / ٩٩ |
| يخرج الله قوما من النار قد صاروا حمما | جابر | ٢ / ٤٥٧ – ٤٥٨ |
| يخرج لهيب النار من جوفهم يوم القيامة | | ١ / ٤٠٠ |
| يخرج من ثقيف رجلان : كذاب، ومبيد مهلك | | ٢ / ١٤٠ |

| | | |
|---|---|---|
| يخرج من ضئضئ هذا أقوام | | ٢ / ٣١٧ |
| يخرج من المدينة قوم يبسون | | ٥ / ٣٤٧ |
| يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره | | ٢ / ٤١ |
| يدخل الله قومًا من المؤمنين الجنة | خالد بن معدان | ٣ / ٣٠٨ – ٣٠٩ |
| يدخل الله قومًا من أهل القبلة مع الكفار | أبو موسى الأشعرى | ٣ / ١٢٩ |
| يدخل على الرجل فى قبره ملكان ويسألانه | أبو سعيد الخدرى | ٣ / ١١٥ |
| يدنى المؤمن ربه يوم القيامة حتى يضع كتفه عليه | ابن عمر | ٢ / ٤١٨ |
| يسلك بطائفة من أصحابى ذات الشمال فأقول يارب أصحابى أصحابى | | ٢ / ٧٧ – ٧٨ |
| يصبح القوم مجد بين، فيأتيهم الله برزق من عنده فيصبحوا مشركين | معاوية الليثى | ٥ / ٣٦٦ |
| يطوى الله السماء، ويأخذ الأرض بيمينه | | ٣ / ٤١١ |
| يعطى المؤمن كتابه بيمينه | | ٣ / ٢٦٣ |
| يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين | أبو الدرداء | ٥ / ٣٢٨ – ٣٢٩ |
| يفتح للناس معدن، ويبدو من الذهب أمثال البخت | أبو هريرة | ٣ / ١٧٤ – ١٧٥ |
| يقبض الله السموات والأرض بيمينه | ابن عمر، وغيره | ٥ / ١١ |
| يقبل المسيح من قبل المشرق، وهمُّه المدينة | | ٢ / ٥٤ |
| يقتص للجماء من القرناء | | ٦ / ١٦٥ |
| يقول ابن آدم : مالى، مالى | عبد الله بن الشخير | ٦ / ٢٧٥ |
| يقول الله تعالى إذا ذكرنى العبد فى نفسه ذكرته فى نفسى | | ٤ / ٢٩٣ |
| يقول الله تعالى : استقرضت من ابن آدم فلم يقرضنى | أبو هريرة | ٥ / ١٤٣ |

| | | |
|---|---|---|
| يقول الله تعالى : أصبح الناس فريقين مؤمن بى وكافر بالكوكب | | ٤ / ٢٥ |
| يقول الله تعالى : أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت | أبو هريرة | ٤ / ٢٥٠ |
| يقول الله تعالى : إن لعبدى هذا عندى عهداً وأنا أحق من وفى بالعهد | ابن مسعود | ١ / ٣٠٣ |
| يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدى بى | | ٤ / ٢٩٣ |
| يقول الله تعالى : إنى نظرت فى الأديان فارتضيت لكم الإسلام دينًا | | ٢ / ١١ - ١٢ |
| يقول الله تعالى : أنا الرحمن، وخلقت الرحم | | ١ / ٣٩٤ |
| يقول الله تعالى : ذاك أردت لكم | عدى بن حاتم | ١ / ٤٩٣ - ٤٩٤ |
| يقول الله تعالى : الكبرياء ردائى، والعظمة إزارى | ابن عباس | ٥ / ١٤٧ |
| يقول الله تعالى : كل عمل ابن آدم له إلا الصوم | | ١ / ١٨٢ |
| يقول الله تعالى كل يوم : أنا العزيز، فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز | أنس | ٤ / ٣٤٩ |
| يقول الله تعالى لعبده يوم القيامة : استطعمتك فلم تطعمنى | | ٥ / ٢٦٥ |
| يقول الله تعالى للكافر يوم القيامة : لو كان لك ملء الأرض ذهبًا أكنت مفتديًا به اليوم؟ | | ٢ / ٣٥ |
| يقول الله تعالى : من أخذت كريمتيه فصبر واحتسب | | ٢ / ٣٨٤ |
| يقول الله تعالى : هل من داع فيستجاب له؟ | | ٣ / ٦٥ |
| يقول الله تعالى : هى نارى أسلطها على من شئت | | ٣ / ٣٠٨ |
| يقول الله تعالى : يشتمنى عبدى وما ينبغى له | | ٤ / ٣٠٥ |

| | | |
|---|---|---|
| يقول الله تعالى: يؤذينى ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر | | ٥/ ١٤٣ |
| يقول الله تعالى: يؤذينى ابن آدم يسب الدهر | أبو هريرة | ٣/ ٥٣٩ |
| يقول الله تعالى يوم القيامة: أنا الملك الديان | | ٥/ ١٢ |
| يقول الله تعالى يوم القيامة: أيها الناس، إنكم رفعتم أنسابكم | | ٥/ ٢٢٩ |
| يقول الله تعالى يوم القيامة: سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم | | ٥/ ٢٢٩ |
| يقول العبد يوم القيامة: يارب، لا أجيز على نفسى إلا شاهداً منى | | ٤/ ٣٨٥ |
| يقومون حتى يبلغ الرشح أطراف آذانهم | ابن عمر | ٦/ ١٧٩ |
| يكون فى القيامة ثلاث عرضات | أبو موسى | |
| يلتئم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه | أبو سعيد | ٣/ ٣٦١ |
| يمنعكم من ذلك قولكم عيسى ولد الله | | ١/ ٢٩٢ |
| يموت المرء على ما عاش عليه | | ٥/ ١٤٠ |
| ينتهى إليها ما يصعد إلى السماء، وينتهى إليها ما يهبط من فوق | | ٥/ ٢٩٠ |
| ينزل – عيسى – على ثنية فوق جبل من جبال بيت المقدس | | ٥/ ١١٣ |
| اليهود | عدى بن حاتم | ١/ ٣٩ |
| يؤتى بالرجل العظيم الطويل الأكول والشروب يوم القيامة، فيوزن فلا يزن جناح بعوضة | | ٢/ ١٦٤ |
| يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقال له: ماذا عملت بمالك؟ | أبو هريرة | ٦/ ٢٢٧ – ٢٢٨ |

| | | |
|---|---|---|
| يؤتى بعبد يوم القيامة وقد ظلم هذا، وشتم هذا | أبو أمامة الباهلى | ٤ / ١٧٠ – ١٧١ |
| يؤتى بالمؤمن يوم القيامة فيعرض عليه صغار ذنوبه | أبو ذر | ٤ / ٣٤ |
| يؤتى بناس من الناس يوم القيامة إلى الجنة حتى إذا | عدى بن حاتم | |
| دنوا منها | | ١ / ٤٩٣ – ٤٩٤ |
| يوشك أن يحسر الفرات على جبل من ذهب | | ٦ / ١٧٢ |
| اليوم انتصفت العرب من العجم وبى نصروا | | ٥ / ٢٠٢ |

# ( ٤ ) فهرس الشعر

## - باب الهمزة -

### فصل الهمزة المضمومة


| | | | |
|---|---|---|---|
| أتهجوهُ ... | الفداءُ | حسان بن ثابت | ١/٥٧، ٣/١١٧، ٤/١٠٧، ٥/٣٨ |
| ونشربها ... | اللقاءُ | | ١/٢١٩ |
| أرونى ... | السواءُ | زهير بن أبى سلمى | ١/٣٢٩ |
| فإن ترك ... | لقاءُ | زهير بن أبى سلمى | ١/٣٢٩ |
| كيف نَوْمِى ... | شعواءُ | عبد الله بن قيس الرقيات | ١/٣٣٨ |
| بيتوا أمرهم ... | ضوضاءُ | | ١/٤٥٢ |
| علىٌّ والثلاثة ... | خفاءُ | | ٢/٢٢٢ |
| فسبطٌ ... | كربلاءُ | | ٢/٢٢٢ |
| أذنتنا ... | الثواءُ | | ٢/٢٨٥ |
| أجمعوا ... | ضوضاءُ | | ٣/١٣ |
| ألا أبْلِغ ... | هواءُ | | ٣/١٢٣ |
| وجارٍ ... | والرجاءُ | | ٣/٢٨٥ |
| فى غير ... | والحياءُ | | ٣/٤٢٠ |
| هجوت ... | الجزاءُ | حسان بن ثابت | ٤/٧٥ |
| فإن أبى ... | وقاءُ | حسان بن ثابت | ٤/٧٥ |
| ومن يهجو ... | سواءُ | حسان بن ثابت | ٤/١٧٥ |
| ولا أدرى ... | نساءُ | | ٥/٢٢١ |

## فصل الهمزة المفتوحة


| | | | |
|---|---|---|---|
| بطيزناباذ... | الماءَ | أبو نواس | ١٧٥/٥ |
| وفى الجحيم... | أمعاءَ | | ١٧٥/٥ |


## فصل الهمزة المكسورة


| | | | |
|---|---|---|---|
| ليس من ... | الأحياءِ | عدى بن الرعلاءَ | ٤٦٨/٤،٣٠٨/١ |
| إنما الميتُ | الرجاءِ | عدى بن الرعلاءَ | ٣٠٨/١ |
| أحسن ... | النساءِ | عمرو بن ربيعة | ٢٨٣/٥ |
| طلبوا... | بقاءِ | | ٤٢٤/٤ |


## باب الباء

## فصل الباء المضمومة


| | | |
|---|---|---|
| ألم تر ... | يتذبذبُ | ٥٨/١ |
| ومن يك... | لغريبُ | ٧٥/١ |
| وداع ... | مجيبُ | ١٨٦/١ |
| وما هو ... | أجيبُ | ٢٦٢/١ |
| وأبدا... | لايغضبُ | ٤٠٥/١ |
| ولقد ... | يغضبُوا | ٨/٢ |
| وأنهم ... | العربُ | ٤٩/٢ |
| مانقموا... | غضبُوا | ٣٢٧/٢،٤٩/٢، ١٩٨/٦ |
| لئن كانت ... | ذنوبُ | ١٩٦/٢ |
| وأنهم سادة... | العربُ | ١٩٨/٦،٣٢٧/٢ |
| ولقد طعنت... | يغضبُوا | ٤٢٠/٢ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| حلفت ... | مذهبُ | النابغة الذبيانى | ٢/٤٤١ |
| فإنك إن ... | عصيبُ | | ٢/٤٤٤ |
| كأنه ... | منقضبُ | | ٣/١٣٣ |
| خفضت... | ومرحبُ | | ٣/٣٢٧ |
| ومال الولاء... | يكتبُ | | ٤/١٢٣ |
| فلا تسألنى ... | غريبُ | | ٤/١٢٦ |
| استحدث ... | طربُ | | ٤/٣١٨ |
| كحلاء... | ذهبُ | ذو الرمة | ٤/٣٩٩ |
| فتلّه... | منتصبُ | | ٤/٤٠٨ |
| وكل ذى... | يؤوبُ | | ٤/٤٢٩ |
| وقالت له ... | تثقبُ | | ٥/٤٢ |
| بثينة... | مريبُ | | ٥/٢٤٣ |
| به جيف ... | فصليبُ | | ٦/٨ |
| ومضت ... | وأنصبُ | | ٦/١٨٧ |
| لمياء... | شنبُ | ذو الرمة | ٦/٢٠٨ |
| وكل ذى ... | لايؤوبُ | | ٦/٢١٥ |
| فلو كنت... | ساغبُ | | ٦/٢٣٠ |


## فصل الباء المفتوحة


| | | | |
|---|---|---|---|
| فدى لبنى... | أشهبَا | | ١/٢٨٥ |
| وكأين ... | المصابَا | جرير | ١/٣٦٤ |
| بنى أسد ... | أشهبَا | | ٢/١١٣ |
| تروحنا... | تؤوبًا | | ٢/٢٠٤ |
| أرى ... | الذيبَا | | ٢/٣٧٩ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| أبنى حنيفة ... | أغضبَا | | ٣/٢٠ |
| فولى مدبراً... | الحسابَا | | ٣/٥٣٦ |
| أقلّى... | أصابَا | | ٤/٢٦٤ |
| قضى... | أجابَا | | ٤/٢٧٢ |
| غيباً... | سبأَ | الأزهرى | ٤/٣٢٩ |
| أبلغ ... | ولاكذبَا | | ٥/٢٧٤ |
| فانقض... | طنبَا | | ٦/٦٧ |


## فصل الباء المكسورة


| | | | |
|---|---|---|---|
| صبا... | يصبِى | | ١/٨٨ |
| تلك خيلى... | كالذبيبِ | | ١/٩٢،٦/١٣١ |
| وكيف... | مرحبِ | | ١/١١٠ |
| أرانا... | وبالشرابِ | | ١/١١٥ |
| أتانى... | عائبِى | | ١/٢٣٢ |
| أمرتُك... | نسبِ | | ١/٣٨٢ |
| كطود... | والمهربِ | الجعدى | ١/٤٧٠ |
| إذا شاب... | الحليبِ | | ٢/١٨٠ |
| ولاعيب... | الكتائبِ | | ٢/٣٢٨ |
| تلك... | كالذهبِ | | ٢/٣٦٢ |
| خفاهن... | مركبِ | | ٣/٨١ |
| تطالبنى... | والضبابِ | جرير | ٣/١٣٤ |
| وقاع... | والمناكبِ | | ٣/١٣٧ |
| جزى الله... | كاذبِ | | ٣/١٤١ |
| يومان... | تأويبِ | | ٣/٢٣٤ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| أرانا . . . | وبالشرابِ | | ٣/ ٢٤٦، ٤/ ٦٢ |
| قفلت . . . | المحصبِ | | ٣/ ٢٥٨ |
| لا استكين . . . | الطَّلبِ | | ٤/ ٦١ |
| كليني لهمٍّ . . . | الكواكبِ | النابغة الذبياني | ٤/ ١١٦ |
| بطخفة جالدنا . . . | نَحْبِ | جرير | ٤/ ٢٧٢ |
| فلمتاً مُدمَّاه . . . | مُذْهبِ | | ٤/ ٢٨٤ |
| فكة إلى . . . | الأطنابِ | | ٤/ ٣٨٣ |
| ولاتحسبون . . . | لازبِ | | ٤/ ٣٩٣ |
| ورفعت . . . | ثيابى | | ٤/ ٤١٦ |
| فخرَّ . . . | ذنبِ | | ٤/ ٤٣٧ |
| خليليَّ . . . | المعذبِ | | ٥/ ٢٤٢ |
| ألم تر . . . | تطيبِ | | ٥/ ٢٤٢ |
| وقد نقبت . . . | بالإيابِ | امرؤ القيس | ٥/ ٢٤٧ |
| فإنكما إن . . . | أم جندبِ | | ٦/ ١٠٨ |


## فصل الباء الساكنة


| | | | |
|---|---|---|---|
| وأن الأخضر . . . | العربْ | الفضل بن عباس بن عتبة بن أبى لهب | ٢/ ٤٤٧، ٤٤٨ |
| من يساجلنى . . . | الكربْ | الفضل بن عباس بن عتبة بن أبى لهب | ٢/ ٤٤٧، ٤٤٨ |
| أبلغوا عنى . . . | الكواكبْ | الخليل بن أحمد | ٤/ ١٠٥ |
| عالمٌ أن . . . | واجبْ | الخليل بن أحمد | ٤/ ١٠٥ |
| أبرزوها . . . | أترابْ | | ٥/ ٣٥٦ |

## باب التاء

### فصل التاء المضمومة


| | | |
|---|---|---|
| ولكنهم باتوا ... | البغتُ | ٣/ ٧١ |
| وليلة ذات ... | ليتُ | ٣/ ٢١٢، ٥/ ٢٣٢ |
| يا أيها الراكب ... | الصوتُ | ٣/ ٢٦١ |
| فما أدعُ ... | مشيتُ | ٥/ ١٥٨ |


### فصل التاء المفتوحة


| | | |
|---|---|---|
| وذى ضغنٍ ... | مقيتًا | ١/ ٤٥٥ |
| أن العراق ... | هيتَا | ٣/ ٢٠ |


### فصل التاء المكسورة


| | | |
|---|---|---|
| لدوا للموت ... | الفواتِ | ١/ ١٧٠ |
| حلفت برب ... | مقلَّدَاتِ | ١/ ١٩٦ |
| قليل الألايا ... | برت | ١/ ٢٢٨ |
| هن اللواتى ... | لداتِى | ١/ ٤٠٦ |
| قليل الأيا ... | برتِ | ٣/ ٥١٣ |
| فإن تكن ... | وقلتِ | ٤/ ٢٤٧ |
| هل أنت .... | مالقيتِ | ٦/ ٢٤٣ |


## باب الثاء


| | | |
|---|---|---|
| أهاجتك ... | الأثاث | ٣/ ١٩٢ |
| فكن حديثا ... | أحاديث | ٣/ ٤٧٦ |

## باب الجيم

### فصل الجيم المضمومة


| | | |
|---|---|---|
| ولى فرس... | مسرجُ | ١/ ١٩٤ |
| لاتسكع الشول ... | الناتجُ | ٣/ ١٤٤ |
| بأرعن مثل... | تهملجُ | ٤/ ١١٨ |
| فجالت فالتمست.. | مريجُ | ٥/ ٢٣٥ |


### فصل الجيم المفتوحة


| | | |
|---|---|---|
| متى تأتنا... | تأججَا | ١/ ٧٧ |
| تركنا ديارهم... | والبروجَا | ٤/ ٦٠ |


### فصل الجيم المكسورة


| | | |
|---|---|---|
| فلثمت فاها... | الحشرجِ | ٥/ ٣٥٢ |


### فصل الجيم الساكنة


| | | |
|---|---|---|
| ياحبذا القمراءُ... | النساجْ | ٦/ ٢٤٢ |


## باب الحاء

### فصل الحاء المضمومة


| | | |
|---|---|---|
| قد علمت... | يفلحُ | ١/ ٤٥ |
| بدت مثل... | أملحُ | ١/ ١٢٥، ٤/ ٤١٧ |
| فقل للحواريات... | النوابحُ | ١/ ٣٢٣، ٥/ ٢٧١، ٥/ ٤٣٣ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| تغيرت البلاد .. | قبيحُ | | ٣١/٢ |
| بدت مثل قرن... | أملحُ | | ١٩١/٣ |


## فصل الحاء المفتوحة


| | | | |
|---|---|---|---|
| ورأيت زوجك... | ورمحاً | | ١/٢٤٩،٢/١٧، ٤/١٠،٤١١ |


## فصل الحاء المكسورة


| | | | |
|---|---|---|---|
| ونحن على... | القماحِ | | ٤/٣٦٨ |
| ألستم خير... | راحِ | جرير | ١/٦٤،٦٤/٢٥٤ |
| لو كان حي... | الرماحِ | | ٣/٤٦٢ |
| أخاك أخاك... | سلاحِ | | ٤/١٤٠ |
| وإن ابن عم... | جناحِ | | ٤/١٤٠ |
| كم رأينا من... | بطلحِ | | ٥/٣٥٤ |


## فصل الحاء الساكنة


| | | | |
|---|---|---|---|
| ذا جبارٍ... | اجترحْ | | ٢/١٣ |
| نحن بن جعدة | بالفرحْ | الأعشى | ٣/٤٣٢ |
| إنما نحن ... | صلحْ | | ٣/٥١٣ |
| أرى الموت... | أروحْ | العتبى | ٦/٢٥١ |
| فعسر بين يسرين... | فافرحْ | العتبى | ٦/٢٥١ |


## باب الدال

## فصل الدال المضومة


| | | | |
|---|---|---|---|
| ألا حبذ... | البعد | | ١/٨٠ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| أُبَيَّ... | عبد | | ٢/٤٩ |
| عشية لاعفراء... | بعيدُ | | ٢/١٨٨ |
| إذا كانت... | مهندُ | | ٢/٢٧٥ |
| لقد جمحت... | خمدوُا | | ٢/٣١٧ |
| ولقد سئمت... | لبيدُ | لبيد | ٢/٣٧٤ |
| وغنيت... | خلودُ | لبيد | ٢/٣٧٤ |
| إن الخليط... | وعدُوا | | ٣/٥٣٥ |
| فقد سلبت... | تذودُ | | ٤/١٣١ |
| تشط غداً... | أبعدُ | عمر بن أبى ربيعة | ٤/٤٣٢ |
| ابنى لبينى... | عضدُ | | ٤/٤٦١ |
| مليك على... | وتسجدُ | | ٥/٤١٥ |
| أغرٌّ عليه... | ويشهدُ | حسان بن ثابت | ٦/٢٥٠ |
| وضم الإله... | أشهدُ | حسان بن ثابت | ٦/٢٥٠ |
| وشق له... | محمدُ | حسان بن ثابت | ٦/٢٥٠ |
| علوته بحسامى... | الصمدُ | | ٦/٣٠٤ |


## فصل الدال المفتوحة


| | | |
|---|---|---|
| فإن شئت... | بردَا | ١/٢٥٢ |
| لاترتجى... | واحدَا | ١/٤٧٥ |
| أرينى... | مخلدَا | ٢/١٣٦، ٤/٢٢ |
| لاهم أنى... | الأتلدَا | ٢/٢٨٩ |
| وإن قريشاً... | هجدَا | ٢/٢٨٩ |
| مالفقير الذى ... | سبدَا | ٢/٣١٨ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ياصاحبى... | التفنيدَا | | ٦٤/٣ |
| تضيفته... | قائدَا | | ١٢٦/٣ |
| أبيت نجيًّا... | لُدًّا | | ٣١٧/٣ |
| رمى الحدبان... | همودَا | | ٤٢١/٣ |
| فرد شعور... | سودَا | | ٣٠٥/٥،٤٢١/٣ |
| قالت فتيلة... | همدًّا | | ٤٢١/٣ |
| لاترتجى... | واحدَا | | ١٤/٤ |
| إنى الشيخ... | الشردَا | | ٤٣٥/٢ |
| فتى لو تنادى... | المقالدَا | | ٦٧/٥ |
| سبحان من سخر... | واطردَا | | ١٠٠/٥ |
| فصار يخدم... | وإن بعدَا | | ١٠٠/٥ |
| كل بما عنده... | نال واعتقدَا | | ١٠٠/٥ |
| فإن أكلوا... | مجدَا | | ٢٢٨/٥ |
| رمى الحدثان... | سمودَا | | ٣٠٥/٥ |
| فإن شئت... | ولابردَا | | ١٣٩/٦ |
| قوم يصالح... | مؤصدَا | | ٢٣١/٦ |


## فصل الدال المكسورة


| | | | |
|---|---|---|---|
| قالت ألا ليتما... | فقدِ | النابغة الذبيانى | ٦١/١ |
| فقلت لهم... | المسردِ | | ٧٥/١ |
| إذا أكل... | الجرادِ | | ٢٢٥/١ |
| عن المرء لاتسأل... | يقتدِى | | ٤٢٨/١ |
| وإنى إذا ... | موعدِى | عامر بن طفيل | ٤٦٥/١ |
| تحسهم السيوف... | الحصيدِ | | ٣٦٦/١ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| فاعط ما أعطيته... | والناكد | | ٢/١٨٩ |
| ولقد علمت... | بالمرصد | | ٢/٢٨٧ |
| ونائحة تنوح... | الصعيد | | ٢/٤٤٦ |
| صادياً يستغيث... | المنجود | | ٣/٣٧ |
| فعفوت عنكم... | سرمد | | ٣/٦٢ |
| تمنى رجال ... | بأوحد | | ٣/٧٢ |
| أخشى على أربد... | والأسد | لبيد بن ربيعة | ٣/٨٤ |
| فجعنى البرق... | النجد | لبيد بن ربيعة | ٣/٨٤ |
| فأصبحت فيما... | باليد | | ٣/٨٥ |
| لو أن سلمى... | ويدى | | ٣/١٠٦ |
| وبعد أهلى... | اليد | | ٣/١٠٦ |
| ومن ورائك... | ولاباد | | ٣/١٠٩ |
| استعجلونا... | لورّاد | | ٣/١٨٢ |
| إن يغبطوا... | والنكد | | ٣/٢٢٧ |
| تمنى رجال... | بأوحد | | ٣/٣٢١ |
| فإن تدفنوا... | لانقعد | | ٣/٣٢٥ |
| ياحبذا القصر... | بادى | | ٣/٤٠٢ |
| ترقى قراقيره... | والحادى | | ٣/٤٠٢ |
| ماذا أوجد... | إياد | الأسود بن جعفر | ٣/٤٤٤، ٤٤٥ |
| وأرى النعيم... | نفاد | الأسود بن جعفر | ٣/٤٤٤، ٤٤٥ |
| وقعت فيها... | أحد | | ٣/٥٣٤ |
| حلوا... | أطواد | | ٤/٥٠ |
| غدوت صباحاً... | الممرد | | ٤/١٠٢ |
| لقد أسمعت... | أنادى | | ٤/١١٣ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| تمنى رجال... | بأوحد | | ٤/٢٢٧، ٦/٥٩ |
| ستبدى... | تزود | | ٤/٣٨٧ |
| ولقد غنوا... | الأوتاد | | ٤/٤٢٧ |
| إن الذى... | خالد | | ٤/٤٧٠ |
| لم يؤده... | بإقليد | | ٤/٤٧٩ |
| سعد بن زيد... | أحد | | ٥/٦٦ |
| فى شباب... | معد | | ٥/٣٠٩ |
| كهش الإزاد... | أنجد | دريد بن الصمة | ٦/٢٨ |
| أعاذل إن... | المتردد | | ٦/١٤٩ |
| وبث الخلق... | التنادى | | ٦/١٥١ |
| ياجارتى هل... | بالجلامد | | ٦/١٦٢ |
| ومنا الذى... | يوأد | | ٦/١٦٧ |
| ياعين هلا... | كبد | الفرزدق | ٦/٢٢٧ |
| أرى الموت... | المتشرد | لبيد | ٦/٢٧١ |
| والشمس تطلع... | يتورد | | ١/٢٤٣ |
| يا ابن أمى... | كؤود | | ٢/٢١٦ |
| ألا يا سهيل... | فبرد | | ٣/١٨٣ |
| إن بنى الأدرم... | عده | | ٤/٢٤٦ |
| ألا بكر... | الصمد | | ٦/٣٠٣ |


## باب الراء

### فصل الراء المضومة


| | | | |
|---|---|---|---|
| عنينا | الدهر | حاتم الطائى | ٢/١٩٧ |
| فما زادنا... | الفقر | حاتم الطائى | ٢/١٩٧ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| إذا جاء ... | الساحر | | ٢/٢٠٢ |
| أنت عصا ... | الساحر | | ٢/٢٠٢ |
| أعمى ... | الجذر | مسكين الدارمى | ٢/٢٣٣ |
| أصم ... | وقر | مسكين الدارمى | ٢/٢٣٣ |
| بأن الشباب ... | الدهر | | ٢/٣٦٩ |
| إن لقيما ... | باروا | | ٣/١١٧ |
| بئس الضجيع ... | السكر | | ٣/١٨٥ |
| مستقبلين ... | منثور | الفرزدق | ٣/٢٦٢ |
| رأت ... | فيخصر | عمر بن أبى ربيعة | ٣/٣٦٠ |
| فليس ... | النضر | | ٣/٤٠٣ |
| ولا عائدا ... | الشكر | | ٣/٤٠٣ |
| شاده ... | وكور | | ٣/٤٤٤ |
| وما كادت ... | البصير | | ٣/٥٣٧ |
| إذ أبارى ... | مثبور | | ٤/١٠ |
| يارسول ... | بور | ابن الزبعرى | ٤/١٢، ٥/٣٢١ |
| وإنك ... | حمار | | ٤/٤٦ |
| أمن آل ... | فمهجر | ابن أبى ربيعة | ٤/٧٤ |
| ألا ياسلمى ... | القطر | | ٤/٩١ |
| إنما البشر ... | وغدير | الطائى | ٤/٢٠١ |
| وغاب ... | سمر | عمر بن أبى ربيعة | ٤/٣٧٨ |
| وإن صخرا ... | نار | الخنساء | ٥/٧٩، ٣٢٨ |
| ثم بعد ... | القبور | | ٥/٩٧ |
| ما كان ... | عمر | جرير | ٥/١٠٣ |
| يا آل بكر ... | الفرار | | ٥/١٢٩ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| لعمرك... | الصدر | | ٥/٢٤١ |
| لاتعبدوا... | ينتصر | | ٥/٢٩٤ |
| ولا ألزم... | لاتسحروا | | ٥/٣٨٦ |
| وهان... | مستطير | | ٥/٤٠٣، ٦/١١٥ |
| بنى عمنا... | قماطر | | ٦/١١٧ |
| سعى... | منتشر | | ٦/٢٣٧ |
| والمرء... | الأثر | | ٦/٢٣٧ |
| تروح بنا... | والأجر | | ٦/٢٧٨ |


## فصل الراء المفتوحة


| | | | |
|---|---|---|---|
| وأشهد... | المزعفرا | | ١/١٥٨ |
| لا ألوم... | القفندرا | | ١/١٦٠ |
| فدعها... | وهجرا | | ١/١٧٧ |
| فقلت... | فنعذرا | امرؤ القيس | ١/٣٥٦ |
| وسقاك... | مدرارا | | ٢/٨٩ |
| فاثت... | أحمرا | | ٢/١٣٠ |
| لقد علمت... | القرى | | ٢/٢٧٣ |
| لله قبر... | ووقارا | أبو عريف الكليبى | ٢/٢٩٧ |
| عند الصباح... | الكرى | | ٢/٤٤٦ |
| نأتى النساء... | إكبارا | | ٣/٢٦ |
| يراوح... | جؤارا | | ٣/١٧٩ |
| وأكرم | نفيرا | | ٣/٢٢٠ |
| وأعددت... | ذكورا | | ٣/٣٤٨ |
| ولما رأى... | أضمرا | | ٣/٣٦٨ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ألف... | كسيرا | | ٣/ ٤٤٠، ٤٣٩/٤ |
| نحل... | وحميرا | | ٣/ ٤٦١ |
| لاتلومونى... | الهواجرا | | ٤/ ١٣٢ |
| أيها... | الأوطار | | ٤/ ٢٨٨ |
| لست من... | نفرا | | ٤/ ٣٨٨ |
| لعمرى... | أبجرا | | ٤/ ٣٩٨ |
| من القاصرات... | لاترى | | ٤/ ٤٤٩ |
| بلغت... | مظهرا | النابغة الجعدى | ٥/ ١٠١ |
| فالشمس... | والقمرا | | ٥/ ١٢٧ |
| ومن نسج... | فعيرا | | ٥/ ٣٥١ |
| أخو الحرب... | شمرا | | ٦/ ٢٨ |
| أأزمعت... | تزارا | | ٦/ ٥١ |
| منعمة... | ولازمهريرا | | ٦/ ١١٧ |
| توقع إذا... | قسرا | سليمان بن أحمد الرقى | ٦/ ٢٥٢ |
| ترى الله... | يسرا | سليمان بن أحمد الرقى | ٦/ ٢٥٢ |


## فصل الراء المكسورة


| | | |
|---|---|---|
| بجمع... | للحوافر | ١/ ٨٣ |
| تمنى... | المقادر | ١/ ٩٩، ٣، ٤٤٧/٤ |
| شهد... | بالغدر | ١/ ١١٤ |
| وجاشت... | معتمر | ١/ ١٥٨ |
| ولأنت تفرى... | لايفرى | ١/ ١٦٢، ١، ٣٠٦، ٣/ ٦٧٤، ٤، ١٧٣ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| لايبعدن... | الجزر | | ١/١٧٢ |
| النازلين... | الأزر | | ١/١٧٢،١/٥٠١ |
| وإذا سكرت... | والسدير | | ١/٢١٩ |
| وإذا صحون... | والبعير | | ١/٢١٩ |
| فلا تبك... | أبى بكر | | ١/٢٥١،٥/٢٤ |
| من كان... | نهار | | ١/٣٣١ |
| ألا إن خير... | والنكر | | ٢/٤٣ |
| وفى الجهل... | قبور | | ٢/١٤١ |
| وإن امرأ... | نشور | | ٢/١٤١ |
| كم عم لك... | عشارى | الفرزدق | ٢/١٦٢ |
| تأذن... | يسار | | ٢/٢٢٥ |
| إن رأيت... | الأثر | | ٢/٢٦٨ |
| أرعى... | أطمار | | ٢/٤١١ |
| سهل... | الأنهار | | ٣/٢٨٦ |
| نال... | قدر | | ٣/٣٣١ |
| لو أسندت... | قابر | الأعشى | ٣/٣٧٣،٦/١٢٦، ٦/١٥٩ |
| حتى يقول... | الناشر | الأعشى | ٣/٣٧٣،٦/١٢٦، ٦/١٥٩ |
| وإن حراما... | عمرو | | ٣/٤٠٧ |
| تثنى... | خضر | | ٣/٤٢٢ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| فرب... | السور | | ٤/٢٦ |
| فإن تسألينا... | المسحر | | ٤/٦٢ |
| ألا يسلمى... | الدهر | | ٤/٩١ |
| وأدرك... | الكدر | الأخطل | ٤/١١٠ |
| مضى... | للوليد | | ٤/١٢٥ |
| رهبان... | القادر | | ٤/١٣١ |
| سالتانى... | بنكر | | ٤/١٦٠،١٦١ |
| وى كأن... | ضر | | ٤/١٦٠،١٦١ |
| رأيت... | نذير | | ٤/٢٢٢ |
| فإنك... | وختر | | ٤/٢٣٩ |
| أناب... | والشكر | | ٤/٣١٨ |
| ولم يبق... | جحرى | | ٤/٣٩٥ |
| إن أ رقت... | السارى | | ٤/٤٣١ |
| أعينى... | وضامر | | ٥/٣١١ |
| لقد خفت... | معشر | | ٥/٤٤٧ |
| إن العواذل... | بأمير | | ٥/٤٧٩ |
| وكأن طعم... | الخمر | | ٦/١١٩ |
| على أن... | الجزر | | ٦/١٣٣-١٣٤ |
| على أن ... | المجير | | ٦/١٣٣-١٣٤ |
| على أن ... | الخدور | | ٦/١٣٣-١٣٤ |
| على أن ... | الكبير | | ٦/١٣٣-١٣٤ |
| على أن ... | المستجير | | ٦/١٣٣-١٣٤ |
| أحافرة... | وعار | | ٦/٢٤٨ |
| هن الحرائر... | بالسور | | ٦/٢٥٦ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| أبا حكم... | المتناحر | | ٦/٢٩٢ |


## فصل الراء الساكنة


| | | | |
|---|---|---|---|
| ألا إن هذا... | بمستمر | | ١/٤٩ |
| ألكنى إليها... | الخبر | | ١/٦٣ |
| يهل... | المعتمر | | ١/١٦٩ |
| لا أرى الموت... | الفقير | سيبويه | ١/٣١١ |
| أوقد... | صر | | ١/٣٥٠ |
| عسى... | حر | | ١/٣٥٠ |
| هم الحكام... | شجر | | ١/٤٤٤ |
| إلى الحول... | اعتذر | لبيد | ٢/٣٣٥ |
| جذذ الأصنام... | المقتدر | | ٣/٣٧٨ |
| تروح من... | تنتظر | | ٤/٤٢ |
| وكتب عليه... | حاذر | | ٤/٤٨ |
| ودعوتنى... | تامر | | ٤/٣٨٣ |
| لولا الثريد... | بالنهر | | ٥/٣٢١ |
| سلام الإله... | درر | | ٥/٣٢٤،٣٦٧ |
| ألا وابيك... | افر | | ٦/١٠١ |
| أقسم بالله... | فجر | | ٦/١٠٣ |
| لعمرك... | الكبر | | ٦/١٠٤ |
| إلى الحول... | اعتذر | | ٦/٢٠٦ |


## باب الزاى

## فصل الزاى المضمومة


| | | | |
|---|---|---|---|
| لادر درى... | مكنوز | | ٢/٣٠٣ |

## فصل الزاى المكسورة


| | | |
|---|---|---|
| أترغب... | والعجوز | ٤/ ٢٨٠ |


## باب السين

## فصل السين المضمومة


| | | |
|---|---|---|
| ملك... | المتبلس | ٢/ ١٠٤ |
| وأنت... | مقدس | ٣/ ٣٢٣ |
| فباتوا... | هموس | ٣/ ٣٥٦ |
| يارب... | وطرسوس | ٣/ ٤٥٨ |
| حنت... | الدهاريس | ٤/ ١٥ |


## فصل السين المفتوحة


| | | |
|---|---|---|
| ياصاح... | وأبلسا | ١/ ٢،٦٧/ ١٠٤، ٤/ ٢٠٠ |
| إذا ما الضجيع... | لباسا | ١/ ١٨٧ |
| فهن... | لميسا | ١/ ٢٠٠ |
| فلو أنها... | أنفسا | ٣/ ٩٤ |
| يومين... | شمسا | ٣/ ١١٠ |
| تميم... | مساسا | ٣/ ٣٥٣ |
| يضيء... | نحاسا | ٥/ ٣٣١ |
| دعوت... | الناقوسا | ٥/ ٤١٤ |


## فصل السين المكسورة


| | | |
|---|---|---|
| فى كفه... | القبس | ٤/ ٧٧ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| الواردون... | الجواميس | | ٤/٨٩ |
| ولولا كثرة... | نفس | الخنساء | ٥/١٠٤ |
| وما يبكون... | بالتأسى | الخنساء | ٥/١٠٤ |


## باب الشين

### فصل الشين المفتوحة


| | | |
|---|---|---|
| أورثنى... | مشا | ٢/١٤٩ |
| وقريش... | قريشا | ٦/٢٨٧ |
| تأكل... | ريشا | ٦/٢٨٧ |
| هكذا... | كميشا | ٦/٢٨٧ |
| ولهم آخر... | والخموشا | ٦/٢٨٧ |


## باب الصاد

### فصل الصاد المضمومة


| | | |
|---|---|---|
| أمن ذكر... | وتبوص | ٤/٤٢٤ |


### فصل الصاد المفتوحة


| | | |
|---|---|---|
| فما ذنبنا... | الدعامصا | ٦/٢٤٢ |


## باب الضاد

### فصل الضاد المفتوحة


| | | |
|---|---|---|
| إذا أكت... | عرضا | ١/٤٨٠ |
| كادت... | مامضى | ٣/٥٢ |


### فصل الضاد المكسورة


| | | |
|---|---|---|
| أبا منذر... | بعض | ٣/٢٨٢ |
| أبا منذر... | الدحض | ٤/٤١٣ |

## باب الطاء

### فصل الطاء المضمومة


| | | | |
|---|---|---|---|
| حتى متى... | يغلط | | ٣/٢٨ |


### فصل الطاء المفتوحة


| | | | |
|---|---|---|---|
| أمست... | واسطا | | ٦/١٤٥ |


### فصل الطاء المكسورة


| | | | |
|---|---|---|---|
| حشونا... | الصراط | | ٢/١٩٥ |


## باب العين

### فصل العين المضمومة


| | | | |
|---|---|---|---|
| أمن ريحانة... | هجوع | | ١/٤٩ |
| أخبر... | راكع | | ١/٧٣ |
| وعليهما... | تبع | | ١/١٣١ |
| حلفت... | طائع | | ١/٢١٣، ٥/٩٧ |
| أكفلتينى... | طائع | النابغة | ١/٣٤٩ |
| الله بينى... | وأتبع | | ١/٤٢٣ |
| وخيل... | وجيع | الفرزدق | ١/٤٩١ |
| لنا قمراها... | الطوالع | | ٢/٨٢ |
| لنا القدم... | تابع | | ٢/٢٢٦ |
| ياليت... | مجمع | | ٢/٣٩٤ |
| وكانهن... | ويصدع | | ٣/١٥٤ |
| وما الناس... | رافع | | ٣/٢٢٠ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| لما ... | الخشع | | ٣/٣٥٦ |
| على حين... | وازع | | ٤/٨٤ |
| لعمرك... | صانع | | ٤/١٠٤ |
| أكلفتنى... | راتع | | ٤/١٩٥ |
| يبيت... | المضاجع | حسان بن ثابت | ٤/٢٤٨ |
| حلفت... | طائع | | ٥/٩٧ |
| أخذنا... | الطوالع | | ٥/١٠٣ |
| أمن المنون... | يجزع | | ٥/١٤٢، ٥/٢٧٧ |
| أبى الله ... | ضائع | | ٥/٣٠٩ |
| تحية... | وجيع | | ٥/٣٦٥ |
| زنيم... | الأكارع | | ٦/٢٢ |
| وإنى بحمد الله... | أتقنع | | ٦/٨٩ |
| وما المرء... | ساطع | | ٦/١٩١ |


## فصل العين المفتوحة


| | | | |
|---|---|---|---|
| تقول... | والوجعا | الأعشى | ١/٤٣-٤٤، ٢/٣٣٩ |
| عليك... | مضطجعا | الأعشى | |
| تعلم... | إنقشاعا | | ١/٤٣-٤٤، ٢/٣٣ |
| فدالبنى... | أشنعا | | ٩١/١١٨ |
| فأنكرتنى... | والصلعا | | ٢/١١٣ |
| | | | ٢/٤٤٠، ٥/٢٥٦، ٦/١٢٩ |
| العلم... | اجتمعا | | ٣/٧٨ |
| صنوان... | معا | | ٣/٧٨ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| نغض... | أطمعا | | ٣/١٢٢ |
| تعدون... | المقنعا | | ٣/١٣٠ |
| أبيت... | نزعا | | ٤/١٣١ |
| وكنا... | يتصدعا | متمم بن نويرة | ٤/٢١٨، ٦/١٣٩ |
| له أكاليل... | طبعا | الأعشى | ٤/٢٢٤ |
| فإن تزجراني... | ممنعا | | ٥/٢٤٢ |
| وأنت الذى... | ضيعا | | ٦/٢٣٣ |


## فصل العين المكسورة


| | | | |
|---|---|---|---|
| لعب... | الخروع | | ١/٣٧٤ |
| قتلت... | فارع | | ١/٤٦٢ |
| فأدركت... | راجع | | ١/٤٦٢ |
| فى فيلق... | الدراع | | ٢/٣٧٢ |
| ركاشها... | ما الدعى | الأعشى | ٤/٣٨٤ |
| أسعى... | ساعى | | ٥/٤٣٩ |
| دعاك... | تقطع | الخنساء | ٦/٨١ |
| ونقفى... | بجائع | | ٦/١٤١ |
| ولست... | مصرعى | خبيب بن عدى | ٦/٢٢٤ |
| وذلك... | ممزع | خبيب بن عدى | ٦/٢٢٤ |
| إذا بلغ... | سريع | أبو بكر بن الأنبارى | ٦/٢٥٢ |
| ألم تر... | البديع | أبو بكر بن الأنبارى | ٦/٢٥٢ |
| قوم... | سافع | | ٦/٢٥٨ |


## فصل العين الساكنة


| | | | |
|---|---|---|---|
| صلى على... | مطاع | | ١/١٥٨ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ياليتنى... | وأضع | | ٢/٣١٢ |
| رب من.. | يطع | | ٥/٢١٨ |


## باب الفاء

### فصل الفاء المضمومة


| | | | |
|---|---|---|---|
| وعض... | مجلف | | ٢/٣٠٤/٣٣٧ |
| نحن بما عندنا... | مختلف | | ٢/٣٠٣ |
| ولا وجد... | مشغف | | ٣/٢٥ |
| ويضحك... | كاسف | | ٣/١١٠ |
| تنام... | تتعرف | قيس بن الخطيم | ٣/٥١٠ |
| وكل يوم... | تزدلف | | ٤/٥١ |
| أمهد... | خلف | | ٤/٢١٨ |
| كأنها... | الصدف | | ٥/٣٦١ |
| عمرو العلا... | عجاف | جرير | ٦/٥٨٧ |
| الخالطين... | كالكاف | | ٦/٥٨٧ |


### فصل الفاء المفتوحة


| | | |
|---|---|---|
| طى... | احقوقفا | ٢/٤٦٢،٤/٥١ |
| قد أفنى... | الوظيفا | ٣/١٠٦ |
| عاد السواد... | إذردفا | ٤/١١١ |


### فصل الفاء المكسورة


| | | |
|---|---|---|
| لها صواهل... | الصارف | ٢/٢٢ |
| أفناهم... | جارف | ٤/١٧٢ |
| يخبرهم... | مسيف | ٤/٢١٦ |

## فصل الفاء الساكنة


| | | | |
|---|---|---|---|
| قلت لها... | الإيجاف | | ١/٤١ |
| نحن بما عندنا... | مختلف | | ٥/٤٤٢ |


## باب القاف

## فصل القاف المضمومة


| | | | |
|---|---|---|---|
| لقد زرقت... | أزرق | | ٣/٣٥٤ |
| فيهم... | السلاق | | ٤/٢٦٩ |
| إنى أتيتك... | رمق | | ٣/٥٣٨ |
| دعون.. | صديق | الأعشى | ٣/٥٥١ |
| كجابية... | تفهق | | ٤/٣٢١ |
| من قبلها... | الورق | العباس | ٦/١٩٢ |
| وتنقل... | طبق | العباس | ٦/١٩٢ |


## فصل القاف المفتوحة


| | | | |
|---|---|---|---|
| لاشيء... | رهقا | الأعشى | ٦/٦٦ |
| إن لنا... | سائقا | | ٦/١٩٢ |


## فصل القاف المكسورة


| | | | |
|---|---|---|---|
| إن تحت... | مغلاق | | ١/٢٠٧ |
| وإيسال... | مراق | | ٢/١١٦ |
| قد استوى... | مهراق | | ٢/١٨٦ |
| فلما كففنا... | متألق | | ٣/٥٣٦ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| إذا جئت... | مضيق | | ٤/٤٥٠ |
| وقامت... | ساق | | ٦/٢٨ |
| وإنا لنجرى... | النمارق | | ٦/٢١٤ |


## فصل القاف الساكنة


| | | | |
|---|---|---|---|
| نحن... | طارق | | ٢/٢٠٢ |
| جاء... | النواق | | ٤/٤٧ |


## باب الكاف

## فصل الكاف المضمومة


| | | | |
|---|---|---|---|
| نحن... | الملك | | ٢/٣٩٨ |
| مكلل... | حبك | زهير | ٥/٢٥١ |


## فصل الكاف المفتوحة


| | | | |
|---|---|---|---|
| أقول... | ذلكا | | ١/٤٢ |
| نظرت... | نعالكا | | ١/١١٤ |
| ياعاذلى... | مثلكا | | ١/١٤٥ |
| تجانف... | لوائكا | | ١/١٧٦، ٣/٤٨١ |
| أفى... | عزائكا | | ١/٢٢٩ |
| مورثه... | نسائكا | | ١/٢٢٩ |
| لئن... | يمريكا | | ٥/٢٨٩ |
| يارب... | حماكا | عبد المطلب | ٦/٢٨٤ |
| يارب... | حلالك | عبد المطلب | ٦/٢٨٤ |
| لايغلبن... | محالك | عبد المطلب | ٦/٢٨٤ |

| | | |
|---|---|---|
| ياكاتم... | ثانيكا | ٦/١٧٤ |
| غرك... | مساويكا | ٦/١٧٤ |


## فصل الكاف المكسورة


| | | |
|---|---|---|
| مصابيح... | الدوالك | ٣/٢٦٨ |


## باب اللام

## فصل اللام المضمومة


| | | |
|---|---|---|
| كانت ديارهم... | البصل | ١/٨٦ |
| جزى الله... | يبلو | ١/٧٨ |
| استغفر الله... | العمل | ١/١٢٩، ٤/١٦٤ |
| مثاب لأفناء... | الذوابل | ١/١٣٦ |
| أبوك خليفة... | الكمال | ١/٣٩٣ |
| فلا مزنة... | أبقالها | ٢/١٢٠ |
| لعمرك ما أدرى... | أول | ٢/٢٤٦، ٣/١٤٣، ٤/٢٠٧ |
| لما خلطت... | العادل | ٣/١٦٢ |
| ذكرت أبا أروى... | وكيل | ٣/٢٤٩ |
| رسأصله... | طويل | ٣/٣٧٨ |
| أطالت بك الأيام... | ذاهل | ٣/٤١٦ |
| على مكثريهم... | البذل | ٣/٤٤٠ |
| وهل هند... | بغل | ٣/٤٦٦ |
| فإن نتجت... | الفحل | ٣/٤٦٦ |
| رأيت ذوى... | البقل | ٣/٤٦٩ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| فى فتية... | ينتعل | سيبويه | ٣/٥٠٤ |
| ألا كل شيء... | زائل | لبيد | ٤/١٨٧ |
| إنَّ الذى سمك... | أطول | الفرزدق | ٤/٢٠٧، ٥/٤٥٠ |
| بيت زراره... | نهشل | | ٤/٢٠٧ |
| إنْ تقتلونا... | تفضيل | كعب بن مالك | ٤/٢١٢ |
| إنَّ الرسول... | مسلول | | ٤/٢٩٤ |
| إذا ادببت... | الغزل | | ٤/٣٢٣ |
| قد يدرك... | الزلل | | ٥/١٧ |
| يامن يرى... | الشعل | | ٥/١٥٩ |
| كأنَّ مشيتها... | عجل | الأعشى | ٥/٢٥١ |
| بخيل عليها... | تشتغلوا | | ٥/٣٣٩ |
| إذا لسعته... | عوامل | | ٦/٥٧ |
| يمشين... | تتكل | | ٥/١٢٥ |
| ومطوية... | فزميل | | ٦/١٣٦ |
| فما يدرى الفقير... | يعيل | | ٦/٢٤٥ |


## فصل اللام المفتوحة


| | | |
|---|---|---|
| فانعق... | ضلالا | ١/١٦٨ |
| من اللاء لم... | المغفلا | ١/٤٠٦ |
| تجمع الجيش... | قتيلا | ١/٤٣٥ |
| قد تخللت... | خليلا | ١/٤٨٤ |
| يمسين... | طهاملا | ٢/٥٨ |
| لم يجربه... | العلا | ٢/٨٢ |
| كأن الفتى... | ماثولا | ٢/٣٦٧ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| رأيت... | سلسبيلا | | ٢/١٩ |
| يوم عصيب... | الطوالا | | ٢/٤٤٤ |
| كذبتك عينك... | جبالا | | ٤/٢٤١ |
| وهى تنوش... | الفلا | | ٤/٣٤٢ |
| مازالت تحسب... | رجالا | | ٥/٤٤٧ |
| قد فتن الناس... | طويلا | | ٥/٤٥٩ |
| ذرنى والثعالب... | أمالا | | ٦/٣٠ |
| وأسلمت وجهى... | ثقالا | سعيد بن زيد | ٦/١٥١ |
| دحاها... | جبالا | سعيد بن زيد | ٦/١٥١ |
| المهديات... | مقالا | الأخطل | ٦/٢٤٣ |
| قوم على الإسلام... | التهليلا | | ٦/٢٨٩ |


## فصل اللام المكسورة


| | | | |
|---|---|---|---|
| شربت الإثم... | بالعقول | | ١/٢١٨، ٢/١٧٦ |
| فقالت يمين الله... | أوصالى | | ١/٢٢٧ |
| ألا زعمت بسباسة... | أمثالى | | ١/٢٤٠، ٣/٣٧٢، ٥/٤٥٦ |
| أنصب للمنية... | السيول | سيبويه | ١/٣٧٥ |
| وإنَّ شفائى... | معول | | ١/٤١٤ |
| أريد لأنسى... | سبيل | | ١/٤١٧ |
| وهل ينعمن... | أحوال | | ٢/١٧٨، ٤/٨٠، ٦/٥٨ |
| ما يقسم الله... | البالى | حسان بن ثابت | ٤/٤٢٥ |
| فدع عنك... | الرواحل | امرؤ القيس | ٢/٤٥٣، ٣/٤٧٥، ٦/٣٤ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| بنى إذا ما... | الأهل | | ٣/ ١١ |
| فرع نبع... | المحال | | ٣/ ٨٥ |
| سقى قومى... | هلال | | ٣/ ١٨٣ |
| حفد الولائد... | الأجمال | | ٣/ ١٨٨ |
| عسى فارج الهم... | المحمل | | ٣/ ٢٢٤ |
| فمثلك حبلى... | محول | امرؤ القيس | ٣/ ٣٦٨ |
| والنبع فى الصخرة... | العجل | | ٣/ ٣٨٠ |
| فلما أجزنا... | عقنقل | امرؤ القيس | ٣/ ٤٠٩، ٣/ ٤٣٩ |
| أريد... | سبيل | | ٣/ ٤٣٣ |
| حصان... | الغوافل | حسان بن ثابت | ٣/ ٥١٠ |
| إن يعاقب... | يبالى | | ٤/ ٣٠ |
| رأت... | الهلال | | ٤/ ٣٨ |
| لقد كذب... | برسول | | ٤/ ٤٠ |
| بقيت... | قالى | | ٤/ ٦٣ |
| أحم... | حلال | | ٤/ ٣٤٤ |
| إن تك... | تنسلى | امرؤ القيس | ٤/ ٣٨٢، ٦/ ٨٩ |
| فما زالت... | فالأول | | ٤/ ٣٩٨ |
| أيقتلنى... | أغوال | | ٤/ ٤٠١ |
| لما اكتست... | البقل | | ٤/ ٤٥٠ |
| أعطى... | المُخَّول | | ٤/ ٤٦٠ |
| إذا نظرت... | المتهلل | | ٥/ ١٥٩ |
| وكائن... | المكبل | لبيد | ٥/ ١٧٢ |
| فمن حملن... | مهبل | أبو كثير الهذلى | ٥/ ٢٥١ |
| فلما تنازعنا... | ميال | امرؤ القيس | ٥/ ٢٧٤ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ولما اتقى... | الحجل | جرير | ٥/٣٣٠ |
| كأن بلاد الله... | حابل | | ٥/٣٨١ |
| لما وضعت... | الأخطل | جرير | ٦/٢٢ |
| كأن ثبيراً... | مزمل | | ٦/٧٦ |
| فلا تيأس... | طويل | إسحاق بن بهلول القاضي | ٦/٢٥١ |


## فصل اللام الساكنة


| | | | |
|---|---|---|---|
| أحمد الله... | فعل | لبيد | ١/٥٧ |
| وإذا جوزيت... | الإبل | لبيد | ١/٢٤٧ |
| وكهول... | فابتهل | لبيد | ١/٣٢٧ |
| وإن كنت ... | فخل | | ١/٤٢٧ |
| إن تقوى... | العجل | | ٢/٢٤٤ |
| ومقام حسن... | جدل | | ٣/٣٠٩ |
| نسلان... | فينسل | | ٣/٤٠٨ |
| فاعقلي... | عقل | لبيد | ٣/٤٦٢ |
| عسلان... | فنسل | | ٤/٣٨٢ |


## باب الميم

## فصل الميم المضمومة


| | | | |
|---|---|---|---|
| ومركضة... | والغلام | | ١/٢٣٩ |
| ألا يانخلة... | السلام | | ١/٣١٨ |
| إذا اتصلت... | رواغم | | ١/٤٥٩ |
| وإن أتاه... | حرم | زهير | ١/٤٨٤ |
| رقوني... | هم هم | | ٢/١١٩ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| أتنسى... | البشام | جرير | ٢/٢١٨ |
| أطوف... | حكيم | | ٢/٢٧١ |
| ألا مبلغ... | ظالم | | ٣/٣٨ |
| فلولا... | قائم | | ٣/٩٦ |
| عبادك... | الذموم | | ٣/٢٣٧ |
| ألا من لنفس... | طعم | | ٣/٣٤٤ |
| إن الخليفة... | الخواتيم | | ٣/٤٢٧ |
| عقم... | لعقيم | | ٣/٤٥١ |
| فإن تنكحى... | أتأيم | | ٣/٥٢٥ |
| جزى الله... | أثام | | ٤/٣٣ |
| تقول... | نائم | | ٤/١١٧ |
| جالت... | حرام | امرؤ القيس | ٤/١٢٦ |
| تمخضت... | تمام | | ٤/٣٠١ |
| فحم... | يوم | | ٥/٥ |
| وبصرة... | والحرم | | ٥/١٠٣ |
| هذا الذى... | والحرم | الفرزدق | ٥/١١٣ |
| هذا ابن... | العلم | الفرزدق | ٥/١١٣ |
| لأمر... | النجوم | | ٥/٤٤٩ |
| نظرت... | عارم | | ٦/١٠٨ |
| إلى الله... | يتيم | قيس بن الملوح | ٦/٢٣٠ |


## فصل الميم المفتوحة


| | | | |
|---|---|---|---|
| خيل... | اللجما | | ١/١٧٧ |
| ربة... | سلما | | ١/٣١٤ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| فمن يلق... | لائما | | ٢/١٦٧،٥/٢٨٤ |
| وريش... | لماما | | ٢/١٧٢ |
| أرى... | وتسلما | | ٢/٣٥٩ |
| إن السرى... | أسراهما | | ٣/٢٨٧ |
| لقيت... | أثاما | | ٤/٣٣ |
| من سبأ... | العرما | | ٤/٨٩ |
| سأهدى... | مكرما | حسان بن ثابت | ٤/٢٦٥ |
| لنا الجفنات... | الدما | حسان | ٤/٣٢١ |
| ولم أر... | أعجما | | ٥/٥٦ |
| إن تغفر... | لا ألما | | ٥/٢٩٨ |
| ويوم... | غراما | | ٥/٣٦١ |
| مجداً... | إرما | ابن قيس | ٦/٢٢٠ |


## فصل الميم المكسورة


| | | |
|---|---|---|
| أمير... | مستقيم | ١/٣٩،٣/١٤٠ |
| هم وسط... | بمعظم | ١/١٤٩ |
| ومن هاب... | بسلم | ١/١٦٦ |
| ثلاث... | شمام | ١/١٩٨ |
| رأيت... | فيهرم | ١/٢٧٩ |
| مشين... | النواسم | ١/٢٨٤ |
| فيها... | الأسحم | ١/٣١٦ |
| فكيف... | كرام | ١/٤١١ |
| شططت... | مخرم | ٢/٣٧٢،٤/٤٣٢ |
| وحليل... | الأعلم | ٢/٢٦١ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| لعمرك ... | النعام | حسان بن ثابت | ٢/٢٨٨ |
| أقول ... | زهدم | | ٣/٥٥،٩٥ |
| ماوى ... | بالمسيم | ابن الأعرابى | ٣/١٢٨ |
| تطير ... | للغلام | | ٣/٢٢٥ |
| أهش ... | والبشام | | ٣/٣٢٦ |
| ذم ... | الأيام | جرير | ٣/٢٤٢ |
| ومن يجعل ... | يشتم | | ٣/٢٥٨ |
| ولما وردن ... | المتخيم | زهير | ٣/٣٠٧ |
| تزود منى ... | عقيم | الكسائى | ٣/٣٣٨ |
| أحاديث ... | حالم | | ٣/٣٦٩ |
| يدعون ... | الأدهم | | ٣/٤٢٥ |
| هلا سألت ... | تعلم | عنترة | ٤/٢٨ |
| بها العين ... | مجثم | | ٤/٢٩ |
| تولى عند ... | اللزام | | ٤/٣٧ |
| ولقد شفى ... | أقدم | | ٤/١٦١ |
| لقد لامنى ... | بنائم | | ٤/٣٣٥ |
| تطير غدائر ... | للغلام | | ٤/٣٧٢ |
| شككت له ... | وللفم | | ٤/٤٠٨ |
| يذكرنى ... | التقدم | الأشتر النخعى | ٥/٥ |
| أيا ظبية ... | سالم | ذو الرمة | ٥/١٠٩ |
| أولئك آبائى ... | بدارم | الفرزدق | ٥/١١٨ |
| ألم تعلموا ... | إبهام | | ٥/٢٨٦ |
| رُفِعْنَ إلى ... | النعام | الفرزدق | ٥/٣٣٦ |
| رمين فأقصدن ... | الحيازم | | ٦/١٢ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| يتلاحظون... | الأقدام | | ٦/٣٢ |
| إذا أهل... | اللئام | | ٦/٥٧ |
| إذا كانت... | وابن خازم | | ٦/١٢٩-١٣٠ |
| عطست... | قائم | | ٦/١٢٩-١٣٠ |
| طرقتك... | بسلام | جرير | ٦/٢٠٢ |
| كيف أصبحت... | الكريم | أبو زيد الأنصارى | ٦/٢٤٠ |
| وكنت إذا... | بميسم | | ٦/٢٥٨ |


## فصل الميم الساكنة


| | | | |
|---|---|---|---|
| وإن معاوية... | الأمم | | ١/٩٩، ٢١٣ |
| بات يقاسيها... | القدم | | ١/٣١٩ |
| قد لفها... | وضم | شريح بن ضبيع الكندى | ٢/٧ |
| ونشهد... | قيم | | ٢/٦٨ |
| فيا أبتا... | نخترم | الأعشى | ٣/٧ |
| فى الكلم... | التأم | | ٤/١١٥ |


## باب النون

## فصل النون المضمومة


| | | | |
|---|---|---|---|
| وكل فتى... | المنون | النابغة الذبيانى | ٢/١٣ |
| وللموت تغذو... | المساكن | | ٢/٢٣٢ |


## فصل النون المفتوحة


| | | | |
|---|---|---|---|
| ولقد علمت... | دينا | أبو طالب | ١/٤٦ |
| لولا الملامة... | مبينا | أبو طالب | ١/٤٦ |
| أبا هند... | اليقينا | | ١/١١٩، ٥/٣٧٤ |
| ذراعى... | جنينا | | ١/١٨٣ |
| ألا لايجهلن... | الجاهلينا | | ١/١٩٤ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| مهلا بنى عمنا... | مدفونا | | ١/٤٢٢ |
| إنا محبوك... | فاسقينا | | ١/٤٥٦ |
| وكنت داينت... | والليانا | | ١/٤٨٩ |
| والله لن يصلوا... | دفينا | أبو طالب | ٢/٩٦-٩٧ |
| فاصدع بأمرك... | عيونا | أبو طالب | ٢/٩٦-٩٧ |
| ودعوتنى... | أمينا | أبو طالب | ٢/٩٦-٩٧ |
| ولقد علمت... | دينا | أبو طالب | ٢/٩٦-٩٧ |
| لولا الملامة... | مبينا | أبو طالب | ٢/٩٦-٩٧ |
| الغمرات... | فلا يجينا | | ٢/١٢٧ |
| إنى كأنى... | عريانا | | ٢/١٧٣ |
| إذا الجوزاء... | الظنونا | | ٢/٢٤٩ |
| إن شرخ... | جنونا | | ٢/٣٠٣ |
| نصبنا رأسه... | وما اعتدينا | | ٢/٤٢٠ |
| أتيتك... | الظنونا | | ٢/٤٣٣ |
| أبلغ أمير المؤمنين... | أتينا | | ٣/٢٠ |
| ينازعنى... | الحقينا | | ٣/٣٠ |
| ولم تشعر... | الأذينا | | ٣/١٠٥ |
| ياضربة... | رضوانا | | ٣/٣٨٤ |
| إنى لأذكره... | ميزانا | | ٣/٣٨٤ |
| إن الذين... | مَعِينا | | ٣/٤٧٧ |
| فرد قواصى... | واحدينا | | ٤/٤٧ |
| وأكثرهم... | سنانا | | ٤/٣١٩ |
| فردّ بنعمته... | فاتنا | | ٤/٤١٩ |
| تذكر حب ليلى... | القرينا | | ٤/٤٢٥ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| وقد علم ... | بمقرنينا | عمرو بن معد يكرب | ٥/٩٣ |
| قل لابن... | الأضغانا | | ٥/١٨٣ |
| منطق صائب... | لحنا | | ٥/١٨٣ |
| قوم يدينون... | إحسانا | لبيد | ٥/٢٥١ |
| صرفت الكأس... | اليمينا | | ٦/١١٤ |
| مذمماً أبينا... | عصينا | أم جميل | ٦/٣٠١ |


## فصل النون المكسورة


| | | |
|---|---|---|
| فنكب عنهم... | الجنون | ١/٩٤ |
| ذغرق به... | اللعين | ١/١٠٧ |
| امتلأ... | بطني | ١/١١٠،٥/٤٠، ٢٤٥ |
| وكل أخ... | الفرقدان | ١/١٥٤،٣/٢٥٣، ٣٧٤ |
| أقول وقد... | ودِيني | ١/٣٧٨،٣/٥٢ |
| إنا اتبعنا... | الموازين | ١/٣٩٦ |
| تجعل المسك... | الكانون | ١/٤٣٨ |
| لولا حرج... | ولاتغزوني | ٢/١٦١ |
| إذا ما قمت... | الحزين | ٢/٣٥٢ |
| ووجه حسن... | حقان | ٢/٤٦٠ |
| أتمدح فقعساً... | هجين | ٣/٧٢ |
| ولو فزّت عليك... | اليقين | ٣/٧٢ |
| نشدتكم... | القرآن | ٣/١٥١ |
| ولا أدري... | يليني | ٣/١٩٢،٤/٣٦٨ |
| إن السفاهة... | الملاعين | ٣/٣١٨ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| إذا ما راية... | باليمين | | ٤/٣٩٧،٦/٤٣ |
| ألخير الذى... | يبتغينى | | ٤/٣٦٨ |
| ومخلدات... | الكثبان | | ٥/٣٥١،٦/١١٩ |
| مهمهين... | بالسمتين | | ٦/٨ |
| رأيت عرابة... | القرين | الشماخ | ٦/٤٣ |
| إذا بلغتنى... | الوتين | الشماخ | ٦/٤٣ |
| قومى هم... | النعمان | | ٦/٦٨ |
| ويخضب... | أنى | النابغة | ٦/٢١٣ |


## فصل النون الساكنة


| | | |
|---|---|---|
| تيممت... | ذى شزن | ١/٤٣٢ |
| أيها القلب... | وأذن | ٢/٣٢٠،٦/١٨٦ |
| فإن تستضيفوا... | قد عدن | ٢/٣٢٦ |
| الحمد لله... | العيدان | ٣/٣٠ |


## باب الهاء

## فصل الهاء المفتوحة


| | | |
|---|---|---|
| أما ابن عوف... | حاويها | ١/٧١ |
| إن على عقبة... | منسيها | ١/١٢٢ |
| وإذا أجوزها... | حبالها | ١/٣٤٦ |
| من لم يمت... | ذائقها | ١/٣٨٦ |
| إذا مت... | أذوقها | ١/٤٢٤ |
| فبوئت... | مبوِّؤها | ٢/١٩٢ |
| ياقاتل... | لا أباليها | ٢/٣٠١ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| تميم بن قيس... | جوابها | الفرزدق | ٢/٤٥٢، ٤/٢٧ |
| أبا جبلى... | نسيمها | | ٣/٦٣ |
| فإن الصبا... | همومها | | ٣/٦٣ |
| نهين النفوس... | أبقى لها | الخنساء | ٣/١٨٠ |
| إن أباها... | غايتاها | | ٣/٣٣٨ |
| أى قلوص... | علاها | | ٣/٣٣٨ |
| يهون عليهم... | وإرغامها | | ٣/٣٧٧ |
| ورتق الفتوق... | إبرامها | | ٣/٣٧٧ |
| إن سلمى... | يرزؤها | | ٣/٣٨٢ |
| ماذا ترجى... | كاربها | | ٣/٥٢٧ |
| فلا مزنة... | إبقالها | | ٢/١٢٠، ٣/٥٣٨، ٤/٢٢٠ |
| أموالنا... | نبنيها | | ٤/١٢٤ |
| حتى إذا ألقت... | ظلامها | | ٤/٢٦٦ |
| وبان الخليط... | أوطارها | | ٤/٢٨٨ |
| فرميت... | وطحالها | | ٤/٤٣٤ |
| وغيرها ما غير الناس... | تصيبها | | ٤/٤٤٥ |
| ملكت بها... | وراءها | | ٥/٣٢٠ |
| إليك تعدو قلقا... | وحنينها | | ٥/٣٥٠ |
| وكل نفس... | يبرؤها | | ٥/٤١٥ |
| اخسأ... | هلالها | | ٦/٨ |
| هممت بنفسى... | أولى لها | الخنساء | ٦/١١٠ |
| نحن صبحنا عامراً... | سرارها | | ٦/١٥٤ |
| إذا أنا جئت... | سفورها | | ٦/١٥٨ |

## فصل الهاء المكسورة


| | | | |
|---|---|---|---|
| ومهمه... | العمَّه | | ١/٥١ |
| وإنى لمشتاق... | عليه | | ٥/١٨٧ |
| يامن خلا... | تماديه | | ٦/١٧٤ |
| أملى لك... | معاصيه | | ٦/١٧٤ |
| وأبيض... | نوافله | | ١/٢٠٢ |
| وشريت... | هامه | | ١/٢٠٩ |
| مالى بأمرك... | مخلوقه | | ١/٢٥٩ |
| إذا الشريب... | بكه | | ١/٣٤٢ |
| ولكل ما نال... | التحيه | | ١/٤٥٦ |
| وإذا وعد... | مانعه | | ١/٤٥٦ |
| اليوم يبدو... | أحله | ضباعة بنت عامر بن قرط | ٢/١٧٢ |
| ولست يامعد... | مدده | | ٢/١٩٤ |
| أأم سليم... | الوالده | | ٢/٢٣٢ |
| فمالك مسلوب... | غارمه | | ٢/٣٣٨ |
| وشريت... | هامه | | ٣/١٧ |
| حتى إذا ما القوم... | كالأرشيه | سحيم بن وثيل اليربوعى | ٣/٥٥ |
| النحو صعب... | مدمه | | ٣/١٩٩ |
| هممت ولم أفعل... | حلائله | | ٣/٣٢٤، ٤/٢١ |
| بكر العواذل... | ألو مهنه | | ٣/٣٣٨ |
| ضرباً يزيل... | خليله | عبد الله بن رواحه | ٣/٤١٧ |
| أيهات أيهات... | نواصله | | ٣/٤٧٤ |
| فبتنا قياما... | ونزاوله | | ٤/٣٠ |

| | | |
|---|---|---|
| والموت أعظم... | الجبله | ٤/٦٥ |
| أكلت حنيفة... | المجاعه | ٤/١٧٣ |
| لايكن برقك... | معه | ٤/٢٠٥ |
| فقلت له... | شاغله | ٤/٣١١ |
| اليوم يوم بارد... | فلا ألومه | ٥/٢٧٦ |
| بكرت... | عواذله | ٦/٢٤ |
| أقبل سيل... | المغلة | ٦/٢٥ |
| خل سبيل... | ماؤه | ٦/٣٧ |
| إذا غاب عنا... | فو اضله | ٦/١٣٠ |
| فصدقتها... | كذابه | ٦/١٤١ |
| فإنما قصرك... | ناخره | ٦/١٤٨-١٤٩ |
| تدلى بودى... | اللمزه | ٦/٢٨٠ |
| وجدنا الوليد... | كاهله | /١٢٣ |


## باب الياء

### فصل الياء المضمومة


| | | |
|---|---|---|
| وتملأ... | وريٌّ | ١/٢٠٨ |
| ألا أبلغ... | غنيٌّ | ٤/٥٨ |


### فصل الياء المفتوحة


| | | |
|---|---|---|
| وإن الألى... | التأسيا | ١/٣٦٠ |
| خرجنا من... | الأحيا | ٢/٣٤ |
| ويوسف... | ثاويا | ٢/١٧٠ |
| تصدق... | لياليا | ٣/٦١ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ألم ييئس... | نائيا | | ٣/٩٥ |
| فتصدعت... | مليا | | ٣/٢٩٦ |
| هتفت... | مواليا | | ٣/٣١٨ |
| يقول... | عليا | | ٤/٣٣٢ |
| عميرة... | ناهيا | | ٤/٣٨٧ |
| فلو كنت... | بسواديا | عبد بنى الحساس | ٥/٣٣١ |
| وأشهد... | ليا | | ٥/٤٤٥ |
| سقتنى... | والغواديا | | ٦/٩٥ |
| فأقسم... | سدى | | ٦/١١٠ |
| وقد ينبت... | كما هيا | | ٦/٢٠٨ |
| قال لها... | بالمرضى | | ٣/١١٢ |

# فهرس أنصاف الأبيات


| نصف البيت | الجزء والصفحة |
|---|---|
| **أ** | |
| أتيت كقنو النخلة المتعثلل... | ٢/ ١٣٠ |
| أجاد المسدى سردها وأذالها... | ٤/ ٣١٩ |
| إذا قطعن علماً بدا علم... | ٥/ ٣٢٨ |
| أصم عما ساءه سميع... | ١/ ٥٣ |
| الأعداء والأكباد سود... | ١/ ٣٥٥ |
| ألستم خير من ركب المطايا... | ١/ ٢٦٥ |
| أم كيف أخنو وبلال حزبى... | ٤/ ٢١٤ |
| أنا أبو النجم وشعرى شعرى... | ٦/ ٣٤ |
| أنى ومن أين آنك الطرب... | ١/ ٣١٤ |
| إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا... | ٢/ ٧٨، ٥/ ٦٩، ٦/ ٢٨٦ |
| أوحى لها القرار، فاستقرت... | ١/ ٢٧١ |
| أو يرتبط بعض النفوس حمامها... | ٣/ ٢٧١ |
| أو يعتلق بعض النفوس حمامها... | ١/ ٣٢٢، ٥/ ١٧ |
| **س** | |
| سبحن واسترجعن من تأله ... | ١/ ٣٣ |
| سود المحاجر لايقرأن بالسور... | ٣/ ٤٧٠ |
| **ع** | |
| عقيلة مال الفاحش المتشدد... | ١/ ١٦٧، ١/ ٢٧٣ |

علفتها تبناً وماءً بارداً... ٢/١٧،٤/١٠

علم سليمان الحُكْلِ... ٤/٨٥

ف

فأما عظامها قبيض... ٣/٢٧٣

فبينا المرء فى عيش لذيذ ناعم... ٦/١٩٢

فى الجوس جسنا إليك الليل بالمطى... ٣/٢١٩

فى حلقهم عظم وقد شجينا... ٣/٤٦٧

فى ظل ملك ثابت الأوتاد... ٦/٢٢٠

ق

قد رضيناه فقم فسمه... ٦/٨٨

ك

كان كأن وريديه رشاء حبل... ٥/٢٣٩

ل

لاتخبزا خبزاً وبُسّا بَسّا... ٥/٣٤٧

له ديك حسرى... ٣/٢٣٧

م

ما فى السماء سوى الرحمن من وال... ٣/٨٢

ما ليلة الفقير إلا شيطان... ٤/٣٩٢

ما يُمْنى لك المانى... ٦/١١١

## ن


نضرب بالسيف ونرجو بالفرجْ... ٦/١٩


## و


ومسنونة زرق كانياب أغوال... ١/٢٦٨

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها... ٣/٩٦

وأما جلدها فصليب... ٣/٢٣٧

والكفر مخبثة لنفس المنعم... ٤/٤١

والمرء يخلق طوراً بعد أطوار... ٦/٥٧

وللموت ما تلد الوالدة... ٢/٣٩٩

ولله أوس آخرون وخزرج... ٥/١٨٧

ومهمهين فرقدين مرتين... ٥/٣٣٣

وهاجرة يشوى الوجوه حرورها... ٤/٣٥٥


## و


يقضى البازى إذا البازى انكسر... ١/٢٦٤،٦/٢٣٣

يمج صبيره الماعون مجا... ٦/٢٨٩



يُطلب من

مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان

ص.ب: ١٤٠٥ - الرياض: ١١٤٣١

ت: ٤٠٢٢٥٦٤ - فاكس: ٤٠٢٣٠٧٦